

مُخْتَصَرٌ

# تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ

المُسَمَّى بِـ «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ»

لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ

الْفَرَّاءِ الْبَغْوِيِّ الشَّافِعِيِّ

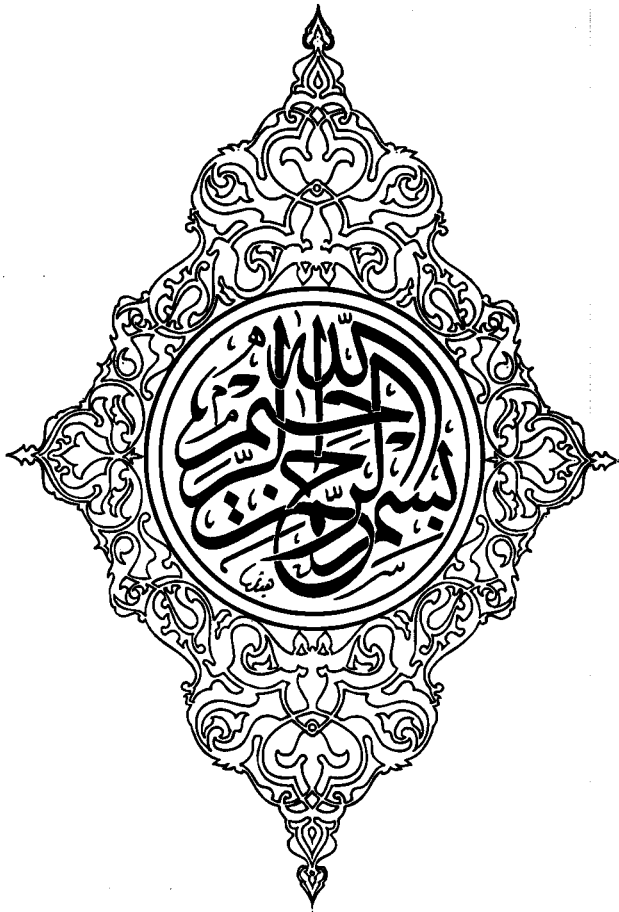
الترغيب كنتا (٥١٦ هـ)

اِخْتِصَارٌ وَتَعْلِيقٌ

الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الرزيد



دار السلام للنشر والتوزيع





مختصر

تفسير البغوي

المستقى بـ «معالم التنزيل»



# دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي  
(الضباب سابقاً)

مقابل الغرفة التجارية

ص.ب ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٠٠٩٦٦١ / ٤٠٤٣٤٣٢

فاكس: ٠٠٩٦٦١ / ٤٠٢١٦٥٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة الناشر

فلما كان تفسيره بهذه المكانة العظيمة وأثنى على اختصاره غير واحد من أهل العلم، أعدنا طبعه من جديد بعد التنسيق مع المختصر. عملنا في هذا الكتاب :

١- طبع الكتاب في مجلد واحد لأول مرة بلونين.

٢- وضع المصحف كاملاً، وكذلك أخذ الآيات القرآنية المفسرة برسم المصحف من الحاسب الآلي تجنباً للأخطاء المطبعية.

٣- تصحيح الأخطاء التي نبه عليها فضيلة الدكتور عبدالله الزيد، فضلاً عن الأخطاء التي استدرکها أعضاء لجنة البحث العلمي بدار السلام.

٤- تم طباعة الكتاب على ورق شمواه . ونحن عندما نقدم هذا السفر الجليل بين يدي القارئ الكريم، ننضرع إلى الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم. هذا... ونشكر كل من سعى لإخراج هذا العمل في ثوبه الجديد. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

خادم الكتاب والسنة  
عبدالمالك مجاهد

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا اختصارٌ تفسيريٌّ اختصره فضيلة الدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد، حفظه الله، من تفسير الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، البغوي المسمى بـ «معالم التنزيل».

وتفسيره الكامل الذي منه هذا الاختصار من أجل كتب التفسير بالمأثور، يسرد فيه التفسير بالقرآن - أي يجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد ليوضح معنى الكلمة التي تضمنتها - ويأتي بالأحاديث مع أسانيدھا كما يذكر أقوال الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي أم البغوي أو غير هؤلاء؟ فأجاب قائلاً:

«وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة - البغوي» وعنه قال: «تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلة الشهرية  
بيانات الشيعة الطائفة الاثنا عشرية والاشعريين

الرقم .....  
التاريخ .....  
المرفقات .....

الموضوع .....

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجهله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان  
والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان . وعلى آله وأصحابه  
أولى العلم والعرفان . وبعد : فإنه تفسير الإمام محمد بن أبي محمد الحسين بن مسعود  
البنغوي تفسير جيد شهيد العلماء بمجودته وارتقائه وتمثيه على من ذهب السلف  
في المنهج والاعتقاد . لا يطويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم ، فإننا من  
اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق . فلذلك اتجهت لهمة أخينا الشيخ الدكتور  
عبدالله به أحمد بن علي الزبيدي إلى اختصار هذا التفسير وتقريره للناس .  
وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملاً جيداً ومنهجاً سليماً .  
حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة  
وأسهلها ، فهو مختصر جيد مفيد . جزى الله أخانا الشيخ عبدالله عن عمله  
هذا خيراً . وغفر الله للإمام البنغوي ورحمه جزاء ما ترك للمسلمين من علم  
نافع وعظيم قويم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه <

كتبه :

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

صالح

١٠/١٢٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقريظ لفضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان آل فوزان

التفسير وتقريبه للناس . وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملاً جيداً ومنهجاً سديداً، حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة وأسهلها، فهو مختصر جيد مفيد . جزى الله أخانا الشيخ/ عبدالله على عمله هذا خيراً وغفر الله للإمام البغوي ورحمه، جزاء ما ترك للمسلمين من علم نافع ومنهج قويم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبه :

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

في (١٣/١٠/١٤١٣هـ)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، وعلى آله وأصحابه أولي العلم والعرفان . وبعد:

فإن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد، شهد العلماء بجودته وإتقانه وتمشيه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد، إلا أنه طويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم، فالناس اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق .

فلذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور/

عبدالله بن أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

النظر، ومنها ما يستطرد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن.

ولما كان تفسير الإمام البغوي - رحمه الله - المسمى (معالم التنزيل) يجمع بين علمي الرواية والدراية مع وضوح العبارة، وجمعه لكثير من المعاني التي يذكرها المفسرون بأسلوب سهل مقتضب بعيداً عن الألغاز والتعمية مع ما يتميز به من الالتزام بمذهب السلف الصالح في المجال العقدي وما خص به من ثناء العلماء والأئمة، وما حظي به من القبول لدى الأمة، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أي التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري؟ أم القرطبي؟ أم البغوي؟ فأجاب في فتاواه (ج ٢ - ص ١٩٣) ما نصه: «أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي».

وقال محمد رشيد رضا في مقدمة طبعته له عام ١٣٤٣ هجرية: «هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف وبيان معاني الآيات وأحكامها»

وهو من أجود التفاسير وأنفعها وأشملها أيضاً، إلا أنه يشتمل على روايات كثيرة وبعض القصص الإسرائيلية والأمور التي يغني بعضها عن بعض، ولم يسبق حسب علمي أن قام أحد باختصاره، لذا قمت بهذا العمل لنفسي أولاً، وحرصاً مني على تقريبه وتسهيله لمن يرغب في تفسير موثق لإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد والقبول.

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ولمن استمسك به هدى ونوراً... والصلاة والسلام على من أرسله بالهدى والبيات سراجاً منيراً، نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا كتاب ربهم وعملوا على جمعه وضبطه وتدوينه ليصل إلى من بعدهم بصورته التي بها نزل.

ويعد: فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد الخالص والطريق المستقيم، وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل والتغيير والمعارضة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وها هو قد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال كما وعد الله محفوظاً كما أنزل لم يتغير فيه عما نزل حرف ولا كلمة، ولا ترتيب، وسيبقى كذلك إلى آخر الدهر.

وقد ظهر لي من خلال عملي حاجة الناس إلى تفسير مختصر يجمع بين علمي الرواية والدراية، يكون في متناول الكل، يتميز بخلوه من المخالفات الشرعية والعقدية، وذلك لأن الوقت في هذا العصر أصبح قليلاً جداً بسبب تزامم المعلومات في كل العلوم، فرأيت من المناسب اختيار تفسير مختصر يلبي حاجة من أراد الاطلاع على معاني كلام الله سبحانه وتعالى. وقد اطلعت على كثير من المختصرات فوجدت بعضها يهتم بجانب واحد من جوانب إعجاز القرآن كمباحث الإعراب ونكت البلاغة، والبعض الآخر لا يخلو مما يستوجب

- منهج البغوي في تفسيره:
- ٦ - يتحاشى ذكر المسائل الكلامية ويكتفي بإيراد منهج السلف فيها.
- ٧ - يذكر البغوي بعض الأخبار الإسرائيلية عند تفسير بعض الآيات التي تحكي قصص أهل الكتاب وهو مُقلّ منها بالنسبة لغيره من المفسرين.
- ٨ - يذكر بعض الأحكام الفقهية والقراءات المشهورة، وأسباب النزول في تفسيره. عملي في التفسير:
- ما يجده القارئ في هذا المختصر هو كله من كلام البغوي فقد التزمت بنصه التزامًا تامًا ولم أتصرف فيه بالزيادة إلا ما استدعى السياق إضافته لربط كلام البغوي بعضه ببعض كواو العطف ونحوها، ليقى التفسير بأسلوبه السهل الميسر وجماله الناصع مع تمام الترابط والانسجام، وقد جعلت ما أضفته بين قوسين تمييزًا له عن كلام البغوي... ومن هذا يعلم أن جميع ما في هذا المختصر هو من كلام البغوي، فإذا ورد فيه قوله: (قد روينا أو حدثنا) أو نحو ذلك فالقائل هو: البغوي، وقد حرصت على هذا المنهج لما لكلام الإمام البغوي - رحمه الله - من ميزة لدى العلماء تجعل الاطمئنان إليه أكثر والثوق به أحرى، وما عملته في الاختصار لا يخرج في الغالب عن أحد الأمور التالية:
- ١ - استبعاد ما لا ضرورة له في بيان معاني الآيات من الروايات والأسانيد المطولة والأحكام التي لا حاجة لها والاختصار من سند الحديث عند ذكره على اسم الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ وتركت لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الأصل المختصر.
- ٢ - إذا تعددت الأحاديث التي يوردها المؤلف على وفق معاني الآيات الكريمة اقتصر على ذكر حديث واحد منها وقد أقتصر على
- ١ - من المعلوم أن أحسن طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، ثم بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ثم بأقوال الصحابة فإنهم أدروا بذلك حيث إنهم حضروا التنزيل وشاهدوا من القرائن والأحوال ما لم يعلمه غيرهم، ثم بأقوال التابعين الذين تعلموا على الصحابة وأخذوا عنهم، وهذا ما اتخذه البغوي منهجًا له في تفسيره.
- ٢ - سلك البغوي - رحمه الله - مسلكًا متوسطًا بلفظ موجز وسهل بعيدًا عن الاستطراد والحشو، جاء في مقدمة تفسيره: (جمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابًا متوسطًا بين الطويل الممل والقصير المخل) اهـ.
- ٣ - ما ذكره من الأحاديث النبوية الشريفة فغالبا يسوقها بأسانيدھا التي اشترط فيها الصحة أو الحسن، وقد وضح ذلك بقوله: (ما ذكرت من أحاديث رسول الله - ﷺ - في أثناء الكتاب على وفق آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير).
- ٤ - ما ذكره عن الصحابة والتابعين فغالبا يذكره بلا إسناد وذلك لأنه ذكر في مقدمته إسناده إلى كل من يروي عنهم.
- ٥ - يذكر أقوال السلف في تفسير الآية ولا يرجح بعضها على بعض في كثير من الأحيان إشارة منه - رحمه الله - إلى أن معنى الآية قد يحتمل جميع المعاني أو أكثرها، وهذه ميزة تميز بها تفسير البغوي فلما توجد في غيره.



أشكل فيها على طبعة عام (١٣٤٣) هجرية التي طبعت على حاشية تفسير الإمام ابن كثير. وبعد فراغي من العمل خرجت الطبعة الجديدة التي حققها الإخوة محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش فاستفدت منها في مقابلة بعض العبارات المشككة وفي بعض التخريجات للأحاديث النبوية الشريفة واكتفيت بذلك عن المقابلة على مخطوطة الكتاب وذلك لأن هذه الأخيرة طبعة مقابلة على مخطوطة الكتاب كما جاء في مقدمتها<sup>(١)</sup>.

أسأل الله الكريم أن ينفع بعلمي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وجزى الله خيراً من ينهني على خطأ يجده فليراسلني على ص.ب (٣٤٠٦٥٥) الرياض (١١٣٣٣)، ومن ينتفع بما فيه فيدعو لي من وراء الغيب دعوة خير صادقة، والله الموفق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الرياض في (٢٢/٩/١٤٢٢ هجرية)

د. عبدالله بن أحمد بن علي الزيد

موضع الشاهد من الحديث إذا كان يؤدي المعنى المقصود.

٣ - جرى تخريج الأحاديث الشريفة التي وردت في المختصر.

٤ - الإبقاء ما أمكن على الآيات التي استشهد بها المؤلف على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن مع جعلها بين قوسين مختلفين عن أقواس الآيات المفسرة.

٥ - تجريد المختصر من الإسرائيليات ما أمكن إلا ما روى منها عن رسول الله ﷺ أو أقره.

٦ - عند تعدد ذكر الآثار أكتفي منها بما يكشف معنى الآية.

٧ - جرى حذف بعض القراءات وخاصة إذا لم يترتب على المحذوف منها تغير المعنى.

الطبعة التي اعتمدت عليها:

اعتمدت في عملي هذا على الطبعة المستقلة الكاملة لتفسير الإمام البغوي في طبعتها الثانية عام (١٤٠٧) هجرية التي حققها الأستاذان خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، وقد قابلت ما

(١) وقد جرى إعادة صف الكتاب في هذه الطبعة الثانية التي استدرك فيها كثير مما فات في الطبعة الأولى وجرى تنقيح الطباعة وتدقيقها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة الإمام البغوي

وعلموهما، وصفه من ترجم له: شيخ الإسلام ومحبي السنة وعلامة زمانه وأنه ديناً ورعاً عابداً حافظاً ثباتاً ثقة حجة صحيح العقيدة.

وهو من أئمة الحديث الشريف، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله. كما أنه إمام في الفقه والأحكام. وإمام في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وقد خلف مؤلفات كثيرة منها شرح السنة، ومصايح السنة، ومعالم التنزيل وهو أصل هذا المختصر والتهديب في فقه الإمام الشافعي. وغير ذلك كثير.

وأخذ الإمام البغوي العلم عن أئمة عصره وكبار الحفاظ والمحدثين في زمانه منهم: الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة (٤٦٢هـ)، ومحدث مرو عبد الواحد بن أحمد المليحي الهروي المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، والإمام علي بن يوسف الجويني شيخ الحجاز المتوفى (٤٦٣هـ) وغيرهم.

وقد روى عنه تلاميذ عدة منهم مجد الدين العطاردي الأصولي والمحدث الطائي الهمداني وآخرون. رحم الله البغوي رحمة واسعة ورحمنا معه بمتنه وكرمه إنه على ذلك قدير.

هو الإمام العلامة الحافظ المفسر المحدث الفقيه محبي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي من أئمة السلف الصالح المتمسكين بالكتاب والسنة.

ولد في بلدة (بغشور أو: بغ) وإليها نسبه وهي من بلاد خراسان، وذلك في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

ونشأ البغوي شافعي المذهب غير متعصب لإمامه ولا مندب بغيره من العلماء، بل سلك مسلك أهل الاختيار والترجيح والتصحيح.

ومنهجه في العقيدة منهج السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم فلم يشغل نفسه بنظريات المتفلسفة وخلافات المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وإنما التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ناشراً له ومدافعاً عنه.

وقد تنقل البغوي في كثير من البلاد طلباً للعلم إلى أن استقر في (مروالروذ) الوطن الثاني للبغوي، وبقي فيها إلى أن وافته المنية عن نيف وثمانين سنة فيما بين عام (٥١٠هـ) إلى (٥١٦هـ) على خلاف في ذلك.

وقد أجمع علماء أهل السنة على جلالته قدر الإمام البغوي ورسوخ علمه بالكتاب والسنة

## (١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك .

قوله: ﴿الزَّمِنَ الرَّحِيمَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور، فإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء الآية الأخيرة صراط الذين، ومن لم يعدها من الفاتحة قال: ابتداءها الحمد لله رب العالمين وابتداء الآية الأخيرة غير المغضوب عليهم .

[٢، ٣] قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لفظه خبر كأنه يخبر عن المستحق للحمد هو الله عز وجل، وفيه تعليم الخلق تقديره: قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يُقال: حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من نعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال: شكرت فلاناً على علمه، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً .

قوله: ﴿اللَّهُ﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يُقال الدار لزيد . قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فالرب يكون بمعنى المالك كما يُقال لمالك الدار: ربّ الدار، ويقال: ربّ الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال: ربّ

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وهي مكة على قول الأكثرين، وقال مجاهد: مدينة، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. والأول أصح أنها مكة لأن الله تعالى منّ على الرسول ﷺ بقوله: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني)، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحجرِ مكة، فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها .

[١] قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء زائدة يخفض ما بعدها، مثل مِنْ وَعَنْ، والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ابدأ بسم الله أو قل بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها، فإن قيل: ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليمٌ للعباد كيف يستفتحون القراءة .

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاصٍ لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله إلهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويدرك وإلا هتك» أي: عبادتك . معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، قال المبرد: هو قول العرب: ألّهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألّهت إليها والحوادث جمّة  
فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمنون بذكره،  
يقال: ألّهت إليه أي: فرغت إليه . وقيل: أصل الإله ولاه، فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولّهون إليه،

## سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

أي: مُذلل، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

[٦] قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، اهدنا: أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبنا، كما يُقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

﴿الصِّرَاطَ﴾: وصراط قرئ بالسين وهو الأصل، سمي سراطاً لأنه يسرط السابلة، ويُقرأ بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو

فلان الضيعةَ يربها إذا أتمها وأصلحها، فالله تعالى مالك العالمين ومُرْتبهم، ولا يقال للمخلوق: هو الرب معرفاً، إنما يُقال: رب كذا مضافاً، لأنَّ الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

والعالمين: جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه، واختلفوا في العالمين، قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: (ليكون للعالمين نذيراً): وقال قتادة ومجاهد والحسن: جميع المخلوقين، قال الله تعالى: (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما).

[٤] قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿مَلِكِ﴾ وقرأ الآخرون «ملك» قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الرب، يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحدٌ غير الله، قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب، وقال قتادة: الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً، كما يقال: كما تدين تُدان، قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن رباب: الدين القهر، يُقال: دنته فدان، أي: قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما حُصَّ يومُ الدين بالذكر مع كونه مالِكاً للأيام كلها لأن الأملاك يومئذٍ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: (الملك يومئذٍ الحق للرحمن).

[٥] قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، إيا كلمة ضمير خُصَّتْ بالإضافة إلى المضمَر.

قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبداً لذته وانقياده يقال: طريق معبد

بسكته، وهو مخفف ويجوز ممدودًا ومقصورًا، ومعناه اللهم اسمع واستجب.

### (فصل في فضل فاتحة الكتاب)

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما لهي السبع المثاني التي آتاني الله عز وجل»، هذا حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذا سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: «أبشُرْ بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أعطيته»، صحيح<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني ولعبدي ما سألت» قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا يقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد:

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٧٢/١ وضعفه أحمد شاكر في تعليقه عليه. (٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨-١٨٠، وأحمد في المسند ٤١٢/٢-٤١٣، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم. انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٧/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤٤٦/٤، ٤٤٧ (٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) ٥٥٤/١، والنسائي في افتتاح الصلاة ١٣٨/٢ والمصنف في شرح السنة ٤٦٦/٤.

الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود: هو القرآن وروي عن علي مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله»<sup>(١)</sup> وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحبه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين. وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم، وقال عبد الرحمن: هم النبي ومن معه، وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عبد الرحمن بن زيدان: رسول الله ﷺ وأهل بيته، وقال شهر بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم.

﴿وَالضَّالِّينَ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و«غير» ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة ﴿ءَامِينَ﴾، مفصلاً عن الفاتحة

مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول المَرِّ وحمَّ ونَّ فيكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، ويبانه أن القائل إذا قال قرأت المَصَّ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمَصَّ، وروي عن ابن عباس: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة ومبادئ أسمائه الحسنى.

[٢] قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: هذا الكتاب وهو القرآن، وأصل الكتاب الضم والجمع، وسُمي الكتاب كتابًا لأنه جمع حرف إلى أحرف.

قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خير بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هاديًا تقديره لا ريب فيه، في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان. للمتقين، أي: للمؤمنين، قال ابن عباس: المتقي من يتقى الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزًا بين نفسه وبين ما يقصده. فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزًا بينه وبين العذاب وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

[٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع (الذين)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يقول الله عزَّ وجلَّ: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل، يقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يقول الله: (فهؤلاء لعبي ولعبي ما سأل)، صحيح<sup>(١)</sup>.

## (٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[١] ﴿الرَّ﴾ قال الشعبي وجماعة: المَّ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سرٌّ وسرَّ الله في القرآن أوائل السور، وقال علي: إن لكل كتاب صفة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في المَصَّ أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في المَّ: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: معنى المَّ أنا الله أعلم، ومعنى المَصَّ أنا الله أعلم وأفضل، ومعنى الرَّ أنا الله أرى، ومعنى المَرَّ أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفًا من كلمة تريداه كقولهم:

قلت لها قفي فقالت لي قاف<sup>(٢)</sup>

أي: وقتت.

وعن سعيد بن جبيرة قال: هي أسماء الله تعالى

(١) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة رقم (٣٩٥) ٢٩٦/١، والمصنف في شرح السنة ٤٧/٣.

(٢) هذا الرجز للوليد بن عقبة انظر تفسير الطبري ١/٢١٢.

## سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَرَبِ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤

خفض؛ نعمًا للمتقين، يؤمنون يصدقون، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا) أي: بمصدق لنا، وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيمانًا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلمًا في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر، والإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن مؤمنًا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ ما كان مغيبًا من العيون، قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن وقال الحسن: الآخرة، وقال ابن جريج: الوحي.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطيًا حقوقه، أو المراد بها الصلوات الخمس، ذكر بلفظ الواحد. والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: (فصلُّ عليهم) أي: ادعُ لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء.

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، أي: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، وهذه الآية في المؤمنين من مشركي

العرب.

[٤] قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني:

القرآن. ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل

وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب.

قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُميت

الدنيا: دنيا لدنوها من الآخرة، وسُميت الآخرة:

آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هُمُ يُوقِنُونَ﴾،

أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان وهو العلم،

وقيل: الإيقان واليقين علم عن استدلال، ولذلك

لا يُسمى الله موقتًا ولا علمه يقينًا إذ ليس علمه عن

استدلال.

[٥] قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿عَلَى

هُدًى﴾، أي: رُشد وبيان وبصيرة. ﴿مِنْ رَبِّهِمْ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون والفائزون فازوا

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٣

الْبَقَرَةِ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ  
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى  
 أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ  
 مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾  
 يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ  
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا  
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ  
 لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾  
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قِيلَ  
 لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ  
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالُوا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا  
 مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ  
 فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ  
 بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأول  
 فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة  
 تعرفهم الملائكة بها، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، أي: على  
 موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به،  
 وأراد على أسمعهم كما قال على قلوبهم، وإنما  
 وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع.  
 ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾: هذا ابتداء كلام، غشوة

أي: غطاء فلا يرون الحق.  
 ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، وقيل:  
 القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى،  
 والعذاب: كل ما يعني الإنسان ويشق عليه، قال  
 الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه  
 الماء العذب لأنه يمنع العطش.

[٨] قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾  
 نزلت في المنافقين وأكثرهم من اليهود، والناس:

بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى  
 البقاء، أي باقون في النعيم المقيم، وأصل  
 الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزَّراع: فلاحًا  
 لأنه يشق الأرض، فهم المقطوع لهم بالخير في  
 الدنيا والآخرة.

[٦] قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي  
 العرب، قال الكلبي: يعني اليهود، والكفر هو  
 الجحود، وأصله: من الستر ومنه سُمي الليل كافرًا  
 لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمي الزَّراع كافرًا لأنه  
 يستر الحب بالتراب، فالكافر يستر الحق بجحوده،  
 والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر  
 جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو  
 أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به، وكفر به،  
 وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف  
 بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، وكفر العناد هو أن  
 يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر  
 أبي طالب، وأما كفر النفاق فهو أن يقرّ باللسان  
 ولا يعتقد بالقلب.

وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله  
 تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ متساوٍ لديهم  
 ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾: خوفتهم وحذرتهم، والإنذار: إعلام  
 مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل  
 معلم منذرًا. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف على الاستفهام،  
 ﴿لَمْ﴾: حرف جزم لا يلي إلا الفعل، لأن الجزم  
 يختص بالأفعال. ﴿تُنذِرُهُمْ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذه الآية  
 في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم  
 الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي: طبع الله ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا  
 تعني خيرًا ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق  
 من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما  
 فيه، ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة أي:



﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان، ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين، وقيل: لليهود: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: عبدالله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي: الجهال، فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرن هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كذلك، والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفیه أي: رقيق، وقيل: السفيه: الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار: ﴿قَالُوا ءَامِنًا﴾ كإيمانكم ﴿وَإِذَا حَلَّوْا﴾ رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة، و﴿إِلَى﴾، بمعنى: الباء أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿شَيْطَانِيهِمْ﴾، أي: رؤسائهم وكهنتهم، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له، والشيطان المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البعد، يقال: بثر شطون، أي: بعيدة العمق، سُمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير، وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نظهر من الإسلام.

جمع إنسان، وسمي به لأنه عهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، وقيل: لظهوره من قولهم أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به. ﴿وَبِالْآيَاتِ الْآخِرَةِ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

[٩] ﴿يَخْدَعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يُخفي فيه المتاع، فالمخداع يظهر خلاف ما يضمّر. وقيل: أصل الخداع: الفساد، معناه: يفسدون ما أظهرنا من الإيمان بما أضمرنا من الكفر ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي ويخدعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمننا وهم غير مؤمنين. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، سُمي الشك في الدنيا مرضاً لأنه يُضعف الدين كالمرض يضعف البدن، ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، لأن الآيات كانت تنزل ترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: للمنافقين، وقيل: لليهود، أي: قال لهم المؤمنون: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: يقول هذا القول كذباً كقولهم آمننا وهم كاذبون.

[١٢] ﴿أَلَا﴾: كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب،

النار نورٌ وحرارةٌ فيذهب نورُهُم وتبقى الحرارة عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة، وقال عطاء: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به.  
ثم وصفهم الله فقال:

[١٨] ﴿صُمٌّ﴾ أي: هم صُم عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا، ﴿بَكْمٌ﴾ خرسٌ عن الحق لا يقولونه، أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق، ﴿عُمِّيٌّ﴾ أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيب، والصيب: المطر وكل ما نزل من الأعلى، إلى الأسفل فهو صيب، فعيل من صاب يصوب، أي: نزل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب، وقيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحدًا وجمعًا. ﴿فِيهِ﴾ أي: في الصيب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب ﴿ظَلَمْتِ﴾ جمع ظلمة ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿وَرِقٌ﴾ وهو النار التي تخرج منه ﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعًا﴾ أي: يعمدون من الصلابة التي يموت من يسمعها أو يُغشى عليه، ويقال لكل عذاب مُهلك: صاعقة.

قوله: ﴿حَدَرَ الْمَوْتِ﴾، أي: مخافة الهلاك، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، أي: عالم بهم، وقيل: جامعهم، قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أي: تُهلكوا جميعًا.

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ﴾: يتركهم ويمهلهم، والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد كثيرًا ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير، قال الله تعالى في المد ﴿وَمُدُّ لَمْ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾، وقال في الإمداد: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهْمَةٍ﴾. ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة الحد، ومنه: طغى الماء ﴿بِعَمَهُونَ﴾، أي يترددون في الضلالة متحيرين.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: بالإيمان ﴿فَمَا رِحْتِ بِخَدْرِهِمْ﴾، أي: استبدلوا الكفر، أي: ما ربحوا في تجارتهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾: شَبَّهُهُمْ، وقيل: صفتهم، والمثل قولٌ سائر في عُرف الناس يعرف به منه الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿كَثَلِ الَّذِي﴾: يعني الذين بدليل سياق الآية ﴿أَسْتَوْفَدَ نَارًا﴾: أَوْفَدَ نَارًا، ﴿كَلِمًا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾، أي: حول المستوقد ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يُنُورِهِمْ وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾، قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون يظهرون كلمة الإيمان أمناً على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف، وقيل: ذهب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، وقيل: ذهب نورهم يظهرون عقيدتهم على لسان النبي ﷺ، فحُضِرَ النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبّر بإذهاب النور عنه، لأن

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، أي: يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل، ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: يختلسها، والخطف استلاب بسرعة ﴿كَلِمًا﴾ متى ما، ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يُمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توفده، فهذا مثلٌ ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطهر حياة الأبدان، والظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوَّفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد، وذكر الجنة، فالكافرون يصدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يُبهر قلوبهم. وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد، (يجعلون أصابعهم في آذانهم) يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاءً وشدةً هربوا حذرًا من الهلاك، والله محيط بالكافرين: جامعهم، يعني: لا ينفعم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم، (يكاد البرق) يعني: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلما نالوا غنيمةً وراحةً في الإسلام ثبتوا وقالوا: إننا معكم، وإذا أظلم عليهم يعني: رأوا شدةً وبلاءً

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: متى ما، ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يُمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توفده، فهذا مثلٌ ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطهر حياة الأبدان، والظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوَّفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد، وذكر الجنة، فالكافرون يصدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يُبهر قلوبهم. وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد، (يجعلون أصابعهم في آذانهم) يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاءً وشدةً هربوا حذرًا من الهلاك، والله محيط بالكافرين: جامعهم، يعني: لا ينفعم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم، (يكاد البرق) يعني: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلما نالوا غنيمةً وراحةً في الإسلام ثبتوا وقالوا: إننا معكم، وإذا أظلم عليهم يعني: رأوا شدةً وبلاءً

تأخروا وقاموا، أي: وقفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾، أي: بأسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل: ذهب بما استفادوا من العزِّ والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر.

[٢١] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ﴾، قال ابن عباس: يا أيها الناس: خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة، وهو هنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين ﴿اعْبُدُوا﴾: وحدوا، قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد، ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: والخلقُ اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تنجوا من العذاب،

وَالْحِجَارَةُ ﴿٢٢﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر النهابا، وقيل: جمع الحجارة، وهو دليل على عِظَم تلك النار، وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة، كما قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، ﴿أُعِدَّتْ﴾: هيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَبَيَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: أخبر، والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويُستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب، ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي: الفعلات الصالحات، يعني: المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص، ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ﴾: جمع الجنة، والجنة: البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سُميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار، وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت أشجارها ومسالكها ﴿الْأَنْهَارُ﴾، أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم، والأنهار جمع نهر، سُمي به لسعته وضيائه، ومنه النهار ﴿كُلَّمَا﴾: متى ما، ﴿رُزِقُوا﴾: أطمعوا ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ أي: ثمرة، ومن: صلة. ﴿رُزِقًا﴾: طعاما، ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رُزِقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، ﴿وَأَتُوا بِهَا﴾: رزقا ﴿مُتَشَبِهًا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهًا في الألوان مختلفًا في الطعم، وقال الحسن وقتادة: متشابهًا أي: يشبه بعضها بعضًا في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيب، وقيل: متشابهًا في

وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء.

[٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، أي بساطًا، وقيل: منامًا، وقيل: وطاءً، أي: ذلها ولم يجعلها حَزَنَةً لا يمكن القرار عليها، والجعل هنا بمعنى: الخلق، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: سققًا مرفوعًا، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي: من السحاب، ﴿مَاءً﴾، وهو المطر، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: من ألوان الثمرات وأنواع النبات، ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾: طعامًا لكم وعلفًا لدوابكم، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، أي: أمثالا تعبدونهم كعبادة الله، وقال أبو عبيدة: الندُّ الضد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل وال ضد، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه واحد خالق هذه الأشياء.

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، أي: وإن كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿مِمَّا زَلْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: محمد، ﴿فَأَتُوا﴾: أمر تعجيز، ﴿سُورَةٍ﴾، والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر. ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾، أي: مثل القرآن، ومن: صلة، كقوله تعالى: (قل للمؤمنين يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ، يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يُحسن الخط والكتابة، ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾، أي: واستعينوا بألثمتكم التي تعبدونها، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال مجاهد: ناسًا يشهدون لكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أن محمدًا ﷺ تقوله من تلقاء نفسه، فلما تحداهم عجزوا، فقال:

[٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، فيما مضى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أبدًا فيما بقي، وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة النبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله، قوله: ﴿فَأَتَقُوا النَّارَ﴾، أي: فآمنوا واتقوا بالإيمان النار، ﴿الَّتِي وَوُودَهَا النَّاسُ﴾

الاسم مختلفاً في الطعم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسمي.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾: في الجنان ﴿أَزْوَاجٌ﴾: نساء وجوار، يعني: من الحور العين، ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخالط والمني والولد وكل قدر، وقيل: مطهرة عن مساوي الأخلاق ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: أَن يُضْرَبَ مَثَلًا يذكر شبهها، ﴿مَا بَعُوضَةٌ﴾، ما: صلة، أي: مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق، سُميت بعوضة لأنها كانت بعض البق، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾، يعني: الذباب والعنكبوت، وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يُقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بمحمد والقرآن، ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: المثل هو ﴿الْحَقُّ﴾:

الصدق ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾؟ أي: بهذا المثل، فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم أجابهم فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكفار، وذلك أنهم يكذبون فيزدادون ضلالاً، ﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾، أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضلَّ الماء في اللبن إذا هلك، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، ثم وصفهم فقال:

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: يخالفون ويتركون، وأصل النقص: الكسر، ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: (ألست بربكم)؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: أَن يُضْرَبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾  
 كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(قالوا بلى)، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين)، الآية، وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويؤمنوا نعتهم، ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾: أَن يُوصَلَ، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام وقيل: أراد به الأرحام، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: المغبونون.

ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب: [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾؟ بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان. ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: نطفًا

في أصلاب آبائكم، ﴿فَأَخِيضَكُمْ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للبعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: تُردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تتفنعوا، ﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: وقال ربك وإذ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذ قال ربك، وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، إذ وإذا: حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾، جمع ملك، وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: بدلاً منكم، والمراد بالخليفة ههنا آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾: بالمعاصي، ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ بغير حق ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده هو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، أي: نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونظهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب الحكمة فيه، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبديني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾:

سُمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وإن كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، إنما قال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾، ولم يقل عرضها، لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يُكْتَبُ عنها بلفظ من يعقل، كما يُكْتَبُ عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخوص، فلذلك قال عرضهم ﴿فَقَالَ أَنبِيُّ﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إني لا أخلق خلقاً إلا وكنتم أفضل وأعلم منه.

فقال الملائكة إقراراً بالعجز:

[٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تزيهاً لك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾، معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ﴾ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل.

فلما ظهر عجزهم.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَتَقَدَّمُ أُنْبُؤُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمُ﴾

فلمما ظهر عجزهم.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَتَقَدَّمُ أُنْبُؤُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمُ﴾

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يَا مَلَائِكَتِي  
﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مَا كَانَ مِنْهُمَا  
وَمَا يَكُونُ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ:  
يَعْنِي قَوْلَهُمْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا، ﴿وَمَا كُنْتُمْ  
تَكْتُمُونَ﴾: قَوْلَكُمْ لَنْ يَخْلُقَ اللهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا،  
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ: إِنْ إِبْلِيسَ مَرَّ عَلَى جَسَدِ آدَمَ لَا  
رُوحَ فِيهِ، فَقَالَ: لِأَمْرِ مَا خُلِقَ هَذَا، ثُمَّ دَخَلَ فِيهِ  
وَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ خَلِقَ لَا يَتِمَّاسِكُ لِأَنَّهُ  
أَجُوفٌ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مَعَهُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
فُضِّلَ هَذَا عَلَيْكُمْ وَأُمِرْتُمْ بِطَاعَتِهِ مَاذَا تَصْنَعُونَ؟  
قَالُوا: نَطِيعُ أَمْرِ رَبِّنَا، فَقَالَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ  
لَنْ سُلِّطْتُ عَلَيْهِ لِأَهْلِكْتَهُ وَلَنْ سُلِّطَ عَلَيَّ لِأَعْصِيَنِي،  
فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يَعْنِي مَا تُبْدِيهِ  
الْمَلَائِكَةُ مِنَ الطَّاعَةِ، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يَعْنِي  
إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

[٣٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا  
لِآدَمَ﴾ اِخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْخَطَابِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ  
بَعْضُهُمْ: مَعَ الَّذِينَ كَانُوا سَكَانَ الْأَرْضِ وَالْأَصْحَحُ  
أَنَّهُ مَعَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدُوا﴾  
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، وَقَوْلُهُ: (اسْجُدُوا)، فِيهِ  
قَوْلَانِ: الْأَصْحَحُ أَنَّ السُّجُودَ كَانَ لِآدَمَ عَلَى الْحَقِيقَةِ  
وَتَضَمَّنَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ،  
وَكَانَ ذَلِكَ سَجُودَ تَعْظِيمٍ وَتَحِيَّةٍ لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ،  
كَسَجُودِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَخَرُّوا  
لَهُ سُجَّدًا)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ وَضْعُ الْوَجْهِ عَلَى الْأَرْضِ  
إِنَّمَا كَانَ انْحِنَاءً فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَبْطَلَ ذَلِكَ  
بِالسَّلَامِ، وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (اسْجُدُوا لِآدَمَ) أَي:  
إِلَى آدَمَ فَكَانَ آدَمَ قِبْلَةً وَالسُّجُودُ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا  
جُعِلَتِ الْكَعْبَةُ قِبْلَةً لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،  
﴿فَسَجَدُوا﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، وَكَانَ  
اسْمُهُ عَزَازِيلَ بِالسَّرْيَانِيَّةِ وَبِالعَرَبِيَّةِ الْحَارِثُ، فَلَمَّا  
عَصَى غَيْرَ اسْمِهِ وَصُورَتِهِ، فَقِيلَ: إِبْلِيسَ لِأَنَّهُ أَبْلَسَ  
مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، أَي: يَتَسَّ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ،

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ: كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ  
الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ  
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)، فَهُوَ أَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ  
أَصْلُ الْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ خَلِقَ مِنَ النَّارِ وَالْمَلَائِكَةُ خَلِقُوا  
مِنَ النُّورِ، وَلِأَنَّ لَهُ ذُرِّيَّةً وَلَا ذُرِّيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوَّلُ  
أَصْحَحُ لِأَنَّ خُطَابَ السُّجُودِ كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ،  
وَقَوْلُهُ: (كَانَ مِنَ الْجِنِّ)، أَي مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ  
هُمُ خِزْنَةُ الْجَنَّةِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: مِنَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ: إِنْ فَرَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
خَلِقُوا مِنَ النَّارِ سَمَوْا جِنًّا لِاسْتِثْنَائِهِمْ عَنِ الْأَعْيُنِ،  
وَإِبْلِيسَ كَانَ مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي﴾ أَي: اِمْتَنَعَ فَلَمْ يَسْجُدْ،  
﴿وَأَسْتَكْبِرُ﴾ أَي: تَكَبَّرَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، ﴿وَكَانَ﴾  
أَي: وَصَارَ ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ: كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ  
الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ  
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)، فَهُوَ أَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ  
أَصْلُ الْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ خَلِقَ مِنَ النَّارِ وَالْمَلَائِكَةُ خَلِقُوا  
مِنَ النُّورِ، وَلِأَنَّ لَهُ ذُرِّيَّةً وَلَا ذُرِّيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوَّلُ  
أَصْحَحُ لِأَنَّ خُطَابَ السُّجُودِ كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ،  
وَقَوْلُهُ: (كَانَ مِنَ الْجِنِّ)، أَي مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ  
هُمُ خِزْنَةُ الْجَنَّةِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: مِنَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ: إِنْ فَرَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
خَلِقُوا مِنَ النَّارِ سَمَوْا جِنًّا لِاسْتِثْنَائِهِمْ عَنِ الْأَعْيُنِ،  
وَإِبْلِيسَ كَانَ مِنْهُمْ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ: كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ  
الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ  
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)، فَهُوَ أَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ  
أَصْلُ الْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ خَلِقَ مِنَ النَّارِ وَالْمَلَائِكَةُ خَلِقُوا  
مِنَ النُّورِ، وَلِأَنَّ لَهُ ذُرِّيَّةً وَلَا ذُرِّيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوَّلُ  
أَصْحَحُ لِأَنَّ خُطَابَ السُّجُودِ كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ،  
وَقَوْلُهُ: (كَانَ مِنَ الْجِنِّ)، أَي مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ  
هُمُ خِزْنَةُ الْجَنَّةِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: مِنَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ: إِنْ فَرَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
خَلِقُوا مِنَ النَّارِ سَمَوْا جِنًّا لِاسْتِثْنَائِهِمْ عَنِ الْأَعْيُنِ،  
وَإِبْلِيسَ كَانَ مِنْهُمْ.

فاغفر لي، وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾: فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: يقبل توبة عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾: بخلقه.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، يعني: هؤلاء الأربعة وقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿فِيمَا يَأْتِيكُمْ﴾، أي فإن يأتيكم يا ذرية آدم ﴿مِنِّي هُدًى﴾، أي: رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلقوا، وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلُ﴾ يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبدالله ﴿أَذْكُرُوا﴾: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿نِعْمَتِي﴾، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على أجدادكم وأسلافكم، قال قتادة: هي النعم التي خصت بها بنو إسرائيل: فلق البحر، وإنجاؤهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى، وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: بامتثال أمري ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: بالقبول والثواب ﴿وَإِنِّي فَأَرْحَمُونَ﴾: فخافوني في نقض العهد.

[٤١] ﴿وَمَا أَمْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ يعني القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾، أي: موافقاً لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي

وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. قوله تعالى:

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: واسعاً كثيراً، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، يعني: بالأكل، قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر، وقال آخرون: على شجرة مخصوصة ﴿فَتَكُونَا﴾: فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: الضارين أنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: استزل ﴿الشَّيْطَانُ﴾ آدم وحواء، أي: دعاهما إلى الزلة ﴿عَنَّا﴾ عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعيم ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا﴾: انزلوا إلى الأرض: يعني: آدم وحواء وإبليس والحية ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُرْ فِي الْأَرْضِ مَسْفَرًّا﴾ موضع قرار ﴿وَتَتَّبِعْ﴾: بلغة ومستمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم.

[٣٧] ﴿فَلَقَى﴾: التلقى: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم، ﴿عَادِمٌ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةٍ﴾ اختلفوا في تلك الكلمات، قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية، وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال: يا رب أرأيت ما أتيت، أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيء قدرته عليكم قبل أن أخلقك، قال يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧

الْبَقَرَةِ

قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ  
 هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾  
 يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي  
 أُوفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِهُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا إِنَّمَا أُنزِلَتْ  
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي  
 ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسِئُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ  
 وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
 الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ  
 وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾  
 وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ  
 ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾  
 يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ  
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا بَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا  
 يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ﴾ أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ أي ولا تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾: بيان صفة محمد ﷺ، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلة يصيبنها من سفلتهم وجهالهم يأخذون كل عام منهم شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنهم إن بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المأكلة، فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾: فآخشوني.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْسِئُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، أي لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ، والأكثر على أنه أراد لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية، وقال مقاتل: إن اليهود أقرّوا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليصدّقوا في ذلك، فقال ولا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل، يعني: بما تكتُمونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، أي: لا تكتُموه، يعني: نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة، فهي مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر، وقيل: من تزكى، أي تطهر، وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لأن فيها تطهير أو تنمية للمال، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أي صلوا مع المصلين محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال صلوا

صلاة ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لهذا أي: صلوا مع الذين في صلواتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حث على إقام الصلاة جماعةً كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوهم بالإيمان.

[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ، ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: تقرأون التوراة فيها نعتهم وصفته، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه

حق فتتبعون، والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يُشد به ركة البعير فيمنعه عن الشرود، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد بالصبر: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سُمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى «على» أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)، ﴿وَأِنْتَابَا﴾، ولم يقل وإنهما، رد الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما وقيل: معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، ﴿لِكَبِيرَتِهِ﴾، أي: لثقلته ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾، يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: (وخشعت الأصوات للرحمن)، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يستيقنون، فالظن من الأضداد يكون شكاً ويقيناً، كالرجاء يكون أمناً وخوفاً. ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَفُوا﴾: مُعَانِينَا ﴿رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة، وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فيجزئهم بأعمالهم.

[٤٧] ﴿يَتَّبِعِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء.

[٤٨] ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾: واحشوا عقاب يوم، ﴿لَا تَجْرِي نَفْسٌ﴾: لا تقضي نفس ﴿عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ أي:

حقاً لزمها، وقيل لا تغني، وقيل لا تكفي شيئاً من الشدائد ﴿وَلَا يَقُولُ مِنهَا شَفَعَةً﴾ إذا كانت كافرة ﴿وَلَا يُؤَخِّدُ مِنهَا عَدْلٌ﴾، أي فداء، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يمنعون من عذاب الله.

[٤٩] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ﴾، أي أسلافكم وأجدادكم فاعتدها مِنَّةً عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من القبط ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في الأعمال فصنف بينون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وَضَعَ عليه الجزية، وقيل: تفسير قوله: (يسومونكم سوء العذاب): ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿يُدَيِّنُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، فهو مذكور على وجه البذل من قوله: (يسومونكم سوء العذاب) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها، ولم يتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا: يُولد ولدٌ في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يُولد في بني إسرائيل ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، قيل البلاء: المِحْنَةُ، أي: في سؤمهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة، أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، قال الله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة).

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾، قيل: معناه فرقنا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَإِذْ يَخِينَكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَجْمَعْنَاكُمْ وَآغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ الْعِجْلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَفَاتَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَأْبُ الرَّجِيمُ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُم مِّنْ الصَّعِقَةِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾

لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما فوعدهم الله موسى ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تدرون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً ورأى موضع قدم الفرس تحضر من ذلك، وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر فصاغ لهم عجلاً في ثلاثة أيام فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى، وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعذبوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت

لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسمي البحر بحرًا لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير بيني إسرائيل من مصر ليلاً وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمة عسكره هامان في ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرفت الشمس، فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، قال الله تعالى: (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين) فأوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر)، فضربه وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْمَعْنَاكُمْ﴾: من آل فرعون والغرق ﴿وَآغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقاً خاض البحر فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم وأغرقهم أجمعين، وذلك بمراى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم، وقيل: إلى إهلاكهم.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾: اسم عبري عُرِب وهو بالعبراية الماء والشجر، وسمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سينا في العربية، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، أي: انقضاءها، ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر

عليهم الخناجر، وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نعمل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضباباً وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالوا: يا رب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فكشف عن ألوف من القتلى فكان من قُتل منهم شهيداً ومن بقي مكفر عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ﴾: القابل للتوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً من قومه من خيارهم فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل وسمعه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله إني أنا الله لا إله إلا أنا، فلما فرغ موسى أقبل إليهم فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً معانية، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال: جهرة ليُعلم أن المراد منه العيان، ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ﴾، أي: الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم، ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾، أي: ينظر بعضكم لبعض حين أخذكم الموت، وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً رجلاً، بعدما ماتوا يوماً

فنتهم في تلك العشرة، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه، وقيل: كلهم عبده إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح، وقال الحسن: كلهم عبده إلا هارون وحده، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، أي: إليها من عبده وأنتم ظالمون: ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: محونا ذنوبكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد عبادتكم العجل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا عفوي عنكم وصنعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية، وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها. قوله تعالى:

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾، قال مجاهد: هو التوراة أيضاً ذكرها باسمين، قال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة، يعني الكتاب الفرقان، أي: المفروق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن ريان: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال: (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: بالتوراة.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: الذين عبدا العجل ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: ضررتم بأنفسكم: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾: إليها قالوا: فأبي شيء نصنع؟ قال: ﴿فَتَوَبُّوا﴾: فارجعوا إلى باريكم: خالفكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ﴿ذَلِكُمْ﴾، أي: القتل، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محتبين، وقيل لهم: من حلّ حبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم

وقال ابن كيسان: الشام، ﴿تَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: موسعاً عليكم ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾، يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب ﴿سُجِّدَا﴾، أي: رُكَّعًا خضعًا منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله تعالى، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، قال قتادة: حط عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب ﴿فَمَغْفِرَةٌ لِكُلِّ ظَالِمٍ﴾: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب ﴿وَسَرِيذَةُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثواباً من فضلنا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾: فغير ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم، وقالوا: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة استخفافاً بأمر الله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ﴿يَمَا كَانُوا يَسْتُفُونَ﴾: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى إليه كما قال: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ وكانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاها موسى عليه السلام، قوله تعالى: ﴿الْحَجَرُ﴾، اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بدليل أنه عرفه بالألف واللام، وقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل، كان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، قوله تعالى: ﴿فَأَنفَجَرَتْ﴾، أي:

وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى:

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾: أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث، ﴿مَرُّ بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾، قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بأجالهم لم يُبعثوا إلى يوم القيامة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾، في التيه تقيكم حرَّ الشمس والغمام من الغم، وأصله: التغطية والستر، سُمي السحاب غماماً لأنه يُغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن يستترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يُضيء لهم الليل إذ لم يكن لهم قمر، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ أي: في التيه، والأكثر: عن أن المن هو الترنجيبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المن من يمن الله به من غير تعب ﴿كُلُوا﴾: أي: وقلنا لهم كلوا: ﴿مِنَ طَيِّبَاتِ﴾: حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ولا تدخروا لغد، ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم، ودودٌ وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقررة للحوض لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحاء وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ٩  
 وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا  
 وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ  
 وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا  
 غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ  
 السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ  
 لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ  
 اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا  
 وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾  
 وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ  
 يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا  
 وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ آدَنُ  
 بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْيَطُوا وَاصْرَافَانِ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمُ  
 وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ  
 اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
 الَّذِينَ بَعَثْنَا فِيهِمُ الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

من اليهود، ﴿وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ﴾: رجعوا، ولا  
 يقال: بَاءَ إِلَّا بالشر، وقال أبو عبيدة: احتملوا  
 وأقروا به، ومنه الدعاء أبوءُ لك بنعمتك عليّ وأبوءُ  
 بذنبي، أي: أقر، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الغضب،  
 ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بصفة محمد ﷺ  
 وآية الرجم في التوراة، ويكفرون بالإنجيل  
 والقرآن، ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ﴾، تفرد نافع بهمز النبي  
 وبابه، فيكون معناه: المخبر، من أنبأ يُنبئُ،  
 والقراءة المعروفة تَرُكُ الهمزة، وله وجهان:  
 أحدهما هو أيضًا من الأنباء تركت الهمزة فيه  
 تخفيفًا لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى  
 الرفيع مأخوذ من النبوة، وهي المكان المرتفع،  
 فعلى هذا يكون (النبين) على الأصل، ﴿يَغْتَبِرُ  
 الْحَقُّ﴾، أي بلا جرم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

فضرب فانفجرت أي سالت، ﴿مِنَهُ اثْنَا عَشَرَ  
 عَيْنًا﴾: على عدد الأسباط، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
 مَشْرِبَهُمْ﴾: موضع شربهم، لا يدخل سبط على  
 غيره في شربه، ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾، أي:  
 وقلنا لهم: كلوا من المن والسلوى واشربوا من  
 الماء فهذا كله من رزق الله يأتيكم بلا مشقة، ﴿وَلَا  
 تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، والعثي، أشد الفساد،  
 يقال: عثي يعثي عثيًا، وعثا يعثوا عثوا، وعاث  
 يعيث عيثًا.

قوله تعالى:

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ  
 وَاحِدٍ﴾، وذلك أنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن  
 والسلوى وإنما قال: على طعام واحد وهما اثنان،  
 لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر  
 عن الواحد بلفظ الاثنين وقيل: كانوا يأكلون  
 أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد ﴿فَادْعَ لَنَا﴾:  
 فسل لأجلنا ﴿رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ  
 بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾، قال ابن عباس: الفوم  
 الخبز، وقال عطاء: الحنطة، وقال القتيبي رحمه  
 الله تعالى: الحبوب التي تُؤْكَلُ كلها، وقال  
 الكلبي: الثوم، ﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا﴾، ﴿قَالَ﴾، لهم  
 موسى عليه السلام: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ آدَنُ﴾:  
 أحسن وأردأ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف وأفضل  
 ﴿أَهْيَطُوا وَاصْرَافَانِ﴾، يعني: فإن آيتم إلا ذلك فانزلوا  
 مصرًا من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر  
 موسى وفرعون، والأول أصح لأنه لو أراده لم  
 يصرفه، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمُ﴾: من نبات  
 الأرض، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾: جعلت عليهم،  
 وألزموا: ﴿الذَّلِيلَةُ﴾ الذل والهوان، قيل: بالجزية  
 ﴿وَالْمَسْكَانَةُ﴾: الفقر، سمي الفقير مسكينًا لأن الفقر  
 أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا  
 مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب  
 فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود، سُموا به لقولهم إنا هُندنا إليك، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام ﴿وَالنَّصْرَى﴾، سُموا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصره وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام ﴿وَالصَّيْبِ﴾ قرأ أهل المدينة والصايبين والصابون بترك الهمزة، والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر: تحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكتهم، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، فإن قيل: كيف يستقيم قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية إن الذين آمنوا؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل المبعث وهم طلاب الدين، مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وسلمان الفارسي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وتابعه، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة، والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا؛ والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك والصابئون زمن استقامة أمرهم، من آمن أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالوفاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً، أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّيْبِ﴾  
 ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾  
 ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ  
 أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءً تَبَيَّنَتْكُمْ  
 بِقُوَّةٍ وَإِذْ كَرُّوا مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ  
 بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ  
 الخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ  
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ  
 مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بقرَةً قَالُوا أَنَّى  
 نَجِدُهَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا  
 ادْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بقرَةٌ لآفَارِضٍ  
 وَلَا يَكْرَهُونَ ابْتِزَابَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾  
 قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْ نَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ  
 إِنَّهَا بقرَةٌ صفراءُ فافْعَلْ لَوْ نَهَا تَسْرُ النَّظْرِينَ ﴿٦٩﴾

فيهم فقال: بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار، من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة. [٦٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم يا معشر اليهود ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، وهو الجبل بالسريانية قال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة

إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيثان إلى الحياض فلا يقدرون على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيثان إلى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها، ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل كانوا ينصبون الحبال والشخص يوم الجمعة، ويُخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب وقالوا: وقد أحل لنا، فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية - وكانوا نحواً من سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين، فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميع قردة لها أذنان يتعاونون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَوِيفًا﴾: أمر تحويل

وتكوين، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَوِيفًا﴾: مُبْعِدِينَ مطرودين والخسأ: الطرد والإبعاد.

[٦٦] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَوِيفًا﴾، أي: جعلنا عقوبتهم بالمشخ **نكلاً**، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين، وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد **﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾**، قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني: ما سبق من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد، **﴿وَمَا**

على موسى عليه السلام، فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها للأصار والأنفال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم فرفعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم **﴿حُدُوا﴾**، أي: قلنا لهم خذوا **﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾**: أعطيناكم **﴿بِقَوْلٍ﴾**: بجد واجتهاد ومواظبة، **﴿وَأَذْكُرُوا﴾**: وادرسوا **﴿مَا فِيهِ﴾**، وقيل: احفظوا واعملوا **﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾**، لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل فلما رأوا أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصار سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا.

[٦٤] ﴿وَأَعْرَضْتُم﴾: أعرضتم من بعدما قبلتم التوراة، يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم، لصرتم المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل: من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَوِيفًا﴾: أي: جاوزوا الحد، وأصل السبت القطع، قيل: سُمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عليه السلام حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع، فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يُرى شيء منها، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه



[٦٨] ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾، أي: ما سنّها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾، يعني فسأل الله تعالى فقال إنه يعني: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ﴾، أي لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض: المسنة التي لا تلد، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط، ﴿عَوَانٌ﴾: وسط نصف ﴿يَبِّينَ ذَلِكَ﴾، أي: بين السنين، يقال: عونت المرأة تعويئاً إذا زادت على الثلاثين ﴿فَأَفْكَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَبِّينَ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لُونُهَا﴾، قال ابن عباس: شديدة الصفرة، وقال قتادة: صاف، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع، إنما يقال أصفر فاقع، وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر وأبيض بقق للمبالغة، ﴿سُئِرَ النَّظِيرِ﴾: إليها يعجبهم حُسنها وصفاء لونها.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾، ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر، كقوله تعالى: (أعجاز نخل منقعر)، وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمَهْتَدُونَ﴾: إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «وأيُّ الله لو لم يستنوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ»<sup>(١)</sup>.

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾: مذلة بالعمل، يقال: رجل ذلول بين الذل ودابة ذلولة بينة الذل، ﴿ثِيْرُ الْأَرْضِ﴾: ثقلها للزراعة، ﴿وَلَا سَقَى الْكَرْثِ﴾، أي: ليست بسانية، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: بريئة من العيوب، ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا لون لها سوى لون

خلفها: ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم، و(ما) الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، وما خلفها وما يحدث من القرى بعد ليتعظوا ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾: البقرة هي الأثني من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهي الشق، سُميت به لأنها تبقر الأرض، أي: تشقها للحراثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فوجدوا فاشتبه أمر القتل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول قسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم موسى: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، ﴿قَالُوا أَنْتَظِنَا هُزُؤًا﴾، أي: تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرونا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم.

(١) رواه الإمام الطبري في تفسيره ج ١/ ٢٧٥ وابن كثير ١/ ١٩٩ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١١

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ يَبِينَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا  
 إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لِّدَوْلٍ  
 تُبْرِئُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لِأَخِيَّةٍ فِيهَا قَالُوا  
 أَتَكْتُمُونَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ  
 قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾  
 فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ  
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ  
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَسْقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ  
 مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
 ﴿٧٥﴾ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ  
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذِ الْقَوْمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمِنَّا  
 وَإِذْ أَخَلَّا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ  
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

أو يزيدون) أي: بل يزيدون. وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لأن لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، قيل: أراد به جميع الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَسْقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾: أراد به عيوننا دون الأنهار، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ﴾: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علماً في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليه غير

جميع جلدتها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿قَالُوا أَتَكْتُمُونَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: من غلاء ثمنها، وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل: وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

[٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: هذا أول القصة، وإن كان مؤخرًا في التلاوة، واسم القاتل عاميل، ﴿فَآذَرْتُمْ فِيهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعت، أي: يحيل بعضكم على بعض، من الدرع: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾، أي: مظهر: ﴿مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فإن القاتل كان يكتم القتل.

[٧٣] قوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾، يعني: القاتل، ﴿بَعْضُهَا﴾ أي: ببعض البقرة ففعلوا ذلك فقام القاتل حيًا بإذن الله تعالى وأوداجه، أي: عروق العنق تشخب دمًا، وقال: قتلتني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾: كما أحيا عاميل، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قيل: تمنعون أنفسكم من المعاصي.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي يست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ظهور الدلالات، قال الكلبي: قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلبًا ولا أشد تكديبًا لنبيهم منهم عند ذلك، أي ﴿نَهَى﴾: في الغلظة والشدة: ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، قيل: أو بمعنى الواو، كقوله: (مائة ألف

به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به؟. ويعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنائيات، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله، وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة، قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي ﷺ: يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم<sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسِرُونَ﴾: يخفون، ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾: يبدون، يعني اليهود.

[٧٨] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾، أي: من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة جمع: أمي، ومنسوب إلى الأم لأنه باق على ما انفصل من الأم لم يعلم كتابة ولا قراءة، وروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية»<sup>(٢)</sup> أي: لا نكتب ولا نحسب، وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة، ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾، قرأ أبو جعفر: (أماني)، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفاً، وقراءة العامة بالتشديد، وهو جمع: أمية وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا نَمَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، أي: في قراءته، قال أبو عبيدة: إلا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة لا يعرفون معناه، قال

الله، فلها صلاة وتسييح وخشية، كما قال جل ذكره: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقال: (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسيحه) وقال: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر) الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾: بساهٍ ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به.

[٧٥] قوله عز وجل: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾: أترجون، يريد محمداً وأصحابه، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به؟ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، يعني: التوراة، ﴿ثُمَّ يُخَرِّفُونَهُ﴾: يغيرون ما فيها من الأحكام، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: علموه، غيروا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا﴾: كإيمانكم، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهم على ذلك، ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما قص الله عليكم في كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق، والفتاح: القاص، وقال الكسائي: بما بينه لكم من العلم بصفة محمد ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ﴾: ليخاصموكم به، ويعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟. وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا

(١) أخرجه الطبري ٢/٢٥٢ تحقيق أحمد شاكر وذكره ابن كثير ١/٢٠٧ تحقيق الوداعي. (٢) رواه البخاري في الصوم باب قول النبي ﷺ: لا نكتب ولا نحسب ٤/١٣٦، ومسلم في الصيام رقم (١٠٨٠) ٢/٧٦١ والمصنف في شرح السنة ٦/٢٢٨.

ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلا كذبًا وباطلاً، قال الفراء: إلا أمانى: الأحاديث المفتعلة وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره.

وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني وهي أمانيهم الباطلة التي يتمنونها على الله عز وجل، مثل قولهم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى)، وقولهم: (لن تمسنا النار إلا إيمانًا معدودة)، وقولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه)، فعلى هذا تكون (إلا) بمعنى (لكن)، أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم، ﴿وَأَن هُمْ﴾، وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، يعني: وما يظنون إلا ظنًا وتوهمًا لا يقينًا قاله قتادة والربيع، وقال مجاهد: يكذبون.

[٧٩] قوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ﴾، قال الزجاج: وييل، كلمة تقولها العرب لكل واقع فيهلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والشبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: وييل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لأنماعت ولذابت من شدة حرّها ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أُولَئِكَ بِأَعْيُنِنَا قَلِيلًا﴾، وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربة القامة فغيروها وكتبوا مكانها: طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبه فيجدونه مخالفًا لصفته ويكذبونه، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: كتبه بأنفسهم اختراعًا من تغيير نعته ﷺ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾: من المآكل، ويقال: من

المعاصي.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾: لن تصيبنا النار، ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قدرًا مقدرًا ثم يزول عنا العذاب، واختلّفوا في هذه الأيام، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يومًا واحدًا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يومًا التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يومًا فلن تمسنا النار إلا أربعين يومًا تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكديبًا لهم، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿أَتَخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿عَهْدًا﴾ موثقًا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿فَلَن

والكسائي ويعقوب (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين، أي: قولاً حسناً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾، وذلك أن قومًا منهم آمنوا، ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾. كإعراض آبائكم.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾، أي: لا تريقون ﴿دِمَاءَكُمْ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: لا يُخرج بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جاورك فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم، ﴿ثُمَّ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: بهذا العهد أنه حق وقبلتم، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعرفون بالقبول.

[٨٥] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءَ﴾، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبية، ﴿تَسْمَعُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي يقتل بعضكم بعضاً، ﴿وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ تتظاهرون والظهير: العون ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ الْوَعْدَ﴾: بالمعصية والظلم، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ الْوَعْدَ﴾، قرأ حمزة (أسرى)، وهما جمع أسير، ومعناها واحد، (تفقدوهم): بالمال وتنقدوهم، وقرأ أهل المدينة وعاصم ﴿تَفْقَدُوهُمْ﴾، أي: تبادلوهم، أراد مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد، ومعنى الآية: قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يُخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم

يُخْلِيفَ اللَّهُ عَهْدَهُ، وعده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم قال:

[٨١] ﴿بَلَى﴾، وبلى وبيل: حرفا استدراك، ومعناها نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، يعني الشرك ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة والإحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم، قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط: المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة وهي الشرك والمؤمن وإن عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك، وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى يغشى القلب، وهي الرين ﴿تَاللَّيْلِ إِنَّكُمْ لَعَنَّا﴾.

[٨٢] ﴿تَاللَّيْلِ إِنَّكُمْ لَعَنَّا﴾: ﴿تَاللَّيْلِ إِنَّكُمْ لَعَنَّا﴾.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ الْوَعْدَ﴾: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ يَحْسَبُونَ﴾، أي: وصيئناهم بالوالدين، ﴿إِن كَانُوا بَرًّا بِهَمَّا وَعُطْفًا﴾ عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى، ﴿وَرَبِّ الْقُرْبَى﴾، أي: وبذي القرابة، والقريبى مصدر كالحسنى، ﴿وَالْيَتَامَى﴾، جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾، يعني الفقراء، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيئوا صفته لا تكتموا أمره، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهؤهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق، قرأ حمزة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١٣

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ  
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٦﴾  
 ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَّ لِأَنْ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافِ وَالْعُدْوَانِ  
 وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَى فَتَنْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ  
 إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ  
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ  
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ  
 يُبْصَرُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ  
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ  
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا  
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾

وقيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم يقترف ذنبًا، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل، قال الله تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)، وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى، ويرى الناس العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحًا كما جعل القرآن روحًا لمحمد ﷺ، لأنه سبب لحياة القلوب.

فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام، فقالوا: يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت، ولا كما يُقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقًا، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم وتعظمتن عن الإيمان، ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: مثل عيسى

منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، فيقولون فلم تقاتلوهم؟ قالوا: إنا نستحي أن نذل حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى بذلك ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فكان خزري بني قريظة القتل والسبي، وخزري بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾، وهو عذاب النار ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٨٦] قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾: استبدلوا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ﴾: يهون عنهم العذاب ولا هم يبصرون، لا يُمنعون من عذاب الله عز وجل.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة جملة واحدة، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: وأتبعنا، ﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: رسولًا بعد رسول، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الدلالات الواضحات، وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة، وقيل: أراد الإنجيل، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: اختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد الروح الذي لا نفخ فيه، والقدس هو الله نحو بيت الله وناقة الله، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة، يعني: الروح الطاهرة، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام،

ومحمد ﷺ، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل زكريا ويحيى وشعيب، وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني اليهود، ﴿قُلُونَا غُلْفًا﴾، جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة، معناه: عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليل، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي: قليلا يؤمنون، وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: قليل يؤمنون.

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافق ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: التوراة، ﴿وَكَانُوا﴾ يعني: اليهود، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل مبعث محمد ﷺ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أمرٌ ودهمهم عدوٌّ اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، يعني محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتَه وصفته، ﴿كَفَرُوا بِهٖ﴾ بغياً وحسداً، ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِهٖ أَنفُسَهُمْ﴾، بس ونعم فعلان ماضيان وُضعا للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾  
 يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِهٖ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحُونُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكَمَا يَا مَرَّكُمْ بِهِ ءَايَمْتُمْكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه ﴿أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي النبوة والكتاب ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: محمد ﷺ ﴿فَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِعَضْبٍ عَلَىٰ غَضْبٍ﴾، أي مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعمسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللْكَافِرِينَ﴾: الجاحدين بنوة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾: مخزٍ يهانون فيه.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿قَالُوا تَوْحُونُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾، يعني: التوراة، يكفيننا ذلك ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا

لأن من علم أن الجنة مأواه حنَّ إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت، أي: ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

[٩٥] قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون، وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الأعمال، وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنایات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن ليد فيها عمل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ﴾، اللام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدتهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، قيل: هو متصل بالأول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله: (على حياة)، ثم ابتداء (ومن الذين أشركوا)، وأراد بالذين أشركوا المجوس ﴿يُودُّ﴾: يريد ويتمنى، ﴿أَحَدَهُمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، يعني: تعمير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك، ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْغَّبِيهِمْ﴾: مباعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: من النار ﴿أَنْ يُعْمَرَ﴾، أي: طول عمره لا يبعده من العذاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن جبرئلاً من أحابار اليهود، يقال له عبدالله بن سوريا قال للنبي ﷺ: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمتنا بك، إن جبريل ينزل العذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مراراً ﴿فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل ﴿زَلَّ لَهُ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: يا محمد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما قبله من

وراءه ﴿﴾، أي بما سواه من الكتب، وقال أبو عبيدة: بما بعده، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، ﴿مُصَدِّقًا﴾، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾: من التوراة، ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾، أي قتلتم، ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

[٩٢] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا بَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾، أي استجبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعاً على المجاز، لأنه سبب للطاعة والإجابة، ﴿فَأَلَوْا سَمِعْنَا﴾: قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن، وعصينا بالقلوب ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة، قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانِكُمْ﴾: أن تعبدوا العجل من دون الله، أي: بئس إيمان يأمر بعبادة العجل، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله عز وجل.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة)، (ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى)، وقولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه) فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله، يعني: الجنة، ﴿خَالِصَةً﴾، أي خاصة ﴿مِنَ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، أي: فأريدوه أو أسألوه،



الكتب، ﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرِ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، قوله عز وجل:

[٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ﴾: خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: (وملائكته)، تفضيلاً وتخصيصاً والواو فيهما بمعنى «أو» يعني: من كان عدوًّا لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

قال ابن صوريا: ما جئنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى:

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿وَمَا يَكْتُمُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن أمر الله عز وجل.

[١٠٠] ﴿أَوْكَلَّمَا﴾، واو العطف عليها ألف الاستفهام، ﴿عَهْدُوا وَعَهْدُوا﴾، يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمد ﷺ لتؤمنن به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير، دليله قوله تعالى: (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم)، ﴿بَدَّوْهُ﴾: طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ﴾: طوائف ﴿مَنْهُمْ﴾؛ من اليهود، ﴿بَلْ أَكْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَهُمْ ظُهُورِهِمْ﴾، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال الشعبي: كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها.

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾، يعني: اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ﴾، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾  
وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَجَّبٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ فَآتٍ وَأَلَّا يَمُنَّ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾  
قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَاتِ اللَّهِ وَهَدَىٰ فِيهِ غَايِبَتِ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٨﴾  
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٩﴾  
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْتُمُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾  
أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّوْهُمُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾  
وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّوْهُمُ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَهُمْ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدث وتتكلم به، ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾، أي: في ملكه وعهده ﴿وَمَا كَفَرَ سَلِيمًا﴾: بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافرًا يسحر ويعمل به ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾ معنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل، ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، قيل معنى السحر: العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى: (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ﴾، أي: ويعلمون الذي أنزل على الملكين، أي: إلهامًا وعلماً، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين

﴿هَرُوتَ وَمُرُوتَ﴾: هما اسمان سريانيان ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحداً و﴿مِنْ﴾ صلة ﴿حَتَّى﴾: ينصحاها أولاً، ﴿يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاءٌ ومحنة، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾، أي: لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويغض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، قيل: أي السحرة: وقيل: الشياطين، ﴿بِضْكَارَيْنِ بِهِ﴾، أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أي أحداً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر يسحر والله يكوّن، قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيئته، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾، يعني: السحر يضرهم، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: يعني اليهود، ﴿لَمَنْ اشْتَرَيْتَهُ﴾: أي اختار السحر، ﴿مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: في الجنة، ﴿مِنْ حَلْقٍ﴾، من نصيب ﴿وَلَيْسَ مَا سَكَرُوا بِهِ﴾: باعوا به ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾، حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

محمدًا سرًّا فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فأنزل الله تعالى: (لا تقولوا راعنا) لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ، ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾، أي انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾: ما تؤمرون به وأطيعوا، ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾، يعني: اليهود، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني: اليهود، ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: خير ونبوة، و﴿مِنْ﴾، صلة، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: بنبوته، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، والفضل ابتداء إحسان بلا علة، وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿وَأَتَّقُوا﴾: اليهودية والسحر، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾: لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾، وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، أي: ارعنا سمعك، أي: فرغ سمعك لكل منا وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: راعنا، بمعنى: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب

[١٠٦] قوله عز وجل: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِهَا﴾، وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، كما أخبر الله: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل)، قالوا إنما أنت مفتر فأنزل: (ما نَسَخَ من آية أو نَسِها)، فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية، والنسخ في اللغة شيان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو المراد من الآية (أو نَسِها) أي: نَسِها عن قلبك وقيل: نَسِها أي نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه ﴿نَأَتْ بِحَيْرٍ مِّنْهَا﴾، أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: في المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النسخ والتبديل، لفظه استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ﴾: يا معشر الكفار عند نزول العذاب، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: مما سوى الله ﴿وَلِيٌّ قَرِيبٌ وَصَدِيقٌ﴾، وقيل: وال، وهو القيم بالأمر ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: ناصر يمنعكم من العذاب.

[١٠٨] قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾، نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد اتتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، فقال تعالى:

سورة البقرة

١٧

الأنفال

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِهَا نَأَتْ بِحَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَابَىٰ اللَّهُ بِأَمْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

(أَمْ تُرِيدُونَ)، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل، بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ، ﴿كَمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾، سأله قومه (أرنا الله جهرة) وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قصد السبيل.

[١٠٩] قوله تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿لَوْ يَرُّوكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا﴾، نُصِبَ على المصدر، أي: يحسدونكم حسداً، ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾،

مؤمن، وقيل: مخلص، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١١٣] قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ

شَيْءٍ﴾، نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل

نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي

ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت

أصواتهم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء

من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم

النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا

بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ

لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، وكلا

الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في

كتبهم هذا الاختلاف، فدل تلاوتهم الكتاب

ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل، ﴿كَذَلِكَ

قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: آباءهم الذين مضوا،

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، قال مجاهد: يعني عوام النصارى،

وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في

نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء

من الدين، وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود

والنصارى، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط

وشعيب عليهم السلام، قالوا لنبيهم: إنه ليس على

شيء، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يقضي بين

المحق والمبطل، ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من

الدين.

[١١٤] قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ

يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾، الآية نزلت في الذين غزوا بني

إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا

التوراة وخربوا بيت المقدس فكان خراباً إلى أن

بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله

عنه (وَمَنْ أَظْلَمُ) أي: أكفر (مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ)

يعني: بيت المقدس ومحاربه ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾

أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾،

وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل

أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿مِنْ

بَعْدِ مَا نَبَّيْنَا لَهُمُ الْحَقَّ﴾. في التوراة أن قول محمد

ﷺ: صدق ودينه حق، ﴿فَاعْتَفُوا﴾: فاتركوا

﴿وَأَصْفَحُوا﴾، وتجاوزوا، فالعفو: المحو،

والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال،

﴿حَقٌّ يَأْتِي اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾، بعدابه القتل والسبي لبني

قريظة والجللاء والنفي لبني النضير، وقال ابن

عباس رضي الله عنهما وقال قتادة: هو أمره بقتالهم

في قوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم

الآخر) إلى قوله: (وهم صاغرون) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا

تُقَدِّمُوا﴾: تأسفوا ﴿لِأَنفُسِكُمْ مِنْ حَيْرٍ﴾: طاعة وعمل

صالح ﴿يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقيل أراد بالخير المال

من زكاة أو صدقة تجدوه عند الله حتى الثمرة

واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ

هُودًا﴾، أي يهودياً ﴿أَوْ نَصْرَى﴾، وذلك أن اليهود

قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ولا دين

إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل

الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، أي: شهواتهم

الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق، ﴿قُلْ﴾: يا

محمد ﴿هَاتُوا﴾، أصله آتوا ﴿رُهْنَكُمْ﴾: حجتكم

على ما زعمتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. ثم قال رداً

عليهم:

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾، أي: ليس كما

قالوا بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من

أسلم وجهه ﴿لِلَّهِ﴾، أي: أخلص دينه لله، وقيل:

أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله،

وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخص

الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل

بساتر جوارحه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله، وقيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ  
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ كَذَلِكَ قَالَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ  
اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ  
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ  
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ  
فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِلَٰهٌ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ ﴿١٢٠﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ  
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَنَسَبْتُمْ قُلُوبَهُمْ  
فَدَبَبْتُنَا إِلَٰهِيْنَ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْعَنَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيْمِ ﴿١٢٣﴾

ومقاتل: مُقَرَّبُونَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان:  
قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام، واختلفوا  
في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية  
خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزيز والمسيح  
والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه  
قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس،  
وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع  
الخلق، لأن لفظ «كل» يقتضي الإحاطة بالشيء  
بحيث لا يشذ منه شيء وقيل: قاتنون مذلولون  
مسخرون لما خلقوا له.

[١١٧] قوله عز وجل: ﴿بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ما يستر من العورة / ١  
٤٧٧ وفي الحج والمغازي، ومسلم في الحج باب لا يحج  
باليك مشرك رقم (١٣٤٧) ٩٨٢/٢ والمصنف شرح السنة  
٢١/٧.

زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم  
يدخلها - يعني بيت المقدس - بعد عمارتها رومي  
إلا خائفاً لو علم به قتل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾:  
عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي  
والجزية للذمي، قال مقاتل والكلبي: تفتح مدائنهم  
الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية، ﴿وَلَهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وهو النار.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في  
مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام  
منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة  
فيه عام الحديبية، وإذا منعوا رسول الله ﷺ من أن  
يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابها (أولئك ما كان  
لهم أن يدخلوها إلا خائفين)، يعني: أهل مكة،  
يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى  
بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ منادياً  
ينادي ألا لا يحجج بعد هذا العام مشرك<sup>(١)</sup>، فهذا  
خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من  
دخول الحرم، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذل  
والهوان والقتل والسبي والنفي.

[١١٥] ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، ملكاً وخلقاً  
﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِلَٰهٌ وَاسِعٌ﴾، أي  
غني يعطي من السعة، قال الفراء: الواسع: الجود  
الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع  
المغفرة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾،  
قرأ ابن عامر (قَالُوا)، بلا واو، وقرأ الآخرون  
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في يهود المدينة  
حيث قالوا عزيز ابن الله وفي نصارى نجران حيث  
قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث  
قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحٰنَهُ﴾، نزه وعظم  
نفسه، قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ﴾: عبيداً وملكاً، ﴿كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ﴾، قال  
مجاهد وعطاء والسدي: مُطِيعُونَ، وقال عكرمة

ولست بمسئول عنهم ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾  
والجحيم معظم النار.

[١٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ أَتَيْوُدُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِنْهُمْ قُلْ إِنَّ هَذَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، وذلك أنهم يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرجون بها، وإنما يطلبون ذلك تعلقاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ أَتَيْوُدُ﴾، إلا باليهودية، ﴿وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ إلا بالنصرانية، والملة الطريقة، ﴿وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله: (لئن أشركت ليحبطن عملك)، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيراً، وقال الضحاك: هم ممن آمن من اليهود عبدالله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام ابن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبدالله ابن سوريا، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة، ﴿يَتْلُونَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وَأَلَّا رَضَىٰ، أي: مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أي: قدره، وقيل: أحكمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديراً أو تدبيراً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فإن قيل كيف قال: (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) والمعدوم لا يُخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: وإنما يقول له، أي لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصراني، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عياناً بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾: دلالة علامة على صدقك، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كفار الأمم الخالية، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قَوْلُهُمْ﴾، أي: أشبه بعضهم بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[١١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالصدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثاً إنما أرسلناك بالحق.

قوله عز وجل: ﴿بَشِيرًا﴾، أي: مبشراً لأولياي وأهل طاعتي بالثواب الكريم، ﴿وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

قرأ نافع ويعقوب: ﴿وَلَا تُسْئَلُ﴾: على النهي وقيل: هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون ﴿وَلَا تُسْئَلُ﴾ بالرفع، على النفي بمعنى:

[١٢٢] ﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَیَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَنْیَ فُضَّلْتُمْ عَلَی الْعَالَمِیْنَ﴾ .

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا یَوْمًا لَا تَجْرِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ﴾ .

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَّیْ اِبْرَهیمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّنَّ﴾ وهو

إبراهیم بن تارخ هو آزر بن ناخور، ومعنی الابتلاء: الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله

العباد لیس لیعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، ولكن لیعلم العباد أحوالهم حتى یعرف بعضهم

بعضًا، واختلفوا فی الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهیم (فاتمهن) قال قتادة: آذاهن، قال

الضحاک: قام بهن، وقال یمان: عمل بهن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّیْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: یقتدی بك

فی الخیر، ﴿قَالَ﴾ إبراهیم: ﴿وَمِن دُرِّیَّتِی﴾ أي: ومن أولادی أيضًا فاجعل أئمة یقتدی بهم، ﴿قَالَ﴾

الله تعالى: ﴿لَا یَنَالُ﴾ لا یشیب ﴿عَهْدِ الظَّالِمِیْنَ﴾ أي: من كان منهم ظالمًا لا یشیبه، قال عطاء بن

أبی رباح: عهدی رحمتی، وقال السدی: نبوتی، وقیل: الإمامة، قال مجاهد: لیس لظالم أن یطاع

فی ظلمه، ومعنی الآية: لا ینال ما عهدتُ إلیك من النبوة والإمامة من كان ظالمًا من ولدك، وقیل:

أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرک .

[١٢٥] قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِیَّتَ﴾، یعنی: الكعبة، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مرجعًا لهم، قال

مجاهد وسعید بن جبیر: یثوبون إلیه من كل جانب ویحجّون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: معادًا وملجأ، وقال قتادة وعكرمة: مجمعًا، ﴿وَأَمَّا﴾

أي: مأمنا یأمنون فیه من إیذاء المشرکین فإنهم ما كانوا یتعرضون لأهل مكة، ویقولون هم أهل الله،

ویتعرضون لمن حوله ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء علی الخبر، وقرأ الباقون بكسر

الهاء علی الأمر، ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَهیمَ مُصَلًی﴾، قال یمان: المسجد كله مقام إبراهیم، وقال إبراهیم

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَمَالٌ مِّنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [١٢٦]

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [١٢٧]

﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَیَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَنْیَ فُضَّلْتُمْ عَلَی الْعَالَمِیْنَ﴾ [١٢٨]

﴿وَاتَّقُوا یَوْمًا لَا تَجْرِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ﴾ [١٢٩]

﴿وَإِذْ ابْتَلَّیْ اِبْرَهیمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّنَّ﴾ [١٣٠]

﴿قَالَ إِنِّیْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالِی وَمِن دُرِّیَّتِی قَالِی لَا یَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِیْنَ﴾ [١٣١]

﴿وَأَمَّا وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهیمَ مُصَلًی وَعَهْدَنَا إِلَىٰ اِبْرَهیمَ وَإِسْمَاعِیْلَ أَن طَهَّرَآبِیَّتِی لِلطَّآئِفِیْنَ وَالْمَكْكِبِیْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [١٣٢]

﴿وَإِذْ قَالَ اِبْرَهیمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِن أَمْنٍ مِّنْهُم بِأَلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَبْلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [١٣٣]

النخعی: الحرم كله مقام إبراهیم، وقیل: أراد بمقام إبراهیم جمیع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحیح: أن مقام إبراهیم هو الحجر الذي فی المسجد یصلی إلیه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام علیه إبراهیم عند بناء البيت .

قوله عز وجل ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ اِبْرَهیمَ وَإِسْمَاعِیْلَ﴾، أي: أمرناهما وأوصینا إلیهما ﴿أَن طَهَّرَا بَیَّتِی﴾، یعنی: الكعبة إضافة إلیه تخصیصًا وتفضیلًا، أي:

ابنیه علی الطهارة والتوحید، وقال سعید بن جبیر وعطاء: طهراه من الأوثان والربوب وقول الزور ﴿لِلطَّآئِفِیْنَ﴾: الدائرین حوله، ﴿وَالْمَكْكِبِیْنَ﴾: المقيمین المجاورین، ﴿وَالرُّكَّعِ﴾، جمع راکع، ﴿السُّجُودِ﴾: ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: الطائفین هم الغرباء والعاكفین أهل مكة .

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ اِبْرَهیمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾، یعنی

النخعی: الحرم كله مقام إبراهیم، وقیل: أراد بمقام إبراهیم جمیع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحیح: أن مقام إبراهیم هو الحجر الذي فی المسجد یصلی إلیه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام علیه إبراهیم عند بناء البيت .

قوله عز وجل ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ اِبْرَهیمَ وَإِسْمَاعِیْلَ﴾، أي: أمرناهما وأوصینا إلیهما ﴿أَن طَهَّرَا بَیَّتِی﴾، یعنی: الكعبة إضافة إلیه تخصیصًا وتفضیلًا، أي:

ابنیه علی الطهارة والتوحید، وقال سعید بن جبیر وعطاء: طهراه من الأوثان والربوب وقول الزور ﴿لِلطَّآئِفِیْنَ﴾: الدائرین حوله، ﴿وَالْمَكْكِبِیْنَ﴾: المقيمین المجاورین، ﴿وَالرُّكَّعِ﴾، جمع راکع، ﴿السُّجُودِ﴾: ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: الطائفین هم الغرباء والعاكفین أهل مكة .

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ اِبْرَهیمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾، یعنی

النخعی: الحرم كله مقام إبراهیم، وقیل: أراد بمقام إبراهیم جمیع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحیح: أن مقام إبراهیم هو الحجر الذي فی المسجد یصلی إلیه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام علیه إبراهیم عند بناء البيت .

مكة، وقيل: الحرم، ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: دعا للمؤمنين خاصة، ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾، أي سأرزق الكافر أيضًا قليلًا إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيد بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل، ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾، أي: ألجئه في الآخرة: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَسَسَّ الْمَصِيرُ﴾، أي: المرجع يصير إليه.

[١٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني أسسه، واحدها: قاعدة، وقال الكسائي: جُدر البيت ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، فيه إضمار، أي ويقولان: ربنا تقبل منا بنائنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾، لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنياتنا.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾، أي: أولادنا، ﴿أُمَّةً﴾: جماعة، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾: خاضعة لك، ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا وعرفنا ﴿مَنَاسِكَكَ﴾: شرائع ديننا وأعلام حجنا، وقيل: مواضع حجنا، وقال مجاهد: مذابحنا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات. ﴿وَبَّ عَلَيْنَا﴾، تجاوز عنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾، أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، أي: مرسلًا منهم، أراد به محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾،

[١٣٠] ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مَّلَّةٍ إِبرَهُعَ﴾ أي: يترك دينه وشريعته، يقال: يربغ في الشيء إذا أراد، وربغ عنه إذا تركه، وقوله: ﴿مَنْ﴾: لفظة استفهام ومعناه التفرغ والتويخ، يعني: ما يرغب من ملة إبراهيم ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضل من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكل سفیه جاهل، وذلك أن مَنْ عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خلقها، ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾: اخترناه في الدنيا، ﴿وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يعني: أي مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾، أي استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلمًا، قال ابن



عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه، ﴿قَالَ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ معناه: ووصى بها إبراهيم ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ﴿يَبْنِي﴾، معناه أن يا بني: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ﴾: اختار ﴿لَكُمْ الدِّينَ﴾، أي: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، مؤمنون، وقيل مخلصون، وقيل مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيان، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، وكان إسماعيل عمًّا لهم، والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أمًّا ﴿إِلَهًا وَجِدًّا﴾ نُصِبَ على البدل من قوله، (إلهك)، وقيل: نعرفه إليها واحدًا، ﴿وَوَحْنٌ لِّمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿قَدْ حَلَّتْ﴾: مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل، ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يعني: يسأل كل

وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٣﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٤﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَلْبِغِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجِدًّا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

عن عمله لا عن عمل غيره.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾، قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة وفي نصارى أهل نجران وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل وبمحمد ﷺ، وقالت النصارى نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، بل نتبع ملة إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ أراد به ملة إبراهيم الحنيف قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِنِ ءَأَمَّنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤٠﴾ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْرًا لِلَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾

شِقَاقٍ ﴿١٣٦﴾، أي في خلاف ومنازعة، قال ابن عباس وعطاء: يقال شاق مشاقة إذا خالف، كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: (لا يجرمنكم شقائي) أي: خلافي، وقيل: في عداوة، دليله قوله تعالى: (ذلك بأنهم شاقوا الله)، أي عادوا الله ﴿سَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: يا محمد، أي يكفيك شر اليهود والنصارى، وقد كُفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الثوب على الصبغ، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد:

الشرعية التي صار بها إمامًا للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره: [١٣٦] ﴿قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو عشر صحف ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطًا: واحد منهم: سبط، سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء. ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾، يعني التوراة، ﴿وعيسى﴾، يعني الإنجيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾: أعطي ﴿النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، أي: نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله» الآية.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ ءَأَمَّنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ﴾ أي: بما أمتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، و(المثل) صلة، كقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما أمتم به أي: أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما أمتم، والباء زائدة كقوله تعالى: (وهزّي إليك بجذع النخلة)، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما أمتم بكتابهم: ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي

كَسَبْتُمْ وَلَا تَنْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ، كرهه تأكيداً.

[١٤٢] قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ: الْجَاهِلُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّنَهُمْ﴾، أي شيء صرفهم وحولهم ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ الْمَثَبُ الْغَيْبُ﴾، يعني بيت المقدس، والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملكاً والخلق عبيده، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أمةً وسطاً، أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: (قال أوسطهم) أي خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين قوله تعالى: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: مُعَدَّلاً مَزَكِيًّا لَكُمْ، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾، أي: تحويلها، يعني عن بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة، كقوله تعالى: (كنتم خير أمة) أي: أنتم ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: (إِلَّا لِنَعْلَمَ) وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يُوجد معناه لتعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لتعلم أي: لنرى وتُميز من يتبع الرسول في

فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال ابن عباس: هي أن النصراني إذا ولد لأحدهم ولد وفاتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له المعمودية، وصبغوه به ليظهوره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصراني، وهو نصب على الإغراء، يعني الزموا دين الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ديناً وقيل: تطهيراً. ﴿وَتَحْنُ لَهُ عِيدُونَ﴾: مطيعون.

[١٣٩] ﴿قُلْ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿أَتَحَاكُونَنَا فِي اللَّهِ﴾، أي في دين الله والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم، ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، أي: لكل واحد جزء عمله فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿وَتَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، وأنتم به مشركون، قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يُرائي بعمله.

[١٤٠] قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾، يعني: أتقولون، صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾: يا محمد ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم ﴿أَمِ اللَّهُ﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾: أخفى ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ تعالى، وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم عليه في كتبهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا

سورة البقرة

٢٢

الْبَقَرَةُ

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٧﴾ قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٩﴾

أبيه إبراهيم عليه السلام، وجعل رسول الله ﷺ يُديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾، ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ﴾، فلنحولنك إلى قبلة ﴿ تَرْضَاهَا ﴾، أي: تحبها وتهواها، ﴿ فَوَلِّ ﴾ أي: حول ﴿ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرم، ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾، من بر أو نحو شرق أو غرب: ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾، عند الصلاة.

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: لو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ يعني أمر الكعبة، ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾، ثم هددهم فقال: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾، قرأ أبو

القبلة، ﴿ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾، فيرتد، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلينا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم ﴿ وَإِن كَانَتْ ﴾، أي: وقد كانت، أي تولية الكعبة، وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة، قال الزجاج: وإن كانت التحويلة، ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾: ثقيلة شديدة، ﴿ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾، أي: هداهم الله، قال سيبويه: (وإن) تأكيد شبيه باليمين، ولذلك دخلت اللام في جوابها، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾، وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دتم الله بها؟ ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ فانطلق عشائهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله، قد صرفك إلى قبلة إبراهيم فكيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الرأفة: أشد الرحمة.

[١٤٤] ﴿ قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾، هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة وكان يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة

[١٤٨] قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ﴾، أي: لأهل كل ملة قبلة، والوجهة: اسم للمتوجه إليه ﴿هُوَ مُؤَلِّمًا﴾، أي: مستقبلها، ومقبل عليها، يقال: وليته، ووليت إليه إذا أقبلت عليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه، قال مجاهد: هو موليتها ووجهه، وقال الأخفش: هو كناية عن الله عز وجل، يعني: مولى الأمم إلى قبلتهم ﴿فَأَسْتَقِيمُوا الصِّرَاطَ﴾، أي: إلى الخيرات، يريد بادروا بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول، ﴿إِنَّ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالباء والباقون بالناء.

[١٥٠] ﴿وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وإنما كرهه لتأييد النسخ، ﴿إِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: (إلا) فقال بعضهم: معناه حُولت القبلة إلى الكعبة لثلاثين لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها، فيقولون: ليست لكم قبلة، إلا الذين ظلموا وهم قريش واليهود، فأما قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: لثلاثين لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني: اليهود، وكانت حججتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: (إلا الذين ظلموا)، وهم مشركو مكة، وحججتهم أنهم قالوا لما صرفت قبلتهم إلى

جعفر وابن عامر وحزمة والكسائي بالناء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقر بالباء، يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة.

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: اتنا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: معجزة، ﴿مَا تَعْبُوا قِلْتَكُمْ﴾ يعني: الكعبة ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِلْتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِلْتَهُ بَعْضٌ﴾، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ مرادهم، الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به الأمة، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، من الحق في القبلة، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: يعرفون محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾: من بين الصبيان، قال عمر ابن الخطاب لعبدالله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، فكيف هذه المعرفة؟ قال عبدالله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول حق من الله تعالى، وقد نعته الله في كتابنا، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت، ﴿وَإِنَّ قَرِيْبًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٤٧] ثم قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي: هذا الحق خير، مبتدأ مضمرة، وقيل: رُفِعَ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، أي: جاء الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾: الشاكين.

الكعبة: إن محمداً قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله: (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) يعني: لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش فإنهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم وموضع (الَّذِينَ) خفض كأنه قال: سوى الذين ظلموا، وقال الفراء: نُصِبَ بِالِاسْتِثْنَاءِ.

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾، يعني: من الناس، وقيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل قال أبو روق: لثلاً يكون للناس، يعني: اليهود عليكم حجة، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها، فحوّله الله تعالى إليها لثلاً يكون لهم حجة فيقولوا: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حججتهم إلا الذين ظلموا، يعني: إلا أن يظلموا فيكنتموا ما عرفوا من الحق.

وقال أبو عبيدة: قوله (إلا الذين ظلموا) ليس باستثناء، ولكن (إلا) في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة، فمعنى الآية: فتوجهوا إلى الكعبة لثلاً يكون للناس - يعني لليهود - عليكم حجة فيقولوا: لِمَ تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلته جده وتحول عنها إلى قبلة اليهود؟ ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهركم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، ﴿وَإِخْشَوْنِي وَأَنْتُمْ نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، عطف على قوله: (لثلاً يكون للناس عليكم حجة)، ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم، فتمم به لكم الملة الحنيفية ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَمَنْ يَلْمِزُكَ فَلَاتُكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُومٌ يُرَآهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ آيُنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَإِنَّتُمْ نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٦٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٣﴾

لكي تهتدوا من الضلالة، و(لعل وعسى) من الله واجب.

[١٥١] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، هذه الكاف للتشبيه، ويحتاج إلى شيء يرجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها وهو قوله: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ معناه: كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فادكروني، وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿رَسُولاً مِنْكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يعني: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، من الأحكام وشرائع الإسلام.

بالمرض والشيب، ﴿وَالشَّمْرَاتِ﴾، يعني: الجوائح في الثمار، وحكى عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأمراض، والأمراض، والثمرات موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال:

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ عبيدًا وملكًا، ﴿وَأَنَّا إِلَيْهِ راجعون﴾: في الآخرة.

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ﴾: أهل هذه الصفة: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، صلوات أي: رحمة، فإن الصلاة من الله الرحمة، والرحمة ذكرها الله تأكيدًا، وجميع الصلوات، أي رحمة بعد رحمة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ العَدْلَانِ ونِعْمَت العِلاوةُ فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ﴾، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، يُقال صفاة وصفًا، مثل: حصاةٌ وحصى ونواة ونوى، والْمَرْوَةُ: الحجر الرخو، وجمعها: مَرَوَات، وجمع الكثير: مرو، مثل: تمرة وتمرات وتمر، وإنما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدها شعيرة، وكل ما كان مُعلِّمًا لقراباتٍ يُتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة، فهو شعيرة، فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله، ومثلها المشاعر، والمراد بالمشاعر ههنا: المناسك التي جعلها الله أعلامًا لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعًا، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾، فالحج في

[١٥٢] ﴿فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي، وقال سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي، وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء، بيانه: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قوله تعالى: ﴿وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروا بالمعصية، فإن من أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعون والنصرة.

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾، نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلًا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ)، ﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، كما قال في شهداء أحد: (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون)، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرُوحُ والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون عُذوة وعشية، فيصل إليهم الوجع.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام، لجواب القسم المحذوف، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئًا لم يكن عالمًا به، ﴿يَسْئَلُكَ مِنَ النَّفُوسِ﴾، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿وَالْجُوعِ﴾، يعني: القحط، ﴿وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: بالخسران والهلاك، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾، يعني: بالقتل والموت، وقيل:

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٤

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَا وَلَكِنَّ  
 لَآ تَشْعُرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ نَبَأَ شِئْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ  
 وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ  
 ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
 ﴿١٦١﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرْوَءَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ  
 فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ  
 بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَكْفُرُونَ مَا أَتَوْا مِنَّا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَبَاتِ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ  
 لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ  
 ﴿١٦٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَئِكَ أَثُوبٌ  
 عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
 كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ  
 ﴿١٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ  
 ﴿١٦٧﴾ وَلِلَّهِ كَرُّ الْوَجْدِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٨﴾

[١٦٠] : من الكفر،

: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما

بينهم وبين ربهم : ما كتموا، ﴿١٦٠﴾

: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم، ﴿١٦١﴾

الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي.

: بهم بعد إقبالهم علي.

[١٦١] ﴿١٦١﴾

﴿١٦١﴾ أي: لعنة الملائكة

﴿١٦٢﴾ وأتيسر أجمعين، قال أبو العالية: هذا يوم

القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم

يلعنه الناس، فإن قيل: فقد قال والناس أجمعين

والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟

قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى:

(ويلعن بعضكم بعضاً)، وقيل: إنهم يلعنون

الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين

اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج  
 والعمرة المشروعين: قصد وزيارة، ﴿فَلَا جُنَاحَ  
 عَلَيْهِ﴾، أي لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي:  
 مال عن القصد، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، أي: يدور  
 بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء.

وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة  
 صنمان إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا  
 ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون  
 بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون  
 بهما، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأصنام كان  
 المسلمون يتحرّجون عن السعي بين الصفا والمروة  
 لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر  
 الله، قوله تعالى: ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ قال مجاهد:

معناه فإن تطوع بالطواف بالصفا والمروة، وقال  
 مقاتل والكلبي فمن تطوع، أي: زاد في الطواف  
 بعد الواجب، وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد  
 أداء الحجة الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره:  
 أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه  
 من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع  
 الطاعات، ا، مجاز لعبدته بعمله،

: بنيته، والشكر من الله تعالى أن يُعطي  
 لعبدته فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير.

[١٥٩] قوله تعالى:

﴿١٥٩﴾

نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية

الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في

التوراة، ﴿وَلَيُعَذِّبُنَّهُمُ اللَّهُ﴾، وأصل اللعن الطرد

والبعد، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، أي: يسألون الله أن

يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء

اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن

والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء:

الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله ثم

استثنى فقال:



وَالْكَافِرِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ فَقَدْ لَعَنَ نَفْسَهُ .  
 [١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللعنة وقيل:  
 في النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾  
 لا يمهلون ولا يؤجلون، وقال أبو العالية: لا  
 ينظرون فيعتذروا، كقوله تعالى: (ولا يؤذن لهم  
 فيعتذرون).  
 [١٦٣] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُزُّمُّ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ  
 إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، سبب نزول هذه الآية أن  
 كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وأنسبه،  
 فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص،  
 والواحد: الذي لا نظير له ولا شريك له، قال أبو  
 الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن  
 محمداً يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان  
 من الصادقين فأنزل الله عز وجل.  
 [١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر  
 السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن  
 كل سماء من جنس آخر، والأرضون كلها من  
 جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات:  
 سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما  
 يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في  
 الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من  
 الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر  
 والنبات. قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾،  
 أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما  
 صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر أي: بعده،  
 نظيره: قوله تعالى: (هو الذي جعل الليل والنهار  
 خِلْفَةً)، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور  
 والظلمة والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة،  
 والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم  
 الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله  
 تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)، ﴿وَالْفُلُكُ  
 الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾، يعني: السفن واحده وجمعه  
 سواء، فإذا أريد به الجمع يُؤنث، وفي الواحد

يُذَكَّر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: (إذ أبق  
 إلى الفلك المشحون)، وقال في الجمع والتأنيث:  
 (حتى إذا كتتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة)،  
 (والفلك التي تجري في البحر) الآية في الفلك:  
 تسخيرها وجريها على وجه الماء، وهي موقرة لا  
 ترسب تحت الماء، ﴿بِمَا يَفْعُ النَّاسُ﴾، يعني:  
 ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب  
 وأنواع المطالب، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ  
 مَاءٍ﴾، يعني: المطر، قيل: أراد بالسماء  
 السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من  
 السحاب ينزل، وقيل: أراد به السماء المعروفة،  
 يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء  
 إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض،  
 ﴿فَأَخْبَا يَهُ﴾، أي: بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾،  
 أي: بعد يسها وجدوبتها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، أي: فرق  
 فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ والريح يُذكر  
 ويؤنث، وتصريفها أنها يتصرف إلى الجنوب  
 والشمال، والقَبُولُ والدَّبُورُ والنكباء، وقيل:  
 تصريفها أنها تارة تكون لينا، وتارة تكون عاصفاً،  
 وتارة تكون حارة، وتارة باردة، قال ابن عباس:  
 أعظم جنود الله الريح والماء، وسميت الريح ريحا  
 لأنها تريح النفوس ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ أي:  
 الغيم المذلل، سمي سحابا لأنه ينسحب، أي يسير  
 في سرعة كأنه يُسحب أي يُجر ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 لَأَيِّتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، فيعلمون أن لهذه الأشياء  
 خالقا وصانعا.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، يعني:  
 المشركين، ﴿مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، أي  
 أصناما يعبدونها، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، أي:  
 يُحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج:  
 يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع  
 الله، فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة،  
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي: أثبت وأدوم على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا  
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ  
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمِنَ  
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ  
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٧﴾  
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَرَأُوا الْعَذَابَ  
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ ﴿١٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكَّ  
لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ  
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٩﴾  
يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا وَمَتَّاعِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٠﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ  
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾

مَتَّاعًا: اليوم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما أراهم العذاب، كذلك ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ﴾، وقيل: كتَبَرُّوْا بعضهم من بعض، يُرِيهِمُ اللهُ: ﴿أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: ندامات، جمع حسرة، قيل: يُرِيهِمُ ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل: يُرِيهِمُ ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله عز وجل، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا، قال السدي: تُرْفَعُ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَإِلَى بَيْوتِهِمْ فِيهَا لَوْ أَطَاعُوا اللَّهَ فَيَقَالُ لَهُمْ: تِلْكَ مَسَاكِنُكُمْ لَوْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ، ثُمَّ تَقْسَمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَذَلِكَ حِينَ يَنْدَمُونَ وَيَتَحَسَّرُونَ ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

[١٦٨] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا وَمَتَّاعِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾، نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر

حُبِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللَّهِ مَا سِوَاهُ، وَالْمُشْرِكُونَ إِذَا اتَّخَذُوا صَنَمًا ثُمَّ رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهُ، طَرَحُوا الْأَوَّلَ وَاخْتَارُوا الثَّانِي، قَالَ قَتَادَةُ: إِنْ الْكَافِرُ يُعْرَضُ عَنْ مَعْبُودِهِ فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ وَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فَقَالَ: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُعْرَضُ عَنِ اللَّهِ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معناه: لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَذَابِ، أَيْ لَوْ رَأَوْا شِدَّةَ عَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتَهُ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ، لَعَرَفُوا مُضْرَةَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ مَا اتَّخَذُوا مِنَ الْأَصْنَامِ لَا يَنْفَعُهُمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾.

قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها، ﴿الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ أي: بَأَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا معناه: لَرَأَوْا وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾، هَذَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْقَادَةَ وَالْآتِبَاعَ، فَيَتَّبَرَأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفْسِّرِينَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُمُ الشَّيَاطِينُ يَتَّبَرَأُونَ مِنَ الْإِنْسِ، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، أَيْ: عَنْهُمْ ﴿الْأَسْبَابَ﴾، أَيْ الصِّلَاتِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الْقَرَابَاتِ وَالصَّدَاقَاتِ، وَصَارَتْ مَخَالَطَتَهُمْ عَدَاوَةً، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْأَرْحَامُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ)، وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي الْأَعْمَالَ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)، وَأَصْلُ السَّبَبِ مَا يُوصَلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ ذُرِيعةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ مَوَدَّةٍ وَمِثَّةٍ، يُقَالُ لِلْحَبْلِ: سَبَبٌ، وَلِلطَّرِيقِ: سَبَبٌ.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، يَعْنِي: الْآتِبَاعُ: ﴿لَوْ أَكَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾، أَيْ: رَجَعَتْ إِلَى الدُّنْيَا، ﴿فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأْنَا﴾، أَيْ: مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، ﴿كَمَا تَبَرَّأْنَا﴾

لا يعقلون شيئاً، لفظه عام ومعناه الخصوص، أي: لا يعقلون شيئاً من أمور الدين، لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ضرب لهم مثلاً فقال جلّ ذكره:

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾، والنعيق والنعق: صوت الراعي بالغنم، معناه: مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عزّ وجلّ كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم، وقيل: مثل واعظ الكفار وداعيتهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع، ﴿إِلَّا دُعَاءَ﴾ صوتاً ﴿وَنِدَاءَ﴾، فأضاف المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه، كما في قوله تعالى: (واسأل القرية)، معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا يتتبع بوعظك إنّما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم، فلا يتتبع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء، كما قال تعالى: (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمثل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتاً يقال له الصداء لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية: كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق إلا دعاء ونداء. ﴿حُمٌّ﴾، تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعمل: كأنه أصم، ﴿بِكُمْ﴾، عن الخير لا يقولونه، ﴿عُمِّي﴾، عن الهدى لا يبصرونه، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا

ابن صعصعة، وبني مدلج فيما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحله الشرع. طيباً، قيل: ما يُستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويخاف الحرام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلاته، وقيل: هي الذنور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب، وقال الزجاج: طُرقه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بين العداوة، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه، حتى أخرجته من الجنة، ثم ذكر عداوته فقال:

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾، أي: بالإثم، وأصل السوء ما يسوء صاحبه، وهو مصدر ساء يسوء سوءاً ومساءةً، أي: أحزنه، وسوؤاته فساء أي: حرّته فحزن، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: المعاصي وما قُبِح من القول والفعل، وهو مصدر كالسراء والضراء عن ابن عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحدّ، والسوء من الذنوب ما لا حدّ فيه، وقال السدي: هي الزنا، وقيل: هي البخل، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾، من تحريم الحرث والأنعام.

[١٧٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾، أي: ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾، من عبادة الأصنام، وقيل: معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهاء والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى: (يا أيها الناس كلوا).

(وما أَلْفَيْنَا) ما وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي: كيف يتبعون آباءهم، وآبأؤهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾؟ الواو في (أَوَلَوْ) واو العطف، ويُقال لها أيضاً: واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا

مِنْ طَيِّبَاتٍ: ﴿حَلَالَاتٍ﴾ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ: على نعمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ثم بيّن المحرمات فقال:

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الميتة: كل ما لم تدرك ذكاته مما يُذبح ﴿وَالدَّم﴾، أراد به الدم الجاري واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلها، ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾، أراد به جميع أجزائه، فعبر عن ذلك باللحم لأنه مُعظمه، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ يَغْيِرَ اللَّهُ﴾، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهلّ، وقال الربيع بن أنس وغيره: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: ما ذكر عليه اسم غير الله، ﴿فَمَنْ اضْطَرَّ﴾ معناه فمن اضطر إلى أكل الميتة، أي: أحوج وألجئ إليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغياً إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم ومجاوزة الحد، يقال: عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم، واختلفوا في معنى قوله: (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ)، فقال بعضهم: غير باغٍ أي: غير خارج على السلطان، ولا عادٍ: متعدٍ، عاص بسفوره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جببير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفوره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، وقال الحسن وقتادة: غير باغٍ بأكله من غير اضطرار، ولا عادٍ، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: غير باغٍ أي: غير طالبا وهو يجد غيرها، ولا عادٍ أي: غير متعدٍ ما حدّ له، فيأكل حتى

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢٦

الْبَقَرَةِ

وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقُبُونَ سَبِيًّا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٤﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَبْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٥﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ ۚ لَغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ۚ سُنْأَةً قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨٠﴾

يشبع، ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يُمسك رمقه، وقال مقاتل بن حيان: غير باغٍ أي مستحل لها، ولا عادٍ أي متزود منها، وقيل: غير باغٍ أي غير مجاوز للقدر الذي أحلّ له، ولا عادٍ أي لا يُقصر فيما أُبيح له فيدعه ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فلا حرج عليه في أكلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، لمن أكل في حال الاضطرار ﴿رَحِيمٌ﴾، حيث رخص للعباد في ذلك. [١٧٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: صفة محمد ﷺ ونبوته، ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ أي: بالمكتموم ﴿سُنْأَةً قَلِيلًا﴾، أي: عوضاً يسيراً، يعني: المأكل التي يُصيبنها من سفلتهم ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، يعني: إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمر الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه يصير ناراً في

كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض، وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال: (ليس البرّ)، أي: كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ اختلفوا في وجهه، قيل: لما وقع (من) في موقع المصدر جعله خبراً للبر، كأنه قال: ولكن البر الإیمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وقيل: فيه إضمار، معناه: ولكن البر [بر] من آمن بالله، فاستغنى بذكر الأول عن الثاني، كقولهم: الجود حاتم، أي: الجود جود حاتم، وقيل معناه: ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: (هم درجات عند الله)، أي: ذو[و] درجات، وقيل معناه: ولكن البار من آمن بالله، كقوله تعالى: (والعاقبة للمتقوى) أي: للمتقي، والمراد من البرّ ههنا الإیمان والتقوى، ﴿تَأْتِيهِمْ كَلِمَةٌ﴾ كليمهم ﴿تَأْتِيهِمْ كَلِمَةٌ﴾، يعني: الكتب المنزلة، ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ أجمع، ﴿وَأَعْطَى الْمَالَ﴾ أعطى المال، ﴿وَأَعْطَى﴾ اختلفوا في هذه الكناية، فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال، أي: أعطى المال في حال صحته ومحبته المال وقيل: هي عائدة إلى الله عزّ وجلّ، أي: على حب الله تعالى، ﴿تَأْتِيهِمْ كَلِمَةٌ﴾: أهل القرابة ﴿وَأَيْمَنُ بِاللَّهِ﴾ السبيل، قال مجاهد: يعني المسافر المنقطع عن أهله يمرّ عليك، ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل ﴿وَالسَّالِبِينَ﴾، يعني: الطالبين ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة، وقيل: فداء الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾: وأعطى الزكاة

بطونهم، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان، ﴿وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾، أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَأْسٌ شَيْءٌ وَمَا يَكْتُمُونَ الْإِلَهَ بِمَا شَرَكُوا﴾ قال عطاء والسدي: هو (ما) الاستفهام معناه: ما الذي صبرهم على النار؟ وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجراهم على العمل الذي يقربهم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على أهل النار، أي: ما أدومهم عليه.

[١٧٦] ﴿لَقَدْ يَادَّبُ اللَّهُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَيْهِ غِيظًا﴾ يعني: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون (ذلك) في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم (بأن الله)، أي: لأن الله نزل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل: معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله، من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق، وهو قوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون ه ختم الله على قلوبهم)، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْكِتَابِ﴾: فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿بِئْسَ شِقَاقَ بَعِيرٍ﴾، أي: في خلاف وضلال بعيد.

[١٧٧] قوله تعالى: ﴿يَسَّ أَلِيرًا أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فِى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البرّ: كل عمل خير يُفْضِي بصاحبه إلى الجنة، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون، ذلك أن الرجل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِيْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُوتَ بِعَهْدِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَدَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

العمد، وقوله: (من أخيه) أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنائتان في قوله (لَهُ) ومن: (أخيه)، ترجعان إلى (من) وهو القاتل، وقوله: (شيء) دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القَوْدُ لأن شيئاً من الدم قد بَطُلَ. قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يُطالب بأكثر من حقه، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مباطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم

﴿وَالْمُؤْفُوتَ بِعَهْدِهِمْ﴾: فيما بينهم وبين الله عز وجل، وفيما بينهم وبين الناس، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله: (والمؤفون)، قيل: هو عطف على خبر، معناه: ولكن ذا البر: المؤمنون والمؤفون بعهدهم، وقيل تقديره: هم المؤفون كأنه عد أصنافاً، ثم قال: هم والمؤفون كذا، وقيل: رفع على الابتداء والخبر، يعني: وهم المؤفون، ثم قال: ﴿وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾، أي: الشدة والفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض والزمانة، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي القتال والحرب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: محارم الله.

[١٧٨] قوله تعالى: ﴿بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: فرض عليكم القصاص، ﴿فِي الْقَتْلِ﴾، والقصاص: المساواة والمماثلة في الجراحات والديات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ﴾ وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين، أو العبيد منهم، قُتِلَ من كل صنف منهم، الذكر إذا قُتِلَ بالذكر وبالأنتى وتقتل الأنتى إذا قُتِلت بالأنتى وبالذكر، ولا يُقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد، ولا والد بولد ولا مسلم بذمي، ويُقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يُقتل بالكافر الذمي، وإلى أن الحر يُقتل بالعبد ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالدية، هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل

[١٨٢] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾، أي علم  
 ﴿مِنْ مَوْصِيٍّ جَنَفًا﴾ أي: جَوْرًا وَعَدُوْلًا عَنِ الْحَقِّ،  
 وَالجَنَفُ: الْمَيْلُ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي: ظَلْمًا، وَقَالَ  
 السُّدِّيُّ وَعُكْرَمَةُ وَالرَّبِيعُ: الْجَنَفُ: الْخَطَأُ، وَالْإِثْمُ:  
 الْعَمْدُ، فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وَاخْتَلَفُوا  
 فِي مَعْنَى الْآيَةِ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا  
 حَضَرَ مَرِيضًا وَهُوَ يُوصِي فَرَأَهُ يَمِيلُ إِثْمًا بِتَقْصِيرٍ أَوْ  
 إِسْرَافٍ أَوْ وَضَعَ الْوَصِيَّةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَلَا  
 حَرَجَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْعَدْلِ وَيُنْهَاهُ عَنِ  
 الْجَنَفِ، فَيَنْظُرُ لِلْمَوْصِيِّ لَهُ وَالْوَرِثَةِ، وَقَالَ  
 الْآخَرُونَ: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ الْمَيْتَ فِي وَصِيَّتِهِ  
 أَوْ جَارَ مَتَعَمَّدًا فَلَا حَرَجَ عَلَى وَلِيِّهِ أَوْ وَصِيِّهِ أَوْ  
 وَالِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصْلِحَ بَعْدَ مَوْتِهِ بَيْنَ وَرَثَتِهِ  
 وَبَيْنَ الْمَوْصِيِّ لَهُمْ، وَيُرَدِّدُ الْوَصِيَّةَ إِلَى الْعَدْلِ وَالْحَقِّ  
 (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)، أَي: لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ  
 عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أَي: فُرِضَ وَأُوجِبَ الصَّوْمُ،  
 وَالصِّيَامُ فِي اللُّغَةِ: الْإِمْسَاكُ، يُقَالُ: صَامَ النَّهَارَ إِذَا  
 اعْتَدَلَ وَقَامَ قَائِمَ الظَّهِيرَةِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا بَلَغَتْ  
 كِبِدَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا وَقَفَتْ وَأَمْسَكَتْ عَنِ السَّيْرِ  
 سَرِيعَةً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ  
 لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أَي: صَمْتًا لِأَنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنِ  
 الْكَلَامِ، وَفِي الشَّرِيعَةِ: الصَّوْمُ وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ  
 الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ مَعَ النِّيَّةِ فِي وَقْتٍ  
 مَخْصُوصٍ. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾:  
 مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّمِ، وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا التَّشْبِيهِ،  
 فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَ صَوْمٌ مِنْ قَبْلُنَا مِنَ الْعَتَمَةِ  
 إِلَى اللَّيْلِ الْقَابِلَةِ، كَمَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ،  
 وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَرَادَ أَنْ صِيَامَ رَمَضَانَ  
 كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّصَارِيِّ، كَمَا فُرِضَ عَلَيْنَا، فَرُبَّمَا  
 كَانَ يَقَعُ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ، وَكَانَ يَشْقُ  
 عَلَيْهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ وَيُضْرَهُمْ فِي مَعَايِشِهِمْ، فَاجْتَمَعَ

الْقِصَاصُ، فَخَيَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَيْنَ الْقِصَاصِ وَبَيْنَ  
 الْعَفْوِ عَنِ الدِّيَةِ تَخْفِيفًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَكَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ﴾، فَقَتَلَ الْجَانِي بَعْدَ الْعَفْوِ وَقَبُولِ الدِّيَةِ، ﴿فَلَهُ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وَهُوَ أَنْ يَقْتُلَ قِصَاصًا، قَالَ ابْنُ  
 جَرِيرٍ: يَتَحْتَمُّ قَتْلُهُ حَتَّى لَا يَقْبَلَ بَعْدَ الْعَفْوِ.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾،  
 أَي: بَقَاءٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاصِدَ لِلْقَتْلِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا  
 قَتَلَ يُقْتَلُ، يَمْتَنِعُ عَنِ الْقَتْلِ، فَيَكُونُ فِيهِ بَقَاؤُهُ وَبَقَاءُ  
 مَنْ هَمَّ بِقَتْلِهِ، وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ،  
 وَقِيلَ مَعْنَى الْحَيَاةِ: سَلَامَتُهُ مِنْ قِصَاصِ الْآخِرَةِ،  
 فَإِنَّهُ إِذَا اقْتَصَصَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا حَيِي فِي الْآخِرَةِ، وَإِذَا  
 لَمْ يَقْتَصَصْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا اقْتَصَصَ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ،  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ تَتَقُونَ﴾، أَي تَنْتَهَوْنَ عَنِ  
 الْقَتْلِ مَخَافَةَ الْقَوْدِ.

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أَي:  
 فُرِضَ عَلَيْكُمْ، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أَي:  
 جَاءَ سَبَابُ الْمَوْتِ وَأَثَارُهُ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ،  
 ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أَي: مَالًا، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
 (وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ)، ﴿الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ  
 وَالْأَقْرَبِينَ﴾، كَانَتِ الْوَصِيَّةُ فَرِيضَةً فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ  
 لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَلَهُ مَالٌ، ثُمَّ  
 نُسِخَتْ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾،  
 يُرِيدُ: يُوصِي بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا  
 يُوصِي لِلْغَنِيِّ وَيُدْعُ الْفَقِيرَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْوَصِيَّةُ  
 لِلْأَخْلِ فَلِأَخْلِ، أَي: الْأَحْوَجِ فَلِأَحْوَجٍ ﴿حَقًّا﴾  
 نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ: عَلَى الْمَفْعُولِ، أَي:  
 جَعَلَ الْوَصِيَّةَ حَقًّا، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾، أَي: غَيَّرَ  
 الْوَصِيَّةَ عَنِ الْأَوْصِيَاءِ أَوْ الْأَوْلِيَاءِ أَوْ الشُّهُودِ،  
 ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾، أَي: بَعْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَ الْمَوْصِيِّ  
 ﴿فَإِنَّهَا إِثْمٌ عَلَى الَّذِينَ يَدُلُّونَهُ﴾، وَالْمَيْتُ بَرِيءٌ مِنْهُ  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾، لَمَّا أَوْصَى بِهِ الْمَوْصِيِّ، ﴿عَلِيمٌ﴾:  
 بِتَبْدِيلِ الْمُبَدَّلِ أَوْ سَمِيعِ لَوْصِيَّتِهِ عَلِيمَ بِنَيْتِهِ.

رَأَىٰ علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم أتموه خمسين يوماً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم وقيل: المراد من قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: شهر رمضان، وهي غير منسوخة ونصب (أَيَّامًا) على الظرف، أي: في أيام معدودات ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾، أي فأفطر فعدة ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد، من أيام أخر، أي غير أيام مرضه وسفره ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخِيرِينَ بين أن يصوموا وبين أن يفطروا أو يفتدوا، خَيْرَهُم الله تعالى لثلاث يسق عليهم، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه، رخص له في أن يفطر ويفدي، ثم نسخ، وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم، خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَصُومَ وَبَيْنَ أَنْ يَفْطَرَ أَوْ يَفْدِيَ، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيَصُمْهُ) وثبتت الرخصة للذين يطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكِبَر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي: يُكَلِّفُونَ الصوم، وتأويله: على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يُرجى زوال مرضه، فهم يُكَلِّفُونَ الصوم ولا يُطِيقُونَهُ، فلهم أن يفطروا ويُطعموا مكان كل يوم مسكيناً، وهو قول سعيد بن جبیر، وجعل الآية محكمة. قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: (كفارة طعام مساكين)، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ)، وقولهم: مسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون (فدية وكفارة) منونة، (وطعام) رفع، وقرأ (مساكين) بالجمع هنا، أهل المدينة والشام، وآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون، ومن وحد خفض النون ونونها، والفدية الجزاء ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مُدًّا من الطعام بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من قمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشاءً وسُحُورَهُ، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾، أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مُدٌّ فهو خير له، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فمن



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٢٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكْرِمُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما أنزل الله إليه، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء ويُسييه ما يشاء قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: من الضلالة، و(هدى) في محل النصب على القطع، لأن القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾، أي دلالاتٍ واضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾، أي: الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، أعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ قال

ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم، وإن شق عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدي ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال:

[١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي كُتِبَ عليكم شهر رمضان، وسُمي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو من أسماء الله تعالى، يقال: شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح: أنه اسم للشهر سُمي به من الرمضاء، وهي الحجارة المحمأة، وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة، قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القرء: الجمع، وقد يحذف الهمزة فيقال: قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، روي عن مقسم عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة)، وقد نزل في سائر الشهور، وقوله عزَّ وجلَّ: (وقرآنًا فرقناه) فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم)، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكن

الشعبي ما خَيْرَ رجلٍ بين أمرين فاختر أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عزّ وجلّ ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ الواو في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ وَاوُّ النَّسْقِ واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم، وقال: (ولتكمّلوا العِدَّة) أي: عدة أيام الشهر، ﴿وَلِتُكْمِلُوا اللَّهَ﴾: ولتعظّموا الله، ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾: أرشدكم إلى ما أرضى به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنه كانوا كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجًا وذكره التلبية، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله على نعمه.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكني، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث، فإنما عنى به الجماع، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء أي: أبيع لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ أي سكن لكم، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، أي: سكن لهن، دليله قوله تعالى: (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباسًا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش وقيل: اللباس اسم لما يُواري الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه»، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ

[١٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم إنني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيئوا إلي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد: الطاعة: وقيل فليستجيبوا إلي أي: ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطعنوني. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: (أجيب دعوة الداع) وقوله: (ادعوني أستجب لكم)، وقد ندعو كثيرًا فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة؟ الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عامًا تقديرهما: أجيب دعوة الداعي إن شئت، كما قال: (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء)، وأجيب دعوة الداع إن وافق القضاء، أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرًا له،

كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ»، أي تخونونها وتظلمونها بالمجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمِّيَا خَيْطَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْدُو فِي الْإِبْتِدَاءِ مَمْتَدًّا كَالْخَيْطِ، ﴿ثُمَّ أَمَّا أَصِيَامَ إِلَىٰ الْآيِلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَدَاوَةٌ فِي السُّكُوتِ، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله: أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا

كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ»، أي تخونونها وتظلمونها بالمجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمِّيَا خَيْطَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْدُو فِي الْإِبْتِدَاءِ مَمْتَدًّا كَالْخَيْطِ، ﴿ثُمَّ أَمَّا أَصِيَامَ إِلَىٰ الْآيِلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَدَاوَةٌ فِي السُّكُوتِ، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله: أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا

كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ»، أي تخونونها وتظلمونها بالمجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمِّيَا خَيْطَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْدُو فِي الْإِبْتِدَاءِ مَمْتَدًّا كَالْخَيْطِ، ﴿ثُمَّ أَمَّا أَصِيَامَ إِلَىٰ الْآيِلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَدَاوَةٌ فِي السُّكُوتِ، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله: أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا

كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ»، أي تخونونها وتظلمونها بالمجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمِّيَا خَيْطَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْدُو فِي الْإِبْتِدَاءِ مَمْتَدًّا كَالْخَيْطِ، ﴿ثُمَّ أَمَّا أَصِيَامَ إِلَىٰ الْآيِلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَدَاوَةٌ فِي السُّكُوتِ، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله: أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا

الْحَيَاتِ

٢٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ مِنْ لِيَّاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَانْزِلُوا بِبَشِيرٍ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَمَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩٠﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩١﴾

قاتله منهم بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافة، قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله: (اقتلوا المشركين)، فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله: (اقتلوا المشركين) قريب من سبعين آية. وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، أي لا تبدؤوهم بالقتال، وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين، ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان، ولا من ألقى إليكم السلام (ولا تعتدوا) فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّنْتُهُمْ﴾، قيل: نسخت

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر انظر الدر المثور للسيوطي ١/٤٩٢ وتفسير الطبري ٣/٥٥٦.

قولهم: استهل الصبي إذا صرخ حين يُولد، وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وأجال الديون وعدد النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحلّ من إحرامه، ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الحمس، وهم قریش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية، شموأ أحمساً لتشددهم في دينهم، والحماسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار على أثره من الباب، وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟» قال: رأيتك دخلت فدخلت على أثرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسي»<sup>(١)</sup>، فقال الرجل: إن كنت أحمسياً فإني أحمسي رضييتُ بهديك وسمتُك ودينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾، أي: البرّ برّ من اتقى ﴿وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، في حال الإحرام، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة

الله ﷻ ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى رسول الله ﷺ بالكف عن قتال المشركين، ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٣٠

الْحَرَامَاتُ

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩٢﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٣﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٤﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٦﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِرُءُوسِكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لَعْنٌ لِمَنْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٧﴾

وسماه عدواناً على طريق المجازات والمقابلة، كما قال: (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)، وكقوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وسمي الكافر ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

[١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، نزلت هذه الآية في عُمرَةَ القضاء، وذلك أَنَّ النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصدّه المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة، فذلك معنى قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامِ) يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيت فيه عُمرتكم سنة سبع، بالشهر الحرام يعني: ذا القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾:

الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الحِدْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ﴾، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، يعني: شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ كان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يَحِلُّ بدایتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان: قوله: (واقتلوهم حيث تقتلتموهم)، أي: حيث أدركتموهم في الحِلِّ والحرم، صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾.

[١٩٢] ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾، عن القتال والكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أي غفور لِمَا سَلَفَ رحيم بالعباد.

[١٩٣] ﴿وَقَتْلُوهُمْ﴾، يعني: المشركين، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قتل، ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده فلا يُعبد شيء دونه ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾، فلا سبيل ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قاله ابن عباس، يدل عليه قوله تعالى: (أَيُّمًا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) أي: فلا سبيل عليّ، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسنموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلا على الظالمين الذين بقوا على الشرك، وما يفعل بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلمًا،

رجال: أمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة، وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة، فإذا أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً، فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار، وذلك أن الله تعالى لما أعزّ ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيّه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى: (وَأَنْفُقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة، فيأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك قال الله تعالى: (إِنَّهُ لَا يَبْسُغُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ)، ﴿وَأَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٩٦] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ اختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يُتِمَّهَا بِمَنَاسِكِهَا وحدودها وسننها، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس

جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام، وحرمة الإحرام والقصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه إن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه، فإنه قصاص بما فعلوا فيه، ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِ﴾، وقاتلوه ﴿بِمِثْلِ مَا أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ﴾، سُمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام، كقوله تعالى: (وَجِزَاءُ سَيْتَةٍ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا)، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، قيل: الباء في قوله تعالى: (بِأَيْدِيكُمْ) زائدة، يُريد: ولا تلقوا أيديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة عبر عن النفس بالأيدي، كقوله تعالى: (بما كسبت أيديكم) أي: بما كسبتم، وقيل: الباء في موضعها، وفيه، حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي: ولا تأخذوا في ذلك، وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للإنسان: ألقى بيده إلا في الشر، واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق، يقول: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل الله، وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقّص، ولا يقولنّ أحدكم: إني لا أجد شيئاً، وقال السدي فيها: انفق في سبيل الله ولو عقلاً ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تقل: ليس عندي شيء، وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال

النصب، أي: فاهد ما استيسر، والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يُهدى إلى بيت الله تقريباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسِكُمْ حَتَّىٰ بَلَغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى (محلّه) حيث يحل ذبحه فيه وقال بعضهم: محل هدي المحصر: الحرم، فإن كان حاجباً فمحلّه يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحلّه يوم يبلغ هديه الحرم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾، معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هوامٍ أو صداع ﴿فَفِدْيَةٌ﴾، فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية يُطعم فرقاً بين ستة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾، أي ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾، أي ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، ﴿أَوْ سُكٍّ﴾، واحداً نسيكة، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيتها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم، إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث يشاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا

أو التقصير، وقال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن تُحرم بهما مُفْرَدَيْنِ مُسْتَأْنَفَيْنِ مِنْ دَوْبِرِيَّةٍ أَهْلَكَ وَقَالَ قَتَادَةُ: تمام العمرة أن تعمر في غير أشهر الحج، فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي تمتعه، وعليه فيه الهدى إن وجدته أو الصيام إن لم يجد الهدى، وتمام الحج أن يؤتي بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عمّا ترك دم بسبب قرآن ولا منعة، وقال الضحاك: إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يُبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود، وإبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، واحتجوا بما روي عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: من كُسر أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل<sup>(١)</sup> وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق. ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: (فما استيسر من الهدى) ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدى عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم ويؤاعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق. ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، أي: فعليه ما تيسر من الهدى، ومحلّه رفع، وقيل: (مَا) في محل

(١) رواه أبو داود في المناسك باب الإحصار ٣٦٨/٢، والترمذي في كتب الحج (٩٦)، باب ما جاء في الذي يُبلى بالحج فيكسر أو يعرج، وأحمد ٤٥٠/٣، والمصنف في شرح السنة ٢٨٨/٧.

من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿بَلَّكَ عَشْرَةَ كَأْمَلَةٍ﴾: ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى، وقيل كاملة شروطها وحدودها، وقيل: لفظه خير ومعناه أمر، أي: فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الحكم، ﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل هم أهل الحرم، وبه قال طاوس، وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان، وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، وذم القرآن كدم التمتع، والمكي إذا قرَن أو تمتع فلا هدي عليه ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: في أداء الأوامر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، على ارتكاب المناهي.

[١٩٧] قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمن قال: عشر عتبر به عن الليالي، ومن قال تسع عتبر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال: (أشهر) بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت، والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فيقول أيتك يوم الخميس،

﴿مَنْ﴾، أي: من خوفكم وبرأتكم من مرضكم، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبدالله بن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرام بعمل عُمرة واستمتع بإحلاله ذلك، فتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم: معناه فإذا أتمتم وقد حللتكم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عمرتكم وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج ثم حللتكم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتكم بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد ابن جبيرة، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق الآفاق في أشهر الحج، ففضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: الهدى ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾، أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يوماً قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرمت بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق، يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحق، قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتكم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد



وإنما أتاه في ساعة منه وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذا القعدة وذا الحجة كماً لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿فَمَنْ وُضَّ فِيهِ مِنَ الْحَجِّ﴾، أي: فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام والتلبية ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ اختلّفوا في الرفث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال طاوس: الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس: هو المعاصي كلها، وهو قول طاوس والحسن وسعيد ابن جبيرة وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهى عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السباب وقال الضحاك هو التنازب بالألقاب ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبيرة وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحج اليوم ويقول بعضهم: الحج غداً، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرّموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا

مَنْ قَلَّدَ الْهَدْيَ»، قالوا: كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة، فكل يقول: ما فعلته فهو الصواب، فقال جلّ ذكره: (ولا جدال في الحج) أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ، فلا اختلاف فيه من بعد ذلك ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به، قوله تعالى: ﴿وَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ الْقَوِيُّ﴾، نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، وربما يُفْضِي بِهِمُ الْحَالُ إِلَى النَّهْبِ وَالْغُصْبِ، فقال الله جلّ ذكره: (وَتَرَوُّدُوا) أي: ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿فَأِنَّ حَيْرَ الزَّادِ الْقَوِيُّ﴾ من السؤال والنهب، ﴿وَأَتَّقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: يا ذوي العقول.

[١٩٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: التجارة في مواسم الحج ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءه، أي: صبّه، ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾، هي جمع عرفة، جُمعت عرفة بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالدعاء والتلبية، ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مَرْمَى عرفة إلى المُحَسَّرِ، وليس المأزمان ولا المحسّر من المشعر الحرام، وسُمي مشعراً من الشعار، وهي

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ  
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ  
يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ  
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ  
عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ  
وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ  
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ  
النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾  
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ سَكَكُم فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ  
آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ  
يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا  
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾  
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعٌ الْحَسَابِ ﴿٢٠٢﴾

وأحسن إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء  
معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء،  
وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا  
بذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر  
الصبي أباه، ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾، وسئل ابن  
عباس عن قوله: ﴿فَإِذْ كُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾  
فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه،  
قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب الله إذا  
عُصِيَ أشد من غضبك لوالديك إذا شَتَمَا، وقوله  
تعالى: ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾ يعني: بل أشد، أي:  
وأكبر ذكراً، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا  
فِي الدُّنْيَا﴾، أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله  
تعالى في الحج إلا الدنيا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
خَلْقٍ﴾: من حظ ونصيب.

[٢٠١] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا

العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من  
المنع، فهو ممنوع أن يفعل فيه ما لم يُؤذن فيه،  
وسمي المزدلفة جمعاً لأنه يُجمع فيه بين صلاة  
المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد  
غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم  
النحر ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾، أي: واذكروه  
بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم  
لدينه ومناسك حجه، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ  
الضَّالِّينَ﴾، أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله  
إلا من الضالين، كقوله تعالى: (وإن نظنك لمن  
الكاذبين)، أي: وما نظنك إلا من الكاذبين،  
والهاء في قوله: (من قبله) راجعة إلى الهدى، وقيل  
إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ  
أَفَاضَ النَّاسُ﴾، قال أهل التفسير كانت قريش  
وحلفاؤها ومن دأن بدينها وهم الحُمس، يقعون  
بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقُطان حرمه،  
فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعظمون أن يقفوا  
مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون  
بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض  
الحُمس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات  
ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم  
أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام  
﴿وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ سَكَكُم﴾،  
أي: فرغتم من حجكم وذبحتم نسائكم، أي:  
ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكاً إذا ذبح  
نسيكته، وذلك بعد رمي جمره العقبة والاستقرار  
بمنى، ﴿فَإِذْ كُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير والتحميد والثناء  
عليه، ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، وذلك أن العرب كانت  
إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت  
مفاخر آبائها، فأمرهم الله بذكره، وقال:  
﴿فَإِذْ كُرُونِي﴾ فأننا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم

الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أراد من نفر الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، فلا إثم عليه، وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات، ورخص في ترك البيوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج، ثم كل من يرمي اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيوتة الليلة الثالثة، ورمي يومها فذلك له واسع، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، يعني: لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخيره، وقيل معناه: فمن تعجل فقد ترخص فلا إثم عليه بالترخص، ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخص، وقيل معناه: رجع مغفوراً له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر ﴿لَمَنْ أَتَقَى﴾، أي: لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً نهاه الله عنها، كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق»، قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: لمن اتقى الصيد، لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تنقضي أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب أئمة أن اتقى فيما بقى من عمره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أبي وسمي الأحنس لأنه حنّس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، يعني: المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة والحدود العين، وقال الحسن: في الدنيا حسنة العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر. وقال السدي وابن حيان: في الدنيا حسنة رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب، وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، وقال عوف: في هذه الآية من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

[٢٠٢] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: حظ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من الخير والدعاء بالثواب والجزاء، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد، ولا وعي صدور ولا إلى رؤية ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر، وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هوأت لا محالة فهو قريب.

[٢٠٣] قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ﴾، يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات، ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار، سميت معدودات لقلتهن، كقوله (دراهم معدودة)، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، ورؤي عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس: المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق، وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٧﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٨﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١١﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٣﴾

[٢٠٦] قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾، أي: خف الله، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾، أي: حملته العزة، حمية الجاهلية على الفعل بالإثم، أي: بالظلم والعزة والتكبر والمنعة، وقيل معناه: أخذته العزة للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام، قوله: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾، أي كافيته، ﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ أي: الفراش، قال عبدالله بن مسعود: إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

[٢٠٧] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: لطلب رضا الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[٢٠٨] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَآفَّةً﴾ نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام النضيري

﴿وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يديني مجلسه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان أعجبني كذا، وفي الكراهية والإنكار: أعجبُ من كذا، ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يعني: قول الأحنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي: شديد الخصومة، يقال: لددت يا هذا وأنت تلد لددًا ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلدّه لداً وتأويله: أنه في أيّ وجه أخذ من يمين أو شمال، في أبواب الخصومة غلب، والخصام: مصدر خاصمه خصامًا ومخاصمةً، قاله أبو عبيدة، وقال الزجاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم: مثل: بحر وبحار وبحور، قال الحسن: ألد الخصام، أي: كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة.

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، أي: أدبر وأعرض عنك، ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، وذلك أن الأحنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، والنسل: نسل كل دابة، والناس منهم، وقال الضحّاك: وإذا تولى، أي: ملك الأمر وصار واليًا سعى في الأرض، قال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: إذا ولي يعمل بالعدوان والظلم، فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، أي: لا يرضى بالفساد.

ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضبابه أبيض، قال الحسن: في ستره من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض، قوله: ﴿وَالْمَلَكُ﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفًا على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ الباقون الرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهاها ويكل علمها إلى الله تعالى، أو يعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة، قال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يُفسر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق، يقولون فيه وفي أمثاله: أمرها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينة: كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره: قراءته والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: وجب العذاب وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿وَالِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

[٢١١] قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: سل يا محمد يهود المدينة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾: أعطينا آباءهم وأسلافهم، ﴿مِنْ ءَايَمٍ بَيْنَهُمْ﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها، وقيل: معناه الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾، يعني: يُغير ﴿نِعْمَةً اللَّهِ﴾: كتاب الله، وقيل: عهد الله، وقيل: من يُبكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ

وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الإبل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلَنَقُمْ بها في صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أي: جميعًا وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافرين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعدّ الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي: آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

[٢٠٩] ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾، ضللتهم، وقيل: ملتهم، يقال: زلت قدمه تزل زلاً وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس، فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجة عليهم، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ آبَيَاتُ﴾، أي: الدلالات الواضحات، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في نعمته، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم ذو الإصابة في الأمر.

[٢١٠] قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان، يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقرونًا بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ﴾، جمع ظلة، ﴿مِنْ السَّمَاوَاتِ﴾، وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي غمامًا لأنه يغم، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب،

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٢﴾.

[٢١٢] ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، الأكثرون على أن المرين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فظفر الخلق بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنهما ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل: نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وخبابا وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذي يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ويسخرون من الذين آمنوا لفقريهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، يعني: كثيرا بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني: من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقتّر على من يشاء ويبسط لمن يشاء، ولا يعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه، فلا يُعترض عليه ولا يُحاسب فيما يرزق، ولا يُقال: لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا، ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَدَ كُلِّ ءَأْتَيْنَهُمْ مِنْ ءَأَيْمٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةً اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٣﴾ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٤﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالنِّسَاءُ وَرَزَلُوا حَقًّا يَقُولُ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٦﴾ سَيْسَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلرَّاهِلِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾

ذاك، وقيل: معناه لا يخاف نفاذ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون بما يخاف من نفاذ خزائنه.

[٢١٣] قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، قال: سمي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا، وكانوا مسلمين إلى أن قتل هابيل فاختلفوا، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن

محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات)، صفة محمد ﷺ في كتبهم، ﴿بَعِيًّا﴾ ظلماً وحسداً ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أي: إلى ما اختلفوا فيه، ﴿مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود القرية، وجعلته النصارى إلهاً، وهدانا الله للحق فيه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾، قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى، كما قال الله تعالى: (وبلغت القلوب الحناجر) [الأحزاب: ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أحد، وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مالٍ وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسروا قوم النفاق، فأنزل الله تعالى تطيباً لقلوبهم (أم حسبتم)، معناه أحسبتم والميم صلة قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾، أي: ولم يأتكم (وما) صلة ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، شبه الذين مضوا، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: من النبيين والمؤمنين، ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾:

نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بعث بعده النبيين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورؤي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي لعنة الله عليه، ورؤي عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عُرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس [آية ١٩] (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين) ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: بالثواب من آمن وأطاع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾، محذرين بالعقاب من كفر وعصى، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب، تقديره: وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصدق، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ﴾ قرأ أبو جعفر (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سعة الكلام، كقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) [الجاثية: ٢٩]، وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه، ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾، أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: أعطوا الكتاب، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: واختلفهم معنيان: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله قال الله: (يُحرفون الكلم عن مواضعه) [النساء: ٤٦] وقيل: الآية راجعة إلى

قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت، ومن قعد فهو عدّة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استعني عنه قعد، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرُّ لَكُمْ﴾، أي: شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة: نسخها قوله تعالى: (سمعنا وأطعنا)، يعني: أنهم كرهوا ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لأنّ في الغزو إحدي الحُسينين إِمَّا الظفر والغنيمة وإِمَّا الشهادة والجنة، ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾، يعني: القعود عن الغزو، ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾: لما فيه من فوات الغنيمة والأجر، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢١٧] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾؟ يعني: رجباً، وسُمي بذلك لتحريم القتال فيه، قوله تعالى: ﴿فِتَالٍ فِيهِ﴾، أي: عن قتال فيه ﴿فُلٍ﴾، يا محمد: ﴿فِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم، تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وصدكم المسلمين عن الإسلام ﴿وَكُفْرًا بِهِ﴾، أي: كفركم بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: بالمسجد الحرام، وقيل: صدكم عن المسجد الحرام، ﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾، أي: إخراج أهل المسجد ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ﴾، أي: الشرك الذي أتم عليه، ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أي: أعظم من القتل في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، يعني: مشركي مكة ﴿يُقَاتِلُونَكَ﴾، يا معشر المؤمنين، ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾: يصرفوكم، ﴿عَنْ دِينِكُمْ﴾ إن استطلعو ومن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ: بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَكِيمُونَ﴾.

الفقر والشدة والبلاء، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾: المرض والزمانة، ﴿وَزُرُلُوًا﴾ أي: حركوا بأنواع البليات والرزايا وخوفوا، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ﴾، ما زال البلاء بهم حتى استبسطوا النصر، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قُرَيْبٌ﴾، قرأ نافع (حتى يَقُولَ الرَّسُولُ) بالرفع، معناه: حتى قال الرسول.

[٢١٥] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيئاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا تنصدق وعلى من نفق؟ فأنزل الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ)، وفي قوله: (مَاذَا) وجهان من الإعراب، أحدهما: أن يكون محله نصباً بقوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾، تقديره أي شيء ينفقون، والآخر: أن يكون رفعاً بـ (مَا) ومعناه: ما الذي ينفقون ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، أي: من مال، ﴿فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالسَّكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، يُجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

[٢١٦] قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، أي: فرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال عطاء: الجهاد تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري، واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) [النساء: ٩٥] ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن بعده الحُسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة وقال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، مثل صلاة الجنائز ورَدُّ السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس عَزَوْا أو



[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ ،  
فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿وَجَاهِدُوا﴾ ،  
المشركين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعة الله ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ  
رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ، أخبر أنهم على رجاء الرحمة ﴿وَاللَّهُ  
عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

[٢١٩] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ  
وَالْمَيْسِرِ﴾ ، الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ  
ابن جبل ونفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله ﷺ  
فقالوا: يا رسول الله أفنتا في الخمر والميسر فإنهما  
مذهبة للعقل مشلبة للمال، فأنزل الله هذه الآية،  
وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله  
المفسرون: إن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت  
بمكة وهي: (ومن ثمرات النخيل والأعناب  
تتخذون منه سكرًا ورزقًا) فكان المسلمون يشربونها  
وهي حلال يومئذ، ثم نزلت هذه الآية في مسألة  
عمر ومعاذ بن جبل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فتركها قوم لقوله ﴿إِثْمٌ  
كَبِيرٌ﴾ ، وشربها أقوام لقوله: ﴿وَمَنْعُفٌ لِلنَّاسِ﴾ ثم  
أنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا  
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)  
[النساء: ٤٣] فحرّم السكر في أوقات الصلاة، فلما  
نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء  
يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات  
الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة فقال عمر:  
اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى  
تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله تعالى:  
(فهل أنتم متتهون) فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا  
يا رب. قوله تعالى: (والميسر) يعني: القمار  
والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاوس  
وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من  
الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب،  
وروي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج  
أنهما من الميسر، (قل فيهما إثمٌ كبيرٌ): وزر عظيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ٣٤  
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا  
شَيْعًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْعًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ  
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَعَن سَبِيلَ اللَّهِ  
وَكَفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَأَلْفَتْهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ  
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ  
مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  
هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ  
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعُفٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا  
أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ  
كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾

من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع  
للناس)، فمففعة الخمر اللذة عند شربها والفرح  
واستمتاع الطعام، وما يصيبون من الربح بالتجارة  
فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كد ولا  
تعب، وارتفاع الفقراء به، والإثم فيه أنه إذا ذهب  
ماله عن غير عوض ساء ذلك فعادى صاحبه  
فقصده بالسوء، ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ ، قال  
الضحاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من  
نفعهما قبل التحريم، هو ما يحصل به من العداوة  
والبغضاء. قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾؟  
وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة،  
فقالوا: ماذا نُنفق؟ فقال: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ ، قرأ أبو  
عمرو والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق (العفو)  
بالرفع، معناه أي: الذي ينفقون هو العفو، وقرأ  
الآخرون بالنصب على معنى: قل: أنفقوا العفو،

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٣٥

الْمُشْرِكِينَ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِحْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾  
 وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مُمْسِكَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلِعَبَدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ مِمَّا عَفَرُوا لَوْلَا إِتْسَاءُ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُوهُمْ حَتَّىٰ يَطْهُرُوا فَإِذَا تَطَهَّرُوا فَأَوْهُمْ إِنْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾  
 نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ تَشْتُمُوا وَقَدْ مَوَّلَ أَنْفُسَكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾، أي: لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً لكم، وأصل العنت: الشدة والمشقة، ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾، أي: عزيز في سلطانه وقدرته على الإعانات ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعانات.

[٢٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ قيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات، لقوله تعالى: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) [المائدة: ٥] وبخبر رسول الله ﷺ وبإجماع الأمة، روى الحسن بن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» فإن قيل: كيف أطلقتكم

واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فُضِّلَ عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نُسخَ بآية الزكاة، وقال مجاهد: معناه التصديق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس، وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار وقال طاوس: ما يَسْرُ، والعفو اليسر من كل شيء ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، قيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحسبون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا، وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى، وقال أكثر المفسرين معناها: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وقيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فترهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها. قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض خير وأعظم أجراً لمالكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يُوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾، هذه إباحة المخالطة، أي: إن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوا بأموالهم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم، ﴿فَإِحْوَانُكُمْ﴾، أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾: لأموالهم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: لها، يعني: الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وإفساد مال

اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن بن فارس: لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد ابن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان تزوج نائلة بنت فرافصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبدالله نصرانية ﴿وَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: بجمالها ومالها، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، هذا إجماع لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ﴾، يعني المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَعْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾، أي: بقضائه وقدره وإراداته، ﴿وَيَسِّرُ لِمَن يَشَاءُ الْيُسْرَىٰ لِلنَّاسِ﴾، أي: أوامره ونواهيها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون.

[٢٢٣] قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستقلبات، و(أنى) حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة أنى شئتم: إنما هو الفرج، ومثله لكم أي: مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾، قال عطاء: التسمية عند الجماع، قال مجاهد: وقدموا لأنفسكم يعني: إذا أتى أهله فليدع وقيل: قدموا لأنفسكم يعني: طلب الولد وقيل: هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحاً وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم يعني: الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ﴾: صائرون إليه فيجزىكم بأعمالكم، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى، يدعى أحذكم إلى صلة رحم

[٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: عن الحيض، وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً، كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أي: قدر، والأذى كل ما يُكره من كل شيء، ﴿فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أراد بالاعتزال ترك الوطء، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ أي: لا تجامعوهن، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخفف، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن، ﴿فَإِذَا نَطَّهَرْنَ﴾ يعني: اغتسلن ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾، أي: فجامعوهن، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قال مجاهد وقتادة وعكرمة وقال ابن عباس: طؤوهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، أي: اتقوا الأدبار، وقيل: من حيث بمعنى في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج، وقيل: فأتوهن

فهو يمين اللغو عندهم.

[٢٢٦] قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، يؤلون أي: يحلفون، والآية: اليمين، والمراد من الآية اليمين على ترك وطء المرأة قال سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوج بها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلاً في الإسلام قوله تعالى: (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)؛ أي: انتظار أربعة أشهر، والتربص: الثبت والتوقف، ﴿فَإِن فَاءُوا﴾: رجعوا عن اليمين بالوطء، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾، وإذا وطئ في الفرج عن الإيلاء، وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾، وذلك عند الأكثرين في سقوط العقوبة لا في الكفارة.

[٢٢٧] ﴿وَإِن عَرِمُوا طَلَّاقٌ﴾، أي: حققوه بالإيقاع، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنيانهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فدل على أنه يقضي مسموعاً، والقول هو الذي يسمع.

[٢٢٨] قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ﴾، أي: المخليات من حبال أزواجهن، ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، فلا يتزوجن، والقروء: جمع قرء مثل قرع، وجمعه القليل: أقرؤ، والجمع الكثير: أقرأء، واختلف أهل العلم في القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، واحتجوا بأن النبي ﷺ قال

أو بر، فيقول: حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر، ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾، معناه: أن لا تبروا، كقوله تعالى: (يبين الله لكم أن تضلوا) أي: لئلا تضلوا، ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٢٥] قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْنِيكُمْ﴾ اللغو كل ساقطٍ مطروح من الكلام لا يُعتد به، واختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية، فقال قوم: هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقدٍ وقصد، كقول القائل لا والله وبلى والله وكلاً والله، ويروى عن عائشة أيمان اللغو: ما كانت في الهزل والمرء والخصومة، والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يحلف عن شيء يرى أنه صادق فيه، ثم يتبين له خلاف ذلك، وقال علي: الغضب، وقال سعيد بن جبير: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذها الله بالحنث فيها، وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه، كقول الإنسان: أعمى الله بصري أن أفعل كذا، فهذا كله لغو لا يؤاخذها الله به، ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ﴾، أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب: العقد والنية، ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾، واعلم أن اليمين لا تتعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول: والذي أعبده والذي أصلي له والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله: والله والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله ونحوهما، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل، فحنث يجب عليه الكفارة، وإذا حلف على أمر ماضٍ أنه كان ولم يكن، أو على أنه لم يكن وقد كان، إن كان عالمًا به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر وإن كان جاهلاً

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٩﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَرْهِيصٌ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَأَوْقَاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣٠﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ یُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ وَیُعَوِّلَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِیْ عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَیْهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِیزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٢﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا یَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِأَمْوَالِ امْتِنْتُمْوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ یَخَافَا أَلَّا یُقِیْمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا یُقِیْمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَیْهِمَا فِیْمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ یَعْتَدِ حُدُودَ اللَّهِ فَاولَتْکَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٣﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلاَ یَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَیْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَیْهَا أَنْ یرَاجِعَا إِنْ طَنَّا أَنْ یُقِیْمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ یُبَیِّنُهَا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ ﴿٢٣٤﴾

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ﴿٢٣٠﴾ وللرجال عليهن درجة ﴿٢٣١﴾، قال ابن عباس: لما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة: بالجهد، وقيل: بالعقل، وقيل: بالشهادة، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل: بالرجعة، وقال سفيان وزيد ابن أسلم: بالإمارة، وقال القتيبي: (ولللرجال عليهن درجة) معناه: فضيلة في الحق، ﴿٢٣٢﴾ والله عزير حكيم ﴿٢٣٣﴾.

[٢٢٩] قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها كذلك (١) رواه البخاري في الطلاق ٣٤٥/٩ ومسلم في الطلاق رقم (١٤٧١) ١٠٩٣/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٠٢/٩.

للمستحاضة: «دعي الصلاة أيام أقرائك»، وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها، وذهب جماعة إلى أنها الأطهار، وهو قول زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي ﷺ: «مره فليراجعها حتى تطهر، ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» (١) فأخبر أن زمان العدة هو الطهر ﴿٢٣٠﴾ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴿٢٣١﴾، قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها، فتقول قد حضت الثلاثة، وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية: لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد. ﴿٢٣٢﴾ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢٣٣﴾، معناه: أن هذا من فعل المؤمنات، وإن كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء، كما تقول: أدحقي إن كنت مؤمنة، يعني: أداء الحقوق من فعل المؤمنين ﴿٢٣٤﴾ وَيُعَوِّلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾، يعني: أزواجهن جمع بعل، كالفحولة جمع فحل، سُمي الزوج بعلًا لقيامه بأمور زوجته، وأصل البعل السيد والمالك ﴿٢٣٦﴾ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴿٢٣٧﴾: أولى برجعتهن إليهم، ﴿٢٣٨﴾ فِي ذَلِكَ ﴿٢٣٩﴾، أي: في حال العدة، ﴿٢٤٠﴾ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴿٢٤١﴾، أي: إن أرادوا بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة لا الإضرار، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كالرجل يطلق امرأته، فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدة ثم طلقها، فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها، ﴿٢٤٢﴾ وَلَهُنَّ ﴿٢٤٣﴾، أي: للنساء على الأزواج ﴿٢٤٤﴾ مِثْلُ الَّذِیْ عَلَیْهِنَّ ﴿٢٤٥﴾ للأزواج ﴿٢٤٦﴾ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٤٧﴾، قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي، لأن الله تعالى قال:

يأخذ من امرأته شيئاً مما آتاها إلا يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، أي: فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله: (عليهما) الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما، كقوله تعالى: (نسيا حوتهما) وإنما الناسي فتى موسى دون موسى، وقيل: أراد أنه لا جناح عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت به المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، وعلى الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطها، وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطها من المهر، وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطها بل يترك شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز، غير أنه يُكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجَاوَزُوا مَا آتَى الْفَوَاحِشَ مِنْ ذُلِّ النَّسَاءِ لِهِنَّ وَقُلْنَ لَهُنَّ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾، أي: هذه أوامر الله ونواهيها، وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه، ﴿فَلَا تَعْتَدُوها﴾، فلا تجاوزوها، ﴿وَمَنْ يَعْذُ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٣٠] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾، يعني: الطلقة الثالثة، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾، أي: من بعد الطلقة الثالثة، ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾، يعني: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما جامعها فلا جناح عليهما، يعني: على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، يعني: بنكاح جديد ﴿إِنْ طَلَّقَا﴾، أي: علماً، وقيل: رجوا، لأن أحداً لا يعلم ما هو

ثم راجعها، بقصد مضاررتها، فنزلت هذه الآية: ﴿أَطْلَقَ مَرَّتَانِ﴾، يعني: الطلاق الذي يملك الرجعة عقبية مرتان، فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَأَمْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَمَا تَسْتَغِيحُونَ﴾، قيل: أراد بالإمسك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه الإمساك بعد الرجعة، يعني: إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وهو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾: أعطيتموهن شيئاً من المهور وغيرها، ثم استثنى الخلع، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: نزلت في جميلة بنت عبد الله ابن أبي أوفى، ويقال في حبيبة بنت سهل، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه وهو يُحبها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وقالت: يا رسول الله لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس، قال ثابت: يا رسول الله قد أعطيتها حديقة فقل لها تردها عليّ وأخلي سبيلها، فقال لها: تردين عليه حديقته وتملكين أمرك، قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابتُ خذْ منها ما أعطيتها، واخلِّ سبيلها» ففعل<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾، أي: يعلما أن لا يقيما حدود الله، قرأ أبو جعفر وحمة ويعقوب (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) بضم الياء، أي: يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والوالي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا، وقرأ الآخرون (يخافا) بفتح الياء، أي: يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله، تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن

(١) رواه مختصراً أبو داود في الطلاق ١٤٣/٣، والنسائي في الطلاق ١٨٦/٦ وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.

يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجْلِهِنَّ﴾، أي:

انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾،

أي: لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع،

وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة: إذا

نشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج، والداء

العضال الذي لا يطاق علاجه ﴿إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ﴾، بعقد حلال ومهر جائز، ﴿ذَلِكَ﴾، أي:

الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وإنما قال ذلك موحدًا والخطاب

للأولياء، لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم

﴿ذَلِكَ أَرْكَبُكُمْ﴾، أي: خير لكم، ﴿وَأَطَهَّرُ﴾:

لقلوبكم من الريبة وذلك أنه كان في نفس كل واحد

منهما علاقة حيث لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير

ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق

إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من

ذلك فيأثمون، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،

أي: يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا

تعلمون أتم.

[٢٣٣] قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾،

أي: المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن

(يُرْضِعْنَ) خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا

أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان

يوجد من يرضع الولد، لقوله تعالى في سورة

الطلاق: (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُمْ) فإن

رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها،

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، أي: سنتين، وذكر الكمال

للتأكيد، كقوله تعالى: (تلك عشرة كاملة) وقيل:

إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمى بعض الحول

حولًا وبعض الشهر شهرًا، كما قال الله تعالى:

(الحج أشهر معلومات)، وإنما هي شهران وبعض

الثالث، وقال: (فمن تعجل في يومين فلا إثم

عليه)، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام

كائن إلا الله عز وجل، ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، أي:

يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال

مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير

دلسة، وأراد بالدلسة: التحليل، وذهب جماعة إلى

أنه إذا لم يشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها،

فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل، ولها صداق

مثلها غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك ﴿وَتِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، يعني يعلمون ما

أمرهم الله تعالى به.

[٢٣١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ

أَجْلِهِنَّ﴾، أي: أشرفن على أن تبين بانقضاء العدة،

ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت

لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة،

وفي قوله تعالى بعد هذا (فَلَبَنَ أَجْلِهِنَّ فَلَا

تَعْضُلُوهُنَّ)، حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول

المعنيين، يقال: بلغت المدينة إذا قربت منها إذا

دخلتها، ﴿فَأَسْكُوهُنَّ﴾، أي: راجعوهن،

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ قيل: المراجعة بالمعروف أن يشهد على

رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطاء، ﴿أَوْ

سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: اتركوهن حتى تنقضي

عدتهن فيكن أملك لأنفسهن، ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا

لِنَعْتِدُوا﴾، أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة

بتطويل الحبس، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾،

أي: أضر بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى، ﴿وَلَا

تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ قال الكلبي: يعني قوله

تعالى: (فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ)،

وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله

هزوعًا، وقال أبو الدرداء: هو أن الرجل كان يطلق

امرأته ثم يقول كنت لأعبًا، ويعتق ويقول مثل

ذلك، وينكح ويقول مثل ذلك ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ﴾: بالإيمان ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾،

يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: السنة، وقيل:

مواعظ القرآن ﴿يَعْظُرُكُمْ بِهِ وَآتَقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ

سورة البقرة

٣٧

سورة البقرة

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ  
 سَرَوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُوْنَ وَأَمَّنْ يَفْعَلْ  
 ذَلِكَ فَقَد ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا نَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا  
 يَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ  
 يُعَظِّمُ بِهَيِّؤُوا تَقْوَى اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾  
 وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ  
 أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ  
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ لَكُمْ وَأَطْهَرُوا لِلَّهِ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ  
 حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِذْوَانٌ  
 وَكِسْوَةٌ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا وَلَا تَضَارُّ  
 وَالِدَةٌ يُؤَلِّدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولِدُهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ  
 فَإِنْ أَرَادَ إِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ  
 أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا  
 آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾

الباقي من والدي المولود، بعد وفاة الآخر عليه، مثل ما كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة، وقيل: ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي، والزهري، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾، يعني: الوالدين، ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا قبل الحولين ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا﴾، أي: اتفاق الوالدين، ﴿وَشَاوِرًا﴾، أي: يشاورون أهل العلم به حتى يُخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، أي: لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، أي: لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم، أو تعذر لعلة بهن أو انقطاع لبن أو أردن النكاح، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾، إلى أمهاتهم، ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾، ما سميت

فلان بموضع كذا حولين، وإنما أقام به حولًا وبعض آخر، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرًا، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾، أي: هذا منتهى الرضاعة، وليس فيها دون ذلك حدٌ محدود، وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به. ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾، يعني: الأب، ﴿رِذْوَانٌ﴾: طعامهن، ﴿وَكِسْوَةٌ لَهُنَّ﴾: لباسهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: على قدر الميسرة، ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا﴾، أي: طاقتها، ﴿لَا تَضَارُّ وَالِدَةٌ يُؤَلِّدُهَا﴾ فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولِدُهَا﴾، أي: لا تلقية المرأة إلى أبيه بعدما ألفتها تضارته بذلك، وقيل: معناه لا تضار والدة فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقيل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها، ولا مولود له بولده، فيحتمل أن يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع الولد من غيرها وعلى هذه الأقوال يرجع الضرر إلى الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرر راجعًا إلى الصبي، أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، ولا تُرضعه الأم حتى يموت، أو لا يُنفق الأب، أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا تكون الباء زائدة، ومعناه: لا تضار والدة ولدها، ولا أب ولده، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، يكون أجره رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل: هو



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٢٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ  
 أَرْبَعَةً أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ  
 فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ  
 ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ  
 أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَدْرُوْنَهُنَّ  
 وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا  
 وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ  
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْعَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ  
 مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ  
 قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْدَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ  
 ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ  
 لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا  
 الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى  
 وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

الولي، وقيل: فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق ففيها نظر، فإن كانت رجعية لا إحداد عليها في العدة، لأن لها أن تضع ما يشوق قلب الزوج إليها ليُراجعها، وفي الباتنة بالخلع والطلقات الثلاث قولان، أحدهما: الإحداد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها، وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

[٢٣٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، أي: النساء المعتدات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة،

لهن من أجره الرضاع، بقدر ما أرضعن، وقيل: إذا سلمتم أجور المراضع إليهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، قرأ ابن كثير (ما أتيتم) وفي الروم (وما أتيتم من ربا) بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، يقال: أتييت جميلاً إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والالتقياد، لا بمعنى تسليم الأجرة، يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه، وقيل: إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٣٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾، أي: يموتون ويتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفى: أخذ الشيء واقباً، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: يتركون أزواجاً، ﴿يَرِضْنَ﴾: ينتظرن، ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، أي: يعتدون بترك الزينة والطيب والنقطة على فراق أزواجهن هذه المدة، إلا أن يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولاً كاملاً لقوله تعالى: (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج)، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشراً وإنما قال عشراً بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي، لأن العرب إذا أبهمت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي، فيقولون صمنا عشراً، والصوم لا يكون إلا بالنهار، وقال المبرد: إنما أنت العشر لأنه أراد المدة، أي: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة، وإذا كان المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما: أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، خطاب للأولياء، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾، أي: من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى

تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، فيقول: آتيك الأربعة والخمسة، وأشباه ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾، أي: لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى تنقضي العدة، وسماها الله: كتابًا، لأنها فرض من الله، كقوله تعالى: (كَتَبَ عَلَيْكُمْ) أي: فرض عليكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أي: فخافوا الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

[٢٣٦] وقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسهَا، فنزلت هذه الآية (أو تفرضوا لهن فريضة) أي: توجبوا لهن صداقًا، فإن قيل: فما الوجه في نفي الجُنَاح عن المطلق؟ قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة، وجاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»، فنفي الجُنَاح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس، والفرض بصدق ولا نفقة، وقيل: لا جُنَاح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شتمت حائضًا كانت المرأة أو طاهرًا لأنه لا سُنَّة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها، بخلاف المدخول بها، فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾، أي: أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع: ما يُبْلَغُ به من الزاد، ﴿عَلَىٰ التَّوَسُّعِ﴾، أي: على الغني، ﴿قَدَرُهُ﴾ وَعَلَىٰ التَّقْتِرِ، أي: الفقير، ﴿قَدَرُهُ﴾، أي: إمكانه وطاقته (مَتَاعًا) نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: متعوهن، ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: بما أمركم الله به

وهو أن يقول: رَبُّ رَاغِبٍ فِيكَ، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك عليّ لكريمة، وإني فيك لراغب، وإنّ من غرضي أن أتزوج، وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتُك لأحسنن إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني، والمرأة تحبّه بمثلها إن رغبت فيه والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة يُنظر إن كانت ممن لا يحل لمن بانّت من نكاحها كالمطلقة ثلاثًا، والمُبَانَةُ بِاللِّعَانِ وَالرِّضَاعِ، فإنه يجوز خطبتها تعريضًا، وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها، يجوز لزوجها خطبتها تعريضًا وتصريحًا، وهل يجوز للغير تعريضًا؟ فيه قولان، أحدهما: يجوز كالمطلقة ثلاثًا، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالجارية لا يجوز للغير تعريضًا بالخطبة، وهو قوله تعالى: (مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) التماس النكاح وهي مصدر خَطَبَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَخْطُبُ خِطْبَةً، وقال الأخفش: الخِطْبَةُ الذَّكْرُ وَالخِطْبَةُ التَّشْهَدُ، فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، من نكاحهن، يقال: أكننت الشيء وكننته لغتان، وقال ثعلب: أكننت الشيء، أي: أخفيت في نفسي وكننته سترته، قال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: بقلوبكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾، اختلفوا في السر المنهي عنه، فقال قوم: هو الزنا، قال زيد بن أسلم: أي: لا ينكحها سرًّا فيمسكها فإذا حلّت أظهر ذلك، وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي: لا يُؤخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة، قال الشافعي: السرّ هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا

من غير ظلم، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٢٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، فلها نصف المفروض وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع وقوله تعالى: (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) أي: سميتم لهن مهراً فنصف ما فرضتم، أي: لها نصف المهر المُسَمَّى، ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتَنَّ﴾، يعني: النساء، أي: إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، اختلفوا فيه فذهب بعضهم: إلى أن الذي بيده عُقْدَةُ النكاح هو الولي، معناه: أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو أو يعفو وليها، فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرًا، أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرًا، فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عُقْدَةُ النكاح هو الزوج وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرًا كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، كما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية: الذي بيده عُقْدَةُ النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾، أي: والعفو أقرب للتقوى أي: إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعاً، لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا، كانت الغلبة للمذكر، معناه، وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أي: إفضال بعضكم على

بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً على الإحسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٣٨] قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، أي: واطبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها، وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، ووُسْطَى تأتيث الأوسط، ووَسَطَ الشيء: خيره وأعدله، واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر، رواه جماعة من رسول الله ﷺ، وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها، وقال بعضهم: إنها صلاة العشاء، وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهما الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها. قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾، أي: مطيعين، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت السكوت عمّا لا يجوز التكلم به في الصلاة وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع، وغض البصر، والركود وخفض الجناح وقيل: المراد من القنوت طول القيام وقيل: قانتين أي: داعين وقيل: معناه مصلين.

[٢٣٩] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، معناه: إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقّها لخوف، فصلّوا مشاةً على أرجلكم أو ركباناً على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمُسايفة يصلي حيث كان وجهه، راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة، وغير مستقبلها،

الْبَقَرَةُ

٣٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَاللَّمْطَلَقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَتَلَبَّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

زوجها حولًا غير واجب عليها، خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولًا ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى، إلى أن نسخه بأربعة أشهر وعشرًا، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٤١] ﴿وَاللَّمْطَلَقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، إنما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: (ومتَّعهنَّ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) إلى قوله: (حقًا على المحسنين) قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت وإن لم أر ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: (وَاللَّمْطَلَقَاتِ مَتَّعٌ)، جعل المتعة لهن بلام التملك، وقال: (حقًا على المتقين) يعني: المؤمنين المتقين الشرك.

ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصد سبَّ أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا أمامه مُصليًا بالإيماء يجوز، والصلاة في حال الخوف على أقسام، فهذه أحد أقسام شدة صلاة الخوف ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ﴾، أي: فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٤٠] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم﴾: يا معشر الرجال، ﴿وَيَدْرُُونَ﴾، أي: يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: زوجات، ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، قرأ أهل البصرة ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب على معنى: فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع، أي: كتب عليكم الوصية ﴿مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، متاعًا نصب على المصدر، أي: متَّعوهنَّ متاعًا، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعًا، والمتاع: نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنيها وما تحتاج إليه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، نُصِبَ على الحال وقيل: بنزع حرف على الصفة، أي: من غير إخراج وكانت عِدَّة الوفاة في ابتداء الإسلام حولًا كاملًا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنيها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، لم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها، فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، ففسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثلث، ونسخ عِدَّة الحول بأربعة أشهر وعشرًا. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾، يعني: من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِن مَّعْرُوفٍ﴾، يعني: التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان، أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج، لأن مقامها في بيت

والمحتاجين من خلقه وقوله عز وجل: (يُقْرِضُ الله) أي: ينفق في طاعة الله قرصًا حسنًا، قال الحسين ابن علي الواقدي يعني: محتسبًا طيبةً به نفسه. قال ابن المبارك: من مالٍ حلالٍ، وقال لا يمن به ولا يؤذي ﴿فِيضَعْفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال السدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْطِئُ﴾ قيل: يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير، ويبسط بالتوسيع وقيل: يقبض بقبول التوبة والصدقة، ويبسط بالخلف والثواب، وقيل: هو الإحياء والإاماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرًا ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾، أي: إلى الله تعودون فيجزئكم بأعمالكم، وقال قتادة، الهاء راجعة إلى التراب كنايةً من غير مذكور أي: من التراب خلقهم وإليه يعودون.

[٢٤٦] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، والملا من القوم: وجوههم وأشرفهم، وأصل الملا: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيول والجيش، وجمعه أملاء، ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، أي: من بعد موت موسى، ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهْمُ﴾، واختلّفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقال السدي: اسمه شمعون وقال سائر المفسرين هو أشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى أشمويل نبيًا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لأشمويل: ﴿أَبَعَثَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك، ﴿فَقَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾، استفهام شك،

[٢٤٤] ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٢٤٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ (ألم تر) أي: ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب، وقال أهل المعاني: هو تعجب يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان ﴿وَهُمْ أَوْفُوا﴾، جمع ألف، وقيل: مؤتلفة قلوبهم جمع ألف، مثل قاعد وقعود، والصحيح: أن المراد منه العدد، ﴿حَدَرَ الْمَوْتِ﴾، أي: خوف الموت، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، أمر تحويل، كقوله تعالى: (كونوا قردة خاسئين)، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بعد موتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، قيل هو على العموم في حق الكافة، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

[٢٤٤] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة الله أعداء الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا، أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارًا من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يُجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد.

[٢٤٥] قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما عد لهم من الثواب قرضًا، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ، وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض لأنه يقطع به من ماله شيئًا يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض عباد الله

الْبَقَرَةُ

٤٠

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

اصْطَفَاهُ: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وقيل: إنه أتاه الوحي حين أوتي الملك، وقال الكلبي: (وَزَادَهُ بَسْطَةً) فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل: العالم بما كان، والعليم بما يكون، فقالوا له: فما آية ملكه فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت.

[٢٤٨] فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾، وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه

يقول: لعلكم ﴿إِنْ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْقَاتُلُ، من ذلك الملك، ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، أن لا تُفُوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل، فحذف في، وقال الفراء: أي: وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقال الأخفش: أن ههنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾، أي: أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية: أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فطبع ربنا في الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، وذلك أن أشمويل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، أي: من أين يكون له الملك علينا؟ ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾: أولى ﴿بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾؟ إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط النوبة وسبط المملكة ولم يكن طالوت من أحدهما، إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك قالوا: هو فقير، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ  
 مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ عُرقَةً يَدِيهِ فَمَشَى بِهَا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا  
 مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا  
 لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ  
 يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتْنَةٍ فَلَئِنَّ  
 عَلَيْهِمْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾  
 وَلَمَّا بَرَّرُوا لِبِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ  
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
 الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ  
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
 بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو  
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ  
 تَنْوِّهًا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

بِالْجُنُودِ، أي: خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصًا إلى غيره، فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفًا وكان في حراً شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم، فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادعُ الله أن يُجري لنا نهراً، ﴿قَالَ﴾ طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾: مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم، (بنهر) قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة: نهر بين الأردن وفلسطين عذب، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: من أهل ديني وطاعتي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يشربه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ عُرقَةً يَدِيهِ﴾: الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة بالفتح: الاغتراف، فالضم اسم والفتح مصدر،

صورة الأنبياء عليهم السلام فكان عند آدم إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل وكان فيه ما ذكر الله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، اختلفوا في السكينة ما هي؟ فقيل هي ريح خجوج هفاقة وقيل: شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة فكانوا إذا سمعوا صوته يتقنوا بالنصرة وقيل: هي طشت من ذهب من الجنة وقيل: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وقيل: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها وقيل: طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا، ﴿وَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكْنَا آلَ مُوسَىٰ وَآلَ هَارُونَ﴾، يعني: موسى وهارون نفسهما، كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه، وقفير من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالة فغلبهم على التابوت ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أي: تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعه بينهم، وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه خلفه موسى فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعِبْرَةٍ﴾: لعبرة، ﴿لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية، وإنهما يخرجان قبل يوم القيامة.

[٢٤٩] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ

الملك والنبوة، ولم يكن كذلك من قبل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَكًا يَشْكَا﴾، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل: منطلق الطير وكلام الجعل والنمل والذر وما أشبهها مما لا صوت لها، وقيل: هو الزبور، وقيل: هو الصوت الطيب والألحان ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، أي: كلمه الله تعالى يعني: موسى عليه السلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، يعني: محمداً ﷺ ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد الرسل، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَنَاتُ وَلَكِنْ أَخْلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾، ثبت على إيمانه بفضل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، بخذلانته، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، يوفق من يشاء فضلاً ويخذل من يشاء عدلاً.

[٢٥٤] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا فداء فيه، سمي بيعاً لأن الفداء شراء نفسه،

﴿فَقَتَرُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لما وصلوا إلى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش شرب منه الكل إلا القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه، وعبر النهر سالمًا وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش، فلم يحضر القتال إلا الذين لم يشربوا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزُوهُ﴾، يعني: النهر ﴿هُوَ﴾، يعني: طالوت، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، يعني: القليل، ﴿قَالُوا﴾، يعني: الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يستيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ﴾، وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾: جماعة، وهي جمع لا واحد له من لفظه، وجمعتها فئات وفؤن، في الرفع، وفئين في الخفض والنصب، ﴿قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِيهَا كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ﴾: بقضائه وقدره وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالنصر والمعونة.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾، يعني: طالوت وجنوده، يعني: المؤمنين، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ المشركين، ومعنى برزوا: صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَاءً﴾: أنزل واصصب ﴿صَبْرًا وَتَسْتِمْ أَقْدَامَنَا﴾: قو قلوبنا، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ يَأِذِنُ اللَّهُ﴾، أي: بعلم الله تعالى، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: النبوة، جمع الله لداود بين



﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾، ولا صداقة ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾، إلا بإذن الله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

[٢٥٥] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى القيوم قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس، وقيل: هو القائم بالأمر، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السنة النعاس، وهو النوم الخفيف، الوَسْنَانُ بين النَّائم واليقظان، يقال منه وَسِنٌ وَسِنٌ وَسَنًا وَسِنَّةً، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزه عن الآفات، ولأنه تُغَيَّرُ ولا يجوز عليه التغير ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكًا وخلقًا، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ما بين أيديهم، يعني: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم ما كان قبل الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، أي: من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أن يطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال الله تعالى: (فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: سعته مثل سعة السموات والأرض ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾، أي: لا يُثْقَلُهُ ولا يشق عليه، يقال: أدني الشيء أي أثقلني،

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾، ولا صداقة ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾، إلا بإذن الله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

[٢٥٥] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى القيوم قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس، وقيل: هو القائم بالأمر، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السنة النعاس، وهو النوم الخفيف، الوَسْنَانُ بين النَّائم واليقظان، يقال منه وَسِنٌ وَسِنٌ وَسَنًا وَسِنَّةً، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزه عن الآفات، ولأنه تُغَيَّرُ ولا يجوز عليه التغير ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكًا وخلقًا، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ما بين أيديهم، يعني: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم ما كان قبل الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، أي: من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أن يطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال الله تعالى: (فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: سعته مثل سعة السموات والأرض ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾، أي: لا يُثْقَلُهُ ولا يشق عليه، يقال: أدني الشيء أي أثقلني،

﴿حَفِظَهُمَا﴾، أي: حفظ السموات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلي بالملك والسلطنة، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

[٢٥٦] قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناءنا وإخواننا، فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُوا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٤٠٩/٥، والبيهقي في السنن

سورة البقرة

٤٣

سورة البقرة

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ أَلَّذِى يُحْيِى  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى  
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى  
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ  
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ  
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مائةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ  
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مائةَ عَامٍ  
فَأَنْظَرِ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرِ إِلَى  
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرِ إِلَى  
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لِحْمًا فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

نمرود، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿أَنَّ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك فطغى أي: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ فقال: (ربى الذى يحيى ويميت)، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمن أتاه، فقال له نمرود: من ربك؟ قال: (ربى الذى يحيى ويميت) فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئاً قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ

معهم ولندين بدينهم، فمنعهم أهلوه، فنزلت الآية ﴿فَدَبَّيْنِ الرُّسْدِ مِنَ الْغَيِّ﴾، أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، يعني بالشیطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: ما يطغى الإنسان فاعول، من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدل من هاء التانيث، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تأنث الأوتق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لدعائك إياهم إلى الإسلام، ﴿عَلِيمٌ﴾: بحرصك على إيمانهم.

[٢٥٧] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدى: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام: (وجعل الظلمات والنور) فالمراد منه: الليل والنهار، سُمي الكفر ظلمة لانتباس طريقه، وسُمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، قال مقاتل: يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿٢٥٩﴾، وهذا جواب سؤال غير  
مذكور تقديره: قال له من ربك؟ قال إبراهيم:  
﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، ﴿قَالَ﴾ ﴿نَمْرُودُ﴾ ﴿أَنَا  
أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال أكثر المفسرين: دعا نمروود  
برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل  
إماتة، وترك القتل إحياء، فانتقل إبراهيم إلى حجة  
أخرى ليعجزه، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد  
بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأحيي من  
أمت إن كنت صادقاً، فانتقل إلى حجة أخرى  
أوضح من الأولى ﴿قَالَ﴾ ﴿إِزْهَيْهُمْ﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي  
كَفَرُ﴾، أي: تحير ودُهِش وانقطعت حجته ﴿وَاللَّهُ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٥٩] قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾،  
وهذه الآية مسوقة على الآية الأولى، تقديره: ألم  
تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت  
كالذي مرَّ على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت  
كالذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مرَّ  
على قرية؟ واختلفوا في ذلك المارِّ، فقال قتادة  
وعكرمة والضحاك: هو عزيز بن شرحيا، وقال  
وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط  
هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر شك  
في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب  
وعكرمة وقاتدة: هي بيت المقدس، وقال  
الضحاك: هي الأرض المقدسة وقيل: هي الأرض  
التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم  
ألوف، وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين  
من بيت المقدس، ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، يقال:  
خوي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصوراً إذا  
سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدوداً إذا خلا،  
﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: سقفها، واحداً عرش، وقيل:  
كل بناء عرش، ومعناه أن السقوف سقطت ثم  
وقعت الشياطين عليها، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

مَوْتِهَا﴾، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾، أي:  
أحياه، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، أي: كم مكثت؟ يقال:  
لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله: كم لبثت ﴿قَالَ﴾  
﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في  
أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل  
غيبوبة الشمس، فقال كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً  
وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى  
بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، بل  
بعض يوم، ﴿قَالَ﴾ ﴿لَهُ الْمَلِكُ﴾: ﴿بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ  
عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾، يعني: التين،  
﴿وَسْرَابِكِ﴾، يعني العصير، ﴿لَمْ يَنْسَنَّهُ﴾، أي:  
لم يتغير، فكان التين كأنه قُطف من ساعته،  
والعصير كأنه عُصر من ساعته، قال الكسائي: كأنه  
لم تأت عليه السنون، وإنما قال: (لم يتسنه) ولم  
يشنه مع أنه أخبر عن شيئين ردّاً للمتغير إلى أقرب  
اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد  
المذكورين، لأنه في معنى الآخر ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى  
جِمَارِكَ﴾، فنظر فإذا هو عظام بيض، فركب الله  
تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم  
والجلد وأحياه وهو ينظر، ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً  
لِّلنَّاسِ﴾ معناه: ولنجعلك آية: عبرة ودلالة على  
البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسرين، وقال  
الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قريته شاباً وأولاده  
وأولاد أولاده شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس  
واللحية، قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ  
كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة:  
(نُشِرْهَا) بالراء، معناه: نحييها، يقال: أنشر الله  
الميت إنشاراً وأنشره نشوراً، قال الله تعالى: (ثم  
إذا شاء أنشره)، وقال في اللازم (وإليه النشور)،  
وقال الآخرون بالزاي، أي نرفعها من الأرض  
ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه  
وإزعاجه، قال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع،  
واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾  
 مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

به المشي دون الطيران وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٦١] قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿كَمَثَلِ﴾، زارع ﴿حَبَّةٍ﴾، وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿أَكْبَتَتْ﴾: أخرجت، ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾، جمع: سنبله، ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾، قيل: معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، غني يُعطي عن سعة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق ماله.

[٢٦٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعة الله ﴿ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ وهو أن يمنَّ عليه بعبثائه، فيقول:

عظام حماره ﴿ثُمَّ نَكَّسُوهَا لَحْمًا﴾، ثم كسى العظام لحماً فصار حماراً وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يُمت حماره بل أماته هو: فأحيا الله عينيه، ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئة يوم ربطه حياً لم يُطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف نشزها ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك عياناً، ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾، قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون (أعلم) بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: أعلم، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٦٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لأعين فأرداداً يقيناً فعاتبه الله تعالى، ﴿قَالَ أُولَئِمُ تَوَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ﴾ يا رب علمت وآمنت، ﴿وَلَئِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة (فصُرهن إليك) بكسر الصاد، أي: قطعهن ومزقهن، يقال: صار يصير صيراً، إذا قُطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع، وقرأ الآخرون (فَصُرْهُنَّ) بضم الصاد، ومعناه: أملهنَّ إليك ووجههن وقال عطاء معناه: اجمعهنَّ واضمهنَّ إليك ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أراد بعض الجبال، قال المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال ثم دعاهنَّ فقال: تعالين بإذن الله فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد

المناقق والمراثي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي، ويُرِي الناسَ في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوايل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً ﴿لَا يَفْدُرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾، أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي تصديقاً من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله، ويعلمون أن ما أخرجوا خيرٌ لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾، أي: بستان، ﴿يَرْبَوْنَ﴾ هي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بريوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى، ﴿أَصَابَهَا وَايُّلٌ﴾ مطر شديد كثير، ﴿فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾، أي: أضعفت في الحمل، قال عطاء: حملت في سنة من الريح ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَايُّلٌ فَطَلٌّ﴾، أي: فطش وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائماً قال السدي: هو الندى، وهذا مثلاً ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تُربع في كل حال ولا تُخلف سواء قلَّ المطرُ أو كثر، كذلك يُضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوايل الشديد، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٦٦] ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ

أعطيتك كذا، وَيَعُدُّ نَعْمَهُ عَلَيْهِ فَيَكْدُرُهَا عَلَيْهِ﴾ وَلَا أَدَى، هو أن يُعِيره فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل: من الأذى: وهو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه، وقال سفيان: مثلاً ولا أذى، هو: أن يقول قد أعطيتك فما شكرت ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، أي: ثوابهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: كلام حسن ورد على السائل جميل، وقيل، عدة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده، ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ﴾ يدفعها إليه، ﴿يَتَّبِعُهَا أَدَى﴾، أي: من وتعبير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أي مستغن عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعَجِّل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

[٢٦٤] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أي: أجور صدقاتكم، ﴿بِالْمَنِّ﴾، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى، ﴿وَالْأَدَى﴾، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾، أي: مرآة وسُمة ليروا نفقته ويقولوا: إنه كريم سخي، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، يريد أن الرياء يُبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرثي، ﴿فَمَثَلُهُ﴾، أي: مثل هذا المرثي، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾، وهو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ﴾، أي على الصفوان، ﴿تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَايُّلٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة

تَخِيلِ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ \* يعني: أَيْحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ أَيْ: بَسْتَان، مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ؟ ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا﴾، أَوْلَادٌ صِغَارٌ ضِعْفٌ عِجْزَةٌ، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾، وَهُوَ الرِّيحُ الْعَاصِفُ الَّتِي تَرْتَفِعُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا عَمُودٌ وَجَمَعَهُ أَعَاصِيرٌ، ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِعَمَلِ الْمَنَاقِقِ وَالْمَرَائِي، يَقُولُ: عَمَلُهُ فِي حَسَنِهِ كَحَسَنِ الْجَنَّةِ يَنْتَفِعُ بِهِ كَمَا يَنْتَفِعُ صَاحِبُ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا كَبُرَ أَوْ ضَعُفَ وَصَارَ لَهُ أَوْلَادٌ ضِعْفٌ أَصَابَ جَنَّتَهُ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، فَصَارَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا وَضَعُفٌ عَنِ إِصْلَاحِهَا لِكَبَرِهِ وَضَعُفٌ أَوْلَادِهِ عَنِ إِصْلَاحِهَا لَصِغَرِهِمْ، وَلَمْ يَجِدْهُمَا يَعُودُ بِهِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ مَا يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْهِ، فَبِقَوْلِهِمَا جَمِيعًا مَتَحِيرِينَ عِجْزَةٌ لَا حِيلَةَ بِأَيْدِيهِمْ، كَذَلِكَ يُبْطِلُ اللَّهُ عَمَلَ هَذَا الْمَنَاقِقِ وَالْمَرَائِي حِينَ لَا مَغِيثَ لَهُمَا وَلَا تَوْبَةَ وَلَا إِقَالَه ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُرُونَ﴾.

[٢٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: مِنْ خِيَارِ ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، بِالتَّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى إِبَاحَةِ الْكَسْبِ، وَأَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، قِيلَ: هَذَا أَمْرٌ بِإَخْرَاجِ الْعُشُورِ مِنَ الثَّمَارِ وَالْحُجُوبِ ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ مَعْنَاهُ: لَا تَقْصِدُوا، ﴿الْخَبِيثَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَمَجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ بِشَرَارِ ثَمَارِهِمْ وَرِزَالَةِ أَمْوَالِهِمْ وَيَعْمَلُونَ الْجِدَّ نَاحِيَةً لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَاتِ الرَّدِيءِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ﴾، يَعْنِي: الْخَبِيثَاتِ، ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ الْإِعْمَاضُ: غَضُّ الْبَصْرِ، وَأَرَادَ هَهُنَا: التَّجْوِيزَ وَالْمَسَاهِلَةَ، مَعْنَاهُ: لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَجَاءَهُ بِهَذَا لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَغْمَضَ لَهُ عَنِ حَقِّهِ وَتَرَكَهُ، قَالَ

وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَسْبِيحَاتٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطَافَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٧﴾ أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكَرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٨﴾

الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُبَاعُ فِي السُّوقِ مَا أَخَذْتُمُوهُ بِسَعْرِ الْجَيِّدِ، وَرُوي عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَوْ أَهْدَى ذَلِكَ لَكُمْ مَا أَخَذْتُمُوهُ إِلَّا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مِنْ صَاحِبِهِ وَغِيظٍ، فَكَيْفَ تَرْضُونَ لِي مَا لَا تَرْضُونَ لِأَنْفُسِكُمْ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنِ صَدَقَاتِكُمْ، ﴿حَمِيدٌ﴾، مَحْمُودٌ فِي أَعْمَالِهِ.

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ﴾، أَيُّ يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، وَالْفَقْرُ سُوءُ الْحَالِ وَقِلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّكَ إِذَا تَصَدَّقْتَ بِهِ افْتَقَرْتَ، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، أَيُّ: بِالْبَخْلِ وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كُلُّ الْفَحْشَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ الزَّانِ إِلَّا هَذَا، ﴿وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾، أَيُّ: لِذُنُوبِكُمْ، ﴿وَفَضْلًا﴾ أَيُّ رِزْقًا وَخَلْفًا، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، غَنِيٌّ عَلِيمٌ.

[٢٦٩] قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ حكي عن الحسن قال: الورع في دين الله ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قال الحسن: من أعطي القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبه إلا أنه لم يوح إليه<sup>(١)</sup>. ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

[٢٧٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ فيما فرض الله عليكم، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾، أي: ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به، ﴿فَاتَّ اللَّهُ بِعَلْمِهِ﴾، يحفظه حتى يجازيكم به ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدقون من الحرام ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾، من أعوان أن يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف أشراف.

[٢٧١] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الْأَصْدَقَاتِ﴾، أي: تُظهِروها، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾، أي: نعمت الخصلة هي، ﴿وَإِنْ تُخْفُوها﴾، تُسروها، ﴿وَتُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ﴾ أي: تؤتوها الفقراء في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرًا على عهد رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن. قوله تعالى: ﴿وَيُكْفِّرُ﴾

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا الْأَصْدَقَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ بِعَلْمِهِ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: ويكفر الله وقوله: (من سيئاتكم) قيل: (من) صلة، تقديره: نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبويض، يعني: نكفر الصغائر من الذنوب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وأراد به هداية التوفيق ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾، أي: تنفقونه لأنفسكم، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ معناه نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، شرط كأول،

(١) روى الحاكم في المستدرک بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبه غير أنه لا يوحى إليه»، الحديث.

السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء والتعفف والتفعل من العفة وهي الترك، يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾، السيماء والسمياء والسمة: العلامة التي يُعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هنا، فقال مجاهد: هي التخضع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفة ألوانهم من الجوع والضرّ، وقيل: رثاءة ثيابهم، ﴿لَا يَسْتَلُوكَ

النَّاسَ إِلَّا كَفًا﴾، قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه: لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً، لأنه قال: (من التَّعَفُّفِ) والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال (تعرفهم بسيماهم)، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، وإلحاف: الإلحاح واللجاج ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، من مال، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وعليه مجازي.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال الأخفش: جعل جواب الخبر بالفاء، لأن الذين بمعنى (من) وجوابها بالفاء في الخبر، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٥] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، أي: الذين يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿لَا يَقُولُونَ﴾، يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾، أي يصرعه ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أصل الخبط: الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمها، ﴿مِنَ الْمَسِينِ﴾، أي: الجنون، يقال: مُسَّ الرجلُ

ولذلك حذف النون منهما، ﴿يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ﴾، أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك دخل فيه إلى، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين.

[٢٧٣] قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله: (فلا أنفسكم) كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، (الذين أحصرُوا في سبيل الله)، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمَنِي أَحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقيل: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾، بحالهم، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، أي: من تعففهم عن



الَّذِينَ

٤٧

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي  
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ  
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ  
مِّن رَّبِّهِ فَآتَنَّهُا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ  
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ  
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا  
فَأَذْنُوبَ يَحْرِبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ  
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٨﴾ وَإِن كَانَتْ  
ذُوعُسْرَةٌ فَنظُرَةٌ إِلَىٰ مِيسِرَةٍ وَإِن تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَّكُمْ  
إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ  
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

وليس إليه من أمر نفسه شيء ﴿٢٧٦﴾ وَمَنْ عَادَ ﴿٢٧٦﴾، بعد  
التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له، ﴿فَأُولَئِكَ﴾  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾.

[٢٧٦] قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، أي:  
ينقصه ويهلكه ويذهب بركته، وقال الضحاك عن  
ابن عباس رضي الله عنهما: يمحق الله الربا.  
يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا  
صلة، ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يثمرها ويبارك فيها  
في الدنيا ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى،  
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾، بتحريم الربا، ﴿أَثِيمٍ﴾،  
فاجرٌ بأكله.

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا

فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن أكل الربا  
يُبعث يوم القيامة كمثّل المصروع ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾  
﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، أي: ذلك الذي نزل بهم  
لقولهم هذا واستحلّ لهم إياه وذلك أن أهل  
الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه  
فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في  
الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك  
ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح  
أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى  
وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، واعلم أن  
الربا في اللغة: الزيادة، والربا نوعان: ربا الفضل  
وربا النسيء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل  
بأن باع أحد النقدين بجنسه، أو باع مطعوماً  
بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا  
نوعي الربا، حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار  
الشرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير فيشترط  
المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة  
والشعير بيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل  
ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال  
الربا بغير جنسه نُظر إن باع بما لا يوافق في وصف  
الربا مثل: إن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا  
فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، وإن باعه بما  
يوافق في الوصف مثل: إن باع الدرهم بالدنانير  
أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر  
من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز  
متفاضلاً أو جزافاً وثبت فيه ربا النسيء حتى يشترط  
التقابض في المجلس ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾:  
تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل رداً إلى الوعظ،  
﴿فَآتَنَّهُا﴾، عن أكل الربا، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما  
مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَىٰ  
اللَّهِ﴾، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على  
الانتها، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أمره  
إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه،

بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾ .

مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن والمبيع في السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم، (فَاكْتُبُوهُ) أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعاً كان أو سَلَمًا أو قرضاً، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب، فإن تُرِكَ فلا بأس بقوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) وقال بعضهم: كانت كتابة الدين، والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله: (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ائْتَمَّنَ آمَانَتَهُ) وهو قول الشعبي، ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْمَكْدَلِ﴾، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾، أي لا يمتنع، ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طُوبِ، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت غريمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله تعالى: (وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ)، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: كما شرعه الله وأمره، ﴿فَلْيَكْتُبْ وَيَسْلُبِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، يعني: المطلوب يُقرَّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معانها واحد جاء بهما القرآن، فالإملاء هنا، والإملاء قوله تعالى: (فَهِى تُمَلَى عَلَيْهِ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا)، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، يعني المملي، ﴿وَلَا يَخْسِرَ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: ولا يتقص منه أي من الحق الذي عليه شيئاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾، أي: جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي: السفهية

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، أي: إذا لم تذكروا ما بقي من الربا، ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر (فَأَذْنُوا) بالمد، على وزن آمنوا، أي: فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن، أي: وقعوا في الأذان وقرأ الآخرون (فَأَذْنُوا) مقصوراً بفتح الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله ﴿وَإِنْ تُبِتُّمُ﴾، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾، بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، بالنقصان عن رأس المال.

﴿٢٨٠﴾ ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾، يعني: وإن كان الذي عليه الدين مُعْسِرًا ﴿فَنظَرَةٌ﴾ أمر في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة، ﴿إِلَّا مِيسْرَةً﴾، قرأ نافع (مِيسْرَةً) بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد (مِيسْرَةً) بضم السين مضافاً، ومعناه: اليسار والسعة، ﴿وَإِنْ تَصَدَّقُوا﴾، أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المُعسر، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٨١﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تُردون إلى الله تعالى، ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

﴿٢٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَدَّيْنَهُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما حَرَّمَ الله الربا أباح السلم، وقال أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ هذه الآية.

قوله: (إِذَا تَدَّيْنْتُمْ) أي: تعاملتم بالدين، يقال: دايته إذا عاملته بالدين (إلى أجل مسمى)، الأجل

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٤٨

الْبَقَرَةِ

يَتَّيَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَمْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
فَأَكْتُوبُهُ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب  
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا  
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ  
أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فليَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ  
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ  
مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ  
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا  
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَفَسَطُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ  
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ  
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَالَوْا فَاتَّهَ فُؤُوقُ بَيْكُمُ وَأَنْتُمْ  
اللَّهُ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

مخبرون، وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر نذب وهو مخير في جميع الأحوال وقال بعضهم؛ هذا في إقامة الشهادة وأدائها، فمعنى الآية: ولا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا لآداء الشهادة التي تحمّلوها قال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يُشْهَدَ ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ أي: ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾، الهاء راجعة إلى الحق، ﴿صَغِيرًا﴾ كان الحق، ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾، قليلاً كان أو كثيراً، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾، إلى محل الحق، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكتاب، ﴿أَفَسَطُ﴾، أعدل أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ لأن الكتابة تُذَكِّرُ الشهود، ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ وأحرى وأقرب إلى، ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكروا في الشهادة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ تقديره: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلا أن

المبذُرُ المفسدُ لما له أو في دينه، قوله: ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ أي: شيخاً كبيراً، وقيل: هو ضعيف العقل لعتوه أو جنون ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾، لخرس أو عمى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حصول الكتابة أو جهل بما له وعليه، ﴿فليَمْلِكْ وَلِيُهُ﴾ أي: قيمه، ﴿بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملال فيملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بالحق ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ أي: وأشهدوا، ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ أي: شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي: لم يكن الشاهدان رجلين، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال واختلفوا في غير الأموال واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات. قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾ يعني: من كان مرضياً في دينته وأمانته، وشرائط قبول الشهادة سبعة: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والعدالة، والمروءة، وانتفاء التهمة ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ﴾ معنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾، ومعنى تضل أي: تنسى، يريد إذا نسيت إحداها شهادتها فتذكرها الأخرى، فتقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا، وسمعنا كذا (وذكر) و(واذكر) بمعنى واحد، وهما متعديان، من الذكر الذي هو ضد النسيان ﴿وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾، قيل أراد به ما دُعُوا لتحمل الشهادة، سمّاهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء، وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيرهم، فإن وجد غيرهم فهم

الْبَقَرَةُ

٤٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ﴿٢٨٣﴾ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَلَّتَهُ، وَيَلْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَائِفَةٍ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٧﴾ ﴾

أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾، إذا دُعيتُم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ أي: فاجر قلبه، قيل: ما وعد على شيء كييعاده على كتمان الشهادة قال: ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ وأراد به مسخ القلب نعوذُ بالله من ذلك، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها ﴿ عَلِيمٌ ﴾.

[٢٨٤] ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكًا وأهلها له عبيد وهو مالكم، ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة،

تكون تجارة حاضرة يدا بيد تُدبرونها بينكم ليس فيها أجل ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا ﴾، يعني: التجارة. ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾، قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونقده ونسبته وقال الآخرون: هو أمرٌ ندب. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾، هذا نهى للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمت إحدى الرائتين في الأخرى ونُصبت، لحق التضعيف لالتقاء الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه: لا يضارر الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاوس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضار بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي إن الله أمركم أن تُجيبوا ويلج عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما، ﴿ وَإِنْ تَفَعَّلُوا ﴾ ما نهيتكم عنه من الضرار، ﴿ فَإِنَّهُ سُوءٌ بِكُمْ ﴾ أي: معصية وخروج عن الأمر، ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

[٢٨٣] ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ﴾ أي: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا الآن فارتهنوا ممن تداينونه رهونًا لتكون وثيقة بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ يعني: فإن كان الذي عليه الحق أمينًا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئًا لحسن ظنه به ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَلَّتَهُ ﴾ أي: فليقضه على الأمانة، ﴿ وَيَلْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ في

قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ .

[٢٨٥] قوله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ﴾ أي: صدق ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ﴾، يعني: كل واحدٍ منهم، ولذلك وَحَدَّ الْفِعْلُ، ﴿وَمَلَئِكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ فَيُدبِّرُوهُمُ وَيُوَسِّرُونَهُمْ﴾، وفيه إضمار تقديره: يقولون لا نُفِرُّ، وقرأ يعقوب: لا يفرق، بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه: لا يُفِرُّ الكل، وإنما قال (بَيْنَ أَحَدٍ) ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: (فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين)، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَاكَ﴾، قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، روي عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسل تعطهُ، فسأل بتلقين الله تعالى فقال: ﴿غُفْرَانَكَ﴾، وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرانك، أو على المفعول به، أي: نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِنَّكَ أَكْبَرُ﴾ .

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ظاهر الآية قضاء لحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعَنَا، وأجاب: أي: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أي: طاقتها، والوُسْعُ: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيِّق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذُكر في قوله (وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه) كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصةً وَسَّعَ عليهم أمر دينهم ولم يُكَلِّفهم فيه إلا ما يستطيعون، كما قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)، وقال الله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)، وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عزَّ وجلَّ:

معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلقنا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تُسروه يحاسبكم به الله وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: (يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ) خبر لا يَرُدُّ عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال: (بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) فليس لله عبداً أسراً عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همّة في قلبه إلا يُخبره الله به ويُحاسبه عليه، ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء. وقال الآخرون: معنى الآية، إن الله عزَّ وجلَّ يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها وقال بعضهم: (وإن تبدوا ما في أنفسكم) يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك مما لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ولا يؤاخذكم به وقيل: معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: (وإن تُبدوا ما في أنفسكم) فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ وَيُخَبِّرُكُمْ بِهِ وَيُعْرِفُكُمْ إِيَّاهُ، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ إظهاراً لعدله قوله تعالى: ﴿فَيَعْرِفُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قال: هو الغلظة، قيل: الغلظة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق، وقال ابن جريج: وهو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها، قوله تعالى: ﴿وَأَعَفْنَا عَنْهَا﴾ أي: تجاوزنا وامحُ عنا ذنوبنا، ﴿وَأَعْفَرْنَا لَنَا﴾ أي: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا ووليننا، ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

### (٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

[١، ٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾. قوله تعالى: (الله) ابتداء وما بعده خبره، و(الحي القيوم) نعت له.

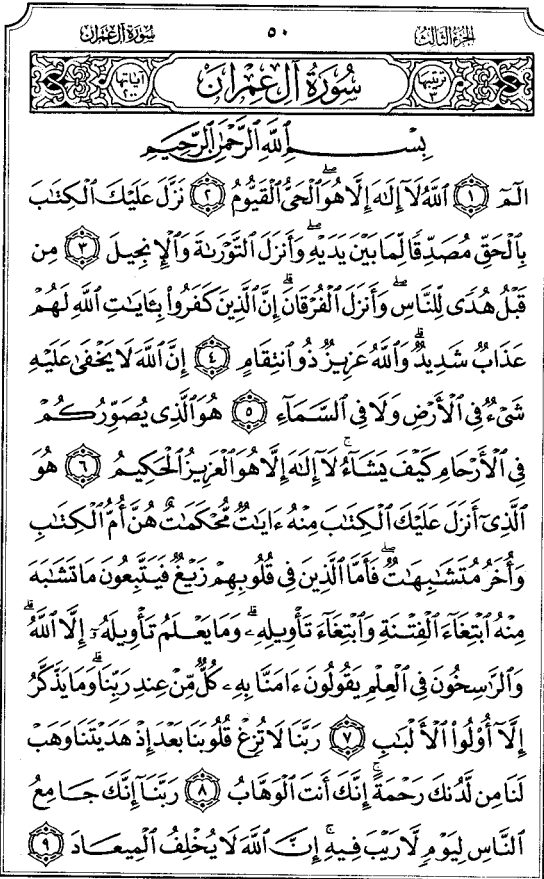
[٣] ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، بالصدق، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

[٤] ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، وإنما قال: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن (نزل) لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل: للتكثير، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، هادياً لمن تبعه، ولم يشته لأنه مصدر، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ المفرق بين الحق والباطل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

[٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) قال إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قوله حسن، لأن الوسع، ما دون الطاقة. قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر وعليها وزره ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ أي: لا تعاقبنا ﴿إِنْ نَسِينَا﴾، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، أمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: (نسوا الله فسيهم)، قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه، قال النبي ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>». قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أي: عهداً ثقيلاً وميثاقاً ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذبهم، وقيل معناه: لا تُشَدِّدْ وَلَا تُغْلِظْ الْأَمْرَ عَلَيْنَا كَمَا شَدَدْتَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْيَهُودِ، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاةً وأمرهم بأداء رُبع أموالهم من الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسةً قطعها، ومن أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً على بابه، ونحوها من الأثقال والأغلال يدل عليه قوله تعالى: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)، وقيل: الإصرُ ذنبٌ لا توبة له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطبقه، وقيل: هو حديث النفس والوسوسة، حُكي عن مكحول أنه

(١) وفي رواية لابن ماجه بلفظ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان»، الحديث / كتاب الطلاق / ١٦ / انظر إرواء الغليل (١/١٢٣).



يُشَبِّه بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْحَقِّ وَيُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: الْمَحْكَمُ النَّاسِخُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ الْمُنْسُوخُ الَّذِي يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مُحْكَمَاتُ الْقُرْآنِ: نَاسِخُهُ، وَحَلَالُهُ، وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ، وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ، وَيُعْمَلُ بِهِ وَالْمُتَشَابِهَاتُ: مَنْسُوخُهُ، وَمُقَدَّمُهُ، وَمُؤَخَّرُهُ، وَأَمْثَالُهُ، وَأَقْسَامُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. وَقِيلَ: الْمُحْكَمَاتُ مَا أَوْقَفَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَعْنَاهُ، وَالْمُتَشَابِهَةُ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْلَمَهُ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ، نَحْوَ الْخَبْرِ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَخُرُوجِ الدَّجَالِ وَنَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ: الْمَحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ غَيْرَ وَجْهٍ

[٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، من الصور المختلفة ذكرًا أو أنثى أبيض أو أسود حسنًا أو قبيحًا تامًا أو ناقصًا. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهذا ردُّ على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولدًا وقد صوره الله تعالى في الرحم؟ [٧] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ مبيِّنات مفصلات سميت محكمات من الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصله الذي يعول عليه في الأحكام، وإنما قال: هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، ولم يقل: أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كآية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقيل معناه: كل آية منهنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، كما قال: (وجعلنا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيَةً)، أي: كل واحد منهما آية، ﴿وَأُخَرُ﴾، جمع أخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عُمَرُ وَزُفْرٌ، ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾، فإن قيل: كيف فرَّق ههنا بين المُحْكَمِ والمُتَشَابِهِ وقد جعل الله كلَّ القرآن مُحْكَمًا في مواضع أخر فقال: (الر كتابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ) وجعل كلَّهُ مُتَشَابِهًا فقال: (الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)؟ قيل: حيث جعل الكل مُحْكَمًا أراد أن الكل حق ليس فيه عِبْتٌ ولا هَزَلٌ، وحيث جعل الكلَّ مُتَشَابِهًا أراد أن بعضه يُشَبِّه بَعْضًا فِي الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَفِي الْحُسْنِ، وَجَعَلَ ههنا بعضه مُحْكَمًا وبعضه مُتَشَابِهًا. واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الْمُحْكَمَاتُ هُنَّ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ)، ونظيرها في بني إسرائيل: (وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إياه)، الآيات. وعنه أنه قال: المُتَشَابِهَاتُ حُرُوفُ التَّهْجِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ. وقال مجاهد وعكرمة: المُحْكَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مُتَشَابِهٌ

واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجهًا. وقيل: المحكم ما يُعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا يُشبهه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أَيْ: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾، واختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة. قوله تعالى: ﴿أَتَبَغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلبُ الشرك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم، ﴿وَأَتَبَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: (سأبينك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا)، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى: (ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً) أي: عاقبة. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله (والراسخون) واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: (يقولون) حالاً معناه: والراسخون في العلم

مع علمهم قائلين آمنة به، وزهد الأكترون إلى أن الواو في قوله: (والراسخون) واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله) وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها. والخلق مُتعبدون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله (إن تأويله إلا عند الله، والراسخون في العلم يقولون آمنة به)، وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنة به كل من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية. قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي: الداخلون في العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسخًا ورُسوخًا، وقيل: الراسخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالم العامل بما علم المتبع لما علم. وقيل: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنة به سُمّاهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم آمنة به، أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ،



وما علمنا وما لم نعلم، ﴿وَمَا يَدَّكُرُ﴾: ما يتعذب بما في القرآن ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ذوو العقول.

[٨] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾، أي: ويقول الراسخون ربنا لا ترغ قلوبنا، أي: لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾: أعطنا من عندك، ﴿رَحْمَةً﴾، توثيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى. وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

[٩] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ أي: لانقضاء يوم، وقيل: اللام بمعنى: في يوم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلَّفُ الْمِعَاذَ﴾، وهو مفعول، من الوعد.

[١٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾: لن تنفع ولن تدفع، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، قال الكلبي: من عذاب الله، وقال أبو عبيدة: من بمعنى عند، أي: عند الله ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

[١١] ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب. وقال عطاء والكسائي وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون. وقال الأخفش: كأمير آل فرعون وشأنهم. وقال النضر بن شميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرُّسل وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾، فعاقبهم الله، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ وقيل: نظم الآية: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا

أولادهم من عذاب الله شيئاً، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢] قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّلُوتٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي: أنهم يُغلبون ويُحشرون، وقرأ الآخرون بالياء فيهما على الخطاب، أي: قل لهم أنكم ستغلبون وتُحشرون، قال مقاتل: أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة، وقال بعضهم: المراد بهذه الآية اليهود (ستغلبون) تهزمون في الدنيا في قتالكم محمداً (وتُحشرون) في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، ﴿وَيَسَّسَ الْيَهُودُ﴾ أي: الفراش، أي: بسس ما مهد لهم، يعني: النار.

[١٣] قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾، ولم يقل كانت، والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان، أي: قد كان بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: (قد كان لكم آية) أي: عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون، (في فئتین): فرقتين، وأصلها فيء الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض، ﴿الْفِتْنَةَ﴾، يوم بدر، ﴿فِيئَةً تَقَعِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ أي: فرقة أخرى كافرة، وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، يرأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فارس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّنْ أَمَّاكِنَ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب بالياء، يعني: ترون يامعشر اليهود أهل مكة مثل عدد المسلمين، وذلك

سورة آل عمران

٥١

سورة آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُخَفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ  
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١١﴾ كَذَّابٌ عَالٍ  
 فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ  
 وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ  
 وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمُهَادُ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ  
 لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْأَنْفِثَةِ تَفْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ  
 يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي  
 الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
 وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
 وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَّعُ  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٥﴾ قُلْ  
 أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ  
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ  
 وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

ابن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف ومائتا أوقية، لكل أوقية أربعون درهماً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: ألف ومائتا مثقال، وقال أبو نصر: ملء مسك ثور ذهباً أو فضةً. وسُمي قنطاراً من الإحكام، يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة. قوله تعالى: ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾، قال الضحاك، المحصنة المحكمة، وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض. وقال يمان: هي المدفونة. وقال السدي: هي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير. وقال الفراء: المضغفة. فالقناطر ثلاثة، والمقنطرة تسعة، ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾، قيل: سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة فضةً لأنها تنفض، أي: تنفرق،

أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فأروا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين، فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل: كيف قال (مثليهم) وهم كانوا ثلاثة أمثال؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثلي سواء، فيكون ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني وهو الأصح: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى، حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم، ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم، وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين، يعني: يرى المشركون المسلمين مثليهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترئ المشركون عليهم، ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعين المشركين، ليجنبا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا، فذلك قوله تعالى: (وَإِذَا يُرِيكُمُوهُمْ - إِذَ التَّقِيمِ - فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ). قوله تعالى: ﴿رَأَى الْعَيْنُ﴾ أي: في رأي العين، نصب بنزع حرف الصفة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، الذي ذكرته، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، لذوي العقول وقيل: لمن أبصر الجمعين.

[١٤] قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾،

جمع شهوة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ﴾، بدأ بهن لأنهن حبات الشيطان، ﴿وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع

المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يصلون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسكر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا.

[١٨] قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران.

وقال الكلبي: قدم حبران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه:

ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه عرفاه

بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالا

له: فإننا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به أمنا بك وصدقناك، فقال: نعم، قالا: فأخبرنا عن أعظم

شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان. قوله: (شَهِدَ اللَّهُ) أي بين

الله، لأن الشهادة تبيين، وقال مجاهد: حكم الله، وقيل: علم الله أنه لا إله إلا هو. وقوله:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، أي: وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة

الملائكة والمؤمنين الإقرار، ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني

المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه. قال

السدي والكلبي: يعني جميع علماء المؤمنين. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل، وقيل معنى قوله:

(قَائِمًا بِالْقِسْطِ) أي: قائمًا بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم أمر فلان أي: مدبر له ومتعهد

لأسبابه، وفلان قائم بحق فلان أي: مجاز له، فالله تعالى مدبر ورازق ومجازٍ بالأعمال، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾، يعني: الدين المرضي الصحيح، كما قال: (ورضيتُ لكم

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما،

(وَالْمُسَوَّمَةُ) قال مجاهد: هي المُطَهَّمَةُ الحسان. وقال عكرمة: تسويمها حُسْنُهَا، وقال سعيد بن

جبير: هي الراعية، يقال: أسام الخيل وسومها، وقال الحسن وأبو عبدة: هي المعلمة من السيماء

العلامة، ثم منهم من قال: سيماءها الشبه واللون، وهو قول قتادة، وقيل: الكي، و﴿الْأَنْعَمُ﴾، جمع

النعم، وهي الإبل والبقر والغنم، جمع لا واحد له من لفظه، ﴿وَالْحَكْرَثُ﴾ يعني: الزرع، ﴿ذَلِكَ﴾،

الذي ذكرته، ﴿مَتَكِّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، يشير إلى أنها متاع يفنى، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ أي:

المرجع، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

[١٥] قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ﴾ أي: أخبركم

﴿بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِزْقٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾، إن شئت جعلت محل (الذين) خفضًا ردًا على قوله: (للذين اتقوا) وإن

شئت جعلته رفعا على الابتداء، ويحتمل أن يكون نصبا تقديره: أعني الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّا

ءَامِنَاكَ﴾، صدقنا، ﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرها علينا وتجاوز عنا، ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُكْسِرِينَ وَالْمُكْدِرِينَ﴾، إن شئت نصبتها على المدح، وإن شئت خفضتها على النعت،

يعني: الصابرين في أداء الأوامر، وعن ارتكاب النهي، وعن البأساء والضراء وحين البأس

والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألستهم فصدقوا في السر

والعلانية، ﴿وَالْقَانِطِينَ﴾ المطيعين المصلين، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في طاعة الله، ﴿وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، قال مجاهد وقاتدة والكلبي: يعني

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّمَا فَتَانَا فَأَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ  
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ  
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ وَأُولُو الْأَلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ  
اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْضًا مِنْهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَابِتِ  
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ  
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ  
أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا  
عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ  
بِثَابِتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ  
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ  
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

[٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: خاصيموك  
يامحمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى  
قالوا: ألسنا ما سميتنا به يامحمد إنما اليهودية  
والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه؟  
فقال الله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي:  
انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي،  
وإنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان،  
وفيه بهاؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له  
جميع جوارحه. وقال الفراء: معناه أخلصت عملي  
لله، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: ومن اتبعني فأسلم كما  
أسلمت ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ﴾، يعني:  
العرب ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر أي:  
وأسلموا، كما قال: (فهل أنتم متتهون) أي:  
انتهوا، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقرأ رسول الله  
ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال

الإسلام دينًا)، وقال: (ومن يتبع غير الإسلام دينًا  
فلن يقبل منه) وفتح الكسائي الألف من ﴿إِنَّ  
الَّذِينَ﴾ ردًا على أن الأولى، تقديره: شهد الله أنه  
لا إله إلا هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو  
شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا  
هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء،  
والإسلام: هو الدخول في السلم، وهو الانقياد  
والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم،  
واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله  
والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله  
الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أوليائه،  
فلا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. قوله تعالى:  
﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال الكلبي:  
نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام،  
أي: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد  
ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ يعني: بيان نعته  
في كتبهم، وقال الربيع بن أنس: إن موسى عليه  
السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلًا من  
أخبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف  
يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني  
والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا  
الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم  
الدماء، ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما  
جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة، ﴿بَعْضًا  
مِنْهُمْ﴾ أي: طلبًا للملك والرياسة فسلط الله عليهم  
الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت  
في نصارى نجران ومعناها: وما اختلف الذين  
أوتوا الكتاب، يعني: الإنجيل في أمر عيسى عليه  
السلام، وفرقوا القول فيه، إلا من بعد ما جاءهم  
العلم بأن الله واحد، وأن عيسى عبده ورسوله، ﴿بَعْضًا  
مِنْهُمْ﴾ أي: للمعاداة والمخالفة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِثَابِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

مَعْدُودَاتٍ وَعَزَمُ فِي دِينِهِمْ، والغرور: هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء، ﴿مَا كَانُوا يَفْرُوتُ﴾، والافتراء: اختلاق الكذب.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وهو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ﴾، وفُوتَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، أي: جزاء ما كسبت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ (قُلِ اللَّهُمَّ) قيل: معناه يا الله، فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناها اللهم أمنا بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم: هلم إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خففوا أيضاً فقالوا لاهم، قوله: (مَالِكُ الْمَلِكِ)، يعني: يامالك الملك، أي: مالك العباد وما ملكوا، وقيل: ياملك السموات والأرض، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني ملك النبوة، وقال الكلبي: تؤتي الملك من تشاء محمداً وأصحابه، ﴿وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾، أي: جهل وصناديد قريش، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب، وتنزع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي: تؤتي الملك من تشاء، أتى الله الأنبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم، وتنزع الملك ممن تشاء، نزع من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: آدم وولده، وتنزع الملك ممن تشاء: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾، قال عطاء: تُعز من تشاء: المهاجرين والأنصار، وتذل من تشاء: فارس والروم، وقيل: تُعز من تشاء: محمداً ﷺ وأصحابه، حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف

لليهود: أتشهدون أن عُزيراً عبده ورسوله؟ فقالوا: معاذ الله أن يكون عُزير عليه السلام عبداً، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ أي: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَتِكُمْ بِالْعَبَادِ﴾، عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

[٢١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يجحدون بآيات الله، يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وجميع.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّصِيرٍ﴾، وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل وفي الآخرة أن لا يجازى عليه.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكَتَابِ﴾، يعني: اليهود، ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه، وقال الآخرون: هو التوراة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لنعيم والحارث: هلموا هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبى عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

[٢٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٥٣

سُورَةُ آلِ اِمْرَانَ

اَلَّذِي اِلَى الذِّكْرِ اَوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ يُدْعَوْنَ اِلَى كِتٰبِ  
 اللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٢٧﴾  
 ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوْا اِن تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّا اِنَّا مَاعْدُوْدَاتٍ وَعَزَّوْهُمْ  
 فِيْ دِيْنِهِمْ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ﴿٢٨﴾ فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْتَهُمْ  
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيْهِ وَوُقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُوْنَ ﴿٢٩﴾ قُلِ اللّٰهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ  
 مِّنْ نَّشَأٍ وَتَنْزِيْعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ نَّشَأٍ وَعِزُّ مَن نَّشَأَ وَتَنْزِيْلُ  
 مَن نَّشَأَ بِبِيْدِكَ الْحَيْرِ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٣٠﴾ تُوْلِيْعُ اَيُّدٍ  
 فِي النَّهَارِ وَتُوْلِيْعُ النَّهَارِ فِي الْاَيُّدِ وَتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن نَّشَأَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١﴾  
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكَافِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَنْ  
 يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِيْ شَيْءٍ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوْا مِنْهُمْ  
 نَفْسًا وَيَحَدِّثْكُمْ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ ﴿٣٢﴾ قُلْ  
 اِنْ تَخَفُوْا مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ اَوْ تَبَدُّوْهُ يَعْلَمُهُ اللّٰهُ وَيُعَلِّمُ مَا فِي  
 السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٣٣﴾

مباطنتهم، فأُنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مقاتل:  
 نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا  
 يظهرون المودة لكفار مكة، وقال الكلبي عن أبي  
 صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في  
 المنافقين: عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون  
 اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن  
 يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأُنزل الله هذه  
 الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم، قوله تعالى:  
 ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ﴾ أي: موالة الكفار في نقل  
 الأخبار إليهم وإظهارهم على عورة المسلمين،  
 ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِيْ شَيْءٍ﴾ أي ليس من دين الله في  
 شيء، ثم استثنى فقال: ﴿اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوْا مِنْهُمْ نَفْسًا﴾  
 يعني: إلا أن تخافوا منهم مخافة، ومعنى الآية: إن  
 الله تعالى نهى المؤمنين عن موالة الكفار  
 ومداهنتهم ومباطنتهم، إلا أن يكون الكفار غاليين

ظاهرين عليها، وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه،  
 حتى جُزت رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل: تُعز  
 من تشاء: بالإيمان والهداية. وتذل من تشاء:  
 بالكفر والضلالة، وقيل: تعز من تشاء بالطاعة،  
 وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل تعز من تشاء  
 بالنصر، وتذل من تشاء بالقهر، وقيل: تعز من تشاء  
 بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر، وقيل: تُعز من تشاء  
 بالقناعة والرضى، وتذل من تشاء بالحرص  
 والطمع، ﴿بِيْدِكَ الْحَيْرِ﴾، أي: بيدك الخير والشر  
 فاكفني بذكر أحدهما، ﴿اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿تُوْلِيْعُ اَيُّدٍ فِي النَّهَارِ﴾، أي  
 تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمس  
 عشرة ساعة والليل تسع ساعات، ﴿وَتُوْلِيْعُ النَّهَارِ فِي  
 الْاَيُّدِ﴾، حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة،  
 والنهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد  
 في الآخر، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ  
 الْحَيِّ﴾، قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد  
 وقتادة: معنى الآية يُخرج الحيوان من النطفة وهي  
 ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان، وقال عكرمة  
 والكلبي: تخرج الحي من الميت، أي: الفرخ من  
 البيضة وتخرج البيض من الطير، وقال الحسن  
 وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر  
 من المؤمن، وقال الزجاج: يخرج النبات الغض  
 الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس  
 من النبات الحي النامي، ﴿وَتَرْزُقُ مَن نَّشَأَ بِغَيْرِ  
 حِسَابٍ﴾، من غير تضييق ولا تقدير.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكَافِرِيْنَ  
 اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾، قال ابن عباس رضي الله  
 عنه: كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق  
 وقيس بن زيد يبيطون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن  
 دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير  
 وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء  
 اليهود لا يفتنونكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٥٤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْزِيلُ مِنَ اللَّهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

الأجل، والغاية التي ينتهي إليها، وقال الحسن: يسر أحدهم ألا يلقي عمله أبدًا وقيل: يود أنه لم يعمله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[٣١] ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، حب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته، وابتغاء مرضاته، وحب الله للمؤمنين ثاؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قيل: لما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي لأصحابه: إن محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى ابن مريم، فنزل قوله تعالى: [٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾:

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام ٢٤٩/١٣، والمصنف في شرح السنة ١٩٢/١.

ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعًا عن نفسه من غير أن يستحل دمًا حرامًا أو مالا حرامًا أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)، ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ على موالة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة الأمور، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٢٩] ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، قلوبكم من مودة الكفار، ﴿أَوْ تَبُدُّوهُ﴾ من موالاتهم، قولًا وفعلاً، ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، قال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تظهروه بحربه وقاتله، يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به، ثم قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: إذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض؟ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿وَاللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، نصب (يوم) بنزع حرف الصفة أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس، ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ لم يبخص منه شيء كما قال الله تعالى: (ووجدوا ما عملوا حاضرا) ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾، جعل بعضهم خيرا في موضع النصب، أي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر، فتر بما عملت من الخير، وجعل بعضهم خيرا مستأنفا، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما (وما عملت من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ قال السدي: مكانا بعيدا، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب والأمد

وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

[٣٥] ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران: هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأجبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم، قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي: جعلت لك الذي في بطني محرراً نذراً مني لك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ والنذر ما يوجهه الإنسان على نفسه محرراً أي: عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: ولدتها، إذا هي جارية، والهاء في قوله: (وَضَعَتْهَا) راجعة إلى النذيرة لا إلى (ما) ولذلك أنث، ﴿قَالَتْ﴾ حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ اعتذاراً إلى الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، بجزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها للبتها وضعفها وما يعترها من الحيض والنفاس، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ أمنعها وأجيرها، ﴿بِكَ وَذُرِّيَّתَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، والشيطان الطريد اللعين والرجيم المُرْمَى بالشهب.

[٣٧] قوله: ﴿فَنَقَلْنَاهَا رُحْمًا يُقَبُولُ حَسَنًا﴾ أي: قبل الله مريم من حنة، مكان المحرر، وتقبل بمعنى: قبل ورضي، والقبول: مصدر قبل يقبل

أعرضوا عن طاعتها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي<sup>(١)</sup>».

[٣٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأتم على غير دين الإسلام. اصطفى: اختار، افتعل من الصفة، وهي الخالص من كل شيء، آدم أبا البشر ونوحاً، ﴿وَأَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾، قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران، إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما، كقوله تعالى: (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون)، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران ابن يصر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وآله: موسى وهارون، وقال الحسن ووهب: هو عمران بن أشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله: مريم وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم، ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً﴾، اشتقاقها من ذرا بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأولاد ذرية، لأنه ذراهم، والآباء ذرية لأنه ذرا الأبناء منهم، قال الله تعالى: (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي: آباءهم، (ذُرِّيَّةً) نُصِبَ عَلَى مَعْنَى: واصطفى ذرية ﴿بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: بعضها من ولد بعض،



الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿قَالَ يَمْرِي أَيُّ لَكَ هَذَا﴾، قال أبو عبيدة معناه: من أين لك هذا، وأنكر بعضهم عليه وقال: معناه من أي جهة لك هذا لأن (أَيُّ) للسؤال عن الجهة، (وَأَيْنَ) للسؤال عن المكان، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنِّي عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من قطف الجنة، وقال أبو الحسن: إن مريم من حين ولدت لم تلقم ثديها قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول لها زكريا أَيُّ لك هذا؟ فتقول: (هُوَ مِنِّي عِنْدَ اللَّهِ)، تكلمت وهي صغيرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرُزُّكَ مِنْ يَشَاءَ بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدًا في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

[٣٨] قال تعالى: ﴿هَذَاكَ﴾، أي: عند ذلك. ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، فدخل المحراب وغلقت الأبواب وناجى ربه ﴿قَالَ رَبِّ أَيُّ لِي رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿هَبْ لِي﴾ أعطني ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك، ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ولدًا مباركًا تقيًا صالحًا راضيًا، والذرية تكون واحدًا أو جمعًا ذكرًا وأنثى، وهو ههنا واحد بدليل قوله عز وجل: (هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾، أي: سامعه، وقيل: مجيبه، كقوله تعالى: (إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) أي: فأجيبوني.

[٣٩] ﴿فَدَاثُهُ أَلَمَلَكِكَةُ﴾ أراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده، كقوله تعالى في سورة النحل: (ينزل الملائكة) يعني جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس) يعني: نعيم بن مسعود، (إن

قبولًا، مثل الولوغ والوزوغ، ولم يأت غير هذه الثلاثة، وقيل معنى التقليل: التكفل في التربة والقيام بشأنها، ﴿وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، معناه: وأنبتتها فنبتت نباتًا حسنًا، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها، فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي خالتها وكان رأس الأحبار ونبئهم، فذلك قوله تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)، قرأ حمزة وعاصم والكسائي (وَكَفَّلَهَا) بتشديد الفاء، فيكون زكريا في محل النصب أي: ضمنها الله وضمها إليه بالقرعة، وقرأ الآخرون بتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع، أي: ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصورًا، والآخرون يمدونه، فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتًا واسترضع لها، وقال محمد ابن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء، بنى لها محرابًا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودُهنها كل يوم، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾، وأراد بالمحراب العُرفة، والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضًا محراب، وقال المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يُرتقى إليه بدرجة، وقال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يُغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها فتحها، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ أي: فاكهة في غير حينها فاكهة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادُّكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَخِّبِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي: قصيدته: قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ هو فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع ويتهي إلى قوله، قال المفضل: أراد سيدًا في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسن الخلق، قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عز وجل، وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم الذي لا يغيضه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقى قاله الضحاك، قال سفيان الثوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي، قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، والحضور: أصله من الحسر وهو الحبس، والحضور في قول ابن مسعود وابن عباس

الناس) يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل ابن سلمة: إذا كان القائل رئيسًا يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقُلَّ ما يبعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني: في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففزع منه، فناداه وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى﴾ هو الاسم لا يجر لمعرفته، وللزائد في أوله، واختلفوا في أنه لم سمي يحيى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا به قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه استشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحيا بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعصية، ﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال، ﴿بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: عيسى عليه السلام، سُمِّيَ عيسى كلمة الله، لأن الله تعالى قال له كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة، وقيل: سُمِّيَ كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبيًا بلا أب، فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، وقال أبو عبيدة: بكلمة من الله، أي: بكتاب من الله

وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول: فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقال سعيد بن المسيب، هو العين الذي لا ماء له فيكون الحضور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره، وفيه قول آخر: أن الحضور الممنوع من الوطاء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَيُّ سِيدِي، وَجَمَاعَةٍ، وَقِيلَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيُّ يَكُونُ﴾ يعني: أين يكون، ﴿لِي عَلِّمَ﴾ أي: أين ﴿وَقَدْ بَلَّغَنِي الْكِبَرَ﴾، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ أي: عقيم لا تلد، ويقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرًا وعقارة، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

[٤١] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكرًا لك، ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تكف عن الكلام، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، وتقبل بكليتك على عبادتي لا أنه يُحْبَسُ لسانه عن الكلام، ولكنه نُهي عن الكلام، وهو صحيح سوي

كما قال في سورة مريم (أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) يدل على قوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية، بعد مُشَافَهَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام. وقوله: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ أي: إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد، وكانت إشارته بالأصبع المسبحة، قال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزًا، ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، قيل: المراد بالتسبيح: الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: جبريل، ﴿يَمْرُؤًا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَا لَكَ﴾، اختارك ﴿وَطَهَّرَكَ﴾، قيل: من ميسس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب، ﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وقيل: بالتحريم في المسجد ولم تحرر أنثى.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤًا أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾، قالت لها الملائكة شفاهاً أي: أطيعي ربك وقال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالت دمًا وقيحًا ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾، قيل: إنما قدم السجود على

الْمُفْرَيْنَ، عند الله.

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَغِيرًا قَبْلَ أَوَانِ الْكَلَامِ﴾ وَكَهْلًا، قال مقاتل: يعني إذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلاً بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة إخبار عن الأشياء المعجزة، وقيل: وكهلاً نبياً بشرها بنبوته عيسى عليه السلام، وكلامه في المهدي معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلاً أي: حليماً، والعرب تمدح الكهولة، لأنها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي: هو من العباد الصالحين.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ يَا سَيِّدِي، تقوله لجبريل، وقيل: تقول لله عز وجل، ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وُلْدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يصنني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أراد كون الشيء، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، كما يريد.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتابة والخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، العلم والفقه ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ علمه الله التوراة والإنجيل.

[٤٩] ﴿وَرَسُولًا﴾ أي: ونجعل له رسولا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قيل: كان رسولا في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولا بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿أَنِّي﴾، قال الكسائي إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأني ﴿فَدَّ حِجَّتَكُمْ بِتَائِبٍ﴾، علامة، ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾، تصدق قولي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما

الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، ﴿مَعَ الرُّكُوعِ﴾، ولم يقل مع الركعات ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

[٤٤] قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، يقول لمحمد ﷺ: ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى، على نبينا وعليهم السلام، من أنباء الغيب، أي: من أخبار الغيب نوحيه إليك رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿وَمَا كُنْتُ﴾، يا محمد، ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَقْلَمُهُمْ﴾، سهامهم في الماء للاقتراع، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يحضنها ويربيها، ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، في كفالتها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، إنما قال اسمه، ورد الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم سمي مسيحا، فمنهم من قال: هو فاعل بمعنى المفعول يعني: أنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب، وقيل: إنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخصص له، وسُمِّي الدجال مسيحا لأنه كان ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم هو فاعل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سُمِّي عيسى عليه السلام مسيحا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برا، وقيل: سُمِّي بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقيم في مكان، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سمي الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿وَجِهَاً﴾ أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٥٦

سُورَةُ آلِ اِمْرَانَ

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦١﴾  
 قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ  
 اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٧﴾  
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٦٨﴾  
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ  
 أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ  
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ  
 وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ  
 فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾  
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ  
 بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ  
 هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ  
 الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
 أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلاً يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله عز وجل فأحياها، وبقيت وولدت، وأما سام بن نوح عليه السلام فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان، فقال قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُت، قال: بشرط أن يُعيدني الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل. قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ﴾، أخبركم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾، مما لم أعينه، ﴿وَمَا تَدْخُرُونَ﴾، ترفعونه، ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم. وبما ادخره

هي قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ أي: أصور وأقدر، ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، قرأ أبو جعفر (كهية الطائر)، ههنا وفي المائة، والهية الصورة المهياة من قولهم: هيات الشيء إذا قدرته وأصلحته، ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾، أي: في الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قراءة الأكثرين بالجمع، لأنه خلق طيراً كثيراً، وقرأ أهل المدينة ويعقوب (فيكون طائراً) على الواحد ههنا وفي سورة المائة، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً لأن له ثدياً وأسناناً، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال لله عز وجل، قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾، أي: أشفيهما وأصحهما، واختلفوا في الأكمه، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، والأبرص هو الذي به وضح، وإنما خص هذين لأنهما داءان عيان وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك، قوله تعالى: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أذاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر ودكّه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مرّ به ميتاً على عيسى عليه السلام على سرير يُحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره

الحواريون هم الأصفياء، وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلاً، قال روح بن أبي القاسم: سألت قتادة عن الحواريين، قال: هم الذين تصلح لهم الخلافة، وعنه أيضاً أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينويه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَصَاؤُ اللَّهِ﴾، أعوان دين الله ورسوله ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾، يا عيسى، ﴿يَا نَا مُسْلِمُونَ﴾.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزَلَتْ﴾، من كتابك، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾، عيسى، ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ﴾، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وقال عطاء مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمد ﷺ وأمه، لأنهم يشهدون للرسول بالبلاغ.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا﴾، يعني: كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر، دبروا في قتل عيسى عليه السلام، بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾، فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ومكر الله تعالى بهم في هذه الآية هو إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قُتل.

[٥٥] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ مَا جَعَلْتَنِي آيَةً وَلَا تَتَّبِعِ الْهَادِينَ الَّذِينَ قَالُوا إِنِّي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرِيعًا إِنِّي هُوَ الْغَافِلُونَ﴾، اختلفوا في بعض التوفي ههنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: (فلما توفيتني) أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي،

للعشاء. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿آيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على قوله (ورسولاً) ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْدَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حُرِّمَ عليكم، وقد ذكر البعض ويراد به الكل، قوله تعالى: ﴿وَجَحَّتْكُمْ بِيَايَةِ مَنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى أَي: وجد، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿قَالَ مَنْ أَصْحَابِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى، تقول العرب: الذود إلى الذود أبل، أي: مع الذود، كما قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة: (إلى) بمعنى في أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله، وسيله، وقيل: (إلى) في موضعها معناه: من يضم نصرته إلى نصره الله لي، واختلفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سموا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين، وقال الحسن: كانوا قصارين، سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها، وقال الضحاك: سموا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال ابن المبارك: سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها، وأصل الحور عند العرب: شدة البياض، يقال: رجل أحور وامرأة حوراء أي: شديدة بياض العين، وقال الكلبي وعكرمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا نَزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ  
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ  
الْمَكْرِينَ ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ  
إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ  
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ  
فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ  
كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا  
لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾  
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ  
مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾  
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ  
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ  
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، من  
الدين وأمر عيسى.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي  
الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي والجزية والذلة،  
﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ  
مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: يوفيهم أجور أعمالهم،  
﴿وَاللَّهُ لَا يُجِبُ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يرحم الكافرين  
ولا يثني عليهم بالجميل.

[٥٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكرته لك من  
الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿نَتْلُوهُ  
عَلَيْكَ﴾، يعني: نخبرك به بتلاوة جبريل عليك،  
﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، يعني القرآن والذكر  
ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي:

لأن قومه إنما تصبروا بعد رفعه لا بعد موته، فعلى  
هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إليّ وإيّا  
لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت من كذا  
وكذا واستوفيه إذا أخذته تامّاً، والآخر: إني  
متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته،  
وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكان  
عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه إني  
منيمك ورافعك إليّ، كما قال الله تعالى: (وهو  
الذي يتوفاكم بالليل) أي: يُنيمكم بالليل، وقال  
بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى علي بن  
طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: إني  
مमितك يدل عليه قوله تعالى: (قل يتوفاكم ملك  
الموت)، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله  
وهب: توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم  
أحياه ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن  
النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات  
من النهار، ثم أحياه ورفع له إليه، والآخر: ما قاله  
الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا  
معناه: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا  
ومتوفيك بعد إنزالك من السماء. قوله تعالى:  
﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: مخرجك من  
بينهم ومنجيك منهم، ﴿وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قال قتادة والربيع والشعبي  
ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه  
واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ، فهم  
فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة  
والحجة، وقال الضحاك: يعني الحواريين فوق  
الذين كفروا، وقيل: هم أهل الروم، وقيل: أراد  
بهم النصارى، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم  
القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك  
النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا  
يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة، لا اتباع  
الدين، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾، في الآخرة،

المحکم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ. [٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في كونه خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ لأنه خلق من غير أب وأم، ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ﴾، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

[٦٢] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ﴾ النبا الحق، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ (من) صلة تقديره: وما إله إلا الله، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْرِدِينَ﴾، الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

[٦٤] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والعرب تسمى كل قصة لها شرح (كلمة) ومنه سميت القصيدة (كلمة) ﴿سَوَاءٌ﴾ عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستو، يقال دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: (فراه في سواء الجحيم) وإنما قيل: (للنصفة سواء) لأن أعدل الأمور أفضلها وأوسطها، سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضمت قصرت، كقوله تعالى: (مكاناً سوى)، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا تَقْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ ومحل (أن) رفع على إضمار

المحکم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ.

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في كونه خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ لأنه خلق من غير أب وأم، ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ﴾، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هو الحق، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: جادلك في أمر عيسى وفي الحق، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأن عيسى عبدالله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾، أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو



سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

٥٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ

إِنَّ هَذَا لَهَوٌ مُّضْمَضٌ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْتَ اللَّهُ لَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾  
 قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
 مُّسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي  
 إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا  
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هٰذَا نَتَمَّ هٰذِهِ هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا  
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ  
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ  
 حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ  
 بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَوَيْ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ  
 وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يٰٓأَهْلَ  
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٣﴾

[٦٥] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿هٰذَا نَتَمَّ هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا﴾ دخلت عليه هاء التنبيه، وهو موضع النداء يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني في أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهوديًا أو نصرانيًا، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم يعني: في أمر محمد ﷺ، لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا علم لكم به، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم برأ الله تعالى إبراهيم عما قالوا، فقال:

[٦٧] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾، والحنيف المائل عن الأديان إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحى ويختن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي من اتبعه في زمانه وملته بعده ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني محمدًا ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: من هذه الأمة ﴿وَاللَّهُ وَوَيْ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت ﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ﴾ أي: تمت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ يستزليونكم عن دينكم ويردونكم إلى الكفر، ﴿وَمَا

(هي)، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلًا من الكلمة؛ أي: تعالوا إلى كلمة أن لا نعبد إلا الله، ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله)، وقال عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله وقيل: معناه لا نطيع أحدًا في معصية الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾ أي فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم: اشهدوا ﴿بِأَنَّا مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بالتوحيد.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿هٰذَا نَتَمَّ هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا هٰذَا﴾ دخلت عليه هاء التنبيه، وهو موضع النداء يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني في أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهوديًا أو نصرانيًا، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم يعني: في أمر محمد ﷺ، لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا علم لكم به، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم برأ الله تعالى إبراهيم عما قالوا، فقال:

يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٧٠] ﴿يَتَّهَلَّوْنَ الْكِتَابَ لَمْ تَكْفُرُوا بِتَايَتِ اللَّهِ﴾  
يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ  
تَشْهَدُونَ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل المذكور.

[٧١] ﴿يَتَّهَلَّوْنَ الْكِتَابَ لَمْ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾  
تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم  
تخلطون الإيمان بعيسى عليه السلام وهو الحق،  
بالكفر بمحمد ﷺ، وهو الباطل. وقيل: لم  
تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل  
الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم، ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ  
وَأَنْتُمْ كَعَمُونَ﴾ أن محمداً ﷺ ودينه حق.

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي  
أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، سَمِيَّ وَجْهًا  
لَّأَنَّهُ أَحْسَنُ وَأَوْلَىٰ مَا يُوَاجِهُهُ النَّظِيرُ فِرَاهُ، ﴿وَكَفَرُوا  
ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فيشكون ويرجعون عن  
دينهم.

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، هذا  
متصل بالأول من قول اليهود بعضهم لبعض، ولا  
تؤمنوا أي: ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم، أي:  
وافق ملتكم، واللام في (من) صلة أي: لا تصدقوا  
إلا لمن تبع دينكم اليهودية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ  
عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَّكُمْ﴾ أي: ردفكم. ﴿قُلْ إِنْ  
أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾، هذا خبر من الله تعالى أن البيان  
بيانه، ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال: هذا كلام  
معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول  
إخبار عن قول اليهود لبعض، ومعناه: ولا تؤمنوا  
إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما  
أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من  
المن والسلوى وقلق البحر وغيرها من الكرامات،  
ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً  
منهم، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن اليهود  
قالت لسفلتهم، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ﴿أَنْ  
يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾ من العلم، أي لثلاثي

يَتَّهَلَّوْنَ الْكِتَابَ لَمْ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ  
وَأَنْتُمْ كَعَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا  
بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَكَفَرُوا  
ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ  
أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ  
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ  
عِلْمُهُ ﴿٧٣﴾ يَخْضِعُ رِجْلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ  
يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَا لَأُؤَدِّهُ إِلَيْكَ إِلَّا  
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ  
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾  
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ  
الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيَّمَنُ مِنْكُمْ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا  
خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

أحد، و(لا) فيه مضمرة، كقوله تعالى: (بين الله  
لكم أن تصلوا) أي: لثلاثي، يقولون: لا  
تصدقوهم لثلاثي يعلمون مثل ما علمتم فيكون لكم  
الفضل عليهم في العلم، أو لثلاثي يحاجوكم عند  
ربكم فيقولوا عرفتم أن ديننا حق، وهذا معنى قول  
ابن جريج، وقرأ الحسن والأعمش (إن يؤتى)  
بكسر الألف، فيكون قول اليهود تاماً عند قوله: إلا  
لمن تبع دينكم، وما بعده من قول الله تعالى،  
يقول: قل يا محمد (إن الهدى هدى الله) أن يؤتى  
(أن) بمعنى: الجحد، أي: ما يؤتى أحد مثل ما  
أوتيتم يا أمة محمد ﷺ، ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾  
يعني: إلا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا:  
نحن أفضل منكم، فقوله عز وجل: (عند ربكم)،  
أي: عند فعل ربكم بكم، وهذا معنى قول سعيد بن  
جبير والحسن والكلبي ومقاتل، وقال الفراء ويجوز

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِذَا تَأَمَّنُوا بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِذَا تَأَمَّنُوا بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام، وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنٌ إِذَا تَأَمَّنُوا بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: كفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل: (وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِذَا تَأَمَّنُوا بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ) يعني: عبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه، (وَمِنْهُمْ مَنٌ إِذَا تَأَمَّنُوا بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ) يعني: فنحاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه، ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، قال ابن عباس ملحاً، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاك: مواظباً أي تواظب عليه بالاعتناء، وقيل: أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رده إليك، فإن فارقته وأخرته أنكروه ولم يؤده، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿يَأْتَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ﴾ أي: في مال العرب إثم وحرَج، كقوله تعالى: (ما على المحسنين من سبيل)، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حُرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فيما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم، وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم

أن يكون (أو) بمعنى حتى كما يقال: تعلق به أو يعطيك حَقك، ومعنى الآية: ما أعطي أحد مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم! وقرأ ابن كثير (أَنْ يُؤْتَى) بالمد على الاستفهام، وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلُ مَا أُوتِيتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ تَحْسُدُونَهُ وَلَا تَوْمَنُونَ بِهِ، هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ، قَالَ: هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ بِأَنْ أَنْزَلَ كِتَابًا مِثْلَ كِتَابِكُمْ وَبَعَثَ نَبِيًّا حَسَدْتُمُوهُ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قوله: (أو يحاجوكم) على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون (أو) بمعنى (أن) لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر، أي: وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلُ مَا أُوتِيتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسُدُوكُمْ، فقل: إِنْ أَلْفُضَلْ بِيَدِ اللَّهِ، وَإِنْ حَاجُوكُمْ، فقل: (إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ) ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله (لعلهم يرجعون) وقوله تعالى: (وَلَا تُؤْمِنُوا) من كلام الله يشبث به قلوب المؤمنين لثلاثاً يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، ويقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن اتبع دينكم، ولا تصدقوا أن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلُ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْفَضْلِ، وَلَا تَصَدَّقُوا أَنْ يَحَاجُوكُمْ فِي دِينِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَي: يَقْدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ، وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، فَتَكُونُ الْآيَةُ كُلُّهَا خِطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ تَلْبِيسِ الْيَهُودِ لثَلَاثًا يَرْتَابُوا.

[٧٤] قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

والتغيير، وهو ما غيروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يقال: لوى لسانه عن كذا أي: غيره، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتظنوا ما حرفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، الذي أنزله الله تعالى، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ عَمْدًا﴾، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعًا وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ الآية، قال مقاتل والضحاك: ما كان لبشر يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ يعني: عيسى ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ أي الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ يعني محمدًا ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالوا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربًا فقال: معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله، وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أي ما ينبغي لبشر، كقوله تعالى: (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عز وجل، ﴿وَالنَّبَوَّةَ﴾، المنزلة الرفيعة بالإنباء، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾ أي: ولاكن يقول كونوا، ﴿رَبِّينِينَ﴾، اختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبير:

فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال ردًا عليهم:

[٧٦] ﴿بَلَى﴾ أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتداء فقال: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ أي: ولكن من أوفى ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفى ﴿وَأَتَقَى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لثلا يفوتهم المآكل والرثا التي كانت لهم من أتباعهم. (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) أي: يستبدلون بعهد الله، وأراد الأمانة، وأيمانهم الكاذبة ثمنًا قليلًا أي: شيئًا قليلًا من حطام الدنيا، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾، لا نصيب لهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ونعيمها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أكلم فلانًا إذا كان غضب عليه، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم ولا يُبليهم خيرًا، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا يُثني عليهم بالجميل ولا يُطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٨] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ يعني: من أهل الكتاب لفريقًا أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو والشاعر، ﴿يَتَّبِعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٠

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ لَلِلسِنَتِهِمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ  
 مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ  
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ  
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ  
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِرِيمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ  
 وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَا مُرِّكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا اللَّاتِئِكَ  
 وَالتَّبِيعِينَ أَزْبَابًا أَيَا مُرِّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾  
 وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَاءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ  
 وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ  
 بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي  
 قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾  
 فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾  
 أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ وَاسَلَّمَ مِنْ فِي السَّمٰوٰتِ  
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

لَلَّتَيْكَةِ وَالتَّبِيعِينَ أَزْبَابًا﴾، كفعل قريش والصابئين  
 حيث قالوا: الملائكة بنات الله واليهود والنصارى  
 حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا، ﴿أَيَا مُرِّكُمْ  
 بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قالوا له على طريق  
 التعجب والإنكار، يعني: لا يقوله هذا.

[٨١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ  
 لَمَاءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قرأ حمزة ﴿لَمَاءَ﴾  
 بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر  
 اللام فهي لامُ الإضافة دخلت على ما الموصولة،  
 ومعناه: إن الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ  
 ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب  
 والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام  
 فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى  
 الجزاء، أي لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب  
 الجزاء، قوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) قوله (لَمَاءَ آتَيْتُكُمْ) قرأ

العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن  
 ابن عباس: فقهاء مُعلمين، وقيل: الرباني الذي  
 يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء:  
 حكماء وعلماء ونُصحاء لله في خلقه، قال أبو  
 عبيدة: سمعت رجلاً عالمًا يقول: الرباني العالم  
 بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأبناء الأمة  
 ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأخبار،  
 والأخبار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع  
 العلم البصائر بسياسة الناس، قال المؤرج: كونوا  
 ربانيين تدينون لربكم، من الربوية، كان في الأصل  
 ربي فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون  
 لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال  
 المبرد: هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون  
 العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم  
 قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه  
 فقد ربّه يُربه، واحدها: ربان كما قالوا: ربان  
 وعطشان وشبعان، ثم ضُمت إليه ياء النسبة، كما  
 يُقال: الحياتي ورقباني، وحُكي عن علي رضي الله  
 عنه أنه قال: هو الذي يربي علمه بعمله، قال  
 محمد ابن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات  
 رباني هذه الأمة، ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ أي: بما أنتم كقول  
 تعالى: (من كان في المهد صبيًا)، أي: من هو في  
 المهد ﴿تُؤْمِنُونَ الْكِتَابَ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم  
 والكسائي ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد من التعليم، وقرأ  
 الآخرون (تُعَلِّمُونَ) بالتخفيف من العلم، كقوله:  
 (ويما كنتم تدرسون) أي: تقرأون.

[٨٠] قوله: ﴿وَلَا يَا مُرِّكُمْ﴾، قرأ ابن عامر  
 وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفًا على قوله: (ثم  
 يقول)، فيكون مردودًا على البشر، أي: ولا يأمر  
 ذلك البشر، وقيل: على إضمار (أن) أي: ولا أن  
 يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقر بالرفع على  
 الاستئناف، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن  
 جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا

كالمصاييح والسرّج، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، ﴿قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾، أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ﴾، الله تعالى ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي: فاشهدوا أتمم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، عليكم وعليهم، وقال ابن عباس: فاشهدوا، أي فاعلموا، وقال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور.

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، الإقرار، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، العاصون الخارجون عن الإيمان.

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم عليه السلام»، فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾، خضع وانقاد، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباء من النفس، واختلفوا في قوله: (طوعًا وكرهًا) قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعًا وأسلم من في الأرض بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا خوفًا من السيف والسي، وقال مجاهد: طوعًا المؤمن، وكرهًا ذلك الكافر، وقيل: هذا يوم الميثاق حين قال لهم (ألست بربكم قالوا بلى)، فقال بعضهم: طوعًا وبعضهم: كرهًا، وقال قتادة: المؤمن من أسلم طوعًا فنفعه الإيمان، والكافر أسلم كرهًا في وقت اليأس فلم ينفعه الإسلام، وقال الشعبي: هو استعاضتهم به عند اضطرارهم، كما قال الله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)

نافع وأهل المدينة (آتيانكم) على التعظيم كما قال: (وآتينا داود زبورًا) (وآتيناه الحكم صبيًا) وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله، (وإنّا معكم) واختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يُبلّغوا كتاب الله ورسالته إلى عباده، وأن يُصدّق بعضهم بعضًا، وأخذ العهود على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن (أدركوه)، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ، وقال الآخرون: بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ، فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين، وهذا قول مجاهد والربيع، ألا ترى إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، وإنما كان محمد ﷺ مبعوثًا إلى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)، وإنما القراءة المعروفة (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) فأراد: أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، إن أدركوه، وقال بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيين، وأممهم جميعًا في أمر محمد ﷺ، فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبيًا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه، قوله: (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ)، يعني: محمدًا ﷺ (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) قَالَ: ، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِن قَبْلِهِ  
وَأَسْمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ  
مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ  
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾  
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا  
أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَن عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَّن نَقْبَل تَوْبَتُهُمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِن أَحَدِهِمْ تِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ  
أَفْتَدَى بِهِ ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

وقال الكلبي: طوعاً الذي وُلد في الإسلام، وكرهاً الذين أُجبروا على الإسلام ممن يُسبى منهم فيجاء بهم في السلاسل، ﴿وَأَيُّهُ يُرْجَعُونَ﴾ لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عز وجل.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَأَسْمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: آمنا بالله الآية.

[٨٥] قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزلت فيهم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٨٦] ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، لفظه استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة والثواب ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَن عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث: إنك والله فيما علمت لصدوق وأن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه.

[٩٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادوا كفراً، يعني: ذنوباً في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، قم ازدادوا كفراً أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ثم ازدادوا كفراً كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً وقيل: ثم ازدادوا كفراً بقولهم: تتربص بمحمد ريب المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام

حتى تصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء .

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ، أي :

يعلمه ويجازي به .

[٩٣] قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَنِيَّ

إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ

التَّوْرَةُ﴾ ، سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا

لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم

وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت

تأكلها، فلست على ملته، فقال رسول الله ﷺ:

«كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام»، فقالوا:

كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح

وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه

الآية، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة

لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل

حلالاً له ولبنو إسرائيل، وإنما حرّمها إسرائيل على

نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة

حرمتها، وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك

حراماً عليهم ولا حرّمه الله في التوراة، وإنما

حرموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا

تحريمه إلى الله، فكذبهم الله عز وجل، فقال:

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ، حتى يتبين

لكم أنه كما قلت، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، فلم

يأتوا، فقال الله عز وجل:

[٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

[٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة

إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ .

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ، سبب نزول هذه الآية

أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا

وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء،

وقال المسلمون الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى

أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر

ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في

الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل

منهم في الإسلام قبلت توبته، ونزل فيمن مات

منهم كافراً (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار)

الآية، فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب،

فما معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الضَّالُّونَ﴾ ، قيل: لن تُقبل توبتهم إذا رجعوا في

حال المعاينة، كما قال: (وليست التوبة للذين

يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال

إني تبت الآن)، وقيل: هذا في أصحاب الحارث

ابن سويد حيث عرضوا عن الإسلام، وقالوا

نترصب بمحمد ريب المنون، فإن ساعده الزمان

نرجع إلى دينه، (لن تُقبل توبتهم)، لن يقبل ذلك

لأنهم متربصون غير محققين، وأولئك هم

الضالون .

[٩١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ

كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ الْأَرْضِ﴾ ، أي :

قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها،

﴿ذَهَابًا﴾ ، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون

درهماً . ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهٖ﴾ ، قيل: معناه لو افتدى

به، والواو زائدة مقحمة، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ .

[٩٢] قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ يعني:

الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال

مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل:

الخير، وقال الحسن: لن تكونوا أبراراً، ﴿حَتَّى

تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ أي: من أحب أموالكم إليكم،

روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء

الزكاة، وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها

آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يتبغي به

المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر، وقال

عطاء: لن تنالوا البرّ أي: شرف الدين والتقوى



هذه الآية .

[٩٧] ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزْهِمُهُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبیت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة)، فقال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بياض على الماء، وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يُعبد الله فيه ويحج إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قبلة للناس، وقال الحسن والكلبي: معناه أنه أول مسجد ومتعبد وضع للناس، وقيل: أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه، قوله تعالى: (للذي ببكة) قال جماعة: هي مكة نفسها، وقال الآخرون: بكة موضع البيت في مكة، ومكة اسم البلد كله وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سميت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون بيبك بعضهم بعضًا ويمر بعضهم بين يدي بعض، (مُبَارَكًا) نصب على الحال أي: ذا بركة وهدى للعالمين، لأنه قبلة للمؤمنين فيه آيات بينات، قرأ ابن عباس (آية بينة) على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون آيات بينات، بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، قوله عز وجل: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) من أن يهاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: (رب اجعل هذا البلد آمنا)، وقيل: هو خير بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأتمّوه، وقيل: معناه ومن دخله معظّمًا له متقربًا إلى الله عز وجل كان آمناً يوم القيامة من العذاب.

لَنْ نُنَاوِيَ الْإِبْرَحِيَّ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِبْتُمْ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٦﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّبِيَّ إِسْرَءِيلَ بَلْ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٧﴾ ﴿مَنْ أَقْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٩﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِمَّا يُزْهِمُهُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَاسِبٌ أَلْبَسَتْ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّقُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَمَنْ تَبِعُوا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أي: والله فرض واجب على الناس حج البيت، والحج أحد أركان الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادرًا مستطیعًا بنفسه، والآخر: أن يكون مستطیعًا بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فإن يكون قادرًا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة، أما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزًا بنفسه، بأن كان زمنًا أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد:

من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.

[٩٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَآيَتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٩٩] ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لم تصرفون عن دين الله، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا﴾، تطلبونها، ﴿عِوَجًا﴾ زيغًا وميلاً، يعني: لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجًا؟ قال أبو عبيدة: العوج - بالكسر - في الدين والقول والعمل، والعِوَجُ - بالفتح - في الجدار، وكل شخص قائم، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أن في التوراة مكتوبًا نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

[١٠٠] ﴿يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْعَاقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوْتُوا ٱلْكِتَآبِ﴾ يعني: مرشاسًا وأصحابه، ﴿يُرِدُّوكُم بِعَدُوِّكُمْ كُفْرِينَ﴾ قال جابر: فما رأيت قط يومًا أقبح، أو لا أحسن آخرًا من ذلك اليوم، ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

[١٠١] ﴿وَكَفَىٰ تَكْفُرُونَ﴾ يعني: ولم تكفرون؟ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَتُ ٱللَّهِ﴾، القرآن ﴿وَفِيكُمْ رَسُوْلُهُ﴾، محمد ﷺ، قال قتادة: في هذه الآية علمان بيّنان: كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمةً من الله ونعمة، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِٱللَّهِ﴾ أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، طريق واضح، وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي: يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئًا فهو عاصم له.

[١٠٢] ﴿يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَآئِهِ﴾ قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ

سورة آل عمران

٦٣

القرآن

وَكَفَىٰ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُوْلُهُٗٓ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩٨﴾  
يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَآئِهِٗ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٩٩﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْتُمْ بِنِعْمَةِ ٱللَّهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِٗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَأُوْلٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ نَبِيضُ وُجُوْهُ وَسَوْدٌ وُجُوْهُ فَمَآ أَلَ ٱلَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوْهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ بَيِّنَتِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ آيَضَتْ وُجُوْهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٤﴾ تِلْكَ ءَايَتُ ٱللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١٠٥﴾

إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلا ن غضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فأتاهم النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس: هو أن يُطاع فلا يعصى، وقال مجاهد: أن تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وأبائكم وأبنائكم، قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا، فأنزل الله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ أي مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوضون أموركهم إلى الله عز وجل، وقال الفضيل: محسنون الظن بالله.

[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ

المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، (يوم) نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه المنافقين، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فإن قيل كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم ربهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بالستهم، وأنكروا بقلوبهم، وقال عكرمة: إنهم أهل الكتاب آمنوا بأبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

[١٠٧] قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ففي جنة الله. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضى الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالوا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى

جَمِيعًا، الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلًا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾، كما افترقت اليهود والنصارى، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ جمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبي محمد ﷺ، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأنصار (إذ كنتم أعداء) قبل الإسلام ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي: فصرتم، ﴿بِعِمَّتِهِ﴾ برحمته وبدينه الإسلام، ﴿إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية بينكم. ﴿وَكُنْتُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه: وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ الله ﴿وَمِنْهَا﴾ بالإيمان، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلَنْتَنُ مِنْكُمْ أُمَّةً﴾، أي: ولتكونوا أمة، (من) صلة ليست للتبعض، كقوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله ﴿وَلَنْتَنُ﴾ لام الأمر، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال أكثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٤

سُورَةُ آلِ اِمْرَانَ

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١١﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٢﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ طَئِفَةٍ مِّنْهُمْ إِذَا جَاءَتْكُمْ فَاقْتُلُواهُمْ بَلَّغُوا إِلَهُكُمْ وَأَنَّهُ يُخَالِفُونَ طَرِيقَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الْقَوْمِ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ﴿١١٣﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ إِنْ أَتَىٰ الرَّسُولَ مِنْهُ آيَاتٌ مِّنْهُ لَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١٤﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ إِنْ أَتَىٰ الرَّسُولَ مِنْهُ آيَاتٌ مِّنْهُ لَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾

سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضی الله عنهما ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جوير عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله (كُنتُمْ) أي: أنتم، كقوله تعالى: (واذكروا إذ كنتم قليلاً)، وقال في موضع آخر: (واذكروا إذ أنتم قليل)، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله (للناس) صلة قوله: (خير أمة) أي: أنتم خير أمة للناس. قال أبو هريرة معناه: كنتم خير الناس للناس، تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام، وقيل: للناس صلة قوله (أخرجت) معناه: ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ. قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

[١١١] قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ طَئِفَةٍ مِّنْهُمْ إِذَا جَاءَتْكُمْ فَاقْتُلُواهُمْ بَلَّغُوا إِلَهُكُمْ وَأَنَّهُ يُخَالِفُونَ طَرِيقَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الْقَوْمِ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه، فأذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان وعيداً وطغياناً، وقيل: كلمة كفر تأذون بها ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الْآدْبَارَ﴾، من هزيمين، ﴿ثُمَّ لَا يَضُرُّوكمُ﴾، بل يكون لكم النصر.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا قَفُّوا﴾، حيث ما وجدوا ﴿إِلَّا بِجَحْلِ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني: أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون إلا بحبل: عهد من الله تعالى بأن يسلموا، ﴿وَجَحْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني: إلا أن يعصموا بحبل الله فيأمنوا، قوله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، رجعوا به ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ .

[١١٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما آمن عبدالله بن سلام وأصحابه، قالت أحرار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله (لَيْسُوا سَوَاءً) وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال: (لَيْسُوا سَوَاءً) يعني: المؤمنين والفاسقين، ثم وصف الفاسقين، فقال:

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وإنما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

[١١٧] ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد على عداوة رسول الله ﷺ، وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرابي الذي لا يبتغي به وجه الله تعالى، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السموم الحارة التي تقتل، وقيل فيها صرٌّ أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زرع قوم، ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ﴾، فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، بذلك، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصابون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء أصدقاء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبتنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حِبَالٌ﴾، أي لا يقصرون

(لن يضروكم إلا أذى) ووصف المؤمنين بقوله (أمة قائمة) وقيل: قوله (من أهل الكتاب) ابتداء كلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواء، ثم ابتداء فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: (أمة قائمة) قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضعوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحده. وقيل قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذوو أمة، أي: ذوو طريقة مستقيمة. ﴿يَتَلَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿إِنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلون، لأن التلاوة لا تكون في السجود، واختلّفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود صلاة العتمة يصلونها ولا يصلها من سواهم من أهل الكتاب.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِضُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، لقوله (كنتم خير أمة)، وأبو عمرو يرى القراءتين جميعاً، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجاوزون عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ﴾، بالمؤمنين.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٥

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْنِي عَنْهُمْ آمْوَاهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ  
 مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٩﴾  
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا  
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا  
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأُولُوكُم خَبْرًا  
 وَلَا يُؤْتُونَكُم مِّنْ فَضْلِهِمْ وَمَا تُخْفِي  
 صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾  
 هَآئِنَّمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ  
 وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ  
 مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢٢﴾  
 إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَوَّهْمُ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا  
 بِهَا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا  
 إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ غَدَوْتُمْ مِنْ أَهْلِ  
 ثُبَيْئِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ اللَّيْلِ تَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾

ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد،  
 والخبال: الشر والفساد، ونصب (خبالًا) على  
 المفعول الثاني، لأن (يالو) يتعدى إلى مفعولين،  
 وقيل: بنزع الخافض، أي بالخبال، كما يقال  
 أوجعته ضربًا ﴿وَدَّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي يودون ما يشق  
 عليكم من الضر والشر والهلاك، والعنت المشقة،  
 ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ أي: البغض، معناه ظهرت  
 أمارة العداوة، ﴿مِنْ أَقْوَاهِهِمْ﴾، بالشتيمة والوقية  
 في المسلمين، وقيل: بإطلاع المشركين على  
 أسرار المسلمين، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾، من  
 العداوة والغضب، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ  
 الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[١١٩] ﴿هَآئِنَّمْ﴾ ها تنبيه وأنتم كناية للمخاطبين  
 من الذكور، ﴿أُولَآءِ﴾ اسم للمشار إليه، يريد أنهم  
 أيها المؤمنون، ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: تحبون هؤلاء  
 اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي  
 بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿وَلَا  
 يُحِبُّونَكُمُ﴾، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل  
 هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من  
 الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ  
 بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، يعني بالكتب كلها وهم لا يؤمنون  
 بكتابكم، ﴿وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا﴾، وكان  
 بعضهم مع بعض ﴿عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾،  
 يعني: أطراف الأصابع واحدها أنملة بضم الميم  
 وفتحها، من الغيظ، لما يرون من ائتلاف المؤمنين  
 واجتماع كلمتهم، وعض الأنامل عبارة عن شدة  
 الغيظ وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم  
 عض، ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾، أي: ابقوا إلى الممات  
 بغيظكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: بما في  
 القلوب من خير وشر.

[١٢٠] وقوله تعالى: ﴿إِن تَمَسَّكُمُ﴾ أي:  
 تصبكم أيها المؤمنون ﴿حَسَنَةٌ﴾ بظهوركم على  
 عدوكم وغنيمة تالونها منهم، وتتابع الناس في

الدخول في دينكم، وخصب في معاشكم  
 ﴿سَوَّهْمُ﴾، تحزنهم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، مساءة  
 ياخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف  
 يكون بينكم أو جذب أو نكبة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن  
 تَصَبَرُوا﴾، على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾، تخافوا ربكم  
 ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿كَيْدُهُمْ  
 شَيْئًا﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة  
 (لا يضرُّكم) بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير  
 ضيرًا، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون  
 بضم الضاد وتشديد الراء من ضرّ يضرّ ضرًّا،  
 مثل رد يرد ردًّا وفي رفعه وجهان. أحدهما: أنه  
 أراد الجزم، وأصله يضرركم فأدغمت الراء في  
 الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت  
 الثانية اتباعًا، والثاني: أن تكون لا بمعنى ليس  
 ويضم في الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس

يضركم كيدهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ  
مُحِيطٌ﴾، أي: عالم.

[١٢١] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ  
الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، قال الحسن: هو يوم  
بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر  
المفسرين: هو يوم أحد، وقال مجاهد والكلبي  
والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عاتشة  
رضي الله عنها يمشي على رجله إلى أحد فجعل  
يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح. فكان من  
حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ  
مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ﴾ تنزل المؤمنين (مقاعِدَ لِلْقِتَالِ)  
أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوأت القوم  
إذا وطنتهم، وتبوءوا وهم إذا توطؤوا، قال الله  
تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مَبُوءًا صدق)،  
وقال: (أن تبوءا القومكما بمصر بيوتًا) وقيل: تتخذ  
معسكرًا، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٢٢] ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾  
أي: تجبنا وتضعفا وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة  
من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي  
العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد  
في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين  
رجلاً، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبدالله بن أبي بثلث  
الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا  
وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم  
بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبدالله بن أبي:  
لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو  
حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله  
فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال عز  
وجل ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ  
وَلِيُّهِنَّ﴾ ناصرهما وحافظهما، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فُلَيْتَوَكِّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾،  
وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع،

سُورَةُ آلِ اْإِمْرَانِ

٦٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهِنَّ وَعَلَى  
اللَّهُ فُلَيْتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ  
أَذِلَّةٌ فَأَقْبَرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ  
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ  
هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ  
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا  
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لَيَقْطَعَنَّ طَرْفًا  
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَقْبَلُونَهُمْ أَخَابِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ  
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ  
﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْرِضُ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ  
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

وعليه الأكثرون، وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل:  
كانت بدر بئراً لرجل يقال له بدر، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾،  
جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا  
ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فنصرهم الله مع قلة  
عددهم وعددهم، ﴿فَأَقْبَرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدْكُمْ  
رَبُّكُمْ﴾، اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة: كان يوم  
بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال:  
(فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة)  
[الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا  
خمسة آلاف كما ذكر ههنا، ﴿بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ  
الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ  
هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾  
فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من

فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنانها.

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ يعني هذا الوعد والمدد، ﴿إِلَّا بُشِّرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: بشارة لتستبشروا به ﴿وَلِنَظْمِينَ﴾ ولتسكن ﴿قُلُوبِكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيَّزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العز والحكم له.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفًا أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركنًا من أركان الشرك بالقتل والأسر، ﴿أَوْ يَكْتَبَهُمْ﴾ قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل: يكبدهم أي: يصب الحزن والغیظ أكبادهم، والتاء والذال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده إذا حلقة، وقيل: يكتبهم بالخيبة، ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾، لم ينالوا شيئًا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي: ليس إليك، فاللام بمعنى (إلى) كقوله تعالى: (ربنا إنا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان)، أي: إلى الإيمان، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم: أو إلا أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله: (ليقطع طرفًا)، وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض بين

الملائكة كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف ردة المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر فيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكونوا عددًا ومددًا، وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمددهم أيضًا في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمددهم حين حاصروا قريظة والنضير، وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعددهم الله المدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمددوا.

قوله تعالى: (أن يمدكم ربكم) الإمداد: إعانة الجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمدته إمدادًا، وما كان على جهة الزيادة، ويقال فيه: مده مددًا، منه قوله تعالى: (والبحر يمدده) وقيل: المد في الشر، والإمداد في الخير، يدل عليه قوله تعالى: (ويمدهم في طغيانهم) وقال في الخير (وأمددناكم بأموال وبنين).

قوله تعالى: (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) قرأ ابن عامر تشديد الزاي على التثنية لقوله تعالى: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة)، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى: (لولا أنزل علينا الملائكة).

وقوله: (وأنزل جنودًا لم تروها)، ثم قال (بلى) نمدكم (إن تصبروا) لعدوكم (وتتقوا) مخالفة ببيكم (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، (يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله (مُسَوِّمِينَ) أي: معلمين، واختلفوا في تلك العلامة،



معناه كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، ﴿أَعَدَّتْ لِمُتَّقِينَ﴾ .

[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي الْتَرَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة، ﴿وَالكُطُوبِ الْغَيْظِ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلئ غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال الكلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، عن الثوري: الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة.

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر. وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيد الله، والله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأتابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصرار حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس والحسن ومقاتل

الكلامين، ونظم الآية: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

[١٢٩] ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَاَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول أجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ .

[١٣١] ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

[١٣٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، لكي ترحموا.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، وروى عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل: إلى الأعمال الصالحة. وروي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: عرضها كعرض السموات والأرض، كما قال في سورة الحديد: (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأكثر والأغلب أكثر من عرضه، يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلى الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير،

والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسن ابن الفضل: أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم.

[١٣٦] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ثواب المطيعين.

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ ، قال عطاء: شرائع وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم، وقيل: سنن أي: أمم، والسنة: الأمة، وقيل معناه: أهل السنن، والسنة: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سن فلان سنة حسنة، وسنة سيئة إذا عمل عملاً اقتدى به فيه من خير وشر، ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإدالة أنبيائي عليهم ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ ، أي: آخرنا من المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

[١٣٨] ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا القرآن، ﴿بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ﴾ ، عامة، ﴿هُدًى﴾ ، من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، خاصة.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ ، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد، يقول

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿الَّذِينَ ينفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَظِّ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿هَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿إِن يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾

الله تعالى: (وَلَا تَهْتُوا) أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وقتل من الأنصار سبعون رجلاً، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما فاتكم، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم، ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: إذا كنتم، أي: لأنكم مؤمنون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: اللهم لا يعلوه علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وقال الكلبي: نزلت

هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الحرج، فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: (ولا تهنوا في ابتغاء القوم).

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فُرْحٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (فُرْح) بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد، وقال الفراء: بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن، يقول الله تعالى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ فُرْحٌ) يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ﴾، يوم بدر ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فيوم لهم ويوم عليهم، أدبيل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدبيل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: إنما كانت هذه المداولة ليعلم؛ أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، يكرم أقواما بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤١] ﴿وَلِيَمَّحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يطهركم من الذنوب، ﴿وَيَمَحَقَّ الْكُفْرِينَ﴾، يفنيهم ويهلكهم، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محققهم واستئصالهم.

[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ؟﴾ أي: أحسبتم؟ ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولم يعلم الله، ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُتَهُ﴾، وذلك أن قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله: (تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ) أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ يعني:

وَلِيَمَّحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَّ الْكُفْرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُتَهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنَّا مُوَجِّهَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَفَاتَلَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

أسبابه، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)، بعد قوله: (فقد رأيتموه)؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: معناه وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

[١٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. محمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتم إلى دينكم الأول، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾، ويرتد عن دينه، ﴿فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾، بارتداده وإنما ضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

الرييين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ راجعاً إلى الباقيين، والوجه الثالث: أن يكون القتل للرييين لا غير، وقوله (رييونٌ كثير)، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الرييون الألوفاً، وقال الكلبى الربيبة الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحاك: الربية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والربانيون والرييون الولاة والرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، (فَمَا وَهَنُوا) أي: فما جَبَنُوا، ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقتل الأصحاب. ﴿وَمَا اسْتَكَاثَرُوا﴾، قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، وقال عطاء: وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾.

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾، نصب على خبر كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: الصغائر، ﴿وَأَسْرِفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾، أي: الكبائر، ﴿وَتَسَبَّتْ أَقْدَامَنَا﴾، كي لا تزول، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فيقول: فهلا فعلتم وقتلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد ﷺ.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، النصر والغنيمة، ﴿وَحَسُنَ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾، أي الأجر والجنة، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه، يعني المنافقين في قولهم: للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم،

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾، قال الأخفش: اللام في (لنفس) منقولة من تموت تقديره: وما كان نفس لتموت، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بقضائه وقدره، وقيل: بعلمه، وقيل: بأمره، ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ أي: كتب لكل نفس أجلاً لا يقدر أحد على تغييره وتأخيرها، ونصب ﴿كِتَابًا﴾ على المصدر، أي: كتب كتاباً، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يعني: من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاءً لعمله، يريد نؤته منها ما يشاء مما قدرناه له، كما قال: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله ابن جبير حتى قُتلوا، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، أي المؤمنين المطيعين.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مَنِ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ﴾ معناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، (قاتل) قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون (قاتل) فمن قرأ (قاتل) فلقوله: (فما وهنوا) ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قُتلوا، لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبياً قتل في القتال، ولأن (قاتل) أعم، قال أبو عبيدة: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلاً فيه، وإذا حمد من قُتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان (قاتل) أعم، ومن قرأ (قتل) فله ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون القتل راجعاً إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله (قتل)، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه، والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾  
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥١﴾ سَأَلْتَنِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ  
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ  
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعَدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ  
وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا  
مَّا تَحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ  
مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ  
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَى أَحَدٍ  
وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُ  
عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْلًا تَحَرَّزُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ  
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يرجعوكم إلى أول  
أمركم من الشرك بالله، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾،  
مغبونين.

[١٥٠] ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، ناصركم  
وحافظكم على دينكم الإسلام، ﴿وَهُوَ خَيْرُ  
النَّاصِرِينَ﴾.

[١٥١] ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
الرُّعْبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما  
ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى  
إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بئس ما  
صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد  
تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على  
ذلك قذف الله في قلوبهم الرُّعْبَ، حتى رجعوا عما  
هموا به، فذلك قوله تعالى (سَأَلْتَنِي) أي: ستقدف  
في قلوب الذين كفروا الرعب، الخوف ﴿بِمَا  
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حُجَّة  
وَبُرْهَانًا، ﴿وَمَا وَهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى  
الظَّالِمِينَ﴾، مقام الكافرين.

[١٥٢] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعَدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع  
رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد، قد  
أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من  
أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله  
تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ بالنصر  
والظفر، وذلك أن الظفر كان للمسلمين في  
الابتداء، ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾، وذلك أن رسول  
الله ﷺ جعل أحدًا خلف ظهره واستقبل المدينة  
وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة  
وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم: احموا  
ظهورنا فإن رأيتونا قد غَمَمْنَا فلا تُشْرِكُونَا وإن  
رأيتونا نُقْتَلُ فلا تنصرونا، وأقبل المشركون  
فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل  
المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف،

حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى: (إِذْ تَحْسُونَهُمْ  
بِإِذْنِهِ) أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله، قال أبو  
عبيدة: (الحسن): الاستئصال بالقتل ﴿حَتَّىٰ إِذَا  
فَشَلْتُمْ﴾ أي إن جبتهم، وقيل: معناه فلما فشلتم،  
﴿وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾، فالواو زائدة في  
(وتنازعتم) يعني: إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه  
تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر  
وعصيتم فشلتهم، ومعنى التنازع الاختلاف، وكان  
اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون،  
فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على  
الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله  
ﷺ، وثبت عبدالله بن جبير في نفر يسير دون  
العشرة، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي  
جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبدالله بن جبير  
وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وجاءت الريح

يَعْرَ، وقيل: الباء بمعنى على، أي: غمًا على غمٍّ، وقيل: غمًا متصلاً بغمٍّ، فالغمُّ الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالوا من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: أن محمداً ﷺ قد قتل فأنساهم الغم الأول، وقيل الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان، وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم، فقال رسول الله ﷺ: ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبد في الأرض، ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أنزلوهم.

وقيل: إنهم غموا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغمَّ غمَّ القتل والهزيمة، قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿وَمِنَ بَعْدِ الْغَرِّ آمَنَةٌ﴾ يعني: أمناً، والأمنُ والأمنةُ بمعنى واحد، وقيل: الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأمنة مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف هنا قائماً، ﴿تُعَاسًا﴾، بدل من الأمنة ﴿يَعْتَنِي طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي (تُعْشَى) بالتاء رداً إلى الأمنة، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى التُعَاسِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمَّتهم يومئذٍ بُعَاسٌ يَغْشَاهُمْ، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام (تُعْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ) يعني: المؤمنين، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: المنافقين: قيل: أراد تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع التُعَاسِ على المؤمنين حتى أمَّنُوا، ولم يوقع

فصارت دبوراً بعد ما كانت صباً، وانقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش، ونادى إبليس أن محمداً قد قُتِلَ، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين، قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره ﴿وَمِنَ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ مَا تُحِبُّونَ﴾ يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يعني: الذين ثبتوا مع عبدالله ابن جبير حتى قتلوا، قال عبدالله بن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ صَرَّفْنَا عَنْهُمْ﴾، أي ردكم عنهم بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحانكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة منكم لأمر نبيكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٣] ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هارين والإصعاد: السير في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذا أبعده في الذهب ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أي: لا تخرجون ولا تقيمون على أحد، لا يلتفت بعضهم إلى بعض ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَبِكُمْ﴾ أي: في آخركم ومن ورائكم إليَّ عباد الله أنا رسول الله من يكره فله الجنة، ﴿فَاتَّبَعْتُمْ﴾، فجازاكم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب، كقوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) جعل الإشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون ﴿عَمَّا﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٠

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

واحد، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. [١٥٦] ﴿يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ أي: غزاة جمع غاز فقتلوا، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعني: قولهم وظنهم، ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يعملون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

[١٥٧] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾، قرأ

على المنافقين، فبقوا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهَمِّ يقال: أمرٌ مهمٌّ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا ينصر محمدًا، وقيل: ظنوا أن محمدًا ﷺ قد قتل، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا﴾: ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: جَحْدٌ، ﴿مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني: النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في (الله) وقرأ الآخرون بالنصب على البدل، وقيل: على النعت، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، وذلك أن المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا، قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، يعني: التكذيب بالقدر، وهو قولهم: (لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلْنَا هَاهُنَا)، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، مصارعهم، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾، وليمتحن الله، ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ﴾، يخرج ويظهر ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾، انهزموا، ﴿مِنكُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً ستة من المهاجرين: وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلانًا إذا طلبت عجلته، وقيل: حملهم الزلة وهي الخطيئة، وقيل: أزلَّ واستزلَّ بمعنى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧١

سُورَةُ آلِ اِمْرَانَ

وَلَيْنَ مُتَمِّمًا أَوْ قُتِلْتُمْ لِي آلِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ  
 اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ  
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ  
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ  
 فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ  
 بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ  
 يُغَلِّبَ مِنْ بَعْدِهِ نَبَاتٍ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ  
 نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَمَّا نَبِيٌّ رَضِيَ عَنْهُ  
 اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهَهُ جَهَنَّمَ وَبَشَّرَ الْمَصِيرُ  
 ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾  
 لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ  
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾  
 أَوْلَمَّا أَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنْ هَذَا  
 قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

تعالى بمشاورتهم تطيباً لقلوبهم، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر شق ذلك عليهم، وقال الحسن: قد علم الله عز وجل أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ لا على مشاورتهم، أي: قم بأمر الله وثق به واستعنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾، يُعِينِكُمُ اللَّهُ ويمنعكم من عدوكم، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، مثل يوم بدر، ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾، يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد، والخذلان: القعود عن النصرة، والإسلام للهلكة ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قيل: التوكل ألا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: ألا

نافع وحمزة والكسائي (مُتَمِّمًا) بكسر الميم، وقرأ الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت، كقولك: من قال يقول قلت: بضم القاف، ومن كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف يخاف: خِفْتُ، ﴿لَمَعْفَرَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾، في العاقبة، ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، من الغنائم، قراءة العامة (تجمعون) بالياء، لقوله: (ولئن قُتِلتم) وقرأ حفص عن عاصم (يجمعون) بالياء، يعني: خير مما يجمع الناس.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ مُتَمِّمًا أَوْ قُتِلْتُمْ لِي آلِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، في العاقبة.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فبرحمة من الله، و(ما) صلة، كقوله (فيما نقضهم) ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ يعني: جافياً سئ الخلق قليل الاحتمال، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، قال الكلبي: فظاً في القول غليظ القلب في الفعل، ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، أي: نفرؤا وتفرقوا عنك يقال: فضضتهم فانفضوا، أي: فرقتهم فتفرقوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعت فيهم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، من قول العرب: شُرت الدابة، وشروتها، إذا استخرجت جريها، وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من موضعه، واستخرجته، واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه ﷺ بالمشارة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد، وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو، وقال مقاتل وقاتدة: أمر الله



بالإيمان والشفقة لا بالنسب، دليله قوله تعالى: (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم) ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمُشْرِكِينَ﴾. من قبل بعثه ﴿لَقَدْ لَبِثْنَا فِي أَسْرِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضٌ مِنْكُمْ الْآخَرَ بِتَرْجُمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا﴾ أي: حين ﴿أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾، بأحد، ﴿فَدَّأَبَتْكُمْ مِثْلَهَا﴾، بيدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم بيدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ أَنْ هَذَا الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا؟﴾ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس فقالوا: يا رسول الله عشائرتنا وإخواننا، لا بل تأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتكم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي بأخذكم الفداء واختياركم القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾، بأحد من القتلى والجرح والهزيمة، ﴿فِيَاذَنْ لِلَّهِ﴾، أي: بقضاء الله وقدره، ﴿وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: وليميز، وقيل ليرى.

[١٦٧] ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: لأجل دين الله وطاعته، ﴿أَوْ أَدْفَعُوا﴾، عن أهلكم وحریمكم، وقال السدي: أي: كثروا سواد المسلمين واربطوا إن لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو، ﴿قَالُوا لَوْ نَعَلْنَا قَتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾، وهو عبدالله بن أبي وأصحابه الذين

تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غيره ولا لعملك شاهدًا غيره.

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم (يغل) بفتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة: وقيل: اللام فيه منقولة معناه: ما كان النبي ليغل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يأتي به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن تكون من الغلول أيضًا، أي: ما كان لنبي أن يخان، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من الإغلال، معناه: ما كان لنبي أن يغل: أن يخون، أي: يُنسب إلى الخيانة، ﴿وَمَنْ يَعْلَمُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: انزل فخذ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار، ثم يكلف أن ينزل إليه، فيخرجه فيفعل ذلك به. ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[١٦٢] ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، فترك الغلول، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، فعل، ﴿وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْأَعْيُنُ﴾.

[١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من اتبع رضوان الله ومن بآء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولمن بآء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿وَاللَّهُ بِصِيْرِهِمْ بَصِيرَةٌ﴾.

[١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حيي من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب لإبني تغلب، دليله قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم) وقال الآخرون: أراد به جميع المؤمنين، ومعنى قوله تعالى: (من أنفسهم) أي:

التفسير

٧٢

سورة آل عمران

وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿١٦٨﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُقَلِّبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 أَوْ آدِفُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ  
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ  
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ  
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَأْ وَأَعَنْ أَنْفُسَكُمْ  
 أَلَمْ تَمُوتْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ  
 بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا  
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾  
 ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا  
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٣﴾  
 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ  
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٤﴾

انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة، قال الله تعالى:  
 ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ﴾ أي: إلى الكفر يومئذ  
 أقرب ﴿مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان،  
 ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، يعني: كلمة الإيمان ﴿مَا  
 لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، في النسب لا في  
 الدين وهم شهداء أحد ﴿وَقَعَدُوا﴾ يعني: قعد  
 هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾،  
 وانصرفوا عن محمد ﷺ وقعدوا في بيوتهم ﴿مَا  
 قَاتَلُوا قُلْ﴾، لهم يا محمد، ﴿فَادْرَأْ﴾، فادفعوا،  
 ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ تَمُوتْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن الحذر  
 يُعني عن القدر.

[١٦٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية، قيل: نزلت في شهداء بدر  
 وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة  
 من المهاجرين، وقال الآخرون: نزلت في شهداء  
 أحد وكانوا سبعين رجلاً، وقال قوم: نزلت هذه  
 الآية في شهداء بئر معونة، وقيل: إن أولياء  
 الشهداء كانوا أصابتهم نعمة تحسروا على  
 الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وآبائنا وأبنائنا  
 وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى تنفيساً عنهم  
 وإخباراً عن حال قتلاهم: (وَلَا تَحْسَبَنَّ) ولا تظننَّ  
 (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قرأ ابن عامر (قتلوا)  
 بالشديد، والآخرون بالتخفيف (أمواتاً) كأموات  
 من لم يُقتل في سبيل الله ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾،  
 قيل: أحياء في الدين، وقيل: في الذكر، وقيل:  
 لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل:  
 لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش  
 إلى يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في  
 القبر، ولا تأكله الأرض، ﴿يُرْزُقُونَ﴾، من ثمار  
 الجنة وتحفها.

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، رزقه  
 وثوابه، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾، ويفرحون، ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء  
 في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد لعلمهم أنهم  
 إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما  
 نالوا، فهم لذلك مستبشرون، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ﴾  
 أي: وبأن الله، وقرأ الكسائي بكسر الألف على  
 الاستئناف، ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾  
 أي أجابوا، ومحل (الذين) خفض على صفة  
 المؤمنين تقديره: إن الله لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول، ﴿مِنْ  
 بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، أي: نالهم الجرح في  
 أحد، وتم الكلام هنا ثم ابتداء فقال: ﴿لِلَّذِينَ  
 أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى

الغزو، ﴿وَاتَّقُوا﴾، معصيته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَآخَشَوْهُمْ﴾، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقًا و يقينًا وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، ﴿وَيَعْمَ الْوَكِيلُ﴾، أي: الموكل إليه الأمور، فعيل بمعنى مفعول.

[١٧٤] ﴿فَانْقَلَبُوا﴾، فانصرفوا، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بعافية لم يلقوا عدوًا ﴿وَفَضْلٍ﴾ تجارة وربح، ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ لم يصبهم أذى ولا مكروه، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزو فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٧٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: ذلك الذي قال لكم: (إن الناس قد جمعوا لكم فآخشوهم)، من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أوليائه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود (يخوفكم أوليائه)، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾، في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بوعدتي لأنني متكفل لكم بالنصر والظفر.

[١٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ﴾، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: (لا يحزنهم الفزع الأكبر)، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾،

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٧﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٩﴾

بمسارعتهم في الكفر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾، نصيبًا في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، استبدلوا ﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء (فالذين) في محل الرفع على الفاعل وتقديره: لا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرًا، ومن قرأ بالتاء يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ﴾، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشتُ طويلًا وتمليتُ حينًا، ومنه قوله تعالى:

الطيب) وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُطْعِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيطلع على بعض علم الغيب، نظيره قوله تعالى: (عالمُ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)، وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباها، ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ بِإِلَهِهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾، أي: ولا يحسن الباخلون البخل خيراً لهم، ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني: البخل، ﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ﴾، أي: سوف يطوقون، ﴿بِمَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدمه، هذا قول ابن مسعود وابن عباس، وقال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقاً من النار، قال مجاهد: يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ومعنى قوله (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي: يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: (يحملون أوزارهم على ظهورهم). ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: (إنا نحن نرث: لأرض ومن عليها)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قرأ أهل البصرة ومكة بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

(واهجرتي ملياً) أي: حيناً طويلاً، ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُ لَّهُمْ﴾، نملهم ﴿لِيُرَدَّادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء: في قريظة والنضير.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ اختلفوا في حكم الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب، (حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء وتشديدها وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقر بالتخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه ميمزاً وميمزاً تمييزاً إذا فرقه فامتاز، وإنما هو بنفسه، قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين، قلت: مزت ميمزاً فإذا كانت أشياء قلت: ميزتها تمييزاً، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فرقت بالتخفيف، ومنه فرقت الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقته تفريقاً، ومعنى الآية: حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد، وقال الضحاك: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: (حتى يميز الخبيث) وهو المذنب (من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٤

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿١٨٢﴾  
 سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ  
 دُفُوعِ عَذَابِ الْحَرِيقِ ﴿١٨٣﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ  
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٤﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ  
 اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَنَا بِقُرْبَانٍ  
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ  
 وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٥﴾  
 فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ  
 وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ  
 وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن رَّحِمَ  
 عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
 إِلَّا لَمَتْعٌ مَّرُورٍ ﴿١٨٧﴾ تَسْبُلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ  
 وَأَنفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ مَعَهُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا  
 وَإِن تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٨﴾

السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف، فتأكله  
 وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك  
 علامة القبول، وإذا لم يقبل بقيت على حالها،  
 وقال السدي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من  
 جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم  
 بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا  
 أتياكم فأمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان، قال  
 الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿قُلْ﴾، يا محمد  
 ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾، يا معشر اليهود، ﴿رَسُولٌ مِّن قَبْلِي  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾؟ يعني: زكريا ويحيى وسائر من قتلوا  
 من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك  
 لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،  
 معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك، كقتل  
 آبائهم الأنبياء، مع الإتيان بالقربان والمعجزات

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿١٨٢﴾، قال الحسن  
 ومجاهد: لما نزلت: (من ذا الذي يقرض الله  
 قرضًا حسنًا) قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا  
 ونحن أغنياء، ﴿سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا﴾، من الإفك  
 والفرية على الله فنجازيهم به، وقال مقاتل:  
 سنحفظ عليهم، وقال الواقدي: سنأمر الحفظة  
 بالكتابة، نظيره قوله تعالى: (وإننا له كاتبون).

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُوعِ عَذَابِ  
 الْحَرِيقِ﴾، قرأ حمزة (سيكتب) بضم الياء،  
 (وقتلهم) برفع اللام (ويقول) بالياء، و(دُفُوعِ)  
 عَذَابِ الْحَرِيقِ) أي: النار، وهو بمعنى المحرق،  
 كما يقال: (لهم عذاب أليم)، أي: مؤلم.  
 [١٨٢] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ  
 بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فيعذب بغير ذنب.

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ  
 إِلَيْنَا﴾، الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن  
 الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد  
 ابن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحبي بن أخطب  
 أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى  
 بعثك إلينا رسولاً وأنزل عليك الكتاب وأن الله  
 تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ  
 لِرَسُولٍ﴾، يزعم أنه من عند الله، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ  
 تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، فإن جئتنا به صدقناك؛ فأنزل الله  
 تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا) أي: سمع الله قول الذين  
 قالوا، ومحل (الذين) خفض رداً على ﴿الَّذِينَ﴾  
 الأول، (إن الله عهد إلينا) أي: أمرنا وأوصانا في  
 كتبه أن لا نؤمن برسول، أي: لا نصدق رسولاً  
 يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله  
 النار فيكون دليلاً على صدقه، والقربان، كل ما  
 يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسيسة وصدقة  
 وعمل صالح، وهو فعلان من القرية، وكانت  
 القرايين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا  
 قربوا قرباناً أو غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من

ثم قال معزياً لنبيه ﷺ:

[١٨٤] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، قرأ ابن عامر: (وبالزبير) أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحدها مثل: رسول ورسول، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح المضيء.

[١٨٥] قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، منفوسة ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكُمْ﴾، توفون جزاء أعمالكم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿فَمَنْ رُحِّحْ﴾، نُحِي وأزِيل، ﴿عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَرَّادًا وَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾، يعني منفعة ومنتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم يزول ولا يبقى، وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب النبات لا حاصل له، قال قتادة: هي متاع متروكة يوشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم، والغرور الباطل.

[١٨٦] ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (لتبْلونَ) لتختبرنَ، اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم (في أموالكم) بالجوائح والعاهات والخسران (وأنفُسِكُمْ) بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، قال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم من أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿وَلَسَّمْعُنَ مِنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾، الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

[١٨٧] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء فيهما، لقوله تعالى: (فَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار القول، ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مَتْنًا قَلِيلًا﴾، يعني المآكل والرُّشَا ﴿فِيَسَّ مَا يَنْتَرُونَ﴾، قال قتادة: هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ الآية، قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لا تحسبنَ) بالتاء، أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالياء ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ الفارحون في فرحهم مُنجباً لهم من العذاب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا يحسبنهم) بالياء وضم الياء خبراً عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء، أي: فلا تحسبنهم يا محمد، وأعاد قوله (فلا تحسبنهم) تأكيداً قال عكرمة: نزلت في فنخاص وأسبيح وغيرهما من الأخبار يفرحون بإضلالهم الناس بنسبة الناس إليهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم، وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبير: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك، وقال قتادة ومقاتل: أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيك ونحن لك ردة، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: (يفرحون بما أُوتوا) قال الفراء بما فعلوا، كما قال

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ  
وَلَا تَكْفُرُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا  
قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ  
بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ  
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي  
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا  
وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾  
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ  
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا  
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا  
عَلَىٰ رَسُولِكَ وَلَا تَحْزَنْ نَايَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، فكيف  
الجمع؟ قيل: قال أنس وقتادة معنا: إنك من  
تخلده في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب  
هذه خاصة لمن لا يخرج منها، فقد روى أنس  
رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ قَوْمًا  
النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا». ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
أَنْصَارٍ﴾.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعني: محمداً  
ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما،  
وأكثر الناس، وقال القرظي: يعني القرآن، فليس  
كل واحد يلقي النبي ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾، إلى  
الإيمان، ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ﴾، أي: في  
جملة الأبرار.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رَسُولِكَ﴾، أي:

الله تعالى: ﴿لقد جئت شيئاً فريباً﴾ أي: فعلت،  
﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ  
بِمَفَازَةٍ﴾، بمنجاة، ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ﴾.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يصرفها  
كيف يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ  
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول، ثم  
وصفهم فقال:

[١٩١] ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ  
جُوبِهِمْ﴾، قال علي بن أبي طالب وابن عباس  
رضي الله عنهم والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة  
يصلي قائماً فإن لم يستطع قاعداً فإن لم يستطع  
فعلى جنب، وقال سائر المفسرين أراد به المداومة  
على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قلما  
يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث، نظيره في  
سورة النساء (فإذا قضيت الصلاة فادكروا الله قِيَمًا  
وقعوداً وعلى جنوبكم)، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة  
الله ويعرفوا أن لها صناعاً قادراً مديراً حكيمًا، قال  
ابن عَوْن: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب  
الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء، وما جلجت  
القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة،  
﴿رَبَّنَا﴾ أي: ويقولون ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ رده إلى  
الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿بَطْلًا﴾، أي: عبثاً  
وهزلاً بل خلقتها لأمر عظيم، وانتصب (باطلاً) بنزع  
الخافض، أي: بالباطل، ﴿تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ  
النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾،  
أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله  
تعالى: ﴿ولا تحزون في ضيغي﴾ فإن قيل: قد قال  
الله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا  
معه﴾، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ وَلَا ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُذْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمُهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا تَزُلَّوْنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّازِبِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيَاءَ لَكُمْ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

٧٦

أحدهما: معناه وقاتل من بقي منهم، ومعنى قوله (وقتلوا) أي: قتل بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر (وقتلوا) وقد قاتلوا، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُذْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لأثيبهم ثوابًا، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾.

[١٩٦] قوله عز وجل: ﴿لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، وضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد

على السنة رُسلك، ﴿وَلَا تُحْزِنَا﴾، ولا تُعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تُثنا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعِيَادَ﴾، فإن قيل: ما وجه قولهم: (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك)، وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد؟ قيل: لفظه دعاء ومعناه خير، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك، تقديره: (فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) (ولا تُحْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة، وقيل: معناه ربنا واجلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، وقالوا: قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر، ولكن لا صبر لنا على حُلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني: ﴿لَا أُضِيعُ﴾، لا أحبط، ﴿عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي﴾ قال مجاهد: قالت أم سلمة يارسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ﴾، قال الكلبي: في الدين والنصرة والموالة، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاک: رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي﴾، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بالشديد، وقال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: (وقاتلوا) و﴿قُتِلُوا﴾ يريد أنهم قاتلوا العدو ثم أنهم قُتلوا، وقرأ حمزة والكسائي (قتلوا وقاتلوا) وله وجهان،



للتجارات وأنواع المكاسب، فالخطاب للنبي ﷺ والمراد منه غيره.

[١٩٧] ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾، أي: هو متاع قليل

فانية ومتعة زائلة، ﴿ثُمَّ مَا وَهُمْ﴾

﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ﴾

[١٩٨] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَفُوا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنَّ لِأُولَئِكَ مِنكُم مِّن فِئَةٍ مَّوَدَّةٌ وَالَّذِينَ اتَّخَفُوا رَبَّهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَيُطَهِّرَ تِبْيَانَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ لَأَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

﴿مِن عِنْدِ اللَّهِ﴾

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾

﴿وَأَتَّخَفُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ﴾

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾

﴿خَشَعِينَ

لِلَّهِ﴾

﴿لَا يَسْتُرُونَ بِعَابَتِ

اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا

وَرَأَوْا﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَأَوْا﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَأَوْا﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَأَوْا﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَأَوْا﴾

### (٤) سُورَةُ النَّسَاءِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَرَبَّكُمْ

﴿وَمَلَائِكَةً مِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

﴿وَمِنْهَا نِسَاءٌ﴾

[٢] قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ قوله ﴿وَأَتُوا﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى: جمع يتيم، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد، وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى هنا على معنى أنهم كانوا يتامى، ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا﴾، لا تستبدلوا، ﴿الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ﴾، أي: ما لهم الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم، واختلفوا في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي: كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي، فربما كان أحد يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم، فنهوا عن ذلك، وقيل: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، فنصبيه من الميراث طيب، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خبيث، وقال مجاهد: لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾، أي مع أموالكم، كقوله تعالى. (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أي: مع الله، ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، إنما عظيمًا.

[٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبْعٌ﴾، اختلفوا في تأويلهم، فقال بعضهم: معناه إن خفتُمْ يا أولياء اليتامى ألا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع وقال الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية، وقال عكرمة: كان الرجل من قریش يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدماً من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَايَأُ النَّاسُ أَتْقَارِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رُؤُوسَهُمْ وَأَوْبَتْ مِنْهُمْ رِجَالًا كَثِيرًا وَبَسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبُ الْآلِ تَعْوَلُوا ﴿٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتَيْنِ فَمِثْلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَفِي ذَلِكَ لَعْنَةٌ لِقَوْمٍ أَكْفَرُوا مِنْكُمْ هَيْبَةً مِنَ اللَّهِ يَخَافُونَ ﴿٤﴾ وَلَا تَتَوَلَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

مؤن نسائه مال إلى مال يتيمته التي في حجره فأنفقها، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بعضهم: كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاؤوا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى (وأتوا أموالهم) أنزل هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، يقول كما خفتُمْ ألا تقسطوا في اليتامى فذلك خافوا في النساء ألا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقوقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبیر وقتادة والضحاك والسدي، ثم رخص في نكاح أربع فقال: ﴿فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾

وقال مجاهد: معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً فكذاك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً، وكانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد، فنزل قوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) أي: من طاب، والعرب تضع (من) و(ما) كل واحدة موضع الأخرى، وطاب أي: حل لكم من النساء مثني وثلاث ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يصرفن، وإن الواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: (أن تقوموا لله مثني وفرادى) وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة (فإن خفتن)، خشيتن، وقيل: علمتم، (ألا تعدلوا)، بين الأزواج الأربع، (فواحدة) أي: فانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر (فواحدة) بالرفع، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهن ولا وقف في عددهن، ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾، أقرب ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: لا تجوروا ولا تملوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائر مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: ألا تضلوا، وقال الفراء: ألا تجاوزوا ما فرض الله عليكم، وأصل العول: المجاوزة، ومنه عول الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: ألا تكثر عيالكم، وما قاله أحد، إنما يقال: أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان العرب ممّا فله بلغة، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرف (أن لا تعيلوا) وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

وقال مجاهد: فيما قبل مع الناكحين، والصدقات: المهور، واحدها صدقة، نحلة قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماة، قال أبو عبيدة: ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس، وقال الزجاج: تديناً، ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ فَنَسَاءٌ﴾، يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾، سائغاً طيباً، يقال هنأني الطعام يهنئني بفتح النون في الماضي وكسرهما في الغابر، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء: المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجاً أو بناتٍ أو أمهات، وقال الآخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفه ماله الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفهية وابنتك السفهية، وقال ابن عباس: لا تعد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفهية مفسدة وأن ولده سفه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد ابن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفقه عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: (أموالكم) لأنهم قوامها ومدبروها، والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتية

[٤] ﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدُقِهِنَّ نِحْلَةً﴾، قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن ولي المرأة كان إذا تزوجها لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وقال الآخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصداق، وهذا أصح، لأن

الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة، اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان مختصان بالنساء، أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلامًا كان أو جارية، وأما الاحتلام فنعني به نزول المنى سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجدت ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه، أما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل.

وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحًا في دينه وماله، والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنبًا عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو ألا يكون مبدّرًا، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمّدة دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاكُوهَا﴾، يامعشر الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾، بغير حق، ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرة، ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ (وأن) في محل نصب، يعني: لا تبادروا كبارهم ورشدهم حذرًا من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما يحل لهم ومن مالهم فقال: ﴿كَانَ عَيْنًا فَالْمَنْعُفُ﴾، أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلاً ولا كثيرًا، والعفة الامتناع مما لا يحل، ﴿وَالْمَنْعُفُ﴾، محتاجًا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده، ﴿وَالْمَنْعُفُ﴾، واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء، فذهب بعضهم إلى أن يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فالمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتج إليه، فإذا أيسر قضاها، وقال قعود لا يقضه عليه.

ماله هو المستحق الحجر عليه، وهو أن يكون مبدّرًا في ماله أو مفسدًا في دينه، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: الجهال بموضع الحق (أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا)، أصله: قوامًا، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم، ﴿وَأَكْثُوهُمْ﴾، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال (فيها) ولم يقل: منها، لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقًا فإن الرزق من الله العطية من غير حد، ومن العباد أجر موقت محدود، ﴿وَقُوتُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عدة جميلة، وقال عطاء: إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت فلك فيه حظ، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته، فقل له: عافانا الله وإياك بارك الله فيك، وقيل: قولًا تطيب به أنفسهم.

[٦] قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ﴾ أي: اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾، أبصرتهم، ﴿مِنْهُمْ رَشْدًا﴾، فقال المفسرون يعني: عقلاً وصلاحًا في الدين وحفظًا للمال وعلماً بما يصلحه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخًا حتى يؤنس منه رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئًا سيرًا من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها، فإذا رأى حسن تدبير، وتصرف في الأمور مرارًا يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه. واعلم أن الله تعالى علق زوال

سُورَةُ النِّسَاءِ

٧٨

النِّسَاءِ

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِنَّ فَلْيَنْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْوَأُنثَىٰ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِمُ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِيْنًا ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

على عامة ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يُجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحته من بحضرته على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عائلة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يجب أن يفعل بذريته من بعده، قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته.

[١٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: حراماً بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أخبر عن ماله، أي عاقبته تكون

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾، هذا أمر وإرشاد، وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، محاسباً ومجازياً وشاهداً.

[٧] قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه (نصيب) حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، من الميراث، ﴿وَالنِّسَاءِ﴾، وللإناث منهم، ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، أي من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ منه ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيب فأثبت لهن الميراث، ولم يبين كم هو حتى أنزل الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ).

[٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعني: قسمة الموارث، ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾، الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾، أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن جبير والضحاك: كانت هذه قبل آية الميراث، فجعلت الموارث لأهلها، ونسخت هذه الآية. وقال الآخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم، وقال بعضهم: وهو أولى الأقاويل: إن هذا على الندب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا﴾، أولاداً صغاراً، ﴿خَافُوا عَلَيْهِنَّ﴾، الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته، انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يعنون عنك شيئاً، قدم لنفسك، اعتق وتصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا، حتى يأتي

الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾، اثنان أو أكثر ذكوراً وإناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّدُسُ﴾، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس)، ولا يقال للثنتين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين، قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر (يوصي) فتح الصاد على ما لم يسم فاعله، وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر لميت من قبل، بدليل قوله تعالى: (يوصين)، و(توصون) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان، والإرث مؤخر عن كل واحد منهما، ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾، يعني: الذين يرثونكم آباً وكم وأبناؤكم، ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، أي: لا تعلمون أنهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع له، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبر أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾، أي: ما قدر الله من الموارث، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾، بأمور العباد، ﴿حَكِيمًا﴾، بنصب الأحكام.

كذلك، ﴿وَسَبَّحُوا بُحْبُوحًا﴾، قراءة العامة بفتح الياء، أي: يدخلونه، يقال: صلى النار يصلوها صلياً وصلاءً، قال الله تعالى: (إلا من هو صال الجحيم)، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: (فسوف نُصليهِ ناراً) (سأصليه سقر).

[١١] قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ الآية، اعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله تعالى: (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) ثم صارت الوراثة بالهجرة، قال الله تعالى: (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعنى بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض، لقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، والمعنى بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالولاء: أن المعتق وعصباته يرثون المعتق، قوله عز وجل: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي: في أمر أولادكم إذا تم، للذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، أي: اثنتين فصاعداً (فوق) صلة، كقوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق)، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾، قراءة العامة على خبر كان، رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة، ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَائِبُ﴾، يعني: لأبوي الميت كناية عن غير مذكور، ﴿لِكُلِّ وَجِدٍ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أراد أن

سُورَةُ النِّسَاءِ

٧٩

النِّسَاءِ

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن تَوُيْتُنَّ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ وَمِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ لِلرَّجُلِ أَرْبَعٌ نِّسْوَةٌ فَهِنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي الرُّبْعِ وَالثَّمَنِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاتَهُ أَوْ امْرَأَةٌ﴾ تَوْرَثَ كِلَاتَهُ، وَنَظْمُ الْآيَةِ: وَإِن كَانَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يُوْرَثُ كِلَاتَهُ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ: عَلَى خَبَرٍ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ مَا لهُ كِلَاتَهُ، وَاسْتَخْلَفُوا فِي الْكِلَالَةِ فَذَهَبَ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ إِلَى أَنَّ الْكِلَالََةَ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَلِدْ لَهُ وَلَا وَالِدٌ لَهُ، وَذَهَبَ طَاوُسٌ إِلَى أَنَّ الْكِلَالََةَ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَلِدْ لَهُ، وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَاحْتِجَ مِنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُم فِي الْكِلَالَةِ إِنْ امْرؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)، وَبَيَّانُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ نَزُولِهَا أَبٌ وَلَا ابْنٌ، لِأَنَّ أَبَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزَامٍ قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَآيَةُ الْكِلَالَةِ نَزَلَتْ فِي آخِرِ عَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَارَ شَأْنُ جَابِرٍ بَيَّانًا لِمُرَادِ الْآيَةِ لِنَزُولِهَا فِيهِ، وَاسْتَخْلَفُوا فِي أَنَّ الْكِلَالََةَ اسْمٌ لِمَنْ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْمَيْتِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُ مَاتَ عَنْ ذَهَابِ طَرَفِيهِ، فَكُلُّ عَمُودٍ نَسَبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْوَرِثَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّلُونَ الْمَيْتَ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَلَيْسَ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ أَحَدٌ، كَالْإِكْلِيلِ يَحِيطُ بِالرَّأْسِ وَوَسَطَ الرَّأْسِ مِنْهُ خَالَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: إِنَّمَا يَرِثُنِي كِلَالََةٌ، أَيُّ: يَرِثُنِي وَرِثَةٌ لَيْسُوا بَوْلِدٍ وَلَا وَالِدِ، وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: الْكِلَالََةُ اسْمٌ

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن تَوُيْتُنَّ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ وَمِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، يَعْنِي: الزَّوْجَاتِ الرَّبْعِ، ﴿مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ، هَذَا مِيرَاثُ الزَّوْجَاتِ وَإِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ أَرْبَعٌ نِّسْوَةٌ فَهِنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي الرُّبْعِ وَالثَّمَنِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاتَهُ أَوْ امْرَأَةٌ﴾ تَوْرَثَ كِلَاتَهُ، وَنَظْمُ الْآيَةِ: وَإِن كَانَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يُوْرَثُ كِلَاتَهُ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ: عَلَى خَبَرٍ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ مَا لهُ كِلَاتَهُ، وَاسْتَخْلَفُوا فِي الْكِلَالَةِ فَذَهَبَ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ إِلَى أَنَّ الْكِلَالََةَ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَلِدْ لَهُ وَلَا وَالِدٌ لَهُ، وَذَهَبَ طَاوُسٌ إِلَى أَنَّ الْكِلَالََةَ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَلِدْ لَهُ، وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَاحْتِجَ مِنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُم فِي الْكِلَالَةِ إِنْ امْرؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)، وَبَيَّانُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ نَزُولِهَا أَبٌ وَلَا ابْنٌ، لِأَنَّ أَبَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزَامٍ قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَآيَةُ الْكِلَالَةِ نَزَلَتْ فِي آخِرِ عَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَارَ شَأْنُ جَابِرٍ بَيَّانًا لِمُرَادِ الْآيَةِ لِنَزُولِهَا فِيهِ، وَاسْتَخْلَفُوا فِي أَنَّ الْكِلَالََةَ اسْمٌ لِمَنْ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْمَيْتِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُ مَاتَ عَنْ ذَهَابِ طَرَفِيهِ، فَكُلُّ عَمُودٍ نَسَبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْوَرِثَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّلُونَ الْمَيْتَ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَلَيْسَ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ أَحَدٌ، كَالْإِكْلِيلِ يَحِيطُ بِالرَّأْسِ وَوَسَطَ الرَّأْسِ مِنْهُ خَالَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: إِنَّمَا يَرِثُنِي كِلَالََةٌ، أَيُّ: يَرِثُنِي وَرِثَةٌ لَيْسُوا بَوْلِدٍ وَلَا وَالِدِ، وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: الْكِلَالََةُ اسْمٌ

لِلْمَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّنَّ﴾، أَرَادَ بِهِ الْأَخَ وَالْأُخْتَ مِنَ الْأُمِّ بِالْإِتْفَاقِ، قَرَأَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنَ الْأُمِّ) وَلَمْ يَقُلْ لِهَاتَيْنِ مِنْ ذِكْرِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مِنْ قَبْلِ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرْتَ اسْمَيْنِ ثُمَّ أَخْبَرْتَ عَنْهُمَا، وَكَانَا فِي الْحُكْمِ سَوَاءً رُبَّمَا أَضَافْتَ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَرُبَّمَا أَضَافْتَ إِلَيْهِمَا ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَمَّ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ فِيهِ إِجْمَاعٌ أَنَّ أَبْنَاءَ الْأُمِّ إِذَا كَانُوا اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا يَشْتَرِكُونَ فِي الثُّلُثِ ذِكْرَهُمْ وَأَنْثَاهُمْ، ﴿وَمِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَاعَرٍ﴾ أَيُّ: غَيْرَ مُدْخَلِ الضَّرْرِ عَلَى الْوَرِثَةِ بِمَجَاوِزَةِ الثُّلُثِ فِي الْوَصِيَّةِ، ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، قَالَ قَتَادَةُ: كَرِهَ اللَّهُ الضَّرَارَ فِي الْحَيَاةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَهَى عَنْهُ وَقَدَّمَ فِيهِ.

[١٣] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: مَا ذَكَرَ مِنْ

الفرائض المحدودة، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر (ندخله جنات، وندخله نارًا)، وفي سورة الفتح (ندخله) و(نعذبه) وفي سورة التغابن (نكفر) و(ندخله) وفي سورة الطلاق (ندخله) بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ﴾، يعني: الزنا، ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، فاحبسوهن، ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، كانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الشيب بالرجم.

[١٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾، يعني الرجل والمرأة، والهَاء راجعة إلى الفاحشة ﴿فَقَادُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة: يعني فعيروهما باللسان: أما خفت الله؟ أما استحييت من الله حيث زנית؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سبوهما واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يؤذى بالتعبير وضرب النعال، فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الشيب وهذه في البكر، ﴿فَإِنْ تَابَا﴾، من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾، العمل فيما بعد، ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾، فلا تؤذوهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاقْدُوا وَهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فنسخت بالجلد والرجم، الجلد في القرآن قال الله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) [سورة النور آية: ٢] والرجم في السنة في الرجلين اللذين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، واثذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفًا، أي: أجيرًا على هذا، فزني بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأفضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك،



وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام، واغديا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»، فغدا عليها فاعترفت، فرجمها.

[١٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: يعني التوبة التي يقبلها، فيكون على بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدًا كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب لكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، قيل: معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت، قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني: المعاصي ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، ووقع في النزاع، ﴿قَالَ إِنِّي بُنْتُ أَكْفَنُ﴾، وهي حالة السوق حتى يساق بروحه، لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا، أَي: هيأنا وأعدنا، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا﴾.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوْا النِّسَاءَ كَرهًا﴾ قال الفراء: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة، ﴿وَلَا تَعْضَلُونَهَا لِيُتَبَدَّلَ مِنْهَا إِبْرَأَتٌ يُغْنِي عَنْهَا وَالْمَرْءُ رَجَعٌ إِلَىٰ النَّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُهُنَّ﴾، أي: لا تمنعوهن من الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض ما لهن، قيل: هذا خطاب لأولياء الميت،

والصحيح أنه خطاب للأزواج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فنهى الله تعالى عن ذلك، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنِيَنَةٍ﴾ فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم، واختلفوا في الفاحشة، قال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز، وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع، وقال عطاء: كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، فُنسخ ذلك في الحدود، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال الحسن: راجع إلى أول الكلام، يعني: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نَحْلَةً)، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ والمعاشرة بالمعروف: هي الإجمال في القول والمبيت والنفقة، وقيل: هي أن يصنع لها كما تصنع له، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ كَرهًا شَدِيدًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبِيرًا كَثِيرًا﴾، قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها.

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَلَا فَاحِشَةٍ﴾، ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا﴾، وهو المال الكثير صداقًا، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾، من القنطار، ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ﴾، استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿بِهَتْنِكُمْ وَإِنَّمَا تُنِبِّئُونَ بِالْحَقِّ﴾، وجهين أحدهما بنزع الخافض، والثاني بالإضمار تقديره: تصيبون في أخذه بهتانًا وإنمًا ثم قال:

[٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾، على طريق الاستعظام، ﴿وَقَدْ أَقْضَىٰ بِعَضِّكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، أراد به المجامعة، ولكن الله حيي يكتفي، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة، ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ تَيْمَنًا غَلِيظًا﴾، قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة: وهو قول الولي عند

العقد: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقال الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى»<sup>(١)</sup>، قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم، قال الأشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالحى الأبصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني اتخذتك ولداً وأنت من صالحى قومك، ولكنى أتى رسول الله ﷺ أستأمره، فأتته فأخبرته، فأنزله الله تعالى:

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، قيل: بعد ما سلف، وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: إنه فاحشة، (وكان) فيه صلة، و(الفاحشة) أقبح المعاصي، ﴿وَمَمْتًا﴾ أي: يورث مقت الله، والمقت: أشد البُغض، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، وبش ذلك طريقاً وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه (مقيت).

[٢٣] قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة، وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة: سبعٌ بالنسب، وسبعٌ بالسبب، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات، وهن ذوات الأزواج، وأما السبع بالنسب فقولته تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وإن علون من قبل الأم ومن قبل الأب، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، وهي جمع: البنت، ويدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾، جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتِنًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَمْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَطَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

جمع العمة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ جمع خالة، ويدخل فيهن أخوات أمهاتك وجداتك، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾، ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وإن سفلن، وجملته: أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده، والأصول هي الأمهات والجدات، والفصول البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هي الأخوات وبنات الإخوة والأخوات، وأول فصل من كل أصل بعده هن العمات والخالات وإن علون، وأما المحرمات بالرضاع فقولته تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾

(١) رواه مسلم في كتاب الحج / ١٤٧، وأبو داود في المناسك / ٥٦، وابن ماجه في المناسك / ٨٤، والدارمي في المناسك / ٣٤، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ / ٧٣.

والجد وإن علا، فيحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء)، وقد سبق ذكره، وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين، قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائناً جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحداهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه يجمع بين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب ثم استثنى فقال: (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)، يعني: السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها، قال أبو سعيد الخدري: بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين، فكروها غشيانهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: أراد بقوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه، وقال ابن مسعود: أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينهما وبين

وَأَهْوَأْتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، وأما المحرمات بالصهرية فقولته: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، وجملته أن كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد، ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، الربائب جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، سميت ربيبة لتربيته أياها، وقوله: (في حُجُورِكُمْ) أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته، (دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) أي: جامعتموهن، ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولادها، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جاز له أن ينكح بنتها، ولا يجوز له أن ينكح أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الربائب، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو متن، وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، يعني: أزواج أبنائكم، واحدتها: حليلة، والذكر حليل، سميا بذلك لأن كل واحد منها حلال لصاحبه، وقيل: سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو النزول، وقيل: إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد العقل، وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد، وإنما قال: (مِنْ أَصْلَابِكُمْ) ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ.

والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٢﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْتُكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ نَصَبُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤﴾

عقد إلى أجل بمال فإذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في المال، وإن لم يتراضيا فارقتها، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح. قال المراد بقوله: (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾، أي: فضلاً وسعة، ﴿أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْتِكُمُ﴾، إمائكم، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، أي: من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة، وفيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: ألا يجد مهر حرة، والثاني أن يكون خائفًا على نفسه من العنت، وهو

زوجها، ويكون بيعها طلاقًا فيحل للمشتري وطؤها، قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم، وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا ما كتب الله عليكم، أي فرض الله تعالى، ﴿وَاجِلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَُمْ﴾، أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾، تطلبوا ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾، أن تنكحوا بصدقات أو تشتروا بثمن، ﴿مُحْصِنِينَ﴾، أي: متزوجين أو متعفين، ﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾، أي: غير زانين، مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المنى، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، اختلفوا في معناه، فقال الحسن ومجاهد: أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، ﴿فَقَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، أي: مهورهن، وقال آخرون: هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحًا في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله تعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئًا» وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة وقيل: إن ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك، وروى سالم عن عبدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، لا أجد رجلًا نكحها إلا رجمته بالحجارة، قوله تعالى: ﴿فَقَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، ﴿وَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، فمن حل ما قبله على نكاح المتعة أرادوا أنها إذا

يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول، ﴿لِمَنْ حَشِيَ  
الْعَنْتَ مِنْكُمْ﴾، يعني: الزنا، يريد المشقة بغلبة  
الشهوة، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾، عن نكاح الإماء متعفين،  
﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لثلا يخلق الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ  
رَّحِيمٌ﴾.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾،  
أي: أن يبين لكم، كقوله تعالى: (وأمرت لأعدل  
بينكم) أي: أن أعدل ومعنى الآية: يريد الله أن  
يبين لكم، أي: يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح  
أموركم، قال عطاء: يبين لكم ما يقربكم منه، قال  
الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير  
لكم، ﴿وَيَهْدِيكُمْ﴾، ويرشدكم، ﴿سُنَنٌ﴾، شرائع،  
﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، في تحريم الأمهات  
والبنات والأخوات، فإنها كانت محرمة على من  
قبلكم، وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة  
إبراهيم عليه السلام، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، ويتجاوز  
عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع  
بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته،  
وقيل: يوفقكم التوبة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده  
في أمر دينهم ودنياهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما دبر من  
أمورهم.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، إن وقع  
منكم تقصير في أمر دينكم ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَيَّلُوا﴾، عن الحق، ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾  
ياتيانكم ما حرم عليكم، واختلفوا في الموصوفين  
باتباع الشهوات، فقال السدي: هم اليهود  
والنصارى، وقال بعضهم: هم المجوس لأنهم  
يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت،  
وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن  
الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم كما يزنون،  
وقيل: هم جميع أهل الباطل.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾، يسهل عليكم  
في أحكام الشرع، وقد سهل كما قال جل ذكره:

الزنا، لقوله تعالى في آخر الآية: (ذلك لمن حشي  
العنت منكم) وفي الآية دليل على أنه لا يجوز  
للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال: (فمن ما  
ملكتم أيمانكم من فتياتكم المؤمنات)، جوز نكاح  
الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وقال في موضع آخر:  
(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل  
لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من  
الذين أوتوا الكتاب) أي: الحرائر جوز نكاح  
الكتابية، بشرط أن تكون حرة، وجوز أصحاب  
الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبالاتفاق يجوز  
وطؤها بملك اليمين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾، أي:  
لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن  
الله أعلم بإيمانكم، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، قيل:  
بعضكم إخوة لبعض، وقيل: كلكم من نفس واحدة  
فلا تستكفوا من نكاح الإماء، ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ﴾،  
يعني: الإماء ﴿بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، أي: مواليهن،  
﴿وَأَن تُوْهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾، مهورهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من  
غير مُطل وضرار، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾، عفاف بالنكاح،  
﴿غَيْرَ مُسْلِفَاتٍ﴾، أي: غير زانيات، ﴿وَلَا  
مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾، أي: أحباب تزنون بهن في  
السِّرِّ، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من  
دعاها تبعته، وذات خدن أي: تختص بواحد لا  
تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز  
الثانية، ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو  
بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن،  
وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون:  
(أُحْصَنَ) بضم الألف وكسر الصاد، أي تزويجهن،  
﴿إِنَّ آتِينَ بِفَحْشَةٍ﴾، يعني: الزنا، ﴿فَقَلَّيْنِ يَصُفُّ  
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾، أي: ما على الحرائر الأبقار إذا  
زنين، ﴿مِنَ اللَّذَابِ﴾، يعني: الحد فيجلد الرقيق  
إذا زنى خمسين جلدة، وهل يُغرب؟ فيه قولان،  
فإن قلنا يغرب فيغرب نصف سنة على القول  
الأصح ولا رجم على العبد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾،

(يضع عنهم إصرهم) وقال النبي ﷺ: «بعثت بالدين الحنيفية السمحة السهلة»، ﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان: ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف).

[٢٩] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، بالحرام، يعني: بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾، قرأ أهل الكوفة (تجارة) نصب على خبر كان، أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة، ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾، أي بطيبة نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال أبو عبيدة: أي لا تهلكوها، كما قال: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وقيل: لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه، وقال الحسن: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) يعني: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، يعني: ما سبق ذكره من المحرمات، ﴿عَدْوًا وَظُلْمًا﴾، فالعدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ﴾، ندخله في الآخرة، ﴿نَارًا﴾، يصلى فيها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، هيناً.

[٣١] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبِيرًا مَا نُنْبِئُ عَنْهُ نَكْفِيرًا عَنْكُمْ سَخَاتِكُمْ﴾، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر، ففي حديث

٨٣  
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُقْبَلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَحَلَقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوً نَّارًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَحْتَبُوا كَبِيرًا مَا نُنْبِئُ عَنْهُ نَكْفِيرًا عَنْكُمْ سَخَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَنَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَكُمْ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»، وفي آخر «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراف بالله عز وجل، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»، وفي آخر قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله. وعن سعيد بن جبير: أن رجلاً سأل ابن عباس

فهو من السيئات، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَكُم مَّدْخَلًا كَرِيمًا﴾، أي: حسناً وهو الجنة، قرأ أهل المدينة (مدخلاً) بفتح الميم وهنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا. فتزلت هذه الآية. وقيل: لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث، قالت النساء: نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال، لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)، وقال قتادة والسدي لما أنزل الله قوله: (للذكر مثل حظ الأنثيين) قال الرجل إنا لندرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُنَّ مِنَ الْأَجْرِ فِي الْأَجْرَةِ سَوَاءٌ، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء، وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج. قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ نهي الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمنى لنفسه أم لا، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز.

رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر.

وقال عبدالله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله: (إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)، فهو كبيرة.

وقال علي بن أبي طالب: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

وقال الضحاك: ما أوعد الله عليه حداً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة.

وقال الحسن بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ حَوْبًا كَبِيرًا)، (إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا)، (إِنْ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، (إِنْ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ)، (سَبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)، (إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا).

قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو، وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة، وقيل: الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة، وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام، وقال السدي: الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجمع فيه الصالح والفساق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهاها، وقيل: الكبائر ما يستحقه العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعه: وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك

ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت، ثم قال: (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال. أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «لنقتص من زوجها»، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء» فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا، والذي أراد الله خير»، ورفع القصاص<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء) أي: مسلطون على تأديبهن، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، يعني: فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة لقوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل: بالجهاد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعًا ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالنبوة، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: إعطاء المهر والنفقة، قوله تعالى: ﴿فَاللَّحِيحُ قَبْلَ نِكَاحِ﴾، أي: مطيعات

قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن. وقوله: (وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) أي من رزقه، قال سعيد بن جبير: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى، أي: عصبه يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، الوالدان والأقربون هم المورثون، وقيل: معناه ولكل جعلنا موالى أي: ورثة مما ترك أي: من الذين تركوهم ويكون (ما) بمعنى: (من)، ثم فسر ﴿الْمَوْلَىٰ﴾ فقال: الوالدان والأقربون، أي: هم الوالدان والأقربون، فعلى هذا القول: الوالدان والأقربون، هم الوارثون، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة (عقدت) بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكم، وقرأ الآخرون (عاقدت أيمانكم) والمعاقدة: المحالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين، من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد. ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وتأري تأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: (أوفوا بالعقود)، وقال

(١) روى قريبًا من هذا الخبر الإمام الطبري في تفسيره ج ٥/



﴿حَفِظْتُمْ لِّغَيْبِ﴾، أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرهم ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر (بما حفظ الله) بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي: بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحقهن وأمرهن بأداء المهر والنفقة. وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله ﴿وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، عصيانهن وأصل النشوز: التكبر والارتفاع، ومنه النشز للموضع المرتفع، ﴿فِعْظُهُنَّ﴾، بالتخويف من الله والوعظ بالقول، ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن (في المصاحح)، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ يعني: إن لم ينزعن الهجران فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولا شائن، وقال عطاء: ضرباً بالسواك ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عيينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾، متعالياً من أن يكلف العباد ما لا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر النشوز جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله: (واللاتي تخافون نشوزهن)، على العلم كقوله تعالى: (فمن خاف من موص جناً) أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة)، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المباشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، يعني: خلافاً بين الزوجين، والخوف بمعنى

الرِّجَالِ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلَا تَصْلِحْ لَكُنَّ قَنْدَلَتْ حَفِظْتُمْ لِّغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمُ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٨﴾

اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظنتم شقاق بينهما، وجملته إنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصصح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلاً بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾، يعني: الحكمين، ﴿يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني: بين الزوجين، وقيل: بين الحكمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. اختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين، وأصح القولين أنه

لا يجوز إلا برضاها، وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إلا بإذنها، وهو قول أصحاب الرأي، والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاها، فيجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاها ولحكم المرأة أن يختلع دون رضاها، إذا رأيا الصلاح، كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقُّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الناس على الله ألا يعذبهم، قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: دعهم يعملون. قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، براءً بهما وعطفاً عليهما، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: أحسنوا بذى القربى، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذى القرابة، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، أي: البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْحَنَبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر، قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وعكرمة وقتادة، وقال علي وعبدالله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نفعك، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، قيل: هو المسافر لأنه ملازم السبيل، والأكثر: على أنه الضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: المماليك أحسنوا إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، المختال، المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبراً، ذكر هذا بعدما ذكر من الحقوق، لأن المتكبر يمنع الحق تكبراً.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾، البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكنتموها، وقال سعيد بن جبيرة هذا في كتمان العلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن الثابت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر بن عمرو كانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويخالطونهم فيقولون لا تتفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: المال، وقيل: يبخلون بالصدقة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ نزلت في اليهود، وقال السدي: في المنافقين، وقيل: مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول ﷺ. ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لِرُّ قَرِينًا﴾، صاحباً وخليلاً ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾، أي: فبئس الشيطان قريناً وهو نصب على التفسير، وقيل: على القطع بالغاء الألف واللام كما تقول: نعم رجلاً عبد الله.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما الذي عليهم وأي شيء عليهم؟ ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ونظمه: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم أي: لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله ميثقال ذرة، والذرة: هي النملة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذر أجزاء الهباء في الكون وكل

جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قاله في آية أخرى: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، وقيل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل أخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثبته عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز (حسنة) بالرفع، أي وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟.

[٤٣] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ الآية، والمراد من السكر: السكر من الخمر عند الأكثرين، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلاً ليصلي بهم فقرأ (قل يا أيها الكافرون) أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر. وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به سكر النوم، نهى عن الصلاة عند غلبة النوم، ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا﴾، نصب على الحال، يعني: ولا تقربوا الصلاة جُنْبًا، يقال: رجل جنب وامرأة جنب، ورجال جنب ونساء جنب، وأصل الجنب: البعد، وسمي جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناس وبعده منهم، حتى يغتسل. قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾، واختلفوا في معناه فقالوا: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدوا الماء فتميموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله

جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قاله في آية أخرى: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، وقيل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل أخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثبته عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز (حسنة) بالرفع، أي وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟.

[٤١] قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾، يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ شاهداً يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره.

[٤٢] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا أَرْسُولَ لَوْ سُوءٍ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر (تَسْوَى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى، فأدغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعّل كقوله تعالى: (لا تكلم نفس إلا بإذنه)، وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول، أي: لو سويت بهم الأرض وصاروا هم والأرض شيئاً واحداً. قال قتادة وأبو عبيدة: يعني لو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها كما خرجوا منها ثم تسوى بهم، أي: عليهم الأرض، وقيل: ودوا لو أنهم لم يبعثوا لأنهم إنما نقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية عليهم، وقال الكلبي: يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع:

سورة النساء

٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ  
قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا  
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ  
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ  
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُؤْذَى الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ سَوَّيْتُمْ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ  
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ  
وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي  
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجِيًّا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ  
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً  
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ  
الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَقْضُوا السَّبِيلَ ﴿٣٤﴾

قرأ حمزة والكسائي (لمستم) ههنا وفي المائدة،  
وقرأ الباقون (لاستم النساء) واختلفوا في معنى  
اللمس والملاسة، فقال قوم: هو المجامعة، وهو  
قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكثي  
باللمس عن الجماع لأن الجماع لا يحصل إلا  
باللمس، وقال قوم: هما التقاء البشريتين سواء كان  
بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن  
عمر والشعبي والنخعي، واختلف الفقهاء في حكم  
هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل  
بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل  
بينهما، ينتقض وضوءهما، وهو قول ابن مسعود

عنهم، وقال الآخرون: بل المراد من الصلاة  
موضع الصلاة، كقوله تعالى: (وبيع وصلوات)  
ومعناه: لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا مجتازين  
فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب  
أو يصيبه جنابة والماء في المسجد أو يكون طريقه  
عليه، فيمر به ولا يقيم، وهذا قول عبدالله بن  
مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن  
وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوماً من  
الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة  
ولا ماء عندهم ولا ممر لهم إلا في المسجد،  
فرخص لهم في العبور، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ  
مَرْجِيًّا﴾، جمع مريض، وأراد به مرضاً يضره  
إمساس الماء مثل الجدري ونحوه، أو كان على  
موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء  
فيها التلف أو زيادة الوجع، فإنه يصلي بالتيمم وإن  
كان الماء موجوداً وإن كان بعض أعضاء طهارته  
صحيحاً والبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم  
للجريح، قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، أراد أنه إذا  
كان في سفر طويلاً كان أو قصيراً، وعدم الماء فإنه  
يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه، لما روي عن أبي ذر  
قال: قال النبي ﷺ: «إن الصعيد الطيب وضوء  
المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد  
الماء فليمسه بشره فإن ذلك خير»<sup>(١)</sup>، أما إذا لم  
يكن الرجل مريضاً ولا في سفر لكنه عدم الماء في  
موضع لا يعدم فيه الماء غالباً بأن كان في قرية  
انقطع ماؤها فإنه يصلي بالتيمم ثم يعيد إذا قدر على  
الماء عند الشافعي، وعند مالك والأوزاعي لا  
إعادة عليه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر  
الصلاة حتى يجد الماء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾،  
أراد به إذا أحدث، والغائط اسم للمطمئن من  
الأرض، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث  
فكثرت عن الحدث بالغائط، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾،

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة / ١٢٣، والترمذي في  
الطهارة / ٩٢، والنسائي في الطهارة / ٢٠٣، والإمام أحمد  
ج ١٤٦/٥، ١٤٧، ١٥٥، ١٨٠. وله شاهد من حديث أبي  
هريرة.

(فَتَيْمَمُوا)، والتيمم: القصد، حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح. قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم، واختلفوا في كيفيته فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين، بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور، ثم يضرب ضربةً أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين، وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين، لما رُوي عن عمار أنه قال: تيممنا إلى المناكب. وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي ﷺ، كما روي أنه قال: أجنبت فتمكعت في التراب، فلما سأل النبي ﷺ أمره بالوجه والكفين. وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق.

[٤٤] قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رفاة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويأ لسانهما وعاباه فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿يَشْتَرُونَ﴾، يستبدلون، ﴿الصَّلَاةَ﴾، يعني: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَقْبَلُوا السَّبِيلَ﴾ أي: عن السبيل يا معشر المؤمنين.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، منكم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى

وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق: إن كان اللبس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيْمَمُوا﴾، اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة، روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء»<sup>(١)</sup>، (فَتَيْمَمُوا)، أي: اقصدا، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، أي: ترابًا طيبًا ظاهرًا نظيفًا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصعيد هو التراب، واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار، لأن النبي ﷺ قال: «وجعلت تربتها لنا طهورًا»<sup>(٢)</sup>، وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنخ والجص والثورة وغيرها من طبقات الأرض، حتى قالوا: لو ضرب يديه على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه، وقالوا: الصعيد وجه الأرض، لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جُعِلَ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا»<sup>(٣)</sup> وهذا مجمل، وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل، وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات، ونحوهما وقال: إن الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض، والقصد إلى التراب، شرط لصحة التيمم، لأن الله تعالى قال:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تليخيص الحبير ج ١/١٤٨»: «مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي... وابن أبي شيبة في مسنده، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما...»  
(٢) تقدم ذكر من خرجه في الحديث السابق.  
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢/٢٢٢.

يَاللَّهِ نَصِيرًا»، قال الزجاج: اكنفوا بالله وليًا واكنفوا بالله نصيرًا.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: هي متصلة بقوله (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبًا من الكتاب) (من الذين هادوا) وقيل: هي مستأنفة، معناه: من الذين هادوا من يحرفون، كقوله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم) أي: ممن له منزلة معلومة، يريد فريق، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، يغيرون الكلم ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر فيخبرهم فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا انصرفوا من عنده حرّفوا كلامه، ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾، قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾، أمرك، ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمع منا ولا نسمع منك، (غَيْرَ مُسْمَعٍ) أي: غير مقبول منك، وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿وَرَاعِنَا﴾ أي: ويقولون راعنا يريدون به النسبة إلى الرعونة، ﴿لِيَأْتِيَ بِالسِّنِّهِمْ﴾، تحريفًا، ﴿وَطَعْنَا﴾ قدحًا ﴿فِي الدِّينِ﴾، لأن قولهم: راعنا من المراعاة، وهم يحرفونه، يريدون به الرعونة، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنْظَرْنَا﴾، أي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، أي أعدل وأصوب، ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا نفرًا قليلًا منهم وهو عبدالله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يخاطب اليهود، ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، يعني: التوراة، وذلك أن النبي ﷺ كلم أحبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الأشرف، فقال: «يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق»، قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا على الكفر، وأنزلت هذه الآية، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ تُطْمِسَ

وُجُوهًا﴾، قال ابن عباس: نجعلها كخف البعير، وقال قتادة والضحاك: نعيمها، والمراد بالوجه العين، ﴿فَتَرُدُّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا﴾، أي: نظمس الوجوه فنردها على القفا، وقيل: نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة، لأن منابت شعور آدميين في أدبارهم دون وجوههم، وقيل: معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالأقفاء، وقيل: نجعل عينيه على القفاء فيمشي قهقري، فإن قيل: قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟ قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسوخ في اليهودية قبل قيام الساعة، وقيل: هذا كان وعيد بشرط فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقي، وقيل: أراد به في القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: (نظمس وجوهًا) أي: نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة، وأصل الطمس: المحو والإفساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواصبيهم التي هم بها فنردها على أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك وتأوله في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَعْصَابَ السَّبْتِ﴾، فنجعلهم قردة وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أنا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر)، الآيات وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦

سُورَةُ النِّسَاءِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٩﴾  
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرَفُونَ أَلَكُمُ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ  
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَدَعْنَا لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ  
 وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا  
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ  
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكُذِبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا  
 مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَّذَهَا  
 عَلَىٰ أَذْيَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ  
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ لِمَن دُونَ  
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا  
 ﴿٥٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّبُ مَن يَشَاءُ  
 وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا ﴿٥٣﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ  
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا  
 مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَجَبِ وَأَطْعُوتٍ وَيَقُولُونَ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُولَاءِ ءَاهْدِي مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٥﴾

الفتيل من الفتل وهو ما يجعل بين الأصبعين من  
الوسخ عند الفتل .

[٥٠] قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد، ﴿كَيْفَ  
يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ﴾، يخلتقون على الله، ﴿الْكَذِبَ﴾،  
في تغييرهم كتابه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾، بالكذب ﴿إِثْمًا  
مُّبِينًا﴾ .

[٥١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا  
مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَجَبِ وَأَطْعُوتٍ﴾، اختلفوا  
فيهما فقال عكرمة: هما صنمان كان المشركون  
يعبدونهما من دون الله، وقال أبو عبيدة: هما كل  
معبود يعبد من دون الله. قال الله تعالى: (أَنْ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، وقال عمر:  
الجب: السحر، والطاغوت: الشيطان. وهو قول  
الشعبي ومجاهد. وقيل: الجب: الأوثان،  
والطاغوت: شياطين الأوثان. ولكل صنم شيطان،

الله وزينا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت (إلا  
من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) الآيتين، فبعث  
بهما رسول الله ﷺ إليهم فلما قرؤوا كتبوا إليه: إن  
هذا شرط شديد نخاف ألا نعمل صالحاً، فنزل:  
(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن  
يشاء)، فبعث بها إليهم فبعثوا إليه: إنا نخاف ألا  
نكون من أهل المشيئة فنزلت: (قل يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)،  
فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى  
النبي ﷺ فقبل منهم، ثم قال لوحشي: أخبرني  
كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره، قال: «ويحك غيب  
وجهك عني»، فلحق وحشي بالشام فكان بها إلى  
أن مات ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ﴾، اختلق،  
﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾ .

[٤٩] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ  
أَنفُسَهُمْ﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في رجال من  
اليهود منهم بحري بن عمر والنعمان بن أوفى  
ومرحب بن زيد، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ  
فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال:  
لا، قالوا: وما نحن إلا كهيتهم، ما عملنا بالنهار  
يكفر عنا بالليل، وما عملنا بالليل يكفر عنا  
بالنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مجاهد  
وعكرمة: كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة  
يزعمون أنهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية، وقال  
الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل: نزلت في اليهود  
والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه،  
(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو  
نصارى)، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:  
هو تزكية بعضهم لبعض، قوله تعالى: ﴿كَلِ اللَّهُ  
يُرَكِّبُ﴾ أي: يُظهر ويرى من الذنوب ويصلح، ﴿مَن  
يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا﴾ وهو اسم لما في شق  
النواة، والقطمير اسم للقشرة التي على النواة،  
والنقير اسم للنقرة التي على ظهر النواة، وقيل:

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ مَجْدَلَهُ. نَصِيرًا ﴿٥٢﴾  
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ  
 يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا  
 آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾  
 فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا  
 ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّبُ  
 جُلُودَهُمْ بِدَلَّتِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ  
 كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
 لَمْ يَمُوتْ فِيهَا زَوْجٌ مَطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ  
 اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ  
 النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا  
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي  
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ  
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

كان لهم من الملك شيء، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾، لحسدكم وبخلهم، النقيير: النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة، وقال أبو العالية: هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم:

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾، يعني: اليهود، ويحسدون الناس قال قتادة: المراد بالناس العرب حسدكم اليهود على النبوة، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمدًا ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وقالوا: ما له هم إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقيل: حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية.

يعبر عنه، فيغتر به الناس. وقال محمد بن سيرين ومكحول: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر. وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: الجبت: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت: الكاهن. وروي عن عكرمة: الجبت بلسان الحبشة: شيطان. وقال الضحاك: الجبت: حيي ابن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. دليله قوله تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)، وقيل: الجبت كل ما حرم الله، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان. ﴿وَيَقُولُونَ لِيَلْزَمِ الْكُفْرَاءَ هَتُولَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾، قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وأمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: (يؤمنون بالجبت والطاغوت)، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقة، نحن أم محمد؟ فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبًا من الكتاب) يعني: كعبًا وأصحابه (يؤمنون بالجبت والطاغوت)، يعني: الصنمين (ويقولون للذين كفروا): أبي سفيان وأصحابه (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا) بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم سبيلا ودينا.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ مَجْدَلُهُ نَصِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني ألهم والميم صلة ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِنَ الْمَلِكِ﴾ وهذا على جهة الإنكار، يعني: ليس لهم من الملك شيء، ولو



[٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، نزلت في عثمان بن طلحة الحنفي من بني عبد الدار، وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله ﷺ فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلوى علي رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة. وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْتَاكُمْ أَلَيْسَ لِعِيسَىٰ وَالْحَنَانِ﴾

[٥٩] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، احتضروا في الأولى لأمرهم قال ابن عباس وحمير رضي الله عنهم مع الفقهاء والعلماء الذين يسمونهم الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والصحابة وسجدهم، ورواه قوله تعالى: (ولو رجعوا إلى الرسول فإلى النبي وإلى أولي الأمر منهم لعنه الذين يستنبطونه منهم، وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤتي الأمة عهده فعمل ذلك فهو على

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، أراد بآل إبراهيم داود وسليمان وبالكتاب ما أنزل الله إليهم وبالْحِكْمَةَ النبوّة ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء، فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة، ولم يكن يومئذ لرسول الله ﷺ إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا.

[٥٥] قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، أعرض عنه ولم يؤمن به، ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾، وقوداً، وقيل: الملك العظيم: مُلْكُ سليمان. وقال السدي: الهاء في قوله: (من آمن به وصد عنه) راجعة إلى إبراهيم، وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام، فاحتاج إليه الناس فكان يقول: من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾، ندخلهم ناراً، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ، احترقت، ﴿جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، غير الجلود المحترقة، فإن قيل: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟ قيل: يعاد الجلد الأول في كل مرة. وإنما قال: (جلوداً غيرها) لتسليص صفتها، كما تقول صنعت من خاتمي خاتماً غيره. فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصلابة والصلابة تبدلت، قوله تعالى: ﴿يَذُكِّرُوا الْعَذَابَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ غَرِيبًا حَكِيمًا﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَدَمُوا الْقِبْلَتِ سَلَامًا﴾ جَنَّتْ جَمْرِي مِنْ قَبْلِ الْأَمْزُ حَلِيلِينَ يَا أَبَا نُجَيْمٍ يَا أَرْزَاقَ مَطَهَّرَةٍ وَتَلَاهُمُ وَلَا طِيلِيلًا. كِتَابٌ لَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ حَرًّا وَلَا بَرًّا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ  
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ  
ضَلَكًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ  
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا  
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِرَأْسِهِمْ مِنْ اللَّهِ إِنَّ أَرْدَنًا إِلَّا  
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا  
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ فِ  
أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
جَاءَهُمْ وَكُفْرًا فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ  
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ  
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا  
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

وقيل: هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة، وتم الكلام ههنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يخبر عن فعلهم فقال: (ثُمَّ جَاءَهُمْ) يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، (ثُمَّ جَاءَهُمْ) أي: يجيئونك يحلفون بِحَيْثُ فَوْنٍ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا، ما أردنا بالعدول عنه في المحاكمة (إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)، قال الكلبي: إلا إحساناً في القول، وتوفيقاً: صواباً، وقال ابن كيسان: حقاً وعدلاً، نظيره: (ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى)، وقيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التأليف والجمع بين الخصمين.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم

الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، وقيل: المراد أمراء السرايا، وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآية، قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ﴾، أي: اختلفتم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعان يتجادبان ويتمانعان، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيًّا وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد. وقيل: الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: أحسن مآلاً وعاقبة.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الآية قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عُرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت هذه الآية، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكًا بَعِيدًا﴾.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إعراضاً.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: عقوبة صدودهم،

بني إسرائيل ﴿أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، ﴿مَا فَعَلُوا﴾، معناه: ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعل، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله. قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعالنا والحمد لله

الذي عافانا، بلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن من أمتي لرجالاً للإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي»، قرأ ابن عامر وأهل الشام (إلا قليلاً) بالنصب على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلاً منهم، وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله: (فَعَلُوا) تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾، يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾، تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا لَاتَيْبَتُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثواباً وافراً.

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي: إلى الصراط المستقيم.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: (ومن يطع الله) في أداء الفرائض، (والرسول) في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي: لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ، والصديق المبالغ في الصدق، ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾، قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال

خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، أي: عن عقوبتهم. وقيل: هو التخويف بالله، وقيل: أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأنه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ فِي الْمَلَأَ﴾ ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾. في السر والخلاء، وقال: قيل هذا منسوخ بآية القتال.

[٦٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، لتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُواكَ فَاسْتَفْتَوْا اللَّهَ وَاسْتَفْتَكَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ (فلا) أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف القسم (وربك لا يؤمنون) ويجوز أن يكون (لا) في قوله (فلا) صلة، كما في قوله (فلا أقسم)، حتى يحكموك: أي يجعلوك حكماً، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، قال مجاهد: شكاً، وقال غيره: ضيقاً، ﴿وَمَا فَضَيْتَ﴾، وقال الضحاك: إنما، أي: يأثمون بإنكارهم ما قضيت، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: ينقادوا لأمرك انقياداً.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، كما أمرنا



معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾، يعني يستشهد، ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾، يظفر ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في كلا الوجهين ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ لا تجاهدون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد، ﴿وَالسَّعْفَيْنِ﴾ أي: عن المستضعفين، وقال ابن شهاب: في سبيل المستضعفين لتخليصهم، وقيل: في تخليص المستضعفين، من أيدي المشركين، وكان بمكة جماعة، ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، يلقون من المشركين أذى كثيرًا، ﴿الَّذِينَ﴾ يدعوون و﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، يعني: مكة، الظالم أي: المشرك، أهلها يعني القرية التي من صفتها أن أهلها مشركين، وإنما خفض (الظالم) لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية صار الفعل لها، كما يقال مرتت برجل حسنة عينه. ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾، أي: من يلي أمرنا لندك، ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾، أي: من يمنع العدو عنا، فاستجاب الله دعوتهم، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ولى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيرًا ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعته، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أي: في طاعة الشيطان، ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: حزبه وجنوده الكفار، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾، مكرهه، ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في جماعة كانوا

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرَاقٌ مِنْهُمْ يُخَشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَنَّا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الَّذِينَ قَالُوا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُضْمَبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُضْمَبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكِ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هُوَ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرًا قبل أن يهاجروا، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول لهم رسول الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فإني لم أؤمر بقتالهم»، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض، ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرَاقٌ مِنْهُمْ يُخَشَوْنَ النَّاسَ﴾، يعني يخشون مشركي مكة، ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ﴾ أي: كخشيتهم من الله، ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ أكبر، ﴿خَشْيَةً﴾، وقيل: معناه وأشد خشية، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ﴾، الجهاد، ﴿لَوْ لَا﴾، هلا، ﴿أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، يعني: الموت، أي: هلا تركتنا حتى نموت بأجلنا؟ واختلّفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك، فقيل: قاله قوم من المنافقين لأن قوله: (لم كتبت علينا

القتال)، لا يليق بالمؤمنين، وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفًا وجبنًا لا اعتقادًا ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَنْعُ الدُّنْيَا﴾ أي: مضعفها والاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾، أفضل، ﴿حَيْرٌ لِّمَنِ انْفَقَ﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا تَقْلُمُونَ فَنِيلاً﴾.

[٧٩] قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ونعمة ﴿فَرِحَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بلية أو أمر تكرهه، ﴿فَرِحَ نَفْسِكَ﴾، أي: بذنوبك، والخطاب للنبي ﷺ المراد غيره، نظيره قوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منهم ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم

بديل أن نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: (ما أصابك) ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في المحن: أصابني، بديل أنه لم يذكر عليه ثوابًا ولا عقابًا، فهو كقوله تعالى: (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي: من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: يعني فبذنوب أصحابك، وهو مخالفتهم لك، فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله (قل كل من عند الله) وبين قوله (فمن نفسك)؟ قيل: قوله (قل كل من عند الله) أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: (فمن نفسك) أي: وما أصابك

القتال)، لا يليق بالمؤمنين، وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفًا وجبنًا لا اعتقادًا ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَنْعُ الدُّنْيَا﴾ أي: مضعفها والاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾، أفضل، ﴿حَيْرٌ لِّمَنِ انْفَقَ﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا تَقْلُمُونَ فَنِيلاً﴾.

[٧٨] قوله عز وجل: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ينزل بكم الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ﴾، ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ﴾، نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه، قال الله تعالى: (وإن تُصِيبهم) يعني: اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في السعر، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، لنا، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: الجذب وغلاء الأسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون من قول المنافقين ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسيئة كلها من عند الله، ثم غيرهم بالجهل فقال: ﴿قَالَ هُوَ آيَةُ الْقَوْمِ﴾ يعني: المنافقين واليهود، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَيْثُ﴾ أي: لا يفقهون قولًا، وقيل: الحديث هنا هو القرآن أي: لا يفقهون معاني القرآن قوله: (فمال هؤلاء) قال الفراء: كثرت في

يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ أي يثبت ويحفظ، ﴿مَا يُبَيِّنُونَ﴾، ما يزورون ويغيرون ويقدررون، وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني ما يسرون من النفاق، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تخبر بأسمائهم، مُنِعَ الرسول ﷺ من الأخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، أي: اتخذه وكيلاً وكفى بالله وكيلاً وناصراً.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾، يعني أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، أي تفاوتاً وتناقضاً كثيراً، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافاً كثيراً، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى (وإذا جاءهم) يعني: المنافقين (أمرٌ من الأمن) أي: الفتح والغنime أو الخوف والقتل والهزيمة (أذاعوا به) أشاعوه وأفشوه، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ إِلَى رَأْيِهِ وَلَمْ يحدثوا به حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به، ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يكتسب وما ينبغي أن يُفشى، والاستنباط: الاستخراج، يقال: استنبط الماء إذا استخرجه،

من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) يدل عليها ما روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأنا كتبتها عليك. وقال بعضهم: هذه اللام متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمرة تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: (ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، (قل كل من عند الله).

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على إرسالك وصدقك، وقيل: كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصراني عيسى ابن مريم رباً، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله، ﴿وَمَنْ قَوْلِي﴾، عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾، أي: حافظاً ورقياً على كل أمورهم، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾، يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول ﷺ: إنا أمتنا بك فرمنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾، خرجوا، ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، قال قتادة والكلبي: بيت أي: غير وبدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ، ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتبي: معناه قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهاراً وكل ما قدر ليل فهو مبيت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للشيء إذا قدر: بيت،

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩١

سُورَةُ النِّسَاءِ

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٤﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٥﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٧﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٨﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴿٨٩﴾ وَإِذْ أَحْبَبْتُمْ بَنِي حَبِيبٍ بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٩٠﴾

(ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا) فقاتل، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، على القتال أي حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكبًا فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أي: لعل الله، ﴿أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: قتال المشركين و(عسى) من الله واجب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطانًا، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقوبة.

[٨٥] قوله عز وجل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾، أي نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس

وقال عكرمة: يستنبطونه أي: يحرصون عليه ويسألون عنه، وقال الضحاك: يتبعونه، يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين، لو ردهو إلى الرسول ﷺ وإلى ذوي الرأي والعلم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، أي: يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، كلكم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلًا لم يفشه، وعنى بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لأن علم السر إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلًا، ثم قوله: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) كلام تام، وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا، وهم قوم اهدوا قبل مجيء الرسول ﷺ ونزول القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما، وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه، بعضهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا تدع جهاد العدو والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصره وعاقبهم على ترك القتال، والفاء في قوله تعالى: (فقاتل) جواب عن قوله



ينال به الثواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر، وقوله (كفل منها) أي: من وزرها، وقال مجاهد: على شفاعته الناس بعضهم لبعض، ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدرًا أو مجازيًا، وقال مجاهد: شاهدًا: وقال قتادة: حافظًا، وقيل: معناه على كل حيوان مقيتًا أي: يوصل القوت إليه، وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوُّث ويقيث»<sup>(١)</sup>.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِوِّهِ فَأَحْسِنْ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾، التحية: دعاء بطول الحياة، والمراد بالتحية هنا السلام، يقول: إذا سلّم عليكم مُسلم فأجيبوا بأحسن منها أو رُدُّوها كما سلّم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّه مثله، وقيل: (فحيّوا بأحسن منها)، معناه أي إذا كان الذي سلّم مسلماً، (أو رُدُّوها) بمثلها إذا لم يكن مسلماً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: على كل شيء من رَدّ السلام بمثله أو بأحسن منه، حسيباً أي: محاسباً مجازياً، وقال مجاهد: حفيظًا، وقال أبو عبيدة: كافيًا، يقال: حسي هذا أي كفاني.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام، لأم القسم تقديره: والله ليجمعنكم في الموت وفي القبور، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ﴾، وسُميت القيامة قيامةً لأن الناس يقومون من قبورهم، قال الله تعالى: (يوم يخرجون من الأجداث سراغًا) وقيل: لقيامهم إلى الحساب، قال الله تعالى: (يوم يقوم الناس لرب العالمين)، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً

٩٢

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفْقِينَ﴾ ففتنّين والله أرزكهم بما كسبوا أتريدون أن تهذوا من أضل الله ومن يضلّل الله فلن تجد له سبيلاً ﴿٨٨﴾ ودُّوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً ﴿٨٩﴾ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقنلوكم أو يقنلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقنلوكم فإن اعترلوكم فلتم يقنلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴿٩٠﴾ ستجدونء آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردُّوا إلى الفتننة أركسوا فيها فإن لم يعزّلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴿٩١﴾

ووعداً، وقرأ حمزة والكسائي (أصدق)، وكلّ صادق ساكنة بعدها دالٌّ بإشمام الزاي.

[٨٨] ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفْقِينَ﴾ ففتنّين ﴿اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم: نزلت في الذين تخلّفوا يوم أحد من المنافقين، فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام، وقال بعضهم: نزلت في ناس من قريش قدّموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يذروا

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة ٤٥/، والإمام أحمد في مسنده ج ٢/١٦٠، ١٩٣، ١٩٥.

لِلْأَسِيرِ أَجِيدٌ، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الجبل والحرم، ﴿وَلَا تَنَحَّدُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، ثم استثنى طائفة منهم فقال:

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة، لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى (يصلون) أي: يتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون ويلجأون إلى قوم، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد، وهم المسلمون وذلك أن رسول الله ﷺ وادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على ألا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال، وقال الضحاك عن ابن عباس: أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح والهدنة، وقال مقاتل: هم خُزاعة، وقوله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ﴾ أي: يتصلون بقوم جاؤوكم، ﴿حَصَرْتُمْ صُدُورَهُمْ﴾ أي: ضاقت صدورهم، قرأ الحسن ويعقوب (حصرة) منصوبة منونة أي: ضيقة صدورهم، يعني القوم الذين جاؤوكم وهم بنو مدلج، كانوا عاهدوا قريشاً ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً ألا يقاتلواهم، حصرت: ضاقت صدورهم، ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي: عن قتالكم للعهد الذي بينكم، ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾، يعني: من أمن منهم، ويجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم، يعني قريشاً قد ضاقت صدورهم لذلك، وقال بعضهم: أو بمعنى الواو، كأنه يقول: إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم، أي: حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم، وهم قوم هلال الأسلمي وبنو بكر، نهى الله

بِإِرَاهِمَ، وكان هذا بعين النبي ﷺ وهو ساكت لا ينهى واحداً من الفريقين، فنزلت هذه الآية، وقال بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظهرون المشركين، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين (في المنافقين فتنين) أي: صرتم فيهم فتنين أي: فرقتين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَبُهُمْ﴾ أي: نكسهم وردّهم إلى الكفر ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾، أي: ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، وقيل: معناه أفتولون أن هؤلاء مهتدون وقد أضلّهم الله، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ﴾ أي: وكما كفروا يضلّل الله عن الهدى، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى الحق.

[٨٩] قوله تعالى: ﴿وَدُّوا﴾، تمتوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمتوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، في الكفر، وقوله (فتكونون) لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودّوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء، مثل قوله: (ودّوا لو تدهن فيدهنون) أي: ودّوا لو تدهن وودوا لو تدهنون، ﴿فَلَا تَنَحَّدُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، منع عن موالاتهم، ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، معكم، قال عكرمة: هي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى (للفقراء المهاجرين) وقوله: (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله)، ونحوهما من الآيات، وهجرة المؤمنين: وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين، كما حكي هنا، وفي هذه الآية منع موالاة المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه وهي ما قال النبي ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿فَعُدُّوهُمْ﴾، أي خذوهم أسارى، ومنه يقال

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان / ٤.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾، وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)، (إلا خطأ)، استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾، كاملة، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: إلى أهل القتل الذين يرثونه، ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرابته في دار الحرب حرباً للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في مال القاتل، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: جعل الله ذلك توبة القاتل الخطأ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بمن قتل خطأ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم به عليكم،

سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدماء. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْكُمُ﴾. يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين، يقول: إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم، ﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: اعترضوا قتالكم، ﴿فَلَمْ يَقْتُلْكُمْ﴾، ومن اتصل بهم، ويقال: يوم فتح مكة يقاتلوكم مع قومهم، ﴿وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾، أي: الصلح فانقادوا واستسلموا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً بالقتل والقتال.

[٩١] قوله تعالى: ﴿سَجِدُونَ لِأَحْرَبِينَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياء وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول: أمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء، وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن في الفريقين، وقال الضحاك عن ابن عباس: هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامِنُوكُمْ﴾، فلا تتعرضوا لهم، ﴿وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾، فلا يتعرضوا لهم، ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ أي: دُعوا إلى الشرك، ﴿أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ أي: رجعوا وعادوا إلى الشرك، ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزُبُوا﴾ أي: فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا إلى مكة، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾ أي: المفادة والصلح، ﴿وَيُكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم، ﴿فَخَذَوْهُمْ﴾، أسراء، ﴿وَأَقْتَلَوْهُمْ حَيْثُ نَفْسُوهُمْ﴾ أي: وجدتموهم، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة، ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال.

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ  
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ  
 أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ  
 وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ  
 مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ  
 إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ  
 فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ  
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا  
 مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا  
 لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمْتُ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ  
 عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ  
 كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَىٰ مِنْكُمْ  
 فَتَيَبُّوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

الأمر إذا تأملته، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ  
 أَسْلَمْتُ﴾ هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة،  
 أي: المعادة وهو قول «لا إله إلا الله محمد رسول  
 الله»، وقرأ الآخرون السلام وهو السلام الذي هو  
 تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم وقيل:  
 السلم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلم  
 عليكم لست مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿لَسْتُ  
 مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني:  
 تطلبون الغنم والغنيمة، (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)  
 منافعها ومتاعها، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ﴾، أي: غنائم  
 ﴿كَثِيرَةٌ﴾، وقيل: ثواب كثير لمن اتقى قتل  
 المؤمن ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، قال سعيد  
 ابن جبير: كذلك كنتم تكتمون إيمانكم من  
 المشركين ﴿فَمَنْ أَلْفَىٰ مِنْكُمْ﴾، بإظهار  
 الإسلام، وقال قتادة: كنتم ضالاً من قبل فمن الله

[٩٣] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا  
 مُتَعَمِّدًا﴾ الآية، نزلت في مقيس بن صباة  
 الكندي، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد  
 أخاه هشامًا قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ  
 فذكر له ذلك فأرسل له رسول الله ﷺ معه رجلاً من  
 بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن  
 علمتم قاتل هشام بن صباة أن تدفعوه إلى مقيس  
 فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته،  
 فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا: سمعاً وطاعة لله  
 ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نؤدي ديته  
 فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحو  
 المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال:  
 تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي  
 معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فتغفل  
 الفهري فرماه بصخرة فقتله، ثم ركب بعيراً وساق  
 بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزل فيه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ  
 مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾،  
 بكفره وارتداده، هو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح  
 مكة، عمن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة،  
 قوله تعالى: ﴿وَعُذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أي:  
 طرده عن الرحمة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
 ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا﴾ عن ابن عباس رضي الله  
 عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من  
 أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم،  
 قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه  
 وأخذوا غنمه فأتوا بها إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله  
 تعالى هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إذا سافرتهم في سبيل الله، يعني:  
 الجهاد، ﴿فَتَيَبُّوا﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا في  
 موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والتاء من  
 التثنية، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر،  
 وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبيين، يقال: تبينت

عليكم بالهداية، وقيل معناه: كذلك كتتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة، ﴿فَتَيَسَّرُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا﴾ إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قومًا فإن سمع أذانًا كف عنهم، وإن لم يسمع أغان عليهم.

[٩٥] قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الرءاء أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الآخرون برفع الرءاء على نعت (القاعدون) يريد: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، أي: غير أولى الزمانة والضعف في البدن والبصر، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء، غير أولى الضرر فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقدهم قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعد ما هنا أولي الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولي الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾، يعني: الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: على القاعدون من غير عذر.

[٩٦] ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قيل: هي سبعون درجة متفاوتة وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِينَ

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَانَ اللَّهُ حَسْبِيَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لِمَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قُلُوبًا وَلَيْسَ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَ تَطْبِعُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُوَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ﴿طَالِبِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾، بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم قيل: أي المقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة، ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم: فيما كتتم؟ فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لِمَ تَكُنْ

[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا صَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، يعني من أربعة ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يغتالكم ويقتلكم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في الصلاة ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا لَكُمُ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: ظاهر العداوة.

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى الظهر يُصلون جميعاً ندموا إلا كانوا أكبروا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فنزل جبريل عليه السلام فعلمه صلاة الخوف، وجملته أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم، ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتوا صلاتهم، وذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالساً حتى أتوا لأنفسهم الصلاة، ثم يسلم بهم، وهذه رواية سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى كذلك بذات الرقاع، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ أي: شهيداً معهم فأقمت لهم الصلاة، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾، أي: فلتقف ﴿وَلْيَأْخُذُوا بِرِزْقِهِمْ﴾، يريد مكان الذين هم وجاه العدو، ﴿وَلْيَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهم الذين كانوا في وجه العدو، ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِرِزْقِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ﴾، قيل: هؤلاء الذين أتوا،

أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أي المسلمين؟ أم في المشركين؟ سؤال توييح وتعبير فاعتدروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾، عاجزين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، يعني أرض مكة، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا؟﴾ يعني إلى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا يكذبهم، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ﴾، منزلهم ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، أي: بس المصير إلى جهنم، ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال:

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَدْرُونَ سَبِيلًا﴾، ولا على قوة الخروج منها، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

[٩٩] قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً وصله إليه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (مُرَاعِمًا) أي: متحولاً يتحول إليه، وقال مجاهد: مترحلاً عما يكره، وقال أبو عبيدة: المرغام: المهاجر، قيل: سميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم قومه، وسعة أي: في الرزق، وقيل: سعة من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ هَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوَيْلُ﴾ أي: قبل بلوغه إلى مهاجره، ﴿فَقَدْ رَفَعَ﴾ أي: وجب ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، بإيجابه على نفسه فضلاً منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

وقيل: هم الذين صلوا، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يتمنى الكفار، ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: وجدوكم غافلين، ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾، رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض، لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾، أي: راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر ما يتقى به من العدو ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، يهانون فيه، والجُنَاح: الإثم، من جنحت إذا عدلت عن القصد.

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، يعني صلاة الخوف، أي فرغتم منها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا لله ﴿فَيَمَنَّا﴾ في حال الصحة، ﴿وَقُودُوا﴾، في حال المرض، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، عند الجرح والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال، ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أي: سكتتم وأمتتم، ﴿فَأَقِمْوهُ الصَّلَاةَ﴾ أي: أتموها أربعاً بأركانها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، قيل: واجباً مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضاً موقفاً وقته الله عليهم.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾، تتوجعون من الجراح، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾، أي: يتوجعون، يعني الكفار ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، أي: وأنتم مع ذلك تألمون من الأجر

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِي طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِمْوهُ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ الآية عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاره له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق،

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِيَّاكَ إِنَّكَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ  
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ  
خَوَافًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ  
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ  
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَوَآءَ جَدَلْتُمْ  
عَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهُ عَنَّهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ  
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفُورًا  
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا  
ثُمَّ يَمُرَّ بِهِ بِرَبِّيًّا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَا  
فَضَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن  
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن  
شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ  
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

﴿جَدَلْتُمْ﴾ أي: خاضتم، ﴿عَنَّهُمْ﴾ يعني: عن  
طعمة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، والجدال: شدة  
المخاضمة من الجدال، وهو شدة القتل، فهو يريد  
قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل:  
الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل  
واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على  
الجدال، ﴿فَمَن يُجَادِلِ اللَّهُ عَنَّهُمْ﴾، يعني: عن  
طعمة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذه الله بعذابه، ﴿أَمْ مَن  
يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، كفيلاً، أي: من الذي يذب  
عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة، ثم استأنف  
فقال:

[١١٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾، يعني السرقه، ﴿أَوْ  
يَطْلَمْ نَفْسَهُ﴾، برميه البريء، وقيل: ومن يعمل  
سوءًا أي: شرًا أو يظلم نفسه: يعني إثماً دون  
الشُّرْك، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾، أي: يتب إليه

فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ  
وسألوه أن يُجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن  
لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن  
يعاقب اليهودي فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال:  
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بالأمر والنهي  
والفصل، ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ بما  
علمك الله وأوحى إليك، ﴿وَلَا تَكُن لِّلخَائِنِينَ﴾،  
طعمة، ﴿خَصِيمًا﴾، معيماً مدافعاً عنه.

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ مما هممت به من  
معاقة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من  
جدالك عن طعمة ﴿إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا  
رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾، لا تخاصم، ﴿عَنِ الَّذِينَ  
يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة  
والسرقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَافًا﴾،  
خائئاً، ﴿أَثِيمًا﴾، بسرقة الدرع، أثيماً في رمية  
اليهودي قيل: إنه خطاب مع النبي ﷺ، والمراد به  
غيره، والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على  
أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنب تقدم على النبوة أو  
لذنوب أمته وقربته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه  
فيتركه بالاستغفار، فالاستغفار يكون معناه السمع  
والطاعة لحكم الشرع.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: يستترون  
ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث،  
﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يستترون ولا  
يستحيون من الله، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾،  
يتقولون ويؤلفون، والتبويت: تدبير الفعل ليلاً، ﴿مَا  
لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما  
بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله  
ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي فإنه كافر،  
فلم يرض الله ذلك منهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
مُحِيطًا﴾، ثم يقول لقوم طعمة:  
[١٠٩] ﴿هَتَأْتُمْ هَوَآءَ﴾، أي: ياهؤلاء،



وقيل: هذا استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة، وقيل النجوى ها هنا: الرجال المتناجون، كما قال تعالى: (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) [الإسراء: ٤٧].

(إلا من أمر بصدقة) أي: حث عليها، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف، لأنَّ العقول تعرفها، ﴿أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ﴾ فعن أم كلثوم بنت عُقبة

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نَمَى خيرًا». قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿أَبْتَعَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضاه، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة (يؤتيه) بالياء، يعني يؤتيه الله، وقرأ الآخرون بالنون.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتدَّ عن الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، أي: يخالفه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُ لَهُ الْهُدَى﴾، من التوحيد والحدود، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: غير طريق المؤمنين، ﴿تُولِيهِ مَا تَوَلَّى﴾، أي: نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا، ﴿وَوُضِعَ لَهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ أي: ذهب عن الطريق وحُرم الخير كله، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئًا منذ عرفته وأمنت به، ولم أتخذ من دونه وليًا ولم أواقع المعاصي جراءة على الله، وما توهمت طرفة عين أنني أعجز الله هربًا وإني لنادم تائب مستغفر فماذا

ويستغفره، ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَراً رَجِيماً﴾، يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾، يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، فإنما يضرب به نفسه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بسارق الدرع ﴿حَكِيمًا﴾، حكم بالقطع على السارق.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ أي: سرقة الدرع، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بيمينه الكاذبة، ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ﴾ أي: يقذف بما جنى ﴿بِرِيَاءٍ﴾ منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ البهتان: هو البهت، وهو الكذب الذي يتحير في عظمه، ﴿وَإِنَّمَا تُبَيِّنُ﴾ أي: ذنبًا بينًا، وقوله (ثم يرم به) ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم أو جعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾، يقول للنبي ﷺ: ﴿هَمَمْتَ﴾، لقد هممت أي: أضمرت، ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني يرجع وبأله عليها، ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، يريد أن ضرره يرجع إليهم، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: القضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، من الأحكام، وقيل: من علم الغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ نَّجَوْنَهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والنجوى: هي الإسرار في التدبير، وقيل: النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرًا كان أو جهراً، فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالنجوى تكون فعلاً،

حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[١١٧] قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾، نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني) أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي)، قوله: (من دونه) أي: من دون الله، (إلا إناثًا) أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسندنة والكهنة ويكلمهم، ولذلك قال: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾، هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل: وأن المراد بالإناث الأوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾، جمع الوثن فصيّر الواو همزة، وقال الحسن وقتادة: إلا إناثًا أي: موآتا لا روح فيه، لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثًا لأنه يخبر عن الموات، كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون الجنسين كما أن الموات أرذل من الحيوان، وقال الضحاك: أراد بالإناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة إناث، كما قال الله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا)، (وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا)، أي: وما يعبدون إلا شيطانًا مريدًا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان، والمريد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾، أي: أبعده الله من رحمته، ﴿وَقَالَ﴾، يعني: قال إبليس، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، أي: حقًا معلومًا، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه وأصل الفرض في اللغة: القطع، ومنه الفرضة في النهر وهي الثلمة تكون فيه، وفرض القوس والشراك: للشق الذي يكون

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١١٧] وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [١١٨] إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صَلَاتًا بَعِيدًا [١١٩] إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا [١٢٠] لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا [١٢١] وَلَا أُضِلُّهُمْ وَلَا أُمَيِّنُهُمْ وَلَا أَمُرُّهُمْ فَلْيُكَيِّبْتُمْ أَذَانَكُمْ وَلَا أُنْعِمُ وَلَا أَمُرُّهُمْ فَلْيُعَذِّبْتُمْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا [١٢٢] يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا آغْرُورًا [١٢٣] أُولَٰئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا [١٢٤]

فيه الوتر والخيط الذي يشد به الشراك.

[١١٩] ﴿وَلَا أُضِلُّهُمْ﴾ يعني: عن الحق، أي: لأغويهم، بقوله إبليس، وأراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، كما قال: (لأزينن لهم في الأرض) ﴿وَلَا أُمَيِّنُهُمْ﴾، قيل: أمئنتهم ركوب الأهواء، وقيل: أمئنتهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمئنتهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿وَلَا أَمُرُّهُمْ فَلْيُكَيِّبْتُمْ أَذَانَكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك: يعني دين الله، نظيره قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله) أي: لدين الله، يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الأذان

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٨

النِّسَاءِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ  
 اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٠﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ  
 وَلَا آمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ  
 وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢١﴾ وَمَنْ  
 يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
 فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ  
 أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ  
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا ﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ مَا  
 فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 مُخْبِرًا ﴿١٢٤﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ  
 فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي تِلْمِذَاتِ النِّسَاءِ  
 الَّتِي لَا تَوَدُّنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ تَكْرِهُهُنَّ  
 وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلتِّلْمِذَاتِ  
 بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٥﴾

بالعمل الصالح، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾، قال  
 ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في  
 حق كل عامل ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا  
 نَصِيرًا﴾.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ  
 مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ  
 وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، أي: مقدار النقيير، وهو النقرة  
 التي تكون في ظهر الثوأة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، أحكم دينًا ﴿وَمَنْ  
 أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل:  
 فوّض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: موحد،  
 ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: دين إبراهيم عليه  
 السلام، ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مسلمًا مخلصًا، قال ابن  
 عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة  
 إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج، وإنما

حتى حرّم بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في  
 البهائم، لأن فيه غرضًا ظاهرًا، وقيل: تغيير خلق  
 الله هو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل  
 فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة  
 العباد فعبدها من دون الله، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ  
 وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ربًا يطيعه، ﴿فَقَدْ  
 خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.

[١٢٠] ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ فوعده وتمنيته ما  
 يُوقعه في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا،  
 وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الإنفاق  
 وصلة الرحم كما قال الله تعالى: (الشيطان يعدكم  
 الفقر) ويُمَنِّيهِمْ بأن لا بعث ولا جنّة ولا نار ﴿وَمَا  
 يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، أي: باطلاً.

[١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُجَدُّونَ عَنْهَا  
 مَحِيصًا﴾، أي: مفرا ومعدلاً عنها.

[١٢٢] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾،  
 أي: من تحت الغرف والمساكن، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
 وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا آمَانِي  
 أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية، قال مسروق وقتادة  
 والضحاك: أراد ليس أمانيكم أيها المسلمون ولا  
 أمانى أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك  
 أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم  
 وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال  
 المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على  
 الكتب، وقد أمانا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن  
 أولى. وقال مجاهد: أراد بقوله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ يا  
 مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعث  
 ولا حساب، وقال أهل الكتاب: (لن تمسنا النار  
 إلا أيامًا معدودة)، (ولن يدخل الجنة إلا من كان  
 هودًا أو نصاري)، فأنزل الله تعالى: (ليس  
 بِأَمَانِيكُمْ) أي: ليس الأمر بالأمانى وإنما الأمر

المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لا يُورثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله (وَأْتُوا اليتامى أموالهم) يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِليتامى بِالْقِسْطِ﴾، أي: ويفتكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مُهورهن وموارثهن، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، يجازيكم عليه.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ حَافَتْ أَنْ يَبْلُغَهَا﴾، أي: من زوجها ﴿شُورًا﴾ أي: بُغْضًا، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بوجهه عنها وقله مجالستها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج والمرأة، ﴿أَنْ يَصَالِحَا﴾ أي يتصالحا، وقرأ أهل الكوفة ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ من أصلح، ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾، يعني: في القسّم والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها، إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت بهذا فأقيمي وإن كرهت خلّيتُ سبيلك، فإن رضيتِ كانتِ هي المحسنة ولا تُجبر على ذلك، وإن لم ترضَ بدون حقها كان على الزوج أن يوفّيها حقها من القسّم والنفقة أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووقاها حقها مع كراهية فهو مُحسن وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية: هو أن الرجل يكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة، فيقول للكبيرة: أعطيتكِ من مالي نصيباً على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحنا عليه، فإن أبت أن ترضى فعليه أن يعدلَ بينهما في القسّم. وعن علي رضي الله عنه في هذه الآية قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبؤ عينه عنها من دمامة، أو كبر ففكره فرقته، فإن أعطته من مالها فهو له حل وإن أعطته من أيامها فهو حل له، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يعني: إقامتها بعد تخييره إياها والمصالحة على

خُصَّ بها إبراهيم لأنه كان مقبولاً عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملّة إبراهيم وزيدت له أشياء. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِزْهِيَدَ خَلِيلًا﴾، صفيًا، والخلّة: صفاء المودّة، قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلّة: الصداقة، فسمي خليلًا لأن الله أحبه واصطفاه.

[١٢٦] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، الآية قالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنّة صداقتها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك في النساء، (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ)، ﴿وَمَا يَتَلَّى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قيل: معناه ويفتكم فيما يتلى عليكم، وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن، وهو قوله عزّ وجلّ: (وَأْتُوا اليتامى أموالهم)، قوله: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾، هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾، أي: لا تعطونهن، ﴿مَا كَتَبَ لَهُنَّ﴾، من صداقتهن، ﴿وَتَرَعُونَ أَنْ تَنكحُوهُنَّ﴾، أي: في نكاحهن لِمآلهنّ وجمالهنّ بأقل من صداقتهن، وقال الحسن وجماعة: أراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لأنهم كانوا لا يُورثون النساء، وترغبون أن تنكحوهن، أي: عن نكاحهن لدمامتهن، ﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ يريد: ويفتكم في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٩﴾ وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعِنِ اللَّهُ كِلَا مِمَّنْ سَعَيْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٢﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٣﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَدَيْهِمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾

فِي الْأَرْضِ ﴿ عبيداً ومُلْكاً ﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن في القرآن، ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: وخذوا الله وأطيعوه، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾، بما أوصاكم الله به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: فإن لله ملائكة في السموات والأرض هي أطوع له منكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾، عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿حَمِيدًا﴾ محموداً على نعمه.

[١٣٢] ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني شهيداً أن فيها عبيداً، وقيل: دافعاً ومُجيراً، فإن

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح / ٣٨، والنسائي في كتاب عشرة النساء / ٢، وابن ماجه في كتاب النكاح / ٤٧، والدارمي في كتاب النكاح / ٢٥، وهو معل.

ترك بعض حقها من القسم والنفقة، خير من الفرقة ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشح: أقيح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾، أي: تصلحوا ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور، وقيل: هذا خطاب مع الأزواج، أي: تحسنا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجزبكم بأعمالكم.

[١٢٩] قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾، أي: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾، أي: إلى التي تحبونها، ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ في القسم والنفقة، أي: لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم، ﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ﴾، أي: فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيماً ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب: كأنها مسجونة. وروي عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يُقسم بين نسائه، فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»<sup>(١)</sup> ﴿وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا﴾، يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، ﴿يُعِنِ اللَّهُ كِلَا مِمَّنْ سَعَيْتِهِ﴾، من رزقه، يعني: المرأة بزواج آخر والزوج بامرأة أخرى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، واسع الفضل والرحمة حكيمًا فيما أمر به ونهى عنه، وجملة حكم الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصي الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه.

[١٣١] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

قِيلَ: فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي تَكَرُّارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)؟ قِيلَ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَمَعْنَاهُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يُوَصِّيْكُمْ بِالتَّقْوَى فَاقْبَلُوا وَصِيَّتَهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَيَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا أَيُّ: هُوَ الْغَنِيُّ وَلَهُ الْمَلِكُ فَاطْلُبُوا مِنْهُ مَا تَطْلُبُونَ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَيَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أَيُّ: لَهُ الْمَلِكُ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلًا وَلَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِهِ.

[١٣٣] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ﴾، يُهْلِكُكُمْ ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾، يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿وَيَأْتِي بِخَيْرٍ﴾، يَقُولُ بِغَيْرِكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَطْوَعُ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ قَادِرًا.

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يُرِيدُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَرَضٍ الدُّنْيَا أَوْ دَفَعَهُ عَنْهَا مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاءَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

[١٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، يَعْنِي: كُونُوا قَائِمِينَ بِالشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ، أَيُّ: بِالْعَدْلِ لِلَّهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ كَانَتْ لَهُ، ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ فِي الرَّحْمِ، أَيُّ: قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْإِقْرَارِ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، فَأَقِيمُوا عَلَيْهِمُ اللَّهَ، وَلَا تُحَابُوا غَنِيًّا لَغْنَاهُ وَلَا تَرَحَّمُوا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، مِنْكُمْ، أَيُّ: أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ، أَيُّ: كَلُّوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ

تَعَدَّلُوا﴾، أَيُّ: وَلَا تَجُورُوا وَتَمِيلُوا إِلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى لَتَعَدَّلُوا، أَيُّ: لَتَكُونُوا عَادِلِينَ كَمَا يُقَالُ: لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى لَتَرْضَى رَبَّكَ. ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ أَيُّ: تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ لَتَبْطَلُوا الْحَقَّ ﴿أَوْ تَعَرَّضُوا﴾ عَنْهَا فَتَكْتُمُوهَا وَلَا تَقِيمُوهَا، يُقَالُ: تَلَوْنَا أَيُّ تَدَاوَعْنَا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، يُقَالُ: لَوَيْتَهُ حَقَّهُ إِذَا دَفَعْتَهُ وَأَبْطَلْتَهُ، وَقِيلَ: هَذَا خَطَابٌ مَعَ الْحُكَّامِ فِي لِيْهِمُ الْأَشْدَاقِ، يَقُولُ: وَإِنْ تَلَوْنَا أَيُّ تَمِيلُوا إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ أَوْ تَعَرَّضُوا عَنْهُ، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحُمَزَةٌ (تَلَوْنَا) بِضَمِّ اللَّامِ، قِيلَ: أَصْلُهُ تَلَوْنَا، فَحَذَفَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ تَخْفِيفًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ تَلَوْنَا الْقِيَامَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ أَوْ تَعَرَّضُوا فَتَرَكَوْا أَدَاءَهَا ﴿فَاتَّكَرَّ اللَّهُ كَمَا كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾.

[١٣٦] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الْآيَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَسَدِ بْنِ كَعْبٍ، وَثَعْلَبَةَ ابْنِ قَيْسٍ وَسَلَامَ بْنَ أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَةَ ابْنَ أَخِيهِ وَيَامِينَ بْنَ يَامِينَ فَهَؤُلَاءِ مُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّا نُوْمِنُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَعِزْرٍ وَنَكْفُرُ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْقُرْآنَ وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ قَبْلَهُ»، فَانزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنَ وَبِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّوْرَةَ (آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾، مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا: فَإِنَّا نُوْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقُرْآنَ وَبِكُلِّ رَسُولٍ وَكِتَابٍ كَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَالمَلَائِكَةَ وَاليَوْمِ الْآخِرِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَرَادَ بِهِمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَقِيلَ:

قِيلَ: فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي تَكَرُّارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)؟ قِيلَ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَمَعْنَاهُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يُوَصِّيْكُمْ بِالتَّقْوَى فَاقْبَلُوا وَصِيَّتَهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَيَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا أَيُّ: هُوَ الْغَنِيُّ وَلَهُ الْمَلِكُ فَاطْلُبُوا مِنْهُ مَا تَطْلُبُونَ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَيَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أَيُّ: لَهُ الْمَلِكُ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلًا وَلَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِهِ.

[١٣٣] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ﴾، يُهْلِكُكُمْ ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾، يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿وَيَأْتِي بِخَيْرٍ﴾، يَقُولُ بِغَيْرِكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَطْوَعُ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ قَادِرًا.

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يُرِيدُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَرَضٍ الدُّنْيَا أَوْ دَفَعَهُ عَنْهَا مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاءَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

[١٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، يَعْنِي: كُونُوا قَائِمِينَ بِالشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ، أَيُّ: بِالْعَدْلِ لِلَّهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ كَانَتْ لَهُ، ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ فِي الرَّحْمِ، أَيُّ: قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْإِقْرَارِ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، فَأَقِيمُوا عَلَيْهِمُ اللَّهَ، وَلَا تُحَابُوا غَنِيًّا لَغْنَاهُ وَلَا تَرَحَّمُوا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، مِنْكُمْ، أَيُّ: أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ، أَيُّ: كَلُّوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بموسى وعيسى (آمَنُوا) بمحمد والقرآن، وقال مجاهد: أراد بهم المنافقين، يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) باللسان (آمَنُوا) بالقلب. وقال أبو العالية وجماعة: هذا خطاب للمؤمنين، يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) آمَنُوا أي أقيموا واثبتوا على الإيمان، كما يقال للقاتم: قم حتى أرجع إليك، أي اثبت قائماً، وقيل: المراد به أهل الشرك، يعني: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) باللات والعزى (آمَنُوا) بالله ورسوله.

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام، ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ. وقيل: هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به، وكفرهم به تركهم إياه ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ، وقيل: هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا وقال مجاهد: ثم ازدادوا كُفْرًا أي ماتوا عليه، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾، ما أقاموا على ذلك، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، أي طريقاً إلى الحق، فإن قيل: ما معنى قوله: (لم يكن الله ليغفر لهم)، ومعلوم أنه لا يغفر الشرك إن كان أول مرة؟ قيل: معناه أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كفره السابق الذي كان، يغفر له لو أنه دام على الإسلام.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾، أخبرهم يا محمد ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والبشارة: كل خبر يتغير به معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، أي: بدلاً لك من التحية، ثم وصف المنافقين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [١٣٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلْنَا عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابُ الَّذِي نَزَّلْنَا عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [١٤١] ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [١٤٢] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [١٤٣] ﴿وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِن كُنْتُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ﴾ [١٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [١٤٥]

فقال:

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصاراً أو بطانة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ﴾، أي المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه: وقيل: أي يطلبون عندهم القوة، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: الغلبة والقوة والقدرة، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قرأ عاصم ويعقوب (نزل) بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون (نزل) بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين ﴿أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ﴾، يعني القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٠١

الَّذِينَ يَرَبُّونَ

الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾  
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره)، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّكُمْ إِذَا قُتِلْتُمْ﴾، أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهنزون ورضيتهم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: (وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)، والأكثر على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾، ينتظرون بكم الدوائر، يعني: المنافقين، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قَالُوا﴾، لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنافقين للكافرين، ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾، والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان) أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه ونطلعكم على سرهم؟ قال المبرد: يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ﴾، ونصرفكم، ﴿بِالنَّاسِ﴾، أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ومنعكم من المؤمنين، أي نذفع عنكم صولة المؤمنين بتخديلم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: بين أهل

الإيمان وأهل النفاق، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، قال علي: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم: أي حجة، وقيل: ظهوراً على أصحاب النبي ﷺ.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾، أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، يعني: المنافقين ﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ أي: متثاقلين لا يريدون بها الله فإن رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن:



إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيرا، وقال قتادة: إنما قلّ ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾، أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾، أي: طريقا إلى الهدى.

[١٤٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، نهى الله المؤمنين عن موالاته الكفار، وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾ أي حجة بينة في عذابكم، ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره:

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ فِي الدَّرَكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، قرأ أهل الكوفة (في الدرك) بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (في الدرك الأسفل) في توأبيت من حديد مقلدة في النار، وقال أبو هريرة: بيت مقلد عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعا من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ﴾، وثقوا بالله ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ﴾، أراد الإخلاص بالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب، ﴿فَأُولٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: من المؤمنين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني: الجنة، وحذفت الياء (من يؤت) في الخط لسقوطها في اللفظ، وسقوطها في اللفظ لسكون اللام في (الله).

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ

شَكَرْتُمْ﴾ أي: إن شكرتم نعماءه ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، فيه تقديم وتأخير، تقديره: إن آمنتم وشكرتم، لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه، والشكر: ضد الكفر والكفر ستر النعمة، والشكر إظهارها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده وإضعاف الثواب عليه، والشكر من العبد الطاعة، ومن الله: الثواب.

[١٤٨] قوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ وَمِنَ اَلْقَوْلِ اِلَّا مَن ظُلُمَ﴾ يعني: لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن يجهره من ظلم، والقراءة هي المعروفة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾، لدعاء المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾، بعقاب الظالم.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾، يعني: حسنة فيعمل بها كُتِبَتْ له عشرًا، وإن همَّ بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وهو قوله: ﴿أَوْ تَحْفَؤُهُ﴾، وقيل المراد من الخير: المال، يريد: إن تبداوا صدقة تُعْطُونَهَا جَهْرًا أو تخفوها فتعطيها سرا، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾، أي: عن مظلمة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

[١٥٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعُزير، وكفروا بعبسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: دينًا بين اليهودية والإسلام ومذهبًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: بين الرسل وهم المؤمنون، يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾، بإيمانهم بالله وكتبه ورسله، قرأ حفص عن عاصم (يؤتيهم) بالياء، أي: يؤتيهم الله، والباقون بالنون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن كعب بن الأشرف وفخاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبيًا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام، فأنزل الله عليه: ﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح، لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد. قوله: ﴿فَقَدَّ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: أعظم من ذلك، يعني: السبعين الذي خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ أي: عيانًا، قال أبو عبيدة: معناه قالوا جهنم أرنأ الله، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظَلِّمُهُمُ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾، يعني إلهًا، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾، ولم نستأصلهم، قيل: هذا استدعاء إلى

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٠٢

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) ﴿إِنْ تَبُدُوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٥٢) ﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدَّ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظَلِّمُهُمُ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (١٥٣) ﴿وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١٥٤)

التوبة، معناه: أن أولئك الذين أجزموا تابوا فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم، ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾، أي: حجة بيّنة من المعجزات، وهي الآيات التسع.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش ويجزمها الآخرون، ومعناه: لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾، أي: فبنقضهم، و(ما) صلة كقوله تعالى: (فبما) رحمة من الله)، ونحوها، ﴿وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلْتُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: ختم عليها، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

قَلِيلًا\*، يعني: ممن كذب الرُّسُل لا ممن طبع على قلبه، لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبدًا، وأراد بالقليل: عبدالله بن سلام وأصحابه، وقيل: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بَهْتًا عَظِيمًا﴾، حين رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه، وقيل: إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقيباً فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران.

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَرَأَى الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، في قتله، ﴿لَفِي شَكِّ مَنَّهُ﴾، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت: نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصراني: نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، قال السدي:

اختلافهم من حيث إنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، من حقيقة أنه قتل أو لم يقتل، ﴿إِلَّا اٰتِيَاعَ الظَّنِّ﴾، لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيْنًا﴾، أي: ما قتلوا عيسى يقيناً.

[١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وقيل قوله (يقيناً) ترجع إلى ما بعده وقوله (وما قتلوه) كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه يقيناً، والهاء في (ما قتلوه) كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذين ظنوا أنه عيسى يقيناً، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: وما قتلوا ظنهم يقيناً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا مُنِيعًا﴾ بالثبته من اليهود، ﴿حَكِيمًا﴾ حكم باللعنة والغضب عليهم.

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيْرِحٍ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بَهْتًا عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اٰتِيَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيْنًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَاهَرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَعَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّ هَمَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ آمُومًا لِلنَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله (قبل موته) اختلفوا في هذه الكناية، فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن ابن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أرأيت أن من خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء قال: فقيل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج به لسانه، وذهب قوم إلى أن الهاء في (موته) كناية عن

أي: عن دين الله صدًا كثيرًا.

[١٦١] ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾، في التوراة ﴿وَأَكْبِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم، عاقبناهم بأن حرمانا عليهم طيبات، وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حُرْم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالاً لهم، قال الله تعالى: (ذلك جزيناهم بيغيهم وإننا لصادقون)، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الرِّبَا وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولوا البصائر، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني: سائر الكتب المنزلّة، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، اختلفوا في وجه انتصابه، فقيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ رجوع إلى النسق الأول، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء)، فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا ووجدوا كل ما أنزل الله عز وجل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل:

عيسى عليه السلام، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام. وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكِيمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَيَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدِّجَالَ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَى وَيَصْلِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»<sup>(١)</sup>، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)، قبل موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات. وروى عن عكرمة: أن الهاء في قوله (ليؤمنن به) كناية عن محمد ﷺ يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ، وقيل: هي راجعة إلى الله عز وجل يقول: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالله عز وجل، قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه، كما قال تعالى مخبرًا عنه (وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم) وكل نبي شاهد على أمته قال الله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا).

[١٦٠] قوله عز وجل: ﴿فِطْرًا مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا المسيح ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾، وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال: (وعلى الذين هادوا حرمانا كل ذي ظفر)، ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿وَيَصَدِّهِمْ﴾، وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾،

(١) متفق عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٤

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٢﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٣﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٤﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ ۗ يَعْلَمُهُ ۗ وَالْمَلَكُوتُ كَيْفَ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٧﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٦٩﴾

حقيقة.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً وما أنزلت إلينا كتاباً، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسول، قال الله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[١٦٦] قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمن أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك والله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ إن

(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وأنزل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: (وجعلنا ذريته هم الباقين) ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض جميعاً بدعائه وكان أطول الأنبياء عمراً وجعلت معجزته في نفسه، لأنه عمر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم يتفصص له قوة، ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره. قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، وهم أولاد يعقوب، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾، قرأ الأعمش وحمزة (زبوراً) والزبور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، أي: مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، (رسلاً) نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلاً، وفي قراءة أبي (ورسل قد قصصناهم عليك من قبل)، ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يقال: أراد فلان إرادة، يريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير

جحدوك وكذبوك، ﴿أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ  
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

[١٦٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ﴾ ، بكتمان نعت محمد ﷺ ، ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا  
بَعِيدًا﴾ .

[١٦٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ ، قيل: إنما  
قال (وظلموا) أتبع ظلمهم بكفرهم تأكيدًا، وقيل:  
معناه كفروا بالله وظلموا محمدًا ﷺ بكتمان نعته،  
﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ،  
يعني: دين الإسلام.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ ، يعني: اليهودية  
﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ، وهذا في  
حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

[١٧٠] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ  
مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ ، تقديره: فآمنا بكن  
الإيمان خيرًا لكم، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ .

[١٧١] ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي  
رَبِّكُمْ﴾ ، نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة  
اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فقالت  
اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية،  
وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت  
المرقسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية،  
ويقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية  
يقولون: ابن الله والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة  
عليهم رجل من اليهود يقال له بولس، سيأتي في  
سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقال الحسن يجوز  
أن تكون نزلت في اليهود والنصارى فإنهم جميعًا  
غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى  
مجاوزه الحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو  
في الدين حرام، قال الله تعالى: (لا تَعْلَمُوا فِي  
دِينِكُمْ)، لا تشددوا في دينكم ففتتروا على الله  
الكذب ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ، لا تقولوا

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا  
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ  
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُنزِلَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأَمَّنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ  
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ  
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ  
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْضُرْهُمُ  
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فِيُوفِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ  
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا  
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ  
قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾  
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ  
فِي رَحْمَتِهِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

أن له شريكًا وولدًا ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ ، وهي قوله (كن) فكان بشرًا  
من غير أب، وقيل غيره، ﴿أُنزِلَتْ إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي  
أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة  
حسنة، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ، قيل: هو روح كسائر  
الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشریفًا،  
وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه  
السلام في درع مريم فحملته بإذن الله تعالى، سمي  
النفخ روحًا لأنه ريح يخرج من الروح وأضافه إلى  
نفسه لأنه كان بأمره، وقيل: روح منه أي ورحمة،  
فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وأمن به،  
وقيل: الروح الوحي أوحى إلى مريم بالبشارة وإلى  
جبريل عليه السلام أن كن فكان كما قال الله  
تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره) يعني:  
بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام،

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، من تضعيف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾، عن عبادته ﴿فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

[١٧٤] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَّ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: هو القرآن، والبرهان: الحجة، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، بيّننا يعني القرآن.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ﴾، امتنعوا به من زيغ الشيطان، ﴿فَسَيُذْخِلُهُم فِي رَحْمَةٍ مِّنهُ وَفَضْلٍ﴾، يعني الجنة، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾.

[١٧٦] قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، وتوضأ وصب علي من وضوئه، فعلقت فقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلاله؟ فنزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وقد ذكرنا معنى الكلاله وحكم الآية في أول السورة، وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الإخوة للآب والأم وللأب، قوله (يستفتونك) أي: يستخبرونك ويسألونك، (قل الله يفتيكم في الكلاله)، ﴿إِن أَمْرًا هَلْكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ وَلَكِ أختٌ فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بِرِثَتِهَا﴾، يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ، ﴿إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها أنثى فلا أخ ما فضل عن فرض البنات، ﴿فَإِن كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، أراد اثنتين فصاعداً وهو أن من مات وله أخوات فلهن الثلثان، ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾، ﴿يَسِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا﴾، قال الفراء رحمة الله عليه وأبو

معناه كلمته ألهاها إلى مريم، وألهاها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: (تنزل الملائكة والروح)، يعني: جبريل فيها، وقال: (فأرسلنا إليها روحنا)، يعني: جبريل. ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾، أي: ولا تقولوا هم بثلاثة، وكانت النصرى تقول أب وابن وروح القدس، ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾، تقديره: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهٗ وَلَدٌ﴾ واعلم أن النبي لا يجوز لله تعالى، لأن النبي إنما يجوز لمن يتصور له ولد، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبد الله»، فنزل: (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وهم حملة العرش، لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله، ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر، لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة ولا يرتقى إلا إلى الأعلى، لا يقال: لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده، إنما يقال: فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاة، ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل ذلك رفعاً لمقامهم على مقام البشر، بل ردًا على الذين يقولون الملائكة آلهة، كما رد على النصرى قولهم المسيح ابن الله، وقال ردًا على النصرى بزعمهم، فإنهم يقولون بتفضيل الملائكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَن عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، قيل: الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة.

عبدة: معناه أن لا تضلوا، وقيل: معناه يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾.

### (٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ

[١] قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي: بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدت فلاناً وعقدت عليه أي: ألزمته ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما يُعقد الجبل بالجبل إذا وُصل، واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أو فؤوا بالعهود التي عهدتها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس)، وقال الآخرون: هو عام، قال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم، ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، قال الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنّة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنّة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذُبحت أو نحرت، فذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، فعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»<sup>(١)</sup>.

وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تمّ خلقه ونبت شعره، ومثله عن سعيد بن المسيب، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحلّ أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم. وقال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيتها وهي الطباء وبقر الوحش وحمر الوحش، سُميت بهيمةً لأنها

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ مَآءَهُمَا لَمِنْ أَهْلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بِرِثَتُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

### سُورَةُ الْمَائِدَةِ

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَتْلَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

أبهمت عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما ذكر في قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميته) إلى قوله: (وما ذُبِحَ على النصب)، ﴿غَيْرِ مُحْلِ الصَّيْدِ﴾، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحلي الصيد، ومعنى الآية: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا فَإِنَّهُ صَيْدٌ لَا يَجِلُّ لَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأضاحي باب ما جاء في ذكاة الجنين ١١٩/٤، والترمذي في كتاب الصيد ١٠/ وابن ماجه في الذبائح ١٥/ والدارمي في الأضاحي ١٧/ والإمام أحمد ج ٣/ ٣١، ٣٩، ٤٥، ٥٣. والمصنف في شرح السنة ٢٢٩/١١ قال المنذري في إسناده عبدالله بن أبي زياد المكي القداح وفيه مقال، وقال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٧٢ لشواهده.



العقوبة فيها، وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحججون، وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله: (اقتُلُوا المَشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وبقوله: (فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا أن يأمن كافر بالهدي والقلائد. قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ أي: من إحرامكم، ﴿فَأَصْطَادُوا﴾ أمرٌ بإباحة، أباح للحلال أخذ الصيد، كقوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: لا يحملنكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا، أي حملني، وقال الفراء: لا يكسبنكم، يقال: جرم أي: كَسَبَ، وفلانٌ جريمة أهله، أي: كاسهم، وقيل: لا يدعونكم، ﴿سَتَنَانُ قَوْمٍ﴾، أي: بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شئت ﴿أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قضية الحديدية، وكان الصدُّ قد تقدم، ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، عليهم بالقتل وأخذ الأموال، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾، أي: ليعن بعضكم بعضاً، ﴿عَلَى الأَلْبَةِ وَالتَّقْوَى﴾، قيل: البرُّ متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السنة، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالتَّقْوَى﴾، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة، قال رسول الله ﷺ: «البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ وكرهتُ أَنْ يطلعَ عليه النَّاسُ»<sup>(١)</sup>، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم رقم

(٢٥٥٣) ٤/١٩٨٠، والمصنف في شرح السنة ١٣/٧٦.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأراد المسلمون أن يُغَيِّرُوا عليهم فنهاهم الله عن ذلك. وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشَعَّرَة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وأشعارها: أعلامها بما يُعرف أنها هَدْي، والإشعار ههنا: أن يطعن في صَفْحَةِ سَنَام البعير بحديدة حتى يسيل الدَّم، فيكون ذلك علامة أنها هَدْي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تَحْلُوا شعائر الله هي أن تَصِيدَ وأنت محرَّم، بدليل قوله تعالى: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا)، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرمان الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة، وقوله: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ﴾ أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنهم كانوا يُحْلُونَه عامًا ويُحْرِمُونَه عامًا، ﴿وَلَا الأَهْدَى﴾، هو كل ما يُهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة، ﴿وَلَا الأَقْلَبِ﴾، أي: الهدايا المقلدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يُتَعَرَّضَ لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة ويُتَقَلَّدُونَهَا فنهوا عن نزع شجرها. قوله تعالى: ﴿وَلَا آيَاتِ البَيْتِ الحَرَامِ﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرَّضُوا لهم، ﴿يَبْتَغُونَ﴾، يطلبون ﴿فَصَلَاً مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يعني الرزق بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي: على زعمهم، لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَفَةَ وَالْمَوْفُوذَةَ وَالْمَرْدِيَّةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقِسُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ بَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مَعَ مَا كَلَّمْتُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامَكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْحُصْنَتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحُصْنَتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْتَفْحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعجم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج ﴿الْيَوْمَ بَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفارًا، وذلك أن الكفار كانوا يطعمون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام يشسوا، ويشس وأيس بمعنى واحد، ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنيبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضاء، فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت، وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد باب ما أنهر الدم ٦٣١/٩، ومسلم في الأضاحي باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم رقم (١٩٦٨) ٣/١٥٥٨.

[٣] ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، أي: ما ذُكر على ذبحه اسمٌ غير اسم الله تعالى، ﴿وَالْمَنْخَفَةَ﴾، وهي التي تخنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخفون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، ﴿وَالْمَوْفُوذَةَ﴾ هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها ﴿وَالْمَرْدِيَّةَ﴾، هي التي تتردى من مكان عالٍ أو في بئر فتموت، ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾ هي التي تنطحها أخرى فتموت ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، يريد ما بقي مما أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾، يعني إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذكيت النار إذا أتممت اشتعالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهار الدم، قال النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذُكر اسمُ الله عليه فكل غير السن والظفر»<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، قيل: النُّصُب جمع، واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق، وهو الشيء المنصوب، واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقاتدة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجرًا منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونها ويُعظمونها ويدبحون لها، وليست هي بأصنام إنما الأصنام هي المصورة المنقوشة، وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة، ومعناه: وما ذُبِحَ على اسم النُّصُبِ، قال ابن زيد: (وما ذُبِحَ على النُّصُبِ) ما أهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: على بمعنى اللام أي: وما ذُبِحَ لأجل النُّصُبِ، ﴿وَأَنْ تَسْنَقِسُوا بِالْأَزْلَمِ﴾، أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القداح التي لا ريش لها ولا نصل، وَاجِدْهَا: زَلْمٌ، وَزَلْمٌ، بفتح الزاي وضمها ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ قال سعيد بن جبير: الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس

بعدها إحدى وثمانين يوماً. قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلالاً ولا حراماً، ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الرِّبَا نزلت بعدها، وقال سعيد بن جبيرة وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك، وقيل: أظهرت دينكم وأمتتكم من العدو، وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، يعني: وأنجزت وعدي في قوله: (ولآتت نعمتي عليكم)، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمخمصاة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاوياً خاوياً، ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: مائل إلى إثم، وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

[٤] قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبيرة: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يتتبع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها والأول أصح في سبب نزول الآية: ﴿قُلْ

أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح، واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن تُدرِك ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكواصب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم، فيحل صيد جميعها، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، والمكلب الذي يغري الكلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً: مُكَلِّبٌ، والكلاب: صاحب الكلاب، ويقال للصائد بها أيضاً: كلاب، ونصب مكليبين على الحال، أي: في حال تكليبيكم هذه الجوارح أي إغرائكم إيها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾، تؤدبونهن آداب أخذ الصيد، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: من العلم الذي علمكم الله، قال السدي: أي كما علمكم الله، (من) بمعنى الكاف، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أراد أن الجارحة المعلّمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالاً، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء: إذا أُشليت استشلت، وإذا زُجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أُمسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مراراً - وأقلها ثلاث مرات - كانت معلّمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها ﴿وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما

المسلمين إِيَاهُنَّ بِالَّذِي يَخْرُجُهُنَّ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ يَغْنِي عَنْهُنَّ شَيْئًا وَهِيَ لِلنَّاسِ عَامَةٌ ﴿٥﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٦﴾ قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: بالله الذي يجب الإيمانُ به، وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقال مقاتل: بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: من يكفر بالإيمان أي: يستحلّ الحرام ويحرّم الحلال فقد حَبِطَ عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال ابن عباس: خسر الثواب.

[٦] قوله عز وجل: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كلّ مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية: (إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ) وأنتم على غير طهر، قال النبي ﷺ: «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»<sup>(١)</sup>. وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم، وقال بعضهم: هو أمر على طريق التدب، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طهر، قوله عز وجل: ﴿فَأَعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحُدِّ الوجه من مَنَابِتِ شعر الرأس إلى مُتَهَيِّ الذَّقْنِ طَوْلًا وما بين الأذنين عرضًا يجب غسل جميعه في الوضوء، قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي: مع أموالكم، وقال: (من أنصاري إلى الله) أي: مع الله، قوله تعالى:

(١) رواه البخاري في كتاب الحيل باب في الصلاة ١١٢ / ٣٢٩، ومسلم في الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة رقم (٢٢٥) / ٢٠٤.

يُرْسِلُ الْجَارِحَةَ أَوْ السَّهْمَ. [٥] قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عز وجل، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم، قوله عز وجل: ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حلّ طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الجِلِّ مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقيبه حكم النساء، ولم يذكر حلّ المسلمات لهم فكانه قال: حلالٌ لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم، قوله عز وجل: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: (وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ) اختلفوا في معنى ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ فذهب أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر، وأجازوا نكاح كل حرّة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى: (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون الأمة مؤمنة وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفائف من الفريقين حرائر كنّ أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة، ﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ﴾، غير مُعَالِنِينَ بِالزَّانَا، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، أي: غير مُسَرِّينَ تسرونهن بالزنا، قال الزجاج: حرّم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله على جهة الإحصان وهو التزوج ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح، قوله عز وجل: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأ الآخرون ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالخفض، فمن قرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب فيكون عطفًا على قوله ﴿فَاعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، وذهب جماعة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا: خفض اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال تبارك وتعالى: (عذاب يوم أليم)، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جُحِرَ ضَبُّ خَرِبٍ، فالخراب نعت الجحر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة، وقال بعضهم: أراد بقوله ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ المسح على الخفين. قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فالكعبان هما العظمان الناتان من جانبي القدمين، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين. قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، أي: اغتسلوا، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾، فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾، ضيق، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ وَعَلَىٰ الْآلَاءِ تَعَدَّلُوا أَعَدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

لِيُطَهِّرَكُمْ﴾، من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه.

[٧] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: التعم كلها، ﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ﴾، عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، وهو قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل: يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٠٩

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
 الْحُجُرِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ  
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ  
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ  
 إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ  
 وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا  
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا  
 نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً  
 يُخَفُّونَ أَكْثَرَهُنَّ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا  
 ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ  
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

سَيِّئَاتِكُمْ، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾  
 فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ  
 السَّبِيلِ، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق  
 الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

[١٣] ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ﴾ أي: فبنقضهم، و(مَا)  
 صلة، ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾، قال قتادة: نقضوه من وجوه  
 لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا  
 أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه، ﴿لَعْنَتُهُمْ﴾،  
 قال عطاء: أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن  
 ومقاتل: عذبتناهم بالمسخ، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ  
 قَاسِيَةً﴾، قرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء  
 من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكية والذكية،  
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قاسية أي:  
 يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن  
 قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب

[٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا  
 قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، أي: كونوا له قائمين  
 بالعدل قوالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في  
 أعمالهم وأقوالهم، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، ولا  
 يحملنكم، ﴿شَتَانُ قَوْمٍ﴾، بغض قوم، ﴿عَلَىٰ آلَا  
 تَعَدَّلُوا﴾، أي: على ترك العدل فيهم لعداوتهم، ثم  
 قال: ﴿أَعِدُّوا﴾، يعني: في أوليائكم وأعدائكم،  
 ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، يعني: إلى التقوى، ﴿وَاتَّقُوا  
 اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِيزٌ لِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٩] ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا في موضع النصب،  
 لأن فعل الوعد واقع على المغفرة، ورفعها على  
 تقدير أي: وقال لهم مغفرة وأجر عظيم.  
 [١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ  
 أَصْحَابُ الْحُجُرِ﴾.

[١١] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ  
 عَلَيْكُمْ﴾ بالدفع عنكم، ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا  
 إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، وذلك أن الله عزَّ  
 وجلَّ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه  
 الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها  
 الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل  
 الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من  
 أرض الشام وهي الأرض المقدسة ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي  
 مَعَكُمْ﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتداء الكلام  
 فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، يا معشر بني  
 إسرائيل، ﴿وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي  
 وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، نصرتموهم، وقيل: وقرتموهم  
 وعظمتموهم؛ ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قيل:  
 هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل،  
 ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، لأمحون عنكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَعْدَانَا مِثْقَلُهُمْ  
 فَسَوَّاحِظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ  
 وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ  
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
 قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا  
 كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ  
 كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
 مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ  
 سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
 النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ  
 ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ  
 أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْتَلِقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٥] قوله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، يريد:  
 يا أهل الكتابين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ  
 كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي:  
 من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية  
 الرجم وغير ذلك، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، أي:  
 يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا  
 يؤاخذكم به، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾،  
 يعني: محمداً ﷺ، وقيل: الإسلام، ﴿وَكِتَابٍ  
 مُبِينٍ﴾، أي: بين، وقيل: مبين وهو القرآن.  
 [١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾،  
 رضاه، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، قيل: السلام هو الله عز  
 وجلّ وسيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به  
 رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ  
 واللذاعة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة،  
 ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من

بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسية وهي الردية  
 المغشوشة ﴿يُخْرِفُونَ أَلْسِنَهُمْ عَن مَّوَاعِظِهِ﴾، قيل: هو  
 تبديلهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء  
 التأويل، ﴿وَسَوَّأُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي:  
 وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان  
 بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾، يا محمد،  
 ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾، أي: على خيانة، فاعلة  
 بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية، وقيل: هو  
 بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية ونسابة  
 وعلامة وحسابه، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن  
 عباس رضي الله عنهما: على خائنة أي: على  
 معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم  
 المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم  
 بقتله وسمه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت  
 منهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا  
 العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فَأَعْفُ  
 عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾، أي: أعرض عنهم ولا تعرض  
 لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذا منسوخ بآية  
 السيف.

[١٤] قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا  
 نَصْرِيُّ أَعْدَانَا مِثْقَلُهُمْ﴾، قيل: أراد بهم اليهود  
 والنصارى فاكتمى بذكر أحدهما، والصحيح أن  
 الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود،  
 وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم  
 لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد  
 والنبوة، ﴿فَسَوَّأُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ  
 الْعِدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، بالأهواء  
 المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة:  
 يعني بين اليهود والنصارى، وقال الربيع: هم  
 النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية  
 والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الأخرى،  
 ﴿وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ في  
 الآخرة.

ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿يَاذِيهٖ﴾، بتوفيقه وهدايته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

[١٧] قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئًا إذا قضاها؟ ﴿إِن أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أبحاري فبدلوا يا أبناء أبحاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله. قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلِمَ يعذبكم أي: لِمَ عَذَّبَ من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قرده وخنازير؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فضلًا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾، عدلًا، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، محمد ﷺ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أعلام الهدى وشرائع الدين، ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ مِّنَ الرَّسُولِ﴾ أي انقطاع من الرسل، واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة

١١١

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ قَدَرٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْرُوكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدٌ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوِّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدَّرُخْلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

وستون سنة، وقال معمر الكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، كيلا تقولوا، ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقَوِّمُوا أَدْرُوكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾، أي: منكم أنبياء، ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، أي: فيكم ملوكًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما، يعني أصحاب خدم وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم، قال السدي: وجعلكم ملوكًا أحرارًا تملكون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم،



وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه نهرٌ جارٍ فهو ملك ﴿وَأَتَلْتُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام.

[٢١] قوله تعالى: ﴿يَفْجُرُونَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، اختلفوا في الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده، قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم، وقال ابن إسحاق: وهب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، قال السدي: أمركم الله بدخولها، وقال قتادة: أمروا بها كما أمروا بالصلاة، أي: فرض عليكم. ﴿وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ آذَانِكُمْ﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقبل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكنموا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفسلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وفيما قال لهما موسى فعلتم جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا في أرض مصر، أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يَدْخُلَنَا اللهُ أَرْضَهُمْ فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمه لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأساً وننصرف إلى

مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، أصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف إلى مصر خرد موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله:

[٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير (يُخَافُونَ) بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة قالوا: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾. يعني: قرية الجبارين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، إنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، فأراد بنو إسرائيل أن يرحموا بالحجارة وعصوهم.

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾، قيل معناه لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي، ﴿فَأَفْرُقْ﴾، فافصل، ﴿بَيْنَنَا﴾، قيل: فاقض بيننا، ﴿وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، العاصين.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، قيل: وهنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع،

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأُولَئِكَ سَمِعُوا إِذْ دَخَلَهَا أَبْدَامًا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ  
 أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقَدْتُمَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبِّ  
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ  
 الْفَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً  
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ  
 ﴿٤٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا  
 فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ  
 قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ  
 لِنَفْسِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ  
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ  
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾ فَطَوَّعَتْ  
 لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾  
 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى  
 سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ بِعَجْرَتٍ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا  
 الْغُرَابِ فَأُورَى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٥١﴾

فأوحى الله تعالى إلى موسى: لأحرمنَّ عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيهتهم في هذه البرية ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، مكان كل يوم من الأيام التي تحبسون فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، ﴿يَتِيهُونَ﴾، يتحيرون، ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ وهما هابيل وقابيل، ويقال له قابين، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾، يعني هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ﴾، يعني قابيل فتزلوا على الجبل وقد غضب قابيل لردِّ قربانه وكان يضم الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو في غنمه، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قبل قربانك وردَّ قرباني، وتكح أختي الحساء وأنكح أختك الدميمة، فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿قَالَ﴾ هابيل: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ أي: مددت، ﴿لِنَفْسِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، قال عبدالله بن عمر: وإيم الله إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبًا للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه، قال مجاهد: كتب الله في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾، ترجع، وقيل: تحمل ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾، أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول

أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتي وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعًا، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك، فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل: ليس ذلك بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطئن نفسه على الاستسلام طلبًا للثواب فكأنه صار مريدًا لقتله مجازًا، وإن لم يكن مريدًا حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فيكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٣

الْمَائِدَةِ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ  
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ  
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ  
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا  
مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا  
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ  
فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ  
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ  
لَهُمْ حِزْبِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَىٰ  
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ  
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

أو إمام عدل فكأنما أحميا الناس جميعاً، قال مجاهد: من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلى لو قتل الناس جميعاً، ومن أحمياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً، قال قتادة: أعظم الله أجرها وعظم وزرها، معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، وتورع عن قتلها، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، في الثواب لسلامتهم منه، قال الحسن فكأنما قتل الناس جميعاً يعني أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ومن أحمياها أي عفا عن من وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحميا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي: قلت للحسن: يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُمْ نَفْسُهُ﴾، أي: طاوعته وشايعته وعاونته، ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾، في قتل أخيه وقال مجاهد: فشجعته، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له ذلك، أي: جعلته سهلاً، تقديره: صورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وكان لهاييل يوم قتل عشرون سنة فلما قتله تركه بالعرء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمتقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة، وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى:

[٣١] ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾، فلما رأى قابيل ذلك ﴿قَالَ يَتُولِيَانِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه قد سلب ثيابه، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، على حملة على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلعة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ أي: من جراء ذلك القاتل وجنابته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذاً ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، قتلها فيقاد منه، ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، اختلفوا في تأويله، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبيّاً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شد عضد نبي

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا  
 وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا  
 أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلَافًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
 ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ  
 عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ  
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ  
 لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْتَعْرِفُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ  
 قَالُوا أَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَمَّا بَأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ  
 هَادُوا وَسَكَّعُوا لِلْكَذِبِ سَكَّعُونَ لِقَوْمِهِ  
 آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْفَظُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ  
 يَقُولُونَ إِنْ أُوْتِينَا هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا  
 وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ. مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ  
 أَوْلَىٰ بِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ قُلُوبَهُمْ لَمَمٌ فِي  
 الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

أَلِيمٌ ﴿٤١﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾  
 بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا، فيه وجهان أحدهما: أنهم  
 يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله  
 تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) والثاني:  
 أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم، كما قال الله تعالى  
 إخباراً عنهم: (ربنا أخرجنا منها)، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ  
 مُّقِيمٌ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾،  
 أراد به إيمانها، وكذلك هو في مصحف عبدالله  
 ابن مسعود، وجملة الحكم أن من سرق نصاباً من  
 المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من  
 الرسغ ﴿جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾، نصب على الحال  
 والقطع، ومثله: ﴿تَكْلَافًا﴾، أي: عقوبة، ﴿مِنَ اللَّهِ  
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله  
 من دمائنا، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ  
 كَفَرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسُوفُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وعقوبة المحاربين ما ذكر  
 الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ  
 تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ  
 الْأَرْضِ﴾، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر  
 المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما  
 هو ظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أن هذه  
 العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير  
 ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من الحد، ﴿لَهُمْ خِزْيٌ  
 عَذَابٌ وَهَوَانٌ وَفُضِيحَةٌ﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ  
 فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فمن ذهب إلى أن  
 الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا  
 من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل  
 عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما  
 أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما  
 المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة  
 عليهم - وهو قبل أن يظفر به الإمام - تسقط عنه  
 كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من  
 حقوق العباد.

﴿٣٥﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا  
 اطْلُبُوا، ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي: القربة، فعيلة من  
 توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب إليه وجمعها  
 وسائل، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ  
 الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾، أخبر أن الكافر لو ملك  
 الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من  
 العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، ﴿سَمِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾، أي هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله ﴿لِقَوْمٍ﴾ أي: لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، جمع كلمة، ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: من بعد وضعه مواضعه، وإنما ذكر الكناية رداً على لفظ الكلم، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾، أي: إن أفتاكم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾، كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾، فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾، وفيه رد على من ينكر القدر ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية أو القتل أو السبي أو النفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، الخلود في النار.

﴿٤٢﴾ ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْحَسَنِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي (للحسنت)، بضم الحاء، والآخرون بسكونها، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، وقال الله تعالى: ﴿فيسحتكم بعذاب﴾، نزلت في حكام اليهود كعب ابن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم، قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كفه فيريها أياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة، وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحقق لك باطلاً أو يبطل عنك

﴿٣٩﴾ ﴿فَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾، أي: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، ﴿فَارْتَأَى اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا فيما بينهم وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته فإذا قطع حصلت التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجنابة، كما قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾، فلا بد من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائماً عنده يسترد، وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

﴿٤٠﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل واحد من الناس ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي والكلبي: يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٤١﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، أي: في موالة الكفار فإنهم لم يعجزوا الله، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾، وهم المنافقون، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني اليهود، ﴿سَمِعُونَ﴾، أي: قوم سماعون، ﴿لِلْكَذِبِ﴾، أي: قابلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله، وقيل: معناه: سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ  
فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ  
فَكَانَ يَصْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ  
التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا  
هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ  
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ  
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ  
وَأَخْشَوْنَ وَلَا تُشْرِكُوا بِيَتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ  
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْأَعْيُنَ بِالْأَنْفِ وَالْأَنْفَ  
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ  
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ  
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، كما قال: (وإن أسأتم فلها)، أي: فعلها، وكما قال: (أولئك لهم اللعنة)، وقيل: فيه حذف كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً. ﴿والرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾، يعني العلماء، واحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيدة: هو من الحبر الذي يكتب به، وقال قطرب: هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون ههنا من النصارى، والأحبار من اليهود، قوله عز وجل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ

حَقِّكَ، فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدراً به عن نفسه فلا بأس، فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء، قال ابن مسعود، من يشفع شفاعاً ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل فهو سحت، فقبل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم كفر، قال الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والسحت كل كسب لا يحل. قوله عز وجل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَانَ يَصْرُوكَ شَيْئًا﴾، خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك. قوله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي بالعدل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ﴾، هذا تعجب للنبي ﷺ، وفيه اختصار، أي: وكيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾، وهو الرجم، ﴿ثُمَّ تَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي بمصدقين لك.

[٤٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، أي: أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)، وكما قال: (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً)، وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره فيها هدى ونور للذين

تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾، فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾، أي: فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾، أي: بالقصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾، قيل: الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل، أي: كفارة للمصدق وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»<sup>(١)</sup> وقال جماعة: هي كناية عن الجراح والقاتل، يعني إذا عفا المجنى عليه عن الجاني فغفوه كفارة لذنب الجاني لا يُؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل، قال الله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَقَفِينَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾، أي: على آثار النبيين الذين أسلموا، ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ﴾، أي: في الإنجيل ﴿هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا﴾، يعني الإنجيل، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، قرأ الأعمش وحمزة (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام ونصب

اللَّهِ، أي: استودعوا من كتاب الله، ﴿وَكَاثِبًا عَلَيْهِ شَهَادَةً﴾ أنه كذلك، ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾، قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم، وقال ابن عباس وطاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، قال عطاء: هو كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات، وقال العلماء: هذا إذا ردَّ نصَّ حكم الله عيانًا عمدًا، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَكَبَّيْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾، أي: أوجنا على بني إسرائيل في التوراة، ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول وفاءً يقتل به، ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، تُفَقَأُ بِهَا ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾، يُجَدَعُ بِهِ، ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾، تُقَطَّعُ بِهَا، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقأون بالعين العينين ﴿وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ﴾،

(١) أخرجه الترمذي في الدييات ٦٥٠/٤ وقال غريب، وابن ماجه في الدييات رقم (٢٦٩٣) ٨٩٨/٢ والإمام أحمد في المسند ٣١٦/٥، ٤٤٨/٦ قال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٠٥/٣ رجاله رجال الصحيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٦

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وَقَفِينَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ  
التَّوْرَةِ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ  
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ  
أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۗ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ  
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ  
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا  
عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ  
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا  
ءَاتَاكُمْ ۗ فَاسْتَمِعُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا  
فِي نَهْيِكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا  
أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ عَن  
بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم  
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ  
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمِن أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين والأخبار أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الخارجون عن أمر الله عز وجل.

[٤٨] قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾، القرآن، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي، قال حسان:

إن الكتاب مهيمن لنبينا

والحق يعرفه ذوو الأبواب

يريد: شاهداً ومصداقاً،

وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً، وقيل: أصله مؤيمن مفعول من أمين، كما قالوا: مُيِّطِر من البيطار، فقلبت الهمزة هاء كما قالوا: أرقّت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضياً، وقال الخليل: رقيباً وحافظاً، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدق القرآن فهو كتاب الله تعالى وإلا فلا ﴿فَأَحْكُم﴾، يا محمد ﴿بَيْنَهُمْ﴾، بين أهل الكتاب إذا تراءفوا إليك، ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ تعالى بالقرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تعرض عمّا جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، قال

ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنةً، فالشريعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة، قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة والفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على ملة واحدة، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾، ليختبركم، ﴿فِي مَا ءَاتَاكُمْ﴾، من الكتب وبين لكم من الشرائع فيتين المطيع من العاصي والموافق من المخالف، ﴿فَاسْتَمِعُوا الْخَيْرَاتِ﴾، فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾



نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جذب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنَّكَ بِأَقْبَحِ الْفِتْنِ﴾، قال قتادة ومقاتل: بالقضاء من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ، وقيل: عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فَيَصْبِحُوا﴾ يعني هؤلاء المنافقون، ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَفْسِهِمْ﴾، من موالاته اليهود ودس الأخبار إليهم، ﴿لَتَدْمِيَنَّ﴾.

[٥٣] ﴿و﴾، حيثذ، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿وَيَقُولُ﴾، بالواو والرفع على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على ﴿أَن يَأْتِيَنَّ﴾ أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية، استغناء عن حرف العطف لملازمة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَسْمُوا بِاللَّهِ﴾، حلفوا بالله ﴿حَيْدَ أَيْعِنَهُمْ﴾، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمُ﴾، أي: إنهم لمؤمنون، يريد أن المؤمنين حيثذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، بطل كل خير عملوه، ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (يرتدد) بدالين على إظهار التضعيف ﴿عَن دِينِهِ﴾ فيرجع إلى الكفر، قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه، واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

[٤٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، إليك ﴿وَلَا تَنجِ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحَدَرَهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسيد وعبدالله بن سوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرفهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل الآية ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿فَاعَلَمْنَا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني اليهود ﴿لَفَلْسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهِيلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ قرأ ابن عامر تبغون وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَ اللَّهُ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[٥١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَةَ أَوْلِيَاءَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عامًا لجميع المؤمنين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ﴾، فيوافقهم ويعينهم، ﴿فَأِنَّهُ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أي: نفاق يعني عبدالله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يُوالون اليهود، ﴿يَسْتَرْعُونَ فِيهِمْ﴾، في معونتهم وموالاتهم، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾، دولة، يعني: أن يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى ألا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل:

والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وقال قوم: المراد بقوله: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هم قومٌ هذا» - وأشار إلى أبي موسى الأشعري<sup>(١)</sup>. وكانوا من اليمن. قوله عز وجل: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أرقاء رحماء، لقوله عز وجل: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون. قال الله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) ﴿عَزَّزَهُ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾، أي: أشدء غلاظ على الكفار يُعادونهم ويُغالبونهم، من قولهم: عزّه أي غلبه. قال عطاء: أذلة على المؤمنين: كالولد لوالده والعبد لسيدته، أعزّه على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: (أشدء على الكفار رُحماء بينهم). ﴿يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم<sup>(٢)</sup>. ﴿ذٰلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يٰٓؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ﴾، أي: محتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّا وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة ابن الصامت وعبدالله بن أبي ابن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)، إلى قوله ﴿إِنَّا

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمْرُكُم حَيْطَتَ أَعْمَلْتُمْ فَاصْبِرُوا خَشْيَةَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يٰٓؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٥٣﴾ إِنَّا وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ كَتَبَ مِن قَلْبِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ وَانْقُلُوا إِلَيْهِمْ كُفْرًا يُؤْتُونَ

وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. وقال جابر بن عبدالله: جاء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالْمؤمنين أولياء»، وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس، وقال السدي: قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٣/٢ وصححه على شرط مسلم، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ١٦/٧، والطبري في التفسير ٤١٤/١٠.  
(٢) أخرجه البخاري في الأحكام ١٩٣/١٣، ومسلم في الإمارة برقم (١٧٠٩) ٣/١٤٧٠.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٨

الْمَائِدَةِ

وَإِذْ نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِثًا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَتْسِفُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ خَلَوْنَا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهٖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَزَيَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْثَرُهُمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا نَيْبُهُمُ الرَّبَّابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْثَرُهُمُ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقِ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَةَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاةُ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صباح كصباح العير؟ فما أقبح من صوت وما أسمع من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله)، الآية.

[٥٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِثًا﴾ قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفر من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عن من يؤمن به من الرسل، فقال:

الرَّكُوزَةُ وَهُمْ رَكِيمُونَ﴾، أراد به: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راحع في المسجد فأعطاه خاتمه<sup>(١)</sup>، وقال جُوَيْرِير عن الضحّاك في قوله: ﴿إِنَّمَا وَبِئْسَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾، يعني أنصار دين الله، ﴿هُمُ الْفَالِقِيُّونَ﴾.

[٥٧] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلِعِبَاءَ﴾، الآية قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرّا الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلِعِبَاءَ﴾، بإظهار ذلك بألسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر، ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: اليهود: ﴿وَالْكَفَّارَ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي ﴿وَالْكَفَّارَ﴾ بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿أُولِيَاءَ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذْ نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار - وهو وأهله نيام - فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله. وقال الآخرون:

(١) أخرجه الطبري ٤٢٥/١٠.

والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كنتموا من التوراة، والعدوان مازادوا فيها، ﴿وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ﴾، الرِّشَا، ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٦٣] ﴿لَوْلَا﴾، هَلَا، ﴿يَهْتُمُّ الرِّبَايُوتَ وَالْأَجْبَارَ﴾، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى والأخبار علماء اليهود، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا

وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كفَّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة،

أي: محبوسة مقبوضة من الرزق نسبوه إلى البخل، قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها. وقال الحسن: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس

يعذبنا إلا ما يبرَّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل، والأول أولى لقوله: (ينفق كيف يشاء)، ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم

البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة، لقوله تعالى: (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل)، ﴿وَأَلْعَنُوا﴾،

عُذِّبُوا، ﴿بِمَا قَالُوا﴾، فمن لعنهم أنهم مُسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، ﴿بَلْ يَدَاُءُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ويدُ الله

صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جل ذكره: (لما خلقتُ بيدي)، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»<sup>(١)</sup>، والله أعلم بصفاته، فعلى

العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من (١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة رقم (١٨٢٧) ١٤٥٨/٣.

«أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل» إلى قوله: (ونحنُ له مسلمون)، فلما

ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى

هذه الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنِّي أَي: تَكْرهُونَ مِنَّا﴾ ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِإِلَهِهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾، أي: هل تَكْرهُونَ مِنَّا إِلَّا

إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال، ثم قال:

[٦٠] ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾، أخبركم، ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ

الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً لقوله تعالى: (أفأنبئكم بشرٌ من ذلكم النار)، ﴿مُتَوَبِّعًا﴾ ثواباً وجزاء، نُصِبَ عَلَى التفسير، ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ﴾

أي: هو من لعنه الله، ﴿وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ﴾، فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه

السلام ﴿وَعَبِدَ الظُّلُومِ﴾، أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سؤل له ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن طريق الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره)،

دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: ﴿آمَنَّا﴾، بك وصدقناك فيما قلت، وهم يُسرُّون الكفر، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

[٦٢] ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾، يعني: من اليهود: ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، قيل: الإثم المعاصي

سورة المائدة

١١٩

سورة المائدة

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنِّي لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِمَّنْ أَمَرُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِنَّا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ مِمَّا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، بس ما يعملون، بس شيئاً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا بالقيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قالت عائشة: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) <sup>(١)</sup>، روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه،

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٢٧٥/٨، ومسلم في الإيمان رقم (١٧٧) ١/١٥٩.

أهل السنة في هذه الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، ﴿يُنْفِقُ﴾، يرزق، ﴿كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، أي: كلما أنزل آية كفروا بها فازدادوا طغياناً وكفراً، ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد، وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين، وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفاها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾، الكفر، ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض. قال الفراء: أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، مقتصدة أي عادلة غير

بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم،  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، ﴿وَلَزِيدَكَ كَثِيرًا مِّنْهُمَا مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾، فلا تحزن، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ﴾ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: باللسان. وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان (من آمن بالله)، أي: ثبت على الإيمان، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوحيد والنبوة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾، عيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهما، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾، يحيى وزكريا.

[٧١] ﴿وَخَسِبُوا﴾، ظنوا، ﴿أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يبتلوا ولا يُعذبهم الله ﴿فَعَمُوا﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وَصَمُّوا﴾، عنه فلم يسمعه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانًا كما اتخذت النصارى عيسى حنانًا، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: (يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية. وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود، وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل: في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه، كما قال الله تعالى: (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)، كرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية. فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب ﴿رسالاته﴾، على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئًا، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل وقيل: بلغ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغه، كقوله: (فاصدع بما تؤمر) وإن لم تفعل فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهرًا محتسبًا صابرًا، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئًا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذى بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك. وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن. وقيل: والله يخلصك

(١) أسباب النزول للواحدي ص (٢٣٢-٢٣٣)، الدر المنثور (١١٦/٣-١١٧).

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢٠

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وَحَسْبُوا الْأَتَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبِّئْتُمْ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، يعني: المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)؟ ثم قال ردًا عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ؟﴾ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: (فهل أنتم متتهون)، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾، أي: كثيرة الصدق. وقيل: سُميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عز وجل في وصفها: (وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا)، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين، فكيف يكون إلهًا من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟! وقيل: هذا كناية عن الحدث. وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلهًا؟ ثم قال: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نُبِّئْتُمْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ﴾، أي يُصرفون عن الحق.

[٧٦] ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٧٧] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريقى اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن قصد الطريق، أي: بإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾، يعني: أهل أيلة لما اعتدوا في

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢١

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ  
وَلَاتَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا  
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى  
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾  
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ  
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ  
أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾  
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ  
مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾  
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ  
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ  
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ لَبِئْسَ مِنْهُمْ  
فِتْنَسِينَ وَرُحْبَانَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم  
واجعلهم آية؛ فمسخوا قرده وخنازير، ﴿وَعِيسَى  
ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: على لسان عيسى عليه السلام  
يعني كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال  
عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية؛ فمسخوا  
خنازير، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.  
[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ  
فَعَلُوهُ﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿لَبِئْسَ مَا  
كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾،  
قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه،  
﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مشركي مكة حين  
خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن  
عباس ومجاهد والحسن: منهم يعني من المنافقين  
يتولون اليهود، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، بس  
ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة؛ ﴿أَنْ  
سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، غضب الله عليهم، ﴿وَفِي  
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾  
محمد ﷺ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾، يعني القرآن، ﴿مَا  
اتَّخَذُوا لَهُمْ﴾ يعني الكفار، ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا  
مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾، أي: خارجون عن أمر الله  
سبحانه وتعالى.

[٨٢] قوله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني مشركي  
العرب، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾، لم يرد به جميع  
النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في  
قتلهم المسلمين، وأسرههم وتخريب بلادهم وهدم  
مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولا كرامة لهم،  
بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه،  
وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى،  
لأن اليهود أفسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم،

وكانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود ﴿ذَلِكَ  
يَأْنُ مِنْهُمْ فِتْنَسِينَ﴾، أي: علماء، قال قطرب:  
القس والقسيس العالم بلغة الروم ﴿وَرُحْبَانَانَا﴾،  
الرهبان العباد أصحاب الصوامع واحدهم راهب،  
مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون  
واحدًا وجمعه رهابين، مثل قربان وقرباين،  
﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظمون عن الإيمان  
والإذعان للحق.

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾، محمد  
ﷺ، ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾، تسيل، ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا  
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما  
في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم  
جعفر بالحبشة كهيعص، فما زالوا يبكون حتى فرغ  
جعفر من القراءة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ  
الشَّاهِدِينَ﴾، يعني أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى:



(لتكونوا شهداء على الناس).

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ ،  
وذلك أن اليهود غيرهم وقالوا لهم: لِمَ آمتم؟  
فأجابوهم بهذا، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ  
الصَّالِحِينَ﴾ ، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه (أن  
الأرض يرثها عبادي الصالحون).

[٨٥] ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهَ﴾ ، أعطاهم الله، ﴿بِمَا قَالُوا  
جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ ، وإنما  
أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقتراحه  
بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الْمُحْسِنِينَ﴾ ، يعني: الموحدون المؤمنين، وقوله:  
(ترى أعينهم نفيض من الدمع مما عرفوا من  
الحق)، يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب  
مع القول يكون إيماناً.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْحَجِيرِ﴾ .

[٨٧] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا  
طَبِيبَتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يعني: اللذات التي  
تشتهيها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم  
الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ، ولا  
تجاوزوا الحلال إلى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ﴾ .

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ، قال  
عبدالله بن المبارك: الحلال ما أخذته من  
وجهه، والطيب ما غذي وأنمي، فأما الجوامد  
كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على  
وجه التداوي، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ  
مُؤْمِنُونَ﴾ .

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي  
أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ ، قرأ  
حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿عَقَدْتُمْ﴾ بالتخفيف،  
وقرأ ابن عامر ﴿عاقدم﴾ بالألف وقرأ الآخرون  
﴿عَقَدْتُمْ﴾ بالتشديد، أي: وكدم، والمراد من الآية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١٢٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ  
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ  
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ  
وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ فَأَنذَرْتَهُمْ  
اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا  
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٨٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَا تَحْرَمُوا طَبِيبَتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ  
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ  
فَكَفَرْتَهُنَّ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينَ مِنْ أَوْسَطٍ مَا تَطْعَمُونَ  
أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا  
أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قصدم وتعدتم، ﴿فَكَفَرْتَهُنَّ﴾ ، أي: كفارة ما  
عقدتم الأيمان إذا حشتم، ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ  
أَوْسَطٍ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ، أي: من خير قوت  
عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز  
والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز  
البحث والكل مُجَزٍ، قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَوْتَهُمْ أَوْ  
تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾ ، كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها  
مخير: إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء  
كساهم، وإن شاء أعتق رقبة. قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ  
لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ، إذا عجز الذي لزمته كفارة  
اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب  
عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله  
عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو  
يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام، وقال بعضهم: إذا ملك  
ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢٣

الْبَيْتِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ  
 مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ  
 الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
 وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَطِيعُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى  
 رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٣﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ جُمُودًا حَسِينًا  
 ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بَشِيرٌ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ  
 أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْدَىٰ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٩٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ  
 وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ  
 يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ  
 مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَاكٍ صَيًّا مَا لِيُذَوِّقُوا بِأَلَمِ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنَّا  
 سَلَفًا وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

كقوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون)؟.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾،  
 المحارم والمناهي، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى  
 رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ الآية، سبب نزول  
 هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما  
 نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف ياخواننا  
 الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال  
 الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾، وشربوا من  
 الخمر وأكلوا من مال الميسر ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾،  
 الشرك، ﴿وَأَمَنُوا﴾، وصدقوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 ثُمَّ اتَّقَوْا﴾، الخمر والميسر بعد تحريمهما، ﴿وَأَمَنُوا  
 ثُمَّ اتَّقَوْا﴾، ما حرم الله عليهم أكله وشربه، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾

الصيام ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿كَفَرَةٌ  
 أَيْمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، وحتشم، فإن الكفارة لا تجب  
 إلا بعد الحنث. قوله عز وجل: ﴿وَأَحْفَظُوا  
 أَيْمَنَكُمْ﴾، قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا  
 تحلفوا، وقيل: - وهو الأصح - : أراد به: إذا  
 حلفتم فلا تحتثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن  
 الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو  
 فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك  
 مندوب، فالأفضل أن يُحنث نفسه ويكفر ﴿كَذَلِكَ  
 يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٩٠] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ  
 وَالْمَيْسِرُ﴾، أي: القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾، يعني:  
 الأوثان، وسميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها،  
 واحداها نصب بفتح النون وسكون الصاد، ونُصب  
 بضم النون مخففاً ومثقلاً، ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾، يعني:  
 القِدَاح التي يستقسمون بها واحداها زَلَمٌ وزلم،  
 ﴿رَجَسٌ﴾، خبيث مستقذر، ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، من  
 تزيينه، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، رد الكناية إلى الرجس،  
 ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ  
 وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أما العداوة في الخمر  
 فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا، كما  
 فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي  
 الجمل، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان  
 الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا  
 مسلوب الأهل والمال مغتاظا على حرفائه،  
 ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وذلك أن من  
 اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر  
 الله، وشوش عليه صلواته كما فعل بأضياف  
 عبدالرحمن بن عوف، وتقدم رجل ليصلي بهم  
 صلاة المغرب بعدما شربوا فقرا (قل يا أيها  
 الكافرون)، أعبد ما تعبدون، بحذف لا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ  
 مُنْتَهُونَ؟﴾ أي: انتهوا لفظه استفهام ومعناه أمر،

واختلفوا فيما لو قتل خطأ، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، وقال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة، وقال سعيد بن جبير: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد. قوله عز وجل: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنْ النَّعْمِ﴾، معناه أنه يجب عليه

مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبهًا من حيث الخلقة لا من حيث القيمة، ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلان عدلان، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكما به ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾، أي: يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾، قال الفراء رحمه الله: العُدل بالكسر:

المثل من جنسه، والعدُل بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوم المثل دراهم، والدراهم طعامًا فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُدٍّ من الطعام يومًا وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين. وقال مالك إن

لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعامًا فيتصدق به، أو يصوم، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يومًا، وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب، والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير. قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾، يعني: قبل التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقيل: معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك، وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا، أي: داوموا على ذلك التقوى، وآمنوا وازدادوا إيمانًا، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسان وكلُّ محسن متق، والله يحب المحسنين.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾، الآية، نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ﴾ ليختبرنكم الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي، وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد، وإنما بعض، فقال ﴿بِشَيْءٍ﴾ لأنه ابتلاهم بصيد البر خاصة. ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾، يعني: الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد، ﴿وَرِمَاهُمْ﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، ليرى الله لأنه قد علمه، ﴿مَنْ يَخَافُهُ يُغْفِرْ لِمَن يَخَافُ اللَّهَ﴾، أي: يخاف الله ولم يره، كقوله تعالى: (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي: يخافه فلا يصطاد في حال الإحرام ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، أي: محرمون بالحج والعمرة وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾، اختلفوا في هذا العمد فقال قوم: هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتل عمداً وهو ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، هذا قول مجاهد والحسن، وقال الآخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة،

فَيَنْقَمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴿٩٦﴾، في الآخرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو  
أَنْتِقَابٍ﴾، وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد  
عليه الجزاء عند عامة أهل العلم.

[٩٦] قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ  
وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، والمراد بالبحر جميع  
المياه، قال عمر رضي الله عنه: «صيده ما اصطيد  
وطعامه ما رمي به». وعن ابن عباس وابن عمر  
وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل  
ميثًا. وقال قوم: هو المالح منه، وهو قول سعيد  
ابن جببر وعكرمة وسعيد بن المسيب وقتادة  
والنخعي، وقال مجاهد: صيده: طريه، وطعامه:  
مالحه، متاعًا لكم أي: منفعة لكم، وللسيارة  
يعني: المارة. قوله تعالى ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا  
دُمِّمَتْ حُرْمًا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، صيد  
البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم،  
أما صيد البرّ فحرام على المحرم وفي الحرم،  
والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما  
ما لا يحلّ أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم  
أخذه وقتله.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ  
الْحَرَامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها  
والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل:  
سُميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت  
كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج  
والارتفاع، وسمي الكعب كعبًا لتوئته وخروجه من  
جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ  
وخرج ثديها: تكعبت، وسمي البيت الحرام لأن  
الله تعالى حرّمه وعظّم حرّمته. قال النبي ﷺ: «إِنَّ  
اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ حَرَمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ»<sup>(١)</sup>، ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن عامر (قيمًا)  
بلا ألف والآخرون قيامًا بالألف، أي: قوامًا لهم  
في أمر دينهم وديانهم، أما الدين لأن به يقوم الحج  
والمناسك، وأما الدنيا فيما يُجبى إليه من الثمرات،

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو  
أَنْتِقَابٍ﴾  
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ  
الْحَرَامَ﴾  
﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾  
﴿مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾  
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ  
وَلَوْ أَنَّ جَبْكَ كَثُرَ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾  
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا  
عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ نَسْتَلُوا عَنْهَا لَنْ يَنْزَلَ  
الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾  
﴿سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قِبَلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾  
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم  
أحد في الحرم، قال الله تعالى: (أولم يروا أننا  
جعلنا حرماً منا ويتخطف الناس من حولهم)؟  
﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، أراد به الأشهر الحرم، وهي ذو  
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل  
الأشهر الحرم قياماً للناس يأمنون فيها القتال،  
﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَ﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد  
الهدى، فذلك القوام فيه، ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟  
قيل: أراد الله عز وجل جعل الكعبة قياماً للناس  
لأن الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في  
السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق  
(١) رواه البخاري في المغازي ٢٦/٨ ومسلم (١٣٥٣)  
بنحوه في الحج، والمصنف في شرح السنة ٧/٢٩٤.

البعير الذي يُسَيَّب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال: إن شفاني الله تعالى أو شفي مريض أو عاد غائبي فناقتي هذه سائبة، ثم يسبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة، وأما الوصيعة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى استحياوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً، وأما الحام: فهو الفحل إذا رُكب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلاً ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، في قولهم الله أمرنا بها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، من الدين، قال الله تعالى: ﴿أُولُو كَانٍ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي. وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «التأمرن

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم ١٨٧/٦، والترمذي في الفتن ٣٨٨/٦ وقال حسن صحيح، والمصنف في شرح =

في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين)، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله: (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) راجع إليه.

[٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ﴾، التبليغ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُدُونُ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ﴾، أي: الحلال والحرام، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾، سرّك، ﴿كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

[١٠١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سُؤَالٌ﴾ أي: إن تظهر لكم تسؤمكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها ﴿وَأَنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ﴾، معناه صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتم عنها حينئذ بُدِّ لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾، فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ حَبِيرَةٍ﴾ أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿وَلَا سَابِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾، قال ابن عباس: البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلاء، وقال أبو عبيدة: السائبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا  
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ لَا يَعْلَمُونَ  
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ  
لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا  
فَإِنِّي نَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ  
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرِيضٌ فِي الْأَرْضِ  
فَأَصْبَحَتْكُمُ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مَن بَعْدَ الصَّلَاةِ  
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آتَيْتُمْهُمَا لَدَشْرَيْهِمَا فَلَهُمَا مَا دَافُوا فِي  
وَلَا تَكْفُرْهُمَا شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِن عُرِضَ  
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ  
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَٰئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ  
مِنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا عَدَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ  
أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ  
أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ يُهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

بالمعروف ولتتهوّن عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه وتعالى عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله عزّ وجلّ خياركم فلا يُستجاب لكم»<sup>(١)</sup>، قال أبو عبيدة: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوها عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضرركم من ضلّ من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم، وعن ابن عباس قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر ما قبل منكم فإن ردّ عليكم فعليكم أنفسكم، قوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، الضالّ والمهتدي، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية، فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت، وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين، وقال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يُشهده على وصيته فأشهد كافرين على أيّ دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر، وقال آخرون: قوله ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: من حي الموصي أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾، أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر، وقيل: إن معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنتين، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي، وقال الآخرون: هما الوصيان ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)، يريد الحضور، ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي: أمانة وعقل، ﴿مِّنكُمْ﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿أَوْ ءَخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين ثم اختلف هؤلاء في حكم

= السنة ٣٤٤/١٤، وصححه ابن حبان ص ٤٥٥.

(١) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وقال: رواه الزبار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وأشار لحسنه، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩٢/١٣.

ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم و(على) بمعنى في، كما قال الله: (على ملك سليمان)، وقرأ حفص (استحق) بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الْأُولَىٰ﴾، نعت للآخران، أي: فآخران الأوليان، وإنما جاز ذلك و(الأوليان) معرفة والآخران نكرة لأنه لما وصف الآخران، فقال (من الذين) صار كالمعرفة في المعنى و(الأوليان) تشية الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (الأوليين) بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضاً أولياء الميت، ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت، ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَنَنهَدَنَّكَ أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا﴾، يعني: يميننا أحق من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) والمراد بها الأيمان، فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿وَمَا أَصَدَّقَيْنَا﴾، في أيماننا، وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به، حلف الوارث إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبيعها منه.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهَا﴾، ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجوها وسائر الناس أمثالهم، أي: أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعي، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم،

تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾، سرتهم وسافرتهم، ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾، فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتهمتما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن، ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، أي: تستوقفونهما، ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾، أي: بعد الصلاة، و(من) صلة يريد بعد صلاة العصر لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾، يحلفان، ﴿يَاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لَا نَشْرَىٰ بِهِ نَمَانًا﴾، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذهُ أو مال نذهب به أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة متاً، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب ﴿شَهَادَةً﴾، بتنوين، ﴿اللَّهِ﴾ ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً من حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر ﴿شَهَادَةً﴾ منونة ﴿اللَّهِ﴾ بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: إن كتمانها كتمان الآثمين.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُرِّيْتُمْ﴾، أي: اطلع على خيانتها، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾، يعني: الوصيين ﴿أَسْتَحَقَّ﴾، استوجبا ﴿إِنَّمَا﴾، بخيانتها وبأيمانها الكاذبة، ﴿فَتَأْخِرَانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذا قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أي فيهم ولأجلهم الإثم وهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٢٦

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْتُمُّ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [١٠٩] إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَسَّتْهُمُ الْبَلْبَلَةُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبِّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

جَسَّتْهُمُ الْبَلْبَلَةُ، يعني: بالدلالات الواضحات والمعجزات، وهي التي ذكرنا، وسميت بالبينات لأنها مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي (ساحر مبین) ها هنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعاً إلى محمد ﷺ.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾، ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة: يعني أمرت (إلى) صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾، عيسى، ﴿قَالُوا﴾ حين وفقتهم ﴿آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبِّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَأَتَقْنَا اللَّهَ﴾، أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا الأمانة ﴿وَأَسْمَعُوا﴾، الموعدة، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ﴾، لهم، ﴿مَاذَا أَجْتُمُّ﴾، أي: ما الذي أجابتكم أممكم؟ وما الذي رد عليك قومكم حين دعوتهم إلى توحيد وطاعتي؟ ﴿قَالُوا﴾، أي: فيقولون، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به متاً، وقيل: لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به متاً، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾، أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

[١١٠] قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله (نعمتي)، أي: نعمي لفظه واحد ومعناه جمع، كقوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، ﴿وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ﴾، مريم، ثم ذكر النعم فقال: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾، قويتك، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، صبياً، ﴿وَكَهَلًا﴾، نبياً قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾، يعني الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾، تجعل وتصور، ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، كصورة الطير، ﴿بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، حياً يطير، ﴿بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ﴾، وتصحح، ﴿الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، من قبورهم أحياء، ﴿بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾، منعت وصرفت، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يعني اليهود، ﴿عَنْكَ﴾، حين هموا بقتلك، ﴿إِذْ



زداد إيماناً و يقيناً، وقيل: إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً فإذا فطروا لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطانا، ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، عند ذلك، ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيداً لأنهما يعودان في كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله (لأولنا) أي: لأهل زماننا وآخرنا، أي: لمن يحيى بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم، ﴿وَأَيَّةٌ مِّنْكَ﴾، دلالة وحجة، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام، ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني المائدة، وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم (مُنَزَّلُهَا) بالتحديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتحفيف لقوله أنزل علينا، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾، أي: جنس عذاب، ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قرده وخنازير.

[١١٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي (هل تَسْتَطِيعُ) بالثناء (رَبُّكَ) بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسال ربك، وقرأ الآخرون (يَسْتَطِيعُ) بالياء و(رَبُّكَ) برفع الباء، ولم يقلوه شاكين بقدرة الله عز وجل ولكن معناه هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي؟ وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقوله، أجاب واستجاب، معناه: هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشراً، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظماً لقولهم: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، أي: لا تشكوا في قدرته، ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، المائدة: الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مائة يميدُهُ إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميمه، وامتار افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للأكلين الطعام، وسمي الطعام أيضاً مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سُميت مائدة لأنها تميد بالآكلين، أي تميل، وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعولة، يعني ميد بالآكلين إليها، كقوله تعالى: (عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام مجيباً لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم يسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُزِيدُ﴾، أي: إنما سألنا لأننا نريد، ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾، أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته، ﴿وَتَطْمِئِنُّ﴾، وتسكن، ﴿قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتَنَا﴾، بأنك رسول الله، أي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٢٧

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ  
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ  
خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَّ عَلَىٰكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ  
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾  
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي  
وَإُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ  
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي  
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا  
قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ  
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ  
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ  
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ  
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾  
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

طلب المغفرة لهم وهم كفار؟ وكيف قال: وإن  
تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق  
بسؤال المغفرة؟ قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم  
بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان  
وهذا يستقيم بعد الإيمان.

وقيل: هذا في الفريقين منهم معناه إن تعذب من  
كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو  
كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه  
على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله  
عنه يقرأ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم،  
وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة  
قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم  
عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ ﴿١١٦﴾ واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال  
السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه  
السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف (إذ) يكون  
للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له  
هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل: (يوم  
يجمع الله الرسل)، وقال من بعد هذا: (يوم يجمع  
الصادقين صدقهم)، وأراد بهما يوم القيامة، وقد  
تجيء إذ بمعنى إذا كقوله عز وجل: (ولو ترى إذ  
فرعوا) أي: إذا فرعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم  
تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة، قوله:  
(أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ)؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال عنه مع علم  
الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟ قيل هذا السؤال  
عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة، كما يقول  
القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم  
يفعله إعلامًا واستعظامًا لا استخبارًا واستفهامًا،  
وأيضًا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام  
عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم  
عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: وإذا سمع  
عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله ثم  
يقول مجيبًا لله عز وجل: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً  
وتعظيمًا لك ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ  
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي  
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، ما كان وما يكون.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ  
رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وحده ولا تشركوا به شيئاً، ﴿وَكُنْتُ  
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ﴾، وأقمت، ﴿فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾،  
قبضتني ورفعني إليك، ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾  
والحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ﴾.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ  
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فإن قيل كيف

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمُرُّونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ  
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبِيَاؤُا كَمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ  
يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَالَهُمْ  
ثَمَنٌ لَكُمْ لِكُرْمِهِمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُومٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ  
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَكَّا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾

عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)، وختمه بالحمد فقال: (وقضي بينهم بالحق)، أي: بين الخلائق، وقيل: (الحمد لله رب العالمين). قوله: (الحمد لله) حمد الله نفسه تعليمًا لعباده، أي: احمداوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وجعل الظلمات والنور﴾، والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار، وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار، وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، ولكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ يَدْفَعُهُمْ﴾، قرأ نافع (يوم) بنصب الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر (هذا)، أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فانضحوا، وقيل: أراد بالصادقين النبيين، وقال الكلبي: ينفع المؤمنين إيمانهم، قال قتادة: متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام، وهو ما قص الله، وعدو الله إبليس، وهو قوله: (وقال الشيطان لما قضي الأمر)، الآية. فصدق عدو الله يومئذ، وكان قبل ذلك كاذبًا فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقًا في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه، وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٢٠] ثم عظم نفسه فقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

## (٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة قوله: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا) الآية: وقال ابن عباس رضي الله

محمد بن جرير: معناه وهو الله في السماوات يعلم سرهم وجهركم في الأرض، وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير وتقدير: وهو الله، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، في السماوات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ يعملون من الخير والشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، لها تاركين بها مكذبين.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: أخبار استهزأهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا.

[٦] قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَرَوُا كَمَ أَهْلِكُمَا مِنْ قَلْبِهِمْ مَنِ الْقَرْنِ﴾، يعني: الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن: مدة من الزمان، يقال: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لعبدالله بن بسر المازني: «إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنًا»<sup>(١)</sup> فعاش مائة سنة، فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾، أي: أعطيناهم ما لم نعطكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكته ومكته له، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ يعني: المطر، مفعال، من الدرر، قال ابن عباس: مدرارًا أي: مُتتابعًا في أوقات الحاجات، وقوله: ﴿مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾ من خطاب التلويح، رجع من الخبر من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى خطاب، كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ص ٩٣ وانظر الإصابة ٢٣/٤ وأسد الغابة ٣/١٢٥.

الظلمات والنور، لأنه قد خلق الظلمة والنور قبل السماوات والأرض، قال قتادة: خلق الله السماوات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور، والجنة قبل النار ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي عن ربهم، يعدلون أي يميلون وينحرفون من العدول.

[٢] قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من ولده ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، قال الحسن وقاتدة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل من الولادة إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برًا تقيًا ووصولًا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجرًا قاطعًا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير، الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، هو أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: ثم قضى أجلًا يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، وأجل مسمى عنده يعني: وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾، تشكون في البعث.

[٣] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، يعني: وهو إله السماوات والأرض، كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾، وقيل: هو المعبود في السماوات، وقال

وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبدالله ما أكرمه، وقلت، لعبدالله ما أكرمك، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلَكْنَهُمْ بِدُوْبِهِمْ وَأَنشَأْنَا خَلْقًا وَابْتَدَأْنَا، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ .

[٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَانٍ﴾ الآية، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَانٍ﴾ مكتوبًا من عنده، ﴿فَلَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾، أي: عاينوه ومسوه بأيديهم، وذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لأن اللبس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، معناه: أنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، كما استهزئ بك يا محمد - يُعْزِي نبيه ﷺ - ﴿فَحَاكٌ﴾، قال الربيع بن أنس: فنزل، وقال عطاء: حل، وقال الضحّاك: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

[١١] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المكذّبين المستهزئين، ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، معتبرين، يُحتمل هذا: السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام، ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، يُحذّر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن أجابوك وإلا ف﴿قُلْ﴾، أنت، ﴿لِلَّهِ﴾، أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وأكد في الحجة، ﴿كَتَبَ﴾، أي: قضى، ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإبانة والتوبة ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازة: والله ليجمعنكم، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي: في يوم القيامة، وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾، غبنوا، ﴿أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، على محمد ﷺ، ﴿مَلَكٌ﴾ ولو أنزلنا ملكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: لوجب العذاب، وفرغ من الأمر، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُظْرُونَ﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة، لو أنزلنا ملكًا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضى الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحّاك: لو أتاهم ملك في صورته لمأتوا.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾، يعني: لو أرسلنا إليهم ملكًا، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، يعني في صورة رجل آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ

وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبدالله ما أكرمه، وقلت، لعبدالله ما أكرمك، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلَكْنَهُمْ بِدُوْبِهِمْ وَأَنشَأْنَا خَلْقًا وَابْتَدَأْنَا، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ .

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾، يعني: لو أرسلنا إليهم ملكًا، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، يعني في صورة رجل آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ

[١٣] ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله: (سرايل تقيكم الحرّ) أي: الحرّ والبرد، وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، وقال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض وقيل: معناه: وله ما يمرّ عليه الليل والنهار، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لأصواتهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

[١٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلْبَاحًا؟﴾ وهذا حين دعي إلى دين آباءه، فقال تعالى: قل يا محمد أغير الله أتخذ وليًا، ربًا ومعبودًا وناصرًا ومعينًا؟ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما ومبدعهما ومبتديهما، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، أي: وهو يرزق ولا يرزق، كما قال: (ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون). ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، يعني: من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني: وقيل لي ولا تكوننّ، ﴿تَبَتَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، فعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني عذاب يوم القيامة. [١٦] ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ﴾، يعني: من يُصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (يُصِرْف) بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُئِيبُ﴾، أي: النجاة البينة.

[١٧] قوله عزّ وجلّ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ﴾، لا رافع، ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ﴾، عافية ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من الخير والضرر. عن ابن عباس قال: أهدى للنبي ﷺ

١٢٩ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلْبَاحًا؟ فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُئِيبُ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾

بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي مليًا ثم التفت إليّ فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدرُوا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك، ما قدرُوا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين، فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يُسرًا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٠٧/١ والترمذي في القيامة ٢١٩/٧ وقال حديث حسن صحيح.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير يُجبرُ الخلق على مُرادِهِ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في أمرِهِ، ﴿الْحَيُّ﴾، بأعمال عباده.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً؟﴾ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحداً يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً؟﴾ فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾، لأخوفكم به يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾، ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup> قال مقاتل: ومن بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أَيُّكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةٌ أُخْرَى؟﴾ ولم يقل آخر لأن الجمع يلحقه التانيث، كقوله عز وجل: (ولله الأسماء الحسنَى فادعوه بها)، وقال: (فما بال القرون الأولى)، ﴿قُلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أتم، ف﴿لَا أَشْهَدُ﴾، أنا أن معه إلهًا، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾، من بين الصبيان. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾، غبنوا ﴿أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك أن الله جعل

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٠

الْبَقَرَةُ

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَعَلَّ تَكُنْ فَتَنْفَعُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً إِلَهِيَةً لَأَيُّمُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أكرر ﴿مِمَّنْ افْتَرَى﴾، اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فأشرك به غيره، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، الكافرون.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب (يحشرهم) هنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، أنها تشفع

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٤٩٦/٦ والمصنف في شرح

لكم عند ربكم .

يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا﴾، صمماً وثقلًا، وهذا دليل على أن الله تعالى يقبل القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآئِي﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة، وقيل: الأساطير هي الثرثرات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كُتبت.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله محمد ابن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾، أي: ما يهلكون، ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ وَفَّقُوهُ عَلَىٰ النَّارِ﴾، يعني: في النار، كقوله تعالى: (على ملك سليمان) أي: في ملك سليمان، وقيل: عُرضوا على النار، وجواب (لو) محذوف معناه: لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً، ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾، يعني: إلى الدنيا: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْظَالِمِينَ﴾، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى: ياليتنا نرد نحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب (وَلَا نُكَذِّبُ) بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (يكن) بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله: (أن قالوا)، وفتنتهم الخبر، ومعنى فتنتهم أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقاتدة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له: فتنة، وقال الزجاج في قوله (ثم لم تكن فتنتهم) معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: (ثم لم تكن فتنتهم) في محبتهم للأصنام، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (ربنا) بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد، قالوا لبعضهم البعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

[٢٤] فقال عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وَصَدَّ سَبْعًا مَّا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾، أي: زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وإلى كلامك، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أن



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣١

الْبَقَرَةُ

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ  
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ  
 بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا  
 بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ  
 ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ  
 بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْنَ نَاعَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزَارَهُمْ  
 عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرَوْنَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا  
 لَهْوٌ وَهُوَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْئالَهُمْ يَعْقِلُونَ  
 ﴿٣٢﴾ فَذَنبُوا بِمَا كَانُوا يَحْفُونَ، وَقَالَ المبرد: بل  
 بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال النضر بن  
 شميل: بل بدأ لهم بدا عنهم. ثم قال ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾  
 إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا﴾، يعني إلى ما، ﴿نُهُوا عَنْهُ﴾،  
 من الكفر، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قولهم: لو رددنا  
 إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من  
 المؤمنين.

عامر (نُكذِبُ) بالرفع و(نكون) بالنصب لأنهم تمنوا  
 أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم  
 لا يكذبون بآيات ربهم إن رُدوا إلى الدنيا.

﴿٢٨﴾ ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ﴾، أي: ليس الأمر على ما  
 قالوا إنهم لو رُدوا لأمثوا بل بدا لهم: ظهر لهم،  
 ﴿مَا كَانُوا يَحْفُونَ﴾، يسرون، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، في الدنيا  
 من كفرهم ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون وهو  
 قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)، فأخفوا شركهم  
 وكنتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا  
 وستروا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا،  
 إلا أن تجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل  
 بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال النضر بن  
 شميل: بل بدأ لهم بدا عنهم. ثم قال ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾  
 إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا﴾، يعني إلى ما، ﴿نُهُوا عَنْهُ﴾،  
 من الكفر، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قولهم: لو رددنا  
 إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من  
 المؤمنين.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ  
 بِمَبْعُوثِينَ﴾، وهذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال  
 عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، هذا من قولهم لو  
 ردوا لقالوه.

﴿٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾،  
 أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: غرضوا  
 على ربهم، ﴿قَالَ﴾، لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة  
 بأمر الله: ﴿أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟﴾ يعني: أليس هذا  
 البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾، إنه حق،  
 قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم: والله ربنا  
 ما كنا مشركين في موقف آخر، وفي القيامة  
 مواقف، ففي موقف يُقرون، وفي موقف يُكفرون.  
 ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، أي:  
 خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله والبعث  
 بعد الموت، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ﴾، أي:

القيامة ﴿بَغْتَةً﴾، أي: فجأة، ﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا﴾،  
 ندامتنا، ذكر على وجه النداء للمبالغة، قال  
 سيبويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك،  
 ﴿عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا﴾، أي: قصرنا ﴿فِيهَا﴾، أي: في  
 الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة،  
 وقال محمد بن جرير: الهاء راجعة إلى الصفقة،  
 وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم  
 الآخرة بالدنيا قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها،  
 أي: في الصفقة، فترك ذكر الصفقة اكفاء بذكر  
 قوله ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ لأن الخسيران إنما يكون في صفقة  
 بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر النادم، كما  
 يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿وَهُمْ  
 يَحْمِلُونَ أوزَارَهُمْ﴾، أثقالهم وأثامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾،  
 قال السدي وغيره، إن المؤمن إذ أخرج من قبره  
 استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول: هل

تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾<sup>(١)</sup> بأنك كاذب، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ﴾، قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب، والتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب، وتقول له: كذبت، والإكذاب هو أن تجده كاذبًا، تقول العرب: أجدبت الأرض وأخصبتها إذا وجدتها جدبة ومخصبة، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ إِنَّمَا يُتَابَتُ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾، يقول: إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي، كما قال: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، كذبهم قومهم كما كذبتك قريش، ﴿تَصَبَّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾، بتعذيب من كذبهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا ناقض لما حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام، فقال: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون \* وإن جندنا لهم الغالبون)، وقال: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا) وقال: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)، وقال الحسن بن الفضل: لا خُلفَ لِعِدَّتِهِ، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ المرسلات﴾، (ومن) صلة كما تقول: أصابنا من مطر.

[٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعًا في إيمانهم، فقال الله عز وجل: ﴿فَإِنِ اسْتَفْطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَهُ نَفَقًا﴾، تطلب وتتخذ نفقًا سربًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ومنه نافقاء اليربوع وهو أحد جحره فتذهب فيه، ﴿أَوْ سَلْمًا﴾، أي: درجًا ومصعدًا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، فتصعد فيه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٣٧/٨ والحاكم في المستدرک ٣١٥/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين.

تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عمك الصالح فاركني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله عز وجل: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أي ركبانا، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورةً وأنته ربحًا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: أنا عمك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك، فهذا معنى قوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ)، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾، يحملون، قال ابن عباس: أي بش الحمل حملوا.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، باطل وغرور لا بقاء لها ﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ﴾، قرأ ابن عامر (ولدار الآخرة) مضافًا أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله: (وحبّ الحصيد)، وقولهم: ربيع الأول ومسجد الجامع، سميت الدنيا لدونها، وقيل: لدناءتها، وسميت الآخرة لأنها بعد الدنيا، ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أي: أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس، ووافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

[٣٣] قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾، قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبدالله أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، قال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ: لا تنهك ولا تكذبك ولكننا نكذب الذي جئت به، فأنزل الله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَن تَكُونَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ آلِهَةٌ أُنسَبُ إِلَيْهَا مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّكَ كُنْتَ تَكْفُرًا﴾ ﴿٣٦﴾

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْبُدْهُ وَاسْتَجِبْ لَهُ يُنصِرْكَ اللَّهُ إِنَّهُ يَكُونُ لَكَ عَاقِبَةً حَسَنًا مِّن دُونِ الْعَاقِبَةِ الَّتِي كُنْتَ تَكْفُرًا﴾ ﴿٣٧﴾

﴿وَمَا يَدْعُونَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلَئِن دَعَوْتَهُمْ لَيَبْغِيَنَّكَ أَنفُسُهُمْ سَوَاءً لَكَ أَن تُذَكِّرَهُم بِاللَّحْيَةِ أَمْ لَا تَدْعُوهُمْ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿وَمَا يَدْعُونَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلَئِن دَعَوْتَهُمْ لَيَبْغِيَنَّكَ أَنفُسُهُمْ سَوَاءً لَكَ أَن تُذَكِّرَهُم بِاللَّحْيَةِ أَمْ لَا تَدْعُوهُمْ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿وَمَا يَدْعُونَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلَئِن دَعَوْتَهُمْ لَيَبْغِيَنَّكَ أَنفُسُهُمْ سَوَاءً لَكَ أَن تُذَكِّرَهُم بِاللَّحْيَةِ أَمْ لَا تَدْعُوهُمْ﴾ ﴿٤٠﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، فاعمل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ، فآمنوا كلهم ، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ، أي: بهذا الحرف ، وهو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه .

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه ويتبعون به دون من ختم الله على سمعه ، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يعني الكفار ، ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ، فيخزيهم بأعمالهم .

[٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا﴾ ، يعني: رؤساء قريش ، ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم في إنزالها .

[٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ، قيد الطيران بالجنح تأكيداً كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتَانِ﴾ ، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها ، يريد أن كل جنس من الحيوان أمة ، فالطير أمة ، والهوام أمة ، والذباب أمة ، والسباع أمة ، تعرف بأسمائها مثل بني آدم ، يعرفون بأسمائهم ، يقال: الإنس والناس ، وقيل: أمة أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض ، وقيل: أمة أمثالكم في الخلق والموت والبعث ، وقال عطاء: أمة أمثالكم في التوحيد والمعرفة ، قال ابن قتيبة: أمة أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقّي المهلك ، ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ ، أي: في اللوح المحفوظ ، ﴿مِن شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها ، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور ، وكل شيء فيقتصر للجماة من القرناء ، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: يا ليتني كنت تراباً . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «التردن الحقوق إلى أهلها يوم

القيامة حتى يُقاد للشاة الجماء من القرناء» .

[٣٩] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُدِّقُوا بِرَبِّهِمْ﴾ ، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به ، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، في ضلالات الكفر ، ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، هو الإسلام .

[٤٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ ، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد ، وقال الفراء رحمه الله: العرب تقول أرايتك ، وهم يريدون أخبرنا ، كما يقول: أرايتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني ، وقرأ أهل المدينة (أرايتكم ، وأرايتم ، وأرايت) بتلئين الهمزة الثانية ، والكسائي بحذفها ، قال ابن عباس: قل يا مجمد لهؤلاء المشركين أرايتكم ،

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٣

الْأَنْعَامِ

فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ  
 ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
 بَعَثَ أَوْجَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا  
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ  
 فَلَاخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
 إِن آتَيْتُمُ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ  
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا  
 إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَنْظُرْ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ يُرِيدُونَ  
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنْظُرْ لَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

رسول الله ﷺ قال: «إذ رأيت الله يُعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج<sup>(١)</sup>» ثم تلا (فلما نسوا ما ذكروا به) الآية.

[٤٥] «فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا»، أي: آخروهم الذين بدرهم، يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبرًا ودبورًا إذا كان آخروهم، ومعناه أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على رسله، فذكر الحمد لله تعليمًا لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/١٤٥ وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف، وانظر مجمع الزوائد (١٠/٢٤٥).

﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾، قبل الموت، ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾، في صرف العذاب عنكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم: (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين).

[٤١] ثم قال: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾، قيد الإجابة بالمشيئة والأمر كلها بمشيئته، ﴿وَتَسْوُونَ﴾، وتركون، ﴿مَا تَشْرِكُونَ﴾.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾، بالشدة والجوع، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾، المرض والزمانة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾، أي: يتوبون ويخضعون، والتضرع: السؤال بالتذلل.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ﴾ عذابنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾، آمنوا فيكشف عنهم، أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والمعاصي.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، تركوا ما وَعظوا وأمروا به، ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبُوبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، قرأ أبو جعفر (فتحننا) بالتشديد في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيقه جمعًا، والباقون بالتخفيف. وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَخُوا بِمَا أُوتُوا﴾، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿سَلَّمْتُمْ مَالَكُمْ﴾، فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿فَإِذَا هُمْ شُرَكَاءُ﴾، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة: المبلس النادم الحزين، وأصل الإبلاس: الإطراق من الحزن والندم، روى عقبه بن عامر أن

المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً أصلاً، ﴿وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا من أمور الدنيا شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيره تحته، كقوله تعالى: (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فالهاء راجعة إلى الله، ورضى رسوله يندرج في رضا الله تعالى، ﴿أَنْظَرَ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَلْبَتِ﴾، أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِقُونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بِعَتَّةً﴾ فجأة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا أَلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركون.

[٤٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾، العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا حزنوا.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُومُهُمْ﴾، يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يكفرون.

[٥٠] ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: (لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجحدون أمري، ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتاكم به فمن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الْمُشْرِكُونَ، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾؟ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: أنهما لا يستويان. [٥١] قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾، خوفاً به أي: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: يخافون أي: يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله، ﴿وَلِيٌّ﴾ قريب ينفعهم، ﴿وَلَا سَفِيعٌ﴾، يشفع لهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فينتهون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره - مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون - لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

[٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ﴾، قرأ ابن عامر (بالعدوة) بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون بفتح العين والدال وألف بعدها، (بالغداة والعشي) يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر. ويروى أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن أناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه الصلاة والسلام، فقال ناس من الأشراف: إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت هذه الآية، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿رُبُّيُونَ وَجْهَهُ﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم (فتطردهم)، ولا رزقك عليهم، قوله ﴿فَتَطْرُدُهُمْ﴾، جواب لقوله: (ما عليك من حسابهم من شيء) وقوله: ﴿فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي.

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾، أي ابتلينا، ﴿بَبَصَرِهِمْ

المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً أصلاً، ﴿وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا من أمور الدنيا شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيره تحته، كقوله تعالى: (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فالهاء راجعة إلى الله، ورضى رسوله يندرج في رضا الله تعالى، ﴿أَنْظَرَ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَلْبَتِ﴾، أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِقُونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بِعَتَّةً﴾ فجأة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا أَلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركون.

[٤٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾، العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا حزنوا.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُومُهُمْ﴾، يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يكفرون.

[٥٠] ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: (لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجحدون أمري، ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتاكم به فمن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٤

الْبَقَرَاتِ

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ﴿٥٧﴾ قَالَ عِكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام<sup>(١)</sup>، وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث إنه أثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (أنه مَنْ عَمِلَ) (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى، كقوله تعالى: (أيعدكم أنكم إذا مُتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

يَبْعَضٍ ﴿٥٤﴾، أراد ابتلى الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله: ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فهو جواب لقوله: (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا)، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل.

﴿٥٤﴾ [٥٤] وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام<sup>(١)</sup>، وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث إنه أثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (أنه مَنْ عَمِلَ) (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى، كقوله تعالى: (أيعدكم أنكم إذا مُتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ﴾، أي: وهكذا،

وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلالتنا وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة (ولتستبين) بالياء (سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبنته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (وليستبين) بالياء (سَبِيلَ) بالرفع، وقرأ الآخرون (ولتستبين) بالياء ﴿سَبِيلَ﴾ رفع: أي: ليظهر وليتضح السبيل، يُذكر ويُؤنث، فدلليل التذكير قوله تعالى: (وإن يروا سبيل الرُّشد لا يتخذوه سبيلاً)، ودليل التأنيث قوله تعالى: (لم

(١) انظر أسباب النزول ص ٢٥٢ والطبري ١١/٣٨٠.

تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجًا).  
 [٥٦] قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ  
 الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَّا أُنَبِّئُكُمْ فِي  
 عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَطَرْدِ الْفُقَرَاءِ، ﴿قَدْ صَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا  
 مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت  
 سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، أي: على بيان  
 وبصيرة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾، أي: ما  
 جئت به، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾، قيل: أراد  
 به استعجالهم بالعذاب، كانوا يقولون: (إن كان  
 هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة) الآية،  
 وقيل: أراد به القيامة، قال الله: (يستعجل بها  
 الذين لا يؤمنون بها)، ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ  
 الْحَقَّ﴾، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف  
 والضاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق  
 بدليل أنه قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾، والفصل  
 يكون في القضاء، وإنما حذفوا الياء لاستئصال  
 الألف واللام، كقوله تعالى: (صالح الجحيم)  
 ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر،  
 كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

[٥٨] ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾، ويدي، ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ  
 بِهِ﴾، من العذاب، ﴿لَقَضَىٰ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾،  
 أي: فرغ من العذاب وأهلكتم، أي: لعجلته حتى  
 أتخلص منكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.  
 [٥٩] قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا  
 يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، مفاتيح الغيب خزائنه، جمع  
 مفتاح، واختلفوا في مفاتيح الغيب. قال رسول الله:  
 «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما  
 الغد إلا الله عز وجل، ولا يعلم متى يأتي المطر  
 أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت،  
 ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله». وقال  
 الضحاك ومقاتل: مفاتيح الغيب خزائن الأرض،

وعلم نزول العذاب، وقال عطاء: ما غاب عنكم  
 من الثواب والعقاب، وقيل: انقضاء الآجال،  
 وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم  
 أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا  
 يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو  
 كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: أوتي نبيكم  
 علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي  
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، قال مجاهد: البر: المفاوز والقفار،  
 والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء  
 إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وَمَا  
 تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، يريد ساقطة وثابته،  
 يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى  
 عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت ظهرًا لبطن إلى أن  
 سقطت على الأرض ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ﴾،  
 قيل هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل:  
 هو تحت الصخرة التي في أسفل الأرضين، ﴿وَلَا  
 رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما:  
 الرطب الماء، واليأس البادية، وقال عطاء: يريد  
 ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حي ولا ميت،  
 وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ  
 مُّبِينٍ﴾، يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.  
 [٦٠] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُوَفِّيكُمْ بِاللَّيْلِ﴾،  
 أي: يقبض أرواحكم إذا نتم بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا  
 جَرَحْتُمْ﴾، كسبتم، ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي:  
 يوقظكم في النهار، ﴿لِيُقَضَّ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعني:  
 أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على  
 التمام، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة ﴿ثُمَّ  
 يُنَبِّئُكُمْ﴾، يخبركم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.  
 [٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ  
 حَفَظَةً﴾، يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال  
 بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره (وإن عليكم  
 لحافظين ٥ كرامًا كاتبين)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ  
 الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾، قرأ حمزة (توفيه) و(استهويه)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٥

الْأَنْعَامِ

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ مَنْ يُضَيِّكُم مِّن ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئَلَّا تُجَنَّبَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُضَيِّكُم مِّنْهُا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ سُجْعًا وَيَدْبِقَ بَعْضُكُم بِأَسْبَعْضٍ أَنْ تَنْظُرُوا بِكَيْفِ نَصْرِي الْأَيَّتُ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٨﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحْوِضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرَضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخْوِضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَأَمَا يُبْصِرُونَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَفْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾

بالياء وأمالهما، ﴿رُسُلُنَا﴾ يعني: أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه، كما قال: (قل يتوفاكم ملك الموت) وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسل ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، ﴿وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾، لا يقصرون.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يُرَدُّون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعًا وقد قال في آية أخرى: (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ)، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى ههنا بمعنى المالك الذي يتولى أمورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

[٦٣] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُضَيِّكُم﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دُعُوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم (وَخُفْيَةً) بكسر الخاء هنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿لِّئَلَّا تُجَنَّبَا﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: لئن أنجانا الله، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

[٦٤] ﴿قُلْ اللَّهُ يُضَيِّكُم مِّنْهُا﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر (يُضَيِّكُم) بالتشديد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُضَيِّكُم﴾، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾، يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشكرون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تنفع ولا تنفع.

[٦٥] قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال الحسن وقطادة: نزلت الآية في أهل الإيمان، وقال قوم نزلت في المشركين، وقوله (عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما فعل بعاد وشمود وقوم لوط وقوم نوح ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، يعني: الرجفة والنخسف كما فعل بقوم شعيب



وقارون، وعن ابن عباس ومجاهد: (عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا﴾، أي يخلطكم فرقًا ويث فيكم الأهواء المختلفة، ﴿وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، يعني السيوف المختلفة، يقتل بعضكم بعضًا. ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصْرَفُ إِلَيْكَ أَيْتَنَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، أي: بالقرآن، وقيل بالعذاب، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، بريقيب، وقيل: بمسلط أزمكم الإسلام شئتم أو آبيتهم، وإنما أنا رسول.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿مُسْفَرًّا﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: لكل قولٍ وفعلٍ حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، فاتركهم ولا تجالسهم، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتُكَ﴾، قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، نهيئنا، ﴿فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: إذا جلست معهم ناسيًا فقم من عندهم بعدما تذكرت.

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأعرض عنهم)، قال المسلمون: كيف نقعد في

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٦

الْجُزْءُ السَّابِعُ

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَهْوَ عَرَنَّهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَدَى اللَّهِ لَآيُؤَخِّدُهَا وَأُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُكُمْ بِهَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَّا الْغَالِبُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدًا؟ وفي رواية: قال المسلمون: فإننا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ﴾، الخوض، ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾، أي: من إثم الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ﴾، أي: ذكروهم وعظوهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكروهم ذكرى، فيكون في محل النصب ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ﴾، الخوض إذا وعظتموهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعلهم يمنعهم من ذلك الخوض، قيل: لعلهم يستحيون.

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَهْوَ عَرَنَّهُمْ﴾، يعني الكفار الذين إذا سمعوا بآيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدًا فاتخذ كل

قوم دينهم - أي: عيدهم - لعباً ولهواً وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والظفر والنحر، ﴿وَعَزَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ﴾ أي: وعظ بالقرآن، ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾، أي: لأن لا تبسل، أي: لا تسلم، ﴿نَفْسٍ﴾، للهلاك، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قال مجاهد وعكرمة والسدي: قال ابن عباس: تهلك، وقال قتادة: أن تجبس، وقال الضحاك: تحرق، وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه: ذكرهم لأن يؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت، وقال الأخفش: تبسل تُجازى، وقيل: تفضح، وقال الفراء: ترتهن، وأصل الإبسال التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل نعتاً لكل شدة تُتقى وتترك ﴿لَيْسَ لَهَا﴾، لتلك النفس، ﴿مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾، قريب ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾، يشفع في الآخرة ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كَعَدْلٍ﴾، أي: تُعد كل فداء، ﴿لَا يُوْخَذُ مِنْهَا﴾، هنا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾، أُسلموا للهلاك، ﴿بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَدَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ﴿وَأَمَّا الْفِتْيَانُ الَّتِي أَسْرَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَلَّمْنَا بَعْضَ الْبَنَاتِ فَصَلَّتْ إِذْ هَبَّتْ غَوَاةً شَارِبًا مِنْ مَاءِ الْوَيْلِ إِذْ هَبَّ سَائِبًا مِنْهُنَّ إِذْ كَفَرُوا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِئْتًا﴾، ﴿وَأَمَّا الْبَنَاتُ الَّتِي أَتَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَلَّمْنَا بَعْضَ الْبَنَاتِ فَصَلَّتْ إِذْ هَبَّتْ غَوَاةً شَارِبًا مِنْ مَاءِ الْوَيْلِ إِذْ هَبَّ سَائِبًا مِنْهُنَّ إِذْ كَفَرُوا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِئْتًا﴾، ﴿وَأَمَّا الْبَنَاتُ الَّتِي أَتَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَلَّمْنَا بَعْضَ الْبَنَاتِ فَصَلَّتْ إِذْ هَبَّتْ غَوَاةً شَارِبًا مِنْ مَاءِ الْوَيْلِ إِذْ هَبَّ سَائِبًا مِنْهُنَّ إِذْ كَفَرُوا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِئْتًا﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، أي: وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون في الموقف للحساب. ﴿٧٣﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قيل: هو راجع إلى خلق السموات والأرض، والخلق بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاه وقدره قال له: كن فيكون. وقيل: يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾،

أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، يعني ملك الملوك يومئذ زائل، كقوله (مالك يوم الدين)، وكما قال: (والأمر يومئذ لله)، والأمر لله في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصُّور: قرنٌ يُنفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصُّور وهو جمع الصُّورة، وهو قول الحسن، والأول أصح، والدليل عليه ما ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرنٌ ينفخ فيه»<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿عَلَيْمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾،

﴿٧١﴾ ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾، إن عبدناه، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾، إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضرر، ﴿وَوَرَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾، إلى الشرك مرتدين، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾، أي: يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين، أي: أضلته، ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾، قال ابن عباس: كالذي استهوته الغيلان في المهامة فأضلوه فهو حائر بائر، والحيران: المتردد في الأمر لا يهتدي إلى مخرج منه، ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتًا﴾، هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل في رفقة ضلّ به الغول عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلمّ إلى الطريق، ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدري أين يذهب، فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن

(١) أخرجه الترمذي في القيامة ١١٧/٧ وقال حديث حسن صحيح، والدارمي في الرقاق ٣٢٥/٢، وصححه الحاكم ٥٠٦/٢، والإمام أحمد في المسند ١٦٢/٢، ١٩٢.

يعني: يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ﴾.

[٧٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ

ءَازَرَ﴾، قرأ يعقوب (آزر) بالرفع، يعني: (آزر)، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض، قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً، وقال مقاتل بن حيان وغيره: آزر لقب لأبي إبراهيم، واسمه تارخ، وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: آزر اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره ﴿أَتَّخِذُ﴾ آزر إلهاً قوله ﴿أَصْنَامًا إلهًا﴾، دون الله، ﴿إِنِّي أَرْكَأُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي: في خطأ بين.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه كذلك نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت، قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: يعني آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن ملكوت السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) يعني: أريناه مكانه في الجنة، وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، ﴿وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عطف على المعنى، ومعناه: نريه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من المؤمنين.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: دخل الليل، يقال: جنَّ الليل وأجنَّ الليل، وجنَّ الليل، وأجنَّ

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا إلهًا إِنِّي

أَرْكَأُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ

مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ

لَأَجِبُ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا

أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِينِي بِنِعْمَةِ رَبِّي وَمَا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ

أَتَّخِذُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ

إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا

تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا

تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ

سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

عليه الليل يجنَّ جنوناً وجناناً إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده، ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ اختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال، وأيضاً كان ذلك في حال طفولته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفراً، وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: (إذ جاء ربه بقلب سليم)، وقال: (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض)، أفتراه أراه الملكوت ليقون فلما يقن رأى كوكبا قال: هذا ربي معتقداً؟! فهذا

ما لا يكون أبداً. ﴿فَلَمَّا أَفْلَقَ قَالَ لَا أُحِبُّ  
الْأَفْلَاقَ﴾. وما لا يدوم.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾، طالعاً، ﴿قَالَ هَذَا  
رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَقَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾، وقيل: لئن لم  
يشتتي ربي على الهدى، ليس أنه لم يكن مهتدياً،  
والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على  
الإيمان ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، أي: عن  
الهدى.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾، طالعاً، ﴿قَالَ  
هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾، أي: أكبر من الكوكب  
والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه  
أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى، وهو الضياء  
والنور، لأنه رآه أضواً من النجوم والقمر، ﴿فَلَمَّا  
أَفْلَقَتْ﴾، غربت، ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

[٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٨٠] ﴿وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ﴾ أي: خاصمه وجادله قومه  
في دينه، ﴿قَالَ اتَّخَذْتُمُونِي فِي اللَّهِ﴾ يقول: أتجادلونني  
في توحيد الله ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ للتوحيد والحق ﴿وَلَا  
أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾، وذلك أنهم قالوا له: احذر  
الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خيل أو  
جنون لعيبك إيها، فقال لهم: ولا أخاف ما  
تُشْرِكُونَ به، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، وليس هذا  
باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه لكن  
إن يشأ ربي شيئاً أي سوء فيكون ما شاء، ﴿وَسِعَ رَبِّي  
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أي: أحاط علمه بكل شيء  
﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمُ﴾، يعني  
الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا  
تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ  
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، وهو الفاهر  
القادر على كل شيء، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ﴾، أولى،  
﴿بِالْأَمْنِ﴾، أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ  
وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى  
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾  
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا  
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ  
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾  
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى  
الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ  
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي  
بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالتَّوْبَةَ  
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءٌ فَفَقَدْ كَلَبْنَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ  
﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آفَتِدَةٌ قُلْ لَآ  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

تَعْلَمُونَ﴾.

فقال الله تعالى قاضياً بينهما:

[٨٢] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، لم  
يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا  
إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾، حتى خصمهم وغلِبهم بالحجة  
﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾، بالعلم. قرأ أهل الكوفة  
ويعقوب (درجات) بالتنونين ههنا وفي سورة  
يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم  
والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى  
اهتدى وحاج قومه في التوحيد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ  
عَلِيمٌ﴾.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا  
هَدَيْنَا﴾، ووقفنا وأرشدنا. ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن

لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً ﴿وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتُهُمْ﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وَهَدَيْتَهُمْ﴾، أرشدناهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾، يرشد به، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾، أي: هؤلاء الذين سميناهم، ﴿لِحِطِّ﴾، لبطل وذهب، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿وَالْحِكْمَ﴾، يعني: العلم والفقه، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ يعني: الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه: فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوماً ليسوا بها بكافرين.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداهم الله، ﴿فِيهِدْتَهُمْ﴾، فبستتهم وسيرتهم، ﴿أَقْتَدَهُ﴾، الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل، والباقون يثبتانها وصلًا ووقفًا، وقرأ ابن عامر: (اقتده) بإشباع الهاء كسرًا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، أي: تذكرة وموعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: ما عظموه حق عظمتهم، وقيل: ما وصفوه حق وصفه، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتابًا، قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من

قَبْلُ)، أي: من قبل إبراهيم، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، أي: من ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم، لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم، ﴿دَاوُدَ﴾، هو داود بن أيشا، ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾، يعني ابنه ﴿وَأَيُّوبَ﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿وَيُوسُفَ﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمُوسَى﴾، وهو موسى بن عمران بن بصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿وَهَارُونَ﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أقتياء كذلك ﴿بِحُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا﴾، هو زكريا بن اذن، ﴿وَيَحْيَى﴾، وهو ابنه، ﴿وَعِيسَى﴾، وهو ابن مريم بنت عمران، ﴿وَالْيَاسَ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح، وهو إلياس بن بشير ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأِسْعِيلَ﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿وَالْيَسَعَ﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز. وقرأ حمزة والكسائي (واليسع) بتشديد اللام وسكون الباء هنا وفي ص ﴿وَيُوسُفَ﴾ وهو يونس بن متى، ﴿وَلُوطًا﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانهم.

[٨٧] ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ﴾، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾، أي: ومن ذرياتهم وأراد بعضهم، لأن عيسى ويحيى لم يكن

شيء)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾، يعني التوراة، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَسَ تَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، أي: تكتبون عنه دفاتر وكتبًا مقطعة (تبدونها)، أي: تبدون ما تحبون وتُخفون كثيرًا من نعت محمد ﷺ وآية الرجم ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، الأكثرون على أنها خطاب لليهود، يقول: علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا، ﴿أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به، وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكركم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ، ﴿قُلْ اللَّهُ﴾، هذا راجع إلى قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى)، فإن أجابوك وإلا فقل أنت: (الله)، أي: قل أنزله الله، ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾، أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ﴾، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم (ولينذر) بالياء أي: ولينذر الكتاب، ﴿أُمُّ الْقُرَى﴾، يعني: مكة سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أي: أهل الأرض كلها شرقًا وغربًا، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، بالكتاب، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يُحَافِظُونَ﴾، يداومون، يعني المؤمنین.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾، اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن الله تعالى بعثه نبيًا، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب، وكان يسجع ويتكهن، فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: أتشهدان أن مسيلمة نبي؟ قال:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلَ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَسَ تَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثَمَرُ ذَرَاهِمٍ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم»<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، قيل: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أُملي عليه سمعًا بصيرًا كتب علميًا حكميًا، وإذا قال: علميًا حكميًا كتب غفورًا رحيمًا، فلما نزلت: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) [المؤمنون: آية ١٢] أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: اكتبها فهكذا نزلت، فشكَّ عبدالله، وقال: لئن كان محمد صادقًا فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، فارتدَّ عن الإسلام

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة / ٨ / ٨٩، ومسلم في الرؤيا رقم (٢٢٧٤) / ٤ / ١٧٨١، والمصنف في شرح السنة ١٢ / ٢٥٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٠

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿٩٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَمَى مِنَ الْمَمْيَةِ وَيُخْرِجُ  
 الْمَمْيَةَ مِنَ الْحَمَى ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ تَوْفُكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ  
 وَجَعَلَ آيِلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِهَيْدُوا  
 بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرَ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
 ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ  
 قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ  
 خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا  
 قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا  
 وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ  
 وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُحْنَةٌ وَتَعَالَى عَمَّا  
 يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ  
 وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ولحق بالمشركين، ثم رجع عبدالله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمِر الظهران. وقال ابن عباس: قوله (وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم: (لو نشاء لقلنا مثل هذا). قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَأَوْا﴾، يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وُضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل: بقبض الأرواح، ﴿أَخْرَجُوا﴾، أي: يقولون أخرجوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: أرواحكم كُرْهَا لَأَنَّ نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، والجواب محذوف، يعني لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجبًا، ﴿الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحدانًا، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان، مثل سكران وسكاري، وكسلان وكسالي، وقرأ الأعرج فرادى بغير ألف مثل سكري، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، عرأة حفاة غرلا، ﴿وَوَزَكْتُمْ﴾، وخلفتم ﴿مَا حَوَّلْنَاكُمْ﴾، أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، في الدنيا، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾، وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم برفع النون، أي: لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله: (وتقطعت بهم الأسباب)، أي:

الوصلات والبين من الأضداد يكون وصلًا ويكون هجرًا، ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعَمُونَ﴾.

[٩٥] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، الفلق الشق، قال الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبل والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى، وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقًا أخضر، وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه، والنوى جمع النواة، وهي كل ما لم يكن له حب، كالتمر والمشمس والخوخ ونحوها، وقال الضحاك: فالق الحب والنوى يعني: خالق الحب والنوى، ﴿يُخْرِجُ

أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، قال سعيد بن جبيرة: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: أما إنه ما كان مستودعاً في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل. وروي عن أبي أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات، وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: (ونقر في الأرحام ما نشاء) وقال مجاهد: مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: (ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين)، وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت ودبعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك، وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار، لقوله عز وجل في صفة أهل الجنة: (حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)، وفي صفة أهل النار: (سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾، من الماء، وقيل: من النبات، ﴿حَضْرًا﴾، يعني: أخضر، مثل العور والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿فَخَرَجَ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاجِكَبًا﴾، أي: متراكباً بعضه على بعض، مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ ثَمَرِهَا﴾، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِثْوَانٌ﴾، جمع قثو وهو العذق، مثل صنو وصنوان ولا نظير لهما في الكلام، ﴿دَانِيَةً﴾، أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزمة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكثفي بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام، كقوله

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُحْرُجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، تصرفون عن الحق.

[٩٦] ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلِ﴾، شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه، وقال الضحاك: خالق النهار، والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار، يريد ومبدي الصبح وموضحه، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، يسكن فيه خلقه. وقرأ أهل الكوفة: (وجعل) على الماضي، (الليل)، نصب اتباعاً للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي (فلق الإصباح)، (وجعل الليل سَكَنًا)، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منزلتهما، والحسبان مصدر كالحساب، وقيل: جمع حساب، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ أي: خلقها لكم، ﴿لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾، والله تعالى خلق النجوم لفوائد، أحدها: هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، والثاني: أنها زينة للسماء كما قال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)، ومنها رمي الشيطان، كما قال: (وجعلناها رُجُومًا للشياطين)، ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (فمستقر) بكسر القاف، يعني: فمناكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلکم مستقر ومستودع، واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبدالله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث، وقال سعيد بن جبيرة وعطاء: فمستقر في



شَيْءٍ وَكَيْلٍ ﴿١٠٣﴾، بالحفظ له والتدبير.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْأَبْصَارَ﴾، يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية

في نفي رؤية الله عز وجل عياناً، ومذهب أهل

السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً: قال الله

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾،

وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ قال

مالك رضي الله عنه: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم

القيامة لم يعيّر الله الكفار بالحجاب؟ وقرأ النبي

ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وفسره

بالنظر إلى وجه الله عز وجل. وعن جرير بن عبدالله

قال: قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

وأما قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فاعلم أن الإدراك

غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء

والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية

بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه

السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ

إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قال كلا. وقال: ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا

وَلَا تَخْشَى﴾، فنفي الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله

عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما

يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَا

يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم،

قال سعيد بن المسيب: لا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وقال

عطاء: كَلَّتْ أَبْصَارُ الْمَخْلُوقِينَ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ،

وقال ابن عباس ومقاتل: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي

الدنيا، وهو يُرى فِي الْآخِرَةِ، قوله: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ

الْأَبْصَارَ﴾، أي: لا يخفى على الله شيء ولا يفوته،

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، قال ابن عباس رضي الله

عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهري

معنى (اللطيف) الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٥٩٧/٨ وفي التوحيد،

ومسلم في المساجد رقم (٦٣٣) ٤٣٩/١ والمصنف في

شرح السنة ٢/٢٢٤.

تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ يعني: الحرّ والبرد

فاكتفى بذكر أحدهما، ﴿وَجَنَّتِ مِنْ أَعْتَابٍ﴾، أي:

وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم

(وجنات) بالرفع نسقاً على قوله (قنوان) وعمامة

القراء على خلافه، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، يعني:

وشجر الزيتون وشجر الرمان، ﴿مُشْتَبِهًا وَعَبْرَ

مُشْتَبِهٍ﴾، قال قتادة: معناه مشتبهاً ورقها مختلفاً

ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل:

مشتبه في المنظر مختلف في الطعم، ﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ

ثَمَرِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم،

هذا وما بعده وفي يس على جمع الثمار، وقرأ

الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر،

﴿إِذَا أَثْمَرَ وَبَوَّغَهُ﴾، ونضجه وإدراكه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠٠] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

الْحَيِّ﴾، يعني: الكافرين جعلوا لله الجن شركاء،

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾، يعني: وهو خلق الجن، قال الكلبي:

نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق،

فقالوا: الله خالق النور والناس والدواب والأنعام،

وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب،

وهذا كقوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾،

وإبليس من الجن، ﴿وَخَرَفُوا﴾ بتشديد الراء على

التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلقوا

﴿لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَغَيِّرُ عِلْمَهُمْ﴾، وذلك مثل قول اليهود

عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله،

وقول كفار مكة الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه

فقال: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

[١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي:

مبدعهما لا على مثال سبق، ﴿أَنِّي يَكُونُ لَكُمْ وَاوَدًا﴾،

أي: كيف يكون له واد؟ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ صَاحِبَةً﴾،

زوجة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ

كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾، فأطيعوه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٤١

الْبَقَرَةِ

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تَدْرِكُهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٥﴾  
فَدَجَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ  
فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ  
الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾  
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ  
حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ  
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا  
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَزَجَعْنَاهُمْ فَيَتَّبِعُهُمُ بَيمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَين جَاءَهُمْ آيَةٌ  
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا  
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ وَنَقَلَبْ أَفْئِدَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَوْ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدْرَهُمْ فِي طُعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٢﴾

الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

[١٠٤] قوله عز وجل: ﴿فَدَجَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: فمن عرفها وآمن بها ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾، عمله ونفعه له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعلها، أي: بنفسه ضرر، ووبال العمى عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، برفيق أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾، فصلها ونبينها في كل وجه، ﴿وَلِيَقُولُوا﴾، قيل: معناه لئلا يقولوا ﴿دَرَسْتَ﴾، وقيل: اللام لام العاقبة أي: عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدواً لهم، قال ابن عباس: (وليقولوا) يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن (درست) أي: تعلمت من يسار وجبر كانا عبيد من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم درست الكتاب أدرس درسا ودراسة، وقال الفراء رحمه الله: يقولون تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارست)، بالألف، بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم درس الأثر يدرس دروسا. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لقوم يعلمون، قال ابن عباس: يريد أولياء الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني

أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد.

[١٠٦] ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فلا تجادلهم.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، أي: ولو شاء لجعلهم مؤمنين، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، رقيقا قال عطاء: وما جعلناك حفيظا تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: لما نزلت: (إنكم وما تعبدون من دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ) قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سبب آلهتنا أو لنهجون ربك،

فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم، وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله)، يعني: الأوثان، ﴿فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْوًا﴾، أي: اعتداء وظلمًا، ﴿بِعَدْوٍ عَلِيمٍ﴾، قرأ يعقوب (عدوا) بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تسبوا ربكم، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم. وظاهر الآية وإن كان نهيًا عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى، لأنه سبب لذلك، ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾، أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ﴾، ويُجازيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أوكدا ما قدروا عليه من الأيمان وأشدّها، قال الكلبي ومجاهد: إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه، ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلٌّ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، وما يدريكم، واختلفوا في المخاطبين بقوله (وما يشعركم)، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذي أقسموا، وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين، وقوله تعالى: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون)، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم (إنها) بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تم الكلام عند قوله (وما يشعركم)، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه: وما يشعركم أيها المشركون أنها لو جاءت أمتهم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يشعركم أيها

المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم بقوله: (وما يشعركم) ثم ابتداء فقال جل ذكره: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون)، وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقرأ الآخرون أنها بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: (لا يؤمنون)، فقال الكسائي: (لا) صلة، ومعنى الآية: وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت أن المشركين يؤمنون؟ كقوله: (وحرماً على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى لعل، وكذلك هو في قراءة أبي، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئاً، أي: لعلك وقيل: فيه حذف وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟ وقرأ ابن عامر وحمزة (لا يؤمنون)، بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي: إذا جاء تكلم لا تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ودليلها قراءة الأعمش: أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون.

[١١٠] ﴿وَنَقَلِبُ أَقْدَهُمْ وَابْصَرْتَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل)، وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المرّة الأولى دار الدنيا، يعني لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم، كما قال: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه). ﴿وَنَدَّرُهُمْ فِي﴾

طُعِينَهُمْ بِعَمَلِهِمْ ﴿١١١﴾، قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون.

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَالِيكَ﴾، فأروهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ النَّوَى﴾ بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾، وجمعنا، ﴿عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبَلًا﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر (قبلاً) بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، قيل: هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورغف، وقضيب وقضب، أي: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجاً، وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلاً لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه. ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذلك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، أي: أعداء. فيه تعزية للنبي ﷺ، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسرها فقال: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم يلتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن: أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله، ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض، قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد عليّ

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَالِيكَ﴾، ﴿وَكَلَّمَهُمُ النَّوَى﴾، ﴿وَحَشَرْنَا﴾، ﴿عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبَلًا﴾، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، ﴿وَلِنُصَعِّبَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيتهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾، ﴿وَوَقَّمتْ كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمتته وهو السميع العليم﴾، ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخوضون﴾، ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾، ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾

من شياطين الجن، وذلك أي إذا تعودت بالله ذهب عني شياطين الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً. قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾، وهو قول مموه مزين مزخرف بالباطل لا معنى تحته، ﴿غُرُورًا﴾، يعني: لهؤلاء الشياطين يُرْتَبون الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: ما ألقوه من الوسوسة في القلوب، ﴿نَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلِنُصَعِّبَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يُصغي صغاً وصغى ويصغى، ويصغو صغوًا، والهاء راجعة إلى زخرف القول، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾

[١١٦] ﴿وَإِنْ تَطْعَ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أأأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض)، أي: وإن تطعمهم في أكل الميتة (يُضْلُوكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ)، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، يكذبون.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: موضع (من) نصب بنزع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس من يضل عن سبيله، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، أخبر أنه أعلم بالفرقيين الضالين والمهتدين فيجازي كلًا بما يستحقون.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مُؤْمِنِينَ﴾، وذلك أنهم كانوا يُحَرِّمُونَ أصنافًا من النعم ويحلون الأموات، فقيل لهم: أكلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله.

[١١٩] ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يعني: أي شيء لكم، ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾، وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، من الذبائح، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص (فصل)، و(حرم) بالفتح فيهما أي فصل الله ما حرمه عليكم، لقوله (اسم الله) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل، لقوله (ذكر) وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالفتح (فصل)، و(حرم) بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكرت في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ

وَلِيَقْتَرِفُوا)، ليكتسبوا، ﴿مَا هُمْ مُتَّفِقُونَ﴾، يقال: اقترف فلان مالًا إذا اكتسبه، وقال تعالى: (ومن يقترب حسنةً)، وقال الزجاج: أي: ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

[١١٤] قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾، فيه إضمار أي: قل لهم يا محمد أغير الله، ﴿أَبْتَنِي﴾، أطلب ﴿حَكَمًا﴾، قاضيًا بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكمًا فأجابهم به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾، مبيّنًا فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً أي خمسًا خمسًا وعشرًا عشرًا، كما قال: (لنُشِبَتْ به فؤادك)، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد من الكتاب هو القرآن، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾، يعني: القرآن، قرأ ابن عامر وحفص: (منزل)، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجومًا متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال، لقوله تعالى: (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب)، ﴿مِنَ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

[١١٥] قوله عز وجل: ﴿وَوَدَّعَدْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (كلمة) على التوحيد، وقرأ الآخرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعدته ووعدته، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي: صدقًا في الوعد والوعد، وعدلًا في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقًا فيما وعد وعدلًا فيما حكم. ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خُلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، يريد لا يزيد فيه المفترون ولا يتقصون.

عليكم الميتة والدّم)، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس، لقوله تعالى: (يضلوك عن سبيل الله)، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: (من يضل)، ﴿بِأَهْوَابِهِمْ يَغَيِّرُ عِلْمَهُ﴾، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١٢٠] ﴿وَدَرَوْا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهره ما يعمله الإنسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له، قال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالفة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستمرار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسرّه، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عزّ وجلّ، وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا، وقال ابن زيد: إن ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا، وروى حيان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْرُونَ﴾، في الآخرة، ﴿يَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾، يكتسبون في الدنيا.

[١٢١] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها. وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي

﴿بِأَهْوَابِهِمْ يَغَيِّرُ عِلْمَهُ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾، ﴿وَدَرَوْا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْرُونَ﴾، ﴿يَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يَسُبُّوا اللَّهَ﴾، ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْ أَقْحَابِنَا﴾، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ تَوْرًا يَمَشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ آيَاتٍ لِيَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ﴾، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾، ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

كانوا يذبحونها على اسم الأصنام ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، والسورة في ذكر اسم غير الله كما قال في آخر السورة (قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم) إلى قوله (أو فسقاً أهلاً لغير الله به)، ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمْ﴾، أراد أن الشياطين ليوسوسن إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا أفترعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر والفهد حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمْهُم﴾، في أكل الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

[١٢٢] قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، قرأ

الشرف حتى إنا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا تتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، فأنزل الله عز وجل: (وإذا جاءتهم آية)، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله)، يعني محمدًا ﷺ. ثم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص (رسالته) على التوحيد، وقرأ الآخرون (رسالاته) بالجمع، يعني الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾، ذُلٌّ وهوان، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، قيل: صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

[١٢٥] قوله عز وجل: ﴿فَعَن يُرِدُّ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصَلِّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا﴾، قرأ ابن كثير (صيقًا)، بالتخفيف ههنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْنَ وهَيْنَ وَلَيْنَ وَلَيْنَ، ﴿حَرْجًا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضًا مثل: الدنف والدنف، والمصدر كالطلب ومعناه ذا حرج، وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق، يعني يجعل قلبه ضيقًا حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، وقرأ ابن كثير: (يصعد) بالتخفيف وسكون الصاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم (يصاعد) بالألف، أي يتصاعد، وقرأ الآخرون (يصعد) بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء. وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: (سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا) أي: عقبة شاقة. ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

نافع (ميتًا) و(لحم أخيه ميتًا) و(الأرض الميتة أحييناها) بالتشديد فيهن، وقرأ الآخرون بالتخفيف (فأحييناها) أي: كان ضلًا فهديناه، كان ميتًا بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لُورًا﴾، يستضيء به، ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، المثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ﴿لَيْسَ يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، يعني: من ظلمة الكفر ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا﴾، أي: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها، أي: عظماءها، جمع أكبر، مثل أفضل وأفاضل، وأسود وأساود، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح عليه السلام: (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ)، وجعل فساقهم أكابرههم، ﴿لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾، وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون لكل من يقدم: إِيَّاكَ وَهَذَا الرَّجُلُ فَإِنَّهُ كَاهِنٌ سَاحِرٌ كَذَابٌ، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، لأن وبال مكرهم يعود عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أنه كذلك.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾، يعني: مثل ما أوتى رسل الله من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقًا لكنك أولى بها منك، لأنني أكبر منك سنًا وأكثر منك مالًا فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا بنو عبد مناف في

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٤٤

الْبَاقِي

فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صِدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيَتِيمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلَّيْنَا فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ الْمَرِيَاتِيكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَكِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّهْمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٢﴾

أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، قال الكلبي: استمتاع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض قفرٍ وخاف على نفسه من الجن قال: أعود بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم، وأما استمتاع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا. فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم، وهذا كقوله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) وقيل: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وترينهم لهم

(١) أخرجه ابن ماجه في الطهارة رقم (٢٩٩) ١/١٠٩ وقال في الزوائد إسناده ضعيف والذي في الصحيحين (اللهم إني أعود بك من الخبث والخبائث).

الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾، قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه، وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجس. وقيل: هو النجس. روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرَّجْسِ وَالتَّجَسُّسِ<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

[١٢٦] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: هذا الذي بينا. وقيل: هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام. ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

[١٢٧] ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: الجنة. قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة وقيل: السلام هو السلامة، أي: لهم دار السلامة من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا، وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، فقال في الابتداء: (ادخلوها بسلام آمنين)، وقال: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم)، وقال: (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلاً سلاماً سلاماً)، وقال: (تحيتهم فيها سلام)، وقال: (سلام قولاً من رب رحيم). ﴿وَهُوَ وَيَتِيمُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال الحسين بن الفضل: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

[١٢٨] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص: (يحشرهم)، بالياء ﴿جَمِيعًا﴾، يعني الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ﴾، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: استكبرتم من الإنس بالإضلال والإغواء أي: أضللتم كثيراً، ﴿وَقَالَ



الأمر التي يهونها، حتى يسهل فعلها عليهم، واستمتاع الجنّ بالإنس طاعة للإنس لهم فيما يزيّنون لهم من الضلالة والمعاصي. قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم لبعض، ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْت لَنَا﴾، يعني: القيامة والبعث، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾، مقامكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾،

اختلّفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك)، قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: خالدون في النار إلا هذا المقدار، وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله: (النار مثواكم)، أي: خالدين في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار و(ما) بمعنى (من) على هذا التأويل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: حكيم بمن استثنى عليهم بما في قلوبهم من البرّ والتقوى.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّبُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجنّ والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضاً، أي: نسلط بعض الظالمين على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: «مَنْ أعان ظالماً سلطه الله عليه»<sup>(١)</sup> وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالؤمن وليّ المؤمن أين كان، والكافر وليّ الكافر حيث كان. وروى عن معمر عن قتادة: نتبع بعضهم بعضاً في النار، من الموالاة. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنسان ظلمة الجنّ، ونولي ظلمة الجنّ ظلمة الإنسان، أي: نكل بعضهم إلى بعض، كقوله تعالى: (نؤله ما تولّى)، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم

خيراً وليّ أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً وليّ أمرهم شرارهم.

[١٣٠] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَمَعَشَرِ الْمَعِينِ وَالْإِنْسِ أَلَمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، اختلفوا في أن الجن هل أرسل إليهم منهم رسول، فسئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول (ألم يأتكم رسل منكم)، يعني بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن، ثم قرأ (ولوا إلى قومهم منذرين)، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله (رسل منكم) ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)، وإنما يخرج من الملح دون العذب ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقرؤون عليكم، ﴿ءَايَتِي﴾، كتبي ﴿وَسُذِرْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، وهو يوم القيامة، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَرَّضْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، حتى لم يؤمنوا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ يَظُنُّوْنَ﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لم يكن مهلكهم بظلم، أي: بشرك من أشرك، ﴿وَأَهْلَهَا غُفْلُونَ﴾، لم يندروا حتى نبعث إليهم رسلاً يندرونهم. وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتهم الرسل. وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل

(١) قال في المقاصد الحسنة رواه ابن عساکر في تاريخه وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع وأورده الديلمي في الفردوس بلا إسناد. انظر كشف الخفاء ٢/٢٩٧، فيض القدير ٦/٧٢، تمييز الطيب من الخبيث ص ١٧٧.

فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر أو نهي فلم يمتعه، وذلك يكون بعد إنذار الرسل.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ، يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ، قرأ ابن عامر (تعملون) بالياء والباقون بالياء.

[١٣٣] ﴿رَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ ، عن خلقه، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ ، قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه، ذو التجاوز، ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ﴾ ، يهلككم: وعيد لأهل مكة، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ ، ويخلف وينشئ، ﴿مِنَ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ ، خلقاً غيركم أمثل وأطوع. ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوْحٍ أَخْرَجَ﴾ ، أي: من نسل آبائهم الماضين قرناً بعد قرن.

[١٣٤] ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿لَا تَلْتَمِزْهُنَّ﴾ ، كائن، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ، أي: بفاتئين، يعني: يدرركم الموت حيث ما كنتم.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ ، قرأ أبو بكر عن عاصم (مكاناتكم) بالجمع حيث كان أي: على تمكنكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول الله تعالى لنيبه ﷺ: قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ، ما أمرني به ربي عز وجل: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ ، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: (يكون) بالياء هنا وفي القصص، وقرأ الآخرون

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿رَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوْحٍ أَخْرَجَ﴾ ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَحْمَتِهِ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

بالتاء لتأنيث العاقبة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

[١٣٦] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية، كان المشركون يجعلون لله من حرثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما

جعلوه لله، فذلك قوله تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والأنعام نصيباً)، وفيه اختصار مجازه: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً. ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ﴾، قرأ الكسائي (بزعمهم) بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِكُمْ﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾، ومعناه: ما قلنا أنهم كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه لله، ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزءوا لله وأكلوا منه فوفروا ما جزءوا لشركائهم ولم يأكلوا منه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي: بس ما يقضون.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أي: كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، قال مجاهد: شركاؤهم أي: شياطينهم زينوا أو حسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها. وقال الكلبي: شركاؤهم سدة آلهتهم الذين كانوا يزبنون للكفار قتل الأولاد، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبدالله وقرأ ابن عامر: (زين) بضم الزاي وكسر الياء، (قتل) رفع (أولادهم) نصب، (شركائهم) بالخفض على التقديم فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فكانهم فعلوه. قوله عز وجل: ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾، ليهلكوهم، ﴿وَلِيَكْسَبُوا عَلَيْهِمْ﴾، ليخطوا عليهم ﴿دِينَهُمْ﴾، قال ابن عباس: ليدخلوا عليهم الشك في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه

﴿فَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَمٌ وَأُنْعَمٌ وَحَرَّتْ حَجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِرِعْمِهِمْ وَأُنْعَمٌ حَرِّمَتْ طُهُورُهَا وَأُنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾ [١٣٨] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِن كَانَ مِثْقَلُ فَهْمٍ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ أَنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [١٣٩] ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [١٤٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلًّا مِّنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَاهُمْ يَوْمَهُ حَصَادَهُمْ وَلَا تُشْفِقُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٤١] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ لِّأُولِي الْأَعْيُنِ وَأَمَّا زَرْقَهُمْ فَكَرِهْتُمُوهَا وَتَمَسَّهَا الْأُكَلُ إِنَّهَا لَمِنْ الْأَنْعَامِ لَنُجِسَتُهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَسْتَكْبِرُ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [١٤٢]

لبس الشياطين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، ﴿فَدَرَّوهُمْ﴾، يا محمد، ﴿وَمَا يَفْعُرُونَ﴾، يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين، ﴿هَذِهِ أُنْعَمٌ وَحَرَّتْ حَجْرٌ﴾، أي: حرام، يعني: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهد: يعني بالأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءُ بِرِعْمِهِمْ﴾، يعنون الرجال دون النساء، ﴿وَأُنْعَمٌ حَرِّمَتْ طُهُورُهَا﴾، يعني: الحوامي كانوا لا يركبونها، ﴿وَأُنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما

جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبّر بذكر الله تعالى عن فعل الخير. ﴿أَفِرَّاءَ عَلَيْهِ﴾، يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراءً عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْرَوْنَ﴾.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾، أي: نسائنا. قال ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة البحائر والسواحب فما وُلد منها حيًّا فهو خالص للرجال دون النساء، وما وُلد ميتًا أكله الرجال والنساء جميعًا. وأدخل الهاء في (الخالصة) للتأكيد كالمخالصة والعامّة، كقولهم: نسابة وعلامة، وقال الفراء رحمه الله: أدخلت الهاء لتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظ وموعظة، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر: (تكن) بالياء (ميتة) رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم (تكن) بالياء (ميتة) نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ ابن كثير: (وإن يكن) بالياء (ميتة) رفع. لأن المراد بالميتة الميت، أي: وإن يقع ما في البطون ميتًا، وقرأ الآخرون (وإن يكن) بالياء (ميتة) نصب، رده إلى (ما) أي: وإن يكن ما في البطون ميتة، يدل عليه أنه قال: ﴿نَهْمٌ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، ولم يقل: فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ﴾، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ حَسِيمٌ﴾.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَبِرَ الَّذِينَ نَسُوا أَنْعَامَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بتشديد التاء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿سَكَنًا﴾، جهلاً. ﴿وَرَدَّ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في ريبة ومضر وبعض العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك. ﴿وَكَلِمَةً مَّا رَكَّبَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني: البحيرة

والسائبة والوصيلة والحام، ﴿أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ﴾، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[١٤١] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ، بَسَاتِينٍ، ﴿مَعْرُوشَتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَتٍ﴾، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش، مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق وبق، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار. وقال الضحاك: كلاهما الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُمْ﴾، ثمره وطعمه منه الحلو والحامض والجيد والرديء، ﴿وَالزَّرِيئَاتِ وَالرَّمَاتِ مُتَشَابِهًا﴾، في النظر، ﴿وَعَيْرَ مُتَشَابِهًا﴾، في المطعم مثل الرماتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذا أمر بإباحة. ﴿وَمَاتُوا حَفًّا يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم (حصاده) بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرهما، ومعناها واحد، كالصَّرام والصَّرام والجزاز والجزاز، واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر، وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم: حق في المال سوى الزكاة أمر بإتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل. وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقًّا يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخًا بإيجاب العشر. قال مقسم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن. ﴿لَا شَرِيكَ لَكُمْ لَا يَحْكُمُ الْكَافِرِينَ﴾، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال السدي: لا تسرفوا أي لا تعطوا

أموالكم فتتعدوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف، لأنه جاء في الخبر: «ابدأ بمن تعول...»<sup>(١)</sup>، وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل هذه الآية على هذا: لا تتجاوز الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة. وقال مقاتل: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام. وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً. ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال الخطاب للسلطين، يقول: لا تأخذوا فوق حنككم.

[١٤٢] قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾،

أي: وأنشأ من الأنعام، ﴿حَمُولَةً﴾، وهي كل ما يحمل عليها من الإبل، ﴿وَفَرَشَاتٍ﴾، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. ﴿كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم بين الحمولة والفرش فقال:

[١٤٣] ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ﴾، نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، ﴿مِنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ﴾، أي: الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج، والعرب تسمى الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم، والواحد ضأن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة (وَمِنَ الْمَعَزِ) بفتح العين، والباقون

ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطَرَّ عَرَبًا غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَاكِي أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

بسكونها، والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز معيز، وجمع الماعزة موعاز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ءَالذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ﴾، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ﴾، يعني أنثى الضأن والمعز، ﴿أَمَا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ﴾، منهما فإنها لا تشمل إلا على ذكر وأنثى، ﴿نَبِيُّنِي﴾ أخبروني، ﴿يَعْلَمُ﴾، قال الزجاج: فسروا ما حرّمتم بعلم، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله تعالى حرم هذا. [١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: (هذه أنعام

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢٩٤/٣ ومسلم في الزكاة باب بيان أفضل الصدقة رقم (١٠٣٤) ٧١٧/٢ والمصنف في شرح السنة ١٧٨/٥.

وحرث حجر)، (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا)، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ في ذلك ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ يَهْدِيًا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قيل: أراد عمرو ابن لحي ومن جاء بعده على طريقته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال:

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: شيئاً محرماً. وروي أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾، أكل يأكله، ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿تَكُونُ﴾ بالثاء، ﴿مَيْتَةً﴾ رفع أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحزمة ﴿تَكُونُ﴾ بالثاء (ميتة) نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو الجثة ميتة، وقرأ الباقون ﴿يَكُونُ﴾ بالياء (ميتة) نصب، يعني إلا أن يكون المطعوم ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، أي: مهوراقاً سائلاً، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان وهن أحياء وما خرج من الأرواح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان. وقد جاء الشرع بإباحتهما، ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل ﴿أَوْ لَحْمٍ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس، قالوا: ويدخل في الميتة المنخقة والموقوذة، وما ذكر في أول سورة المائدة، وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص

بهذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا، ذلك معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وقد حرّمت السنة أشياء يجب القول بها، ومنها كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير ﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ عَيْرٍ بِبَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

[١٤٦] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا﴾، يعني اليهود، ﴿كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور مثل البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمّي الحافر ظفراً على الاستعارة، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفِئَسِ حَرْمَانًا عَلَيْهِمُ شُحُومُهُمَا﴾، يعني شحوم الجوف، وهي الشروب، وشحم الكلبيين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾، وهي المباعر واحدها حاوية وحاوية أي ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، يعني: شحم الإلية هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثرب وشحم الكلية ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾، أي: ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدّهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل، ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيتهم.

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾، عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، إذا جاء وقته.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

﴿أَشْرَكْنَا﴾ ، نحن ، ﴿وَلَا آبَاءُؤُنَا﴾ ، من قبل ، ﴿وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ ، من البحائر والسوائب وغيرهما ، أرادوا أن يجعلوا قوله: (لو شاء الله ما أشركنا) ، حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله ، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، من كفار الأمم الخالية ، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ، عذابنا . ويستدل أهل القدر بهذه الآية ، يقولون: إنهم لما قالوا (لو شاء الله ما أشركنا) كذبهم الله وردّ عليهم ، فقال: (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، قلنا: التكذيب ليس في قولهم (لو شاء الله ما أشركنا) ، بل ذلك القول صدق ، ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: (وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) ، فالردّ عليهم في هذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَسَدْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ، لا في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) ، قوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، بالتشديد ، ولو كان ذلك خبراً من الله عزّ وجلّ عن كذبهم في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) ، لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب ، وقال الحسن بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عزّ وجلّ ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك ، لأن الله تعالى قال: (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال: (وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ، والمؤمنون يقولون ذلك ، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون ، نظيره قوله عزّ وجلّ: (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ، قال الله تعالى: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) ، وقيل في

معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ، وردّ عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته ، فإنه مرید لجميع الكائنات غير أمر بجمع ما يريد ، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلّق بمشيئته ، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد . ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ ، أي: كتاب وحجة من الله ، ﴿فَمُخْرِجُوْنَا﴾ ، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرّمه ، ﴿إِنْ تَنْبِعُونَ﴾ ، ما تتبعون فيما أنتم عليه ، ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ ، من غير علم ويقين ، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُصُونَ﴾ ، تكذبون .

[١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ ، التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان ، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر

﴿أَشْرَكْنَا﴾ ، نحن ، ﴿وَلَا آبَاءُؤُنَا﴾ ، من قبل ، ﴿وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ ، من البحائر والسوائب وغيرهما ، أرادوا أن يجعلوا قوله: (لو شاء الله ما أشركنا) ، حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله ، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، من كفار الأمم الخالية ، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ، عذابنا . ويستدل أهل القدر بهذه الآية ، يقولون: إنهم لما قالوا (لو شاء الله ما أشركنا) كذبهم الله وردّ عليهم ، فقال: (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، قلنا: التكذيب ليس في قولهم (لو شاء الله ما أشركنا) ، بل ذلك القول صدق ، ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: (وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) ، فالردّ عليهم في هذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَسَدْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ، لا في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) ، قوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، بالتشديد ، ولو كان ذلك خبراً من الله عزّ وجلّ عن كذبهم في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) ، لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب ، وقال الحسن بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عزّ وجلّ ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك ، لأن الله تعالى قال: (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال: (وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ، والمؤمنون يقولون ذلك ، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون ، نظيره قوله عزّ وجلّ: (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ، قال الله تعالى: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) ، وقيل في

ولو شاء لهداه.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلْ هُمْ﴾، يقال للواحد والاثنتين والجمع، ﴿شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، أي: اتوا بشهادتكم الذين يشهدون، ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾، وهم كاذبون، ﴿فَلَا تَشْهَدُوا﴾، أنت، ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: يشركون.

[١٥١] قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وذلك أن المشركين سألوهم وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ حَقًّا يَقِينًا لَا ظَنَّ وَلَا كَذِبًا كَمَا تَزْعُمُونَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟ قيل: موضع ﴿أَنَّ﴾ رفع معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرم عليكم أن تشركوا به

و﴿لَا﴾ صلة كقوله تعالى (ما منعك أن لا تسجد) أي: منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً على وجه الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتلى عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾، ففر، ﴿مَنْ نَزَّرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، أي: لا تتدوا بناتكم خشية العيلة فإني رازقكم وإياهم، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾، ما ظهر يعني العلانية وما بطن يعني السر، وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر. وقال الضحاك: ما ظهر

١٤٩ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعِدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَنِيًّا ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُصَدِّقُونَ ﴿١٥٧﴾

الخمير وما بطن: الزنا. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»<sup>(١)</sup>، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرت، ﴿وَصْنُكُمْ بِهِ﴾، أمركم به، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يعني: بما فيه صلاحه وثماره. وقال مجاهد: هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن

(١) أخرجه البخاري في الديات ٢٠١/١٢ ومسلم في القسامة رقم (١٦٧٦) ١٣٠٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٤٧/١٠.



وقرأ الآخرون بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتئلكم أن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فَنَفَّرْكُمْ﴾، فتميل، ﴿بِكُمْ﴾، وتشتت، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. عن أبي وائل عن عبدالله قال: خطب لنا رسول الله ﷺ خطباً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خطب خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، الآية<sup>(١)</sup>.

[١٥٤] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ وحرف (ثم) للتعقيب وإتياء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أننا آتينا موسى الكتاب، فأدخل ﴿ثُمَّ﴾ لتأخير الخبر لا لتأخير النزول. ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾، اختلفوا فيه، قيل: تماماً على المحسنين من قومه، فتكون ﴿الَّذِي﴾ بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: (على الذين أحسنوا)، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليها، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: الذي أحسن هو موسى، ﴿وَالَّذِي﴾ بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره آتينا الكتاب يعني التوراة إتماماً عليه للنعمة لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء

يتبغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة. والأشد جمع شد، مثل قد وأقد، وهو استحكام قوة شبابه وسنه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه. وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، ﴿لَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، أي لم يكلف المعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾، فاصدقوا في الحكم والشهادة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، أي ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرون بتشديدها قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محرّمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾، أي: هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين، ﴿صِرَاطِي﴾، طريقتي وديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، مستويًا قويماً، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي، (وإن) بكسر الألف على الاستئناف

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة ٦٧/١ والطبري في تفسيره وصححه الحاكم ٣/٣١٨ ووافقه الذهبي وأخرجه الآجري في الشريعة ص ١٠ والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ بالياء هاهنا وفي النحل، والباقون بالتاء، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾، بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِ بِبَعْضِ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: لا

ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطربهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، يريد: لا يُقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق ﴿فَلْ أَنْظِرُوا﴾، يا أهل مكة، ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ بكم العذاب قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: الدجال، والداية، وطلوع الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup>.

[١٥٩] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾، بالألف هاهنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون: ﴿فَرَّقُوا﴾ مشدداً، أي: جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية، أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾، أي: صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة

الأمر. وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه تمامًا على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة، أي آتياه الكتاب زيادة على ذلك. وقيل: معناه تمامًا مني على إحساني إلى موسى. ﴿وَفَقَصْنَا﴾، بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾، هذا في صفة التوراة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْفَئَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾، يعني: القرآن، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ﴾، إليك، ﴿مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾، فاعملوا بما فيه، ﴿وَإِنَّهَا﴾، وأطيعوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، يعني: لثلاث تقولوا، كقوله تعالى: (يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا)، أي: لثلاث تضلُّوا وقيل: معناه أنزلناه كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، قال الكسائي: معناه اتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَإِنْ كُنَّا﴾، وقد كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾، قراءتهم، ﴿لَعَلَّيْهِمْ﴾، لا نعلم ما هي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لثلاث تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فجعَلُونَهُ عَذْرًا لَأَنْفُسِكُمْ.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنَّا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكننا خيرًا منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وَهَدَىٰ﴾، بيان ﴿وَرَحْمَةً﴾، ونعمة لمن اتبعه، ﴿فَمَنْ أَظْمَرُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾، أعرض، ﴿عَنْهَا سَنَجْرَىٰ الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ﴾، شدة العذاب، ﴿يَمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، يعرضون.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٣٩٧/٨ ومسلم في الإيمان رقم (١٥٧) ١/٣٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (١٥٨) ١/١٣٨.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ  
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا  
لَمْ تَكُنْ فِي شَيْءٍ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا  
إِنَّمَا مِنْظُرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسَتْ  
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ  
﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ  
فَلَا يَجْرِي إِلَى أَمْثَلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ  
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ  
نَفْسٍ إِلَّا عَاقِبَتَهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ  
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
خَلْقَ الْأَرْضِ رَوْفَعًا لَكُمْ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُوكُمْ  
فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنْ رَبُّكُمْ سَرِيحٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

ضعف، وكلّ سيئة يعملها تُكتب له بمثلها حتى  
يلقى الله عزّ وجلّ<sup>(٤)</sup>، وعن أبي ذر رضي الله عنه

(١) عزاه ابن كثير لابن مردويه وقال: (هو غريب ولا يصح  
رفعه) ثم قال: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين  
الله وكان مخالفاً له انظر تفسير ابن كثير ١٩٧/٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة ١١/٧  
والترمذي في العلم ٤٣٧/٧-٤٤٢ وقال: حديث حسن  
صحيح، وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٢، ٤٣) والمصنف  
في شرح السنة (١/٢٠٥).

(٣) روي هذا الحديث بطرق كثيرة بألفاظ مختلفة فقد  
أخرجه أبو داود في السنة ٣/٧-٤ والترمذي في الإيمان ٧/  
٣٩٧ وقال: (حسن صحيح) وابن ماجه في الفتن رقم  
(٣٩٩١) ٢/١٣٢١ والدارمي في السير ٢/٢٤١ وابن حبان  
برقم (١٨٣٤) من الموارد وصححه الحاكم على شرط  
مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان باب حسن إسلام المرء  
١/١٠٠٠ ومسلم في الإيمان باب إذا هم العبد بحسنة كتبت  
رقم (١٢٩) ١/١١٨ والمصنف في شرح السنة ١٤/٣٣٨.

والسدي، وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من  
هذه الأمة. وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول  
ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إنّ الذين فارقوا دينهم  
وكانوا شيعةً هم أصحاب البدع والشبهات من هذه  
الأمة<sup>(١)</sup>». وعن العرابض بن سارية قال: صلّى بنا  
رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت  
منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل: يا  
رسول الله كأنها موعظةٌ مودّع فأوصينا: فقال:  
«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً  
حسبياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً،  
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،  
عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور،  
فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(٢)</sup>. وعن عبدالله بن عمر  
قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت  
على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث  
وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا:  
من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه  
وأصحابي»<sup>(٣)</sup>، «لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»، قيل: لست  
من قتالهم في شيء نسختها آية القتال، وهذا على  
قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى،  
ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من  
قوله لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم  
منك براء، تقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني  
ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه،  
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾، يعني: في الجزاء  
والمكافآت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، إذا وردوا  
لليقامة.

[١٦٠] قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ  
أَمْثَلِهَا﴾، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ  
يعقوب (عشر) منون، (أمثالها) بالرفع. ﴿وَمَنْ جَاءَ  
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْرِي إِلَى أَمْثَلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال  
رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ  
حسنة يعملها تُكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة

قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا أَوْ أَغْفَرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً وَمَنْ لَقِنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَحْمَةً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾، قرأ أهل الكوفة والشام ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قِيَمًا، ﴿وَمَلَّةٌ إِزْهَمَ حَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾، أي: حياتي ووفاتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محيائي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان بالله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: ﴿وَمَحْيَايَ﴾ بسكون الياء و﴿وَمَمَاتِي﴾ بفتحها، وقرأ العامة ﴿وَمَحْيَايَ﴾ بفتح الياء لثلاثا يجتمع ساكنان.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ شَهِدَ اللَّهُ أَنِّي رِبِّي﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيِّداً وإلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة

يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمها على الجاني، ﴿وَلَا نُزِرْ وَأَزْرُهُ وَزَرُّ أُخْرَى﴾، أي: لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلِيفَةَ الْأَرْضِ﴾، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه غفور لأولياءه رحيم بهم.

## (٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[٢٠١] ﴿الْمَصَّ هَ كَيْتُ﴾ أي: هذا كتاب، ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهو القرآن ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي ضيق، معناه لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أرسلت به، ﴿لِيُنذِرَ بِهِ﴾، أي: كتاب أنزل إليك لِيُنذِرَ بِهِ، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ① كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ  
لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ② اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ  
مِن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③  
وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ  
④ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا  
ظَالِمِينَ ⑤ فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأْذِنَ  
الْمُرْسَلِينَ ⑥ فَلَنَقْضِيَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْلُومًا وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ⑦  
وَأَلْوَزُنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ⑧ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ⑨ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ  
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑩  
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا  
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ⑪

الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْضِيَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْلُومًا﴾ أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم، كقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق). ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَأَلْوَزُنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب، واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال. وروينا: «أَنَّ رَجُلًا يُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مَدُّ الْبَصْرِ فَيُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنْ

[٣] ﴿اتَّبِعُوا﴾، أي: وقل لهم اتبعوا: ﴿مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، وقرأ ابن عامر: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، بالياء والتاء.

[٤] ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، بالعذاب، (وكم) للتكثير و(رب) للتقليل، ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿بَيِّنًا﴾، ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾، من القيلولة، تقديره: فجاءها بَأْسُنَا ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون أو نائمون ظهيرة، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى الآية: أنهم جاءهم بَأْسُنَا وهم غير متوقعين له إما ليلاً أو نهاراً. قال الزجاج: و(أو) لتصرف العذاب، مرة ليلاً ومرة نهاراً. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكتناهم ليلاً، ومنهم من أهلكتناهم نهاراً، فإن قيل: ما معنى أهلكتناها فجاءها بَأْسُنَا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى (أهلكتنا) حَكَمْنَا بإهلاكها فجاءها بَأْسُنَا. وقيل:

فجاءها بَأْسُنَا هو بيان قوله ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إليّ لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إليّ فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء، قال سيويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، معناه لم يقدرُوا على ردّ العذاب، وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

[٦] ﴿فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلاء، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْتَأْذِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، عن

ومشارب والمعاش جمع المعيشة، ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، فيما صنعتُ إليكم.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال ابن عباس: خلقناكم، أي: أُولَئِكَ ثم صَوَّرْنَاكُمْ ثم صَوَّرْنَاكُمْ في أرحام أمهاتكم. وقال قتادة والضحاك والسدي: أمَّا خلقناكم فأدم، وأمَّا صَوَّرْنَاكُمْ فذريته. وقال مجاهد في خلقناكم: آدم ثم صَوَّرْنَاكُمْ في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: خلقناكم في ظهر آدم ثم صَوَّرْنَاكُمْ يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صَوَّرْنَاكُمْ في أرحام النساء.

وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صورَه وشقَّ سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوره ثم بمعنى الواو، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾ ثم للترتيب والتراخي؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم هذا الكلام أما على قول من يصرفه إلى الذرية فعنه أجوبة: أحدها ثم بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون للترتيب والتعقيب، وقيل: أراد ثم أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صَوَّرْنَاكُمْ. قوله تعالى: ﴿فَسَجُدُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَوْ كُنَّ مِنَ

محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة<sup>(١)</sup> وقيل: توزن الأشخاص، وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»<sup>(٢)</sup> وقيل: تُوزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى، ﴿فَمَنْ تَقَاتَلَ مَوْرِيثُهُ﴾، قال مجاهد: حسناته، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾.

[٩] ﴿مَنْ خَفَّتْ مَوْرِيثُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِبُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهِرُونَ﴾ يجحدون، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفًا، فإن قيل: قد قال: (فمن ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد، قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعًا ومعناه واحد كقوله (يا أيها الرسل) وقيل: لكل عبد ميزان وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل: جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: مكناكم والمراد من التمكين التملك والقدرة، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾، أي: أسبابًا يعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٩٥/٧ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد رقم (٤٣٠٠) ١٤٣٧/٢، وصححه الحاكم ٦/١، وابن حبان ص ٦٢٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ٢١٣/٢، والمصنف من شرح السنة ١٣٤/١٥. (٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٤٢٦/٨، ومسلم في صحيحه في كتاب المناقب رقم (٢٧٨٥) ٢١٤٧/٤، والمصنف في شرح السنة ١٤٣/١٥.

السَّجِدِينَ ﴿١٢﴾ ، لآدم .

﴿١٢﴾ ﴿قَالَ﴾ ، الله تعالى: يا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ، أي: وما منعك أن تسجد ولا زائدة كقوله تعالى: (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون). ﴿قَالَ﴾ إبليس مجيباً ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنك ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ، والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس . قال ابن سيرين: ما عُدَّت الشمسُ إلا بالقياس . قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل ، وقد فضل الله الطين على النار . وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزاة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبق له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية ، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار ، فأورثه اللعنة والشقاوة ، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة ، فإن حياة الأشجار والنبات به ، والنار سبب الهلاك .

﴿١٣﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ ، أي: من الجنة ، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر ، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروع فيها حتى يخرج منها . قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾ ، بمخالفة الأمر ، ﴿فِيهَا﴾ ، أي: في الجنة ، فلا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبراً مخالفاً لأمر الله ، ﴿فَأَخْرَجَ إِيَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ، من الأذلاء ، والصغار: الذل والمهانة .

سورة الأعراف

١٥٢

سورة الأعراف

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَسْتَهْمِرُنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مُدْحُورًا لَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ لَا مَلَآنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَّكِدُ مِنْ أَسْفَلِهَا أَنْتَ وَرِجْلُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَاهُ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَفَادَهُمَا رَبُّهُمَا آلُؤْهُنَّ كَمَا عَن تَلْكَمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْلَلْ لَكُمَا إِنَّا الشَّيْطَانُ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ ﴿قَالَ﴾ ، إبليس عند ذلك ، ﴿أَنْظِرْنِي﴾ ،

أخرجني وأمهلني فلا تمتني ، ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ، من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة ، أراد الخبيث أن لا يدوق الموت .

﴿١٥﴾ ﴿قَالَ﴾ ، الله تعالى ، ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ،

المؤخرين ، وبين مدة النظر والمهلة في موضع آخر فقال: (إلى يوم الوقت المعلوم) ، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم .

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي﴾ ، اختلفوا في ﴿مَا﴾

قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وقيل: ما الجزاء ، أي: لأجل أنك أغويتني لأقعدن لهم . وقيل: هي ما المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم ، كقوله: (بما غفر لي ربي) ، يعني لغفران ربي ، والمعنى بقدرتك عليّ ونفاد سلطانك

عليهم إبليسُ ظنَّه).

[١٨] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى لإبليس، ﴿أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾، أي: معيبًا، والذميم والذام أشد العيب، يقال: ذامه يذامه ذامًا فهو مذموم وذامه يذيمه ذامًا فهو مذيم، مثل سار يسير سيرًا. والمدحور: المبعد المطرود، يقال: يدحره دحرا إذا أبعده وطرده. قال ابن عباس: مذمومًا أي مضمومًا، وقال قتادة: مذمومًا مدحورًا أي: لعينًا منفيًا. وقال الكلبي: مذمومًا ملومًا مدحورًا مقصيًا من الجنة ومن كل خير. ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، من بني آدم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾، اللام لام القسم، ﴿مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

[١٩] ﴿وَتَتَادَمُ أَسْكَنُ أَنتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يُلقيه الشيطان في قلب الإنسان ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا﴾، أي: أظهر لهما ما غُطي وسُتر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس لهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتها، كقوله تعالى: (فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ ليكونَ لهمُ عدوًّا وحزنًا)، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبليس لآدم وحواء، ﴿مَا هَبَّكُمْ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾، يعني لثلاثا تكونا كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾، من الباقيين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر: (هل أدلك على شجرة الخلدِ وملك لا يبلى).

[٢١] ﴿وَقَامَسَهُمَا إِلَىٰ لَمَّا لَوْنُ الصُّبْحِ﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني

في. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء. أغويتني: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكتني. وقيل: خيبتني، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

[١٧] ﴿لَمَّا كَانَتْهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، أشبهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من قبل الآخرة فأقول: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم. وقال الحكم: من بين أيديهم: من قبل الدنيا يُزينها لهم، ومن خلفهم: من قبل الآخرة يشبّطهم عنها، وعن أيمانهم: من قبل الحق يصدّهم عنه، وعن شمائلهم: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم: من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها، وعن أيمانهم: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون أي لا يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون. ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شَكْرِي﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظنًا فأصاب. قال الله تعالى: (ولقد صدق



وحمزة والكسائي: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء ههنا وفي الزخرف، وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي: (وكذلك تخرجون)، في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

[٢٦] ﴿يَبْيِئْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾، أي خلَقْنَا لَكُمْ ﴿لِبَاسًا﴾، وقيل: إنما قال: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ لأنَّ اللباس يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء كما قال تعالى: (وأنزلنا الحديد) وإنما يستخرج الحديد من الأرض. وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة. وقال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها فأمر الله سبحانه بالستر فقال: (قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ)، يستر عوراتكم، واحدها سواة سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة، ﴿وَرِيشًا﴾، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يُقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما يتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي (وَلِبَاسُ) بنصب السين عطفًا على قوله ﴿لِبَاسًا﴾ وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خَيْرٌ﴾ وجعلوا ﴿ذَلِكَ﴾ صلة في الكلام، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ واختلفوا في ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى. وقال عطية عن ابن عباس: هو العمل

(١) ازدردا من زرد اللقمة بلعها. انظر مختار الصحاح ص ٢٧٠.

خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وإبليس أول من حلف بالله كاذبًا فلما حلف ظنَّ آدم أن أحدًا لا يحلف بالله إلا كاذبًا فاغترَّ به.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلَهُمَا بِعُرْوَةٍ﴾، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول. وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حال المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل والتدلية إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، قال الأزهري: أصله تدلية العطشان البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا﴾، قال الكلبي: فلما أكلا منها. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا<sup>(١)</sup> أخذتُهما العقوبة، والعقوبة أن بدتْ ظهرتْ لهما سواتُهما عوراتُهما، وتهافت عنهما لباسُهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وُورِي عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك ﴿وَطُفِقَا﴾ فأقبلا وجعلا ﴿يَخْصِفَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب. قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواتهما ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾، يعني: الأكل منها، ﴿وَأَقْبَلَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، أي: بين العداوة.

[٢٣] ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، ضررناها بالمعصية، ﴿وَأَن لَّو تَعَفَّرْنَا لَرَزَقْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الهالكين.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، يعني في الأرض تعيشون، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمَهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر

الصالح. وعن عثمان بن عفان أنه قال: السميت الحسن. وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله. وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل. وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف. وقال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين. وقيل: لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، لا يضلنكم الشيطان، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا﴾، ليرى كل واحد سؤأة الآخر. ﴿إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ﴾، يعني أن الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾، جنوده، قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة الجن والشياطين، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿قِرَاءَ وَأَعْوَانًا﴾، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال الزجاج: سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزَهُمْ أَزْوَاجًا﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة. وقال عطاء: الشرك والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا﴾، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آياتنا. قيل: ومن أين أخذ آباؤكم قالوا، ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمْنَا أَنفُسَنا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِمَّا تَخْرُجُونَ ﴿٢٩﴾ يَنْبِئُ آدَمَ قَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤرِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣٣﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾، قال ابن عباس: بلا إله إلا الله. وقال الضحاك: بالتوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال مجاهد والسدي: يعني وجها وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً. ﴿وَادْعُوهُ﴾، واعبدوه، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة والعبادة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، قال ابن عباس: إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً. كما قال: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً قال مجاهد: يعيشون على ما ماتوا عليه، وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم

في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾. قال قتادة: بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، نظيره قوله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم).

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾، أي: هداهم الله، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾، وجب عليهم الضلالة، أي: بالإرادة السابقة، ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَحْسُوبَاتٌ مِنْهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

[٣١] قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله عز وجل ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، يعني الثياب. قال مجاهد: ما يُوارِي عورتك ولو عباءة. قال الكلبي: الزينة ما يُوارِي العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل وكلوا يعني اللحم والدسم واشربوا اللبن، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾، بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُتَسْرِفِينَ﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كُلُّ مَا شَتَّتَ وَالْبَسُّ مَا شَتَّتَ مَا أَخْطَأْتَكَ خَصْلَتَانِ سَرَفٌ وَمَخِيلَةٌ. قال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطَّبَّ كله في نصف آية فقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، يعني لبس الثياب في الطواف، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يعني اللحم والدسم في أيام الحج. وعن ابن عباس وقتادة: والطيبات من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥٤

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنَیْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا وَعَانَا أُوتُوا لِكُلِّ أُمَّةٍ النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا لَمَكُتَّمُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا أَضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها. وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم. قرأ نافع (خَالِصَةً) رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركين في الدنيا وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿مَا ظَهَرَ﴾ طواف الرجال بالنهار ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ طواف النساء

بالليل. وقيل: هو الزنا سرًا وعلانية ﴿وَالْإِثْمُ﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر. قال الشاعر:

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلي

كذلك الإثم تذهب بالعقول  
﴿وَالْبَغْيُ﴾، الظلم والكبر، ﴿بِعَبْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَنًا﴾، حجة وبرهانًا، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة وأكل وشرب. وقال ابن عباس وعطاء والحسن: يعني وقتًا لتزول العذاب بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾، أي: لا يتقدمون. وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾، أي: أن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل. وقال مقاتل: أراد بقوله ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ مشركي العرب وبالرسل محمدًا ﷺ وحده، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي: إذا حزنوا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾، تكبروا عن الإيمان بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر. قال الله تعالى: (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون). ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، جعل له شريكًا، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾،

بالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ﴾، أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كُتِبَ لِمَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ أَنْ وَجْهَهُ مَسُودٌ، قال الله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال سعيد ابن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة. وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجزي عليها. وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، ﴿قَالُوا﴾، يعني يقول الرسل للكفار، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾، تعبدون، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، سؤال تبيكيت وتقريع، ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَيْنَا﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾، يعني كفار الأمم الخالية، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخواها لأنه عنى الأمة والجماعة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ﴾، قال مقاتل: يعني أخرهم دخولًا النار وهم الأتباع، ﴿لَأُولَئِهِمْ﴾، أي: لأولاهم دخولًا وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولًا. وقال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاها. وقال السدي: أهل آخر الزمان

لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾، الذين، ﴿أَصْلُونَا﴾ عن الهدى يعني القادة ﴿فَقَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾، أي: ضعف عليهم العذاب، ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. قرأ الجمهور: (ولكن لا تعلمون) وقرأ أبو بكر (لا يعلمون) بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَهُنَّ﴾، يعني القادة، ﴿لِأَخْرَجْتُهُمْ﴾، للأتباع، ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ﴾، بالتاء، خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشددة، ﴿لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيط واحد وهو: الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا لأن الشيء إذا علّق بما يستحيل كونه يدلّ ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض القار، يريد لا أفعله أبدًا، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤١] ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، أي: فراش، ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، أي: لحف. وهي جمع غاشية، يعني ما غشاهم وغطاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل جانب، كما قال الله: (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

١٥٥ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبْتُهُمْ وَأَوْلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَجْتُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنْفَتِحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَأْتِيَنَّهُمْ الْبُحْبُوحَةُ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوْنَا أَنْ تَلُكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها وما لا تحرج فيه ولا تضيق عليه، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، وأخرجنا، ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾، من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخوانًا على شرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضًا على شيء خصّ الله به بعضهم. ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾. أي إلى هذا، يعني طريق الجنة. وقال سفيان الثوري: معناه هداانا لعمل هذا ثوابه، ﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرأ ابن عامر: (ما كُنَّا) بلا واو، ﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ﴾، هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانًا، ﴿وَوَدُّوْنَا أَنْ تَلُكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

قيل: هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلکم الجنة، وقيل: هذا النداء يكون في الجنة، عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالوا: ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تتعموا فلا تأسوا أبدًا، فذلك قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمَّ الْجَنَّةُ أُورِثَتْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم.

[٤٤] قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا﴾، من الثواب، ﴿حَقًّا﴾، أي: صدقًا، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾، من العذاب، ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لغتان، ﴿فَإِنَّ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: نادى مناد أسمع الفريقين، ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: (أن) خفيف، ﴿لَعْنَةُ﴾، رفع، وقرأ الآخرون بالشديد، (لعنة الله) نصب على الظالمين، أي: الكافرين.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾، أي: يصرفون الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، ﴿وَيَعْتَوِبُونَ عِوَجًا﴾، أي: يطلبونها زيقًا وميلاً، أي: يبطلون سبيل الله جاثرين عن القصد. قال ابن عباس: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائمًا، وبالفتح في كل ما كان قائمًا كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله تعالى في قوله: (فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَهَا بَابٌ)، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَابِ رِجَالٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده. وقال

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوِبُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَابِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسْمَتِهِمْ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَابِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لِخَوْفٍ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ حَرَمًا مَعًا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَايَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

السدي: سُمي ذلك السور أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس. واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف، فقال حذيفة وابن عباس: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة. وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم. وقيل: هم أطفال المشركين. وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعًا، ويطلعون أحوال الفريقين. قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسْمَتِهِمْ﴾، أي: يعرفون أهل الجنة بياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم ﴿وَنَادَى

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة. قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج، وقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فينظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني: الماء والطعام، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها والمكء والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَكِيمَةُ الَّتِي آتَتْهَا يَوْمَ نَسَبْتَهُمْ﴾، نتركهم في النار، ﴿كَمَا سُئِلَ لِقَاءَ يَوْمِهِ هَذَا﴾، أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾، يعني القرآن ﴿فَصَلَّتْهُ﴾، بيناه، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا لما يصلحهم، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، أي: جعلنا القرآن هاديًا وذا رحمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾، أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿فَهَلْ لَنَا﴾، اليوم، ﴿مِن شُعَاعَةٍ فَيشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا، ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، أهلكوها بالعذاب، ﴿وَصَلَّ﴾، وبطل، ﴿عَنَّهُمْ مَا

أَصْحَبَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لَا يَدْخُلُوهَا﴾ يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريد بها بهم. قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يؤصلهم إلى ما يطمعون.

[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، تعوذوا بالله، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني الكافرين في النار.

[٤٨] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْتَكِرُونَ﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل ابن هشام ويا فلان، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

[٤٩] ﴿أَهْتَوْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، حلفتهم، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، أي: حلفتهم أنهم لا يدخلون الجنة. ثم يقال لأهل الأعراف، ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفيه قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار: أهؤلاء يعني أصحاب الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنهم لا ينالهم الله برحمة، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، فيدخلون الجنة.

[٥١، ٥٠] قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا﴾، أي صبوا، ﴿عَلَيْكُم مِّنَ الْمَاءِ

كَأَنَّهُمْ يَفْرُقُونَ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لذن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء، قيل: ستة أيام كأيام الآخرة، وكل يوم كألف سنة. وقيل: كأيام الدنيا. قال سعيد بن جبير: كان الله عز وجل قادرًا على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليمًا لخلقه الثابت والتأني في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»<sup>(١)</sup>، ﴿ثُمَّ أَسْوَأَ عَلَى الْعَرْشِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: سعد، وأولت المعتزلة<sup>(٢)</sup> الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: (الرحمن على العرش استوى) [سورة طه: آية ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا، ثم أمر به فأخرج، ورؤي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمرؤها كما جاءت بلا كيف، والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظل، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش المُلْكُ. ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب (يُعْشَى) بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: (يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَاوِيلَهُ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِن قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا يَا لَئِذَا هُوَ لَنَا مِن شَفَاعَةٍ فَيَسْأَلُونََنَا أَوْتَرُدُّ فَنَعْمَلُ عِندَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَسُدُّوْا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِرَيْحِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نُّفِثَ لَهَا سَفِينَةٌ لِّبَلَدٍ مَّيْمَتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

على الليل)، ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، أي: سريعًا، وذلك

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء ج ١/ ٣٥٠ «رواه ابن أبي شيبه وأبو يعلى، وابن منيع والحاترث بن أبي أسامة في مسانيدهم عن أنس رفعه وأخرجه البيهقي عنه أيضًا وله شواهد عند الترمذي وقال: حسن غريب، بلفظ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان». وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٣/ ١٧٦.

(٢) المعتزلة: فرقة كلامية، ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها «واصل بن عطاء» مجلس الحسن البصري. وهذه الفرقة شديدة التأثر بالفلسفة اليونانية، وهي تعتمد في إدراك الغيبات على العقل، وكل ما خالف العقل عندهم يؤولونه ويطوعونه حسب مفاهيمهم الكلامية، ولقد جعلوا العقل أساسًا لفهم القرآن الكريم لا القرآن أساسًا للعقل ففسروا آيات الصفات على حسب ما تدركه عقولهم من الفهم وحكموا العقل في كل ما يتعلق بالاعتقاد والإيمان.



تدعون سميعاً قريباً<sup>(١)</sup>. وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحلّ، فيقولون: اللهم اخزهم اللهم عنهم.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبير: الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فازروهم منه)، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما في اللغة المذكر والمؤنث والواحد والجمع. قال أبو عمرو بن العلاء: القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾، قرأ عاصم (بشراً) بالباء وضمها وسكون الشين ها هنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: (الرياح مبشرات)، وقرأ حمزة والكسائي ﴿شُرًا﴾ بالنون وفتحها، وهي الريح الطيبة اللينة، قال الله تعالى:

(١) رواه البخاري في الجهاد ٧/٤٧٠ ومسلم في الذكر رقم (٢٧٠٤) ٤/٢٠٧٦ والمصنف في شرح السنة ٥/٦٦.

أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه، فكأنه يطلبه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ لِّأَيِّ خَلْقٍ خَلَقَهُنَّ﴾، أي: مُدَلَّلَاتٌ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾، له الخلق لأنه خلقهم وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء، قال سفيان بن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: تعالى الله وتعظّم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة. أي: البركة تُكتسب وتُنال بذكره. وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله وقيل: تبارك تقدّس. والقدس الطهارة. وقيل: تبارك الله أي باسمه يُتبرّك في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، تذلاً واستكانة، ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: سرّاً. قال الحسن: بين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضي فعله فقال: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا). ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر والصياح، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح. ورؤينا عن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ

سورة الأعراف

١٥٨

سورة الأعراف

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، يَا ذَّن رَّبِّهِ وَالَّذِي حَبِثَ لَآيَحْجُجَ  
 إِلَّا نَكَدًا ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾  
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ  
 مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾  
 قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ  
 يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾  
 أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مَن اللَّهُ  
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ  
 رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَكَذَّبُوهُ  
 فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا  
 بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِلَىٰ عَادِ إِخْوَانِهِمْ  
 هُودًا قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ  
 ﴿٦٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي  
 سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ يَنْقُومُ  
 لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعُشبَ الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تَتبُّبُ كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(١)</sup>.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بُعث بعد إدريس ﴿فَقَالَ﴾، لقومه، ﴿يَنْقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، قرأ أبو جعفر

(والناشرات نشراً) وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهبت من كل ناحية. ﴿يَبِثُّ بَيْنَ رَحْمَتِي﴾، أي: قدام المطر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ﴾، حملت الرياح، ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر، ﴿سُقْتَهُ﴾، ورد الكناية إلى السحاب، ﴿يَسْتَدِيرُ مَيِّتٌ﴾ أي: إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميت لا نبات فيه ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت، ﴿الْمَاءَ﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِّن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، استدلل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، قال أبو هريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطراً كمني الرجال من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يُلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم، ثم يُحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا).

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ يَا ذَّن رَّبِّهِ﴾، هذا مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته يا ذَّن ربه، ﴿وَالَّذِي حَبِثَ﴾، يريد الأرض السبخة التي، ﴿لَا يَخْرِجُ﴾، نباتها، ﴿إِلَّا نَكَدًا﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً بعناء ومشقة. فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ نبيها، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في العلم ١/١٧٥ ومسلم في الفضائل رقم (٢٢٨٢) ٢/١٧٨٧ والمصنف في شرح السنة ١/٢٨٧.

العذاب وهو الغرق.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَلِإِيَّادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، أي:

وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد الأولى أخاهم في النسب لا في الدين، (هودًا) وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. وقال

ابن إسحاق: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ﴿قَالَ يَفْقَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْفَقُونَ﴾، أفلا تخافون نعمته؟

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّنَا

لَنُرْسِلَنَّكَ، يا هود، ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو إلى دين لا نعرفه، ﴿وَإِنَّا لَنَنْظُرُكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾، هود ﴿يَفْقَهُمْ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَنْكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٨] ﴿أُتِلِّغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾،

ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي. كنت فيكم قبل اليوم أمينًا.

[٦٩] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ

مِنْكُمْ﴾، يعني نفسه، ﴿يُنذِرْكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ

جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾، يعني في الأرض، ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ

نُوحٍ﴾، أي: من بعد إهلاكهم، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ

بَضْطَةً﴾، أي: طولاً وقوة ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ﴾

نعم الله، واحدها إلى وآلاء، مثل: معى وأمعاء،

وقفا وأقفاء ونظيرها: (آناء الليل)، واحدها أنا وآناء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا

كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، من الأصنام، ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا

عَبَدْنَا﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾، هود ﴿قَدْ وَقَعَ﴾، وجب ونزل،

﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ أي: عذاب، والسين

مبدلة من الزاي، ﴿وَعَصَبٌ﴾، أي: سخط،

والكسائي ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: (هل من خالق غير الله)، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: مالكم غيره من إله، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، إن لم تؤمنوا، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنُرْسِلَنَّكَ فِي ضَلَالٍ خَطَأً وَزوالٍ عَنِ الْحَقِّ، ﴿ثُمَّ يَنْبِئُكَ﴾، بين.

[٦١] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿يَفْقَهُمْ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾،

ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة الضلال أو على تقديم الفعل، ﴿وَلَنْكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿أُتِلِّغُكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو: (أُتِلِّغُكُمْ)

بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ. لقوله: (لقد

أبلغتكم)، ﴿رَسُولَاتِ رَبِّي﴾، ليعلم أن قد أبلغوا

رسالات ربهم، وقرأ الآخرون بالتشديد من

التبليغ، لقوله تعالى: (بلغ ما أنزل إليك)،

رسالات ربي، ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾، يقال: نصحته

ونصحت له. والنصح أن يريد لغيره من الخير ما

يريد لنفسه، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أن

عقابه لا يرد عن القوم المجرمين.

[٦٣] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾، ألف استفهام دخلت على

واو العطف، ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قال ابن

عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان.

وقيل: رسالة. ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾، عذاب

الله إن لم تؤمنوا، ﴿وَلِنُنْفِقُوا﴾، أي: لكي تنفقوا الله،

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، لكي ترحموا.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني: كذبوا نوحًا،

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾، من الطوفان، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾،

في السفينة، ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، أي: كفارًا. قال ابن عباس:

عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا

عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمى والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموا عن نزول

﴿أَتَجِدَلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا﴾، وضعتها،  
﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾، قال أهل التفسير: كانت لهم  
أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ  
يَهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾، حجة وبرها، ﴿فَانظُرُوا﴾،  
نزول العذاب، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَهُ﴾، يعني هودًا عند نزول  
العذاب، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ  
كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم  
عن آخرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٣] قوله تعالى: ﴿وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾،  
وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد  
ههنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود  
لقلة مائتها، والتمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم  
الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى،  
(أخاهم صالحًا) أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم في  
النسب لا في الدين صالحًا، وهو صالح بن عبيد  
ابن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود،  
﴿قَالَ يَنْفِقُوا عُقْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ  
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة من ربكم على  
صدي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾، أضافها إليه على  
التفضيل والتخصيص، كما يقال: بيت الله ﴿لَكُمْ  
آيَةٌ﴾ نصب على الحال ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾  
العشب، ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾، لا  
تصيبوها بعقر، ﴿فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٤] ﴿وَادْعُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ  
وَبَوَّأَكُمْ﴾، أسكنكم وأنزلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ  
تَنجِدُونَ﴾ من سوءها فُضُورًا وَتَنجُونَ الْجِبَالَ يُونًا﴾،  
كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف  
يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال.  
وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت  
الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم،  
﴿فَأَذْكُرُوا لآلِهَةِ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُشْرِكِينَ﴾  
والعيث: أشد الفساد.

﴿الْأَعْرَافِ﴾

١٥٩

﴿الْأَعْرَافِ﴾

أَيُّفَعُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٧٥﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ  
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ  
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ  
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا لآلِهَةِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ  
﴿٧٦﴾ قَالُوا أَوَجَدُنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ  
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُهُ إِنَّا كُنَّا مِنَ الضَّالِّينَ  
﴿٧٧﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ  
أَتَجِدَلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ  
مَا نَزَّلَ اللَّهُ يَهَا مِنْ سُلْطَنٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ  
﴿٧٩﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفِقُوا عُقْبُدُوا اللَّهَ  
مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ  
رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ  
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ قرأ ابن عامر: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾  
بالواو، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، يعني  
الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان  
بصالح، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿لِمَنْ  
ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين،  
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صِدْحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، إليكم،  
﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ  
بِهِ كَفُرُونَ﴾، جاحلون.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا نَاقَةَ﴾، قال الأزهري: العقر  
هو قطع عروق البعير، ثم جعل النحر عقراً لأن  
ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ  
رَبِّهِمْ﴾، والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو  
عتوا إذا استكبروا، والمعنى: عصوا الله وتركوا  
أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وَقَالُوا لِنَصْلِحُ أَتَيْنَا

يَمَا نَعْدُنَا»، أي: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾، قيل: أراد الديار. وقيل: أراد في أرضهم وبلداتهم، ولذلك وحّد الدار، ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، خامدين مبتتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض صالح، ﴿عَنَّهُمْ وَقَالَ يَبْقَرُونَ لَقَدْ أُنبِئْتُمْ بِرِسَالَةِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة؟ قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسرکم أنکم أطعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ:

«والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون»<sup>(١)</sup>. وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم. وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا﴾، أي: وأرسلنا لوطًا. وقيل: معناه واذكر لوطًا. وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطًا شخص من أرض بابل سافر مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمنًا مهاجرًا معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطًا الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الفَحِشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا

وَأَذْكُرُوا لِيَوْمَ إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنُبَّاءَ كُتِّمٍ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْعِجَالَ يَوْمًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ اتَّعَلَمُونَ أَنْ صَلَحَ حَامِرٌ سَلَّمٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتِّبَانًا يَمَّا نَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَبْقَرُونَ لَقَدْ أُنبِئْتُمْ بِرِسَالَةِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

إلا كان من قوم لوط.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وحفص ﴿إِنَّكُمْ﴾ بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستئناف. ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، في أدبارهم، ﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، فسر تلك الفاحشة يعنى أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام. قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فأذوهم.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، قال بعضهم لبعض، ﴿أَخْرَجُوهُمْ﴾، يعني: لوطًا وأهل دينه، ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ﴾،

(١) قطعة من حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل ٧/٣٠٠، ٣٠١.

يتزهدون عن أدبار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾، يعني: لوطاً، ﴿وَأَهْلَهُ﴾، المؤمنين، وقيل: أهله ابتناه، ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الَّذِينَ﴾، يعني الباقين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقين المعتمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾، لأنه أراد ممن بقي من الرجال فلما ضمّ ذكرها إلى ذكر الرجال قال من الغابرين.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾. يعني حجارة من سجيل قال وهب: الكبريت والنار، ﴿فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب أمطر وفي الرحمة مطر.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وهم أصحاب الأيكة أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم.

وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يزر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين، وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان، ﴿قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ فَدَجَّاهُ نَكَمٌ بَسَنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَدَجَّاهُ نَكَمٌ بَسَنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ولم تكن لهم آية مذكورة؟ قيل: قد كانت لهم هذه الآية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينه مجيء شعيب، ﴿ذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، أتموا الكيل، ﴿وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: ببعث الرسل والأمر بالعدل،

سورة الأعراف

١٦١

سورة الأعراف

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنَظَّهُرُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الَّذِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ فَدَجَّاهُ نَكَمٌ بَسَنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ذُوقُوا الْعَذَابَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بما أقول.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾، أي: على كل طريق، ﴿تُوعِدُونَ﴾ تهددون ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، زيغاً، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيب كذاب فلا يفتنك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. وقال السدي: كانوا عشارين. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ﴾، فكثرت عددهم، ﴿وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: آخر أمر قوم لوط.

[٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٢

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿٨٨﴾ قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرَجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ  
كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٩﴾ قَدْ أَفْرَأْتِنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ  
بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٩٠﴾ وَقَالَ لِلَّذِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ  
﴿٩١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٢﴾  
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا  
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ  
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ  
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا  
أَحَدًا نَا أَهْلَهَا بِالسَّاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ ﴿٩٥﴾ ثُمَّ  
بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ  
ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٦﴾

الزلزلة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره:  
فتح الله عليهم بابًا من جهنم فأرسل عليهم حرًا  
شديدًا فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء  
فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها  
وجدوها أشد حرًا من الظاهر، فخرجوا هربًا إلى  
البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة  
فأظلتهم، وهي الظلة، فوجدوا لها بردًا ونسيمًا  
فنادى بعضهم بعضًا حتى اجتمعوا تحت السحابة،  
رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهمها الله عليهم نارًا  
ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد  
المقلبي، وصاروا رمادًا ﴿فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جِثِيمِينَ﴾.

[٩٢] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ  
يَغْنَوْا فِيهَا﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من  
قولهم: غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني

أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَوْ يُؤْمِنُوا﴾، أي: إن اختلفتم في  
رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين،  
﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾، بتعذيب المكذبين  
وإنجاء المصدقين، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

[٨٨] ﴿قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾،  
يعني الرؤساء الذين تعظّموا عن الإيمان به،  
﴿لِنُخْرَجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ  
فِي مِلَّتِنَا﴾، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه  
﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾، يعني: لو كنا  
أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبرونا عليه؟

[٨٩] ﴿قَدْ أَفْرَأْتِنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ  
بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، بعد  
إذ أنقذنا الله منها، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ يقول إلا  
أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنا نعود  
فيها فحيثئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه  
علينا. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي  
مِلَّتِنَا﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، ولم يكن  
شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى  
ملتنا؟ قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما  
كان لنا أن ندخل فيها. وقيل: معناه إن صرنا في  
ملتكم، ومعنى (عاد) صار، وقيل: أراد به قوم  
شعيب لأنهم كانوا كفارًا فأمّنوا فأجاب شعيب  
عنهم، قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أحاط  
علمه بكل شيء ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فيما توعدوننا  
به، ثم عاد شعيب بعد ما أسس من فلاحهم فقال:  
﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾، أي: اقض بيننا،  
﴿بِالْحَقِّ﴾، والفتاح: القاضي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْفَاتِحِينَ﴾، أي: الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ لِلَّذِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ  
شُعَيْبًا، وتركتم دينكم، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾،  
مغبونون، وقال عطاء: جاهلون، قال الضحاك:  
عجزة.

[٩١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾، قال الكلبي:

المنازل واحدها معنى، وقيل: كأن لم يتنعموا فيها.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَذَّبُوا هُمُ الْكَافِرِينَ﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَنْتَلَيْكُمْ رَسُولًا مِّنْ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ كَيْفَ ءَأْتُونَ﴾، أحزن، ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَوْمِهِ مِن نَّبِيٍّ﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾، عاقبنا ﴿أَهْلَهَا﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، قال ابن مسعود: البأساء: الفقر والضرءاء: المرض، وهذا معنى قول من قال البأساء في المال والضرءاء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضرءاء والضر سوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضرءاء الجذب، ﴿عَامَّةٌ يَضْرَعُونَ﴾، لكي يتضرعوا فيتوبوا.

[٩٥] ﴿مِمَّا بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾، يعني: مكان البأساء والضرءاء الحسنة، يعني النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾، أي: كثروا وازدادوا، وكثرت أموالهم، يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: وكثرت أموالهم وأولادهم، ﴿وَقَالُوا﴾، من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء، ﴿فَدَمَّرْنَا بِلَيْلٍ لَّيْلَةً نَّأْتِيهَا ظُفُرًا وَالسَّيِّئَةَ﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً لنا ولآبائنا ولم يكن ما مستنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً﴾، فجأة آمن ما كانوا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بنزول العذاب.

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ ١٦٣ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٩٦] ﴿فَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [٩٧] ﴿وَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ [٩٨] ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٩٩] ﴿أُولَٰئِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِدِينِهِمْ يُرَوِّتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو شَاءَ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [١٠٠] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٠١] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [١٠٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٠٣] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠٤]

عليهم بركات من السماء والأرض، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض، وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الأعمال الخبيثة.

[٩٧] ﴿فَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ الذين كفروا وكذبوا، يعني: أهل مكة وما حولها، ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾، عذابنا ﴿بَيْتًا﴾، ليلاً، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام: (أو آمن) بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ أن يأتيتهم بأسنا ضحى، أي: نهاراً: والضحى: صدر النهار، ووقت انبساط الشمس، ﴿وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾، ساهون لاهون.

[٩٩] ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ



أوائلهم، نظيره قوله عزّ وجلّ: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون). ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، أي: كما طبع الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكتها كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كُتِبَ عليهم أن لا يؤمنوا من قومك.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾، أي: وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، حين أخرجهم من صلب آدم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾، أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد.

[١٠٣] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد نوح وهود وصالح وشعيب، ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، بأدلتنا، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾، فجحدوا بها، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وكيف فعلنا بهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخل على فرعون ﴿يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك، فقال فرعون: كذبت، فقال موسى:

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أنا خليق بالأقوال على الله إلا الحق، فتكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى الباء كما يقال: رميت بالقوس ورميت على القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة، يدل عليه قراءة أبي والأعشى (حقيقٌ بأن لا أقول على الله إلا الحق)، وقال أبو عبيدة: معناه حريص على ألا أقول على الله إلا الحق، وقرأ نافع (عَلَيَّ) بتشديد الياء أي حق واجب عَلَيَّ ألا أقول على الله إلا الحق. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني العصا، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: أطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد

إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾، ومكر الله استدراجه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم. وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، قرأ قتادة ويعقوب: ﴿نَهْدٍ﴾ بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد، يعني أو لم نبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ﴾، هلاك ﴿أَهْلِهَا﴾، الذين كانوا فيها قبلهم ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾، أي: أخذناهم وعاقبناهم، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما عاقبنا من قبلهم، ﴿وَنَطْبَعُ﴾، نختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، الإيمان ولا يقبلون الموعدة، قال الزجاج: قوله ﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ منقطع عما قبله لأن قوله ﴿أَصْبَنَهُمْ﴾ ماضٍ، و﴿نَطْبَعُ﴾ مستقبل.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقَرْيُ﴾، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾، أخبارها لما فيها من الاعتبار، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والمعجزات والعجائب، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب، نظيره قوله عزّ وجلّ: (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين). قال ابن عباس والسدي: يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكتناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمروا التوكيد. وقال مجاهد: معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، كقوله عزّ وجلّ: (ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه). قال يمان بن رباب: هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه، يقول: ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل كذبوا بما كذب

الْحَقِّيقُ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ

١٦٤

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٥٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٦٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٦١﴾ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٦٢﴾ وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ فَأَلْوَانًا لَّنَا الْأَجْرَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٦٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تَلْفَىٰ وَإِنَّمَا أَن تَكُونَنَّ مِنَ الْمُلْقِينَ ﴿١٦٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ وَبِئْسَ عَظِيمٌ ﴿١٦٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٦٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَبْرِينَ ﴿١٦٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٧٠﴾

من قول الملأ لفرعون وخاصة .

[١١١] ﴿قَالُوا﴾ ، يعني الملأ، ﴿أَرْجِهْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضمّ الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز، ثم نافع رواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، قال عطاء: معناه آخره. وقيل: احبسه، ﴿وَأَخَاهُ﴾، معناه أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض له بالقتل، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾، يعني الشرط في المدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذه المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

[١١٢] فذلك قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾،

استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما، فقال فرعون مجيباً لموسى:

[١٠٦] ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَى﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل: أليس قد قال في موضع آخر (كأنها جان)، والجان الحية الصغيرة؟ قيل: إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة. قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاعرة فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعاً وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت له على ذنبها واضعة لحييها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، وحملت على الناس فانهمزوا وصاحوا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت.

[١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾، يعنون إنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويُري الشيء بخلاف ما هو به.

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾، يا معشر القبط، ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي: تسيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: هذا

[١١٥] ﴿قَالُوا﴾ يعني السحرة ﴿يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ﴾ عَصَاكَ ﴿وَأِمَّا أَن تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾، لعصيتنا وحبالنا.

[١١٦] ﴿قَالَ﴾ موسى بل ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التويه والتخييل، وهذا هو السحر، ﴿وَأَسْتَهْوَهُمْ﴾، أي: أربهوهم وأفرعوهم، ﴿وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ﴾، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

[١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾، فألقاها فصارت حية عظيمة. حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ قرأ حفص ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تتلعق، ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، يكذبون من التخييل وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوق الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

[١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصيتنا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

[١١٩] ﴿فَعَلِبُوا هُنَاكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾، ذليلين مقهورين.

[١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ الله تعالى. قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا

قرأ حمزة، والكسائي (سحار) ههنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار، قيل: الساحر الذي يَعْلَمُ السحر ولا يُعْلَمُ، والسحار الذي يَعْلَمُ. وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر. قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نُغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحراً كثيراً وواعد فرعون موسى موعداً فبعث إلى السحرة فجاؤوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى به، واختلفوا في عددهم فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني إسرائيل. وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً. وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: كان رئيس السحرة يوحنا.

[١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحْرَةُ وَعُرُونَ﴾ واجتمعوا، ﴿قَالُوا﴾، لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، أي: جُعلاً ومالاً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، قرأ أهل الحجاز وحفص ﴿إِنَّ لَنَا﴾ على الخبر، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

كانهم ألقوا.

[١٢٢، ١٢١] ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة: تؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لأتین بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأؤمنن بك، وفرعون ينظر.

[١٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿فِرْعَوْنُ﴾ حين آمنوا ﴿ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ﴾، قرأ حفص ﴿ءَأَمَّنْتُمْ﴾ على الخبر ههنا وفي طه والشعراء، وقرأ الآخرون بالاستفهام أمتمت به، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ﴾، أصدقتم موسى من غير أمري إياكم، ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومَةٌ﴾، أي: صنع صنعتموه أنتم وموسى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ سَوْفَ تَعْمَلُونَ ما أفعل بكم.

[١٢٤] ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾، وهو أن يقطع من كل شق طرفاً. قال الكلبي: لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، على شاطئ نهر مصر.

[١٢٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة لفرعون، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾، راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿وَمَا نَقِمُ مِنْهَا﴾، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: مالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِإِيَاتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ ثم فرعوا إلى الله عز وجل فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى: (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون).

[١٢٧] ﴿وَقَالَ السُّلَيْمَانُ﴾ له ﴿أَنذَرْتُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُتَسَبَّحُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿وَيَذَرُكَ﴾، أي: وليذرك، ﴿وَأَهْلَهُتْ﴾،

الْبُرْجَانِ

١٦٥

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومَةٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِإِيَاتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَءَاهْلَهُتْ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

فلا يعبدك ولا يعبدك. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً. وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليباً يعبده، وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، فذلك قوله: (أنا ربكم الأعلى)، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَاهْلَهُتْ﴾، بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعْبَد ولا يُعْبَد وقيل: أراد بالآلهة الشمس. وكانوا يعبدونها.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز: (سنقتل) بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير، ﴿وَنَسْتَجِيءُ نِسَاءَهُمْ﴾، تتركنهن أحياء، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

فَهَرُونَ ﴿١٢٨﴾، غالبون. قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له أنه يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة، وكان، من أمره ما كان، فقال فرعون: أعيّدوا عليهم القتل، فأعادوا عليهم القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

[١٢٩] ﴿قَالُوا أَوَدِينَا﴾، قال ابن عباس: لما أمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقالوا - يعني قوم موسى - إنا أودينا، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا﴾، بإعادة القتل علينا. وقيل: فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللّبن بتبن فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بتبن من عندهم. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، فرعون، ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأمورهم فعبدوا العجل.

[١٣٠] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينَ﴾، أي: بالجذب والقحط. تقول العرب: مستهم السنة، أي: جذب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، والغلات بالآفات والعاهات. وقال قتادة: أمّا السنين فلاهل البوادي، وأمّا نقص الثمرات فلاهل الأمصار، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾،

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، فرعون، ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأمورهم فعبدوا العجل.

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا إِنَّا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿قَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَىٰ أَدْعُ لِنَارِنَا كَمَا دَعَا رَبُّكَ إِذْ يَمَآعِدُكَ عِنْدَكَ لِيُنزِلَ إِلَيْكَ مِن سَمَوَاتِ سَمَاءٍ مِّن مَّوَدِّعٍ يَخْرِقُ بِالْحَبْلِ السَّمَاءَ ثَمَّ يُدْرِكُهَا فَيَنزِلُ عَلَيْهَا حِجَابٌ قَدِيمٌ غَضُوبٌ يُدْرِكُ الْعُيُونَ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا شَدِيدًا﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿وَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هَمَّ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمُ غَافِرَتَهُمْ فِي الْيَوْمِ بِآيَاتِنَا وَأَكْفَرُوا بِنَا وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾

أي: يتعظون وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عزّ وجلّ.

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحُسْنَىٰ﴾، يعني الخصب والسعة والعافية، ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً من الله عزّ وجلّ فيشكروا عليها، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، جذب وبلاء ورأوا ما يكرهون، ﴿يَطَّيَّرُوا﴾، يتشاءموا، ﴿بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾، وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: انصباؤهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس: طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم. وفي رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قيل الله أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم

والزرع والثمر وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبًا، فلم يؤمنوا وأقاموا شهرًا في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلي الجراد بالجوع، فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضحجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يؤفوا بما عاهدوا وعادوا لأعمالهم السوء فأقاموا شهرًا في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا فيه فقيل: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة، وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدَّبي والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدَّبي الصغار التي لا أجنحة لها وقال أبو عبيدة: وهو الحمنان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ أبو الحسن (القَمَلُ) بفتح القاف وسكون الميم فتنبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله فصرخوا وصاحوا إلى موسى أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا: وعزة فرعون لا تتبعه أبدًا ولا نصدقه، فأقاموا شهرًا في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتألت منها بيوتهم وأفئنتهم وأطعمتهم وآتيتهم، فلا يكشف أحد إناءً ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع فلقوا منها أدىً شديدًا فلما رأوا ذلك بكوا

العظيم الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن الذي أصابهم من الله، [١٣٢] ﴿وَيَقُولُوا﴾، يعني: القبط لموسى، ﴿مَهْمَا﴾، متى (ما) كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ عَالِمٍ﴾، من علامة، ﴿لَمَسَّحِبًا يَكُومُ﴾، لتنتقلنا عمدًا نحن عليه من الدين، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[١٣٣] ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ عَالِمٍ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة ومحمد بن إسحاق: دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوبًا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتماذي في الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عالج منهم بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمةً ولقومي عظةً ولمن بعدهم آيةً وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان - وهو الماء - أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة، فامتألت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وركد الماء على أرضهم لا يقدر أن يحرثوا ولا يعملوا شيئًا، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم، فقال لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فأثبت الله لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبت لهم قبل ذلك من الكلاء

عن آياتنا معرضين.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾،

يُقهرون وَيُستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو إسرائيل، ﴿مَشْرُفَ الْأَرْضِ

وَمَعْرِبَهَا﴾، يعني مصر والشام، ﴿الَّتِي بَنَرْنَا

فِيهَا﴾، بالماء والأشجار والثمار والخصب

والسعة، ﴿وَوَمَتَّ كِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْقَىٰ عَلَىٰ بَنِي

إِسْرَائِيلَ﴾، يعني: وقت كلمة الله وهي وعده إياهم

بالنصر والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى:

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض)

الآية ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، على دينهم وعلى عذاب

فرعون، ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أهلكتنا ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ

فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾، في أرض مصر من العمارات،

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، قال مجاهد: بينون من

البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من

الأشجار والثمار والأعنان، وقرأ ابن عامر وأبو

بكر (يعرشون) بضم الراء ها هنا وفي النحل، وقرأ

الآخرون بكسرها.

[١٣٨] قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ

الْبَحْرَ﴾، قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم

عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله

عز وجل ﴿فَأَتَوْا﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾،

يقيمون، قرأ حمزة والكسائي (يعكفون) بكسر

الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿عَلَىٰ

أَصْنَارٍ﴾، أو ثان ﴿لَهُمْ﴾، يعبدونها من دون الله.

قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول

شأن العجل. قال قتادة: كان أولئك القوم من

لخم وكانوا نزولاً بالرقعة، فقالت بنو إسرائيل لما

رأوا ذلك، ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾؛ أي

مثلاً لعبده ﴿كَمَا هُمْ ءَالِهَةٌ﴾، ولم يكن ذلك شكاً

من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه اجعل

لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة

وشكوا ذلك إلى موسى، وقالوا: هذه المرة نتوب

ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه

فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعا من السبت

إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهد

وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله

عليهم الدم، فسال النيل عليهم دمًا وصارت مياههم

دمًا وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دمًا

عبيطاً أحمر، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون

إلا الدم. وقال زيد بن أسلم: الدم الذي سلط

عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى وقالوا: يا موسى

ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن بك ونرسل

معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم

فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الطُوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾،

يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد

أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾، أي: نزل بهم

العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان

وغيره.. وقال سعيد بن جبيرة: الرجز الطاعون،

وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى

مات منهم سبعون ألفاً في يوم أحد فأمسوا وهم لا

يتدافعون، ﴿قَالُوا﴾ لموسى ﴿يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا

عَهِدَ عِنْدَكَ﴾، أي: بما أوصاك. وقال عطاء: بما

نبأك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾، وهو الطاعون،

﴿لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلِتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[١٣٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُونَ﴾، يعني إلى الغرق في

اليم، ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾، ينقضون العهد.

[١٣٦] ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي أَيْمِهِ﴾، يعني

البحر، ﴿بِأَيْمِهِمْ كَذَّبُوا بِتَايُنِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾،

أي: عن النعمة قبل حلولها غافلين. وقيل: معناه

سورة الأعراف

١٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَجَنُوزًا بِسَبِيٍّ إِسْرَءِيلَ بِالْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْسُو أَجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ فِيمَا وَسَّطُوا لَكُمْ وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ يَعْنِي مُوسَى ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَيْبِيكُمْ﴾، أَي: أَبْغَى لَكُمْ وَأَطْلَب، ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أَي: عَلَى عَالَمِي زَمَانِكُمْ.

[١٤١] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَيْبَيْتَكُمْ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿أَيْبَيْتَكُمْ﴾، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مِصْحَفِ أَهْلِ الشَّامِ، ﴿مَنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، قَرَأَ نَافِعٌ (يَقْتُلُونَ) خَفِيفَةَ التَّاءِ مِنَ الْقَتْلِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّشْدِيدِ عَلَى التَّكْثِيرِ مِنَ التَّقْتِيلِ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، ذَا الْقَعْدَةِ، ﴿وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ﴾، مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعِيكَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عِنْدَ انْطِلَاقِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ ﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي﴾، كُنْ خَلِيفَتِي، ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾، أَي: أَصْلِحْهُمْ بِحَمَلِكِ إِيَّاهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ الرِّفْقَ بِهِمْ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أَي: لَا تَطْعُ مِنْ عَصَى اللَّهِ وَلَا تَوَافِقْهُ عَلَى أَمْرِهِ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بِمِصْرَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ أَتَاهُمْ بِكِتَابٍ فِيهِ بَيَانٌ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَذْرُونَ! فَلَمَّا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ الْكِتَابَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمَّا تَمَّتْ ثَلَاثُونَ أَنْكَرَ حُلُوفَ فَمَهَ فَتَسَوَّكَ بَعُودَ خُرُوبٍ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَكَلَ مِنْ لِحَاءِ شَجَرَةٍ فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كُنَّا نَشْمُ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةَ الْمَسْكِ، فَأَفْسَدَتْهُ بِالسُّوَاكِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصُومَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَقَالَ: أَمَا

علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وكانت فتنتهم في العشر التي زادها.

[١٤٣] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي ضَرَبْنَا لَهُ أَنْ نَكَلِمَهُ فِيهِ. قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَطَهَّرَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ لِمِيعَادِ رَبِّهِ فَلَمَّا أَتَى طُورَ سَيْنَاءَ وَكَلِمَهُ اللَّهُ وَنَاجَاهُ حَتَّى أَسْمَعَهُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ فَلَمْ يَسْمَعْ مَا كَلِمَهُ رَبُّهُ وَأَدْنَاهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ الْقَلَمِ فَاسْتَحْلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَ رَبِّهِ وَاشْتَقَ إِلَى رُؤْيَتِهِ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، قَالَ الزَّجَّاجُ: فِيهِ إِخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ أَرِنِي نَفْسَكَ أَنْظُرْ إِلَيْكَ.

قال ابن عباس: أعطني أنظر إليك فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظنًا منه أنه يجوز أن يرى في

جهلهم. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، عظمة الله.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ﴾، مُهْلِكٌ، ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾، وَالتَّبَتِيرُ الإِهْلَاكُ، ﴿وَيَسَّطُوا﴾، مِزْمَحْلُ وَزَائِلٌ، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ﴾ يَعْنِي مُوسَى ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَيْبِيكُمْ﴾، أَي: أَبْغَى لَكُمْ وَأَطْلَب، ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أَي: عَلَى عَالَمِي زَمَانِكُمْ.

[١٤١] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَيْبَيْتَكُمْ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿أَيْبَيْتَكُمْ﴾، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مِصْحَفِ أَهْلِ الشَّامِ، ﴿مَنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، قَرَأَ نَافِعٌ (يَقْتُلُونَ) خَفِيفَةَ التَّاءِ مِنَ الْقَتْلِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّشْدِيدِ عَلَى التَّكْثِيرِ مِنَ التَّقْتِيلِ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، ذَا الْقَعْدَةِ، ﴿وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ﴾، مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعِيكَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عِنْدَ انْطِلَاقِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ ﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي﴾، كُنْ خَلِيفَتِي، ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾، أَي: أَصْلِحْهُمْ بِحَمَلِكِ إِيَّاهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ الرِّفْقَ بِهِمْ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أَي: لَا تَطْعُ مِنْ عَصَى اللَّهِ وَلَا تَوَافِقْهُ عَلَى أَمْرِهِ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بِمِصْرَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ أَتَاهُمْ بِكِتَابٍ فِيهِ بَيَانٌ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَذْرُونَ! فَلَمَّا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ الْكِتَابَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمَّا تَمَّتْ ثَلَاثُونَ أَنْكَرَ حُلُوفَ فَمَهَ فَتَسَوَّكَ بَعُودَ خُرُوبٍ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَكَلَ مِنْ لِحَاءِ شَجَرَةٍ فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كُنَّا نَشْمُ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةَ الْمَسْكِ، فَأَفْسَدَتْهُ بِالسُّوَاكِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصُومَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَقَالَ: أَمَا



الدنيا ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ وليس لبشر أن يطبق النظر إليَّ في الدنيا من نظر إليَّ في الدنيا مات فقال: إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إليَّ من أن أعيش ولا أراك فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ﴾، وهو أعظم جبل، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾، ولن تكون للتأييد، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أرى حتى يكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمُعلَق بما لا يستحيل لا يكون محالاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا بَحَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، قال ابن عباس: ظهر نور ربِّه للجبل جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبدالله بن سلام وكعب الأحرار: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال هكذا، ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل<sup>(١)</sup>.

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً، أي: مستويًا بالأرض. قرأ حمزة والكسائي ﴿دَكًّا﴾ ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، وافق عاصم في الكهف، وقرأ الآخرون (دكاً) مقصوراً منوناً فمن قَصَرَ فمعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكه الله دكاً أي: فنته كما قال: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ

الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)، ومن قرأ بالمد أي جعله مستويًا أرضاً دكاً. وقيل: معناه جعله مثل دكاء الناقة التي لا سنام لها قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبلاً صغاراً قوله عز وجل: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعْقَةً﴾، قال ابن عباس والحسن: مغشياً عليه. وقال قتادة: ميتاً. وقال الكلبي: خر موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر ﴿لَمَّا أَفَاقَ﴾، موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً لا ينبغي له، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ أَلْمُؤْمِنِينَ﴾، بأنك لا ترى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل.

[١٤٤] ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾، اخترتك على الناس، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِنِّي﴾ بفتح الياء وكذلك (أخي اشدد)، ﴿بِرِسَالَتِي﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرون بالجمع، ﴿وَيَكَلِّمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾، أعطيتك، ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾، الله على نعمه، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾، وقد أعطى غيره الرسالة؟ قيل: لَمَّا لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول للرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً.

[١٤٥] قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾، يعني لموسى، ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد الألواح التوراة قال الحسن: كانت الألواح من (١) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٥١/٨ وقال: حديث حسن صحيح غريب. والحاكم في المستدرک ٣٢٠/٢.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٦٨

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ  
فَخَذُ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا  
لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ  
شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِحَسْنِهَا سَأُورِيكَ  
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ  
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا  
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا لَيَخْذُوهُ سَيِّئًا وَإِنْ يَرَوْا  
سَيِّئًا لَفِي سَبِيلِ الرُّشْدِ لَا يَخْذُوهُ سَيِّئًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ  
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ  
عِجَالًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمِيزُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا يَهْدِيهِمْ  
سَبِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ  
فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا  
رَبُّنَا وَعَفِرْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

حتى لا يؤمنوا بي، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي  
والتصديق بها، عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم  
للحق، كقوله: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم). قال ابن  
سفيان بن عيينة: سأمنعهم فهم القرآن. قال ابن  
جريج: يعني عن خلق السموات والأرض وما  
فيهما، أي سأصرفهم أن يفكروا فيها ويعتبروا  
بها. وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد  
بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى موسى  
عليه السلام. والأكثر على أن الآية عامة ﴿وَإِنْ  
يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا﴾، يعني  
هؤلاء المتكبرين ﴿سَبِيلِ الرُّشْدِ﴾، قرأ حمزة  
والكسائي (الرُّشْدِ) بفتح الراء والشين، والآخرون  
بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالشقم  
والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن. وكان  
أبو عمرو يفرق بينهما، فيقول: الرشد بالضم

خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء.  
وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر. وقال  
الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. وقال ابن  
جريج: كانت من زمرد ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما  
أمروا به ونهوا عنه، ﴿مَوْعِظَةً﴾ نهيًا عن الجهل،  
وحقيقة الموعظة: التذكير والتحذير بما يخاف  
عاقبته، ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: تبينًا لكل  
شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود  
والأحكام. ﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجِدِّ واجتهاد.  
وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه  
بضعف النية أذاه إلى الفتور، ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا  
بِحَسْنِهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله  
عنهما: يُحَلُّوا حلالها ويُحَرِّمُوا حرامها ويتدبروا  
أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابها.  
وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه، فأمر  
بما لم يؤمروا به. قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها  
وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل،  
وهي ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه  
لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها بأحسن  
الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص  
والصبر أحسن من الانتصار. ﴿سَأُورِيكَ دَارَ  
الْفَاسِقِينَ﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة قال  
الحسن وعطاء: يعني جهنم، يحذركم أن تكونوا  
مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم  
منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا  
بها. قال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي  
مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: (سأورثكم  
دار الفاسقين)، وقال السدي: دار الفاسقين مصارع  
الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من  
منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ  
يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس:  
يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي

على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، يتب علينا ربنا، ﴿وَيَعْفِرْ لَنَا﴾، يتجاوز عنا، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (ترحمنا وتغفر لنا) بالتاء فيهما، ﴿رَبَّنَا﴾ بنصب الباء. وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

[١٥٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، قال أبو الدرداء: الأسف: شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفا أي حزينا. والأسف أشد الحزن. ﴿قَالَ يَسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾، أي: بس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا، ﴿أَعَجَلْتُمْ﴾، أسبقتم ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. ﴿وَأَلْفَىٰ الْأَلْوَابِ﴾، التي فيها التوراة وكان حاملا لها، وألقاها على الأرض من شدة الغضب. قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه الموعدة والأحكام والحلال والحرام، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾، بذوائبه ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان ليِّن الغضب. ﴿قَالَ﴾ هارون عند ذلك، ﴿إِبْنُ أُمَّ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام هاهنا وفي طه بكسر الميم، يريد يا ابن أُمِّي فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله: (يا عباد) وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أمه. وقيل: جعله اسما واحداً وبناه على الفتح، كقولهم: حضر موت وخمسة عشر ونحوهما، وإنما قال ابن أمّ وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه

الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين. معنى الآية: وإن يروا طريق الهدى والسداد، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ﴾ لأنفسهم ﴿سَبِيلًا﴾، ﴿وَأَن يَرَوْا سَبِيلَ آتَىٰ﴾ أي طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، بطلت وصارت كأن لم تكن، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في العقبي ﴿إِلَّا مَا كَانُوا﴾، أي: إلا جزاء ما كانوا ﴿يَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا.

[١٤٨] قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿مِنَ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون. قرأ حمزة والكسائي (مِنَ حِلْيِهِمْ) بكسر الحاء وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام، واتخذ السامري منها ﴿عَجَلًا﴾، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلاً، ﴿جَسَدًا﴾، حياً لحمًا ودمًا ﴿لَهُمْ خُورٌ﴾، وهو صوت البقر، وهذا قول ابن عباس والحسن وقاتدة وجماعة أهل التفسير. وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت. وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج، والأول أصح. وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: كان يخور كثيراً كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، ﴿أُمَّ يَرُوءَا﴾، يعني: الذين عبدوا العجل ﴿أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. قال الله عز وجل: ﴿أَتَّخِذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾، أي: اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾، أي: ندموا

سورة الأعراف

١٦٩

سورة الأعراف

وَيَسْتَعْطِفُهُ. وَقِيلَ: كَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ دُونَ أَبِيهِ، ﴿إِنَّ  
 الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾، يَعْنِي عَبْدَةَ الْعَجَلِ، ﴿وَكَاذِبًا  
 يَقْتُلُونَنِي﴾، هُمَا وَقَارِبُوا أَنْ يَقْتُلُونِي، ﴿فَلَا تُشْمِتُ  
 بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي فِي مَوَاحِذِكَ عَلَيَّ مَعَ  
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يَعْنِي عَبْدَةَ الْعَجَلِ.

[١٥١] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى لِمَا تَبَيَّنَ لَهُ عِذْرُ أَخِيهِ،  
 ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي﴾، مَا صَنَعْتَ إِلَيَّ أَخِي ﴿وَلِأَخِي﴾،  
 إِنْ كَانَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى عَبْدَةَ الْعَجَلِ،  
 ﴿وَأَدْخَلْنَا﴾ جَمِيعًا ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
 الرَّحِيمِينَ﴾.

[١٥٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ﴾  
 أَي: اتَّخَذُوهُ لَهَا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾، فِي  
 الْآخِرَةِ ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: هُوَ  
 مَا أَمْرُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ. وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ:  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ﴾ أَرَادَ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي  
 عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَيْرَهُمْ بِصَنِيعِ آبَائِهِمْ فَنَسَبَهُ إِلَيْهِمْ  
 ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
 أَرَادَ مَا أَصَابَ بَنِي قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرَ مِنَ الْقَتْلِ  
 وَالْجَلَاءِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ  
 الْجِزْيَةُ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، الْكَاذِبِينَ، قَالَ أَبُو  
 قَلَابَةَ: هُوَ وَاللَّهُ جَزَاءُ كُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ  
 يَذَلَّهُ اللَّهُ. قَالَ سَفِيانُ بْنُ عَيْيَنَةَ: هَذَا فِي كُلِّ مُبْتَدِعٍ  
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[١٥٣] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ  
 تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٥٤] قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾،  
 أَي: سَكَنَ، ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾،  
 الَّتِي كَانَتْ أَلْفَاها وَقَدْ ذَهَبَتْ سِتَّةَ أَسْبَاعِها، ﴿وَفِي  
 سُخْرِيهَا﴾، اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ: أَرَادَ بِهَا الْأَلْوَابَ لِأَنَّها  
 نَسَخَتْ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَقِيلَ: إِنْ مُوسَى لَمَّا  
 أَلْقَى الْأَلْوَابَ تَكَسَّرَتْ فَنَسَخَ مِنْهَا نَسْخَةً أُخْرَى فَهُوَ  
 الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَفِي سُخْرِيهَا﴾ وَقِيلَ: أَرَادَ وَفِيما  
 نَسَخَ مِنْهَا. وَقَالَ عَطَاءٌ: فِيما بَقِيَ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ

عباس وعمرو بن دينار: لما ألقى موسى الألواح  
 فكسرت صام أربعين يومًا فردت عليه في لوحين  
 فكان فيه، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، أَي: هُدًى من  
 الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ  
 يَرْهَبُونَ﴾، أَي: لِلخائفين من ربهم، واللام في  
 (لربهم) زيادة توكيد، كقوله: (رَدَفَ لَكُمْ)، وقال  
 الكسائي: لما تقدمت قبل الفعل حسنت، كقوله:  
 (للرؤيا تعبرون)، وقال قطرب: أَرَادَ مِنْ رَبِّهِمْ  
 يَرْهَبُونَ. وَقِيلَ: أَرَادَ رَاهِبُونَ. وَقِيلَ: أَرَادَ رَاهِبُونَ  
 لِرَبِّهِمْ.

[١٥٥] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِخْرَاجَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أَي:  
 مِنْ قَوْمِهِ فَانْتَصَبَ لِنَزْعِ حَرْفِ الصَّفَةِ. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا  
 لِّمِيقَاتِنَا﴾، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا  
 الْعَجَلَ. قَالَ السُّدِّيُّ: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى أَنْ يَأْتِيَهُ  
 فِي نَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٠

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نَائِلُكَ قَالَ عَدَائِي أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَفَسَاكَتْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِتَابِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُنَا﴾، أي: التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك أضللت بها قومًا فافتنوا وهديت قومًا فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَهَدِي مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا﴾، ناصرنا وحافظنا، ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[١٥٦] ﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا﴾ أوجب لنا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، النعمة والعافية، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: وفي الآخرة ﴿حَسَنَةً﴾، المغفرة والجنة، ﴿إِنَّا هُنَا نَائِلُكَ﴾، أي: تبنا إليك، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿عَدَائِي أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ﴾، من خلقي، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ أي عمت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾، قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البرِّ والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. وقال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون،

العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلًا، ﴿فَلَمَّا﴾ أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على مَنْ تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ لأنهم لم يُزايِلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر. وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) كانوا قبل السبعين رجلًا الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار من قومه سبعين رجلًا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. قال وهب: لم تكن الرجفة صوتًا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تبين مفاصلهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، فاشتد عليه فقتلهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَ﴾، يعني موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني عن عبادة العجل، ﴿وَأَنْتَى﴾ بقتل القبطي. ﴿أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، يعني عبدة العجل، وظن موسى أنهم عوقبوا باتخاذهم العجل، وقال هذا على طريق السؤال يسأل: أتهلكنا بفعل السفهاء؟ وقال المبرد: قوله ﴿أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف، أي: لا تهلكتنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره. قوله

ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمدادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد، يأتزون على أنصافهم ويؤصؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جوف السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإيمان، ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: عن الشرك وقيل: المعروف الشريعة والسنة، والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف: بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام، ﴿وَيُحَدِّثُ لَهُمُ الطَّبَيِّتِ﴾، يعني: ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾، يعني: الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيرها من المحرمات، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر (أصأرهم) بالجمع، والإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل. قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد: يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. وقال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، ﴿وَالْأَعْلَالِ﴾، يعني الأثقال ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا

وذلك أن الكافر يزرق ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتدة وابن جريج: لما نزلت: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾

وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب. وقال النبي ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»<sup>(١)</sup>، وهو منسوب إلى الأم أي: هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أمتي فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُمْ﴾ أي: يجدون صفته وبعته ونبوته، ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبداً بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبدني ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.<sup>(٢)</sup> وعن كعب رضي الله عنه قال: إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة

(١) رواه البخاري في الصوم ١٢٦/٤، ومسلم في كتاب الصيام رقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢ والمصنف في شرح السنة ٦/٢٢٨. (٢) أخرجه البخاري في البيوع ٣٤٢/٤ وفي تفسير سورة الفتح ٥٨٥/٨. (٣) أخرجه الدارمي في المقدمة ١/٥ وابن سعد في الطبقات ١/٣٦٠ والبغوي في المصابيح ٤/٣٦ وانظر مشكاة المصابيح ٣/١٦٠٧.

في الكنائس وغير ذلك من الشدائد، وشبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾، أي: بمحمد ﷺ، ﴿وَعَزَّوهُ﴾، وقروه، ﴿وَنَصَرُوهُ﴾، على الأعداء، ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾، أي: آياته وهي القرآن. وقال مجاهد والسدي: يعني عيسى ابن مريم. ويقرأ (كلمته). ﴿وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٥٩] قوله عز وجل: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى﴾، يعني: بني إسرائيل، ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ﴾، أي: يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، ﴿وَبِهِ يَهْتَدُونَ﴾، أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

[١٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾، أي: فرقناهم، يعني بني إسرائيل ﴿أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، قال الفراء: إنما قال ﴿أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، والسبط مذكر لأنه قال: ﴿أُمَمًا﴾ فرجع التأنيث إلى الأمم. وقال الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة أممًا، وإنما قال ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أثنائي اثنا عشر رجلًا لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أممًا. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقطعناهم أسباطًا أممًا اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحدها سبط. قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾، في التيه، ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فأنجست،

﴿الْحَجَرَ﴾

١٧١

﴿الْحَجَرَ﴾

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فأنجست منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم النعم وأنزلنا عليهم المن والسلاوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿١٦١﴾ وإذ قيل لهم أسكنوا هذه القرية وكولوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وأدخلوا الباب سجداً نعفر لكم خطيئكم سزیداً للمحسنين ﴿١٦٢﴾ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون ﴿١٦٣﴾ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سببتهم شرعاً ويوم لا يسئتون لآتائيتهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴿١٦٤﴾

انفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانجاس، ثم انفجرت، ﴿مِنَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، لكل سبط عين، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾، كل سبط، ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾، وكل سبط بنو أب واحد. قوله تعالى: ﴿وَضَلَلْنَا عَلَيْهِمُ النِّعَمَ﴾ في التيه تقيهم حرّ الشمس، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وكولوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وأدخلوا الباب سجداً نعفر لكم، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: (تغفر) بالياء وضما وفتح الفاء. وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾، قرأ ابن عامر (خطيئتكم) على التوحيد ورفع التاء، وقرأ أبو عمرو: (خطاياكم)،

وثالث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة فقسما القرية بجدار: للمسلمين باب، وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأنًا لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار فإذا هم قرده فعرفت القروذ أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القروذ، فجعلت القروذ تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم نهكم فتقول برأسها نعم، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا، قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيئ، قبل أن ينزل بكم العذاب وأنا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، ﴿أَوْ﴾ علمتم أنه ﴿مَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ أي: قال الناهون ﴿مَعَذِرَةٌ﴾ أي: موعظتنا معذرة ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، قرأ حفص: ﴿مَعَذِرَةٌ﴾ بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساكنة، قالوا لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرًا إلى الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: يتقوا الله ويتركوا المعصية ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا ما وعظوا به ﴿أَجْمِئًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّعْرِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني الفرقة العاصية، ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة. واختلف القراء فيه: قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿بِئِيسٍ﴾ بكسر الياء على وزن فعل، إلا أن ابن

وقرأ أهل المدينة ويعقوب: (خطيئاًتكم) بالجمع ورفع التاء، وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء. ﴿سَزَيْدٌ مِّنْهُنَّ﴾.

[١٦٦] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾، عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُظْلَمُونَ﴾.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قيل: هي مدين، أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر، أي: بقره. قال ابن عباس: هي قرية يقال لها إيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر. وقال الزهري: هي طبرية الشام. ﴿إِذْ يَعِدُوكِ فِي السَّبْتِ﴾، أي: يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع. وقال الضحاك: متتابعة. وفي القصة: أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾، كإتيانهم يوم السبت، قرأ الحسن: (لا يُسْتَوُونَ) بضم الياء أي لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه لا يعظمون السبت، ﴿كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ﴾، نخبرهم، ﴿يَمَا كَانُوا يَسْقُوتُونَ﴾، فوسوس إليهم الشيطان وقال: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا أو قيل: وسوس إليهم أنكم إنما نهيتم عن الأخذ، فاتخذوا حياضًا على شاطئ البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت ثم تأخذونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زمانًا ثم تجرؤوا على السبت وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وباعوا، فصار أهل القرية أثلثًا وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ،



عامر يهزمه، وأبو جعفر ونافع لا يهزمان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فيعل مثل بعير وصغير، ﴿يَمَا كَانُوا يَسْتَفْتُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول ﴿أَجْبَسْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْبِيسٍ﴾، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة؟ قال عكرمة: قلت له: جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم، وإن لم يقل الله أنجيتهم فلم يقل: أهلكتهم فأعجبه قولي فرضي وأمر لي بِرُدَيْتَيْنِ فكسانيهما، وقال: نجت الفرقة الساكتة. وقال يمان بن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لِمَ تعظون قوماً والذين قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر. [١٦٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾،

قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿فَلَمَّا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ النَّاسَ ثُمَّ هَلَكُوا﴾، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام

ينظر إليهم الناس ثم هلكوا. [١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، أي: آذن وأعلم ربك، يقال: تأذن وآذن مثل توعد وأوعد. وقال ابن عباس: تأذن ربك قال ربك. وقال مجاهد: أمر ربك. وقال عطاء: حكم ربك. ﴿يَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي: على اليهود، ﴿مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، بعث الله عليهم محمداً ﷺ وأمته يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾، وفرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾، فرقاً فرقههم الله فشتت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة ﴿وَمِنْهُمْ أَصْلِحُونَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ

وَأَذَّكَتْ أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكَ وَعَلَّامُ الْبُتُونِ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَسْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْبِيسٍ يَمَا كَانُوا يَسْتَفْتُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ أَصْلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَإِنْ يُاتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ الرُّسُلُ وَخَلْفَهُمْ مِمَّنْ تَرَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُّونَ الْكِتَابَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٢﴾

وآمنوا به، ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني الذين بقوا على الكفر ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾، بالخصب والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾، الجذب والشدة، ﴿وَعَلَّامُ الْبُتُونِ﴾، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا.

[١٦٩] قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ﴾، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿خَلْفٌ﴾، والخلف: القرن الذي يجيء بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلف بسكون اللام الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلف بفتح اللام: البديل سواء كان ولداً أو غريباً. وقال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح: الصالح، وبالجزم: الطالح. وقال النضر بن شميل: الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد، وأما في القرن الصالح فبتحريك اللام لا غير. وقال محمد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١٧٣

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾  
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا قَاتِبِعَةَ الْأَشَّيْطَانِ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إِذْ قَلَّ مَا يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

[١٧١] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، أي: فلقنا الجبل. وقيل: رفعناه ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾، قال عطاء: سقيفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿وَظَنُوا﴾، علموا ﴿وَأَقَامُوا﴾، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، بجهد واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، واعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، ورفع الله

ابن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الدم بتسكينها وقد يُحرك في الدم ويُسكن في المدح. ﴿وَرَبُّوْا الْكِتَابَ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آباؤهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، فالعرض متاع الدنيا، والعرض بسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير، وأراد بالأدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا، وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بها بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقصون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم فيقال له: مالك ترتشي؟ فيقول: سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضًا، يقول: وإن يأت الآخرون عرض مثله يأخذوه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي أخذ عليهم العهد في التوراة ألا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودرسُ الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّذِينَ يَنْتَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: (يُمَسِكُونَ) بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لأنه يقال: مسكت بالشيء، ولا يقال: أمسكت بالشيء، إنما يقال: أمسكته، وقرأ أبي بن كعب: (وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ)، على الماضي

عمرو: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، واختلفوا في قوله: ﴿شَهَدْنَا﴾ قال السدي: هو خير من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية: بلى، قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، وقوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لثلاث يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أخاطبكم ألسنتُ بربكم لثلاث تقولوا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد ولزمته الحجة، وبنيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

[١٧٣] قوله تعالى: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لثلاث تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آبائنا من قبل ونقضوا العهد وكنّا ذرية من بعدهم، أي: كنّا أتباعًا لهم فاقنديناهم فتجعلوا هذا عذرًا لأنفسكم وتقولوا، ﴿فَنُهَلِكُمْ بِمَا فَعَلْتُمُ الْمُبْطِلُونَ﴾، أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

على رؤوسهم جبالًا. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدًا على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجد يهوديًا إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: فقيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»<sup>(١)</sup>، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، ونصب التاء، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إنّ الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره. قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض. قوله: ﴿شَهَدْنَا أَنْ نَقُولُوا﴾، قرأ أبو

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب في القدر ٧١/٧ والترمذي في تفسير سورة الأعراف ٤٥٢/٨-٤٥٥ وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم ٢٧/١ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤/١، ٤٥، والمصنف في شرح السنة ١/١٣٩ والأجري في الشريعة ص ١٧٠.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نُبيِّن الآيات ليتدبرها العباد، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، من الكفر إلى التوحيد.

[١٧٥] قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا﴾ الآية، اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد: بلعام ابن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل وروى عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء، قال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادعُ الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكريهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لم تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبر الملك، فقال: لتدعون عليه أو لأصلبكن، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: ألا يدخل المدينة، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: ﴿فَأَنسَلَخْ مِنْهَا﴾، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً فرجاً أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به. وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل

لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾. قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسلخ، أي: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿فَأَنبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، أي: لحقه وأدركه، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض ههنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض ﴿وَأَتَّبَعَهُ هَوْنَهُ﴾، انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟ قوله تعالى: ﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾، يقال: لهث الكلب يلهث لهثاً إذا لدع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب: إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً وإن ترك وريص كان لاهثاً، قال القتيبي: كل

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١٧٤

سُورَةُ الْاَعْرَافِ

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٤﴾  
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُدْعُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَاجِدُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٥﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ آيَاتٌ كِيدِي مَتِينٌ ﴿١٧٨﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بَصَّحْتُمْ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧٩﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا أَقْرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعُدُوا بِؤْمُوتِهِمْ ﴿١٨٠﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨١﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ فَنِيَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْإِبْرَغَةُ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتْمٌ عِنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

فقال: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تُمَيِّزُ بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندةً مع العلم بالهلاك، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله في صلته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يدعون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَسَعَةٌ وَتَسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مِنْ أَحْصَاها دَخَلَ

شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وفي حالة الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواءً عليكم أَدْعَوْتُمُوهم أم أنتم صَامِتُونَ)، ثم عمَّ بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أودعوا.

[١٧٧] ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: بس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرُفِعَ، ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها وقيل: اللام في قوله ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم، كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)، ثم وصفهم فقال: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، أي: لا يعلمون بها الخير والهدى، ﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقْتِصَارِ عَلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ،

الثوري: نسبغ عليهم النعمة ونسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء.

[١٨٣] ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليمتادوا في المعاصي، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَيِّنٌ﴾، أي: إن أخذي قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل: نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة.

[١٨٤] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِنَّةٍ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يُصوت إلى الصباح، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾، محمد ﷺ: ﴿مِنْ حِنَّةٍ﴾ جنون. ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال:

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، فيهما، ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، أي وينظروا إلى ما خلق الله من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصيروا إلى العذاب، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون، يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدّقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علة إعراضهم عن الإيمان فقال:

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرُهُمْ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ

الجنة، إنه وتر يحب الوتر<sup>(١)</sup> ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قرأ حمزة (يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء حيث كان، وافقه الكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد: هو الميل عن المقصد، يقال: ألحد يُلحد إلحاداً، ولحد يُلحد لحدوداً إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عمّا هي عليه، فسَمّوا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يُسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، وجملته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يُسمى جواد ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولا يسمى رقيقاً، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾، أي: عصابة، ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنُنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من ما منهم، كما قال: (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)، قال الكلبي: يُزين لهم أعمالهم ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة. قال سفيان

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ١١/٢١٤ وفي الشروط وفي التوحيد ومسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٧٧) ٤/٢٠٦٢ والمصنف في شرح السنة ٣٠/٥.

وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴿١٨٧﴾ أي: لو كنت أعلم الخصب والجذب (لاستكثرت من الخير) أي: من المال لسنة القحط (وما مسني السوء)، أي: الضر والفقير والجوع. وقال ابن جريج: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) يعني الهدى والضلالة (ولو كنت أعلم الغيب)، أي: متى أموت لاستكثرت من الخير، يعني: من العمل الصالح، وما مسني السوء. قال ابن زيد: واجتنبت ما يكون من الشر واتقته. وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم. وقيل: وما مسني السوء ابتداء يريد: ما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسونه إلى الجنون. ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿وَنَشِيرٌ﴾، بالجنة، ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون.

[١٨٩] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني من آدم، ﴿وَجَعَلَ﴾، وخلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ليأنس بها ويأوي إليها، ﴿فَلَمَّا تَفَسَّنَا﴾، أي: واقعها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾، وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيا عليها، ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به ولم يتقلها، ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها وذنن ولادتها، ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لَئِنْ ءَاتَيْنَا يَا رَبَّنَا صَالِحًا﴾، أي: بشرا سويا مثلنا، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا﴾، بشرا سويا ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر (شركا) بكسر الشين والتونين، أي: شركة، قال أبو عبيدة: أي حظا ونصيبا، وقرأ الآخرون ﴿شُرَكَاءَ﴾ بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعني إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، أي: جعل له شريكا إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكا في العبادة ولا أن الحارث ربهما فإن

حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مرّ قبله، وجزم الراء مردود على (يضلل) وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه كلام مستأنف. ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْهُونَ﴾، يترددون متحيرين.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، قال قتادة: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾، يعني: القيامة، ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: منتهاها. وقال قتادة: قيامها وأصله الثبات، أي: متى مشبتها؟ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، استأثر بعلمها ولا يعلمها إلا هو، ﴿لَا يَجِئُهَا﴾، لا يكشفها ولا يظهرها. وقال مجاهد: لا يأتي بها، ﴿لَوْ قَهَّ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: ثقل علمها وخفي أمرها على أهل السموات والأرض، وكل خفي ثقيل. قال الحسن: يقول إذا جاء ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾، فجأة على غفلة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن علمها عند الله حتى سألوا محمدا ﷺ عنها.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يعلو فتشتره وتربح فيه عند الغلاء؟ وبالأرض التي يريد أن تجذب فترحل منها إلى ما قد أخصبت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أي: لا أقدر لنفسي نفعا، أي: اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرا، أي دفع ضرر بأن أرتحل من أرض تريد أن تجذب إلا ما شاء الله أن أملكه، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ

سورة الأعراف

١٧٥

سورة الأعراف

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ  
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْبُرُتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ  
 أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا  
 تَغَشَّيَا حِمْلًا حَقِيقًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا  
 اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَا صِلِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٦﴾  
 فَلَمَّا آتَاهُمَا صِلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَى  
 اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧٧﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ  
 ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمُ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾  
 وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ  
 أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨١﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ  
 يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعِينَ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ  
 يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٨٢﴾

الأصنام، لا تنصر من أطاعها، ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾، قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ثم خاطب المؤمنين فقال:

[١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾، قرأ نافع بالتخفيف وكذلك: (يتبعهم الغاؤون) في الشعراء وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان. يقال: تبعه تبعًا وتبعه أتباعًا. ﴿سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ﴾، إلى الدين، ﴿أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ﴾، عن دعائهم لا تُنذِرهم لا يُؤْمِنُونَ) وقيل: (وإن تدعوههم إلى الهدى) يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة.

(١) أي: لماذا ذكرت تلك الأقوال.

آدم كان نبيًا معصومًا من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على أن الضيف ربه، ويقول للغير. أنا عبدك، وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده كذلك هذا. وقوله: ﴿فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وفي الآية قول آخر: هو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل أولادهما شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال: (ثم اتخذتم العجل)، (وإذ قتلتم نفسًا) خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوؤدوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ونحوه. وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء<sup>(١)</sup>. قال الله تعالى: (فتعالى الله عما يشركون).

[١٩١] قوله تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، أي: هم مخلوقون.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾، أي:



[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، يعني الأصنام، ﴿عِبَادُ أَثَالِكُمْ﴾ ، يريد أنها مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مسخرون مذللون لما أريد منهم. قال مقاتل: قوله (عباد أمثالكم) أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة، والأول أصح. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم هل يشيئونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة. ثم بين عجزهم فقال:

[١٩٥] ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ ، قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي الفصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ، أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ ، يا معشر المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُون﴾ ، أنتم وهم، ﴿فَلَا تُظْهِرُون﴾ ، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

[١٩٦] قوله: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ ، يعني القرآن، أي: أنه يتولاني وينصرني كما أيدي يانزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ .

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ ، يعني الأصنام، ﴿وَتَرْتَهُمْ﴾ يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ ، يعني الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ، وليس المراد من النظر حقيقة النظر إنما المراد منه المقابلة،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٧٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْتُكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

تقول العرب: داري تنظر إلى دارك أي: تقابلها. وقيل: وتراهم ينظرون إليك أي: كأنهم ينظرون إليك، كقوله تعالى: (وترى الناس سُكَّارِي)، أي: كأنهم سُكَّارِي هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ يعني المشركين لا يسمعون ولا يفعلون ذلك بقلوبهم وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ، قال عبدالله ابن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار، والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعني خذ ما عفا لك من

الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو)، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمر بالعرف يعني بلا إله إلا الله. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف، وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)، وذلك سلام المُتاركة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الأدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة. وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية (خذ العفو)، قال النبي ﷺ: (كيف يا رب والغضب)، فنزل: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، أي: استجر بالله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني المؤمنين، ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: (طيف)، وقرأ الآخرون ﴿طَافٌ﴾ بالمد والهمز وهما لغتان كالمت والمات ومعناها: الشيء يلهم بك. وفرق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة. وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللهم والمس. ﴿تَذَكَّرُوا﴾، عرفوا، قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ. وقال مجاهد: والرجل يهمل بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، أي:

ييصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير. وقال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزغ عن مخالفة الله.

[٢٠٢] قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾، يعني إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدهم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿فِي أَلْفَى﴾، أي: يطلبون هم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزيدونهم في الضلالة، وقرأ أهل المدينة: (يُمِدُّونَهُمْ) بضم الياء وكسر الميم من الإمداد والآخرون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، أي: لا يكفون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها، بخلاف ما قال في المؤمنين: (تذكروا فإذا هم مبصرون).

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بَأْيَةٌ﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾، هلا افعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبيت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعتنا فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: لولا اجتبيتها؟ أي: هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّمَا أَتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾، ثم قال: ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن ﴿بَصَائِرَ﴾، حجج وبيان وبرهان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، واحدها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهدي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق. ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

والصياح بالدعاء. ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، أي: بالبكر والعشيات، واحد أصال: أصيل، مثل يمين وأيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني الملائكة المقربين، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبُحُونَ﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله. ﴿وَلَهُ سُبُحُوتٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة»<sup>(١)</sup>.

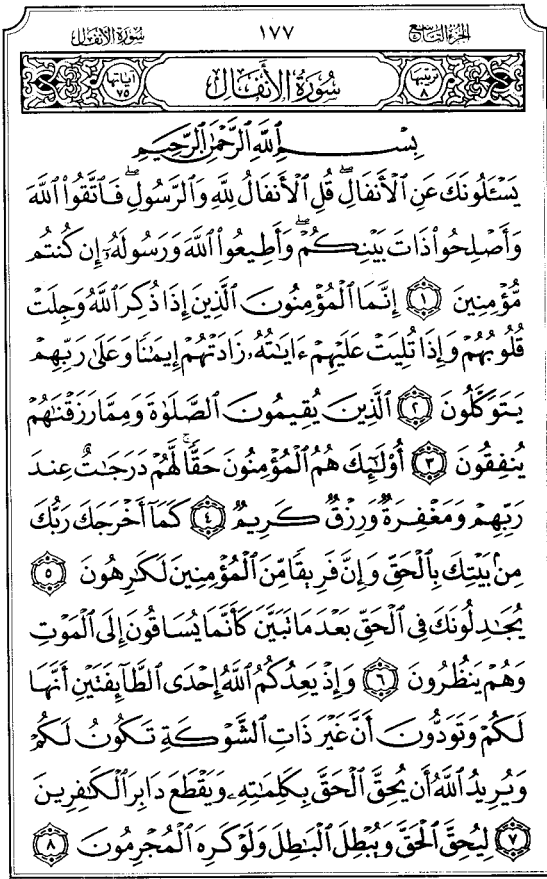
### (٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[١] قوله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب. وقيل: هو سؤال طلب. قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحداها نفل، وأصله الزيادة، يقال: نفلتك وأنفلتت أي زدتك، سميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر. وقال عطاء: هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة وممتع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء. قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يُقَسِّمَانَهَا كَمَا شَاءَ واختلِفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) الآية. كانت الغنائم يومئذ للنبي

فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَصْبَحُوا لَكَلِمَةً تُرْمُونَ، اختلِفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة. روي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن. وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. وروي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القراءة في الصلاة. وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد: أن الآية في الخطبة، أمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة. وقال سعيد ابن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفرط ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام. وقال عمر بن عبد العزيز: يجب الإنصات لقول كل واعظ. والأول أو لاها، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة. وانفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام.

[٢٠٥] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، قال ابن عباس يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سرا في نفسه، ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إلي وتخاف مني هذا في صلاة السر. وقوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهراً شديداً بل في خفض وسكون، يُسْمَعُ مَنْ خَلْفَكَ. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (١٤٢٣) ٤٥٧/١ والإمام أحمد في المسند ٢٧٦/٥، ٢٨٠ روى نحوه مسلم في الصلاة برقم (٤٨٨).



مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل درجتين حَصْرَ الفرس المضمَّر سبعين سنة. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن يعني ما أعد لهم في الجنة.

[٥] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ قال المبرد: تقديره الأنفال لله والرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون. وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا

﴿فَنَسَخَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخَمْسِ﴾. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ﴾، خافت وفرقت قلوبهم. وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، تصديقاً وقيناً، وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادةً ونقصاناً، وقيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدوداً وشئناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي: يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

[٤] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يعني: يقيناً. قال ابن عباس: بَرُّوْا مِنَ الْكُفْرِ. قال مقاتل: حَقًّا لا شك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين على أوصاف

[٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أي: الفريقين إحداهما: أبو سفيان مع العير والأخرى: أبو جهل مع النفير، ﴿وَتَوَدُّونَ﴾، أي: تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويُقال السلاح. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾، أي: يُظهره ويُعليه، ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾، بأمره إيتاكم بالقتال. وقيل: بعداته التي سبقت من إظهاره الدين وإعزازه، ﴿وَيَقَطْعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني كفار العرب.

[٨] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، ليثبت الإسلام، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ﴾، أي: يفي الكفر: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

[٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْعَيْتُونَ رِبَّكُمْ﴾، تستجرون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾، مرسل إليكم مدداً وردءاً لكم، ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب (مُرْدِفِينَ) بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً، وقرأ الآخرون بكسر الدال أي متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته وردفته بمعنى تبعته.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾، أي: بشارة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يغشاكم) بفتح الياء (النُّعَاسُ) رفع على أن الفعل له، كقوله تعالى في سورة آل عمران (أُمَّة نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ)، قرأ أهل المدينة: (يُغَشِّكُمُ) بضم الياء وكسر الشين مخففاً، ﴿النُّعَاسُ﴾ نصب كقوله تعالى: (كأئماً أغشيت

ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم. وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه. وقيل: هو راجع إلى قوله: (لهم درجات عند ربهم)، تقديره: وَعَدَّ اللَّهُ الدرجات لهم حقٌّ ينجزه الله عزَّ وجلَّ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امضِ على الذي أخرجك ربك. وقال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازها: والذي أخرجك، لأن (ما) في موضع الذي، وجوابه ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك. قيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة، والأكثر على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج (من بيتك) إلى المدينة (بالحق) قيل: بالوحي لطلب المشركين ﴿وَإِنْ فَرِهْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، منهم، ﴿لَكَرِهُونَ﴾.

[٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾، أي: في القتال: ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّا﴾، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نُعلمنا أننا نلقى العدو فنستعدُّ لقتالهم، وإنما خرجنا للعير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لشدة كراهيتهم القتال، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون: كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعد ما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

سورة الأنفال

١٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ  
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ  
 وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ إِذِ يَغْشَىٰكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ وَيُرِلُّ  
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْرَ  
 الشَّيْطَانِ وَيُرِيطُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٢﴾  
 إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا  
 سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ  
 الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
 سَأَفَأُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ  
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
 دُبُرَهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَذُوقُوا  
 بَعْضَ مِمَّنْ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾

ناصركم. ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 الرُّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي،  
 ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قيل: هذا خطاب مع  
 المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو  
 متصل بقوله ﴿ثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقوله: ﴿فَوْقَ  
 الْأَعْنَاقِ﴾ قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق  
 الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق،  
 وفوق صلة كما قال تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا  
 فاضرب الرقاب)، وقيل: معناه فاضربوا على  
 الأعناق، فوق بمعنى على. ﴿وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ  
 بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن  
 عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف،  
 والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين  
 والرجلين.

وجوههم)، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين  
 مشدداً، ﴿النَّعَاسُ﴾ نصب على أن الفعل لله عزّ  
 وجلّ، كقوله تعالى: (فغشاها ما غشى)،  
 والنعاس: النوم الخفيف. ﴿أَمَنَةٌ﴾ أمناً ﴿مِنْهُ﴾،  
 مصدر أمنت أمناً وأمنته وأماناً. قال عبدالله بن  
 مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من  
 الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان. ﴿وَيُرِلُّ  
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾، وذلك أن  
 المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعر تسوخ فيه  
 الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى  
 ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم محدثين  
 وبعضهم مجنّين، وأصابهم الظمّ وسوس إليهم  
 الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم  
 نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على  
 الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنّين، فكيف  
 ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عزّ وجلّ  
 عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المؤمنون  
 واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب، وملؤوا  
 الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها  
 الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت  
 أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرِلُّ عَلَيْكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة،  
 ﴿وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْرَ الشَّيْطَانِ﴾، وسوسته، ﴿وَيُرِيطُ  
 عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾، باليقين والصبر، ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ  
 الْأَقْدَامَ﴾، حتى لا تسوخ في الرمل بتليد الأرض،  
 وقيل: ثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، الذين أمدّ  
 بهم المؤمنين، ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا  
 الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: قوّوا قلوبهم. قيل: ذلك  
 التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي:  
 ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل:  
 أي: بشروهم بالنصر، وكان المملك يمشي أمام  
 الصف في صورة الرجل ويقول: أشبروا فإن الله

يوم أحد بعد ذلك قال: (إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ)، ثم كان يوم حُنين بعده فقال: (ثم وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ... ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء)، وقال عبدالله بن عمر: كُنَّا فِي جَيْشٍ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةَ فَانْهَزَمْنَا، فَقَلْنَا: يَارَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَّارُونَ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ الْكِرَّارُونَ، أَنَا فَتَةٌ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>. وقال محمد بن سيرين: لما قُتِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ جَاءَ الْخَبِيرُ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: لَوْ انْحَازَ إِلَيَّ كُنْتُ لَهُ فَتَةً فَأَنَا فَتَةٌ كُلِّ مُسْلِمٍ. وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من وَلِيَ مِنْهَزِمًا. جاء في الحديث: «مَنْ الْكِبَائِرُ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ»<sup>(٢)</sup> وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ)، فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت تلك إلَّا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا أو يولُّوا ظهورهم إلَّا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فتة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولُّوا ظهورهم وينحازوا عنهم، قال ابن عباس: مَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةِ فَلَمْ يَفِرْ، وَمَنْ فَرَّ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، قال مجاهد: سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلْتُ فلانًا ويقول الآخر مثله، فنزلت الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرتهم إياكم وتقويته لكم. وقيل: لكن الله قتلهم بإمداد الملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

(١) أخرجه الترمذي في الجهاد ٣٧٨/٥ وقال: حديث حسن غريب، وأبو داود في الجهاد ٤٣٨/٣، وسعيد بن منصور في السنن ٢٠٩/٢، ٢١٠، والشافعي في المسند ٢/١١٦. (٢) جاء في أحاديث كثيرة أن الفرار من الزحف كبيرة.

﴿وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٤] ﴿ذَلِكُمْ﴾، أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار بيدر ﴿فَدَوْفُوهُ﴾، عاجلاً، ﴿وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي: واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلاً في المعاد، ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٥] قوله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَ لَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾، أي: مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التذاني في القتال: والزحف مصدر لذلك لم يجمع، كقولهم: قوم عدل ورصاً. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة، فهم الزحف، والجمع الزحوف، ﴿فَلَا تُولُّوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾ يقول: فلا تولوهم ظهوركم أي لا تنهزموا فإن المنهزم يولي دبره.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾، ظهره، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾، أي: منعطفًا يرى من نفسه الانهزام، وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة، ﴿أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾، أي: منضمًا صائرًا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال. ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلَّا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القتال، فمن وَلِيَ ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَكَءَ بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرَ﴾، واختلف العلماء في هذه الآية، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن لهم فتة يتحيزون إليها دون النبي ﷺ، ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فتة لبعض، فيكون الفار متحيزًا إلى فتة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك، قال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله النار لمن فرَّ يوم بدر، فلما كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٩

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

فَلَمَّا تَقَاتَلُوهُمْ وَلَئِنْ أَلَّهَ فَلَئِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَمُرْسِلُونَ وَإِذْ رَمَيْتَ وَلَئِنْ أَلَّهَ رَمَىٰ وَإِلْسِي الْأَمْؤِمِينَ مِنْهُ بِلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤَهِّنٌ كَيْدَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَمَقْدَجَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُوًا لَنْ تُعْنَىٰ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْعًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنُقَهُمْ وَأَسْرَعُوا سَمْعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ مُّحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الْأَنْصِبِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فيه نزلت: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. وقال عكرمة: قال المشركون: والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ أي إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء. وقال أبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى للمسلمين: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر قوله: ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾، يقول للكفار: إن تنهوا عن الكفر بالله وقتال نبيه ﷺ، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوْا﴾، لحربه وقتاله، ﴿نَعْدُوْا﴾ بمثل الواقعة التي وقعت بكم يوم بدر. وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ، ﴿وَلَنْ تُعْنَىٰ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ﴾،

فلما أقبلت قريش يوم بدر ورأها رسول الله ﷺ قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، فأناه جبريل عليه السلام وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم، وقال: شأهت الوجوه، فلم يبق منهم مشرك إلا دخل في عينيه وفمه ومنخره منها شيء، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِنْ أَلَّهَ رَمَىٰ﴾، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء. وقيل: معنى الآية: وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ. وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا، ﴿وَإِلْسِي الْأَمْؤِمِينَ مِنْهُ بِلَاءٌ حَسَنًا﴾، أي: ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِدَعَائِكُمْ﴾، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِّيَاتِكُمْ.

[١٨] ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، قيل: فيه إضمار، أي: واعلموا أن الله ﴿مُؤَهِّنٌ﴾، مضعف، ﴿كَيْدِ الْكٰفِرِينَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: ﴿مُؤَهِّنٌ﴾ بالتشديد والتنوين، (كَيْدٌ) نصب، وقرأ الآخرون ﴿مُؤَهِّنٌ﴾ بالتخفيف والتنوين إلا حفصا، فإنه يضيفه فلا يتوّن ويخفض ﴿كَيْدِ﴾.

[١٩] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أقطعنا للرحم وأانا بما لم نعرف فأحنه الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين



[٢٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، يقول أجيبيهما بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾، الرسول ﷺ، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، أي: إلى ما يحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق. وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الدّل. وقال القتيبي: بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. ورؤينا أن النبي ﷺ مرّ على أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي فدعاه فعجل أبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟» قال: كنت في الصلاة، قال: «أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» فقال: لا جرم يارسول الله لا تدعوني إلا أجبته وإن كنت مصلياً<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان. وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية. وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه. وقيل: هو أنّ القوم لما دُعوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقبل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والجبين جرأة. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فيجزئكم بأعمالكم. عن أنس بن

جماعتكم، ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا﴾، وقيل: هو عطف على قوله: (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين)، وقرأ الآخرون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الألف على الابتداء.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾، أي: لا تعرضوا عنه، ﴿وَأَن تَسْمَعُونَ﴾، القرآن ومواعظه.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي: يقولون بألسنتهم سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون، أي: لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: شرّ من دبّ على وجه الأرض من خلق الله، ﴿الضَّمُّ الْبُكْمُ﴾، عن الحق فلا يسمعونه ولا يقولونه، ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله عزّ وجلّ سمّاهم (دواب) لقلّة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: (أولئك كالأنعام بل هم أضل)، قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن ضمّ بكم عمّي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبت بن حرملة.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأسمعهم سماع التفهّم والقبول، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ كلام قصي ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٤٦٧/١٣ وأخرجه بنحوه الترمذي في فضائل الأعمال ١٧٨/٨-١٨٠ وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند ٤١٢/٢، ٤١٣، وأخرجه البخاري بغير هذا السياق في التفسير ١٥٦/٨.

تُصِيبَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴿٢٥﴾، يعني العذاب، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: اذكروا يا معاشر المهاجرين إذ أنتم قليل في العدد مستضعفون في أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَطِفَكُمْ الْنَّاسُ﴾، يذهب بكم الناس، يعني: كفار مكة.

وقال عكرمة: كفار العرب. وقال وهب: فارس والروم، ﴿فَتَأْتِيَكُمْ﴾، إلى المدينة، ﴿وَأَيْدِكُمْ بِصَرْهٍ﴾، أي: قواكم يوم بدر بالأنصار. وقال الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْأَطْيَبَاتِ﴾، يعني: الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، قال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه، حتى يبلغ المشركين. وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصر يهود بني قريظة قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم لأن ماله وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ وآتاهم فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى أنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبيح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد

مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالوا: يارسول الله، أمانا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

[٢٥] ﴿وَأَنْقُضُوا فَتَنَةَ﴾، اختباراً وبلاءً ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾، قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ ليس بجزء محض، ولو كان جزءاً لم تدخل فيه النون، لكنه نفي، وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده)، وتقديره: واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحتك، فهذا جواب الأمر بلفظ النفي، معناه إن تنزل لا تطرحك. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم. قال الحسن: نزلت في عليٍّ وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أُرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل. وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين ألا يُقَرِّوا المُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكَرُوهُ فَلَا يُنْكَرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً. قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعُدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشْتَرَفَهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَادًا فَلْيَعُدْ بِهِ»<sup>(٣)</sup> قوله: ﴿لَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١١٢، ٢٥٧، والترمذي في القدر ٦/٣٤٩، وأخرجه مسلم من رواية عبدالله بن عمرو في القدر رقم (٢٦٥٤) ٤/٢٠٤٥ وذكره البغوي في مصابيح السنة ١/١٤١. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٩٢ والطحاوي في مشكل الآثار ٢/٦٦ وعبدالله بن المبارك في الزهد رقم ١٣٥٢ ص ٤٧٦ والمصنف في شرح السنة ١٤/٣٤٦. (٣) أخرجه البخاري في الفتن ١٣/٢٩ وفي الأنبياء وفي المناقب ومسلم في الفتن رقم (٢٨٨٦) ٤/٢٢١٢ والمصنف في شرح السنة ١٥/٢٢.

سورة الأنفال

١٨٠

سورة الأنفال

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ  
 أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنُواكُمْ وَيَصْرَهُ وَرَزَقَكُمْ  
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 ﴿٣٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ مِنَ اللَّهِ  
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا  
 اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ  
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لِيُبْسِطُواكَ أَوْ يَفْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ  
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ أَنْتُمْ عَلَىٰ هِمَّةٍ أَيْتُنَا  
 قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا  
 أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا  
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ  
 أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْسَ ﴿٤٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ  
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٤٣﴾

تَنَفَّوْا اللَّهُ ﴿٣٨﴾، بطاعته وترك معصيته، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ  
 فُرْقَانًا﴾، قال مجاهد: مخرجًا في الدنيا والآخرة.  
 وقال مقاتل بن حيان: مخرجًا في الدين من  
 الشبهات، وقال عكرمة: نجاة أي يفرق بينكم وبين  
 ما تخافون. وقال الضحاك: بيانًا. وقال ابن  
 إسحاق: فصلًا بين الحق والباطل يُظهر الله به  
 حقكم ويظفي باطل من خالفكم، والفرقان مصدر  
 كالرجحان والنقصان، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ  
 سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يمح عنكم ما سلف من ذنوبكم،  
 ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.  
 [٣٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾،  
 هذه الآية معطوفة على قوله: (واذكروا إذ أنتم  
 قليل) واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا (وإذ قالوا  
 اللهم) لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول  
 إنما كانا بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله

خنت الله ورسوله، ثم انطلق على وجهه ولم يأت  
 رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري  
 المسجد وقال: والله لا أبرح ولا أدوق طعامًا ولا  
 شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي، فلما بلغ  
 رسول الله ﷺ خبره، قال: أما لو جاءني  
 لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فإني لا أطلقه  
 حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام لا يدوق  
 طعامًا ولا شرابًا حتى خرّ مغشيًا عليه ثم تاب الله  
 عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا  
 والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو  
 الذي يحلني بيده، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو  
 لبابة: يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجّر دار  
 قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي  
 كله، قال النبي ﷺ: «يجزيك الثلث فتصدق به»،  
 فنزلت فيه ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، ﴿وَتَخُونُوا  
 أَمْنَتَكُمْ﴾، أي: ولا تخونوا أماناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما  
 فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة. قال السدي:  
 إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم. وقال  
 ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول  
 بترك سنته وتخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: هي  
 ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله،  
 والأعمال التي اتّمن الله العباد عليها. قال قتادة:  
 اعلموا أنّ دين الله أمانة فأدوا إلى الله عزّ وجلّ ما  
 اتّمتنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه  
 أمانة فليؤدها إلى من اتّمنه عليها.

[٢٨] ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ﴾،  
 قيل: هذا أيضًا في أبي لبابة، وذلك أن أمواله  
 وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفًا  
 عليهم. وقيل: هذا في جميع الناس ﴿وَأَنَّ اللَّهَ  
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، لمن نصح لله ولرسوله وأدى  
 أمانته.  
 [٢٩] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ

بالحق. وقيل: يجازيهم جزاء المكر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا﴾، يعني النضر بن الحارث، ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، وذلك أنه كان يختلف تاجرًا إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار، وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماءهم وما سطر الأولون في كتبهم، والأساطير: جمع أسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم سطرت أي كتبت.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك، (والحَقُّ) نصب بخبر كان، وهو عمادٌ وصله: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ آخِرٍ﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: (سأل سائل بعذاب واقع)، وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر، وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل لعنه الله.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، اختلفوا في معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمة ونيبها معها، فقال الله تعالى لنيب ﷺ يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية،

تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير: أن قريشًا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسبيًا وسيطًا فتيا ثم يُعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له: اتشح ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا) إلى قوله (فهم لا يبصرون)، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف عليًا بمكة حتى يُؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، ويات المشركون يحرسون عليًا في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا عليًا رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثًا ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿يَلْبِسُونَ﴾، ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك، ﴿أَوْ يَتَمَوَّنَ﴾ أو يُشْرِكُونَ وَيَمْكُرُونَ بِرَسُولِكَ﴾، قال الضحاک: يصنعون ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَنَفُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُصِفُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الَّذِينَ خَلَقَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الَّذِينَ خَلَقَ مِنْ بَعْضِ فِرْكَكُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَدْ نَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعِمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعِمَ النَّصِيرُ ﴿٤١﴾

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلا صوت مكاء، والتصدية التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون، فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق، والتصدية: الصفير، ومنه الصدى الذي يسمعه المصوت في الجبل. قال سعيد بن جبیر: التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين، والصلاة وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين ياءً كما يقال: تظنيت من الظن، وتقضى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم

وقالوا: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، ثم قال ردًّا عليهم ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾؟ وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون، وهم يصدون عن المسجد الحرام. وقال الآخرون: هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل إخبارًا عن نفسه: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾، واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاک وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم، قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم، وقال أبو موسى الأشعري: كان فيكم أمانان، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾، أي: يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت. وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله: وما لهم ألا يعذبهم الله أي: بالسيف. وقيل: أراد بالأول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة. وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ منسوخة بقوله تعالى: (وما لهم ألا يعذبهم الله)، ﴿وما كانوا أولياءه﴾ قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي: أولياء البيت، ﴿إن أولياءه﴾ أي: ليس أولياء البيت، ﴿إلا المتفون﴾، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿ولكن

هدم ما بعده من ذنب.

[٣٩] ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَهُ﴾ أي: شرك. قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحَدِّثُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: ويكون الذين خالصا لله لا شرك فيه، ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾، عن الكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قرأ يعقوب ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، عن الإيمان وعادوا إلى قتال أهله، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم ﴿يَعْمَ الْمَوْلَىٰ وَبِعَمِّ النَّصِيرِ﴾، أي: الناصر.

[٤١] قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾، الآية، الغنيمة والفيء اسمان لمال يصيبه المسلمون من أموال الكفار، فذهب جماعة إلى أنهما واحد. وذهب قوم على أنهما مختلفان، فالغنيمة: ما أصابه المسلمون منهم غنوة بقتال، والفيء ما كان عن صلح بغير قتال، فذكر الله عز وجل في هذه الآية حكم الغنيمة فقال: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: (لله) افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهما من الغنيمة لله مفردا، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل. وهو قول الحسن وفتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا: سهم الله وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل، ﴿وَالرَّسُولِ وَآلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، قال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم لله: فيصرف إلى الكعبة. والأول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم، سهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي رحمه الله، وروى الأعمش عن إبراهيم

أمروا بالصلاة في المسجد الحرام فجعلوا ذلك صلاتهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْسِدُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُسَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: ليصرفوا عن دين الله. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في الْمُطْعَمِينَ يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر. وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية. قال الله تعالى: ﴿فَسَيُفْسِدُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، يريد ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُنذِرُونَ﴾، ولا يظفرون ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منهم، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾، في سبيل الشيطان، ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾، يعني الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران. وقال الكلبي: العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب، فيثب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار، وقيل: يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله. ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، أي: فوق بعض، ﴿فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾، أي: يجمعه. ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾، الذين خسرت تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾، عن الشرك ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، في نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو ألا يعجز عن

قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح. وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف. قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أراد أن سهمًا من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ، واختلفوا فيهم فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة. وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم. وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما ورد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط منه أحدًا من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئًا<sup>(١)</sup> واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف: اليتامى والمساكين وابن السبيل. وقال بعضهم: يعطى للفقراء منهم دون الأغنياء، والكتاب والسنة يدلان على ثبوته والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفْضَلُ فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبدالمطلب مع كثرة ماله، فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطي القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهمًا واحدًا. قوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيرًا، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر البعيد عن

ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم، سهمًا له وسهمين لفرسه<sup>(٢)</sup>. وهذا قول أكثر أهل العلم وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفارس سهمان وللراجل سهم واحد ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة: يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفًا على المصالح. وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول، ومن قتل مشركًا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة، لما روي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلًا له عليه بيعة فله سلبه»<sup>(٣)</sup>. والسلب: كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راحبه، ويجوز للإمام أن ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يَخُصُّهُمْ به من بين سائر الجيش ويجعله أسوة الجماعة في سهمان الغنيمة. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش<sup>(٤)</sup>. واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟

(١) أخرجه الشافعي في المسند ١١٢/٢ والمصنف في شرح السنة ١٢٦/١١. (٢) أخرجه البخاري في الجهاد ٦٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٦٢) ١٣٨٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٠١/١١. (٣) رواه البخاري في المغازي ٨/٣٤، ٣٥ والجهاد ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٥١) ٣/١٣٧٠ والمصنف في شرح السنة ١٠٥/١١. (٤) أخرجه البخاري في فرض الخمس ٢٣٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٥٠) ٣/١٣٦٩ والمصنف في شرح السنة ١١٢/١١.

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

١٨٢

الْاَنْفَالِ

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ  
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن  
كُنْتُمْ أَمْنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ  
يَوْمَ التَّفَقَّىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ  
أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْفُصُوى وَالرَّكْبِ  
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ  
وَلَكِنْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ  
هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ  
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكُمْ قَلِيلًا  
وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَاشْتُمْ وَلَنْتَزَعْتُ فِي الْأَمْرِ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ  
يُرِيكُمْهُمْ إِذِ التَّفَقُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ  
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ  
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ بِكَايُهَا الذِّبَابُ ءَامِنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً  
فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ) يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم  
أمنتُم بالله ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، أي: إن كنتم  
أمنتُم بالله وبما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله  
(يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)، ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، يعني يوم  
بدر، فرق الله بين الحق والباطل، وهو ﴿يَوْمَ التَّفَقَّى  
أَجْمَعِينَ﴾، حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم  
الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على نصركم مع قتلكم وكثرتهم.  
[٤٢] ﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر  
المسلمين، ﴿بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا﴾، أي: بشفير الوادي  
الأدنى إلى المدينة، والدنيا. تأنيث الأدنى،  
﴿وَهُمْ﴾، يعني عدوكم من المشركين، ﴿بِالْعُدُوَّةِ

فقال قوم: من خمس الخمس سهم النبي ﷺ، وهو  
قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي، وهذا  
معنى قول النبي ﷺ: «ما لي مما أفاء الله عليكم إلا  
الخمس والخمس مردود فيكم»<sup>(١)</sup>. وقال قوم: هو  
من الأربعة الأخماس بعد إفراس الخمس كسهام  
الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق، وذهب بعضهم  
إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب  
للقاتل. وأما الفياء وهو ما أصابه المسلمون من  
أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب، بأن  
صالحهم على مال يؤدونه ومال الجزية وما يؤخذ  
من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو  
يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له،  
فهذا كله فيء، ومال الفياء كان خالصاً لرسول الله  
ﷺ في حياته. قال عمر رضي الله عنه: إن الله قد  
خص رسول الله ﷺ في هذا الفياء بشيء لم يعطه  
أحدًا غيره، ثم قرأ: (وما أفاء الله على رسوله  
منهم) إلى قوله: (قدِيرٌ)، وكانت هذه خالصة  
لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة  
ستتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله  
مجعل مال الله عز وجل، واختلف أهل العلم في  
مصرف الفياء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو  
للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان، أحدهما:  
للمقاتلة الذين أثبتت أساميهم في ديوان الجهاد  
لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو.  
والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين ويبدأ  
بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم  
من المصالح. واختلف أهل العلم في تخميس  
الفياء، فذهب الشافعي إلى أنه يخمس فخمسه  
لأهل الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه  
للمقاتلة وللمصالح. وذهب الأكثرون إلى أن الفياء  
لا يُخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع  
المسلمين فيه حق قوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُمْ أَمْنًا  
بِاللَّهِ﴾، قيل: أراد (أَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٦٢/٤ والنسائي في  
كتاب الفياء ١٣١/٧، والإمام أحمد في مسنده ج ٤/١٢٨.



﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. قال ابن عباس: علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما اتفقوا بيدر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قُتلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أترأهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً. ﴿وَيُقَلِّبُكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿فِي آعْيُنِهِمْ﴾، قال، السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا، فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال. يقوله من القدرة التي في نفسه. قال الكلبي: استقل بعضهم بعضاً ليجتروا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾، من إعلاء الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله.

﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ كائناً، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿بِتَأْيِيدِ اللَّهِ أَمْنًا إِذَا لَقِيتَهُ فِتْنَةً﴾ أي: جماعة كافرة ﴿فَأَثْبِتُوكُمْ﴾، لقتالهم، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي: ادعوا الله بالنصر والظفر بهم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾، أي: كونوا على رجاء الفلاح.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا﴾، لا تختلفوا، ﴿فَنَفْسَلُوا﴾، أي: تجبنوا وتضعفوا، ﴿وَنَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾، قال مجاهد: نُصرتكم. وقال السدي: جراء تكم وجدكم. وقال مقاتل بن حيان: حدتكم. وقال النضر بن شميل: قوتكم. وقال الأخفش: دولتكم. والريح هاهنا

الْفُصُولُ ﴿بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصوى تأنيث الأقصى قرأ ابن كثير وأهل البصرة (بالعدوة) بكسر العين فيهما والباقون بضمهما، وهما لغتان: كالكسوة والكسوة والرثوة والرثوة. ﴿وَالرَّكْبُ﴾، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾، لقتلكم وكثرة عدوكم، ﴿وَلَكِنْ﴾ الله جمعكم على غير ميعاد، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أي: ليموت من يموت على بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه. ﴿وَيَجِيءَ مَنْ حَجَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، ويعيش من يعيش على بينة لوعده: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً). وقال محمد ابن إسحاق: معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان. وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة ويهدي من اهتدى على بينة. قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب (حبي) بيئين مثل (خشي) وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة لأنه مكتوب بياء واحدة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾، لدعائكم، ﴿عَلِيمٌ﴾، بنياتكم.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ﴾، ؟ يريك يا محمد المشركين، ﴿فِي مَنَامِكَ﴾، أي: نومك. وقال الحسن: في منامك أي في عينك، لأن العين موضع النوم. ﴿قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ﴾، لجبتم ﴿وَلَنَنْزَعَنَّ﴾، أي: اختلقتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾، أي: في الإحجام والإقدام، ﴿وَلَنَكُنَّ اللَّهُ سَلَمٌ﴾، أي: سلمكم من المخالفة والفسل،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٣

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَنَفْسًا وَأَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ  
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَأَرْسَاءً أَلْتَأْسُ وَيَصُدُّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمْ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لِأَعْلَابِ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ  
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَيْتَانِ نَكَصَ  
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ  
الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُمْ ذَلِكَ دِيْنَهُمْ  
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾  
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ  
وُجُوْهُهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ  
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾  
كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ  
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
أَعْمَلَهُمْ﴾، وكان تزيينه أن قريشًا لما اجتمعت  
للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب،  
فكاد ذلك أن يشيهم فجاء إبليس في جند من  
الشياطين معه رايته فتبدى لهم في صورة سراقه بن  
مالك بن جعشم، ﴿وَقَالَ﴾، لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ  
الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾، أي: مجير

(١) رواه البخاري في الاستسقاء ٥٢٠/٢ والمغازي،  
ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢ ورواه الإمام  
أحمد في مسنده ج ١/٢٢٣، ٢٢٨ والمصنف في شرح السنة  
٣٨٧/٤. (٢) أخرجه أبو داود في الجهاد ٧/٤ والترمذي  
في السير ٢٣٨/٥ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم  
١١٦/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والإمام  
أحمد في المسند ٤٤٤/٥، ٤٤٥. (٣) رواه البخاري في  
الجهاد ٦/١٣٠ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٤٢) ٣/  
١٣٦٢ والمصنف في شرح السنة ٣٨/١١، ٣٩.

كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول  
العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد.  
قال قتادة وابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر  
قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه  
العدو. ومنه قول النبي ﷺ: «نصرتُ بالصِّبَا  
وأهلكتُ عادَ بالدبور»<sup>(١)</sup>، وعن النعمان بن مقرن  
قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل  
أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح  
وينزل النصر<sup>(٢)</sup>. قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ  
مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس  
لا تتمتوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا  
لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال  
السيوف»<sup>(٣)</sup>.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾، فخرًا وأشرًا، ﴿وَأَرْسَاءً﴾،  
قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك  
شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليُرى وإبطان  
القيح، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ  
مُحِيطٌ﴾، نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر  
ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه  
قريش قد أقبلتُ بخيلائها وفخرها تجادلُك وتكذبُ  
رسولك، اللهم فنصرُك الذي وعدتني»، قالوا: لما  
رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عيره أرسل إلى قريش  
إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم فقد نجاها الله،  
فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نردَّ  
بدرًا، - وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب يجتمع  
لهم بها سوق كل عام - ففقيمٌ بها ثلاثًا فنحروا  
الجزور ونظعم الطعام وسقي الخمر وتعزف علينا  
القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدًا،  
فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر،  
وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فهي الله عباده  
المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية  
والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ.

لَكُمْ مِنْ كُنَانِهِ، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْاُفْتَانَ﴾، أي: التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة، نزلوا من السماء وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال الضحاك: ولى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقري على قفاه هارباً. قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه أخذ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً يبرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب بعد. وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك. وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويُعرّف حاله فلا يطيعوه. قيل: معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

لَكُمْ مِنْ كُنَانِهِ، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْاُفْتَانَ﴾، أي: التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة، نزلوا من السماء وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال الضحاك: ولى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقري على قفاه هارباً. قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه أخذ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً يبرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب بعد. وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك. وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويُعرّف حاله فلا يطيعوه. قيل: معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، يا محمد، ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾، أي: يقبضون أرواحهم. اختلفوا فيه، قيل: هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار. وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين بيد كانت الملائكة يضربون ﴿وُجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد أستاذهم لكن الله حيي كني. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي القتل. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فقتلته النار في جراحاتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الضرب الذي وقع بكم، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾، أي: بما كسبت أيديكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْمَسِيذِ﴾. [٥٢] ﴿كَذَٰبٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، كفعل آل فرعون

سورة الأنفال

١٨٤

سورة الأنفال

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّفَنُّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاذْبُدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ومالوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

[٥٧] ﴿فَأِنَّمَا تَتَّفَنُّهُمْ﴾، تجدنهم، ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم في الحرب وأسرتهم، ﴿فَشَرِدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾، قال ابن عباس: فنكل بهم من وراءهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه فرق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاؤوا لحربك فعلاً من القتل والتكيل، يفرق منك ويخافك من خلفهم من أهل مكة واليمن، ﴿لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾، يتذكرون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

[٥٨] ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ﴾ أي: تعلمن يا محمد،

وصنيعهم وعادتهم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بال فرعون. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٥٣] ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم النعمة. وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الأنصار، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، كصنع آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أهلكتنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكتنا كفار بدر بالسيف لما كذبوا بآيات ربهم، ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، يعني الأولين والآخرين.

[٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾، يعني عاهدتهم وقيل: أي: عاهدت معهم. وقيل: أدخل ﴿مَنْ﴾ لأن معناه أخذت منهم العهد، ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد

الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات، عن عامر حدثنا عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: «الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، والأجر والمغنم»<sup>(٣)</sup>. وقال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَسَبَ فِرْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَهُ وَرَوْتَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

﴿تُرْهَبُونَ بِهِ﴾، تُخَوَّفُونَ ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ﴾، أي: وترهبون آخرين، ﴿مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، قال مجاهد ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، يُوفَّ لَكُمْ أَجْرَهُ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾، لا تنقص أجوركم.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾، أي: مالوا إلى الصلح، ﴿فَاجْتَحِ لَهَا﴾، أي: مل إلى إليها وصالحهم. روي عن قتادة والحسن: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾! ثق بالله، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾، يغدروا ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني بني قريظة. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾، كافيك الله، ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: بالأنصار.

[٦٣] ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾، أي بين الأوس والخزرج كانت بينهم إحن وثارات في الجاهلية

﴿مِنْ قَوْمٍ﴾، معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾، نقض عهد بما يظهر لكم منهم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿فَأَنْيَدُ إِلَيْهِمْ﴾، فاطرح إليهم عهدهم، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِزِينَ﴾.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿سَبَقُوا﴾ أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، فمن قرأ بالياء يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أنفسهم سابقين فاتئين من عذابنا، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: ﴿أَنْتُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتوني، وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح. عن أبي علي ثمامة بن شفيق أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»<sup>(١)</sup>. وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، يعني:

ربطها واقتناؤها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون ومن رباط الخيل الإناث. وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلّة صهيلها. وعن أبي محيريز قال: كان

(١) أخرجه مسلم في الإمارة رقم (١٩١٧) ٣/١٥٢٢. (٢) أخرجه مسلم في الموضوع السابق. (٣) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٦/٦ ومسلم في الإمارة (١٨٧٢) ١٤٩٣. (٤) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٧/٦ والمصنف في شرح السنة ٣٨٨/١٠.

فصيرهم الله إخواناً بعد أن كانوا أعداء، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال سعيد بن جبير: أسلم مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون، فنزلت هذه الآية، واختلفوا في محل ﴿مَنْ﴾ فقال أكثر المفسرين محله خفض، عطفًا على الكاف في قوله: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفًا على اسم الله معناه: حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾، أي: حُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ﴾، رجلاً، ﴿صَبْرُونَ﴾، محتسبون، ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، من عدوهم يقهروهم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾، صابرة محتسبة، ﴿يَغْلِبُوا أَلْفَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذلك ﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾،

أي: إن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن يُقتلوا، وهذا خبر بمعنى الأمر وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفف الله عنهم، فنزل:

[٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، أي: ضعفاً في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف، وقرأ أبو جعفر: ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح العين والمد على الجمع وقرأ الآخرون بسكون العين، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، من الكفار، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فردّ من العشرة إلى الاثنین فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا. وقال

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ أَلْفًا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الذَّنْبِ وَأَلَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٠﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾

سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

[٦٧] وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: ﴿تَكُونَ﴾ بالتاء والباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر: (أسارى)، والآخرون. (أسرى)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخُذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدّمهم نضرب أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فسكت رسول الله ﷺ فلم يُجبههم، ثم

المحفوظ بأنه يحلّ لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدًا ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ. وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يُبينَ لهم ما يتقون، وأنه لا يأخذ قومًا فعلوا أشياء بجهالة. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، لنالكم وأصابكم، ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، روي أنه لما نزلت الآية الأولى كفّ أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية. ورؤينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحَلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي».

[٧٠] قوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّبِيِّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: ﴿مِنَ الْأَسَارَى﴾ بالألف والباقون بلا ألف، نزلت في العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان أسير يوم بدر وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فافتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك»، وكلف فداء ابني أخيه عقيل ابن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني بنيه الأربعة، فقال له العباس: وما يدريك؟ (١) صحيح. أخرجه مسلم (٥٨/١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، وله شواهد كثيرة.

قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفتنّ منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق». قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهؤ ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ - وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ﴾» (١). قوله: ﴿أُسْرَى﴾ جمع أسير مثل قتلى وقتيل. قوله: ﴿حَتَّى يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في قتال المشركين وأسره، ﴿تُرِيدُونَ﴾، أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: (فِيمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ)، فجعل الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا أعتقوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادّوهم.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حرامًا على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئًا من الغنائم جعلوه للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾، يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٨٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَصْرَوْكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، يعني الميراث، ﴿حَتَّى يَهَاجَرُوا﴾، قرأ حمزة (وَلِيَّتِهِمْ) بكسر الواو والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة. ﴿وَإِنْ أَسْتَصْرَوْكُمْ فِي الَّذِينَ﴾، أي: استصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض ﴿إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. وقال ابن جريج: إلا تعاونوا وتناصروا. وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين

قال: أخبرني به ربي عز وجل، قال العباس: أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الذين أخذتم منهم الفداء ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، أي: إيمانًا، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾، من الفداء، ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾، ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله عنها عشرين عبدًا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، بيدر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنون بيدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين من مكة، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم ﴿وَنَصَرُوا﴾ أي: ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخًا بقوله عز وجل:



دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾، وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لا مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿هُم مَعْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديدية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديدية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين: هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى. ومن الثانية الهجرة الثانية.

[٧٥] قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: معكم، يريد أنتم منهم وهو منكم، ﴿وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام. قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله عز وجل. وقيل: أراد بكتاب الله القرآن، يعني: القسمة التي بيّنها في سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

## (٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ

قال مقاتل: هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة. قال سعيد بن جبيرة: قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٨٧

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِالَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢﴾ وَأَذِّنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُرْمَهُمْ وَأَقْهَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُونًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: قل سورة بني النضير.

[١] قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشاء والنداء. قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرفضون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله عز وجل: (وإما تخافن من قوم خيانة) الآية. قال الزجاج: براءة أي: قد برىء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاهدهم، لأنه وأصحابه راضون بذلك، فكانهم عاقدوا وعاهدوا.

وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله ﷺ. وهو قول ابن سيرين، لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين، ولم يجتمع قبله ولا بعده، واختلفوا في الحج الأكبر، فقال مجاهد: الحج الأكبر القران، والحج الأصغر أفراد الحج. وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر الحج، والحج الأصغر العمرة. قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها. قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، أي: ورسوله أيضًا بريء من المشركين. وقرأ يعقوب بنصب اللام أي: إن الله ورسوله بريء، ﴿فَإِنْ تَبُتُمْ﴾، رجعتم من كفركم وأخلصتم التوحيد، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن الإيمان، ﴿فَاعْلَمُوا أَنكُمُ عَيْرٌ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذا استثناء من قوله: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم يقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا شَيْئًا﴾ من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿وَلَمْ يَظْهَرُوا﴾، لم يعاونوا، ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، من عدوكم. وقرأ عطاء بن يسار: (لم ينقضوكم) بالضاد المعجمة من نقض العهد، ﴿فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَاهِدُهُمْ﴾، فأوفوا لهم بعهدهم، ﴿إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ﴾، إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٥] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾، انقضى ومضى ﴿الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ﴾، قيل: هي الأشهر الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد فمن كان له عهده

[٢] ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾، رجع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم سيحوا أي سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدًا من المسلمين، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنكُمُ عَيْرٌ مُّعْجِزِي اللَّهِ﴾، أي: غير فائتين ولا سابقين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾، أي: مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برىء الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله، فيقتل حيث يُدرك ويؤسر، إلا أن يتوب، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يومًا. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون.

[٣] ﴿وَأَذَانَ﴾ عطف على قوله: (براءة) أي: إعلام. ومنه الأذان بالصلاة، يقال: أذنته فأذن أي أعلمته. وأصله من الأذن أي أوقعته في أذنه، ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، اختلفوا في يوم الحج الأكبر، وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه يوم عرفة. وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وقال جماعة: هو يوم النحر. وروى ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها. وكان سفيان الثوري يقول: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بُعث يُراد به الحين والزمان، لأن هذه الحروب دامت أيامًا كثيرة.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٨٨

التَّوْبَةُ

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حُبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُقُوا فِئْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٨﴾ أَشْرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَتًّا قَلِيلًا فَضَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوَدَّةٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن تَكَفَرُوا أَيَمْنَهُمْ مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمِنُ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ وَأُولَئِكَ مَرَّةٌ كَثُورَةٌ أُنْحَسِنُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهَقُّ أَنْ تُخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

[٧] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾، هذا على وجه التعجب، ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال جل وعلا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قال ابن عباس: هم قريش. وقال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية. قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾، أي: على العهد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن

فعهده أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يومًا. وقيل لها حُرْمٌ لأن الله تعالى حَرَمَ فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم. فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم)؟ قيل: لما كان هذا القدر متصلًا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلخ الأشهر الحرم. قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ اللَّهِ الَّذِي كَانَتْ أُمَّةٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، في الحل والحرم، ﴿وَحُدُّوهُمُ﴾، وأسروهم، ﴿وَأَحْصُوا لَهُمُ﴾، أي: احبسوهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إن تحصنوا فاحصروهم، أي: امنعوا من الخروج. وقيل: امنعوا من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام. ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ اللَّهِ الَّذِي كَانَتْ أُمَّةٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، والمرصد الموضوع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رصدًا لتأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل: اقعدهوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها، ﴿فَإِن تَابُوا﴾، من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، يقول دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾، لمن تاب، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.

[٦] قوله تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرتكم بقتالهم وقتلهم، أي: استأمنك بعد انسلخ الأشهر الحرم لسمع كلام الله. ﴿فَأَجِرْهُ﴾، فأعذه وأمنه، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ﴿ثُمَّ أبلغه أمانته﴾، أي: إن لم يسلم أبلغه أمانته، أي: الموضوع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك فقد رت عليه فاقته، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا

فأسقون؟ قيل: أراد بالفسق نقض العهد هنا وكان في المشركين من وفى بعهده وأكثرهم نقضوا فلهذا قال: (وأكثرهم فأسقون).

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا﴾، وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان. قال مجاهد: أطعم أبو سفيان حلفاءه، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقوهم على حرب رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ بَسْ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٠] ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مُمْرِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، يقول: لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يقون عليكم لو ظهروا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ﴾ بنقض العهد.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾، من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوَانُكُمْ﴾، فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ﴾، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ﴾، نيين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. قال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلاة له.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكَثَّرَ آيْمَنُهُمْ﴾، نقضوا عهودهم، ﴿بَيْنَ بَعْدَ عَهْدِهِمْ﴾، عقدهم يعني مشركي قريش، ﴿وَوَطَّعُوا﴾، قلدحوا ﴿فِي دِينِكُمْ﴾، وعابوه. فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد، ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: (أئمة) بهمزة حيث كان، وقرأ الباقون بتلين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة. قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول. وقال مجاهد:

يلحقوا بأي بلاد شأوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر. قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم قبائل من بكر بنو خزيمه وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدليل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الدليل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة. وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: ﴿فَمَا أَسْقَمُوا لَكُمْ فَاسْقَمُوا لَهُمْ﴾ وإنما هم الذين قال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ كما نقضكم قريش، ولم يظاهروا عليكم أحداً كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٨] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظهروا عليكم، ﴿لَا يَرْجُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، قال الأخفش: كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم، أي: يظفروا بكم، لا يرفبوا: لا يحفظوا. وقال الضحاك: لا ينتظروا. وقال قطرب: لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة وقال يمان: رحماً. وقال قتادة الإل: الحلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإل هو الله عز وجل، والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة (لَا يَرْجُونَ فِي مُمْرِنٍ إِلَّا) بالياء، يعني الله عز وجل. مثل جبرائيل وميكائيل. ولا ذمة أي: عهداً. ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَوْهَبِهِمْ﴾، أي: يطيعونكم بألستهم خلاف ما في قلوبهم، ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾، الإيمان ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: (وأكثرهم

عمرو، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أظنتمم ﴿أَنْ تَتْرَكُوا﴾، قيل: هذا خطاب للمناققين. وقيل: للمؤمنين الذين شق عليهم القتال، فقال: أم حسبتم أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تُمْتَحِنُوا ليظهر الصادق من الكاذب، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾، ولم ير الله ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾، بطانة وأولياء يوالونهم ويُفْسِنُونَ إليهم أسرارهم. وقال قتادة: وليجة خيانة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم. فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهم وليجتي للواحد والجمع. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسر العباس يوم بدر غيرَه المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه القول، فقال العباس: مالكم تذكرون مساويتنا ولا تذكرون محاسنتنا؟ فقال له علي رضي الله عنه: ألكم محاسن؟ فقال نعم: إنا لنعمرُ المسجد الحرام ونحجُّ الكعبة ونسقي الحاج، فأنزل الله عز وجل ردًّا على العباس: (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله)، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله، وأوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافرًا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى أن المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل. وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل

هم أهل فارس والروم. وقال حذيفة بن اليمان: ما قُوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد، ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾، أي: لا عهد لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: (لا إيمان لهم) بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾، أي: لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل: عن الكفر.

[١٣] ثم حضَّ المسلمين على القتال فقال جل ذكره: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾، نقضوا عهدهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة. ﴿وَهَكُمُومًا بِأَخْرَاجِ الرُّسُولِ﴾، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، ﴿وَهُمْ بَدَّءُوكُمْ﴾، بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعني: يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلِمَ العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمدًا وأصحابه. وقال جماعة من المفسرين: أراد أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، ﴿أَتَخَافُونَهُمْ﴾، أتخافونهم فتركوا قتالهم، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٤] ﴿فَتَلُوهُمْ يَعِدُوكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، يقتلهم الله بأيديكم، ﴿وَيُخْزِيهِمْ﴾، ويذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَصْرُكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ﴾، ويبرئ داء قوم، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾، مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صُدُورَ خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين.

[١٥] ﴿وَيَذْهَبَ غِيظَ قُلُوبِهِمْ﴾، كزبها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم، ثم قال مستأنفًا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٨٩

سُورَةُ التَّوْبَةِ

فَتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

الجنة. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» فإن الله قال: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)<sup>(١)</sup>.

[١٩] قوله: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ» قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٦٦/٧ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في المساجد رقم (٨٠٢) ٢٦٣/١، والدارمي في الصلاة ٢٢٢/١، وصححه ابن حبان ص ٩٩ من موارد الظمان، والحاكم ٢١٢/١، والإمام أحمد في المسند ٧٦، ٦٨، ٣.

المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة (مسجد الله) على التوحيد، وأراد به المسجد الحرام، لقوله تعالى: (وعماره المسجد الحرام)، ولقوله تعالى: (فلا يقربوا المسجد الحرام)، وقرأ الآخرون: (مساجد الله) بالجمع والمراد منه أيضاً المسجد الحرام. قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها. قال الفراء: ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول: أخذت في ركوب البراذين، ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدينانير. وقوله تعالى: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾، أراد وهم شاهدون، فلما طرحت (وهم) نصبت، قال الحسن: لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر. وقال الضحاک عن ابن عباس: شهدتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطاً سجدوا للأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بُعداً. وقال السدي: شهدتهم على أنفسهم بالكفر وهو أن النصراني يسأل من أنت؟ فيقول: أنا نصراني، واليهودي يقول: أنا يهودي، ويقال للمشرك ما دينك؟ فيقول: مشرك. قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، لأنها لغير الله عز وجل، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ولم يخف في الدين غير الله لم يترك أمر الله لخشية غيره، ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، (وعسى) من الله واجب، أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التي تؤدي إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّنتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَلْدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

المتخلفين عن الهجرة، ﴿إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ﴾، وذلك لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وحربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: (عشيرتكم) بالالف على الجمع، والآخرين بلا ألف على التوحيد لأن العشيرة واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن أبا الحسن الأخفش قال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما تجمعها على العشائر ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾، أي: تستطيعونها يعني القصور والمنازل، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾، فانظروا، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد

بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما هم فيه (سَقَايَةٌ) مصدر كالرعاية والحماية. قوله: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فيه اختصار تقديره: أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله و جهاد من جاهد في سبيل الله؟ وقيل: السقاية والعمارة بمعنى الساقى العامر، وتقديره: أ جعلتم ساقى الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ وهذا كقوله تعالى: (والعاقبة للمتقوى) أي: للمتقين، يدل عليه قراءة عبدالله بن الزبير وأبي بن كعب (أ جعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام)، على جمع الساقى والعامر، ﴿وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ فضيلة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الناجون من النار.

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّنتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

[٢٢] ﴿خَلْدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بطانة وأصدقاء فتفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا﴾، اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾، فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وكان في ذلك الوقت لا يُقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله: (فأولئك هم الظالمون).

[٢٤] ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء

ومقاتل: بفتح مكة، وهذا أمر تهديد، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، لا يُوفِّق ولا يُرشد ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، الخارجون عن الطاعة.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾، أي مشاهد، ﴿كثيرةٍ ويومٍ حنينٍ إذ أعجبناكم كثرناكم﴾، حتى قلت: لن تغلب اليوم من قلة ﴿فَلَمْ تَعْنِ عَنْكُم﴾، كثرناكم، ﴿شيئاً﴾، يعني إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، أي: برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ الْمُدْرِبِينَ﴾، منهزمين.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، بعد الهزيمة، ﴿سَكِينَتَهُ﴾، يعني: الأمانة والطمأنينة، وهي فعيلة من السكون ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُنُودًا لَهُمْ نَرَوُهَا﴾، يعني: الملائكة. وقيل: لا للقتال ولكن لتجيين الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديه إلى الإسلام، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قدر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد، إنما يقال: رجس نجس، فإذا أفرد قيل: نجس بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سُموا نجسًا على الدم. وقال قتادة: سماهم نجسًا لأنهم يُجنبون فلا يغتسلون ويُحدثون فلا يتوضؤون. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى: (سبحان الذي

١٩١

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قِنَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَن يَوْتَفِكُونَا ﴿٣٠﴾ أَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَزْكَبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

أَسْرَى بعبده ليلًا من المسجد الحرام)، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ. قوله: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، يعني العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة. قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيّق العيش، وذكروا لرسول الله ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) فَقَرَأَ وَفَاقَهُ، يُقَالُ: عال يعيل عَيْلَةً إِذَا افْتَقَرَ، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال عكرمة: فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مدارًا فكثر خيرهم. وقال مقاتل: أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن وجلبوا الميرة



الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقتادة: عوّضهم الله منها الجزية فأغناهم بها.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿فَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين: قال الله تعالى: ﴿فَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمْ الْيَوْمَ الْآخِرُ﴾، فإن قيل: أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل: لا يؤمنون كييمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾، وهي الخراج المضروب على رقابهم، ﴿عَن يَدٍ﴾، عن قهر وذل. قال أبو عبيدة: يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير طيب نفس أعطاه عن يد. وقال ابن عباس: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم. وقيل: عن يد أي نقد ولا نسيئة. وقيل: عن إقرار بآنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم، ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾، أذلاء مهجورون.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ أَيْبُنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، يقولون بألسنتهم من غير علم. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمُ رُهْبَانَهُمْ﴾، أي: علماءهم وقرآءهم، والأخبار العلماء واحداً جبر وخبر، بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع واحداً راهب، كصاحب وصحبان، ﴿أَرْبَابًا﴾، فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأخبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرّموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالآرباب. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فستحلّونه»؟ قال: قلت: بلى، قال: «فتلك

عبادتهم»<sup>(١)</sup>. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، أي: اتخذوه إلهًا، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه. وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبًا، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَسِّرَ نُورَهُ﴾، أي: يُعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمدًا ﷺ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾، يعني: الذي يأتي إلا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى﴾، قيل: بالقرآن. وقيل: ببيان الفرائض، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾، وهو الإسلام، ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾، ليعليه وينصره، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على سائر الأديان كلها، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، واختلفوا في معنى هذه الآية، قال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يُدان الله تعالى إلا به. وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام. قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة.

وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبها. قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال: وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأُميين فقهر رسول الله ﷺ الأُميين حتى دانوا بالإسلام طوعًا وكرهًا، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَسِّرَ نُورَهُ. وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْصَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِتْكُورٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَشَدُّ عَذَابَ شَهْرٍ أَفِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الدين كله، والله أعلم.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبًا يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمنًا قليلًا من سفلتهم، وهي المأكَل التي يصيبنها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المأكَل، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾، ويصرفون الناس، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دين الله عزَّ وجلَّ، ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال ابن عمر

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢١٠/١٤، ورواه مختصرًا الترمذي في تفسير سورة براءة ٨/٤٩٢-٤٩٤ وقال: حديث غريب.

الثاني وجمادى الأول وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة. وقوله: (في كتاب الله) أي: في حكم الله. وقيل: في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، والمراد منه الشهور الهلالية وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوماً بنقصان الأهلة. والغالب أنها تكون ثلاثمائة يوماً وأربعة وخمسين يوماً، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾، من الشهور أربعة حرم وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد، ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَمُوا الْقَيْمَ﴾، أي: الحساب المستقيم ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: قوله (فيهن) ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة. وقيل: (فيهن) أي: في الأشهر الحرم. قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجراً في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً. وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لا تجعلوا حلالها حراماً ولا حرامها حلالاً كفعل أهل الشرك وهو النسيء، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾، جميعاً عامة، ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم. فقال قوم: كان كبيراً ثم نسخ بقوله: (وقاتلوا المشركين كافة) كأنه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو قول قتادة وعطاء الخراساني

رضي الله عنهما: كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز، وإن لم يكن مدفوناً. ومثله عن ابن عباس. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز، أدبت منه الزكاة أو لم تؤد، وما دونها نفقة. وقيل: ما فضل عن الحاجة فهو كنز والقول الأول أصح أن الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال. قال النبي ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»<sup>(١)</sup> قوله عز وجل: (ولا ينفقونها في سبيل الله)، قيل: لِمَ قال: (ولا ينفقونها)، ولم يقل: ولا ينفقونها وقد ذكر الذهب والفضة جميعاً؟ قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، كما قال: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة)، رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. أي: أنذرهم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، أي: تدخل النار فيوقد عليها أي: على الكنوز، ﴿فَتُكْوَى بِهَا﴾، فتحرق بها، ﴿جِبَاهُهُمْ﴾، أي: جباه كانزيها، ﴿وَجُجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ سئل أبو بكر الوراق: لِمَ خَصَّ الْجِبَاهُ وَالْجَنُوبُ وَالظُّهُورُ بِالْكِي؟ قال: لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه بكشحه. قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾، أي: يقال لهم هذا ما كنزتم، ﴿لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾، أي: تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم. وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل الكتاب. وقال الأكثرون: هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال أبو ذر رضي الله عنه.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾، أي: عدد الشهور، ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع

(١) قال العلامة العجلوني في كتابه كشف الخفاء ج ٢ ص ٤٢٤: «رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص رضي الله عنه».

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٩٣

الْبُرُوقِ

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ  
 فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلُ لَهُمْ وَاللَّهُ  
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا مَا لَمْ يُؤْتُوا لَكُمْ لَكُمْ أَنْ تَفْرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ  
 إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ  
 فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾  
 إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا  
 غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ  
 يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ  
 اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا  
 وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ  
 وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر الحرم يوم  
 خلق السموات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه  
 لثلاث يتبدل في مستأنف الأيام فهذا الذي ذكرنا هو  
 النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ  
 زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، يريد زيادة كفر على كفرهم،  
 ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾، يعني النسيء  
 ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا﴾، أي: ليوافقوا،  
 والمواطأة الموافقة، ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، يريد  
 أنهم لم يحلوا شهرًا من الحرام إلا حرموا مكانه  
 شهرًا من الحلال، ولم يحرموا شهرًا من الحلال  
 إلا أحلوا مكانه شهرًا من الحرام، لثلاث يكون الحرم  
 أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة  
 في العدد، ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ  
 أَعْمَلُ لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد زين لهم  
 الشيطان، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

والزهري وسفيان الثوري، وقالوا: إن النبي ﷺ  
 غَزَا هِزَابًا بِحُنَيْنٍ وَثَقِيفًا بِالطَّائِفِ وَحَاصِرَهُمْ فِي  
 شَوَّالٍ وَبَعْضُ ذِي الْقَعْدَةِ. وقال الآخرون: إنه غير  
 منسوخ؛ قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي  
 رباح: ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في  
 الأشهر الحرم إلا أن يُقاتلوا فيها، وما نسخت.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي  
 الْكُفْرِ﴾، قيل: هو مصدر كالسعي والحريق.  
 وقيل: هو مفعول كالجرير والقتيل، وهو من  
 التأخير. ومنه النسية في البيع، يقال: أنسأ الله في  
 أجله أي أخر، وقيل: هو من النسيان على معنى  
 المنسي أي المتروك. ومعنى النسيء هو تأخير  
 تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك أن العرب كانت  
 تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما  
 تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت  
 عامة معاشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم  
 الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وربما  
 وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكروهون  
 تأخير حربهم فنسؤوا - أي: أخروا - تحريم ذلك  
 الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم  
 المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون  
 المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر  
 أخروه إلى ربيع هكذا شهرًا بعد شهر حتى استدار  
 التحريم على السنة كلها. قال مجاهد: كانوا  
 يحجون في كل شهر عامين فحجوا في شهر ذي  
 الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا  
 في صفر عامين، وكذلك في الشهور، فوافقت  
 حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة  
 الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام  
 القابل حجة الوداع، فوافق حجه شهر الحج  
 المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة اليوم التاسع  
 وخطب اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر  
 النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر

رسول الله ﷺ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل، ﴿وَأَيْدُهُ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلًا﴾، وكلمتهم الشرك وهي السفلى إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ إلى يوم القيامة. قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله. وقيل: كلمة الذين كفروا ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله وَعُدُّ الله أنه ناصره ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شُبَانًا وشُبُوخًا. وعن ابن عباس: نشاطًا وغير نشاط. وقال أبو صالح: خفافًا من المال أي: فقراء، وثقالات أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافًا أهل الميسرة من المال وثقالات أهل العسرة. وقيل: خفافًا من السلاح، أي مقلين منه، وثقالات أي: مستكثرين منه، وقال مرة الهمداني: أصحاب مرضى. وقال يمان بن رباب: عزابًا ومتأهلين. وقيل: خفافًا من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالاتًا مستكثرين بهم. وقيل: خفافًا مسرعين خارجين ساعة سماع النفر، وثقالاتًا بعد التروي فيه والاستعداد له ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال عطاء الخراساني عن ابن عباس: نُسخَت هذه الآية بقوله: (وما كان المؤمنون)، قال

[٣٨] قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَافَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحرّ حين طابت الثمار والظلال فشقّ عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ أي: قال لكم رسول الله ﷺ: ﴿أَنْفِرُوا﴾ اخرجوا في سبيل الله ﴿أَنْتَافَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

[٣٩] ثم أوعدهم على ترك الجهاد، فقال تعالى: ﴿إِلَّا نَنْفِرُوا بَعْدَكُمْ عَدَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة. وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا بِغَيْرِكُمْ خَيْرًا مِنْكُمْ وَأَطْوَعُ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾، بترككم النفير. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾، هذا إعلام من الله عزّ وجلّ أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العَدَد والعَدَد ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مكة حين مكروا به وأرادوا تبيته وهموا بقتله، ﴿ثَانِيكٍ أَثْنَيْنِ﴾ أي هو أحد الاثنين، والاثنان: أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾، وهو نقب في جبل ثور بمكة، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، قال الشعبي: عاتب الله عزّ وجلّ أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن حزن أبي بكر حُبْنًا منه، وإنما كان إشفاقًا على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾  
 لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ  
 عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا  
 مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾  
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَسْبِنَ لَكَ الَّذِينَ  
 صَدَقُوا وَعَلِمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ  
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
 وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ  
 فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ  
 لَأَعَدُوا الْعُدَّةَ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ  
 وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمُ  
 مَارَادُواكُمْ بِالْإِخْبَاءِ لِأَوْلَى أَلْعَدُوا لَخَلَلَكُمُ الْيَعْقُونَ كُمْ  
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) الآية. ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

[٤٢] ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، واسم كان مضمراً، أي: لو كان ما تدعوهم إليه عرضاً قريباً؛ أي: غنيمة قريبة المتناول، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، أي: قريباً هيناً، ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾، لخرجوا معك، ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: المسافة، والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونها، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني باليمين الكاذبة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في أيماهم لأنهم كانوا مستطيعين.

[٤٣] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون. قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعمو قبل أن يُعيّره بالذنب. قيل: إن الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي، ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو.

﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾، أي: في التخلّف عنك ﴿حَتَّى يَسْبِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في أعدارهم، ﴿وَعَلِمَ الْكَاذِبِينَ﴾، فيها أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا يستأنذرك في التخلّف، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: شكت وناققت، ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، يتحIRON. [٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾، إلى الغزو، ﴿لَأَعَدُوا لَهُ﴾، أي: لهيؤوا له ﴿عُدَّةً﴾، أهبة وقوة من السلاح والكرع، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ﴾، خروجهم، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾، منعهم وحبسهم عن الخروج، ﴿وَقِيلَ أَقْعُدُوا﴾، في بيوتكم، ﴿مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾، يعني: مع المرضى والزمنى. وقيل: مع النسوان والصبيان. وقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: اقعدوا. وقيل: أوحى إلى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان.

[٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمْ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبي

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٩٥

الْبُرْجَانِ

لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ لَنَكْفُرَنَّ بِكَ إِن تَصْبِكُ إِلَّا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٨﴾  
 جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٩﴾  
 وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنذِرْنَا لِي وَلَا تَفْتِنْنَا أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾  
 ﴿٤٩﴾ إِن تَصْبِكُ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِن تَصْبِكُ مُصِيبَةً يَقُولُوا أَقَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَبِكَتَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾  
 ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنَاءً إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَدِيًّا فَتَرْتَبِصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَن يَقْبَلَنَّ مِنْكُمْ إِنكُم كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٥﴾

هل لك في جلاد بني الأصفر؟ يعني الروم، تتخذ منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يا رسول الله لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإنني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي. قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق، فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: أذنت لك فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أُنذِرْنَا لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ بنات الأصفر. قال قتادة: ولا تؤثمني. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، مطيفة عليهم وجامعة

(١) في نسخة: (الغيب).

على ذي جذة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﷺ: ﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ يعني المنافقون ﴿فِيكُمْ﴾ أي معكم، ﴿مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾، أي: فسادًا وشرًا، ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الأمر، ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾، أسرعوا، ﴿خِلَالَكُمْ﴾، في وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض. وقيل: (ولأوضعوا خلالكم) أي: أسرعوا فيما يخل بكم. ﴿يَعْمَلُونَ الْفِتْنَةَ﴾، أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جمع لكم كذا وكذا وإنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك. وقال الكلبي: ييغونكم الفتنة يعني: العنت<sup>(١)</sup> والشر. وقال الضحاك: الفتنة الشرك، ويقال: بغيته الشر والخير أبعيه بغيًا إذا التمسته له، يعني: بغيت له. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾، قال مجاهد: معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون لهم، أي: يستمعون كلامهم ويطيعونهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ﴾، أي: طلبوا صدًا أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبدالله ابن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه. ﴿وَقَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ لَنَكْفُرَنَّ بِكَ إِن تَصْبِكُ إِلَّا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، بالتخذيل عنك وتشتيت أمرك، ﴿حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ﴾، النصر والظفر، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنذِرْنَا لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾، نزلت في جد بن قيس المنافق، وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال: يا أبا وهب

لهم فيها .

[٥٠] ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ ، نصرة وغنيمة ،  
 ﴿سَوُّهُمْ﴾ ، تُحزَنُهُمْ ، يعني: المنافقين ، ﴿وَإِنْ  
 تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ ، قتل وهزيمة ، ﴿يَقُولُوا قَدْ  
 أَخَذْنَا أَسْرَانًا﴾ ، حذرنا ، أي: أخذنا بالحزم في  
 القعود عن الغزو ، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ ، أي: من قبل هذه  
 المصيبة ، ﴿وَيَقُولُوا﴾ ، ويدبروا ﴿وَهُمْ  
 فَرِحُوا﴾ ، مسرورون بما نالك من المصيبة .

[٥١] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا  
 كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ، أي: علينا في اللوح المحفوظ ،  
 ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ، ناصرنا وحافظنا . وقال الكلبي: هو  
 أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ  
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَاءَ﴾ ، تنتظرون بنا أيها  
 المنافقون ، ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ﴾ ، إما النصر  
 والغنيمة أو الشهادة والمغفرة ، وروينا عن أبي  
 هريرة عن النبي ﷺ قال: تكفل الله لمن جاهد في  
 سبيله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله  
 وتصديق كلمته أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى  
 مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو  
 غنيمة . ﴿وَعَلَى تَرْتِيبِ بَيْتِكُمْ﴾ ، إحدى السواتين  
 إما ﴿أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ ،  
 فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية ﴿أَوْ بِأَيْدِيكُمْ﴾ ،  
 أو بأيدي المؤمنين إن أظهرتم ما في قلوبكم ،  
 ﴿فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتِبُونَ﴾ ، قال الحسن:  
 فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون مواعيد الله  
 من إظهار دينه واستتصال من خالفه .

[٥٣] ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ ، أمرٌ بمعنى  
 الشرط والجزاء ، أي: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا ،  
 نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود ، قال  
 أعينكم بمالي ، يقول: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا ﴿لَنْ  
 يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ﴾ ، أي: لأنكم ، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا  
 فَاسِقِينَ﴾ .

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ ،  
 صدقاتهم ، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ،  
 أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم ، ﴿وَلَا يَأْتُونَ  
 الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ ، متثاقلون لأنهم لا  
 يرجون على أدايتها ثوابًا ولا يخافون على تركها  
 عقابًا ، فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا  
 صلاة لهم أصلًا؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي  
 يبعث على الكسل ، فإن الكفر مُكسل والإيمان  
 منشط ، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَادِرُونَ﴾ ، لأنهم  
 يعدونها مفرمًا ومنعها مغنمًا .

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ ،  
 والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه ، يقول: لا  
 تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن  
 العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله  
 وولده ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا﴾ ، فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد  
 وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال  
 مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير ، تقديره:  
 فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا  
 إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . وقيل:  
 التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد . وقال  
 الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها  
 والنفقة في سبيل الله . وقيل: يعذبهم بالتعب في  
 جمعه والوجل في حفظه والكره في إنفاقه ،  
 والحسرة على تخليفه عند من لا يُحْمِده ، ثم يُقدم  
 على مَلِكٍ لا يُعْذِرُهُ . ﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ ، أي:  
 تخرج ، ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ، أي: يموتون على  
 الكفر .

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ ، أي:  
 على دينكم ، ﴿وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ ،



يخافوا أن يظهروا ما هم عليه.

[٥٧] ﴿لَوْ يَحْدُوثٌ مَلَجًا﴾، حرزًا أو حصنًا أو معقلًا. وقال عطاء: مهربًا. وقيل: قومًا يأمنون فيهم. ﴿أَوْ مَعْرَاتٍ﴾، غيرانًا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي تغور فيه، أي تستتر. وقال عطاء: سراديب. ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾، موضع دخول فيه، وهو من أدخل يدخل، وأصله: مدتخل مفتعل، من دخل يدخل. قال مجاهد: محرزا. وقال قتادة: سربًا. وقال الكلبي: نفقًا في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ. وقرأ يعقوب (مدخلًا) بفتح الميم وتخفيف الدال، وهو أيضًا موضع الدخول، ﴿لَوْلَا إِلَيْهِ﴾، لأدبروا إليه هربًا منكم، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في إباءٍ ونفورٍ لا يردّ وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصًا منكم ومهربًا لفارقوكم.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، الآية نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج ﴿يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك في أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها. يقال: لَمْزَهُ وهمزُه، أي: عابه، يعني أن المنافقين كانوا يقولون إن محمدًا لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب (يلمزك) وكذلك يلمزون في الحجرات (ولا تلمزوا) كل ذلك بضم الميم فيهنّ، وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يَلْمِزُ وَيَلْمِزُ مثل يحسر ويحسر ويعكف ويعكف. وقال مجاهد: يلمزك أي يروذك يعني يختبرك. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾، قيل: إن أعطوا كثيرًا فرحوا وإن أعطوا قليلًا سخطوا.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي: قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، كافينا الله، ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ

التوبة

١٩٦

سورة التوبة

فَلَا تَعْبَجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أُنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِيُنْزِلَهُمْ وَمَا هُمْ بِمُنْكَرُونَ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوثٌ مَلَجًا أَوْ مَعْرَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمُؤَلَّفِينَ لِقُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٍّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، ما نحتاج إليه ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، في أن يوسع علينا من فضله، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب (لو) محذوف أي: لكان خيرًا لهم وأعود عليهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية أهل الصدقات وجعلها لثمانية أصناف، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يرص بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء»<sup>(١)</sup>. قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾. فأحد أصناف الصدقة: الفقراء، والثاني: المساكين:

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة ٢/٢٣٠، ٢٣١ والدارقطني في الزكاة ٢/١٣٧ والبيهقي في السنن ٤/١٧٤، وقال المنذري: في إسناده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وقد تكلم فيه غير واحد.

دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفاً كما أعطى عيينة بن بدر والأقرع ابن حابس والعباس بن مرداس السلمي. أو أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبير بن بدر، فكان يعطيهم تألفاً لقومهم وترغيباً لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات. والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بإزاء قوم كفار من موضع مُتَّاء لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة. ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الإمام فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات. وقيل: من سهم سبيل الله. روي أن عدي بن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بغيراً. وأما الكفار من المؤلفة فهو من يُخشى شره منهم أو يُرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يُعطي هذا حذراً من شره أو يُعطي ذلك ترغيباً به في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، والصفى الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة، هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيداً فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق. قوله تعالى: ﴿وَالْفَرَمِينَ﴾، والصفى السادس هم الغارمون وهم قسمان: قسم

واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري: الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل. وقال ابن عمر: ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير. وقال قتادة: الفقير المحتاج الزمُّ، والمسكين الصحيح المحتاج. وروي عن عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب. وقال الشافعي: الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعاً زماناً كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلاً كان أو غير سائل. فالمسكين عنده أحسن حالاً من الفقير لأن الله تعالى قال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ أثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المسكين. وقال القتيبي: الفقير الذي له البلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير من له المسكن والخادم، والمسكين من لا ملك له. وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين. وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت. قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِا﴾. وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطون مثل أجر عملهم. وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقِهِمْ﴾، فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: قسم مسلمون وقسم كفار، فأما المسلمون فقسمان قسم

تعالى: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، قرأ العامة بالإضافة، أي: مستمعٌ خيرٌ وصلاحٌ لكم، لا مستمع شرٌ وفساد. وقرأ الأعشى والبرجمي عن أبي بكر: (أذن خير لكم) مرفوعين منونين، يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، أي: لا بل يؤمن بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين. يقال: أمنت وأمت له بمعنى صدقته. ﴿وَرَحْمَةً﴾، قرأ حمزة: (ورحمة) بالخفض على معنى أذن خير لكم وأذن رحمة، وقرأ الآخرون: (ورحمة) بالرفع، أي: هو أذن خير وهو رحمة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾، قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلّاس ابن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شرٌّ من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فحقره وقالوا هذه المقالة، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلّفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون إليه ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من

أدانوا لأنفسهم في غير معصيته فإنهم يُعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، فإن كان عندهم وفاء فلا يُعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنهم يُعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء. وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة، يعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة، وإن كانوا أغنياء. قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، والصف الثامن هم أبناء السبيل، فكل من يريد سفرًا مباحًا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المتنقل إليه مال أو لم يكن. وقال قتادة: ابن السبيل هو الضيف. وقال فقهاء العراق: ابن السبيل الحاج المنقطع. قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: واجبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وهو نصب على القطع، وقيل: على المصدر، أي: فرض الله هذه الأشياء فريضة، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يُؤْذُونَ النبي ﷺ، ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلّاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمدٌ أذنٌ، أي: أذنٌ سامعة، يقال: فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة، إذا كان يسمع كل ما قيل له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذنًا إذا استمع. وقيل: وهو أذن أي: ذو أذن سامعة، وقال محمد ابن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث قال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئًا صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. قوله

الله ورسوله، ﴿فَأَبْهَتْ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾، أي: الفضيحة العظيمة. [٦٤] ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾، أي: يخشى المنافقون، ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: تنزل على المؤمنين، ﴿سُورَةٌ نُنِيتُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويُسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم. قال قتادة: هذه السورة تُسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارَت مخازيهم ومثالبهم ﴿فَلِئَسْتَهْزِؤًا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾، مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾، قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قَدَرُوا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم (١).

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقاتدة: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعد من ذلك. وقيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك؛ فقال: احبسوا عليّ الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتُم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب. قال عمر: فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٩٧

سُورَةُ التَّوْبَةِ

يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْهَتْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنِيتُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلِ أَبِ اللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكٰفِرَاتُ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٠﴾

الله ﷺ يقول له: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون» ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه. قوله: ﴿قُلْ﴾، أي: قل يا محمد للمنافقين، ﴿أَبِ اللَّهِ وَعَآئِنِهِ﴾، كتابه، ﴿وَرَسُولِهِ﴾، كنتم تستهزئون.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فإن قيل كيف قال: (قد كفرتم بعد إيمانكم) وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه أظهرتم الكفر بعد ما أظهرتم الإيمان. ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾، أي: نتب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحداً، ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، بالاستهزاء، وقرأ عاصم: (نعف) بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالنون وكسر الذال، ﴿طَائِفَةً﴾ نصب. وقرأ الآخرون: (بُعف) بالياء (١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المنافقين (٢٧٧٩)، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/٣٢٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ  
 أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ  
 كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ  
 كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ  
 نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ  
 إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ كُنْتُمْ أَنْتُمْ  
 رُسُلُهُمْ يَأْكِنْتُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ  
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ  
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾  
 وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ  
 وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٩﴾

سبيلهم، ﴿رَضُّكُمْ﴾ في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب رُسله وبالاستهزاء بالمؤمنين، ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾، أي: كما خاضوا. وقيل: كالذي يعني كالذين خاضوا، وذلك أن الذي اسم ناقص، مثل (ما) و(من) يُعبر به عن الواحد والجمع، نظيره قوله تعالى: (كمثل الذي استوقد نارًا) ثم قال: (ذهب الله بنورهم)، ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَتَسْبَعَنَّ سَنَةً مِنْ قَبْلِكُمْ شَيْبًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام ٣٠٠/١٣ ومسلم في =

وضمها وفتح الفاء، (تُعَذِّبُ) بالتاء وفتح الذال، ﴿طَائِفَةٌ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل. وقال محمد ابن إسحاق: الذي عُفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي، يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانًا لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ عني بها تقشعر الجلود منها وتجب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفتت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عُرف مصرعه غيره.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾، بالشرك والمعصية، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، أي عن الإيمان والطاعة، ﴿وَيَقْضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا ييسطونها بخير، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في الآخرة وتركهم في عذابه، ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰلسِفُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، كافيهم جزاء على كفرهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، أبعدهم الله من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم.

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول من أمر الله، فلعنتم كما لعنوا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، بطشًا ومنعة، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾، فتمتعوا أو انتفعوا بخلاقهم بنصيبيهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضًا عن الآخرة، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾، أيها الكفار والمنفقون، ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾، وسلكتهم

[٧٠] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿نَبَأًا﴾، خبر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، حين عصوا رُسُلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم ثم ذكرهم، فقال: ﴿قَوْمٍ نُوْحٍ﴾، أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾، أهلكوا بالريح ﴿وَتَمُودٍ﴾، بالرجفة، ﴿وَقَوْمٍ إِبْرَاهِيمَ﴾، بسلب النعمة وهلاك نمرود، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾، يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، ﴿وَالْمُتَفَكِّحِينَ﴾ المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط وقُراهم، ﴿أَنْتَهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْيَقِينِ﴾، فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر الكفار فاحذروا تعجيل العقوبة، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الدين واجتماع الكلمة والعون والنصرة. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان والطاعة والخير، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عن الشرك والمعصية وما لا يُعرف في الشرع، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٧٢] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ﴾، منازل طيبة، ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أي: بساتين خلد وإقامة، يُقال: عدن بالمكان إذا أقام به ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. أي: رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذي هم فيه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. روينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضىتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»<sup>(١)</sup>.

يَأْتِيهَا النَّارُ جَهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِأَعْدَائِهِمْ وَهُمْ أُولِي أَلْبَابٍ لَّيِّنًا وَأُولِي نِقَمٍ إِلَّا أَنْ غَنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَظِلُّوْا بِعُنُقِهِمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمَنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَصْدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

[٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهَدَ الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والقتل، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، واختلفوا في صفة جهاد المنافقين، قال ابن مسعود: بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه، وقال: لا تلق المنافقين إلا بوجه مكفهر. وقال ابن عباس: باللسان وترك الرفق. وقال الضحاك: بتغليظ الكلام. وقال الحسن وقتادة: بإقامة الحدود عليهم. ﴿وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾. قال عطاء: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

= العلم رقم (٢٦٦٩) ٤/٢٠٥٤ والمصنف في شرح السنة ٣٩٢/١٤.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣/٤٨٧ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٢٩) ٤/٢١٧٦ والمصنف في شرح السنة ٢٣١/١٥.

الأعزُّ منها الأذلُّ)، وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين، ﴿وَهُمُوا بِمَا لَزَّ يَتَالُؤُا﴾، قَالَ مجاهد: همَّ المنافقون بقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه. وقيل: همَّ اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتَكُوا برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وُجُوهُ رَوَاحِلِهِمْ، فأرسل حذيفة لذلك. وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجًا، فلم يصلوا إليه. ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾، وما كرهوا وما أنكروا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وذلك أن مولى الجلاس قُتِلَ فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى. وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم. ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ من نفاقهم وكفرهم ﴿بِكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا﴾، يعرضوا عن الإيمان، ﴿عَدَيْهِمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾، بالخزي، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَقُتِلَ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدَقَنَّ﴾ الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاء قعود وقالوا: والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن، فلما رزقهما الله عز وجل بَخِلَا به. فقوله عز وجل: ﴿وَمَنْهُمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَقُتِلَ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدَقَنَّ﴾ ولنؤدين حقَّ الله منه. ﴿وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَاعْقَبَهُمْ﴾، فأخلفهم، ﴿فِنَاقًا فِي

[٧٤] قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرة فقال: «إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه» فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «عَلَامٌ تشتمني أنت وأصحابك؟» فانطلق الرجل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقال الكلبي: نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسًا وعابهم، فقال جلاس: لئن كان محمد صادقًا لنحن شرُّ من الحمير فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إنَّ محمدًا لصادقٌ وأنتم شرُّ من الحمير، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس، فقال الجلاس: كذب علي يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذب عليَّ عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قال وما كذبتُ عليه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديقَ الصادقِ متًا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: آمين. فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل أن يتفرقوا بهذه الآية، حتى بلغ: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله أسمع الله عز وجل قد عرض عليَّ التوبة، صدقَ عامرُ بن قيس فيما قاله لقد قلتُه وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فقبل رسولُ الله ﷺ ذلك منه وحسنتُ توبته. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام. وقيل: هي سبُّ النبي ﷺ. وقيل: كلمة الكفر قول الجلاس: لئن كان محمد صادقًا لنحن شرُّ من الحمير. وقيل: كلمة الكفر قولهم: (لئن رجعتنا إلى المدينة ليُخرجنَّ

قُلُوبِهِمْ ﴿٧٨﴾، أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلاناً ندماً إذا صير عاقبة أمره ذلك. وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم. يُقال: عاقبته وأعقبته بمعنى واحد. ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾، يريد حرمهم التوبة إلى يوم القيامة، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان»<sup>(١)</sup>.

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، يعني: ما أضمرُوا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾.

[٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية. قال أهل التفسير: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبارك الله في ماله حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم. وتصدّق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسقٍ من تمر. وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بئ ليّليّ أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي وأيتك بالآخر فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبدالرحمن وعاصم إلا رياءً وإن كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يُذكر فيمن أعطى الصدقة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ أَي: يعيبون الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعني: عبدالرحمن بن عوف وعاصمًا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل. والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح. قال القتبي: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، يستهزئون منهم، ﴿سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾. أي: جازاهم الله على السخرية. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨٠] ﴿اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، لفظ أمر معناه الخبر، تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة. قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم»، فأنزل الله على رسوله ﷺ (سواءً عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم). ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن غزوة تبوك، والمخلف المتروك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، قال أبو عبيدة: أي: بعد رسول الله ﷺ. وقيل: مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا، ﴿وَكَدَّهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، وكانت غزوة تبوك في شدة الحرّ، ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يعلمون، وكذلك هو في مصحف عبدالله ابن مسعود.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾، في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾، في الآخرة. تقديره: فليضحكوا قليلاً وسيكون كثيراً، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ عن

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٨٩/١ ومسلم في الإيمان رقم (٥٩) ٧٨/١ والمصنف في شرح السنة ٧٢/١.



سورة التوبة

٢٠٠

سورة التوبة

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾ فَرَحَ الْمَخْلُفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٤﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٥﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَدْنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٩﴾

فُبِضَ.

[٨٥] ﴿وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَدْنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، في رحالهم.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، يعني: النساء. وقيل: مع أدياء الناس وسفلتهم. يقال: فلان خالفه قومه إذا كان دونهم. ﴿وَطُجِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨٨] ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا

موسى بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(١)</sup>.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: من المخلفين، إنما قال طائفة منهم لأنه ليس كل من تخلف من غزوة تبوك كان منافقاً، ﴿فَاسْتَدْتُوكَ لِلخُرُوجِ﴾، معك في غزوة أخرى، ﴿فَقُلْ لَهُمْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في سفر، ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، في غزاة أخرى، ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، أي: مع النساء والصبيان، وقيل مع الزمى والمرضى. وقال ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر. وقيل: مع الخالفين. قال الفراء: يقال صاحب خالف إذا كان مخالفاً. ﴿وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبدالله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخز عني يا عمر» فلما أكثرت عليه قال: «إني خيبت فاخترت لو أعلم أنني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)، إلى قوله: (وهم فاسقون). قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم<sup>(٢)</sup>.

[٨٤] قوله: ﴿وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، لا تقف عليه، ولا تتول دفنه، من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٢٨٠/٨ ومسلم في الفضائل رقم (٢٣٥٩) ١٨٣٢/٤ والمصنف في شرح السنة ١٤/٣٦٨. (٢) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/٢٢٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠١

سُورَةُ التَّوْبَةِ

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَنَكُنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَنَدًا وَيَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤدِّنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَأْجَمٌ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَحْدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

القعود عن الغزو، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، في مغيبهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله وبايعوا الرسول ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال قتادة: نزلت في زيد بن عمر وأصحابه. وقال الضحاك: نزلت في عبدالله بن أم مكتوم وكان ضريب البصر. [٩٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، معناه أنه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سُموا البكائين: معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبدالله بن كعب الأنصاري، وعبلة بن زيد الأنصاري، وسالم ابن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبدالله بن مغفل المزني، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا. واختلفوا في قوله (لتحملهم) قال ابن عباس: سألوه أن

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾، يعني الحسنات، وقيل: الجوارى الحسان في الجنة. قال الله تعالى: (فيهنَّ خيراتٌ حسان)، جمع خيرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [٩٠] قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤدِّنَ لَهُمْ﴾ الآية، قرأ يعقوب ومجاهد: (المُعذرون) بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل: «لقد أعذر من أنذر»، أي: بالغ في العذر من قدم النذارة، وقرأ الآخرون (المُعذرون) بالتشديد، أي المقصرون، يقال: عذَرَ، أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون أدغمت التاء في الذال ونقلت حركة التاء إلى العين. وقال الضحاك: المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا رسول الله ﷺ دفاعاً عن أنفسهم فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلاتنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم». وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني المنافقين. قال أبو عمر بن العلاء: كلا الفريقين كان مسيئاً قوم تكلفوا عذراً بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء المعذرون)، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر فقعدها جرأة على الله تعالى، وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ذكر أهل العذر. [٩١] فقال جل ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الزمنى والمشايخ والعجزة. وقيل: هم الصبيان وقيل: النسوان، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾، يعني الفقراء ﴿حَرَجٌ﴾، مأثم. وقيل: ضيق في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٢

سُورَةُ التَّوْبَةِ

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَآتَعْتَدِرُوا  
 لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى  
 اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ  
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ  
 بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا  
 عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً يُعَاكَفُونَ  
 وَيَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ  
 تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ  
 ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا  
 حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ  
 الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ  
 عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ  
 الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ  
 مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا لِيَتَرْضَىٰ عَنْهُ وَاللَّهُ وَرَثَةُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا أَلَّا يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ إِلَىٰ إِلَهِكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٩﴾

عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٤﴾ .

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾، أي: أهل البدو، ﴿أَشَدُّ  
 كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، من أهل الحضر، ﴿وَأَجْدَرُ﴾،  
 أي: أخلق وأحرى، ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن  
 ومعرفة السنن، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بما في قلوب خلقه،  
 ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما فرض من فرائضه.

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ .  
 قال عطاء: لا يرجون على إعطائه ثواباً ولا يخافون  
 على إمساكه عقاباً إنما ينفق خوفاً ورياءً. والمغرم  
 التزام ما لا يلزم ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾. وينتظر، ﴿بِكُمُ  
 الدَّوَائِرَ﴾، يعني: صروف الزمان التي تأتي مرة  
 بالخير ومرة بالشر. وقال يمان بن رباب: يعني  
 ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر  
 المشركون، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، عليهم يدور

يحملهم على الدواب. وقيل: سألوه أن يحملهم  
 على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، ليغزوا  
 معه فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله  
 تعالى: ﴿قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَهْلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾،  
 وهم يكون، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ  
 تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ .

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾، بالعقوبة، ﴿عَلَى الَّذِينَ  
 سَتَدْرُونَكَ﴾، في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن  
 يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾. مع النساء والصبيان، ﴿وَطَبَعَ  
 اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، يروى  
 أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا  
 بضعةً وثمانين نفرًا، فلما رجع رسول الله ﷺ  
 جاؤوا يعتذرون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا  
 تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾، لن نصدقكم، ﴿قَدْ نَبَأْنَا  
 اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، فيما سلف، ﴿وسيرى الله  
 عملكم ورسوله﴾، في المستأنف أتتوبون من نفاقكم  
 أم تقيمون عليه؟ ﴿ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ  
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾،  
 إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ﴾،  
 لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم، ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾،  
 فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ﴿إِنَّهُمْ  
 رَجِسٌ نَجِسٌ أَي: إن عملهم قبيح، ﴿وَمَا وَنَهُمْ﴾،  
 في الآخرة، ﴿جَهَنَّمُ جَزَاءً يُعَاكَفُونَ﴾،  
 يَكْسِبُونَ﴾. قال ابن عباس: نزلت في جد بن قيس  
 ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلاً  
 من المنافقين. فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة:  
 ﴿لَا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ﴾. وقال مقاتل: نزلت  
 في عبدالله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله  
 إلا هو لا يتخلف عنه بعدها، وطلب من النبي ﷺ  
 أن يرضى عنه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ  
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ  
 مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ  
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابِ  
 عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا  
 وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾  
 حُذِرْنَ مِنْهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنْهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ  
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ  
 أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ  
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ  
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلِّيِّينَ وَالشَّهَادَةُ  
 فَيُنْتَقَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ  
 اللَّهِ إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوؤهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دائرة الشؤء) ههنا وفي سورة الفتح بضم السين، معناه: الضر والبلاء والمكروه. وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر. وقيل: بالفتح الردة والفساد، وبالضم الضر والمكروه. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم. ثم استثنى فقال:

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ﴾، قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزيبة. وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة ﴿وَيَتَّخِذُوا مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾، القربات جمع القرية، أي: يطلب القرية إلى الله تعالى، ﴿وَصَلَّوْا الرَّسُولَ﴾، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾. قرأ نافع برواية ورش قرية بضم الراء، والباقون بسكونها. ﴿سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، في جنته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

والأنصار بالترحم والدعاء. ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قرأ ابن كثير: (من تحتها الأنهار)، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾، وهم من مزيبة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، أي: ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾، أي: مروا على النفاق، يقال: تمرد فلان على ربه أي: عتا، ومرد على معصيته أي: مرن وثبت عليها واعتادها، ومنه: المرید والمراد. قال ابن إسحاق: لجوا فيه

[١٠٠] ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية. قرأ يعقوب بالرفع، عطفًا على قوله: ﴿وَالسَّيْفُونَ﴾، واختلّفوا في السابقين، قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلّوا إلى القبليتين. وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر. وقال الشعبي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان. قوله عز وجل: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ﴾، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ أي: ومن الأنصار وهم الذين نصرّوا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وأووا أصحابه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ قيل: بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين. وقيل: هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرّة إلى يوم القيامة. وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين

الله ﷺ مَرَّ بِهِمْ فَأَرْهَمَ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فَعَاهَدُوا اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ لَا يُطَلِّقُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَطْلُقُهُمْ وَتَرْضَى عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطَلِّقُهُمْ وَلَا أُعْذِرُهُمْ حَتَّى أُمِرَ بِإِطْلَاقِهِمْ، لِأَنَّهُمْ رَغَبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطْلَقَهُمْ وَعْذَرَهُمْ، فَلَمَّا أُطْلِقُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا الَّتِي خَلَّفْنَا عَنْكَ فَتَصَدَّقْ بِهَا وَطَهِّرْنَا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخْذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) الْآيَةَ.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، ﴿وَتُرَكِّبُهَا﴾، أَي: تَرْفَعُهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَخْلِصِينَ. وَقِيلَ: تَنْمِي أَمْوَالَهُمْ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أَي: ادْعُ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ. وَقِيلَ: هُوَ قَوْلُ السَّاعِي لِلْمَصَدَّقِ إِذَا أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْهُ: أَجْرَكَ اللَّهُ فِيمَا أُعْطِيَتْ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ. وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدَّعَاءُ. ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ قَرَأَ حَمِزَةً وَالْكَسَائِي: (صَلَاتِكَ) عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَصَبَ التَّاءَ هَهُنَا، وَفِي سُورَةِ هُودٍ (أَصْلَاتِكَ) وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَى صَلَاتِهِمْ) كُلُّهُنَّ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَفْقَهُمَا حَفْصٌ هَهُنَا وَفِي سُورَةِ هُودٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْجَمْعِ فِيهِنَّ وَكَسَرَ التَّاءَ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا خِلَافَ فِي الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ: (وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ) وَالَّتِي فِي الْمَعَارِجِ: (وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) إِنَّهُمَا جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ. ﴿سَكَنَ لَهُمْ﴾، أَي: إِنْ دَعَاكَ رَحْمَةً لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: طَمَآنِينَةٌ لَهُمْ وَسَكُونٌ لَهُمْ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبِلَ مِنْهُمْ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَثَبَّتْ لِقُلُوبِهِمْ. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجُوبِ الدَّعَاءِ عَلَى الْإِمَامِ عِنْدَ اخْتِزَانِ الصَّدَقَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُسْتَحَبُّ. وَقَالَ

وَأَبُو غَيْرِهِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَقَامُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَبَّوْا، ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾، أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَمِعَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، اخْتَلَفُوا فِي هَذَيْنِ الْعَدَابَيْنِ، قَالَ مَجَاهِدٌ: الْأَوَّلُ الْقَتْلُ وَالسَّبِي، وَالثَّانِي عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الدَّبِيلَةُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَوْلَى الْمَصَائِبُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَى عَذَابُ الْآخِرَةِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَوْلَى إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَالْآخِرَى عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ غِيظِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِهِمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ حِسْبَةٍ ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقِيلَ: أَحَدُهُمَا ضَرْبُ الْمَلَائِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَالْآخِرُ عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقِيلَ: الْأَوْلَى إِحْرَاقُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ، وَالْآخِرَى إِحْرَاقُهُمْ بِنَارِ جَهَنَّمَ. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، أَي: عَذَابُ جَهَنَّمَ يَخْلُدُونَ فِيهِ.

[١٠٢] ﴿وَأَخْرَجُوا﴾، أَي: وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنَ الْأَعْرَابِ آخَرُونَ، وَلَا يَرْجِعُ هَذَا إِلَى الْمُنَافِقِينَ، ﴿اعْتَرَفُوا﴾، أَقْرَأُوا، ﴿بِذُنُوبِهِمْ خَطَاؤًا عَمَلًا صَالِحًا﴾، وَهُوَ إِقْرَارُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ، ﴿وَأَخْرَجُوا سِتْنًا﴾، أَي: بِعَمَلِ آخِرِ سَيِّئَةٍ، وَضَعِ الْوَاوَ مَوْضِعَ الْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: خَلَطْتُ الْمَاءَ وَاللَّبْنَ، أَي: بِاللَّبَنِ. وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ نَدَامَتُهُمْ وَرِبْطُهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِالسُّوَارِيِّ. وَقِيلَ: غَزَوَاتُهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، ثُمَّ نَدَمُوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَكُونُ فِي الظَّلَالِ مَعَ النِّسَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الْجِهَادِ وَاللَّوَاءِ، فَلَمَّا قَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ قَالُوا: وَاللَّهِ لِنُؤْفَقَنَّ أَنْفُسَنَا بِالسُّوَارِيِّ فَلَا نُطَلِّقُهَا حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطَلِّقُنَا وَيُعْذِرُنَا، فَأَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِسُوَارِيِّ الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ

خمسین ليلة.

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا

ضُرَارًا﴾، نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين

بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء ضرارًا يعني

مضارة للمؤمنين، ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله ورسوله، ﴿وَقَرِيبًا

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنهم كانوا جميعًا يصلون في

مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم

فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة.

﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي:

انتظارًا وإعدادًا لمن حارب الله ورسوله يقال:

أرصدت له إذا عدت له، وهو أبو عامر الفاسق

أرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من

قوة ومن سلاح، وابتنوا لي مسجدًا فإني ذاهب إلى

قيصر ملك الروم فأتى بجندٍ من الروم، فأخرج

محمدًا وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار

إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى:

(وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ)، وهو

أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام.

قوله: (من قبل) يرجع إلى أبي عامر يعني حارب

الله ورسوله من قبل أي: من قبل بناء مسجد

الضرار، ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا بينائه، ﴿إِلَّا

الْحُسْنَ﴾، إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين

والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن السير إلى

مسجد رسول الله ﷺ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

لَكَذِبُونَ﴾، في قولهم وحلفهم.

[١٠٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَقْعُرُوا قِبْلَتَكُمْ

أَنْ تَقْرَبُوا اللَّهَ﴾، منع الله تعالى نبيه ﷺ أن

يصلي في مسجد الضرار. ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى

الْتَقَى﴾. اللام لام الابتداء. وقيل: لام القسم،

بعضهم: يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع. وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يقبلها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ عن أبي هريرة قال: سمعتُ أبا

القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد

يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبلُ الله إلا

طيبًا ولا يصدقُ إلى السماء إلا طيبًا إلا كأنما

يضعها في يد الرحمن عز وجل فيريها له كما يُربي

أحدكم فلوّه، حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها

لمثل الجبل العظيم، ثم قرأ: (إن الله هو يقبل التوبة

عن عباده ويأخذ الصدقات) (١).

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَلِيمٌ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّدُونَ إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال مجاهد: هذا وعيد

لهم. وقيل: رؤية للنبي ﷺ بإعلام الله تعالى إياه،

ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل

الصلاح، والبغض لأهل الفساد.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا

يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قرأ أهل

المدينة والكوفة غير أبي بكر: (مرجون) بغير همز،

والآخرون بالهمز، والإرجاء: التأخير، مرجون:

مؤخرون لأمر الله: لحكم الله عز وجل فيهم، وهم

الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد: كعب بن مالك

وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، لم يبالغوا في

التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه،

فوقفهم رسول الله ﷺ خمسین ليلة ونهى الناس عن

مكالمتهم ومخالطتهم، حتى شقهم القلق وضائق

عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا من أهل بدر

فجعل أناسٌ يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون:

عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مرجئين لأمر الله لا

يدرون أيعذبهم أم يرحمهم، حتى نزلت توبتهم بعد

(١) أخرجه الشافعي بإسناد حسن في المسند ٢٢٠/١

والمصنف في شرح السنة ١٣١/٦ وصححه الحاكم على

شرط الشيخين ٣٣٥/٢ وأصل معنى الحديث ثابت في

الصحيحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْرًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ  
 وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْتَهْدِيهِمْ لَكَذِبُهُمْ  
 ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ  
 يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُرُوا  
 وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ  
 عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ  
 عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِيهٍ فَنَارِجُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُيُوتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً  
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
 بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ  
 وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ  
 وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا  
 بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١١١﴾

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُيُوتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾، أي: شكًا ونفاقًا، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين كما حُب العجل إلى قوم موسى. قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الكلبي: حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه. وقال السدي: لا يزال هدم بنيانهم ريبة وحزارةً وغضبًا في قلوبهم. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: تتصدع قلوبهم فيموتوا. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص وحمزة (تقطع) بفتح التاء أي: تتقطع، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وقرأ الآخرون (تقطع) بضم التاء من التقطيع، وقرأ يعقوب وحده (إلى أن) بتخفيف اللام على الغاية، وقرأ الباقون ﴿إِلَّا أَنْ﴾

(١) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدنية ٧٠/٣ ومسلم في الحج رقم (١٣٩١) ١٠١١/٢ والمصنف في شرح السنة ٣٣٨/٢.

تقديره: والله لمسجد أُسِّسَ أي: بُني أصله على التقوى، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، أي: من أول يوم بني ووضع أساسه، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، مصليًا، واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري: هو مسجد المدينة مسجد الرسول ﷺ، والدليل عليه قول الرسول ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»<sup>(١)</sup>، وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُرُوا﴾، من الأحداث والجنابات والنجاسات: وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، أي المتطهرين.

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾ قرأ نافع وابن عامر (أُسِّسَ) بضم الهمزة وكسر السين، (بنيانه) برفع النون فيها جميعًا على غير تسمية الفاعل. وقرأ الآخرون (أُسِّسَ) فتح الهمزة والسين (بنيانه) بنصب النون على تسمية الفاعل. ﴿عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾، أي: على طلب التقوى ورضا الله تعالى خيرٌ ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ﴾، أي: على شفير، ﴿جُرْفٍ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (جرف) ساكنة الراء، وقرأ الباقون بضم الراء وهما لغتان، وهي البئر التي لم تُطَوَّ، قال أبو عبيدة: هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية فيتجرف بالماء فيبقى واهيًا، ﴿هَارٍ﴾، أي: هائر وهو الساقط يقال: هار يهور فهو هائر، ثم يقلب فيقال: هار مثل شاك وشائك وعاق عائق. وقيل: هو من هار بها إذا انهدم، ومعناه الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو. ﴿فَأَتَاهَا بِيهٍ﴾، أي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد صيرهم النفاق إلى النار. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

بتشديد اللام على الاستثناء، ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة: لا يزالون في شك منه وندامة إلى أن يموتوا فحيثئذ يستيقنوا. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾.

[١١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسًا، قال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: أشترط لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشاركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وقرأ الأعمش (بالجنة) ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: (فيقتلون) بضم الياء وفتح التاء (ويقتلون) بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل، يعني: يُقْتَلُ بعضهم ويقتل الباقيون، وقرأ الباقيون (فيقتلون) بفتح الياء وضم التاء (ويقتلون) بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على ما فعل المفعول. والوجه أنهم يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون، هذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر. ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ أي: ثواب الجنة لهم وعدٌ وحقٌّ ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾، يعني أن الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب، وفيه دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة، ثم هناهم فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾، فافرحوا ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، قال عمر رضي الله عنه: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَايَعَكُمْ وَجَعَلَ الصَّفَقَتَيْنِ لَكُمْ. وقال قتادة: ثَامَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَعْلَىٰ لَهُمْ، وقال

التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَدِيدُونَ السَّيِّئُونَ الزَّكُورُونَ الْمَسْجُودُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ مَا كَانُوا لِلَّذِينَ لَا آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٠٦﴾ وَمَا كَانُوا اسْتَغْفَارًا لِإِبْرَاهِيمَ لِأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ يَسْأَلُ مَا كَانُوا اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسْتَوِيٰ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٠٨﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

الحسن: اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها. ثم وصفهم فقال:

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ﴾، قال الفراء: استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام. وقال الزجاج: التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضًا. أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، لأن بعض المسلمين يُجزى عن بعض في الجهاد، فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضًا، وهذا أحسن فكانه وعد الجنة لجميع المؤمنين، كما قال: (وكلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ)، فمن جعله تابعًا للأول فلهم الوعد بالجنة أيضًا، وإن كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات. قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي: الذين تابوا من الشرك وبرؤوا من



النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فأنزل الله عز وجل: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)، إلى قوله: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأُبَيِّهَ لِأَسْتَغْفِرَ لَكَ) (٣).

[١١٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ﴾، قال بعضهم: الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم عليه السلام. والوعد كان من أبيه، وذلك أن أباه كان وعده أن يسلم، فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت. وقال بعضهم: الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه. وهو قوله: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي)، يدل عليه قراءة الحسن: (وعدها أباه)، بالباء الموحدة، والدليل على أن الوعد من إبراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الأب قوله تعالى: (قد كانت لكم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)، إلى أن قال: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأُبَيِّهَ لِأَسْتَغْفِرَ لَكَ)، فصرح أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار، وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم. ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾، لموته على الكفر، ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، وقيل: فلما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه أي: يتبرأ منه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، اختلفوا في معنى الأواه، جاء في الحديث: «إن الأواه الخاشع المتضرع». وقال عبدالله بن مسعود: الأواه الدعاء. وعن ابن عباس قال: هو المؤمن التواب. وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله. وقال مجاهد: الأواه الموقن. وقال عكرمة: هو المستيقن بلغة الحبشة.

(١) أخرجه الطبري ٥١٢/١٤ والإمام أحمد في المسند ٥/٣٥٩. (٢) أخرجه الطبري مطولاً ٥١٣/١٤. (٣) أخرجه الترمذي في التفسير ٥٥٥/٨ وقال حديث حسن، وصححه الحاكم ٣٣٥/٢، وأخرجه أحمد والنسائي وابن أبي شيبه وأبو يعلى والبخاري - انظر الكافي الشافعي ص ٨٢، وتحفة الأحوزي ٥٥٥/٨.

النفاق ﴿الْمَكِيدُونَ﴾ المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل ﴿الْمُحِيدُونَ﴾، الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء ﴿السَّيِّحُونَ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: هم الصائمون. وقال عطاء: السائحون الغزاة المجاهدون في سبيل الله. وقال عكرمة: السائحون هم طلبة العلم. ﴿الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ﴾، يعني المصلين، ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان، ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن الشرك. وقيل: المعروف السنة والمنكر البدعة. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾، القائمون بأوامر الله. وقال الحسن: أهل الوفاء ببيعة الله. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال قوم: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة: أترغب عن ملة عبد المطلب: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: أنا على ملة عبد المطلب؟ وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال أبو هريرة وبريدة: لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه أمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية (١). قال قتادة: قال النبي ﷺ: «لأستغفرن لأبي، كما استغفر إبراهيم لأبيه» فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فأتيت

وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوّه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: أوّه من النار، قبل ألا ينفع أوّه. وقيل: هو الذي يتأوه من الذنوب. وقال عقبة بن عامر: الأوّاه الكثير الذكر لله تعالى. وعن سعيد بن جبير قال: الأوّاه المسبّح. ورؤي عنه: الأوّاه: المعلم للخير. وقال النخعي: هو الفقيه. وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله. وقال أيضاً: هو الخائف من النار. وقال أبو عبيدة: هو المتأوّه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيئاً. يريد أن يكون تضرعه على يقين الإجابة ولزوم الطاعة. قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأوّاه. وأصله من التأوّه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه أوّه وتأوّه، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه، كما قال لأبيه عند وعيده. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾، معناه: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر باستغفاركم للمشركين، ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي، فإذا بيّن ولم تأخذوا به فعند ذلك تَسْتَحِقُّونَ الضلال. وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ وذلك أن قوماً قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ولم تكن الخمر حراماً ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حُرِّمَتْ والقبلة قد صُرِّفَتْ، فقالوا: يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلّال؟ فأنزل الله تعالى: (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم)، يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يبيّن لهم الناسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾، ثم عظم نفسه فقال: [١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يحكم بما يشاء، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١١٧] قوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾، الآية، تاب الله أي: تجاوز وصفح. ومعنى توبته على النبي ﷺ بإذنه للمنافقين بالتخلف عنه. وقيل: افتتح الكلام به لأنه كان سبب توبتهم، فذكره معهم، كقوله تعالى: (فَأَنَّ اللَّهَ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)، ونحوه. ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، أي: في وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تُسمى غزوة العسرة، والحيش يسمى جيش العسرة، والعسرة الشدة، وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء، قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يتعقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ قرأ حمزة وحفص: (يزيغ) بالياء لقوله (كاد) ولم يقل: كادت. وقرأ الآخرون بالتاء. والزيغ: الميل، أي: من بعد كادت تميل، ﴿قُلُوبُ قَرِيبٍ مِّنْهُمْ﴾، أي: قلوب بعضهم، ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم. قال الكلبي: هم ناسٌ بالتخلف ثم لحقوه. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية (لقد تاب الله على النبي)؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عزّ وجلّ، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها. ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً.

[١١٨] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ أي: خَلَفُوا من غزوة تبوك. وقيل: خَلَفُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٦

سُورَةُ التَّوْبَةِ

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٩﴾ يَتَابَعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيدُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّئُونَ مَوْطِنًا يَغِيظَ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَرْبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾

يُصِيدُهُمْ ﴿١١٩﴾، في سفرهم، ﴿ظَمَأٌ﴾، عطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، تعب، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾، مجاعة، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّئُونَ مَوْطِنًا﴾، أرضاً، ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾، وطوهم إياه ﴿وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>. واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا نفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة،

(١) أخرجه البخاري في الجمعة ٣٩٠/٢ والمصنف في

شرح السنة ٣٥٣/١٠.

أي: أرجى أمرهم عن توبة أبي لبابة وأصحابه، وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ومُرارة ابن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار. قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، اتسعت، ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، غمًا وهمًا، ﴿وَزَنُّوا﴾، أي: تيقنوا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾، لا مفرج من الله، ﴿إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي: ليستقيموا على التوبة فإن توبتهم قد سبقت. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

[١١٩] ﴿يَتَابَعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال نافع: مع محمد وأصحابه. وقال سعيد بن جبیر: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج: مع المهاجرين، لقوله تعالى: (للفقراء المهاجرين) إلى قوله (وأولئك هم الصادقون). وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية. وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، وكان ابن مسعود يقرأ: (وكونوا مع الصادقين) وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجز له، اقرؤوا إن شئتم هذه الآية.

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ظاهره خبر معناه نهى، كقوله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، سكان البوادي مُزينة وجُهينة وأشجع وأسلم وغفار. ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾، إذا غزا، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾، أي: ولا أن يرغبوا، ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه. قال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقة السفر ومقاساة التعب. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا

وقيل في هذه الآية: إنها لأول هذه الأمة وآخرها. وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلاً فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء، فقال: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة).

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾، أي: في سبيل الله، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، ولو علاقة سوط، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾، لا يجاوزون وادياً في مسيرهم مقبلين أو مدبرين. ﴿إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ﴾، يعني: آثارهم وخطاهم، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٢٢] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وهذا نفي بمعنى النهي. قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: فهلاً خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة، ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنة والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا آخر، فذلك قوله: ﴿وَلِيُذَكِّرُوا قَوْمَهُمْ﴾، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه. وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلاً نفر فرقة ليتفقهوا، أي: لينصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يعادوا النبي ﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَذَلِكُمْ يَكُونُ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٣﴾ أُولَٰئِكَ رَوَّانٌ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنَ الْهَيْدِ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَاصْفَحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٥﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَآئِلَهُ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٧﴾

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

وقال الكلبي: لها وجه آخر أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين.

[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَذَلِكُمْ يَكُونُ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الآية، أمروا بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها. وقيل: أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق، ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، شدة وحمة. قال الحسن: صبراً على جهادكم، ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، بالعون والنصرة.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾، يقيئاً. كان المنافقون يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى:

﴿انصَرَفُوا﴾، عن الإيمان بها. وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، عن الإيمان. وقال أبو إسحاق الزجاج: أضلهم الله مجازاةً على فعلهم ذلك، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه.

[١٢٨، ١٢٩] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب من بني إسماعيل. قال ابن عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ، وله فيهم نسب. وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام. وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن (مَنْ أَنفُسِكُمْ) بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، شديد عليه، ﴿مَا عِنْتُمْ﴾، قيل: (مَا) صلة أي: عنتكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم. وقال القشيري: ما أعتكم وضرركم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتكم. وقال الضحاك والكلبي: ما أتمتم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على إيمانكم وصلاحكم. وقال قتادة: حريص عليكم أي على ضالكم أن يهديه الله، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، إن أعرضوا عن الإيمان وناصروك، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. روي عن أبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة. وقال: هما أحدث الآيات بالله عهداً<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقيناً وتصديقاً، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، يفرحون بنزول القرآن.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، أي: كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص. وكان عمر: يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً. وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب، فكُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانَ عِظْمًا أَزْدَادَ ذَلِكَ الْبَيَاضُ حَتَّىٰ يَبِيضَ الْقَلْبُ كُلَّهُ، وإن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكُلَّمَا أَزْدَادَ النِّفَاقَ أَزْدَادَ السَّوَادَ حَتَّىٰ يَسْوَدَ الْقَلْبُ كُلَّهُ. ﴿وَمَا تَأْوَىٰ لَهُمْ كَفْرُهُمْ﴾.

[١٢٦] قوله: ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: (ترون) بالتاء على خطاب النبي والمؤمنين، وقرأ الآخرون بالياء خبر عن المنافقين المذكورين ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُتَبَلَّغُونَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، بالأمراض والشدائد. وقال مجاهد: بالقحط والشدة. وقال قتادة: بالغزو والجهاد. وقال مقاتل بن حيان: يفضحون بإظهار نفاقهم. وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون. وقال يمان: ينفضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾، من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾. فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، يريدون الهرب، يقول بعضهم لبعض إشارة ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحد من المؤمنين، إن قمتم فإن لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ثُمَّ

(١) أخرجه الحاكم ٣٣٨/٢، والإمام عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ١١٧/٥، قال الهيثمي في المجمع ٣٦/٧ فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات.

## (١٠) سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية إلا ثلاث آيات من قوله: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) إلى آخرها.

[١] ﴿الر﴾ (المر) قرأ أهل الحجاز والشام وحفص بفتح الراء، وقرأ الآخرون بالإمالة، وقال ابن عباس والضحاك: ﴿الر﴾ أنا الله أرى، (المر) أنا الله أعلم وأرى. وقال سعيد بن جبيرة: (الر) (وحم) (ون) حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حروف التهجي. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، أي: هذا، وأراد بالكتاب الحكيم القرآن. وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: (تلك) وتلك إشارة إلى غائب مؤنث، والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله: (كتابٌ أحكمت آياته)، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل دليله قوله عز وجل: (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس)، وقيل: هو بمعنى المحكوم، فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه.

[٢] قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وسبب نزول الآية أن الله عز وجل لما بعث محمدًا ﷺ رسولاً، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. فقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، أي: أهل مكة، الألف فيه للتوبيخ، ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿أَنْ نُّنذِرَ النَّاسَ﴾، أي أعلمهم مع التخويف، ﴿وَنُشِيرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، واختلفوا فيه،

سُورَةُ يُونُسَ

٢٠٨

سُورَةُ يُونُسَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلَآءِ ءَايَتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ نُّنذِرَ النَّاسَ وَنُشِيرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ بِدِرْأَمٍ مِّنَ سَفِيْعِ الْإِلْمِ بَعْدَ إِذْ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣﴾ تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُكُمْ لِجَزَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ النَّوْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

قال ابن عباس: أجرًا حسنًا بما قدموا من أعمالهم. قال الضحاك: ثواب صدق. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول. وقال زيد بن أسلم. هو شفاعة الرسول ﷺ. وقال عطاء: مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه. وقيل: منزلة رفيعة. وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته، كقولهم مسجد الجامع، وحبّ الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدم سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم صالحة. ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة والشام: (لسحر) بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: (لساحر) بالألف

يعنون محمداً ﷺ.

عشر يوماً وثلاث يوم، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها. قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾، أي: قدر المنازل (لتعلموا عدد السنين) دخولها وانقضائها، ﴿وَالْحِسَابُ﴾، يعني: حساب الشهر والأيام والساعات. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾، رده إلى الخلق والتقدير ولولا رده إلى الأعيان المذكورة لقال تلك، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي: لم يخلقه باطلاً بل إظهاراً لصنعه ودلالة على قدرته. ﴿فَيُصَلِّ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب: (يفصل) بالياء، لقوله: (ما خلق) وقرأ الباقون: (نفسل) بالنون على التعظيم.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبُونَ﴾ يؤمنون.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي: لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا، والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فاختاروها وعملوا لها، ﴿وَأَطَاعُوا أَيْهَا﴾، سكنوا إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، أي: عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عن آياتنا عن محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الكفر والتكذيب.

[٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، فيه إضمار، أي: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، قال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به. وقيل: يهديهم معناه يشيهم ويجزيهم. وقيل: معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي: بتصديقهم هداهم. تجري من تحتهم الأنهار أي: بين أيديهم، كقوله عز وجل: (قد جعل ربك تحتك سرياناً) لم يرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها. وقيل:

[٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾، يقضيه وحده ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه، وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ربكم لا رب لكم سواه، ﴿فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

[٤] ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾، صدقاً لا خلف فيه. نصب على المصدر، أي: وعدكم وعداً حقاً ﴿إِنَّهُمْ يَدَّؤُنَّ لِخَلْقِ نُهُمْ يُعِيدُهُ﴾، أي: يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم، قراءة العامة: (إنه) بكسر الألف على الاستثناف، وقرأ أبو جعفر (أنه) بالفتح على معنى بأنه أو لأنه. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شْرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾، ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، بالنهار ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له يعني هياً له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل قدرهما. قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: (والله ورسوله أحق أن يرضوه). وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يعرف به انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً، فلكل برج منزلان وثلاث منزل، فينزل القمر كل ليلة منزلاً منها، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين فليلة واحدة، فيكون تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة

تجري من تحتهم أي: بأمرهم ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾. [١٠] ﴿دَعْوَهُمْ﴾، أي: قولهم وكلامهم. وقيل: دعاؤهم. ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾، وهي كلمة تنزيه، تنزه الله من كل سوء. وروينا: (أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون النفس) (١). قال أهل التفسير: هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا: «سبحانك اللهم»، فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد، كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحيفة، وفي كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضًا فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين). قوله تعالى: ﴿وَيَحْتَسِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام. وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام. ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله ولا بارك الله فيكم. قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب. معناه لو يعجل الله الناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير، ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: (لقضى) بفتح القاف والضاد، (أجلهم) نصب، أي: لأهلك من دعى عليه وأماته. وقال الآخرون: (لقضى) بضم القاف وكسر الضاد (أجلهم) رفع، أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعًا. وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يدل عليه

﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ أَطْمَاطًا﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) ﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٩) ﴿دَعْوَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠) ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١) ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَم خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

قوله عز وجل: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ﴾، لا يخافون البعث والحساب، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. [١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾، الجهد والشدة، ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾، أي: على جنبه مضطجعًا، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾، يريد في جميع حالاته، لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾، دفعنا ﴿عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ﴾، أي استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضر مسه أي: لم يطلب منا كشف ضر مسه، ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحد في الكفر والمعصية، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من العصيان. قال ابن جريج: كذلك زين (١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٣٥) ٤/٢١٨٠.



للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء. وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا، ﴿وَحَاءَ تَهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ كذلك، أي: كما أهلكناهم بكفرهم، ﴿بِحِجْرِي﴾، نعاقب ونهلك، ﴿الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ، يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾، أي: خلفاء، ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد القرون التي أهلكناهم، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وهو أعلم بهم. وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فانظروا كيف تعملون»<sup>(١)</sup>.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾، قال قتادة: يعني مشركي مكة. وقال مقاتل: هم خمسة نفر: عبدالله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبيدالله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام. ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، هم السابق ذكرهم قالوا للنبي ﷺ: إن كنت تريد أن تؤمن بك ﴿أَتَيْتَ بِشِرَاءٍ غَيْرِ هَذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالاً أو مكان حلال حراماً، ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾، من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتبع إلا ما يوحى إليّ فيما أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾،

يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن عليّ. ﴿وَلَا أَدْرَأُكُمْ بِهِ﴾، أي: ولا أعلمكم الله. قرأ البزي عن ابن كثير: (ولأدراكم به) بالقصر به على الإيجاب، يريد ولا علمكم به من غير قراءة عليكم. وقرأ ابن عباس: (ولا أنذرتكم به)، من الإنذار. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، حيناً وهو أربعون سنة، ﴿مِن قَبْلِهِ﴾، من قبل نزول القرآن ولم أتكم بشيء. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أنه ليس من قبلي، ولبت النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له شريكاً أو ولداً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾، لا ينجو المشركون.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن عصوه وتركوا عبادته، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن عدوه، يعني: الأصنام، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُ اللَّهُ﴾ أتخبرون الله، ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾، الله صحته، ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً وعنده شفيعاً بغير إذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً؟! ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (تشركون) بالياء ها هنا وفي سورة النحل موضعين، وفي سورة الروم، وقرأ الآخرون كلها بالياء.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على الإسلام. وقد ذكرنا الاختلاف فيه في سورة البقرة. ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، بأن جعل لكل أمة أجلاً. وقال

(١) رواه مسلم في الرقاق رقم (٢٧٤٢) ٤/٢٠٩٨

والمصنف في شرح السنة ١٢/٩.

الكليبي: هي إمهال هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلاً بينهم، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وقال الحسن: ولولا كلمة سبقت من ربك مضت في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ، ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾، على ما نفتخره، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، يعني: قل إنما سألتموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحد لِمَ لم يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو. وقيل: الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره، ﴿فَانظُرُوا﴾ نزولها ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، وقيل: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار المحق على المبطل.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَنْفَقْنَا النَّاسَ﴾، يعني: الكفار، ﴿رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾، أي: راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء. وقيل: القطر بعد القحط، ﴿سَمَّتَهُمْ﴾، أي: أصابتهم، ﴿إِذَا لَهْرٌ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾، قال مجاهد: تكذيب واستهزاء. وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقينا بؤء كذا، وهو قوله: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون). ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق، ﴿إِنَّ رَسُولَنَا﴾، حفظتنا، ﴿يَكْتُمُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾، قرأ روح عن يعقوب: (يمكرون) بالياء.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكُرًا﴾، يجزيكم ويحملكم، وقرأ جعفر وابن عامر: (ينشركم)

سُورَةُ يُونُسَ

٢١٠

الجزء الحادي عشر

وَإِذَا تَحَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِفِرْعَوْنَ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَسْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٠﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوَّلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنتُمُوتُونَ اللَّهُ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا وَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٤﴾

بالنون والشين من النشر وهو البسط والبه، ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، على ظهور الدواب، ﴿وَالْفَلَكِ﴾، أي: في السفن، تكون واحدًا وجمعًا ﴿وَجَرِينِ بِهِمْ﴾، يعني: جرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الغيبة، ﴿بَرِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾، لينة، ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾، أي: بالريح، ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ﴾، أي: جاءت الفلك ريح، ﴿عَاصِفٌ﴾، شديدة الهبوب، ولم يقل ريح عاصفة، لاختصاص الريح بالعصف. وقيل: الريح يذكر ويؤنث. ﴿وَجَاءَهُمْ﴾، يعني: ركبنا السفينة، ﴿الْمَوْجِ﴾، وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَطَلَوْا﴾، أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، دنوا من الهلكة، أي: أحاط بهم الهلاك، ﴿دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾، أي: أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحدًا سوى الله. وقالوا: ﴿لَنْ نُجِئَنَّكَ﴾،

يا ربنا، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾، الريح العاصف، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾، لك بالإيمان والطاعة.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، ﴿بَعْدَ الْحَقِّ﴾، أي: بالفساد. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾، لأن وباله راجع عليها، ثم ابتداء فقال: ﴿مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خبر ابتداء مضمر، كقوله: (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ)، أي: هذا بلاغ. وقيل: هو كلام متصل، والبغي ابتداء ومتاع خبره، ومعناه: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادًا لمعادٍ لأنكم تستوجبون به غضب الله. وقرأ حفص (متاع) بالنصب، أي تمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، في فنائها وزوالها، ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾، أي: بالمطر، ﴿تَبَاتُ الْأَرْضُ﴾، قال ابن عباس: نبت بالماء من كل لون، ﴿بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾، من الحبوب والثمار، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾، من الحشيش، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، حسنها وبهجتها وظهر الزهر أخضر ﴿وَأَزْيَّتْ﴾، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: تزينت. ﴿وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾، على جذادها وقطافها وحصادها، رد الكناية إلى الأرض. والمراد: النبات إذ كان مفهومًا، وقيل: ردها إلى الغلة. وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتْلَهَا أُمَّرًا﴾، قضاؤنا بإهلاكها، ﴿إَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾، أي: محصودة مقطوعة، ﴿كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. وقال قتادة: معناه إن المتشبه بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

سورة يونس

٢١١

سورة يونس

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَمْتِمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا كُتُبُونَ مَا تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَاكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا جَاءَ تَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ اجْتَمَعَتْنَا مِنْ هَذِهِ لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَّتْ وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْلَهَا أُمَّرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾، قال قتادة: السلام هو الله وداره الجنة. وقيل: السلام بمعنى السلامة، سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات. وقيل: المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضًا بالسلام والملائكة تسلم عليهم. قال الله تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم). ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالصراط المستقيم هو الإسلام عم بالدعوة لإظهار الحجة، وخص بالهداية استغناء عن الخلق.

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ۗ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعَانٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَتَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٦٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْحَقَّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ اصْرَفْتُمْ ﴿٧٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾

عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٦٩﴾، أي: ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل .  
 [٣٠] قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا﴾، أي: تختبر . وقيل: معناه تعلم وتقف عليه . وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (تتلو) بتاءين أي تقرأ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، صحيفتها . وقيل: معناه تتبع كل نفس، ﴿مَا أَسْلَفَتْ﴾، ما قدمت من خير أو شر . وقيل: معناه تعابن، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى حكمه فيتفرد فيهم بالحكم، ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾، الذي يتولى ويملك أمرهم: فإن قيل: أليس قد قال: (وأن الكافرين لا مولى لهم). قيل: المولى هناك هو الناصر، وههنا بمعنى المالك، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾، زال عنهم وبطل، ﴿مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾، في الدنيا من التكذيب .

الله عنه وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي، وروي عن ابن عباس: أن الحسنى هي: أن الحسنه بمثلها والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سعمائة ضعف . وقال مجاهد: الحسنى: حسنة مثل حسنة، والزيادة المغفرة والرضوان . ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾، لا يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، غبار جمع قتره . قال ابن عباس وقادة: سواد الوجه، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، هوان . قال قتادة: كآبة . قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم . ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، أي: لهم مثلها، كما قال: (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إى مثلها). ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾، و(من) صلة، أي: ما لهم من الله عاصم، ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾، ألبست، ﴿وُجُوهَهُمْ قِطْعَانٌ﴾، جمع قطعة، ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾، نصبت على الحال دون النعت، ولذلك لم يقل: مظلمة، تقديره: قطعاً من الليل في حال ظلمته أو قطعاً من الليل المظلم . وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب: (قطعاً) ساكنة الطاء، أي بعضاً، كقوله: (يقطع من الليل). ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٨] ﴿وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، أي: الزموا مكانكم، ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾، يعني: الأوثان، معناه . ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم ولا تبرحوا . ﴿فَرَيْلَنَا﴾ ميزنا وفرقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده، ﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ﴾، يعني: الأصنام، ﴿مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَتَعْبُدُونَ﴾، بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الأصنام:

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ

[٣١] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

ومعناه: يهتدي في جميعها. فمن خالف الدال قال: يقال هديته فهدي، أي: اهتدى، ومن شدد الدال أدغم التاء في الدال، ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إثارة التخفيف، ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في (تعدو) و(خصمون)، ومن فتح الهاء نقل فتحة الهاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلا لقاء الساكنين، وقال: الجزم يحرك إلى الكسر، ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الكسر إلى الكسرة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى. فإن قيل: كيف قال: (إلا أن يهدى)، والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يهدى؟ قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل، بين به عجز الأصنام. وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنهما بما يعبر عن من يعلم ويعقل، ووصفت بصفة من يعقل. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكاً.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْذَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة وإنما تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً. وقيل: يقوم مقام العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال القراء: معناه وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، كقوله تعالى: (وما كان لنبي أن يغفل)، وقيل: (أن) بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله.

وَالْأَرْضِ﴾، أي: من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات، ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾، أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾، أي: يقضي الأمر، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُ﴾، أفلا تخافون عقابه في شرككم. وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار. [٣٢] ﴿فَدَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾، الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم، ﴿الْحَيُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَيِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾، أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾. قال الكلبي: هكذا، ﴿حَقَّتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، حكمه السابق، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، كفروا، ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (كلمات ربك) بالجمع هنا موضعين وفي المؤمن، والآخر على التوحيد.

[٣٤] قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، أو ثنائكم ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، ينشئ الخلق من غير أصل ولا مثال، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، ثم يحييه من الموت كهيئته، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ﴾ أنت، ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي: تصرفون عن قصد السبيل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي﴾، يرشد، ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾، فإذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك، ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، أي إلى الحق، ﴿أَفَنَنْتَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون بتشديد الدال، ثم قرأ أبو جعفر وقالون: بسكون الهاء، وأبو عمرو: يروم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص: بفتح الياء وكسر الياء، وأبو بكر: بكسرهما، والباقون: بفتحهما،

قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل. وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾، تبين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، قال أبو عبيدة: (أم) بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿أَفَرَبَّهُ﴾، اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، شبه القرآن ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، ممن تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ليعينوكم على ذلك، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن محمداً افتراه ثم قال:

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾، يعني: القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، آخر أمر المشركين بالهلاك.

[٤٠] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾، لعلم الله السابق فيهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾، الذين لا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾، يا محمد، ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي﴾، وجزاؤه، ﴿وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾، وجزاؤه، ﴿أَنْتُمْ رِبِّيُّونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا رَبِّيُّ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، هذا كقوله تعالى: (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) (لكم دينكم ولي دين). قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بأية الجهاد. ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا يغيره.

[٤٢] فقال: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ﴾ بأسماعهم

٢١٣ ﴿وَالَّذِينَ﴾  
 قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ، قُلْ اللَّهُ يَسْجُدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ، فَإِنِّي تَوَفَّكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ لِالْظُنَّ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ رِبِّيُّونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا رَبِّيُّ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ اللَّحْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

الظاهرة فلا ينعفهم، ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ اللَّحْمَ﴾، يريد صمم القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، بأبصارهم الظاهرة، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾، يريد عمى القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾، وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ، يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تهدي من سلبته البصر ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه ألا يؤمن.

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، لأنه في جميع أفعاله متفضل عادل، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية. قرأ حمزة والكسائي: (ولكن الناس) بتخفيف نون (لكن) ورفع (الناس)، وقرأ الباقون (ولكن الناس) بتشديد نون (لكن) ونصب (الناس).

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص بالياء والآخرين بالنون، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار. ﴿يَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يعرف بعضهم بعضًا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبة وخشية. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا شيء أعظم منه.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾، يا محمد في حياتك من العذاب، ﴿أَوْ نُوَفِّئُكَ﴾، قبل تعذيبهم، ﴿فَإِنَّمَا مَرَجَعُهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾، فيجزئهم به، (ثم) بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد. قال مجاهد: فكان البعض الذي أراه قتلهم بيدر، وسائر أنواع العذاب بعد موتهم.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، خلت، ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، وكذبه، ﴿فَصَبَّ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾، لا يعدبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾، أي: المشركون، ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ الَّذِي تَعِدُنَا يَا مُحَمَّدٌ مِنَ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: قِيَامُ السَّاعَةِ، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنت يا محمد وأتباعك.

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، لا أقدر لها

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ وَأَنَّكَ تَفْتَنُكَ فَإِنَّمَا مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٠﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٢﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٤﴾ أَتُرِيدُونَ أَن يُعَذِّبَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ ﴿٥٧﴾ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٨﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبًا وَرَفِيقًا إِنَّهُ لِحَقِّ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦٠﴾

على شيء، ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة مضروبة، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، وقت فناء أعمارهم، ﴿فَلَا يَسْتَجْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا﴾، ليلاً، ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون. وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه. وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، فيقولون: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، فيقول الله تعالى: (ماذا يستعجل) يعني: ليس يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحًا: ماذا جنيت

على نفسك؟.

[٥١] ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعٌ﴾، قيل: معناه أهنالك،  
وحيثئذ، وليس بحرف عطف، (إذا ما وَقَع) نزل  
العذاب، ﴿ءَأَمْتُمْ بِهِ﴾، أي بالله في وقت اليأس.  
وقيل: آمتم به أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله،  
﴿الْبَلَّغُ﴾، فيه إضمار، أي: يقال لكم: آلآن تؤمنون  
حين وقع العذاب؟ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾،  
تكذيباً واستهزاءً، قرأ ورش عن نافع (آلان) بحذف  
الهمزة التي بعد اللام الساكنة وإلقاء حركتها على  
اللام، ويمد الهمزة الأولى على وزن علان،  
وكذلك الحرف الآخر، وروى زمعة بن صالح  
(الان) على مثل علان بغير مد ولا همزة بعد اللام،  
وقرأ الباقون (آلان) بهمزة ممدود في الأول وإثبات  
همزة بعد اللام، وكذلك قالون وإسماعيل عن  
نافع.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿ذُرُوفُوا  
عَذَابَ الْغَايَةِ هَلْ تُجِزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، في  
الدنيا.

[٥٣] ﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ﴾، أي: يستخبرونك يا  
محمد، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾، أي ما تعدنا من العذاب وقيام  
الساعة، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، أي: نعم وربِّي، ﴿إِنَّهُ  
لَحَقُّ﴾، لا شك فيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي:  
بفائتين من العذاب، لأن من عجز عن شيء فقد  
فاته.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾، أي:  
أشركت، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ بِهِ﴾، يوم القيامة،  
والافتداء ههنا بذل ما ينجو به من العذاب. ﴿وَأَسْرُوا  
النَّدَامَةَ﴾، قال أبو عبيدة: معناه أظهروا الندامة لأنه  
ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع. وقيل: معناه  
أخفوا أي أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفاً  
من ملامتهم وتعيبهم، ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ  
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، فرغ من عذابهم، ﴿وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾.

٢١٥

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ بِهِ﴾ وَأَسْرُوا  
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ  
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ الْآلَانَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَانَ  
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ  
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا  
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ  
فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللهُ أَذْرَبُ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ  
تَفَتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ  
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ  
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ  
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿الْآلَانَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَانَ  
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّبُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ  
مَّوْعِظَةٌ﴾، تذكرة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي  
الصُّدُورِ﴾، أي: دواء لما في الصدور من داء  
الجهل. وقيل: لما في الصدور أي شفاء لعمى  
القلوب، والصدر موضع القلب وهو أعز موضع في  
الإنسان لجوار القلب، ﴿وَهُدًى﴾، من الضلالة  
﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، والرحمة هي النعمة على  
المحتاج، فإنه لو أهدى مَلِكٌ إلى ملك شيئاً لا يقال  
قد رحمه، وإن كان ذلك نعمة فإنه لم يضعها في  
محتاج.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، قال  
مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته:



والقرآن. وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلنا من أهله. وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، رحمته: تزيينه في القلب. وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام، ورحمته: السنن. وقيل: فضل الله: الإيمان، ورحمته: الجنة. ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي مما يجمعه الكفار من الأموال. وقيل: كلاهما خبر عن الكفار. وقيل: عن المؤمنين. وقرأ أبو جعفر وابن عامر: (فليفرحوا) بالياء وتجمعون بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء، ووجه هذه القراءة أن المراد: فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الأموال مختلف عنه خطاباً للمؤمنين.

[٥٩] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكْفَارِ مَكَّةَ﴾، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾، عبر عن الخلق بالإنزال لأن ما في الأرض من خير، فمما أنزل الله من رزق، من زرع وضرع، ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال الضحاك: هو قوله تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً). ﴿قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، في هذا التحريم والتحليل، ﴿أَمْ﴾، بل، ﴿عَلَى اللَّهِ تَقَرُّونَ﴾، هو قولهم: (والله أمرنا بها).

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾، يا محمد، ﴿فِي شَأْنٍ﴾، عمل من الأعمال، وجمعه شؤون، ﴿وَمَا تَتَلَوُا مِنْهُ﴾، من الله، ﴿بَيْنَ قُرْءَانٍ﴾، نازل، وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأتمه فقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُنْفِصُونَ فِيهِ﴾، أي: تدخلون

وتحوضون فيه، الهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل. وقال ابن الأنباري: تندفعون فيه. وقيل: تكثرون. والإفاضة: الدفع بكثرة، ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾، يغيب عن ربك، وقرأ الكسائي (يعزب) بكسر الزاي، وكذلك في سورة سبأ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان. ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أي: مثقال ذرة، (ومن) صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي: من الذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفاً على موضع المثقال قبل دخول (من)، وقرأ الآخرون بنصبهما، أراد للكسر عطفاً على الذرة في الكسر. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وهو اللوح المحفوظ.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم. قال بعضهم: هم الذين ذكروهم الله، فقال:

[٦٣] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، وقال قوم: هم المتحابون في الله.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، اختلفوا في هذه البشرى، روي عن عباد بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: (لهم البشرى في الحياة الدنيا)، قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»<sup>(١)</sup>.

وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»<sup>(٢)</sup>. وقيل: البشرى في

(١) أخرجه الترمذي في الرؤيا ٥٥٤/٦ وابن ماجه في الرؤيا رقم ٣٨٩٨ - ١٢٨٣/٢ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢/٣٤٠ ٣٩١/٤ والدارمي في الرؤيا ١٢٣/٢ والإمام أحمد في المسند ٥/٣١٥. (٢) أخرجه البخاري في التعبير ١٢/٣٧٥ والمصنف في شرح السنة ١٢/٢٠٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٦

سُورَةُ يُوسُفَ

آيَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ  
 ﴿١٣﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ  
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ  
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾ الْآيَاتِ لِلَّهِ  
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ  
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا  
 الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
 آيَاتٍ لِنَسْكَكُمْ نَوَافِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا  
 سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ قُلِ إِيَّاكَ يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذُوبُ  
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٠﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا رَاجِعُهُمْ ثُمَّ  
 نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾

يَخْرُصُونَ ﴿١٧﴾، يكذبون.

﴿٦٧﴾ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِنَسْكَكُمْ فِيهِ  
 وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، مضيئاً يبصر فيه، كقولهم: ليل  
 نائم وعيشة راضية، قال قطرب: تقول العرب: صار ذا  
 أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا  
 ظلمة وضياء وبصر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
 يَسْمَعُونَ﴾، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا  
 عالم قادر.

﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني المشركين، ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ  
 وَلَدًا﴾، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ  
 هُوَ الْعَزِيزُ﴾، عن خلقه، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾، ما  
 عندهم، ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، و﴿مَنْ﴾  
 صلة تقديره ما عندهم سلطان، ﴿بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى  
 اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الدنيا هي الثناء الحسن، وفي الآخرة: الجنة.  
 وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبخارة  
 من الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: (تنزل  
 عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا  
 بالجنة التي كنتم توعدون). وقال عطاء عن ابن  
 عباس: البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم  
 الملائكة بالبخارة، وفي الآخرة عند خروج نفس  
 المؤمن من يعرج بها إلى الله ويشير برضوان الله.  
 وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من  
 جنته وكريم ثوابه، كقوله: (وبشر الذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات)، (وبشر المؤمنين) (وأبشروا  
 بالجنة)، وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول  
 أنهم أولياء الله، ويشيرهم في القبور وفي كتب  
 أعمالهم بالجنة. ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا تغير  
 لقوله ولا خلف لوعده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني: قول  
 المشركين، قرأ نافع (ولا يحزنك) بضم الياء وكسر  
 الزاي، وقرأ الآخرون (يحزنك) بفتح الياء وضم  
 الزاي، وهم لغتان، يقال: حزنه الشيء يحزنه  
 وأحزنه، تم الكلام هنا ثم ابتداء، فقال: ﴿إِنَّ  
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾، يعني: الغلبة والقدرة لله ﴿جَمِيعًا﴾ هو  
 ناصر وناصر دينك والمنتقم منهم، قال سعيد بن  
 المسيب: إن العزة لله جميعاً يعني أن الله يعز من  
 يشاء، كما قال في آية أخرى: (ولله العزة ولرسوله  
 وللمؤمنين)، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي  
 كلها لله، ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٦٦] ﴿الآيَاتِ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 شُرَكَاءَ﴾، هو إما استفهام معناه: وأي شيء يتبع  
 الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما  
 يتبعون حقيقة لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء  
 فيشفعون لنا وليس على ما يظنون. ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا  
 الظَّنَّ﴾، يظنون أنها تقربهم إلى الله، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ، لا ينجون ، وقيل : لا يبقون في الدنيا ولكن :

[٧٠] ﴿مَتَاعٌ﴾ ، قليل يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به إلى انقضاء آجالهم و(متاع) رفع بإضمار ، أي : هو متاع ، ﴿فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

[٧١] قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ ، أي : اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ ، وهم ولد قاييل ، ﴿يَقُولُوا إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ ، عظم وثقل عليكم ، ﴿مَتَايَ﴾ طول عمري ومكثي فيكم ﴿وَتَذَكِّرِي﴾ ، ووعظي إياكم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بآيات الله ، بحججه وبياناته فعزمتهم على قتلي وطردي ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ ، أي : أحكموا أمركم واعزموا عليه ، ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾ ، أي : وادعوا شركاءكم أي آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم . وقال الزجاج . معناه فأجمعوا أمركم مع شركائكم ، فلما ترك (مع) انتصب . وقرأ يعقوب :

(وشركاؤكم) رفع ، أي : فأجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم . وقرأ رويس عن يعقوب (فاجمعوا) بوصل الألف وفتح الميم ، والوجه من جمع يجمع ، والمراد فاجمعوا ذوي أمركم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، والمعنى : اجمعوا رؤساءكم ، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ ، أي : خفياً مبهماً ، من قولهم : غم الهلال على الناس ، أي : أشكل عليهم وخفي ، ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْ﴾ ، أي : امضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه ، يقال : قضى فلان إذا مات ومضى ، وقضى دينه إذا فرغ منه . وقيل : معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه . وقيل : فاقضوا ما أنتم قاضون ، وهذا مثل قول السحرة لفرعون : (فاقض ما أنت قاض) ، أي اعمل ما أنت عامل ، ﴿وَلَا تُنظِرُونَ﴾ ، ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز ، أخبر الله عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٧

سُورَةُ يُوسُفَ

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَتَايَ وَتَذَكِّرِي بَيِّنَاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمُ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْ وَلَا تُنظِرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخَذَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

نوح أنه كان واثقاً بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه ، علماً منه بأنهم وآلهتهم ليس إليهم نفع ولا ضرر إلا أن يشاء الله .

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ، أعرضتم عن قولي وقبول نصحي ، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾ ، على تبليغ الرسالة والدعوة ، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ، من جعل وعوض ، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾ ، ما أجري وثوابي . ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ، أي : من المؤمنين . وقيل : من المستسلمين لأمر الله .

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ، يعني نوحاً ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَ﴾ ، أي : جعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين . ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ، أي : آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا .

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا﴾، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ لِحَاثِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات الواضحات، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: بما كذب به قوم نوح من قبل، ﴿كَذَلِكَ نَطَعُ﴾، أي: نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾، بآياته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾، لم يصدق موسى مع ما آتاهم به من الآيات، ﴿إِلَّا ذُرِّيَةً مِنْ قَوْمِهِ﴾، اختلفوا في الهاء التي في (قومه)، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه. قال مجاهد: كانوا

أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء. وقال الآخرون. الهاء راجعة إلى فرعون. وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطة ابنته. وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله. وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً من القتل، فنشئوا عند القبط، وأسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة، ﴿عَلَى حَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ﴾، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم، كما قال: (واسئل القرية) أي: أهل القرية. وقيل: إنما قال: (وملائيمهم) وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال قدم الخليفة يُراد هو ومن معه. وقيل: أراد ملأ الذرية، فإن ملأهم كانوا من قوم فرعون. ﴿أَنْ يَفْتَنَهُمْ﴾. أي: يصرفهم عن دينهم، ولم يقل يفتنهم لأنه أخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ﴾، إلى فرعون وملائئيه، يعني: أشرف قومه، ﴿بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، يعني: جاء فرعون وقومه، ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾، تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. ﴿وَلَا يَتْلِيحُ السَّحْرُونَ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا﴾، يعني: فرعون وقومه لموسى، ﴿أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا﴾، لتصرفنا. وقال قتادة: لتلونا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِرْبَاءُ﴾، الملك والسلطان، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر وقرأ أبو بكر: (ويكون) بالياء، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: (السحر) بقطع الألف والمد على الاستفهام، و(ما) في هذه القراءة للاستفهام وليست بموصولة، وهي مبتدأة و(جئتم به) خبرها، والمعنى: أي شيء جئتم به؟ وقوله (السحر) بدل عنها، وقرأ الباقون: (ما جئتم به السحر) بوصل الألف من غير مد، و(ما) في هذه القراءة موصولة بمعنى الذي و(جئتم به) صلتها وهي مع الصلة في موضع الرفع بالابتداء، وقوله

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾، لمتكبر، ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُصْرِفِينَ﴾، المجاوزين الحد لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لمؤمني قومه، ﴿يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا.

[٨٦] ﴿وَجَعَلْنَا بَرِحْتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾، هارون، ﴿أَنْ تَوَخَّأَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ يقال: بَوَّأ فلان لنفسه بيتاً ومضجعاً إذا اتخذها، وبوأتها أنا إذا اتخذته له، ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعتهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون، هذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس. وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا بأن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة، يصلون فيها سراً. معناه واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبله موسى ومن معه. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً﴾، من متاع الدنيا، ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي

تِلْكَ آيَاتُ

٢١٨

الْقُرْآنِ

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ الْقَوْمَا أَأَنْتُمْ مُلْكُوتُ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَىٰ إِذْ ذُرِّيَّتُهُ مِن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُصْرِفِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَجَعَلْنَا بَرِحْتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَوَخَّأَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾

تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك، كقوله (لأسقيناهم ماءً غدقاً لنتنهم فيه)، وقيل: هي لام العاقبة يعني: ليضلوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال، كقوله: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً). قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾، قال مجاهد: أهلكها، والطمس: المحو. وقال قتادة: صارت أموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة. وقال محمد بن كعب: جعل صورهم حجارة، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرتين، والمرأة قائمة تخبز فصارا حجراً. قال ابن عباس رضي الله عنه: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحاً وأنصافاً وثلاثاً. ودعا عمر بن العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوفة وإنها لحجر. قال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغِيًّا وَعَدَاً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِنَتُكْوِرَ لِمَنْ حَلَفَكَ ءَأَيَّةٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيِّنَا لَعَافُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَاوِئَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَأَيَّةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم الماء. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ﴾، أي: غمره الماء وقرب هلاكه، ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي (إنه) بكسر الألف أي: آمنت، وقلت: إنه. وقرأ الآخرون (أنه) بالفتح على وقوع آمنت عليها، وإضمار حرف الجر، أي: آمنت بأنه، فحذف الباء، وأوصل الفعل بنفسه، فهو في موضع النصب. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فدرس جبريل في فيه من حمأة البحر.

[٩١] وقال: ﴿ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون، فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل فرآه بنو إسرائيل فذلك قوله:

السدي: مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التسع ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أي: أقسها واطع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾، قيل: هو نصب بجواب الدعاء بالفاء. وقيل: هو عطف على قوله (ليضلوا) أي: ليضلوا فلا يؤمنوا. وقال الفراء: هو دعاء محله جزم، فكانه قال: اللهم فلا يؤمنوا، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، وهو الغرق. قال السدي: معناه أمتهم على الكفر.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لموسى وهارون، ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾، إنما نسب إليهما والدعاء كان من موسى لأنه روى أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين دعاء ﴿فَأَسْتَقِيمَا﴾، على الرسالة والدعوة وامضيا لأمرى إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾، نهي بالنون الثقيلة، ومحله جزم، يقال في الواحد لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين، وبكسر النون في الشنية لهذه العلة. وقرأ ابن عامر بتخفيف النون. وقد اختلفت الروايات عنه فيه فبعضهم روى عنه ﴿تَتَّبِعَانِ﴾ بتخفيف التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون. وبعضهم روى عنه (تَتَّبِعَان) بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف النون، وبعضهم روى عنه كقراء الجماعة. والوجه في تخفيف النون، إن نون التأكيد ثقيل وتخفف. ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي، فإن وعدي لا خُلف فيه، ووعيدي نازل بفرعون وقومه.

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾، عبرنا بهم ﴿فَأَتَيْنَهُمْ﴾، لحقهم وأدركهم، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾، يقال: أتبعه وتبعه إذا أدركه ولحقه، واتبعه بالتشديد إذا سار خلفه واقتدى به. وقيل: هما واحد. ﴿بَغِيًّا وَعَدَاً﴾، أي: ظلماً واعتداءً. وقيل: بغياً في القول وعدواً في الفعل. وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر فلما

مع أهل الشك معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته. قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبد: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك. ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾، وجبت عليهم، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، قيل: لعنته. وقال قتادة: سخطه. وقيل: الكلمة هي قوله: هؤلاء في النار ولا أبالي. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، دلالة، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الأخفش: أنت فعل كل لأنه مضاف إلى المؤنث وهي قوله: آية، ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء.

[٩٨] قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾، فهلا كانت، ﴿قُرْيَةً﴾، ومعناه: فلم تكن قرية، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، أي: أهل قرية، ﴿ءَامَنَتْ﴾، عند معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾، في حال اليأس، ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾، فإنهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، (وقوم) نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الِّغْزِيِّ فِي الِّحَيَّوَةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وهو وقت انقضاء آجالهم، واختلّفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾، أي: نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع. وقرأ يعقوب (نُنَجِّيكَ) بالتخفيف، ﴿بِيَدِنَا﴾، بجسدك لا روح فيه. وقيل: بيدك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر، فرأوه في درعه فصدّقوا موسى. ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ حَفَلَكْ آيَةٌ﴾، عبرة وعظة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَفْلُونَ﴾.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ﴿مُبَوَّأً صَدِيقٍ﴾، منزل صدق، يعني: مصر. وقيل: الأردن وفلسطين وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثاً لإبراهيم وذريته. قال الضحاك: هي: مصر والشام، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، الحلالات، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وأنه نبي، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، يعني: القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق ودينه حق. وقيل: حتى جاءهم معلومهم وهو محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خلق، قال الله تعالى: (هذا خلق الله)، ويقال: هذا الدرهم ضرب الأمير، أي: مضرابه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من الدين.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن ﴿فَسَلِّ الِّدِينَ يقرءونَ الِّكْتَابَ مِن قِبَلِكْ﴾، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة. قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى: (يا أيها النبي اتق الله)، خطاب للنبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال: (إن الله كان بما تعملون خبيراً)، ولم يقل بما تعمل، وقال: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٠

سُورَةُ الْيُونُسِ

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْأَيْتُ وَالنُّجُومِ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تُوْمِنُونَ ﴿٢١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلِ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ نُنزِجُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنزِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قُلِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَنْ أَعِزَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾

فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب؟ والأكثرون على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب [وسياتي مثل ذلك في سورة الصافات آية (١٤٨)].

[٤٩] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾، يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، هذه تسلية للنبي ﷺ وذلك أنه كان حريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من سبق له السعادة، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾، وما ينبغي لنفس. وقيل: ما كانت نفس، ﴿أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمر الله. وقال عطاء: بمشيئة الله. وقيل: بعلم الله. ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾، قرأ أبو بكر: (ونجعل) بالنون، والباقون بالياء، أي: ويجعل الله الرجس أي: العذاب وهو الرجز، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، عن الله أمره ونهيه.

[١٠١] ﴿قُلِ انظُرُوا﴾، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات: انظروا، ﴿مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿وَمَا تُعْطِي الْأَيْتُ وَالنُّجُومِ﴾، الرسل، ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود. والعرب تسمي العذاب أياماً والنعم أياماً، كقوله: (وذكرهم بأيام الله)، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿قُلِ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنزِجُ رُسُلَنَا﴾، قرأ يعقوب (ننجي) خفيف مختلف عنه، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، معهم عند نزول العذاب، معناه نجينا مستقبل بمعنى الماضي، ﴿كَذٰلِكَ﴾، كما نجيناهم ﴿حَقًّا﴾، واجبا، ﴿عَلَيْنَا نُجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ الكسائي وحفص ويعقوب (ننجي) بالتخفيف والآخرين بالتشديد، ونجا وأنجى بمعنى واحد.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿قُلِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾، الذي أدعوكم إليه، فإن قيل: كيف قال: (إن كنتم في شك) وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟ قيل: كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ. قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، من الأوثان، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾، يميتمكم ويقبض



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ  
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ  
ضَلَّ فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ  
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

## سُورَةُ هُودٍ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِنُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا  
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْطِيَهُمْ مِنْ عَافِيَّتِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَوَعَدْتُ  
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ الْإِلَهَ  
الَّذِي هُمْ يُنْتَهُونَ صُدُّوهُمْ لَسْتَ تَخْفَوْنَ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْفِرُونَ يَتَابَهُمْ  
يَعْلَمُ مَا يَسْرُرُونَ وَمَا يعلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَاتُ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

نسخت الكتب والشرائع به، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، بينت  
بالأحكام والحلال والحرام. وقال الحسن:  
أحكمت بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد  
والوعيد. قال قتادة: أحكمت أحكمها الله فليس  
فيها اختلاف ولا تناقض. وقال مجاهد: فصلت  
أي: فسرت. وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئاً  
فشيئاً، ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿٢﴾ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي: في ذلك الكتاب  
ألا تعبدوا إلا الله، ويكون محل (أن) رفعاً. وقيل:  
محل خفض تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله، ﴿إِنِّي  
لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾، أي: من الله ﴿نَذِيرٌ﴾، للعاصين  
﴿وَبَشِيرٌ﴾ للمطيعين.

﴿٣﴾ ﴿وَأَنْ﴾، عطف على الأول، ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾  
﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾، أي: ارجعوا إليه بالطاعة. قال  
الفراء: (ثم) هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه،

أرواحكم، ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾،  
قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقم على الدين  
حنيفاً. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾، ولا تعبد، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا  
لَا يَنْفَعُكَ﴾، إن أطعته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾، إن عصيته،  
﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾، فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ  
الظَّالِمِينَ﴾، الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في  
غير موضعها.

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾، أي: يصبك  
بشدة وبلاء، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾، فلا دافع له،  
﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، رخاء ونعمة وسعة،  
﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، فلا مانع لرزقه، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾،  
بكل واحد من الضر والخير، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾  
وهو العفور الرحيم.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّكُمْ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا  
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا﴾، أي: على  
نفسه وباله عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، بكفيل  
أحفظ أعمالكم. قال ابن عباس: نسختها آية  
القتال.

[١٠٩] ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ  
اللَّهُ﴾، بنصرتك وقهر عدوك وإظهار دينه ﴿وَهُوَ خَيْرُ  
الْحَاكِمِينَ﴾، فحكم بقتال المشركين وبالجزية على  
أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون.

## (١١) سُورَةُ هُودٍ

مكية إلا قوله: (وأقم الصلاة طرقي النهار)،  
وهي مائة وثلاث وعشرون آية.

[١] ﴿الرَّكِنُ كِتَابٌ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أَحْكَمَتْ  
آيَاتُهُ﴾، قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما

[٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: ليس دابة، (من) صلة، والدابة: كل حيوان يذب على وجه الأرض. وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، أي هو المتكفل بذلك فضلاً، وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق. وقيل: على بمعنى من أي: من الله رزقها. وقال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً. ﴿وَعَلَّمَ مَشْيَهَا وَسُودَعَهَا﴾، قال ابن مقسم - ويروى ذلك عن ابن عباس -: مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه. وقال عطاء: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الآباء. ورواه سعيد بن جبير وعلي بن طلحة وعكرمة عن ابن عباس. وقيل: المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر، لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: (حسنت مستقرًا ومقامًا). ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، أي: كلُّ مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها.

[٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قبل أن خلق السماء والأرض ﴿يَسْبُلُوكُمْ﴾، ليختبركم وهو أعلم، ﴿إِنِّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، عمل بطاعة الله وأورع عن محارم الله تعالى. ﴿وَلَكِنَّ قَلْتَ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يعنون القرآن. وقرأ حمزة والكسائي: (ساحر) يعنون محمدًا ﷺ.

[٨] ﴿وَلَكِنَّ آخَرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾، إلى أجل محدود، وأصل الأمة الجماعة، فكأنه قال: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُونَ﴾، أي: أي شيء يحبسه؟ يقولونه

لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار. وقيل: أن استغفروا إليه في المستأنف ﴿يَمُنِّعُكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا﴾، يعيشكم عيشًا حسنًا في خفض ودعة وأمن وسعة. قال بعضهم: العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور. ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَكِّيٍّ﴾، إلى حين الموت، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي: ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة. وقيل: يؤت كل ذي فضل فضله يعني: من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا، ﴿فَأِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، وهو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٥] قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلًا حلوا الكلام حلوا المنظر، يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره. قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة. وقال عبدالله بن شداد: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ. وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه. ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي. وقال السدي: يثنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: ثنيت عناني. وقيل: يعطفون، ومنه ثنى الثوب، ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾، أي: من رسول الله. وقال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، ﴿أَلَا جِنَّةً يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾، يغطون رؤوسهم بثيابهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال الأزهري: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمرُوا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفي علينا حالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٢

سُورَةُ هُودٍ

﴿٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا  
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ  
عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ  
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَابٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى  
أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ الْأَيُّومُ بِأَنِّيهِمْ لَيْسَ  
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾  
وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ  
لَيَكْفُرُ بِمَا كَفَرُورًا ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَالِهِ  
مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾  
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ  
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ  
مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

قال في سورة يونس: (فأتوا بسورة مثله)، وقد  
عجزوا عنه فكيف قال: (فأتوا بعشر سور)، فهو  
كرجل يقول لآخر: أعطني درهماً فيعجز، فيقول:  
أعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد قيل سورة هود  
نزلت أولاً. وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت  
سورة يونس أولاً، وقال معنى قوله في سورة يونس:  
(فأتوا بسورة مثله)، أي: مثله في الخبر عن الغيب  
والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في  
سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في  
الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور  
مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي  
مجرد البلاغة، ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، واستعينوا  
بمن استطعتم، ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿١٤﴾ [١٤] ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، يا أصحاب  
محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ

استعجالاً للعذاب واستهزاءً، يعنون أنه ليس  
بشيء. قال الله تعالى: ﴿الْأَيُّومَ بِأَنِّيهِمْ﴾، يعني  
العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، لا يكون مصروفاً  
عنهم، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: وبال استهزائهم.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا  
رَحْمَةً﴾، نعمة وسعة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ﴾، أي:  
سلبناها منه، ﴿إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾، قنوط في الشدة،  
﴿كَفُورٌ﴾ النعمة.

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَالِهِ مَسَّتَهُ﴾،  
بعد بلاء أصابه، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾،  
زالت الشدائد عني، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، أشربط،  
والفرح لذة في القلب بنيل المشتهي، والفخر هو  
التناول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي  
عنه.

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، قال الفراء: هذا  
استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا ﴿وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالوا  
نعمة شكروا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم  
﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وهو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، يا محمد، ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا  
يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، فلا تبلغه إياهم. وذلك أن كفار  
مكة لما قالوا: (أئت بقرآن غير هذا) ليس فيه سب  
آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع آلهتهم ظاهراً، فأنزل الله  
تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يعني:  
سب الآلهة، ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾، أي: فلعلك  
يضيق صدرك ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾، أي: لأن يقولوا، ﴿لَوْلَا  
أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ يَنْفِقَهُ﴾ ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾،  
يصدقه، قاله عبدالله بن أمية المخزومي. قال الله  
تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلا البلاغ،  
﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، حافظ.

[١٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾، بل يقولون اختلقه،  
﴿قُلْ فَأَنزِلُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ﴾، فإن قيل: قد

سورة هود

٢٢٣

الْحَيَاتِ

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ  
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُتُبَكُمْ لَدُنَّا فَتَمَثَّلَنَّ لَكُمْ  
فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ فَعَلِمَ أَنَّ لَّهُ إِلَهًا هُوَ، أَي: فاعلموا أن لا إله إلا  
هو، ﴿فَعَلِمَ أَنَّ لَّهُ مُسْلِمُونَ﴾، لفظه استفهام ومعناه  
أمر، أي: أسلموا.

[١٥] قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهَرَفْنَا لِأَيُّحْسُونَ  
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ  
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ  
عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَبِّهِ وَأَيُّهُ سَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ  
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ  
مِنَ الْأَحْزَابِ فَلَئِنَّ أَهْلَ مَوَاعِدِهِ، فَلَا تَأْكُ فِي مَرِيضَتِهِ إِنَّهُ لَأَحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ  
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ  
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصَّدَّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

وحده. ﴿فَاعْلَمُوا﴾، قيل: هذا خطاب مع  
المؤمنين. وقيل: مع المشركين، ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ  
اللَّهِ﴾، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه،  
﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: فاعلموا أن لا إله إلا  
هو، ﴿فَعَلِمَ أَنَّ لَّهُ مُسْلِمُونَ﴾، لفظه استفهام ومعناه  
أمر، أي: أسلموا.

[١٥] قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا﴾، أي: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا  
﴿وَزِينَتَهَا﴾، نزلت في كل من عمل عملاً يريد به  
غير الله عز وجل ﴿نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، أي:  
نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع  
المكافء وما أشبهها. ﴿وَهَرَفْنَا فِيهَا لَا يُحْسُونَ﴾، أي:  
في الدنيا لا ينقص حظهم.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ  
وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾، أي: في الدنيا، ﴿وَبَطُلَ﴾،  
مأجور، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، اختلفوا في المعنى بهذه  
الآية، فقال مجاهد: أهل الرياء. وروينا أن النبي  
ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك  
الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟  
قال: «الرياء»<sup>(١)</sup>. وقيل: هذا في الكفار، وأما  
المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبية  
فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في  
الآخرة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ﴾، بيان،  
﴿مِنَ رَبِّهِ﴾، قيل: في الآية حذف ومعناه: أفمن  
كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا  
وزينتها، أو من كان على بينة من ربه كمن هو في  
الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على بينة من  
ربه النبي ﷺ، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ﴾، أي: يتبعه من  
يشهد له بصدقه. واختلفوا في هذا الشاهد، فقال  
ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة  
والضحاك وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه  
السلام. وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله

ﷺ. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك  
يحفظه ويسدده. وقال الحسين بن الفضل: هو  
القرآن ونظمه وإعجازه. وقيل: شاهد منه هو  
الإنجيل. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، أي: ومن قبل مجيء  
محمد ﷺ. وقيل: من قبل نزول القرآن. ﴿كُتِبَ  
مُوسَىٰ﴾، أي: كان كتاب موسى، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾،  
لمن اتبعها، يعني التوراة وهي مصدقة للقرآن  
شاهدة للنبي ﷺ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني  
أصحاب محمد ﷺ. وقيل: أراد الذين أسلموا من  
أهل الكتاب، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾، أي: بمحمد ﷺ.  
وقيل: بالقرآن، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، من الكفار أهل

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤٢٨، ٤٢٩. وفي  
رواية عند الترمذي في كتاب النذور / ٩ / وابن ماجه في  
الفتن / ١٦ / بلفظ: «الرياء شرك». ورواه المصنف في شرح  
السنة ٣٢٤ / ١٤.

الملل كلها، ﴿فَالْتَأَرَّ مَوْعِدُهُ﴾، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، أي: في شك منه، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له ولداً أو شريكاً، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: الكاذبين والمكذابين، ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، فيسألهم عن أعمالهم، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك. وقال قتادة: الخلائق كلهم، ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يمنعون عن دين الله، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾، قال ابن عباس: سابقين. قال قتادة: هاربين. وقال مقاتل: فأتين. ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾، يعني أنصاراً وأعواناً يحفظونهم من عذابنا، ﴿يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾، أي: يزداد في عذابهم. قيل: يضاعف العذاب عليهم لإضلالهم الغير واقتداء الأتباع بهم. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: ﴿يُضَعَّفُ﴾ مشددة العين بغير ألف. وقرأ الباقون: ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالألف مخففة العين. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، الهدى. قال قتادة: صُمٌّ عن سماع الحق فلا يسمعون، وما كانوا يبصرون الهدى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال:

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿لَا جِزْمَ لَهَا فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِ اتَّخَذُوا لَكَ بَنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلَيسَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُرْءًا بِذُنُوبِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتِنِ مِن رَّبِّي وَءَالَتِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَفَعِمْتُمْ عَلَيْكُمْ أَلَمْ تَكُونُوا أَنتُمْ لَهَا كَرَهُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

(ما كانوا يستطيعون السمع) وهو طاعته، وفي الآخرة قال: (فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم).

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، غبنوا أنفسهم، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام.

[٢٢] ﴿لَا جِزْمَ﴾، أي: حقاً. وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، يعني: من غيرهم، وإن كان الكل في الخسار.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾، قال ابن عباس: خافوا. وقال قتادة: أنابوا. وقال مجاهد: اطمأنوا. وقيل: خشعوا. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أي: لربهم. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١٥٣) ١٣٤/١ والمصنف في شرح السنة ١٠٤/١.

فِيهَا خَلِيدُونَ ﴿٢٤﴾ .

ومعرفة، ﴿مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: خفيت والتبست عليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص (فعميت) عليكم بضم العين وتشديد الميم، أي: شبهت ولبست عليكم. ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مِّمَّا أَنْزَلْنَا لَهُمُ الْغُورَ﴾، لا تريدونها. قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يلزموا قومهم لألزموا، ولكن لم يقدروا.

[٢٩] قوله: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (أي) بفتح الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى القول: إني لكم نذير مبين.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَعْرِ﴾، أي: مؤلم (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) أي: فلبث فيهم داعياً.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: والمملأ هم الأشراف والرؤساء. ﴿مَا نَرْنَكَ﴾، يا نوح، ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾، آدمياً، ﴿وَمِنَّا وَمَا نَرْنَكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾، سفلتنا، والردل: الدون من كل شيء، والجمع أردل، ثم يجمع على أرادل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: (واتبعك الأردلون) يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، قرأ أبو عمرو (باديء) بالهمز، أي: أول الرأي يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه اتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويفكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَئَةٍ﴾، بيان، ﴿مِن رَّبِّي وَءَالِي رَحْمَةٍ﴾ أي: هدى

[٢٩] قوله: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (أي) بفتح الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى القول: إني لكم نذير مبين.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَعْرِ﴾، أي: مؤلم (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) أي: فلبث فيهم داعياً.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: والمملأ هم الأشراف والرؤساء. ﴿مَا نَرْنَكَ﴾، يا نوح، ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾، آدمياً، ﴿وَمِنَّا وَمَا نَرْنَكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾، سفلتنا، والردل: الدون من كل شيء، والجمع أردل، ثم يجمع على أرادل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: (واتبعك الأردلون) يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، قرأ أبو عمرو (باديء) بالهمز، أي: أول الرأي يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه اتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويفكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَئَةٍ﴾، بيان، ﴿مِن رَّبِّي وَءَالِي رَحْمَةٍ﴾ أي: هدى

[٢٩] قوله: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (أي) بفتح الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى القول: إني لكم نذير مبين.

﴿فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا يَمَا بَعْدَنَا﴾، من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾، يعني: بالعذاب، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، بفاتتين.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، أي: نصيحتي، ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، يضلكم، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، له الحكم والأمر ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾، فيجزئكم بأعمالكم.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني نوحًا عليه السلام. وقال مقاتل: يعني محمدًا ﷺ. ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾، أي: إثمي ووبال جرمي. والإجرام: كسب الذنب. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾، لا أواخذ بذنوبكم.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا بَتَّيْسَ﴾، فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فإني مهلكهم ولا منقذ منهم، فحيث دعا نوح عليهم: فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا) فأوحى الله تعالى إليه:

[٣٧] ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾، أي: بأمرنا. ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾، بالطوفان، قيل معناه لا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فإنهما هالكان مع القوم.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يَمرون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجارًا بعد النبوة. قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٥

سُورَةُ هُودٍ

وَيَقُولُ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لِيَ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّكْفَرُونَ بِهَمَّ وَلِكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُ مَنْ بِنَصْرِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَفْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا يَمَا بَعْدَنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا بَتَّيْسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٩﴾

قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارًا وروي أنهم كانوا يقولون له: يا نوح ماذا تصنع؟ فيقول أصنع بيتًا يمشي على الماء، فيضحكون منه، ﴿قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ﴾، إذا عايتكم عذاب الله، ﴿كَمَا نَسَخَرُونَ﴾، فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني أن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يهينه، ﴿وَيُحِلُّ عَلَيْهِ﴾، يجب عليه، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا، ﴿وَفَارَ النَّوُّورُ﴾، اختلفوا في التنوير، قال عكرمة

والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار التنور أي: طلع الفجر ونور الصبح. وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه التنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين. والفوران: الغليان. قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اٰحْمِلْ فِيهَا﴾، أي: في السفينة، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى. قرأ حفص هنا وفي سورة المؤمنين: (من كُلِّ) بالتثنية أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً. ﴿وَاَهْلَكَ﴾، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿اِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، بالهلاك يعني امرأته واعلة وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ يعني: واحمل من آمن بك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ اِلَّا قَلِيْلٌ﴾، واختلفوا في عددهم، قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية، نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث، ونساؤهم: وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنانن له. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نساؤهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعاً. وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلاً وامراً وبنيه الثلاثة ونساءهم، فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ اٰرْكَبُوْا فِيْهَا﴾، أي: قال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة، ﴿يَسِّرِ اللّٰهُ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (مجرها) بفتح الميم (ومرسها) بضمها، وقرأ محمد بن محيصة (مجرها ومرساها) بفتح الميمين من جرت

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْنِمْ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ اِنْ تَسْخَرُوْا مِنَّا فَاِنَّا نَسْخَرُوْكُمْ كَمَا تَسْخَرُوْنَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوْنَ مَنْ يُّاْتِيهِ عَذَابٌ مُّجْزِيْهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عِدَابٌ مُّقْسِمٌ ﴿٣٩﴾ حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُوْرُ قُلْنَا اٰحْمِلْ فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَاَهْلَكَ اِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ اِلَّا قَلِيْلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ اٰرْكَبُوْا فِيْهَا يَسِّرِ اللّٰهُ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَهَا اِنْ رِى لَعَفُوْرٌ رَّحِمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرٰى بِهَمِّ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادٰى نُوْحٌ اٰبْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَّبْنِىْ اَرْكَبًا مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَاوِى اِلَى جَبَلٍ يَّعِصْمُنِيْ مِنَ الْمَاِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَضِيْنَ ﴿٤٣﴾ وَقِيْلَ يٰٓاَرْضُ اَبْلِىْ مَاءَكَ وَيَسْمَاِءُ اَقْلَمِيْ وَعِصْ اَلْمَاِ وَقِضِ الْاَمْرُ وَاَسْتَوَتْ عَلَى الْجُوْدِيِّ وَقِيْلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٤٤﴾ وَنَادٰى نُوْحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ اِنَّ اٰتِيْ مِنَ اَهْلِى وَاِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَاَنْتَ اَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَ ﴿٤٥﴾

ورست، أي: بسم الله جريها ورسوها، وهما مصدران وقرأ الآخرون: (مجرها ومرساها) بضم الميمين من أجريت وأرست، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها وهما أيضاً مصدران، كقوله: (أنزلني منزلاً مباركاً). (وأدخلني مدخل صدق) وأخرجني مخرج صدق، والمراد منها الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿اِنَّ رَبِّي لَعَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾.

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجْرٰى بِهَمِّ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿وَنَادٰى نُوْحٌ اٰبْنَهُ﴾، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام وكان كافراً، ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾، عنه لم يركب السفينة، ﴿يَّبْنِىْ اَرْكَبًا مَّعَنَا﴾، قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزي عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: (اركب) بإظهار الباء،



﴿عَلَّمَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام (فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها. وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، ويثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش الياء في الوصل دون الوقف، وأثبتها يعقوب في الحالين، ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، واختلفوا في هذا الابن، قال مجاهد والحسن: كان ولد حدث من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: (ماليك لك به علم) وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال (من أهلي) ولم يقل مني. وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والأكثر: إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وقوله (إنه ليس من أهلك) أي: من أهل الدين وقوله: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، يعني: تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاه كافر.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهَيْطُ﴾، انزل من السفينة، ﴿يَسْأَلُكَ مِنَّا﴾، أي بأمن وسلامة منا، ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾، البركة هي ثبوت الخير ومنه بروك البعير. وقيل: البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة، ﴿وَعَلَىٰ أُمُومٍ وَمَنْ مَعَكَ﴾، أي: على ذرية أمم ممن كان معك في السفينة، يعني على قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة، يعني: من ولدك وهم المؤمنون، قال محمد بن كعب القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة. ﴿وَأُمَمٌ سَمَّعْتَهُمْ﴾، هذا ابتداء، أي: أمم سمعتهم في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمُ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهم الكافرون وأهل الشقاوة.

[٤٩] ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، من أخبار الغيب، ﴿نُوحِهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ

وَالْآخَرُونَ يَدْغُمُونَهَا فِي الْمِيمِ، ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فهلك.

[٤٣] ﴿قَالَ﴾ له ابنه ﴿سَآوِي﴾، سأصير وألتجئ، ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، يمنعني من الغرق، ﴿قَالَ﴾ له نوح ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، قيل: (من) في محل رفع، أي لا مانع من عذاب الله إلا الله الرحيم. وقيل: (من) في محل نصب، معناه لا معصوم إلا من رحمه الله كقوله: (في عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ﴾، فصار، ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، ويروى أن الماء علا على رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعًا. وقيل: خمسة عشر ذراعًا.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ﴾، يعني بعدما تناهى أمر الطوفان. ﴿يَتَارِضُ آبِلِي﴾، اشربي، ﴿مَاءَهُ وَكَسَمَاءُ أَقْلِي﴾، أمسكي، ﴿وَعِصَى الْمَاءِ﴾، نقص ونضب، يقال: غاض الماء يغيض غيضًا إذا نقص، وغاضه الله أي أنقصه، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الأمر وهلاك القوم ﴿وَأَسْوَتُ﴾، يعني السفينة استقرت، ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿وَقِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ هَلَاكًا، ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾،

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي﴾، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي؟ ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، لا خلف فيه، ﴿وَإِنَّ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ الله عز وجل ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قرأ الكسائي ويعقوب: (عمل) بكسر الميم وفتح اللام (غير) بنصب الراء على الفعل، أي: عمل الشرك والتكذيب. وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام تنوينه، (غير) برفع الراء معناه: أن سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾، يا نوح، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

مِن قَبْلِ هَذَا، من قبل نزول القرآن، ﴿فَاصِرٌ﴾، على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح، ﴿إِنَّ الْعَقِبَةَ﴾ آخر الأمر بالسعادة والنصرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، لأهل التقوى.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾، أي: وأرسلنا إلى عاد، ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾، في النسب لا في الدين، ﴿قَالَ يَنْفِقُونَ أَيُّهَا اللَّهُ﴾، وحدوا الله ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ؟ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، ما أنتم في إشراككم إلا كاذبون.

[٥١] ﴿يَنْفِقُونَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الرسالة، ﴿أَجْرًا﴾، جفلاً، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، خلقتني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَنْفِقُونَ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: آمنوا به، فالاستغفار هنا بمعنى الإيمان، ﴿ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ﴾، من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، أي: يرسل المطر عليكم متتابعاً مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، أي: شدة مع شدتكم.

وذلك أن الله عز وجل حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نساءهم فلم يلدن، فقال لهم هود عليه السلام: إن أنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالاً ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت فيلدن، فتزدادون قوة بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن. ﴿وَلَا تَنۢوَلُوا مُجْرِمِينَ﴾، أي: لا تدبروا مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، أي: ببرهان ووحجة واضحة على ما تقول، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾، أي: بقولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[٥٤] ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَابَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، يعني: لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلِهتنا إلا أن بعض آلِهتنا اعتراك أي: أصابك بسوء

سُورَةُ هُودٍ

٢٢٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

قَالَ يَنْفِقُونَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُصَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾  
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنُّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفِقُونَ أَهِيطُ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمُ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفِقُونَ عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفِقُونَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْفِقُونَ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

بخبل وجنون، وذلك أنك سببت آلِهتنا فانقموا منك بالتخيل لا نحمل أمرك إلا على هذا، ﴿قَالَ﴾، لهم هود، ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾، على نفسي، ﴿وَأَشْهَدُ وَأَ﴾، يا قوم، ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾، فاحتمالوا في مكركم وضري أنتم وأوثانكم، ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾، لا تؤخرون ولا تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾، أي: اعتمدت، ﴿عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ قال الضحَّاك: محيها ومميتها. قال الفراء: مالكتها والقادر عليها. وقال بعض العلماء: آخذ بناصيتها لا تتوجه إلا حيث يلهمها. وقال القتيبي: يقهرها، لأن من أخذت بناصيتها فقد قهرته. وقيل إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٨

سُورَةُ هُودٍ

٥٧ **إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ الْهَتَمَاتِ سِوَهُ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ**  
**وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴿٥٧﴾ **مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي**  
**جَمِيعًا تَمُرُّ لَنَا ظُيُورًا** ﴿٥٨﴾ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا**  
**مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** **إِن رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**  
**﴿٥٩﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ**  
**رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ** **شَيْئًا إِن رَّبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ**  
**﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ**  
**مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴿٦١﴾ **وَتِلْكَ جَادُوجُودٌ وَأَيَاتٌ**  
**رَّبِّهِمْ وَعَصَوُوا رُسُلَهُ** **وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** ﴿٦٢﴾ **وَاتَّبَعُوا**  
**فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ** **إِلَّا إِن عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ** **إِلَّا**  
**بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٍ** ﴿٦٣﴾ **وَالَّذِينَ تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ**  
**يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** **هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**  
**وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ** **إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**  
**﴿٦٤﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٦٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٦٧﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٦٨﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٦٩﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٠﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧١﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٢﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٣﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٤﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٧﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٨﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٧٩﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٠﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨١﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٢﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٣﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٤﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٧﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٨﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٨٩﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٠﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩١﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٢﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٣﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٤﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٧﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٨﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿٩٩﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**  
**﴿١٠٠﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَئْتِنَا آيَاتُهُ وَتَنزِيلُ الْكِتَابِ لَنَحْسَبَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**

إنسانًا بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا  
 إذا أسروا إنسانًا وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا  
 ناصيته ليعتدوا بذلك فخراً عليه، فخطبهم الله بما  
 يعرفون. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني: إن  
 ربي وإن كان قادراً عليهم فإنه لا يظلمهم ولا يعمل  
 إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه  
 والمسيء بعصيانه. وقيل: معناه إن دين ربي صراط  
 مستقيم. وقيل: فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم  
 ويحملكم على صراط مستقيم.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: تتولوا، يعني: تعرضوا  
 عما دعوتكم إليه، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ  
 وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، أي: إن عرضتم يهلككم  
 الله عز وجل ويستبدل قوماً غيركم أطوع منكم  
 يوحدونه ويعبدونه، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾، بتوليكم  
 وإعراضكم إنما تضرون أنفسكم. وقيل: لا  
 تقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم  
 عنده سواء، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾، أي:  
 لكل شيء حافظ، يحفظني من أن تالوني بسوء.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا،  
 ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وكانوا أربعة آلاف.  
 ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ بنعمة ﴿مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وهو  
 الريح التي أهلك بها عاداً، وقيل: العذاب الغليظ:  
 عذاب يوم القيامة، أي: كما نجيناهم في الدنيا من  
 العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ جَادُوجُودٌ﴾، رده إلى القبيلة، ﴿جَادُوا  
 بِطَايِبَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، يعني: هوداً وحده،  
 ذكره بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً واحداً كان  
 كمن كذب جميع الرسل، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ  
 عَنِيدٍ﴾ أي: واتباع السفلة والسقاط أهل التكبر  
 والعناد. والجبار: المتكبر، والعنيد: الذي لا يقبل  
 الحق، يقال: عند الرجل يعند عنوداً إذا أبى أن  
 يقبل الشيء وإن عرفه. وقال أبو عبيدة: العنيد  
 والعاند والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، أي: أردفوا  
 لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعنة: هي الإبعاد  
 والطرده عن الرحمة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: وفي  
 يوم القيامة أيضاً لعنوا كما لعنوا في الدنيا  
 والآخرة، ﴿إِلَّا إِن عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، أي: بربهم،  
 يقال: كفرته وكفرت به، كما يقال: شكرته  
 وشكرت له، ونصحته ونصحت له. ﴿إِلَّا بَعْدَ إِعَادِ  
 قَوْمٍ هُودٍ﴾، قيل: بعداً من رحمة الله. وقيل:  
 هلاكاً. والبعد له معنيان: أحدهما ضد القرب،  
 يقال: منه بعدٌ يبعدُ بعداً، والآخر: بمعنى الهلاك،  
 يقال: منه بعدٌ يبعدُ بعداً.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾،  
 أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً في النسب لا  
 في الدين، ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وخذوا الله عز  
 وجل، ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾، ابتداء

سورة الأعراف. فهذا معنى قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها، ﴿وَلَا تَسْؤُوهَا سِوَى﴾، ولا تصيوها بعقر، ﴿فِيَاخُذْكُمْ﴾، إن قتلتموها، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾، لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُوا﴾، عيشوا، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾، أي: في دياركم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ثم تهلكون، ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٌ مَكْذُوبٍ﴾، أي: غير كذب. روي أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ رِجْمَةَ مِنْكَ﴾، بنعمة منا، ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، أي: من عذابه، وهو أنه قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي (خزي يومئذ)، و(عذاب يومئذ) بفتح الميم. وقرأ الباقون بالكسر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿الصَّيْحَةَ﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وإنما قال: (أخذ) والصيحة مؤنثة لأن الصيحة بمعنى الصباح. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾، صرعى هلكى.

[٦٨] ﴿كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيهَا﴾، يقيموا ويكونوا، ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ لَثَمُودٍ﴾، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (ثمود) غير منون، وكذلك في سورة الفرقان والعنكبوت والنجم، وافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقون بالتثنية، وقرأ الكسائي: (لثمود) بخفض الدال والتثنية،

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، وذلك أنهم من آدم وآدم خلق من الأرض، ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، أي: جعلكم عمَّارها وسُكَّانها. وقال الضحاك: أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك قوم عاد. وقال مجاهد: أعمركم من العمرى، أي: جعلها لكم ما عستم. وقال قتادة: أسكنكم فيها. ﴿فَأَسْتَعْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾، من المؤمنين، ﴿مُجِيبٌ﴾ لدعائهم.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾، يعني ثمود، ﴿يَصْلِحُ فَذَكَّتْ فِيْنَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾، القول أي: كنا نرجو أن تكون سيِّداً فينا. وقيل: كنا نرجو أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا: ﴿أَتُنْهَسْنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، من الآلهة، ﴿وَأِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، موقع للريبة والتهمة، يقال: أربته إرابة إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة.

[٦٣] ﴿قَالَ يَتَقَوْمِ آرَيْسَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنهُ رَحْمَةً﴾، نبوة وحكمة، ﴿فَمَنْ يَصُرْنِي مِنْكَ اللَّهُ﴾، أي: من يمعني من عذاب الله، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال ابن عباس: معناه ما تزيدوني غير بصارة في خسارتكم. قال الحسين بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال فما تزيدوني غير تخسير، وإنما المعنى ما تزيدوني بما تقولون من الفحش إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة، والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

[٦٤] ﴿وَيَتَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾، نصب على الحال والقطع، وذلك إن قوماً طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولدًا مثلها، وقد بيناه في

والباقون بنصب الدال، فمن جره فلأنه اسم مذكر، ومن لم يجره جعله اسماً للقبيلة.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ﴾، أراد بالرسول الملائكة عليهم السلام بالبشرى بالبشارة بإسحاق ويعقوب. وقيل: يهلاك قوم لوط. ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾، أي: سلموا سلامًا، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلِّمٌ﴾، أي: عليكم سلام: وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: (وقولوا حطة)، وقرأ حمزة والكسائي (سلم) ههنا وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف. قيل: هو بمعنى السلام. كما يقال: حل وحلال وحرم وحرام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب. ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيدٍ﴾، والحبيد المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سمينًا يسيل دسمًا، كما قال في موضع آخر: (فجاء بعجل سمين): قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾، أي: إلى العجل، ﴿نَكَرَهُمْ﴾، أنكرهم، ﴿وَأَوْحَسَ﴾، أضمر، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، خوفًا. قال مقاتل: وقع في قلبه، وأصل الوجوس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه. وقال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، يا إبراهيم، ﴿إِنَّا﴾ ملائكة الله ﴿أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧١] ﴿وَأَمْرًا تُهْتَبُونَ﴾ سارة بنت هاران بن أهور وهي ابنة عم إبراهيم. ﴿قَائِمَةٌ﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم. ﴿فَضَحَكَتُ﴾، قال مجاهد وعكرمة: ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثر أن يظن أن المراد منه الضحك المعروف. واختلفوا في سبب ضحكها، فقيل: ضحكت لزوال الخوف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٩

سورة هود

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ بَصُرْتُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ إِنَّ عَصِيْبَهُ لَمَّا تَرِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٩﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٧٠﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٧٢﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٧٣﴾ كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا وَرَأَيْتُمُ الْأَبْدَانَ تَشْمُودًا ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِّمٌ فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيدٍ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ وَأَمْرًا تُهْتَبُونَ ﴿٧٧﴾ فَضَحَكَتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٨﴾

عنها وعن إبراهيم حين قالوا لا تخف. وقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم وظنهم لصوصًا فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعامًا إلا بثمن، قال إبراهيم: فإن له ثمنًا، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام، وقال: حق لهذا أن يتخذة ربُّه خليلًا، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجبًا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا. وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم. وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة في بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه. وقيل: ضحكت سرورًا بالبشارة. وقال ابن عباس ووهب: ضحكت

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾، الخوف، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى﴾، بإسحاق ويعقوب، ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، فيه إضمار، أي: أخذ وظل يجادلنا. قيل: معناه يكلمنا لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل إنما يسأله ويطلب إليه. وقال عامة أهل التفسير: معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته أنه قال للملائكة أرايتم لو كان في مدائن لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا، قال: أرايتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال لهم إبراهيم عند ذلك: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، فذلك قوله إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: (يجادلنا في قوم لوط).

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾، قال ابن جريج: وكان في قري قوم لوط أربعة آلاف ألف فقالت الرسل عند ذلك لإبراهيم.

[٧٦] ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، أي: أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾، أي: عذاب ربك وحكم ربك، ﴿وَأَنبَأَهُمُ آتَانِهِمْ﴾، نازل بهم، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ مَرْدُودٌ﴾، أي غير مصروف عنهم.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، يعني: هؤلاء الملائكة، ﴿لُوطًا﴾، على صورة غلمان مرد حسان الوجوه، ﴿سِوَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: حزن لوط بمجيئهم، يقال: سؤته فسيء، كما يقال: سررته فسره. ﴿وَصَاقَ إِبْرَاهِيمَ دَرْعًا﴾، أي: قلباً. يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، أي:

تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها. وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، وقالت: يا ويلتي أألد وأنا عجوز؟ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾، أي: من بعد إسحاق، ﴿يَعْقُوبَ﴾، أراد به والدًا لولد فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها! قرأ ابن عامر وحمزة وحفص يعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمار فعل، أي: ووهبنا له يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها تعجباً.

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوَيْلَئِي﴾، نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجباً. والأصل يا ويلتاه. ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: تسعاً وتسعين سنة. ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾، أي: زوجي، سمي بذلك لأنه قيم أمرها، ﴿شَيْخًا﴾؛ نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، معناه لا تعجبي من أمر الله، فإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً كان. ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أي: بيت إبراهيم عليه السلام. قيل: هذا على معنى الدعاء معنى الخير والرحمة والنعمة. والبركات جمع البركة، وهي ثبوت الخير. وفيه دليل على أن الأزواج من أهل البيت. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ﴾، فالحميد: المحمود في أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجد الرفعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلَاتٍ فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ دُورٍ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءً بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَعُوهُنَّ إِلَّا بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ نَبْصِلَكَ إِلَّا تَكَسَّرًا بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْبَسُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

وسعيد بن جبیر: قوله (بناتي هن أطهر لكم)، أراد نساءهم وأضاف إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته. وفي قراءة أبي بن كعب: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم هو أب لهم)، وقيل: ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق، فلم يرضوا هذا القول. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، أي: خافوا الله ولا تخزون في ضيفي، أي: لا تسوؤني ولا تفضحوني في أضيافي. ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، صالح سديد. وقال عكرمة: رجل يقول لا إله إلا الله. وقال ابن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، يا لوط، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: لسن أزواجنا لنا فنستحقهن بالنكاح. وقيل: معناه ما لنا فيهن من حاجة وشهوة. ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾، من إتيان الرجال.

شديد كأنه عصب به الشر والبلاء، أي: شد. قال قتادة والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فأتوا لوطاً نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها. وقيل: إنه كان يحتطب. وقد قال الله تعالى للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطاً أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: ما بلغكم أمر أهل هذه القرية: قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله. وروي: أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله، ثم مر على قوم آخرين، فغمزوا، فقال مثله، ثم مر بقوم فقال مثله، ثم مر بقوم آخرين، فقال مثله، فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا حتى أتى منزله. وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يسرعون إليه. وقال مجاهد: يهرولون، وقال الحسن: مشى بين مشيتين. قال شمر بن عطية: بين الهرولة والجمز. ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾، أي: من قبل مجيئهم إلى لوط، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، كانوا يأتون الرجال في أديبارهم. ﴿قَالَ﴾، لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان، ﴿يَنْفَعُوهُنَّ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، يعني: بالتزويج، وفي أضيافه بناته، وكان في ذلك الوقت، تزويج المسلمة من الكافر جائزاً كما زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين. وقال الحسين بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام. وقال مجاهد

أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فهلك وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنها لما سمعت هذة العذاب التفتت، وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها. وقرأ الآخرون بنصب التاء على الاستثناء من الإساءة أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسربها وخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، وتصديقه قراءة ابن مسعود (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد). ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

[٨٢] قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْنَا﴾ عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أي على شذاها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير (سك وكل) (١) فارسي معرب. وقال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عز وجل: (لنرسل عليهم حجارة من طين)، قال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين. وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشددت. وقال الضحاك: يعني الأجر. وقيل: السجيل اسم السماء الدنيا. وقيل: هو جبال في السماء، قال الله تعالى: (وينزل من السماء من جبال فيها من برد). قوله تعالى: ﴿مَنْصُودٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: متتابع يتبع بعضها بعضاً مفعول من النضد، وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض.

[٨٣] ﴿مُسُوِّمَةً﴾، من نعت الحجارة وهي نصب على الحال، ومعناها معلمة: قال ابن جريج: عليها سيما لا تشاكل كل حجارة الأرض. وقال (١) هكذا في الأصل وفي طبعة ١٣٤٣هـ وطبعة ١٤٠٩هـ، ومعناه: حجارة وطين، انظر الطبري ٢٢٩/٣٠.

[٨٠] ﴿قَالَ﴾، لهم لوط عند ذلك ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أراد قوة البدن والقوة بالاتباع، ﴿أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، أي: أنضم إلى عشيرة مانعة. وجواب (لو) مضمرة أي لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم، قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبياً إلا في منعة من عشيرته، قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسوّر الجدار، فلما رأت الملائكة ما يلقي لوط بسببهم.

[٨١] ﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾، إن ركنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم، فأذن له، فقام، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم، فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرونا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى منا غداً يوعدونه، فقالت الملائكة: لا تخف إنا أرسلنا لإهلاكهم، فقال لوط للملائكة: متى موعد إهلاكهم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن، فقالوا: (أليس الصبح بقريب)، ثم قالوا، ﴿فَأَسْرَى﴾، يا لوط، ﴿بِأَهْلِكَ﴾، قرأ أهل الحجاز (فاسر) و(أن اسر) بوصل الألف حيث وقع في القرآن من أسرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري، ومعناها واحد وهو المسير بالليل. ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾، قال ابن عباس: بطائفة من الليل. وقال الضحاك: ببقية. وقال قتادة: بعد مضي أوله. وقيل: إنه السحر الأول. ﴿وَلَا يَلْقَىٰ مِنكُمْ أَحَدًا إِلَّا امْرَأَتُكَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (امرأتك)، برفع التاء على الاستثناء من الالتفات،



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ  
 شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ  
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ  
 أَتُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا  
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾  
 بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
 بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ  
 تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ  
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِّنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ  
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾، أو أن نترك أن  
 نفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان.  
 ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، قال ابن عباس رضي  
 الله عنهما: أرادوا السفه الغاوي، والعرب تصف  
 الشيء بضده فتقول: للديع سليم وللغلاة مفازة.  
 وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء. وقيل: معناه  
 الحليم الرشيد بزعمك. وقيل: هو على الصحة أي  
 إنك يا شعيب فينا حليم رشيد لا يجمل بك شق  
 عصا قومك ومخالفة دينهم، وهذا كما قال قوم  
 صالح عليه السلام: (قد كنت فينا مرجوا قبل  
 هذا).

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾،  
 بصيرة وبيان، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِّنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾،  
 حلالاً. وقيل: كثيراً. وكان شعيب عليه السلام  
 كثير المال. وقيل: الرزق الحسن: العلم.

قتادة وعكرمة: عليها خطوط حمر على هيئة  
 الجزع. وقال الحسن والسدي: كانت مختومة  
 عليها أمثال الخواتيم. وقيل: مكتوب على كل  
 حجر اسم من رمى به. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ﴾،  
 يعني: تلك الحجارة، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: من  
 مشركي مكة، ﴿بِبعِيدٍ﴾، وقال قتادة وعكرمة: يعني  
 ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منهما ظالماً  
 بعد. وفي بعض الآثار: «ما من ظالم إلا وهو  
 بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة».

﴿٨٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ﴾، أي:  
 وأرسلنا إلى ولد مدین، ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ  
 أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا  
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، أي لا تبخسوا، وهم كانوا  
 يطففون مع شركهم، ﴿إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾، قال  
 ابن عباس: موسرين في نعمة. وقال مجاهد: في  
 خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة وغلاء السعر  
 وحلول النعمة، إن لم يتوبوا. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾، يحيط بكم فيهلككم.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَقَوْمِ أَتُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾،  
 أتموهما، ﴿بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل. وقيل: بتقويم  
 لسان الميزان، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾، لا تنقصوا؛  
 ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾،  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني ما أبقى الله  
 لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما  
 تأخذونه بالتطفيف. وقال مجاهد: بقيت الله أي:  
 طاعة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أن ما عندكم من  
 رزق الله وعطائه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾،  
 بوكيل. وقيل: إنما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا  
 يُعْبَدُ آبَاؤُنَا﴾، من الأوثان. قال ابن عباس رضي  
 الله عنهما: كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة  
 لذلك قالوا هذا. وقال الأعمش: يعني أقرأءتك.

والمعرفة. ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ﴾، أي: ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه. ﴿إِنْ أَرِيدُ﴾، ما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِلَّا لِإِضْلَاحٍ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، والتوفيق: تسهيل سبيل الخير والطاعة. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَالِيهِ أُنِيبُ﴾، أراجع فيما ينزل بي من النوايب.

[٨٩] ﴿وَيَقْوِرُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، لا يحملنكم، ﴿شِقَاقِي﴾، خلافي ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾، أي: على فعل ما أنهاكم عنه، ﴿مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾، من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾، من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾، وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط. وقيل: معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط.

[٩٠] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، والودود له معنيان أحدهما أنه محب للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى الودود أي محبوب للمؤمنين. وجاء في الخبر: إن شعيباً عليه السلام كان خطيب الأنبياء عليهم السلام.

[٩١] ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾، ما نفهم، ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾، عشيرتك وكان في منعة من قومه، ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾، لقتلناك. والرجم: أقيح القتل. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا﴾، عندنا، ﴿بِعَزِيزٍ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ يَقْوِرُوا رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: إن تركتم قتلي لمكان رهطي فالأولى أن تحفظوني في الله. ﴿وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي﴾، أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه، ﴿إِنِّي رَجِي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

[٩٣] ﴿وَيَقْوِرُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾، أي: على تودتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٢

سُورَةُ هُودٍ

وَيَقْوِرُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقْوِرُوا رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقْوِرُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَرَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

مكاته إذا عمل على تودة وتمكن. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، على تمكني، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله، فذلك قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾، قيل: (من) في محل النصب، أي: فسوف تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره. ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾، وانتظروا العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾، قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثْمِينَ﴾، ميتين.

[٩٥] ﴿كَأَن لَّمْ يَرَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا﴾، أي: كأن لم يقيموا ولم يكونوا ﴿فِيهَا إِلَّا بُعْدًا﴾، هلاكًا، ﴿لِمَدِينٍ كَمَا

بِعَدَّتْ ﴿٩٦﴾، هلكت، ﴿ثُمُودٌ﴾.

[٩٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ يَرْعُونَ وَمَلَأْنَاهُ فَأَبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، بسديد.

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾، يتقدمهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾، فأدخلهم ﴿النَّارَ وَيَسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي: يس المدخل والمدخول فيه.

[٩٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَدْيِهِ﴾، أي: في هذه الدنيا، ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾، أي: العون المعان. وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعتان، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْضُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِبٌ﴾، عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب. وقيل: منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف. وحصيد أي: انمحي أثره. وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر، وحصيد بمعنى محصود.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾، بالعباد والهلاك، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، عذاب ربك، ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيءٍ﴾، أي: غير تخسير، وقيل: تدمير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، وهكذا، ﴿أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، قال: ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية<sup>(١)</sup>.

[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعلبة، ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، أي: يشهده أهل السماء والأرض.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَدْيِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْضُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِبٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيءٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَاتُكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِآيَاتِهِ فَمِنْهُمْ سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَّوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾، أي: وما نؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة. وقرأ يعقوب، وما يؤخره بالياء، ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾، معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾، بإثبات الياء وحذفها، ﴿لَا تُكَلِّمُنَّ﴾، أي: لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِآيَاتِهِ فَمِنْهُمْ سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، أي: فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة.

[١٠٦] قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَّوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف. وقال الضحاک ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره إذا رده في جوفه. وقال

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٣٥٤/٨ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٣) ٤/١٩٩٧ والمصنف في شرح السنة ٣٥٨/١٤.

تضر به. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.  
 [١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾، قرأ حمزة  
 والكسائي وحفص (سعدوا) بضم السين وكسر  
 العين، أي: رزقوا السعادة، وسعدوا: أسعد  
 بمعنى واحد. وقرأ الآخرون بفتح السين قياساً على  
 (شقوا). ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال الضحاك: إلا ما  
 مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة. قال قتادة: الله  
 أعلم بشيائه. ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾، أي: غير  
 مقطوع. قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء  
 لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾، لم  
 يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾، في شك، ﴿بِمَا يَعْبُدُ  
 هَؤُلَاءِ﴾، أنهم ضلال، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ﴾،  
 فيه إضمار، أي: كما كان يعبد، ﴿ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ  
 وَإِنَّا لَمَوْفُوهُم نَصِيهِمُ﴾ حظهم من الجزاء. ﴿غَيْرَ  
 مَقْصُورٍ﴾.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة،  
 ﴿فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾، فمن مصدق به ومكذب كما فعل  
 قومك بالقرآن، يُعْزِي نبيه ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم،  
 ﴿لَفُصِّي بَيْنَهُمْ﴾، أي: لعذبوا في الحال وفرغ من  
 عذابهم وإهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾،  
 موقع في الريبة والتهمة.

[١١١] ﴿وَإِنَّ كُلاً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو  
 بكر: (وإن كلاً)، ساكنة النون على تخفيف إن  
 الثقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿لَمَّا﴾ شدها هنا  
 وفي يس والطارق، ابن عامر وعاصم وحمزة،  
 وافق أبو جعفر ههنا، وفي الطارق وفي الزخرف،  
 بالتشديد عاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف، فمن  
 شدد قال: الأصل فيه (وإن كلاً) لمن ما، فوصلت  
 من الجارة بما، فانقلبت النون ميماً للإدغام،  
 فاجتمعت ثلاث ميقات فحذفت إحداهن، فبقيت

أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.  
 [١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، لابئين مقيمين فيها، ﴿مَا  
 دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الضحاك: ما دامت  
 سموات الجنة والنار وأرضها، وكل ما علاك  
 وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك  
 فهو أرض. وقال أهل المعاني: هذا عبارة عن  
 التأييد على عادة العرب، يقولون: لا أتيك ما  
 دامت السموات والأرض، ولا يكون كذا ما  
 اختلف الليل والنهار، يعنون أبداً قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ  
 رَبُّكَ﴾، اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال  
 بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم  
 من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها،  
 ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير  
 الجنس، لأن الذين أخرجوا من النار سعداء  
 استثناهم الله من جملة الأشقياء. وأما الاستثناء في  
 أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل  
 دخول الجنة. وقيل: إلا ما شاء ربك من الفريقين  
 من تعميمهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين  
 الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار  
 يعني هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا  
 المقدار. وقيل: معنى إلا ما شاء ربك: سوى ما  
 شاء ربك، معناه خالدين فيها ما دامت السموات  
 والأرض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة  
 بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها،  
 كما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي:  
 سوى الألفين اللتين تقدمتا. وقيل: إلا بمعنى  
 الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار  
 وهؤلاء في الجنة، كقوله: لئلا يكون للناس عليكم  
 حجة إلا الذين ظلموا، أي: ولا الذين ظلموا.  
 وقيل: معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا  
 يشاء لأنه حكم لهم بالخلود. وقال الفراء: هذا  
 استثناء استثناه الله ولا يفعله، كقولك: والله  
 لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٣٤

سُورَةُ هُودٍ

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هُنَا مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ  
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ هُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَشْهُورٍ ﴿١١٢﴾  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بِيَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ  
 ﴿١١٣﴾ وَإِن كَلَّمْنَا لَوْلِيَقِيَّتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
 خَبِيرٌ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا  
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 فَمَتَسِّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ  
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٦﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرَفَاقًا مِّنَ  
 اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ بُدْهِنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْنَا لِلذَّاكِرِينَ  
 ﴿١١٧﴾ وَأَصْرَفْنَا لِلَّهِ يُضْعِفُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَلَوْلَا  
 كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ  
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَا كَانَ  
 رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحِقُونَ ﴿١٢٠﴾

السدي: لا تدهنوا الظلمة. وعن عكرمة: لا تطيعوهم. وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا. ﴿فَمَتَسِّكُمُ﴾، فتصيبكم، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

[١١٤] قوله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾، أي: الغداة والعشي. قال مجاهد: طرفا النهار صلاة الصبح والظهر والعصر. ﴿وَرَفَاقًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، صلاة المغرب والعشاء. وقال مقاتل: صلاة الفجر والظهر طرف، وصلاة العصر

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٣٨) ٦٥/١ والمصنف في شرح السنة ٣١/١. (٢) قال في كشف الخفاء ج ٢/٢٠ رواه ابن مردويه في تفسيره. (٣) الدَّلِيلَةُ: هو السير بالليل، والحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٩٣/١ والمصنف في شرح السنة ٤٩/٤، ٥٠.

لما بالتشديد، و(ما) ههنا بمعنى من هو اسم لجماعة من الناس كما قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم)، أي: من طاب لكم، والمعنى: وإن كلا لمن جماعة ليوفينهم. ومن قرأ بالتخفيف قال: (ما) صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما، والمعنى: وإن كلا ليوفينهم. وقيل (ما) بمعنى من، تقدير: لمن ليوفينهم، واللام في (لما) لام التأكيد التي تدخل على خبر إن، وفي ليوفينهم لام القسم، والقسم مضمرة تقديره والله، ﴿لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾، أي: جزاء أعمالهم، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[١١٢] قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ﴾، أي: استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرت، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، أي: من آمن معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب، وعن سفيان بن عبدالله الثقفى قال: قلت، يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَا تَطَّعُوا﴾ لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني. وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيئتي هودٌ وأخواتها»<sup>(٢)</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(٣)</sup>.

[١١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا. والركون: هو المحبة والميل بالقلب. وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم. قال

والمغرب طرف، وزلفًا من الليل يعني صلاة العشاء. وقال الحسن: طرفا النهار الصبح والعصر، وزلفًا من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: طرفا النهار الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح والمغرب. قوله: ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، أي ساعته واحدها زلفة وقرأ أبو جعفر (زلفًا) بضم اللام. ﴿إِنَّ أَحْسَنَتِ يَدَهُنَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني: إن الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»<sup>(١)</sup>.

﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرنا. وقيل: هو إشارة إلى القرآن، ﴿ذَكَرْتِ﴾، عظة ﴿لِلذَّكِرِينَ﴾، أي لمن ذكره.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أي: لا يهلكهم بشركم، ﴿وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾، فيما بينهم يتعاطون الإنصاف ولا يظلم بعضهم بعضًا وإنما يهلكهم إذا تظالموا. وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على دين واحد. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرِك.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، معناه: لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير. وقال أبو عبيدة: الذي اختاره فقول من قال: خلق فريقًا لرحمته وفريقًا لعذابه.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم. وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف. ومحصل الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على ما تلقى من الأذى. وقيل: على الصلاة، نظيره (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها). ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أعمالهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: المصلين.

[١١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾، التي أهلكناهم، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾، الآية للتوبيخ ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، أي أولوا تمييز. وقيل أولوا طاعة. وقيل أولوا خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير. معناه فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهي عن الفساد في الأرض؟ وقيل: معناه أولوا بقية من خير. يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة. ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، أي يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحدًا، أي: لم يكن فيهم أولوا بقية. ﴿إِلَّا

(١) أخرجه مسلم في الطهارة رقم (٢٣٣) ٢٠٩/١ والمصنف في شرح السنة ١٧٧/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٥

الْحَقُّ لِلَّهِ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَرَاؤُنَّ مَخْلَفِينَ ﴿١٧٨﴾  
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٩﴾ ۗ وَلَا تَقْصُ  
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُمْ بِهِ ۗ فُؤَادَكَ وَجَاءَ فِي هَذِهِ  
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٨١﴾ ۗ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ  
 ﴿١٨٢﴾ ۗ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ ۗ  
 فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتْلَآءِ ءَايَتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ  
 بِمَا أُوحِيَآ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ۗ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ  
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ  
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

[١] ﴿الرَّتْلَآءِ ءَايَتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ، أي: البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه. قال قتادة: مبين والله بركته وهده ورشده، فهذا من بان أي: ظهر. وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر.

[٢] ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ، والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه، معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان. وقيل: المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك

الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ، وتم حكم ربك، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

[١٢٠] ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُمْ بِهِ ۗ فُؤَادَكَ﴾ ، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك، لنزيدك يقيناً وتقوي قلبك، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر لأذى قومه. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ ، قال الحسن وفتادة: في هذه الدنيا. وقال غيرهما: في هذه السورة. وهذا قول الأكثرين، خص هذه السورة تشريفاً، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ ، أي: وجاءتك موعظة، ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ ، أمر تهديد ووعيد، ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ .  
 [١٢٢] ﴿وَانظُرُوا﴾ ، ما يحل بنا من رحمة الله، ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ، ما يحل بكم من نعمة الله.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، أي: ما غاب عن العباد فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾ ، في المعاد. قرأ نافع وحفص (يُرْجَع) بضم الياء وفتح الجيم: أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي: يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ، وثق به، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب: (تعلمون) بالتاء ههنا وفي آخر سورة النمل. وقرأ الآخرون بالياء فيهما. قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة سورة هود.

## (١٢) سُورَةُ يُوسُفَ

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.

[5] ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ﴾، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن إخوته إذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان، ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، فيحتالوا في إهلاكك لأنهم لا يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله (لك) صلة، كقوله تعالى: (الربهم يرهبون). وقيل: هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، أي: يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة.

[6] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ﴾، يصطفيك بقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام، أي: كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا، فكذلك يصطفيك ربك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنَ التَّوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يريد تعبير الرؤيا سمي تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه والتأويل ما يؤول إليه عاقبة الأمر، ﴿وَيُؤَيِّدُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ﴾، يعني: بالنوّة، ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِنَ الْقِبْلِ إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾، فجعلهما نبين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وقيل: المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة. وقيل: إنجائه من الذبح. وقيل: بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه وإخوته إليه أربعون سنة، وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة. فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا: ما رضي أن تسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه.

[7] يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾، أي: في خبره وخبر إخوته ﴿ءَايَاتٍ﴾، (١) في ط دار طيبة: (لأن أصله: يا أبت، والجزم يحرك إلى كسر).

والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (ما) المصدر، أي: بإيحاءنا إليك، ﴿هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ﴾، وقد كنت، ﴿مِن قَبْلِهِ﴾، أي: من قبل وحيّنا، ﴿لِمَنِ الْقُرْآنُ﴾، لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها.

[٤] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، أي: اذكر إذا قال يوسف لأبيه، ويوسف اسم عبري، ولذلك لا يجري عليه الصرف. وقيل هو عربي، سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: الأسف في اللغة: الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به. ﴿يَتَّبَعُ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر (يا أبت)، بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه، والوجه أن أصله يا أبتا بالألف وهي بدل عن ياء الإضافة، فحذفت الألف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الألف كما تبقى الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء، وقرأ الآخرون (يا أبت) بكسر التاء في كل القرآن والوجه أن أصله<sup>(١)</sup>: يا أبتى، فحذفت الياء تخفيفاً واكتفاءً بالكسرة لأن باب النداء حذف يدل على ذلك قوله: (يا عباد فاتقون)، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، أي: نجماً من نجوم السماء ونصب الكواكب على التفسير، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، ولم يقل رأيتها إلّٰي ساجدات، والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وكان النجوم في التأويل أخواته، كانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه. وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقيل: رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٦

سُورَةُ يُوسُفَ

قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رِيَاءَكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ  
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيْتُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ  
 وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتُمْ هَاهُنَا عَلَيَّ أَنْتُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْزَلْتُمْ  
 عَلَيَّ الْوَيْلَ مِنَ الْمَمُونِ لَأَقْذَفَنَّ فِيهِمُ الْوَيْلَ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي  
 يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ  
 آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا  
 أَيْنَمَا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْبَلُوا  
 يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخَلَ لَكُمْ وَجْهٌ أَبْيَضٌ وَتَكُونُوا مِنْ  
 بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ  
 وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ لَنْ يَسْأَلَ عَنْ السَّيْرَةِ إِنْ كُنْتُمْ  
 فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ  
 لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ  
 لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَضْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ  
 أَنْ يَأْكُلَهُ الدَّمْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ  
 أَكَلَهُ الدَّمْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

قرأ ابن كثير (آية) على التوحيد أي عظة وعبرة.  
 وقيل: عجب، وقرأ الآخرون: (آيات) على  
 الجمع. ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألو  
 رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام. وقيل:  
 سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى  
 مصر. فذكر لهم قصة يوسف جميعها، فوجدوها  
 موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها. فهذا معنى  
 قوله: (آيات للسائلين)، أي: دلالة على نبوة رسول  
 الله ﷺ. وقيل: آيات للسائلين ولمن لم يسأل،  
 كقوله: (سواء للسائلين) [فصلت: ١٠]، وقيل:  
 معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة  
 يوسف وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل على  
 رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر  
 يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق  
 وعلى اللبث في السجن، وما آل إليه أمره من  
 الملك، وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على  
 فراق يوسف وما آل إليه أمره من الوصول إلى  
 المراد وغير ذلك من الآيات.

الدين ولو أرادوه لكفروا به. بل المراد منه الخطأ  
 في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع في أمر الدنيا  
 وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف،  
 فنحن أولى بالمحبة منه فهو مخطئ في صرف  
 محبته إليه.

[٩] ﴿أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، أي: إلى  
 أرض تبعد عن أبيه. وقيل: في أرض تأكله  
 السباع، ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، يخلص لكم ويصف لكم  
 ﴿وَجْهٌ أَبْيَضٌ﴾، عن شغله بيوسف، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ  
 بَعْدِهِ﴾، من بعد قتل يوسف، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾،  
 تائبين أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم.  
 وقال مقاتل: صالحين يصلح أمركم فيما بينكم  
 وبين أبيكم.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ نهاهم عن  
 قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ

[٨] ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾، اللام فيه جواب القسم  
 تقديره: والله ليوسف، ﴿وَأَخُوهُ﴾، بنيامين، ﴿أَحَبُّ  
 إِلَيْنَا أَيْنَمَا مَنَّا﴾، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم  
 واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب  
 ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من  
 الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه  
 المقالة، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، أي: جماعة وكانوا  
 عشرة. قال الفراء: العصبية هي العشرة فما زاد.  
 وقيل: العصبية ما بين الواحد إلى العشرة. وقيل:  
 ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال مجاهد: ما بين  
 العشرة إلى خمسة عشر. وقيل: ما بين العشرة إلى  
 الأربعين. وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا  
 واحد لها من لفظها كالنفر والرهط. ﴿إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي  
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي خطأ بين أمر إيثاره يوسف وأخاه  
 علينا، وليس المراد من هذا الضلال، الضلال عن

[١٢] ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا﴾، إلى الصحراء، ﴿رَتَعَ وَيَلْعَبُ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين في (رتع)، وقرأ يعقوب: (رتع) بالنون، (ويلعب) بالياء، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في (يرتع) يعني يوسف، وقرأ الآخرون (رتع) بالنون (ويلعب) بالياء. والرتع هو الاتساع في الملاذ. يقال: رتع فلان في ماله إذا أنفق في شهواته، يريد وتنتعم ونأكل ونشرب ونلهو ونشط. وقرأ أهل الحجاز: (يرتع) بكسر العين وهو يفتعل من الرعي، ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضًا. وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخبارًا عن يوسف، أي: يرعى الماشية كما نرعى نحن. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب، ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾، أي: يحزنني ذهابكم به، والحزن وهنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام أن ذئبًا شد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال: أخاف أن يأكله الذئب. قرأ ابن كثير وإسماعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر: (الذئب) بالهمزة، وكذلك أبو عمرو إذا لم يدرج، وحمزة إذا لم يقف، وقرأ الكسائي وورش عن نافع، وأبو عمرو وفي الدرج، وحمزة في الوقف، (الذئب) بترك الهمزة في الهمز، أنه هو الأصل لأنه من قولهم: تذابت الريح إذا جاءت من كل وجه، ويجمع الذئب أذؤبًا وذئابًا بالهمزة، والوجه في ترك الهمز أن الهمزة خفت فقلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، عشرة، ﴿إِنَّا إِذَا لَخَيْرُونَ﴾، عجة ضعفاء.

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾، أي: عزموا، ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾، يلقوه، ﴿فِي غَيْبَتِ الْمَلِكِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾

﴿الْجُبِّي﴾ أي: في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه والجب البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطو ﴿يَلْقِظُهُ﴾، يأخذه، والالتقاط أخذ الشيء من حيث لا يحتسبه الإنسان، ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾، أي: بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾، أي: إن عزمتم على فعلكم، قال محمد بن إسحاق: اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعون، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى. وسئل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا (نلعب) وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الحيل:

[١١] ﴿قَالُوا﴾، ليعقوب، ﴿يَتَأَبَانَا مَا أَكَّ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾، قرأ أبو جعفر: (تأمنًا) بلا شمة، وهو رواية عن نافع، وقرأ الباقر: (تأمنًا) بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة من غير إمحاض ليعلم أن أصله لا تأمننا بنونين على تفعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم: (أرسله معنا) فقال أبوه: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: (يا أبانا ما لك لا تأمنًا على يوسف وإننا له لناصحون)، النصح هنا هو القيام بالمصلحة. وقيل: البر والعطف، إننا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك.

إنهم لطحوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾، زينت، ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، معناه: فأمرني صبر جميل أو فعلي صبر جميل. وقيل: فصبر جميل اختاره. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهم القوم المسافرون سماوا سيارة لأنهم يسيرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان مأوه مالحة فغذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلُوا وَرُدَّهُمْ﴾ والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾، أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوتها إذا أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ﴾، قرأ الأكترون هكذا بالألف وفتح الياء، والوجه أن بشراي مضافة إلى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فموضعه نصب، وقرأ الكوفيون: (يا بشرى) بغير ياء الإضافة على فعل، وأمال الرء حمزة والكسائي وفتحها عاصم وقيل: بشر المستقي أصحابه يقول. أبشروا، ﴿هَذَا عَلْمٌ وَاسْرُوءٌ﴾، أي أخفوه، ﴿يَضَعُهُ﴾، قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة. وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هذا عبد لنا أبق منا. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾،

هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليه، كقوله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديانه) أي: نادياته، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوانك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله وإعلامه إياه ذلك. قال مجاهد، وقيل: معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون، والأكترون على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويشره بالخروج، ويخبره أنه ينبتهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا أسخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام.

[١٦] ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾، قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب. وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا قال: فما أصابكم وأين يوسف؟

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، أي: نترامي ونتضل، قال السدي: نشدت على أقدامنا. ﴿وَوَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَلْعِنَةٍ﴾، أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. ﴿فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾، وإن كنا ﴿صَادِقِينَ﴾، فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل: معناه إنك تهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا عليه في الابتداء واتهمتنا في حقه. وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

[١٨] ﴿وَجَاءَهُ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، أي: بدم كذب لأنه لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم. وفي القصة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٧

سورة يوسف

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْحَبِّ وَأَرْحَبْنَا  
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَ  
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبَا هَذَا هَبْنَا سَنَدِقَ  
وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ  
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَيْصِيَّةٍ  
يَدْمِرُ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا  
وَارِدَهُمْ فَادَّخَلُوهُ قَالَ يُبَشِّرِي هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوه بِضِعَّةٍ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ  
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ  
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ بِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى  
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي  
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى  
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ  
أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

خزائنها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: مخزنها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾، أي: نعلمه لكي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، قيل: الهاء في أمره كناية عن الله تعالى، يقول: إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد عليه حكم راد. وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحيطة لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما الله به صانع.

[٢٢] ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته ﴿عَلَّمَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين. وقيل: حكمًا يعني إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا. وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم هو الذي يعلم الأشياء

فأتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده في البئر فأخبر بذلك إخوته فطلبوه فإذا هم بمالك وأصحابه نزول فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد أبى منا. ويقال: إنهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله عز وجل: [٢٠] ﴿وَشَرَّوْهُ﴾ أي: باعوه، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، قال الضحاك ومقاتل والسدي: حرام لأن ثمن الحر حرام، وسمي الحرام بخسًا لأنه مخسوس البركة. وعن ابن عباس وابن مسعود: بخس أي زيوف. وقال عكرمة والشعبي: بثمان قليل. ﴿دَرَاهِمَ﴾، بدل من الثمن، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾، ذكر العدد عبارة عن قلتها، وقيل: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً، إنما كانوا يعدونها عدداً فإذا بلغت أوقية وزنوها، ﴿وَكَانُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿فِيهِ﴾، أي: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله. وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه، ثم انطلق مالك بن زعر وأصحابه بيوسف فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز فذلك قوله تعالى:

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ﴾، واسمها راعيل. وقيل: زليخا ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة. وقيل: أكرمه في المطعم والملبس والمقام. وقال قتادة وابن جريج: منزلته. ﴿سَمِيحٌ لِّكُلِّ نَسَبٍ﴾، أي: نبيعه بالربح إن أردنا البيع أو يكفيننا إذا بلغ بعض أمورنا، ﴿أَنْ نَّتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، أي: نتبناه. ﴿وَكُنَّا لَهُ مَوْلَىٰ رَبَّنَا﴾، أي: في أرض مصر، أي: كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من العجب، كذلك مكَّنَّا له في الأرض فجعلناه على

والحكيم الذي يعمل بما يوجهه العلم. ﴿وَكَذَلِكَ  
يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما:  
المؤمنين. وعنه أيضاً: المهتدين. وقال الضحاك:  
الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه  
السلام.

[٢٣] ﴿وَزَوَّجْتُهُ آلِي هُوفٍ بَيْتَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾،  
يعني: امرأة العزيز. والمرادة: طلب الفعل،  
والمراد هنا أنها دعته إلى نفسها ليوافقها،  
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ﴾، أي: أطبقتها وكانت سبعة،  
﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، أي: هلم وأقبل، قرأ أهل  
الكوفة والبصرة: (هيت لك) بفتح الهاء والتاء  
جميعاً، وقرأ أهل المدينة والشام: (هيت) بكسر  
الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير: (هيت) بفتح الهاء  
وضم التاء، والوجه أن في هذه الكلمة ثلاث لغات  
هَيْتَ وَهَيْتَ وَهَيْتُ والكل بمعنى هلم، وقرأ  
السلمي وفتادة: (هيت لك) بكسر الهاء وضم التاء  
مهموزاً على مثال جئت، يعني تهيات لك، وأنكره  
أبو عمرو والكسائي، وقالوا: لم يحك هذا عن  
العرب، والأول هو المعروف عند العرب. قال ابن  
مسعود رضي الله عنه: أقرأني النبي ﷺ: (هيت  
لك)<sup>(١)</sup>، قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول: هي  
لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعال.  
وقال عكرمة: هي أيضاً بالحوارانية هلم. وقال  
مجاهد وغيره: هي لغة عربية وهي كلمة حث  
وإقبال على الشيء: قال أبو عبيدة: إن العرب لا  
تثني (هيت) ولا تجمع وتؤنث وإنها صورة واحدة  
في كل حال. ﴿قَالَ﴾ يوسف لها عند ذلك، ﴿مَعَاذَ  
اللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني  
إليه، ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يريد أن زوجك قظير سيدي  
﴿أَحْسَنَ مَثْوَى﴾، أي: أكرم منزلي. هذا قول أكثر  
المفسرين. وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد  
أن الله تعالى ربي أحسن مثوأي أي آواني ومن بلاء  
الجب عافاني. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني: إن

٢٣٨ ﴿وَزَوَّجْتُهُ آلِي هُوفٍ بَيْتَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾  
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ﴾  
﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ  
﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ وَهَمَّ بِهَا  
لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصَفَّ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا  
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَ سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ  
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ زَوَّجْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ  
أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهِيَ مِنَ  
الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهِيَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ  
مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ  
هَذَا وَأَسْتَعْفَرِي لَذُنُوبِكُنَّ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْغَاطِطِينَ  
﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْزِقُ مِنَّا رِزْقًا  
كَثِيرًا وَأَنَّهَا كَانَتْ تَكْتُمُ بِرِزْقِهَا وَأَحْسَنَ مَثْوَى ﴿٣٠﴾

فعلت هذا فختته في أهله بعد ما أكرم مثوأي فأنا  
ظالم ولا يفلح الظالمون. وقيل: لا يفلح الظالمون  
أي لا يسعد الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ وَهَمَّ بِهَا، والهم هو  
المقاربة من الفعل من غير دخول فيه، وزعم بعض  
المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم  
السلام، وقال: تم الكلام عند قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ  
بِهِ﴾ ثم ابتداء الخبر عن يوسف عليه السلام فقال:  
(وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)، على التقديم  
والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمم بها،  
ولكنه رأى البرهان فلم يهم، وأنكره النحاة،  
وقال: إن العرب لا تؤخر (لولا) عن الفعل، فلا  
تقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد  
(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٦/٢ وضححه على  
شرط الشيخين.

والكوفة: (المخلصين) بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون (مخلصًا) في سورة مريم عليها السلام ففتحوا. ومعنى (المخلصين) المختارين للنبوة، دليله: (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله الطاعة والعبادة.

[٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادرًا إلى باب البيت هاربًا وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه خلفه فجذبه إليها حتى لا يخرج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ أي: فشقته ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز، وهو قوله: ﴿وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾، أي: وجدا زوج المرأة قظفير عند الباب جالسًا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته و﴿قَالَتْ﴾ سابقة بالقول لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، يعني: الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله فقالت ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾، أي: يحبس، ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها.

[٢٦] ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ قَمِيصِي﴾، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها. وقيل: ما كان يريد يوسف أن يذكرها، فلما قالت المرأة ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا ذكره، فقال: هي راودتني عن نفسي. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، وحكم حاكم، ﴿مَنْ أَهْلَهَا﴾، اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبيًا في المهد أنطقه الله عز وجل، وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام»<sup>(١)</sup>. وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال

لقت. وقيل: همت بيوسف أن يفتريها، وهم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة. وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم. وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام، وقال بعض أهل الحقائق: لهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل. ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، اختلفوا في ذلك البرهان، قال قتادة وأكثر المفسرين: إنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء، وقال السدي: نُودي يا يوسف توقعها إنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ومثلك إن توقعها مثله إذا مات ووقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع نفسه، وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك. وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل. وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترت بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية، فقال يوسف: أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربي وهرب. قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جواب لولا محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، فالسوء الإثم. وقيل: سوء القبيح، والفحشاء: الزنا. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، قرأ أهل المدينة

(١) رواه ابن جرير ٥٥/١٦ والإمام أحمد في المسند ٢/٣٠٧ ولم يرفعه وابن حبان في صحيحه ص ٤٠ من موارد =

حَبًا. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه. وقيل: أحبته حتى دخلها حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب، يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب. وقرأ الشعبي والأعرج: (شغفها) بالعين غير المعجمة، معناه: ذهب الحب بها كل مذهب. ومنه شغف الجبال وهو رؤوسها. ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي: خطأ ظاهر. وقيل: إنها تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾، راعيل، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾، بقولهن وحديثهن، قاله قتادة والسدي. وقال ابن إسحاق: إنما قلن ذلك مكرًا بها لتريهن يوسف، وكان وصف لهن حسنه وجماله. وقيل: إنها أفشت إليهن ذلك، فلذلك سماه مكرًا ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾، قال وهب: اتخذت مادية ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرنهن. ﴿وَأَعَدَّتْ﴾، أي أعدت، ﴿لَهُنَّ مَتَكًا﴾، أي: ما يتكأ عليه. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: متكأ أي: طعامًا سماه متكأ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكئون على الوسائد، فسمى الطعام متكأ على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان أي: طعمنا. ويقال: المتكأ: ما اتكأت عليه للشرب أو الحديث أو الطعام، ﴿وَوَاتَتْ﴾، أعطت، ﴿كُلَّ وَجَدٍ مِّمَّنْ سَبَكْنَا﴾، فكن يأكلن اللحم حزًا بالسكين. ﴿وَوَالَّتِ﴾، ليوسف، ﴿أَخْرَجَ عَلَيْهِنَّ﴾، وذلك أنها كانت أجلسته في مكان آخر؛ فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال = الضمان، وأخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ٢ / ٤٩٧ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وضححه محمود شاكر في تعليقه على الطبري.

المرأة. وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبيًا ولكنه كان رجلًا حكيماً ذا رأي. قال السدي: هو ابن عم راعيل فحكّم فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾، أي: من قدام، ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

[٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾، قطفير، ﴿قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام، ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُ﴾، أي: إن هذا الصنيع، ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقيل: إن هذا من قول الشاهد، ثم أقبل قطفير على يوسف فقال:

[٢٩] ﴿يُوسُفُ﴾، أي: يا يوسف، ﴿أَعْرَضَ عَنِّي هَذَا﴾ أي: عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع. وقيل: معناه لا تكثر به فقد بان عذرك وبراءتك، ثم قال لامرأته، ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكِ﴾، أي: توبي إلى الله، ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾، من المذنبين. وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل، وأراد بقوله واستغفري لذنبك، أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك، إنك كنت من الخاطئين، من المذنبين حتى راودت شابًا عن نفسه وختت زوجك، فلما استعصم كذبت عليه، وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات، لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عن من يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطئين، كقوله تعالى: (وكانت من القانتين) بيانه قوله تعالى: (إنها كانت من قوم كافرين).

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، الآية، يقول شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة مدينة مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، وتحدثت النساء بذلك وقلن: ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى﴾، أي: عبدها الكنعاني، ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾، أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، أي: علقها

رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر»<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ﴾، أعظمته، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرته أي: حزن لأجله من جماله. ولا يصح. ﴿وَقَطَّعْنَ﴾، أي: حزنن بالسكاكين التي معهن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسنن إلا بالدم. وقال قتادة: إنهن ابنن أيديهن حتى ألقينها. والأصح كان قطعاً بلا إبانة، ﴿وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾، أي: معاذ الله أن يكون هذا بشراً، (ما هذا بشراً) نصب بنزع حرف الصفة، أي: ببشر، ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: ما هذا، ﴿إِلَّا مَلَكٌ﴾، من الملائكة، ﴿كَرِيمٌ﴾، على الله.

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾، يعني راعيل، ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ﴾، أي: في حبه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، أي: امتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطمع مولاتك. فقالت راعيل: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾، ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ﴿لَيْسَجَنَّ﴾، أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، من الأذلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: (ليسجنن) بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله (ليكونا) بالألف لأنها مخففة، وهي شبهة نون الإعراب في الأسماء، كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت: رأيت رجلاً بالألف، ومثله: (لنسفاً بالناصية). فاختر يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿الْسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجاً من التصريح

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٢) ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (٣٣) ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٥) ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجَنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣٦) ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِ خَيْرَاتٍ أَكُلُ الطَّيْرَ مِنْهُ نَبْتُابًا وَيَلْبَسُ إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧) ﴿قَالَ لَا يَا بُتَيَّ كَمَا طَعَّمْتُ زُرْقَانَهُ إِنْ لَا بُتَاءُ لَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مَا عَلِمْتَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٨)

إلى التعريض. وقيل: إنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن. قرأ يعقوب وحده: بفتح السين. وقرأ الآخرون بكسرها. واتفقوا على كسر السين في قوله: (دخل معه السجن). وقيل: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يبتل بالسجن، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية. قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾، أمل إليهن وأتابعهن، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبوا صبوا وصبوا وصبوة إذا مال واشتاق إليه. ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة.

(١) قال ابن حجر في الشافي الكافي ص ٨٩: رواه الثعلبي وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه، والمروزي في صحيح مسلم في حديث الإسراء: «إذا أنا بيوسف إذا هو أعطي شطر الحسن».



الفتنين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا العبراني، فترأيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً، قال ابن مسعود: ما رأيا شيئاً وإنما تحالما ليجربا يوسف، وقال قوم: بل كانا رأيا حقيقة، فأهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما، فذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد غمتهما، فقال يوسف: قصا علي ما رأيتما، فقصا عليه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿إِنِّي أَرِنِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، أي: عنباً سمى العنب خمراً باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الأجر أي يطبخ اللبن للأجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال إني رأيت كأني في بستان، فإذا أنا بأصل حبله عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾، وهو الخباز ﴿إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهبين منه. ﴿يَنْتَنَّا بِتَأْوِيلِهِ﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم. وروي أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له وإذا احتاج إلى شيء جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قومًا قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يسليهم وجعل يقول: أبشروا واصبروا توجروا، فيقولون بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر

[٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لدعائه العليم بمكرهن. [٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾، يعني للعزیز وأصحابه في الرأى وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض، ثم بدا له بأن يحبسوه. ﴿مِنَ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾، الدالة على براءة يوسف من قَدِّ القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن. ﴿لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، إلى مدة يرون فيه رأيهم. وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. قال عكرمة: سبع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي أن أخرج فأعذر إلى الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، وذكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف عليه السلام من همه بالمرأة.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾، وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم إن الساقى نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام، فلما أحضر الطعام والشراب، قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقى: اشرب فشربه فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول إني أعبر الأحلام، فقال أحد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٠

سُورَةُ يُسُوفُ

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَرْبَابًا مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَتَّعِبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَّهُ الشَّيْطَانُ لِيُذَكِّرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُودَاتٌ خُضِرَ وَأُخْرَى يَأْسَتُ يَأْتِيهَا الْعَمَلَا أَفْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، أظهر أنه من أولاد الأنبياء ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾، ما ينبغي لنا ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد والعلم، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، ما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

[٣٩] ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَءَ﴾، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار ﴿ءَ أَرْبَابًا مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال:

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للثنين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على مثل حالهما من أهل الشرك، ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهة وأرباباً خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء، ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾، ما القضاء والأمر والنهي، ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَتَّعِبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمٌ﴾، أي: المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم فسّر رؤياهما فقال:

[٤١] ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾، يعني الملك ﴿خَمْرًا﴾، والعناقيد الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويرد إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾، يعني: صاحب الطعام

لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره في إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

[٣٧] ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾، في اليقظة، وقيل: أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه، تطعمانه وتأكلانه إلا نباتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، قبل أن يصل إليكما، وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم)، فقالوا: هذا من فعل العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ﴿ذَلِكَمَّا﴾، العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِيَّايَ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرار (هم) على التأكيد.

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، أظهر أنه من أولاد الأنبياء ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾، ما ينبغي لنا ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد والعلم، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، ما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

[٣٩] ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَءَ﴾، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار ﴿ءَ أَرْبَابًا مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال:

ومخففًا. ﴿وَمَا تَحْنُ يَتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَامِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾، من القتل، ﴿مِنْهُمَا﴾، من الفتيين وهو الساقى، ﴿وَأَذَكَرَ﴾، أي: تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك، ﴿بَعْدَ أُمَّتِي﴾، أي: بعد حين وهو سبع سنين. ﴿أَنَا أَتَيْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال: إن في السجن رجلاً يعبر الرؤيا، ﴿فَأَرْسَلُونِ﴾، وفيه اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن. قال ابن عباس: ولم يكن السجن في المدينة.

[٤٦] فقال: ﴿يُوسُفُ﴾، يعني: يا يوسف، ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، والصديق الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾، فإن الملك رأى هذه الرؤيا، ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾، أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، تأويل الرؤيا. وقيل: لعلمهم يعلمون منزلتك في العلم، فقال لهم يوسف معبرًا ومعلمًا، أما البقرات السمان والسنبلات الخضراء فسبع سنين مخاصيب، والبقرات العجاف والسنبلات، فالسنون المجذبة، فذلك قوله تعالى إخبارًا عن يوسف:

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾، هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة، والدأب: العادة. وقيل: بجد واجتهاد. وقرأ عاصم برواية حفص: (دَابًّا) بفتح الهمزة، وهما لغتان، يقال: دأبت في الأمر أدأب ودأبًا إذا اجتهدت فيه. ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ﴾، أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون

فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسلاط الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يخرج به فيأمر به، ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ أَطْيَرٌ مِنْ رَأْسِهِ﴾، قال ابن مسعود: لما سمعا قول يوسف قالا: ما رأينا شيئًا إنما كنا نلعب، قال يوسف: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، أي: فرغ من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما الذي أخبرتكما به، رأيتهما أو لم تريا.

[٤٢] ﴿وَقَالَ﴾، يعني: يوسف عند ذلك، ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾، علم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى، ﴿أَذَكَرَنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، وقل له إن في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا طال حبسه ﴿فَأَنسَأَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، قيل: أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه. وقال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان<sup>(١)</sup>. ﴿فَلَبِثَ﴾، فمكث، ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع. وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشر سنة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾، فقال لهم: ﴿يَأْتِيهَا أَلْمَأَأَاتُ رِيٍّ فِي رُءُوسِهَا إِنَّ كَثْرَ لِرُءُوسِهَا تَعْرُوتُ﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلَامِي﴾ أخلاط أحلام مشبهة أهواويل واحدها صغت، وأصله الحزمة من أنواع الحشيش، والأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا، والفعل منه حلمت أحلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حُلْمًا وحُلْمًا، مثقلًا

(١) لقد رد الإمام اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط» ج ٣١١/٥ هذا الوجه في إعادة ضمير ﴿فَأَنسَأَهُ﴾ على يوسف، فقال: «وقيل: الضمير في ﴿أنساه﴾ عائد على يوسف، ورتبوا على ذلك أخبارًا لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

أبقى على الزمان ولا تفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾، أي: تدرسون قليلاً للأكل، أمرهم بحفظ الأكل والأكل بقدر الحاجة.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ﴾. سمي السنين المجذبة شداداً لشدتها على الناس، ﴿يَأْكُلْنَ﴾، أي: يفنين ويهلكن، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، أي: يؤكل فيهن ما أعددتن لهن من الطعام، أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسع ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تحزرون وتدخرون للبذر.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ﴾، أي: يمطرون من الغث، وهو المطر. وقيل: ينقدون، من قول العرب استغثت فلاناً فأغاثني، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (تعصرون)، بالتاء لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمراً والزيتون زيتاً والسمسسم دهناً وأراد به كثرة النعيم والخير. وقال أبو عبيدة: يعصرون أي ينجون من الكروب والجذب والعصر والعصرة النجا والملجأ.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال اتوني به، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، وقال له: أجب الملك، أبيت أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم، ﴿قَالَ﴾، للرسول، ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، ﴿فَسَكَتَ مَا بَالَ النَّسْوَةَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْعِدُ عَنْ عِلْمِي﴾، أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن، بعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة، ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز.

﴿قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلِمٌ وَمَا حَنْ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلِمِ بِعَامِينَ﴾ [٤٤] وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِظَمُ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ [٤٥] يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْبَاهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخْرَىٰ يَأْسِتُ لَعَلَّيْ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ [٤٦] قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ [٤٧] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ كُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ [٤٨] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ [٤٩] وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَكَتَ مَا بَالَ النَّسْوَةَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ [٥٠] قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتُنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِي قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عُلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ [٥١] ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ [٥٢]

[٥١] ﴿قَالَ﴾، لهن، ﴿مَا خَطْبُكَ﴾، ما شأنكن وأمركن، ﴿إِذْ رَاودْتُنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِي﴾، خاطبهن والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعاً ﴿قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ﴾، معاذ الله، ﴿مَا عُلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، خيانة، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ظهر وتبين. وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنها فأقرت، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت وقالت: ﴿أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ﴾، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال:

[٥٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه، ﴿لِيَعْلَمَ﴾، العزيز، ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾، في زوجته، ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أي: في حال

سورة يوسف

٢٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿ وَمَا أَرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي ﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ الْأَخْرَجْنَا خَيْرًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَحَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَنِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَنَحْفَظُوكَ ﴿٦٣﴾

كثير وحده: (نشاء) بالنون ردًا على قوله: (مكننا) وقرأ الآخرون بالياء ردًا على قوله (يتبوا). ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾، أي: بنعمتنا، ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، فهذا في أمر الدنيا.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَا جُرْ الْأَخْرَجْنَا خَيْرًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فلما اطمأن يوسف في

(١) وذكر بعضهم أن الأليق والأنسب بسياق القصة أن ذلك من قول امرأة العزيز تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب ولا وقع المحذور وإنما راودته فامتنع، فلماذا اعترفت ليعلم أنني بريئة - انظر ابن كثير ٤٨٢/٢ ودقائق التفسير ٢٧٣/٢ وتفسير المنار ١٢/٣١٣.

غيبته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَافِلِينَ﴾ (١).

[٥٣] ﴿وَمَا أَرِيئُ نَفْسِي﴾، من الخطأ والزلل فأزكيها، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، بالمعصية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، أي: إلا من رحم ربي فعصمه، و(ما) بمعنى من، كقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم) أي: من طاب لكم، وهم الملائكة عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة. وقيل: إلا ما رحم ربي إشارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه، وذلك معنى قوله تعالى إخبارًا عنه:

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾، أي: أجعله خالصًا لنفسي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾، فيه اختصار تقديره: فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب الملك الآن، أعجب الملك ما رأى منه مع حدثه سنة فأجلسه ﴿وَقَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾، المكانة في الجاه، ﴿أَمِينٌ﴾، أي: صادق.

[٥٥] ﴿فَقَالَ﴾، يوسف، ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، الخزائن جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والأموال، والأرض أرض مصر، أي: خزائن أرضك. على خراج مصر ودخله، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾، أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ عليم، أي: كاتب حاسب. وقيل: حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن أعلم لغة من يأتيني. وقال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك، وقال له: إنك اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: أرض مصر ملكناه، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، أي: ينزل، ﴿وَمِنَّا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، ويصنع فيها ما يشاء. قرأ ابن

يتسلى به، فقال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاذ لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى أتوني بأخيكم الذي من أبيكم، فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف، فحلفوه عنده. فذلك قوله عز وجل:

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾، أي: حمل لكل واحد بعيراً بعدتهم، ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُم﴾، يعني بنيامين، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ﴾. أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئاً فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، قال مجاهد: أي: خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾، أي: ليس لكم عندي طعام أكيهه، ﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾، أي: لا تقربوا داري وبلاذي بعد ذلك وهو جزم على النهي.

[٦١] ﴿قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿وَأِنَّا لَفَعَلُونَ﴾، ما أمرتنا به.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ يريد لغلمانه ﴿اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ﴾، ثمن طعامهم وكانت دراهم. وقال الضحاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم. وقيل: كانت ثمانية جرب من سوق المقل. والأول أصح ﴿فِي رِحْلِهِمْ﴾، أوعيتهم، وهي جمع رحل، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾، انصرفوا، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، واختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البر والإحسان ليكون أدعى لهم إلى العود لعلهم

ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير، وبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله، وقصد الناس مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم، وإن كان عظيماً أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس، وتراحم الناس عليه فأصاب أرض كنعان وبلاذ الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل يعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه.

[٥٨] فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا له فذهبوا لتشتروا منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، على يوسف، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾، يوسف عليه السلام. قال ابن عباس ومجاهد: وعرفهم بأول ما نظر إليهم. وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه، ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، أي: لم يعرفوه. فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادتي، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله، فقال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبنائنا، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبنائنا لأنه أخو الذي هلك من أمه، فأبونا

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾، الذي حملوه من مصر، ﴿وَجَدُوا بِضْعَهُمْ﴾، ثم الطعام، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِئُ﴾، أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة، قالوا يا أبانا ما نبغي، ﴿هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾، أي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن، أرادوا تطيب نفس أبيهم، ﴿وَمَبِئُ أَهْلَانَا﴾، أي: نشترى لهم الطعام فتحمله إليهم. يقال: مار أهله يميز ميرًا إذا حمل إليهم الطعام من بلد آخر. ومثله امتار يمتار امتيارًا. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين، أي: مما تخاف عليه. ﴿وَنَزِدَاكَ﴾، على أحمالنا، ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، أي: حمل بعير يكال لنا من أجله، لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير، ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، أي: ما حملناه قليل لا يفينا وأهلنا. وقيل: معناه نزيدك كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب، ﴿لَنْ أُرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي﴾، تعطون ﴿مَوْثِقًا﴾، أي: ميثاقًا وعهدًا، ﴿مِنْ أَلْفِ﴾، والعهد الموثق: المؤكد بالقسم. وقيل: المؤكد بإشهاد الله على نفسه ﴿لَأَتُنِّي بِرِيءٍ﴾، وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين، ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾، قال مجاهد: إلا أن تهلكوا جميعًا. وقال قتادة: إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك. وفي القصة: أن الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا أشد الجهد، فلم يجد يعقوب بداً من إرسال بنيامين معهم. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾، أعطوه عهدهم، ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب، ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، شاهد. وقيل: حافظ. قال كعب: لما قال يعقوب فإله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الله عز وجل: وعزتي لأردن عليك كليهما بعدما توكلت علي.

يعرفونها أي كرامتهم علينا. وقيل: رأى لؤمًا أخذ الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرمًا. وقال الكلبي: تخوف ألا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى. وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن دياتهم تحملهم على رد البضاعة نفيًا للغلط ولا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا﴾، إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلًا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقروهه مني السلام، وقلوا له: إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا: ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة، فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية، وقصوا عليه القصة، وقالوا يا أبانا ﴿مُنْعَ مِمَّا أَلْكَئِلُ﴾، قال الحسن: معناه يمنع منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا. وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد منا حملاً ويمنع منا الكيل لبنيامين، والمراد بالكيل الطعام لأنه كان يكال، ﴿فَأُرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾، بنيامين، ﴿نَكْتَلُ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (يكتل) بالياء، يعني: يكيل لنفسه كما نحن نكتال، وقرأ الآخرون: (نكتل) بالنون: يعني: نكتل نحن وهو الطعام. وقيل: نكتل له، ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾، يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: كيف آمنتم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم؟ ﴿فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (حافظًا) بالألف على التفسير، كما يقال هو خير رجلًا، وقرأ الآخرون: (حفظًا) بغير ألف على المصدر، يعني: خيركم حفظًا، يقول: حفظه خير من حفظكم. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

سورة يوسف

٢٤٣

المائدة

قَالَ هَلْ ءَامَنَ كُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنَ كُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّهَ خَيْرَ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا بِنَانَا مَا بَنَعِيَ هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرَ أَهْلِنَا وَتَحَفُظَ آخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلَ سَيْرٍ ﴿١٧﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَمَّا تُنْتَبِئُ بِهِ وَلَا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَيْبَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٩﴾ وَمَعْنَاهُ: إِنْ كَانَ اللَّهُ قَضَىٰ فِيكُمْ قَضَاءً فَيُصِيبُكُمْ مَجْتَمِعِينَ كُنْتُمْ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ، فَإِنَّ الْمَقْدُورَ كَاتِنٌ وَالْحَذَرَ لَا يَنْفَعُ عَنِ الْقَدْرِ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾، مَا الْحُكْمَ، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، هَذَا تَفْوِيزُ يَعْقُوبَ أُمُورِهِ إِلَى اللَّهِ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعْتَمَدْتُ، ﴿وَعَلَيْهِ فَيَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. [٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَي: مِنَ الْأَبْوَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ. وَقِيلَ: كَانَتِ الْمَدِينَةُ مَدِينَةَ الْفُرْمَاءِ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، فَدَخَلُوهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، ﴿مَا كَانَتْ يُعْنَى﴾، يَدْفَعُ ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، صَدَّقَ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَعْقُوبَ فِيمَا قَالَ، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾، مَرَادًا، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَّصَهَا﴾، أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ إِشْفَاقَ الْآبَاءِ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ يَعْنِي: يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾، يَعْنِي: كَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ عَنِ عِلْمٍ لَا عَنِ جَهْلِ، ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾، أَي: لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لِعَامِلٌ بِمَا عِلْمٌ. قَالَ سَفِيَانٌ: مَنْ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ لَا يَكُونُ عَالِمًا. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَذُو حِفْظٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، مَا يَعْلَمُ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ إِصَابَةِ الْعِلْمِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَعْلَمُ الْمُشْرِكُونَ مَا أَلْهَمَ اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ.

[٦٧] ﴿وَقَالَ﴾، لَهُمْ يَعْقُوبُ لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ، ﴿يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَيْبَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أُعْطُوا جَمَالًا وَقُوَّةً وَامْتِدَادَ قَامَةٍ، وَكَانُوا وَلَدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي دُخُولِهِمْ لِثَلَا يَصَابُوا بِالْعَيْنِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَرَوْا يَوْسُفَ فِي التَّفَرُّقِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، مَعْنَاهُ: إِنْ كَانَ اللَّهُ قَضَىٰ فِيكُمْ قَضَاءً فَيُصِيبُكُمْ مَجْتَمِعِينَ كُنْتُمْ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ، فَإِنَّ الْمَقْدُورَ كَاتِنٌ وَالْحَذَرَ لَا يَنْفَعُ عَنِ الْقَدْرِ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾، مَا الْحُكْمَ، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، هَذَا تَفْوِيزُ يَعْقُوبَ أُمُورِهِ إِلَى اللَّهِ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعْتَمَدْتُ، ﴿وَعَلَيْهِ فَيَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَي: مِنَ الْأَبْوَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ. وَقِيلَ: كَانَتِ الْمَدِينَةُ مَدِينَةَ الْفُرْمَاءِ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، فَدَخَلُوهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، ﴿مَا كَانَتْ يُعْنَى﴾، يَدْفَعُ ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، صَدَّقَ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَعْقُوبَ فِيمَا قَالَ، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾، مَرَادًا، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَّصَهَا﴾، أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ إِشْفَاقَ الْآبَاءِ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ يَعْنِي: يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾، يَعْنِي: كَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ عَنِ عِلْمٍ لَا عَنِ جَهْلِ، ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾، أَي: لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لِعَامِلٌ بِمَا عِلْمٌ. قَالَ سَفِيَانٌ: مَنْ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ لَا يَكُونُ عَالِمًا. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَذُو حِفْظٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، مَا يَعْلَمُ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ إِصَابَةِ الْعِلْمِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَعْلَمُ الْمُشْرِكُونَ مَا أَلْهَمَ اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾، قَالُوا هَذَا أَحْوَنَ الَّذِي أَمَرْتَنَا أَنْ نَأْتِيكَ بِهِ قَدْ جِئْنَاكَ بِهِ، فَقَالَ: أَحْسَبْتُمْ وَأَصْبَبْتُمْ، وَسَتَجِدُونَ جِزَاءَ ذَلِكَ عِنْدِي، ثُمَّ

أنزلهم فأكرم منزلتهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه، فقال يوسف: لقد بقي أحدكم هذا وحيداً فأجلسه معه على مائدته فجعل يُواكله فلما كان الليل أمر لهم بمثل، وقال لينم كل أخوين منكم على مثال، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا بنام معي على فراشي، فنام معه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح، وجعل رويين يقول: ما رأينا مثل هذا، فلما أصبح، قال لهم إني أرى هذا الرجل ليس معي ثان فأسأضمه إليّ فيكون منزله معي، ثم أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام، وأنزل أخاه لأمه، فذلك قوله تعالى: ﴿ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب العين / ١، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤٤٧/٣، بلفظ: (إن العين حق).



أَخَاهُ ﴿٧٠﴾، أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به قال: ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، أي: لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾، بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك، ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بغيراً بغيراً ولبنيامين بغيراً باسمه، ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين.

[٧٠] فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمِجَاهِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها. قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، جعلها يوسف مكياً لئلا يكال غيرها، وكان يشرب منها. والسقاية والصواع واحد، جعلت في وعاء طعام بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً. وقيل: خرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم. ﴿ثُمَّ أَدْنَىٰ مَوْذَنًا﴾، نادى مناد، ﴿أَيْتَهَا أَلْعِيرُ﴾، وهي القافلة التي فيها الأحمال ﴿إِنِّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾، قفوا. قيل: قالوه من غير أمر يوسف. وقيل: قالوه بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قالوه على تأويل أنهم سرقوا يوسف من أبيه، فلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، قالوا: وما ذلك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم.

[٧١] فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَقَابِلُوا عَلَيْهِمْ﴾، عطفوا على المؤذن وأصحابه، ﴿مَادَا تَفْقِدُونَ﴾، ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجدان.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جَمِلُ بَعِيرٍ﴾، من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، كفيل،

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

٢٤٤

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمِجَاهِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَدْنَىٰ مَوْذَنًا أَيْتَهَا أَلْعِيرُ إِنِّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا وَقَابِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جَمِلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدِي فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا يَا أَلْعَزِيزُ إِنْ لَكُ وَأَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾

يقوله المؤذن.

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿تَأَلَّه﴾ أي: والله، وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾، لسنرق في أرض مصر، فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ قيل: قالوا قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرأ أحداً شيئاً فأسألوا عتاً من مررنا به، هل ضررنا أحداً. وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها. وقيل: قالوا بذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس، ﴿وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾.

الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقيل: كدنا: ألهمنا. وقيل: دبرنا. وقيل: أردنا. ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته. ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ﴾ فيضمه إلى نفسه، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي: في حكمه. قاله قتادة. وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على ألسنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى ﴿نَزَعُ دَرَجَتِي مَن شَاءَ﴾، بالعلم كما رفعا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب (يرفع) و(يشاء) بالياء فيهما، وإضافة درجات إلى (من) في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى، وقد تقدم ذكره في قوله: (إلا أن يشاء الله) أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قرؤوا: (درجات) بالتنوين، ومن سواهم بالإضافة، أي: نزع به نحن، والواقع أيضًا هو الله تعالى: ﴿وَوَقَى كَلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ بَسَّرْنَا فَقَدْ سَرَفْنَا أَخًا لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، يريدون أخًا له من أمه يعنون به يوسف، واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف، فقال سعيد بن جبير وقاتادة: كان لجده أبي أمه صنم يعبد فأخذه سرًا أو كسره وألقاه في الطريق لثلا يعبد. وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يومًا فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان ابن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلًا. وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء، ﴿فَأَسْرَهَا﴾، وأضرها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، وإنما

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنادي وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، يعني: ما جزاء السارق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ﴾ في قولكم وما كنا سارقين.

[٧٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه فيسترقه سنه، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق، وكان حكم مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير، فقال الرسول عند ذلك: لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها. وروى أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾، لإزالة التهمة، ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، فكان يفتش أوعيتهم واحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ أَسْتخرجَهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، وإنما أنت الكتابة في قوله استخرجها، والصواع مذكر، بدليل قوله: (ولمن جاء به حمل بعير) لأنه رد الكناية ههنا إلى السقاية. وقيل: الصواع يذكر ويؤنث، فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع، فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، والله قد وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، فأخذوا بنيامين رقيقًا، ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾، والكيد ههنا جزاء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: (فيكيدوا لك كيدًا)، فكدنا ليوسف في أمرهم. والكيد من

أَنْتَ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا ﴿٧٨﴾ عهدًا. ﴿مِنْ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ﴾ قصرتم ﴿فِي يُوسُفَ﴾، واختلفوا في محل (ما) قيل: هو نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: ألم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وقيل: وهو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله (من الله) ثم قال (ومن قبل) هذا تفريطكم في يوسف. وقيل: (ما) صلة أي: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾، التي أنا بها وهي مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِِّيَ أَبِي﴾، بالخروج منها يدعوني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾، برد أخي إليّ أو بخروجي وترك أخي. وقيل: أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، أعدل من فصل بين الناس.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ﴾، يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا إلى أيكم، ﴿فَقُولُوا يَتَابَعًا إِنَّكَ ابْنُكَ﴾، بنيامين، ﴿سَرَقَ﴾، وقرأ ابن عباس والضحاك بضم السين وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب إلى السرقة، كما يقال خوته أي نسبه إلى الخيانة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾، يعني: ما قلنا هذا إلا بما علمنا فإننا رأينا إخراج الصواع من متاعه. وقيل: معناه وما شهدنا إلا بما علمنا أي ما كانت منها شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وليست هذه شهادة منا إنما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم. وقيل: قال لهم يعقوب عليه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم، فقالوا: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا، وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: ما كنا نعلم أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا حفظه منه سبيل. وعن ابن عباس: ما كنا لليلة ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين.

أنت الكناية لأنه عين بها الكلمة وهي قوله: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، ذكرها سرًا في نفسه ولم يصرح بها، يريد أنتم شر مكانًا أي: منزلًا عند الله ممن ريمتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف، لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية وخيانتم حقيقة، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، تقولون.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَتَابَعًا أَلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾، بدلًا منه، ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أفعالك. وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت من المحسنين.

[٧٩] ﴿قَالَ﴾ يوسف، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله، ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾، ولم يقل إلا من سرق تحرزًا من الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلْمُوتٌ﴾، إن أخذنا بريئًا بمجرم.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾، أي: أسوا من يوسف أن يجيهم إلى ما سألوه. وقال أبو عبيدة: استيأسوا استيقنوا أن الأخ لا يُرد إليهم. ﴿خَاصُّوًا يَحِيًّا﴾، أي: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ولا يخالطهم غيرهم. والنحي يصلح للجماعة كما قال ههنا، ويصلح للواحد كقوله: (وقربناه نجيا)، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتًا كالعدل والزور، ومثله النجوى يكون اسمًا ومصدرًا، قال الله تعالى: (إذ هم نجوى)، أي: متناجون. وقال: (ما يكون من نجوى ثلاثة)، وقال في المصدر: (إنما النجوى من الشيطان). ﴿قَالَ كَبُرْهُمُ﴾، يعني: في العقل والعلم لا في السن. قال ابن عباس والكلبي. هو يهوذا وهو أعقلهم. وقال مجاهد: هو شمعون، وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال قتادة والسدي والضحاك: هو روبيل، وكان أكبرهم في السن، وهو الذي نهى عن قتل يوسف. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾

وقال عكرمة: وما كنا للغيب حافظين فلعلها دست بالليل في رحله.

[٨٢] ﴿وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، أي: أهل القرية وهي مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، أي: القافلة التي كنا فيها. وكان أصحابهم قوم من كنعان من جيران يعقوب. قال ابن إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه؟ وقيل معنى العقوق: قطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، أمره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر ويلحقه في الدرجة بابائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيرًا فيكتموه عن أبيه. والأول أصح.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾، زينت، ﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وفيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا، أي: حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل، ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، يعني: يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾، بحزني ووجدني على فقدهم، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تنهى حزنه وبلغ جهده، وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، ﴿وَقَالَ يَا سَفَى﴾، يا حزنا، ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ والأسف أشد الحزن، ﴿وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾، يعني: عُمي بصره. قال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي: مكظوم

سورة يوسف

٢٤٥

الجزء الثالث عشر

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٣﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا لِيَمَاعِلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ ﴿٨٤﴾ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٥﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٦﴾ وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنْتِي وَحِزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

مملوء من الحزن ممسك عليه لا يثته. وقال قتادة: تردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيرًا. قال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عامًا لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

[٨٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد يعقوب، ﴿تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾، أي: لا ترال تذكر يوسف، لا تقتر من حبه، يقال: ما فتىء يفعل كذا أي: ما زال يفعل، و(لا) محذوفة من قوله (تفتوا) يقال: ما فتىء يفعل كذا أي: ما زال، ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾، قال ابن عباس: دفنًا. وقال مجاهد: الحرص ما دون الموت، يعني: قريبًا من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسدًا لا عقل لك، والحرص: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائبًا من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون دنف الجسم

مخبول العقل. وأصل الحرص: الفساد في الجسم، والعقل من الحزن والهرم، أو العشق أو الهم، يقال: رجل حرص وامرأة حرص، ورجلان وامرأتان حرص، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع الاسم. ﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾، أي: من الميتين.

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، والبت أشد الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يئسه أي: يظهره، قال الحسن: بئى أي: حاجتي. وروى أنه دخل على يعقوب جاره وقال: يا يعقوب ما الذي غير حالك مالي أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمي وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي، فقال: قد غفرتها لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بئى وحزني إلى الله. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

[٨٧] ﴿يَبْنَئِ أَدْحُبُوا فَحَسَبُوا﴾، تخبروا واطلبوا الخير، ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا إن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾، ولا تقنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، أي: من الرحمة: وقيل: من فرج الله. ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا عليه، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ﴾، أي: الشدة والجوع، ﴿وَجِئْنَا بِضِعَّةٍ مُرْجَحَةٍ﴾،

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

٢٤٦

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

يَبْنَئِ أَدْحُبُوا فَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِضِعَّةٍ مُرْجَحَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصِّدَقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْرِي الْمَتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِتَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَنَا لِلَّهِ لَقْدَاءُ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتَوِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا أَنَا لِلَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها وأصل الإزجاء السوق والدفع وقيل: للبضاعة مزجاة لأنها غير نافعة، وإنما تجوز على دفع من أخذها، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾، أي: أعطنا ما كنت تعطينا قبل الثمن الجيد الوافي ﴿وَنَصِّدَقْ عَلَيْنَا﴾، أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا. هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برد أحننا إلينا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْرِي﴾، يشب، ﴿الْمَتَصَدِّقِينَ﴾، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: (وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين)، يريد أن الصدقة كانت حلالاً لهم.

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ»، لا تعبير ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالو: ذهبت عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه، ثم قال:

[٩٣] ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، أي: يعد مبصرًا. وقيل: يأتيني بصيرًا لأنه كان قد دعاه. قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيرًا إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل. وقال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة. عن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، فدفع يوسف ذلك القميص إلى إخوته وقال: ألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا، ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾، أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾، أي: قال يعقوب لولد ولده، ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفِيدُون﴾، تسفهوني، وعن ابن عباس: تجهلونني. وقال الضحاك: تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله. وقيل: تضعفوني. وقال أبو عبيدة: تضللوني. وأصل الفند الفساد.

[٩٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد أولاده، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾، لفي خطئك السابق من ذكر يوسف لا تنساه، والضلال هو الذهاب عن الطريق الصواب، فإن عندهم إن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره.

[٩٦] ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾، وهو المبشر عن يوسف، قال ابن مسعود: جاء البشير بين يدي العير. قال ابن عباس: هو يهوذا قال أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأنا أذهب إليه اليوم بالقميص فأخبره أن ولده حي فأفرحه كما أحزنته. قال ابن عباس: حمله يهوذا وخرج حافيًا حاسرًا يعدو ومعه

وروى أن الحسن سمع رجلاً يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من يبغى الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي.

[٨٩] ﴿قَالَ هَلْ عَلَّمْتُمَا مَا فَعَلْتُمَا بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فافرض دمعه فباح بالذي كان يكتمه، وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا فرقتم بينهما، وصنعت ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذنبون وعاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب. فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حسبه؟ قيل: قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرًا. وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: (إنك) على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، بنيامين، ﴿قَدْ مَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أنعم الله علينا بأن جمع بيننا ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿وَيَصْرِ﴾، عما حرم الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾، معتذرين، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾، أي: وما كنا في صنعنا بك إلا مخطئين مذنبين. يقال: خطيء خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾، يوسف وكان حليماً، ﴿لَا تُتْرَبِ

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرٍ ۖ قَالَ  
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا  
 يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ  
 اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا  
 دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ  
 إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا  
 لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا  
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم  
 مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ  
 رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ  
 قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّي  
 مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِن أَنْبَاءِ الْعَالَمِينَ  
 نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْمُرُونَ  
 ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل:  
 الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا  
 لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم،  
 يقول: آمين من الجواز إن شاء الله، كما قال:  
 (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين)،  
 وقيل: (إن) ههنا بمعنى إذ، يريد إذ شاء الله، كقوله  
 تعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، أي: إذ  
 كنتم مؤمنين.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾، أي: على  
 السرير، أجلسهما. والرفع هو النقل إلى العلو.  
 ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، يعني: يعقوب وخالته وإخوته  
 وكانت تحية الناس يومئذ السجود، ولم يرد

(١) يشير إلى الحديث الصحيح في ذلك أخرجه البخاري في  
 التهجد ٢٩/٣ ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٥٨)  
 ٥٢١/١.

سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه، وكانت  
 المسافة ثمانين فرسخًا. وقيل: البشير مالك بن  
 ذعر. ﴿أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾، يعني: ألقى البشير  
 قميص يوسف على وجه يعقوب، ﴿فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا﴾  
 فعاد بصيرًا بعدما كان أعمى وعادت إليه قوته بعد  
 الضعف، وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن.  
 ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿أَلَمْ أَقُلْ  
 لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من حياة  
 يوسف وأن الله يجمع بيننا. وروى أنه قال للبشير:  
 كيف تركت يوسف؟ قال: إنه ملك مصر، فقال  
 يعقوب: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟  
 قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا  
 خَاطِئِينَ﴾، مذنبين.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، قال أكثر  
 المفسرين: آخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت  
 الذي يقول الله تعالى: (هل من داع فاستجيب  
 له) <sup>(١)</sup> وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما:  
 سوف أستغفر لكم ربي يعني ليلة الجمعة. وعن  
 الشعبي قال: سوف أستغفر لكم ربي، قال: أسأل  
 يوسف إن عفا عنكم أستغفر لكم ربي ﴿إِنَّهُ هُوَ  
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾،  
 أي: ضم إليه، ﴿أَبْوِيهِ﴾، قال أكثر المفسرين: هو  
 أبوه وخالته ليا، وكانت أمه راحيل قد ماتت في  
 نفاس بنيامين. وقيل: هو أبوه وأمّه وكانت حية  
 ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، فإن قيل:  
 فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه  
 فكيف قال ادخلوا مصر بعدما أخبر أنهم دخلوها؟  
 وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل:  
 إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل  
 دخولهم مصر وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء  
 يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه

وَالْأَرْضِ ﴿١٠١﴾، أي: خالقهما ﴿أَنْتَ وَرَبِّي﴾، أي: مُعِينِي ومُتَوَلِّي أُمْرِي، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾، يقول اقبضني إليك مسلماً، ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، يريد بآبائي النبيين.

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾، أي: ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾، أي: عزموا على إلقاء يوسف في الجب، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾، يا محمد، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، على إيمانهم. وروي أن اليهود وقریشاً سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي ﷺ لذلك، فقيل له: إنهم لا يؤمنون وإن حرصت على إيمانهم.

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْتَأْهِمُ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿مِنَ آجْرٍ﴾، جعل وجزاء، ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، عظة وتذكير ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَايَن﴾، وكم، ﴿مِنَ آيَةٍ﴾، عبرة ودلالة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، فكان من إيمانهم إذا سُئِلُوا: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون. وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تليبتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء، كما قال الله تعالى: (وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا

بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع. وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزاً في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة. وروي عن ابن عباس أنه قال: معناه خروا لله عز وجل سُجُودًا بين يدي يوسف. والأول أصح. ﴿وَقَالَ﴾، يوسف عند ذلك، ﴿يَتَأْتِيَ هُنَا تَأْوِيلُ رَبِّيَ مِنْ قَبْلُ فَدَّ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، وهو قوله: (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين). ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾، ربي، أي: أنعم عليّ، ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالاً للكرم لكيلا يخجل إخوته بعدما قال لهم: (لا تثريب عليكم اليوم)، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأن وقوعه في البئر كان لحسد إخوته وفي السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلّة كانت منه. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال بدا يبدو إذا صار إلى البادية. ﴿مِنَ بَعْدِ أَنْ تَرَجَّعَ﴾، أفسد، ﴿السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، بالحسد والبغض، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾، أي: ذو لطف، ﴿لَمَّا يَشَاءُ﴾ وقيل: معناه لمن يشاء. وحقيقة اللطيف الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله على أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال:

[١٠١] ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾، يعني ملك مصر، والمُلْك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يعني: تعبير الرؤيا. ﴿فَاطِرُ﴾، أي: يا فاطر، ﴿السَّمَوَاتِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّهُ هُوَ الْاِذْكُرُ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾  
 وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا  
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا  
 وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ  
 أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ  
 سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ  
 اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
 إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ  
 إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ  
 نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ  
 ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ  
 حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
 وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

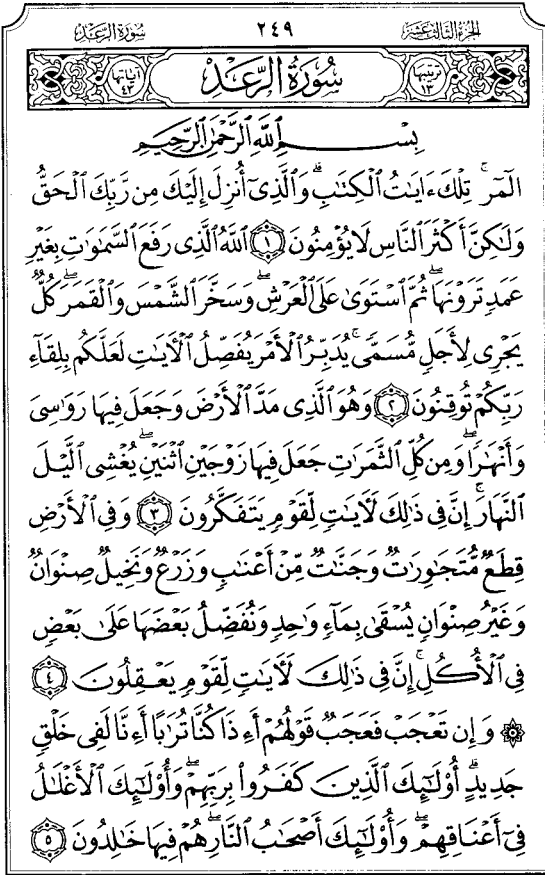
له عما أشركوا به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، يا محمد،  
 ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾، لا ملائكة، ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾، قرأ أبو  
 جعفر وحفص: (نوحى) بالنون وكسر الحاء، وقرأ  
 الآخرون بالياء وفتح الحاء. ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾،  
 يعني: من أهل الأمصار دون أهل البوادي لأن أهل  
 الأمصار أعدل من أهل البوادي لغلظهم وجفائهم.  
 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: هؤلاء  
 المشركين المكذبين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ  
 عِقَابَةُ﴾، آخر أمر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني:  
 الأمم المكذبة فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ  
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يقول جل ذكره: هذا فعلنا بأهل  
 ولايتنا وطاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب، وما  
 في الدار الآخرة خير لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاء  
 بدلالة الكلام عليه. قوله (ولدار الآخرة)، قيل:

الله مُخلصين له الدين) الآية، وقوله: (إذا ركبوا  
 في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم  
 إلى البر إذا هم يشركون)، وغير ذلك من الآيات.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ﴾،  
 أي: عقوبة مجللة. قال مجاهد: عذاب يغشاهم،  
 نظيره قوله تعالى: (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم)  
 الآية. قال قتادة: وقعة. وقال الضحاك: يعني  
 الصواعق والقوارع. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾،  
 فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بقيامها. قال ابن عباس:  
 تهيج بالناس وهم في أسواقهم.

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هَذِهِ﴾، الدعوة  
 التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها،  
 ﴿سَبِيلِي﴾، سستي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني،  
 نظيره قوله: (ادع إلى سبيل ربك) أي: إلى دينه.  
 ﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، على يقين. والبصيرة:  
 هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، ﴿أَنَا  
 وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضًا  
 يدعو إلى الله. هذا قول الكلبي وابن زيد. قال:  
 حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه،  
 ويدكرون بالقرآن. وقيل: تم الكلام عند قوله:  
 (أدعو إلى الله) ثم استأنف: (على بصيرة أنا ومن  
 اتبعني)، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من  
 اتبعني. قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ  
 كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم  
 وكنز الإيمان وجند الرحمن. قال عبدالله بن  
 مسعود: من كان مُستتًا فليستن بمن قد مات، فإن  
 الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد  
 ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها  
 علمًا وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه  
 وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على  
 آثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم  
 وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. قوله  
 تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾، أي: وقل سبحان الله تنزيهاً



المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَاتَ فِي قَصَصِهِمْ﴾، أي: في خبر يوسف وإخوته، ﴿عَبْرَةٌ﴾ عظة، ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانُوا﴾، يعني: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُقْرَأُ﴾، أي: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي﴾، أي: ولكن كان تصديق الذي، ﴿بَيِّنَاتٍ يُدَيِّنُ﴾، من التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفَصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما يحتاج العباد إليه من الحلال والحرام والأمر والنهي، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، بياناً ونعمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

### (١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ

[١] ﴿الْمَرْ﴾ قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والإنجيل والكتب

معناه ولددار الحال الآخرة خيرٌ. وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: (إن هذا لهو حق اليقين)، وكقولهم: يوم الخميس وربيع الآخر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتؤمنون.

[١١٠] ﴿حَقٌّ﴾ إذا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا، اختلف القراء في قوله: (كذبوا) فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: (كذبوا) بالتخفيف، وكانت عائشة تنكر هذه القراءة. وقرأ الآخرون بالتشديد، فمن شدده قال: معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا - يعني الرسل - أن الأمم قد كذبوهم تكذيباً لا يرجى بعد إيمانهم، والظن بمعنى اليقين. وهذا معنى قول قتادة. وقال بعضهم: معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومه أن يصدقوهم، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر. ومن قرأ بالتخفيف قال: معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي: ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب. وروي عن ابن عباس. أن معناه ضعف قلوبهم. يعني: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، وكانوا بشرًا فضعفوا ويأسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا، ثم تلا: (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) (جاءهم) أي: جاء الرسل نصرنا. ﴿فَنَجَّيْنَا مِنْ نَشَاءٍ﴾، قرأ العامة بنونين، أي: نحن ننجي من نشاء. وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة، فيكون محل (من) رفعًا على هذه القراءة، وعلى القراءة الأولى يكون نصبًا، فَنَجَّيْنَا مِنْ نَشَاءٍ عند نزول العذاب، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي:

فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ﴾، متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع، ﴿وَجَنَّاتٌ﴾، أي: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَخَيْلٌ صَيَّوْنٌ﴾ الصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿وَعَيْرٌ صَيَّوْنٌ﴾، هي النخلة المنفردة بأصلها. وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿يسقى﴾ بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالياء لقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ ولقوله تعالى من بعد ﴿وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ﴾، ولم يقل بعضه، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، ﴿وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾، في الثمر والطعم، قرأ حمزة والكسائي ﴿ويفضل﴾ بالياء، لقوله تعالى: ﴿يُدبر الأمر يُفْضَلُ الْآيَاتِ﴾. وقرأ الآخرون بالنون على معنى: ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل، وجاء في الحديث: «ونفضل بعضها على بعض في الأكل». قال الفارسي: كجيد التمر والدقل والحلو والحامض. قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعاً متجاورةً فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة ففرق قلوب فتحشع، وتقسو قلوب فتلهو، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

المتقدمة، ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: وهذا القرآن الذي أنزل إليك ﴿مِّن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره، وقيل: محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتداء الحق يعني ذلك الحق، وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ومعناه هذه آيات الكتاب يعني القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمداً يقوله من تلقاء نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عز من قائل.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، يعني: السواري واحدها عمود مثل أديم وأدم وعمد أيضاً جمعه مثل رسول ورسل، معناه نفي العمد أصلاً وهو الأصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تسكها ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى السَّمَوَاتِ﴾، علا عليه، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾، أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﴿لِأَجْلِ مَسْمِيٍّ﴾، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانها، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾، يقضيه وحده، ﴿يُفْضِلُ الْأَيْتِ﴾، يبين الدلالات، ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْتُونَ﴾، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

[٣] ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾، بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيً﴾، جبالاتاً ثابتة، واحدها: راسية ﴿وَأَنْهَاراً﴾، أي: وجعل فيها أنهاراً. ﴿وَمِن كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِيْنٌ أَثْنَيْنِ﴾، أي: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً، ﴿يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ﴾، أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة. وقال عكرمة: الهادي محمد ﷺ يقول إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبير: الهادي هو الله تعالى.

[٨] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر ﴿وَمَا يَبْقِصُ الْأَرْحَامُ﴾، أي: ما تنقص ﴿وَمَا تَزَادُ﴾، قال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فيتنقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً فإن رأت خمسة أيام دمًا وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة. وقال الحسن: غيضا نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر. وقيل: النقصان السقط، والزيادة تمام الخلق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾، أي: بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

[٩] ﴿عَلِمُوا الْيَمِينَ وَالشَّهَادَةَ الْكَبِيرَةَ﴾، الذي كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالَى﴾ على كل شيء.

[١٠] قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، أي: يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾، أي: ذاهب في سره ظاهر، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه، قال ابن عباس: هو

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ، ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم، وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب، وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضاً من قولهم، ﴿أَءَدَا كُنَّا تَرْبَاءً﴾، بعد الموت، ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي: نعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٦] قوله: ﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَدَلِ الْحَسَنَةِ﴾، الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته والسيئة ههنا هي العقوبة والحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ﴾، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات، والمثلاث جمع المثلة بفتح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصدقات. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْرِفَةٌ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُهُومِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ لِّلْعِقَابِ﴾.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾، مخوف، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع

صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتمته، وسارب بالنهار أي: متوار داخل في سرب.

[١١] ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾، أي: لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب: العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقبة، ثم جمع الجمع معقبات كما قيل أبناوات سعد ورجالات بكر ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار، ومن خلفه من وراء ظهره، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله ما لم يجيء القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي مما أمر الله به من الحفظ عنه. قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصبيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ﴾، من العافية والنعمة، ﴿حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومِ سَوْءًا﴾، أي: عذاباً وهلاكاً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ أي: لا راد له، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾، أي: ملجأ يلجؤون إليه، وقيل: وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

[١٢] قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، قيل: خوفاً من الصاعقة طمعاً في نفع المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة، وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وأبانه والطمع إذا كان في مكانه وأبانه ومن البلدان

سورة الرعد

٢٥٠

سورة الرعد

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُهُومِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومِ سَوْءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ. وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾

ما إذا مطروا قحطوا وإذا لم يمطروا أخصبوا. ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي أباها فبتت، والسحب جمع واحدتها سحابة.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى ديتته، وعن عبدالله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾، جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾، يخاصمون، ﴿فِي

اللَّهُ، نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ: ممّ ربك أمّن دُرّ أم من ياقوت أم من ذهب؟ فنزلت صاعقة من الماء فأحرقته وهو شديد الجحال، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول، وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

[١٤] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، أي: لله دعوة الصديق. قال علي رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عزّ وجلّ. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْئًا﴾، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر. ﴿إِلَّا كَيْسِطُ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ﴾، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقباض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذين يدعون الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء، وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطاً كفيه، مثل ضربه الله لخبية الكفار. ﴿وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ﴾، أصنامهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه كما قال: (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَفْتَرُونَ)، (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَدْعُونَ) وقال الضحاك عن ابن عباس: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا كَيْسِطُ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمَتْ لَهُمُ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ خَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحَسَابِ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ لِلْمُغَادِرِ

عن الله تعالى:

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وَكَرْهًا﴾، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿وَظَلَمَتْ لَهُمُ﴾، يعني: ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً تسجد لله عزّ وجلّ طوعاً. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره. ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾، يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله، والأصال: جمع الأصل والأصل جمع الأصيل وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس. وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم بالغدو والأصال بالبر والعشايا. وقيل: سجد الظل تذليله لما أريد له. [١٦] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالفهما ومدبرهما فيقولون الله، إنهم يقرون

مخاطبة ههنا، قرأ الآخرون بالتاء ﴿ومما توقدون﴾، أي: ومن الذي توقدون عليه النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، ﴿أَيْغَاءَ حَلِيَةٍ﴾، أي: لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما، ﴿أَوْ مَنَعٌ﴾ أي: طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص، والصفير تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، أي: إذا أذيب فله أيضاً زيد مثل زيد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزيد الذي لا ينتفع به مثل الباطل، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾، الذي علا السيل ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: ضائعاً باطلاً، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقدر إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفأ إذا ألقى غثاءه، وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل. وقيل: جُفَاءً أي: متفرقاً. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وزهبت به، ﴿وَأَمَّا مَا يَبْفَعُ النَّاسُ﴾، يعني: الماء والذهب والفضة والصفير والنحاس، ﴿فَيَمَكُّ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يبقى ولا يذهب، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، جعل الله هذا مثلاً للحق والباطل، يعني أن الباطل كالزيد يذهب ويضيع والحق كالماء يبقى في القلوب. وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزيد يرى في الصورة شيئاً وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات.

[١٨] قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، أجاوبوا، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾، فأطاعوه، ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الجنة، ﴿وَالذِّرْبَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِوَجْهِهِ﴾، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداءً من النار، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾. قال إبراهيم النخعي: سوء الحساب أن يحاسب الرجل

بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض إذا أجاوبوك، فقل أنت أيضاً يا محمد: الله. وروى أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله عز وجل فقال: ﴿قُلْ﴾، أنت يا محمد، ﴿اللَّهُ﴾، ثم قال الله لهم إزاماً للحجة: ﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، معناه: إنكم مع إقراركم بأن الله خالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، فكيف يملكون لكم؟ ثم ضرب لهم مثلاً فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ﴿أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، أي: كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾، أي: جعلوا، ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل.

[١٧] فقال عز وجل: ﴿أَنْزَلَ﴾ يعني الله عز وجل، ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَسَالَتْ﴾، من ذلك الماء ﴿أُودِيَةً يَقْدَرُهَا﴾، أي: في الصغر والكبر، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿زَيْدًا رَابِيًا﴾، الزبد الخبث الذي يظهر على وجه الماء رابياً أي عالياً مرتفعاً فوق الماء الصافي الباقي هو الحق. والذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل. وقيل: قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن، فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل، فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْفِكُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يُؤْفِكُونَ﴾ بالياء لقوله تعالى: ﴿مَا يَبْفَعُ النَّاسُ﴾، ولا

بذنبه كله لا يغفر له منه شيء، ﴿وَمَا أُولَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَيَبْسُ إِلَيْهَا﴾، الفراش، أي: بس ما مهد لهم.

[١٩] قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿كَمْ هُوَ أَعْمَى﴾، عنه لا يعلمه ولا يعمل به، قيل: نزلت في حمزة وأبي جهل. وقيل: في عمار وأبي جهل، فالأول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو الأعمى، أي: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه. ﴿إِنَّمَا يَذُكَّرُ﴾ يتعظ، ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. ذوو العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾، بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه. ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقُ﴾، وقيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، قيل: أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسول ولا يفرقون بينهما، والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم ﴿يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيُحَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله عز وجل، وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي. ﴿أَتْبَعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، طلب تعظيمه أن يخالفوه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، يعني يؤدون الزكاة، ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، زوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل، وهو معنى قوله: (إن الحسنات يذهب السيئات)، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا عملت سيئة فاعملْ بجانبها حسنة تمحها، السرُّ بالسر والعلانية بالعلانية»<sup>(١)</sup> وقال ابن كيسان: معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَذُكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١٩)</sup> الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقُ<sup>(٢٠)</sup> وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيُحَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ<sup>(٢١)</sup> وَالَّذِينَ صَبَرُوا وَأَتْبَعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ<sup>(٢٢)</sup> حَتَّىٰ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ<sup>(٢٣)</sup> سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ<sup>(٢٤)</sup> وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ<sup>(٢٥)</sup> اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ<sup>(٢٦)</sup> وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ<sup>(٢٧)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ<sup>(٢٨)</sup>

وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسن. وقال قتادة: ردوا عليهم معروفاً نظيره قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)، وقال الحسن: إذا حُرِّمُوا أعطوا وإذا ظَلِمُوا عَفُوا وإذا قُطِعُوا وصلوا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بين ذلك فقال:

[٢٣] ﴿حَتَّىٰ عَدْنٌ﴾، بساتين إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٦٩/٥ بلفظ: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها» وأشار الحافظ السيوطي في جامعه الصغير إلى تصحيح هذه الرواية، وذكر أخرى بلفظ: «إذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية» رواها الإمام أحمد عن عطاء مرسلًا.



أبواب القصور.

تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وُجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، فكيف تكون الطمأنينة والوَجَل في حالة واحدة؟ قيل: الوَجَل عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت وعيد الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾،

ابتداءً، وقوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ خيرُهُ، واختلفوا في تفسير ﴿طُوبَىٰ﴾ رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فَرَّحَ لَهُمْ وَفَرَّةٌ عَيْن. وقال عكرمة: نِعَمَ مَالِهِمْ. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال معمر، عن قتادة: هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيراً. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. قال الفراء: أصله من الطيب والواو فيه لضممة الطاء وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب. ﴿وَحَسُنَ مَا بَدَأَ اللَّهُ الْحَسَنَ الْمُنْقَلَبَ. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحسبية. وقال الربيع: هو البستان بلغة الهند. ورُوي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قال: طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها<sup>(١)</sup>.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ أي:

كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿فَدَخَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَّةٌ لَتَسْلُوا﴾، لتقرأ، ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة

(١) انظر صحيح البخاري (٦٥٥٢، ٦٥٥٣) كتاب الرقاق،

ومسلم (٢٨٢٦-٢٨٢٨) كتاب صفة الجنة.

[٢٤] ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقولون سلام

عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها. قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عزَّ ووجلَّ، يقولون سلام عليكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ نِعَمٌ عَفَىٰ الدَّارِ﴾.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾،

هذا في الكفار. وَيَقْضُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤصَلَ، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض. وقيل: يقطعون الرحم، ﴿وَيُسْذَوْنَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس دُورُهُمْ.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَقْدِرُ﴾، أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: مشركي مكة أشروا وبطروا، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل القصة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من أهل مكة ﴿لَوْلَا

أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ أي: يهدي إليه من يشاء بالإنابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، في محل نصب بدل من

قوله: ﴿مَنْ أَنْابَ﴾، ﴿وَتَطْمِئِنُّ﴾، تسكن، ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين، قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ  
 مَا أَتَىٰ ۖ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ  
 لِّتَسْتَلُوا عَلَيْهِمْ ۗ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ  
 قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣١﴾  
 وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُورَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّ  
 بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ آمَنُوا  
 أَن تَوْشِيءَ اللَّهُ لَهُدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا نَزَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ  
 وَعَدَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلِ  
 مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
 عِقَابِ ﴿٣٣﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا  
 لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ  
 يَبْظُهْرُونَ الْقَوْلَ بِلِزِينٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ  
 السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَلِعَذَابٌ الْآخِرَةُ أَشَقُّ وَمَأْلَمٌ مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ الْوَاقِعِ ﴿٣٥﴾

لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما  
 صنعوا، من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةٌ﴾  
 أي: نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء أحياناً  
 بالجدب وأحياناً بالسلب وأحياناً بالقتل والأسر  
 ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾، يعني: القارعة، ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾،  
 وقيل: أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريباً  
 من ديارهم، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدَّ اللَّهُ﴾، قيل: يوم  
 القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ  
 ودينه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾، وكان الكفار  
 يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله  
 تسلياً لنبيه ﷺ:

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ﴾، كما  
 استهزؤوا بك، ﴿فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أمهلتهم  
 وأطلت لهم المدة، ومنه الملوان وهما الليل  
 والنهار، ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ عاقبتهم في الدنيا بالقتل

الكذاب، اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم،  
 فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾،  
 والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها: أن أبا  
 جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو: يا الله  
 يا رحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً  
 يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يسمى  
 الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة  
 فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: (قل ادعوا الله  
 أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء  
 الحسنی)، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنها  
 نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ:  
 اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ قال الله  
 تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد إن الرحمن الذي  
 أنكرتم معرفته، ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ  
 تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، أي: توتبي  
 ومرجعي.

[٣١] قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُورَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾  
 فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾،  
 أي: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كُفِّ بِهِ  
 الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، أي: في هذه  
 الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ  
 الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أفلم  
 يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة  
 هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: (أفلم يتبين  
 الذين آمنوا)، وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى  
 العلم وزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول:  
 يشت بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمّر،  
 وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا  
 من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوا  
 فيؤمنوا فنزل: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني:  
 الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء  
 أي لم يياسوا علماً وكل من علم شيئاً يئس من  
 خلافه، يقول: ألم يئسهم العلم، ﴿أَن تَوْشِيءَ اللَّهُ

وفي الآخرة بالنار، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، أي: عقابي لهم.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، أي: حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾ بينوا أسماءهم. وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تُعبَد؟ ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: تخبرون الله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾، فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا في الأرض إلهاً غيره، ﴿أَمْ يَظْهَرُ﴾ يعني: أم تتعلقون بظاهر، ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾، مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزائل من القول ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كيدهم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي: صرفوا عن الدين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، بخذلانه إياه، ﴿فَمَا لَهُمْ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بالقتل والأسر، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾، أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، مانع يمنعهم من العذاب.

[٣٥] قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: (ولله المثل الأعلى) أي: الصفة العليا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها. وقيل: مثل صلة مجازها الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار. ﴿أَكُلُوهَا ذَائِمًا﴾ أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿وَيُظَلِّمُهَا﴾، أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿تِلْكَ عِصْيَى﴾ أي: عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: الجنة، ﴿وَعِصْيَى الْكٰفِرِينَ النَّارُ﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾  
 ﴿أَكُلُوهَا ذَائِمًا وَيُظَلِّمُهَا تِلْكَ عِصْيَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعِصْيَى  
 الْكٰفِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥) ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ  
 بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُبْكَرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا  
 إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ  
 وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا  
 جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ  
 لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨)  
 ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) ﴿وَإِنْ  
 مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ  
 الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤٠) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا  
 مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّا يَحْكُمَ لِمَعْقِبٍ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ  
 الْحِسَابِ﴾ (٤١) ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا  
 يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكٰفِرِينَ لِمَنْ عِصْيَى الدَّارِ﴾ (٤٢)

الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿مَنْ يُبْكَرُ بَعْضُهُمْ﴾، هذا قول مجاهد وقادة. وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرّر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُبْكَرُ بَعْضُهُمْ﴾، يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله عز وجل (وهم بذكر الرحمن هم كافرون)، (وهم يكفرون بالرحمن)، وإنما قال: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿قُلُوبًا﴾، يا محمد،

الضحاك والكلبي. وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله عز وجل فهو الذي يثبت. وقال الحسن: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله إلى يوم أجله. وعن سعيد ابن جبير قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها. وقال عكرمة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله تعالى: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات). وقال السدي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني القمر ﴿وَيُثِّبُ﴾ يعني الشمس بيانه قوله تعالى: (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) الآية. ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء. وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثِّبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. وسأل ابن عباس كعبًا عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون.

[٤٠] ﴿وَمَا رُسُوكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُ﴾، من العذاب قبل وفاتك، ﴿أَوْ نُوَفِّئُكَ﴾، قبل ذلك، ﴿فَإِنَّمَا

﴿إِنَّمَا أُرِيتُ أَنْ عَبَدَ اللَّهُ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾، أي: مرجعي.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، يقول: كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكم والدين عربيًا، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب. وقيل: نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتهم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكمًا عربيًا. ﴿وَلَكِنَّ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الملة. وقيل: في القبلة، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، يعني: من ناصر ولا حافظ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، روي أن اليهود، وقيل: إن المشركين قالوا: إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ﴿وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثِّبُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثِّبُ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ  
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤١﴾

## سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَابِ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾  
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ  
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ  
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا  
مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِاللِّسَانِ قَوْمِهِ يُلَيِّسُ لَكَ هُمْ فَيَضِلُّ اللَّهُ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ  
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا  
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

الكتاب يشهدون أيضًا على ذلك. قال قتادة: هو  
عبدالله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة  
مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة، وقال أبو  
بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾  
أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبدالله  
ابن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن  
ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل  
يدل عليه قراءة عبدالله بن عباس، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾  
بكسر الميم والبدال أي: من عند الله عز وجل.  
وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ بكسر  
الميم والبدال علم الكتاب على الفعل المجهول،  
دليل هذه القراءة: (وعلمناه من لدنا علمًا) وقوله:  
(الرحمن O علم القرآن).

(١) أخرجه البخاري في العلم ١٩٤/١ ومسلم في العلم رقم  
(٢٦٧٣) ٤/٢٠٥٨.

عَلَيْكَ الْبَلٰغُ ﴿٤١﴾، ليس عليك إلا ذلك، ﴿وَعَلَيْنَا  
الْحِسَابُ﴾، الجزاء يوم القيامة.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة  
الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات، ﴿أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ  
نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أكثر المفسرين على أن المراد  
منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام  
فقد نقص من ديار الشرك، يقول: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْيُ  
الْأَرْضِ نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ففتحتها لمحمد أرضاً بعد  
أرض حوالي أرضهم، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن  
عباس وقتادة وجماعة. وقال قوم: هو خراب  
الأرض معناه أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها  
ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك؟ وقال  
مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها. وعن  
عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله.  
وقال عطاء وجماعة: نقصانها موت العلماء،  
وذهاب الفقهاء قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا  
يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن  
يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً  
اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم  
فضلوا وأضلوا»<sup>(١)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾،  
لأراد لفضائه ولا ناقض لحكمه، ﴿وَهُوَ سَرِيعٌ  
الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: من قبل  
مشركي مكة، والمكر: إيصال المكره إلى الإنسان  
من حيث لا يشعر، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، أي:  
عند الله جزاء مكرهم. وقيل: إن الله خالق مكرهم  
جميعاً بيده الخير والشر وإليه النفع والضرر، فلا  
يضر أحد أحداً إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ  
وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: عاقبة الدار  
الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ  
كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، إني رسول  
إليكم ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يريد مؤمني أهل

## سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ (١٤)

[١] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيٌ: هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، يا محمد يعني القرآن، ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، بأمر ربهم. وقيل: بعلم ربهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: إلى دينه والعزيز هو الغالب والحميد هو المستحق للحمد.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿اللَّهُ﴾ بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده، وقرأ الآخرون بالخفض نعتاً للعزیز الحميد، وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال أبو عمرو: الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيَوَسِّلُ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدًا﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ﴾، يختارون، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: يمنعون الناس عن قبول دين الله، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يطلبونها زيغاً وميلاً يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد. وقيل: الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، أي بجهة الحرام. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

[٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَانَ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، بلغتهم ليفهموا عنه فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟ قيل: بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل ويترجمون لهم بألسنتهم، ﴿فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

٢٥٦

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَ كُفْرٍ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنَى جَمِيعًا ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِكُمْ فَوَعَدُوا عَمَّا وَعَدُوا وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبَغِّرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوَخِّرَ كُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان بالدعوة، ﴿وَدَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقناة: بنعم الله. وقال مقاتل: بوقائع الله في الأمم السالفة. يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، وأراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَ كُفْرٍ﴾، قال الفراء: العلة الجالبة لهذه الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل

لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠﴾، موجب للريبة موقع للتهمة.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكٌّ﴾، هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالفهما، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: ذنوبكم، ﴿وَمِنْ صَلَاةٍ﴾، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا﴾، للرسول، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، في الصورة والجسم ولستم ملائكة وإنما ﴿تُرِيدُونَ﴾، بقولكم، ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة على صحة دعواكم.

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، بالنبوة والحكمة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ وقد عرفنا أن لا ننال شيئاً إلا بقضائه وقدره، ﴿وَقَدْ هَدَانَا رَبُّنَا﴾، بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة. ﴿وَلَصَّبِرَنَّ﴾، اللام لام القسم مجازاً، والله لنصبرن، ﴿عَلَىٰ مَا آذَيْنَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، يعنون إلا أن ترجعوا أو حتى ترجعوا إلى ديننا، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤] ﴿وَلَنَكْسِبَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: خاف قيامه بين يدي كما قال: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)، فأضاف قيام العبد إلى نفسه، كما تقول: ندمت على ضربك أي على ضربي إياك، ﴿وَحَافٍ وَعِيدٍ﴾ أي عقابي.

فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع العذاب غير التذبيح، وبالتذبيح، وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم، ﴿وَيَسْخَبُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، يتركوهن أحياء ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ﴾، أي: أعلم، يقال: أذن وتأذن بمعنى واحد، مثل أوعد وتوعد، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي فأمنتم وأطعتم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ في النعمة. وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب. ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾، نعمتي فجحدموها ولم تشكروها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ غَنِيدٌ﴾، أي: غني عن خلقه حميد محمود في أفعاله لأنه فيها متفضل وعادل.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ﴾، خبر الذين ﴿مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني: من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظاً كما قال: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ. قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبت. وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا. وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك. وقيل: إن الأيدي بمعنى النعم معناه: ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعماً في أفواههم أي: بأفواههم يعني: بالستهم. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأمم للرسول، ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا

[١٥] قوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ أي: استنصروا. قال ابن عباس ومقاتل: يعني الأمم وذلك أنهم قالوا: اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا، نظيره قوله تعالى: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء)، وقال مجاهد وقتادة: واستفتحوا يعني الرسل وذلك أنهم لما يسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب، كما قال نوح: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا) وقال موسى: (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم)، الآية: ﴿وَحَابٌ﴾، خسر. وقيل: هلك، ﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٌ﴾ والجبار: الذي لا يرى فوقه أحدًا. والجبرية: طلب العلو بما لا غاية وراءه. وهذا الوصف لا يكون إلا لله عز وجل. وقيل: الجبار: الذي يجبر الخلق على مراده، والعنيد: المعاند للحق ومجانبه. قاله مجاهد، وعن ابن عباس: هو المعرض عن الحق. وقال مقاتل: هو المتكبر. وقال قتادة: العنيد الذي أبي أن يقول: لا إله إلا الله.

[١٦] ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: أمامه كقوله تعالى: (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم. قال أبو عبيدة: هو من الأضداد. وقال الأخفش: هو كما يقال: هذا الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك، وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه. وقال مقاتل: من ورائه جهنم أي بعده. ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم. وقال محمد بن كعب: ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي: يتحساه ويشربه لا بمرّة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾، يكاد صلة أي لا يسيعه، كقوله تعالى: (لم يكذبوا) أي: لم يرها، قال ابن عباس: لا يجيزه. وقيل: معناه: يكاد لا يسيعه

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا نَأْتِيكُم بِشَيْءٍ إِلَّا نَؤْتِيكُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ هَمَمْنَا سُبُلَنَا وَلَقَدْ صَبَّرَ عَلَىٰ مَا أَدَّبْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لِنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَحَابٌ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٌ ﴿١٦﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَتَجَرَّعُهُ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مَعَاكَ سَبْؤًا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

ويسيعه فيغلي في جوفه يقول الله عز وجل: (وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم)، ويقول: (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه). ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعني: يجدهم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه، قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة من جسده. وقيل: يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، فيستريح قال ابن جريج: تعلق بنفسه عند حنجرتة ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتفتعه الحياة. نظيرها (لا يموت فيها ولا يحيى)، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾، أمامه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، شديد، وقيل: العذاب الغليظ: الخلود في النار.

[١٨] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني: مثل أعمال الذين كفروا بربهم، كقوله



سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمَ

٢٥٨

سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمَ

الَّذِي تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُم سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٩﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْؤَا أُنْفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾

ولا منجا.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وقال مقاتل: يوضع له منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار بالأئمة فيقول لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾، فوفى لكم به، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، وقيل: يقول لهم: قلت لكم: لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ولاية. وقيل: لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْؤَا أُنْفُسِكُمْ﴾، بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾، بمغيثكم، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾، بمغيثي ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كفرت بجعلكم إياي شريكًا في عبادته

تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ﴿كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، وصف اليوم بالعصفوف، والعصفوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه، كما يقال: يوم حار، ويوم بارد لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنها قد ذكرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا يتتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدُرُونَ﴾، يعني: الكفار ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾، في الدنيا، ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، في الآخرة، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾.

[١٩] ﴿الَّذِي تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وفي سورة النور (خالق كل دابة) مضافًا، وقرأ الآخرون (خلق) على الماضي ﴿وَالْأَرْضَ﴾ وكل بالانصب، ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقهما باطلا وإنما خلقهما لأمر عظيم، ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، سواكم أطوع الله منكم.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعًا، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾، يعني الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا﴾، يعني القادة للمتبوعين، ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُم سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾، مهرب

وتبرأت من ذلك، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيَّنُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم. وقيل: المحيي بالسلام هو الله عز وجل.

[٢٤] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، ألم تعلم، والمثل قولٌ سائر لتشبيه شيء بشيء ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، وهي قول: لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة، وقال أبو ظبيان عن ابن عباس: هي شجرة في الجنة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾، أعلاها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).

[٢٥] ﴿تُؤْتِي أَكْثَمَهَا﴾، تغطي ثمرها، ﴿كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، والحين في اللغة هو الوقت، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً، بل تصل إليه في كل وقت، والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾. وهي الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، وهي الحنظل. وقيل: هي الثوم. وقيل: الكشوث<sup>(١)</sup> ﴿أَجْنَّتْ﴾، يعني انقلعت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض، ولا فرع

سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمِ ٢٥٩

تُؤْتِي أَكْثَمَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيُبْسِئُونَ أَلْفَرَارٍ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَمْضُوا أَمْثَارًا فَزَنَّهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِغٌ فِيهِ وَلَا جُلَّةٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل: في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر، وفي الآخرة: عند البعث، والأول أصح ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت.

(١) في لسان العرب ٢/١٨١ «الكشوث والأكشوث» نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره وقال الجوهري: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ عن ابن عباس: هم كفار قريش. وقال عمر: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾، قال: البوار يوم بدر، قوله: ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعثه الله منهم كفراً كفروا به فأحلوا أي أنزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك، ثم بين دار البور فقال.

[٢٩] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها ﴿وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾، المستقر.

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾، أمثالا وليس لله تعالى ند، ﴿لِيُضِلُّوهُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزم (ليضل) وقرأ الآخرون بضم الياء على معنى: ليضلوا الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَعُوا﴾، عيشوا في الدنيا، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

[٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، قال الفراء: هذا جزم على الجزاء، ﴿وَيُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مَن قَبِلَ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَعْجَ فِيهِ وَلَا خُلُلٌ﴾، مخاللة وصدافة.

[٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، ياذنه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾، ذلها لكم تجرونها حيث شئتم.

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾، يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس: دؤوبهما في طاعة الله عز وجل، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة.

[٣٤] ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ﴾، يعني: آتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فحذف الشيء الثاني اكتفاءً بدلالة الكلام على التبعض، وقيل:

هو على التكرير نحو قولك: فلان يعلم كل شيء، وآتاه كل الناس، وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى: (فتحنا عليهم أبواب كل شيء)، وقرأ الحسن ﴿مِن كُلِّ﴾ بالتونين ﴿مَاءً﴾ على النفي يعني من كل ما لم تسألوه، يعني: أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، أي: نعم الله، ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾، أي: لا تطيقوا عدّها ولا القيام بشكرها، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل: الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد منعمه.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾، يعني: الحرم، ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن يؤمن فيه، ﴿وَأَجْنَبِينَ﴾، أبعدني، ﴿وَيَبِّئْ أَن تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، يقال: جنبت الشيء وأجنبته جنباً وجنبته تجنيباً واجتنبته اجتناباً بمعنى واحد، فإن قيل: قد كان إبراهيم معصوماً من عبادة بنيه الأصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟ قيل: الدعاء في حق إبراهيم لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمناً من بنيه.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني: ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: (إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه)، أي: يخوفهم بأوليائه، وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأنهن سبب فيه كما يقول القائل: فتنتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة. ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، أي: من أهل ديني وملتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ﴾، قال السدي: معناه: ومن عصاني ثم تاب، وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك. وقيل: قال ذلك قبل أن

يعلمه الله أنه لا يغير الشرك .

[٣٧] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ، أدخل من للتبعيض، ومجاز الآية: أسكنت من ذريتي ولداً، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ ، وهو مكة لأن مكة واد بين جبلين، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ، سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ ، الأفئدة جمع الفؤاد ﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ ، تشاق وتحن إليهن . قال السدي: معناه: أمل قلوبهم إلى هذا الموضوع، قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزامتكم فارس والروم والترك والهند . وقال سعيد بن جبیر: لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: أفئدة من الناس وهم المسلمون . ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ، ما رزقت سكان القرى ذوات الماء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ .

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَحْفَى وَمَا نُعَلِّئُ﴾ ، من أمورنا . وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكتهما بوادٍ غير ذي زرع . ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ، قيل: هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله . وقال الأكثرون: يقول الله عز وجل ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ .

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ ، أعطاني على كبر السن، ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ، قال ابن عباس: وُلد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة . وقال سعيد بن جبیر: بُشِّرَ إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة .

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ ، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ، يعني: اجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة . ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ ، أي: عملي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَتَّكِمُ مِنْ كُلِّ مَآسَأَ لَتْمُوهُ وَإِنْ نَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَحْفَى وَمَا نُعَلِّئُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

وعبادتي، سَمَى العبادة دعاءً وقيل: معناه استجب دعائي .

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل: قد قيل: إن أمه أسلمت، وقيل: أراد إن أسلما وتابا، وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة . ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أي: اغفر للمؤمنين كلهم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ، أي يبدو ويظهر . وقيل: أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب، فاكتمى بذكر الحساب لكونه مفهوماً .

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ . الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، والآية لتسلية المظلوم وتهديد للظالم، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت).

[٤٥] ﴿وَسَكَنتُمْ﴾، في الدنيا، ﴿فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بالكفر والعصيان، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. ﴿وَبَيَّنَّا لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، ﴿وَصَرَّبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾، أي بينا مثلكم كمثلهم.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ﴾، أي: جزاء مكرهم، ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾، قرأ علي وابن مسعود: (وإن كاد مكرهم) بالدال، وقرأ العامة بالنون. ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، معناه: وما كان مكرهم لتزول. قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال. وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي: ﴿لِتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلاً يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد. وقال قتادة: معناه: وإن كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى: (وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً).

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِيهِ رُسُلَهُ﴾، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

[٤٨] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْدِلُ الْأَرْضَ عِزَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يُحْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءِ عَفْرَاءٍ كَقَرَصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ»<sup>(١)</sup> وعن ابن مسعود في هذه الآية

شَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ، أي: لا تغمض من هول ما ترى في ذلك اليوم، وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها.

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾، قال قتادة: مسرعين. قال سعيد بن جبير: الإهطاع النسلان كعدو الذئب، وقال مجاهد: مديمي النظر، ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم، ﴿مُقِنِّي رُءُوسِهِمْ﴾، أي رافعي رؤوسهم، قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل بصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾، أي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم، لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى مكانها، فأفندتهم هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من الخوف. وقال الأخفش: جوفاً لا عقول لها. والعرب تسمي كل أجوف خلو هواء. قال سعيد بن جبير: وأفندتهم هواء أي: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، وحقيقة المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾، خوفهم، ﴿يَوْمَ﴾، أي: بيوم، ﴿يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾، هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا﴾، أمهلنا ﴿إِلَّا أَجَلٌ قَرِيبٌ﴾، هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا، أي: ارجعنا إليها، ﴿حُجَّتْ دَعْوَتُكَ وَتَنَجَّ الرَّسُلُ﴾، فيجابون: ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾، حلقتم في دار الدنيا، ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾، عنها أي: لا تبعثون. وهو قوله تعالى: (وأقسموا بالله

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٧٢/١١ ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩٠) ٤/٢١٥٠ والمصنف في شرح السنة ١١٢/٥.

سورة إبراهيم

٢٦١

سورة إبراهيم

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ  
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ بِآئِهِمُ الْعَذَابِ فِيقُولُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعُ  
الرُّسُلَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ  
مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا  
لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ  
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَرْزُلُوا مِنْهُ الْجِبَالَ  
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
ذُو أَنْفِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْنَىٰ  
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا  
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

قال: تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقيل: معنى التبديل جعل السموات جناثا وجعل الأرض نيرانا. وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة، وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صاففا، وتبديل السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها وانتثار نجومها، وكونها مرة كالدهان، ومرة كالمهل. عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (على الصراط) <sup>(١)</sup> ﴿وَبَرَزُوا﴾، خرجوا من قبورهم، ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

[٤٩] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾، مشدودين بعضهم ببعض، ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾، في القيود والأغلال واحدا: صفا، وكل من شدته شدا وثيقا فقد صففته وقيل: يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)، يعني: قرناءهم من الشياطين وقيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفا والقيود، ومنه قيل للجيل: قرن.

[٥٠] ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾، أي: قمصهم، واحدا: سربال. ﴿مِن قَطِرَانٍ﴾ هو ما تهنا به الإبل، وقرأ عكرمة ويعقوب ﴿مِن قَطِرَانٍ﴾ على كلمتين منونتين، والقطر النحاس والصفير المذاب، والآن الذي انتهى حره، قال الله تعالى: (يطوفون بينها وبين حميم آن). ﴿وَتَغْنَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾، أي: تعلق.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾، من خير وشر، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

[٥٢] ﴿هَذَا﴾، أي: هذا القرآن، ﴿بَلَاغٌ﴾، أي: تليغ وعظة، ﴿لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا﴾، وليخوفوا، ﴿بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، أي ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أي: ليتعظ أولو العقول.

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩١) /٤ /٢١٥٠ والمصنف في شرح السنة ١٥/١٠٧.

## (١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ

٢٦٢

سُورَةُ الْحَجَرِ

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُودُّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا  
وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ  
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجْرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ  
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ كَإِنْ كُنْتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِلُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا  
إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴿٩﴾  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَأَلْنَاهُ فِي  
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ  
﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَبْصَارِنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يتأخر عنهم.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾، من صلة أي: ما تسبق أمة أجلها ﴿وَمَا يَسْتَجْرُونَ﴾، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب. وقيل: الأجل المضروب.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: مشركي مكة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، أي: القرآن وأرادوا به محمداً ﷺ، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء.

[٧] ﴿لَوْ مَا﴾، هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ﴾، شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إنك نبي.

[٨] ﴿مَا نُنزِلُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين ﴿الْمَلَكِ﴾ نصب، وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ

[١] ﴿الرَّ﴾، معناه أنا الله أرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب، ﴿وَقُرْآنٍ﴾ أي: وآيات قرآن، ﴿مُبِينٍ﴾، أي: بين الحلال من الحرام والحق من الباطل، فإن قيل: لما ذكر الكتاب ثم قال: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض. وقيل: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل وبالقرآن هذا الكتاب.

[٢] ﴿رَبِّمَا﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدهما وهما لغتان، وربّ للتقليل وكم للتكثير، وربّ تدخل على الاسم، وربما على الفعل، يقال: رب رجل جاءني وربما جاءني رجل، وأدخل ما ههنا للفعل بعدها. ﴿يُودُّ﴾، يتمنى، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، واختلّفوا في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الإسلام، قال الضحاك: حالة المعاينة. وقيل: يوم القيامة. والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

[٣] ﴿ذَرَّهُمْ﴾، يا محمد يعني الذين كفروا، ﴿يَأْكُلُوا﴾ في الدنيا، ﴿وَيَسْتَمْتَعُوا﴾، من لذاتهم ﴿وَيُلْهِمُ﴾، يشغلهم، ﴿الْأَمَلُ﴾، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تهديد ووعيد. وقال بعض أهل العلم: ذرهم تهديد وقوله: فسوف يعلمون، تهديد آخر، فمتى يهنا العيش بين تهديدين. والآية نسختها آية القتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي: من أهل قرية، ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، أي أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا

يقولون لو ما تأتينا بالملائكة، ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظُلُومًا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾، فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عياناً، هذا قول الأكثرين. وقال الحسن: معناه فظل هؤلاء الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم لو نزلوا أعياناً لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ﴾، سُدَّتْ، ﴿أَبْصَرْنَا﴾، قاله ابن عباس. وقال الحسن: سحرت، وقال قتادة: أخذت، وقال الكلبي: عميت. وقرأ ابن كثير ﴿سُكَّرَتْ﴾ بالتخفيف، أي: حُبِسَتْ ومُنَعَتْ النظر كما يسكر النهر لحبس الماء، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، أي: عمل فينا السحر فسحرننا محمد.

[١٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، والبروج هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور، يقال: تبرجت المرأة أي: ظهرت، وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث. وقال عطية: هي قصور في السماء عليها الحرس ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾، أي السماء بالشمس والقمر والنجوم. ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾، مرجوم. وقيل: ملعون قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ما سمعوا، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رُمي بشهاب، فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس، فقال: لقد حدث في

(١) القدرية هم الذين ينكرون القدر ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله ليخرجوا بذلك فعل الإنسان عن قدرة الله. انظر الوصية الكبرى لابن تيمية ص ٥٧ تعليق (٥).

الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي ﴿الْمَلَكُوتُ﴾ رفع. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم لو نزلوا أعياناً لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، يعني القرآن، ﴿وَإِنَّا لُمْ لِحَافِظُونَ﴾، أي: نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره، قال الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والباطل: هو إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه. وقيل: الهاء في (له) راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لمحمد لحافظون ممن أراه بسوء كما قال جل ذكره: (والله يعصمك من الناس).

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، أي رسلاً، ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: في الأمم والقرون الماضية، والشيعه: هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد.

[١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما فعلوا بك، ذكره تسلياً للنبي ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ﴾، أي: كما سلكتنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسول في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه: ندخله، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني مشركي مكة قومك، وفيه رد على القدرية<sup>(١)</sup>.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾، مضت، ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: وقائع الله تعالى الإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية يخوف أهل مكة.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَدَحَا عَلَيْهِمْ﴾، يعني: على الذين



الأرض حادث، قال: فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا: هذا والله حدث.

[١٨] ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ﴾، لكن من استرق السمع، ﴿فَأَنْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، والشهاب الشعلة من النار.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي﴾، جبالاً ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾، أي: في الأرض، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾، بقدر معلوم، وقيل: يعني في الجبال وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس. وقيل: ما يعيش به الآدمي في الدنيا، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾، أي: جعلنا فيها معيش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام، أي: جعلنا لكم وكفيناكم رزقها (من) في الآية بمعنى ما، كقوله تعالى: (فمنهم من يمشي على بطنه)، وقيل: من في موضعها لأنه أراد الممالك مع الدواب. وقيل: من في محل الخفض عطفًا على الكاف والميم في لكم.

[٢١] ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: وما من شيء، ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، أي مفاتيح خزائنه. وقيل: أراد به المطر، ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، لكل أرض حد مقدر.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ﴾ أي: حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة، يقال: ناقة لاقحة إذا حملت الولد. قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر. وقال أبو عبيدة: أراد باللوائح الملايح واحدها ملقحة، لأنها تلقح الأشجار. قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قماً ثم يبعث الله المثيرة

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَهَا لِلنَّظِيرِ ﴿١٨﴾  
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾  
إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ  
فَأَنْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾  
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا  
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي  
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾  
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا  
وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾  
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا  
خَزَائِنُهُ  
وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾  
وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ  
فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾  
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي  
وَنُمِيتُ  
وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾  
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ  
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾  
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ  
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾  
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ  
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾  
وَالْبَلَدَانَ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلُ  
مِنْ نَارٍ  
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾  
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا  
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾  
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي  
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾  
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾  
إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ آدَمَ  
فَكَانَ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركابًا، ثم يبعث اللوائح فتلقح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه والشمال تجمععه والجنوب تدره والدبور تفرقه، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾، أي: جعلنا المطر لكم سقياً، يقال: أسقى فلان فلاناً إذا جعل له سقياً وسقاه إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان لسقيه، فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب: أسقيته. ﴿وَمَا أَنْشَأْ لَهُمْ إِخْوِينَ﴾، يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم. وقال سفيان: بمانعين.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، بأن نميت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا.

هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس خُلِقَ قبل آدم. ويقال: الجان أبو الجن وإبليس أبو الشيطان، وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات إبليس. وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. ﴿مِن تَارِ السُّمُورِ﴾، والسموم ريح حارة تدخل مسام الإنسان فتقتله. يقال: السموم بالنهار والحرور بالليل. وقيل: نار السموم لهب النار. وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم. وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السُّمُوم وخلقَت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنهم خلقوا من النور.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا﴾، أي: سأخلق بشرًا، ﴿مِن صَّالِصٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾، وعدلت صورته، وأتممت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، فصار بشرًا حيًّا والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافه إلى نفسه تشریفًا، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ﴾، سجود تحية لا سجود عبادة.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾، الذين أمروا بالسجود، ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، فإن قيل: لِمَ قال (كلهم أجمعون) وقد حصل المقصود بقوله: فسجد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٣/٤ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣١٣/٣ والمصنف في شرح السنة ٤٠١/١٤ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٨٣) ٥١٠/١ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٧٨) ٢٢٠٦/٤ (يعت كل عبد على ما مات عليه).

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾، قال ابن عباس: أراد بالمستقدمين الأموات وبالمستأخرين الأحياء. قال الشعبي: الأولين والآخرين: وقال عكرمة: المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ. وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطلون عنها. وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها.

وقال الأوزاعي: أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره. وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، على ما علم منهم. وقيل: يملك الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه»<sup>(١)</sup>.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: آدم عليه السلام، سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿مِن صَّالِصٍ﴾، وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتًا. قال ابن عباس: هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فإذا حرك تققق. وقال مجاهد: هو الطين الممتن. واختاره الكسائي، وقال: هو من صل اللحم، إذا أتت، ﴿مِن حَمَإٍ﴾، والحمأ: الطين الممتن الأسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾، أي: متغير. قال مجاهد وقاتة: هو

المتن المتغير. وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سنتت الماء أي صببته. قال ابن عباس: هو التراب المبتل الممتن جعل صلصالًا كالفخار.

[٢٧] ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾، قال ابن عباس:

الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً وذكر المبرد أن قوله (فسجد الملائكة) كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله: (أجمعون).

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

[٣٢] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾، أراد: إني أفضل منه لأنه طيني، وأنا ناري والنار تأكل الطين.

[٣٤] ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، طريد.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، قيل:

إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض فهو ملعون في السماء والأرض.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، أراد

الحيث أن لا يموت.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ .

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ﴾، أي: الوقت

الذي يموت فيه الخلائق وهو النسخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، أضللتني. وقيل:

خيتني من رحمتك، ﴿لَأُرْسِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾،

حب الدنيا ومعاصيك، ﴿وَأَغْوَيْتَنَّهُمْ﴾، أي:

لأضلنهم، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ .

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، المؤمنين

الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد، ومن فتح

اللام أي من أخلصته بتوحيديك فهديته واصطفيته.

[٤١] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ

مُسْتَقِيمٌ﴾، قال الحسن: معناه صراط مستقيم.

قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه

طريقه ولا يعوج عليه شيء. وقال الأخفش: يعني

على الدلالة على الصراط المستقيم. قال

سورة الحجر

٢٦٤

سورة الحجر

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ

لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ

فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا

أَغْوَيْتَنِي لَأُرْسِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ

أَتَبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٤﴾ أَذْخَلُوهَا إِسْلَاءً آمِنِينَ ﴿٤٥﴾

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

﴿٤٦﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ نَحْنُ عِبَادِي إِنَّا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنْ عَدَاوِي

هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول

الرجل لمن يخاصمه طريقك، أي: لا تفلت مني،

كما قال عز وجل: (إن ربك لبالمرصاد). وقيل:

معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق

والهداية.

[٤٢] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي:

قوة. قال أهل المعاني: يعني على قلوبهم. وسئل

سفيان بن عيينة عن هذه الآية؟ فقال: معناه ليس

لك عليهم سلطان تلقينهم في ذنب يضيق عنه

عفوي، وهؤلاء ثنية الله الذين هداهم واجتباهم.

﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ .

[٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يعني موعد

إبليس ومن تبعه.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، أطباق. قال علي كرم

الله وجهه: تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع

الرحمة لم يأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار<sup>(١)</sup>.

[٥١] قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَن صَيفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن الضيافة، والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليشيروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾، خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوَجَلْ﴾ لا تخف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾، أي: غلام في صغره عليم في كبره يعني إسحاق، فتعجب إبراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته.

[٥٤] ﴿قَالَ أُبَشِّرُكُمْونِي﴾ أي: بالولد ﴿عَلَىٰ أَن مَّسَىٰ الصُّبْحِ﴾، أي: على حال الكبر قاله على طريق التعجب، ﴿فِيمَا تُبَشِّرُونَ﴾، فبأي شيء تبشرون.

[٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قنط يقنط أي: من يأس، ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُّونَ﴾، أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكروه.

[٥٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم، ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، ما شأنكم، ﴿إِنَّمَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، مشركين.

[٥٩] ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ﴾، أتباعه وأهل دينه، ﴿إِنَّا

إحدي يديه على الأخرى، أي: سبعة أبواب بعضها فوق بعض وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض. قال ابن جريج: النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾، أي: لكل دركة قوم يسكنونها. وقال الضحاك: في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، في الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون، فذلك قوله تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار).

[٤٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، أي: في بساتين وأنهار.

[٤٦] ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة، ﴿سَلَامٌ﴾، أي: بسلامة ﴿ءَامِنِينَ﴾، من الموت والخروج والآفات.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾، هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد، ﴿إِخْوَانًا﴾، نصب على الحال، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾، يقابل بعضهم بعضًا لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُ﴾، لا يصيبهم، ﴿فِيهَا نَبْصٌ﴾، أي: تعب، ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، هذه أنص آية في القرآن على الخلود.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ عِبَادِي أَيْدِي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، قال ابن عباس: يعني لمن تاب منهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٠١/١١ والمصنف في شرح السنة ٣٧٨/١٤.

٢٦٥

سُورَةُ الْحَجَرِ

الْحَجَرِ

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا  
لَا نُوجِلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أْبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ  
مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَهُ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا نُبَشِّرُكَ بِالْحَقِّ  
فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاطِنِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ  
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ  
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ  
إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لَوْنُ  
الْعَنَدِيِّتِ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ  
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ  
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيُّهَا لَيْسَ لَكَ بِهَا لُحْمٌ يُضْمَرُ وَلَا يَنْفَعُكَ  
وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ  
دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعِ مَصْبِحِينَ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ  
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٧﴾ وَأَنْقُوا  
اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعُلَمِيِّتِ ﴿٦٩﴾

وحق على الرجل إكرام صيفه، ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾، فيهم.

[٦٩] ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ﴾، ولا تخجلون.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعُلَمِيِّتِ﴾، أي:

ألم نهك عن أن تضيف أحداً من العالمين. وقيل: ألم نهك أن تدخل الغرباء المدينة فإننا نركب منهم الفاحشة.

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أزوجهن إياكم إن

أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِمِينَ﴾، ما أمركم به. وقيل: أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأُمَّته.

[٧٢] قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، يا محمد أي

وحياتك، ﴿إِنَّهُمْ لِنِي سَكْرَتِهِمْ﴾، حيرتهم وضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾، يترددون، قال قتادة: يلعبون. روى

عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق

لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، خفف العجيم حمزة والكسائي وشدهه الباقون.

[٦٠] ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾، أي: امرأة لوط، ﴿قَدَرْنَا﴾، قضينا، ﴿إِنَّمَا لَوْنُ الْعَنَدِيِّتِ﴾، الباقين في العذاب، والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين، قرأ أبو بكر (قدرنا) ههنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال. والباقون بتشديدها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ لُوطُ لَهُمْ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ﴾

أي: أنا لا أعرفكم.

[٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾،

أي: يشكون في أنه نازل بهم وهو العذاب لأنه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه.

[٦٤] ﴿وَأَيُّهَا لَيْسَ لَكَ بِهَا لُحْمٌ يُضْمَرُ وَلَا يَنْفَعُكَ بِالْحَقِّ﴾، باليقين. وقيل:

بالعذاب، ﴿وَأَيُّهَا لَصِدْفُونَ﴾.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِبْ بِهَؤُلَاءِ بِنَفْسِكَ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ﴾

أي: خلفهم، ﴿وَلَا يَنْفَعُكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾، حتى لا يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم. وقيل: جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط، ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني الشام. وقال مقاتل: يعني زغر. وقيل: الأردن.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ﴾، أي وقضينا

إلى آل لوط ذلك الأمر أي أحكمنا الأمر الذي أمرنا في قوم لوط، وأخبرناه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾، يدل عليه قراءة عبدالله وقلنا له إن دابر هؤلاء يعني أصلهم، ﴿مَقْطُوعِ مَصْبِحِينَ﴾، مستأصل، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، إذا دخلوا في الصبح.

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾، يعني سدوم،

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، بأضياف لوط أي: يبشر بعضهم بعضاً طمعاً في ركوب الفاحشة منهم.

[٦٨] ﴿قَالَ لُوطُ لِقَوْمِهِ﴾، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي﴾،

الله نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما أقسم الله تعالى بحية أحد إلا بحياته (١).

[٧٣] ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾، أي: حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتمامه حين أشرقوا.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قال ابن عباس: للناظرين. وقال مجاهد: للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مقاتل: للمتفكرين.

[٧٦] ﴿وَأَنهَآ﴾، يعني قرى قوم لوط، ﴿لِلسَّبِيلِ مُتَمِّيرٍ﴾، أي: بطريق واضح، وقال مجاهد: بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل.

[٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾، وقد كان ﴿أَصْحَابُ الْآيِكَةِ﴾، الغيضة، ﴿لَطَّالِيِينَ﴾، لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل.

[٧٩] ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمُ﴾، بالعذاب وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤوا إليها يلتسمون الروح، فبعث عليهم منها ناراً فأحرقتهم، فذلك قوله تعالى: (فأخذهم عذاب يوم الظلة) ﴿وَأَنهَآ﴾ يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾، لبطريق واضح مستبين.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ﴾، وهي مدينة ثمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، أراد صالحاً وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل كلهم.

[٨١] ﴿وَأَلَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا﴾، يعني: الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها

٢٦٦

قَالَ هَتُوْلَاءِ بِنَاتِيْ اِنْ كُنْتُمْ فَعٰلَمِيْنَ ﴿٧٦﴾ لَعْمَرِكُ اِيْنَهُمْ لَفِيْ سَكْرٰتِهِمْ يَمْمَهُونَ ﴿٧٧﴾ فَاخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِيْنَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٥﴾ اِنْ فِيْ ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِيْنَ ﴿٧٥﴾ وَاِنهَآ لِبِسْبِيْلِ مُتَمِّيرٍ ﴿٧٦﴾ اِنْ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٧٧﴾ وَاِنْ كَانْ اَصْحَابُ الْاَيِكَةِ لَطَّالِمِيْنَ ﴿٧٨﴾ فَاَنقَمْنَا مِنْهُمُ وَاِنهَآ لِيَا مِرْمِيْنَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ اَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِيْنَ ﴿٨٠﴾ وَاَلَيْنَهُمْ ءَايٰتِنَا فَاكٰنُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ ﴿٨١﴾ وَاَكٰنُوْا يَسْتَحُوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتَا ءَاْمِنِيْنَ ﴿٨٢﴾ فَاخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِيْنَ ﴿٨٣﴾ فَمَا اَعْنٰى عَنْهُمْ مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَاِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاُصْفِحْ الصَّفْحَ الْجَمِيْلَ ﴿٨٥﴾ اِنْ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيْمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَايٰتُنَا سَبْعًا مِّنَ الْمَنٰفِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيْمِ ﴿٨٧﴾ لَآ تَمُدَّنْ عَيْنِيْكَ اِلَى مَا مَتَعْنَاهُ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ اِنِّيْٓ اَنَا النَّذِيْرُ الْمُبِيْنُ ﴿٨٩﴾ كَمَا اَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقَسَّمِيْنَ ﴿٩٠﴾

وقرب ولادها وغزارة لبنها، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَكَانُوا يَسْتَحُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتَا ءَاْمِنِيْنَ﴾، من الخراب ووقوع الجبل عليهم.

[٨٣] ﴿فَاخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ﴾، يعني: صيحة العذاب، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، أي: داخلين في وقت الصبح.

[٨٤] ﴿فَمَا اَعْنٰى عَنْهُمْ مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾، من الشرك والأعمال الخبيثة.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَاِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، يعني: القيامة ﴿لَآتِيَةٌ﴾، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٤/١٤ والحارث بن أبي أسامة في مسنده وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر الدر المنثور ٨٩/٥ والمطالب العالية ٣/٣٤٧.

القرآن العظيم. وقيل: الواو مقحمة مجازة: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني القرآن العظيم.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَدْنَنَّ عَيْنِكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الكفار متمنياً لها، نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: لا تعتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا، ﴿وَأَخْفِضْ جَانِحَكَ﴾، لِيَسْ جَانِبِكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وارفق بهم والجناحان من ابن آدم جانباه.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

[٩٠] ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال الفراء: مجازة أندركم عذاباً كعذاب المقتسمين، حكي عن ابن عباس أنه قال: هم اليهود والنصارى.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، جزؤوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه. وقيل: المقتسمون قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: شعر. وقال بعضهم: كذب. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا: ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقاب مكة وطرفها، وقعدوا على نقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا، وتقول طائفة منهم: إنه مجنون وطائفة إنه كاهن وطائفة إنه شاعر، والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه

بإساءته، ﴿فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، فأعرض عنهم وأعف عفواً حسناً. نسختها آية القتال.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، قال عمر وعلي: فاتحة الكتاب. وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبيرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»<sup>(١)</sup>، وعن ابن مسعود قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني؟ فقال ابن عباس والحسن وقاتدة: لأنها تُتَنَّى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء، كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يقول الله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»<sup>(٢)</sup>، وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وقال مجاهد: سميت مثاني لأن الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم. وقال أبو زيد البلخي: سميت مثاني لأنها تُتَنَّى أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثبتت عثاني. وقيل: لأن أولها ثناء. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: إن السبع المثاني هي السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفضل». وقال طاووس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني). وسمي القرآن مثاني لأن الأنبياء والقصاص ثبتت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا وهي

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الحجر ٣٨١/٨. (٢) أخرجه مسلم في الصلاة رقم (٣٩٥) ٣٩٦/١ والمصنف في شرح السنة ٤٧/٣.

النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. وروى عن عبدالله بن عبيدة قال: كان مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، نسختها آية القتال.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ بك وبالقرآن، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: فاصدع بأمر الله ولا تخف أحداً غير الله عز وجل فإن الله كافيك من عاداك كما كافاك المستهزئين، وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم - والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس ابن الطلاطلة.

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وقيل: استهزأؤهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في سورة العنكبوت.

[٩٧] فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَأْنَاكَ يُبَيِّقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، من المصلين المتواضعين، وقال الضحاك: فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده، وكن من الساجدين، يعني: من المصلين. وروى أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة<sup>(١)</sup>.

[٩٩] ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أي

حكماً فإذا سئل عنه قال: صدق أولئك يعني المقتسمين. وقوله: (عضين) قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضيةً، إذا فرقته ومعناه أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين، وأصلها عضة ذهبت هاؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفهة بدليل أنك تقول في التصغير شفيفة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان. وقيل: المراد بالعضين العضه وهو السحر يريد أنهم سمو القرآن سحرًا.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُمَّ أَجْمِينَ﴾، يوم القيامة.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا قال محمد بن إسماعيل: قال عدة من أهل العلم عن قوله لا إله إلا الله، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)، قيل: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان: سؤال استعلام وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)، يعني: استعلامًا. وقوله: (لنسالنهم أجمعين) يعني توبيخًا وتقريعًا. وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها، نظير ذلك قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون)، وقال في آية أخرى: (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون).

[٩٤] قوله تعالى: ﴿فَأَصَدَّعَ بِمَا تُوْمَرُ﴾، قال ابن عباس: أظهره. ويروى عنه: أمضه. وقال الضحاك: أعلم. وقال الأخفش: أفرق، أي: أفرق بالقرآن بين الحق والباطل. وقال سيبويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصدع الفصل والفرق، أمر

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ٩٤/٢ والإمام أحمد في المسند ٣٨٨/٥ والمصنف في شرح السنة ١٥٥/٤ وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة ٤١٦/١.



الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم: (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا).

## (١٦) سورة النحل

[١] ﴿أَنۡ﴾ أي: جاء ودنا وقرب، ﴿أَمُرُ اللَّهِ﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب: أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعده. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقوعاً، (أمر الله) قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: (اقتربت الساعة) قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فنزل قوله: (اقترب للناس حسابهم)، فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: (أتى أمر الله) فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا<sup>(١)</sup>. والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه، ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه وإن كادت لتسبقني» وقال قوم: المراد بالأمر ههنا عقوبة المكذوبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقتل النضر يوم بدر صبراً. ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، معناه تعظيم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون.

[٢] ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾، قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي، و(الملائكة) نصب. وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وفتح الزاي و(الملائكة) رفع، ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوحي سماه روحاً لأنه يُحيي به

سُورَةُ النَّحْلِ

٢٦٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِضِينَ ﴿١١﴾ فَوْرِكَ لِنَشَلْتَهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تَأْمُرُ وَأَعْرِضُ  
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ  
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَا  
 أَنْتَ كَيِّدٌ صِدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
 مِنَ السَّجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَقًّا يَا أَيُّكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾

### سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَنۡ أَمَرَ اللّٰهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 ﴿١﴾ يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ  
 أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
 الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالنَّعْمَ  
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾  
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴿٦﴾

القلوب والحق. قال عطاء: بالنبوة. وقال قتادة: بالرحمة. قال أبو عبيدة: بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل. ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾، أعلموا، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وقيل: معناه مروهم بقول لا إله إلا الله مندرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا. وقوله: فاتقون أي: فخافون.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أي: ارتفع عما يشركون.

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٣٢١ بدون إسناد وبمعناه أخرجه الطبري ٧٥/١٤. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥٠/٢ قال ابن حجر في الفتح: أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن وأصل الحديث في البخاري كتاب الرقاق ٣٤٧/١١ وفي مسلم في كتاب الفتن ٤/٢٢٦٨.

الجزء الرابع عشر

٢٦٨

سورة النحل

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَشِقُّ  
 الْإِنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ  
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾  
 وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ  
 شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ  
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ  
 الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾  
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
 مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ  
 ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي  
 سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَاكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا  
 مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيبًا تُسُومُنَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ  
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

حَصِيمٌ ﴿٧﴾، جدل بالباطل، ﴿ثَيْنٌ﴾، نزلت في أبي  
 ابن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم  
 رميم فقال: أتقول إن الله تعالى يحيي هذا بعد ما  
 قد رم؟ كما قال جل ذكره (وضرب لنا مثلا ونسي  
 خلقه) نزلت فيه أيضا. والصحيح أن الآية عامة،  
 وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحود  
 نعم الله مع ظهورها عليهم.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْهَادَ خَلَقَهَا﴾، يعني الإبل  
 والبقر والغنم، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ﴾ يعني: من  
 أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفا  
 تستدفئون بها، ﴿وَمَنْعُغٌ﴾، بالنسل والدر والركوب  
 والحمل وغيرها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، يعني لحومها.  
 [٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾، زينة، ﴿حَيْرٌ  
 تُرِيحُونَ﴾، أي: حين تردونها بالعشي من مراعيها  
 إلى مباركها التي تأوي إليها، ﴿وَحَيْرٌ تَرْحُونَ﴾،  
 أي: تخرجونها بالغداة من مراعيها إلى مسارحها،  
 وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح،  
 ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت.

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾، أحمالكم، ﴿إِلَىٰ  
 بَلَدٍ﴾، آخر غير بلدكم. ﴿لَمْ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَشِقُّ  
 الْإِنْفُسِ﴾، أي: بالمشقة والجهد. والشق: النصف  
 أيضا أي: لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس  
 وذهاب نصفها. وقرأ أبو جعفر (بشق) بفتح الشين  
 وهما لغتان مثل رطل ورطل. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ  
 رَّحِيمٌ﴾، بخلقه حيث جعل لكم هذه المنافع.

[٨] ﴿وَالخَيْلَ﴾، يعني: وخلق الخيل وهي اسم  
 جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء  
 والسماء. ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، يعني  
 وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ﴾ من وسائل الانتقال وأسباب الزينة،  
 وقيل: يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار  
 لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر  
 على قلب بشر.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني:

بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق  
 بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم.  
 ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن  
 الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل دين الإسلام،  
 والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل  
 الكفر. قال جابر بن عبدالله: قصد السبيل بيان  
 الشرائع والفرائض. وقال عبدالله بن المبارك وسهل  
 ابن عبدالله: قصد السبيل السنة. ومنها جائر:  
 الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: (وأن هذا  
 صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل). ﴿وَلَوْ  
 شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، نظيره قوله تعالى: (ولو  
 شئنا لآتينا كل نفس هداها).

[١٠] قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ

مِنْهُ شَرَابٌ﴾، تشربونه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾، أي: من

[١٥] ﴿وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَّسِكَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لثلا تميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: ميد قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: إن هذه غير مقررة أحدًا على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال، ﴿وَأَنْهَرَا وَسَيْلًا﴾ أي: وجعل فيها أنهارًا وطرقًا مختلفة ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾، إلى ما تريدون فلا تضلون.

[١٦] ﴿وَعَلَّمَتِ﴾، يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: وهنا تم الكلام ثم ابتداء، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به.

[١٧] ﴿أَمْنَ يَخْلُقُ﴾، يعني: الله تعالى، ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، يعني: الأصنام، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾. [٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب (يدعون) بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي: الأصنام ﴿غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، يعني الأصنام ﴿إِنَّا﴾ متى ﴿يُعْتُونَ﴾، والقرآن يدل على أن الأصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها وقيل: ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يعثون.

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ١٠٨/٣ وذكره الزمخشري في الفائق ٣٥٠/٣ وابن الأثير في النهاية ٤/٣٠٥ والزيلعي في نصب الراية ١٠٣/٢.

ذلك الماء شراب أشجاركم حياة نباتكم، ﴿فِيهِ﴾ يعني: في الشجر، ﴿تُسِيمُونَ﴾، ترعون مواشيكم.

[١١] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ أي: ينبت الله لكم به يعني الماء الذي أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم (نبت) بالنون. ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾، ذلل لكم ﴿الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، مذللات، ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بإذنه وقرأ حفص عن عاصم (والنجوم مسخرات) بالرفع على الابتداء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأُ﴾، خلق، ﴿لَكُمْ﴾، لأجلكم: أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، ﴿مُخْلَقَاتٍ﴾ نصب على الحال، ﴿الْوَهَّاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾، يعتبرون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَسَخَّرَ جَوْهًا مِنْهُ حَلِيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِرَ فِيهِ﴾، جوارى فيه. قال قتادة:

مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفيتين إحدهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة. وقال الحسن: مواخر أي مملوءة. وقال الفراء والأخفش: مواخر شواق تشق الماء يجوؤها. قال مجاهد تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح»<sup>(١)</sup> أي: لينظر من أين مجراها وهبوبها حتى لا يرد عليه البول. وقال أبو عبيدة: صوائخ والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: التجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، إذ رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

سُورَةُ النَّحْلِ

٢٦٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَانْتَهَرُوا سُبُلًا  
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِاللَّجِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ  
 ﴿١٦﴾ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ  
 تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ هُمْ غَيْرُ  
 أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ  
 فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ  
 ﴿٢٢﴾ لَأَجْرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ إِنَّهُ  
 لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ  
 قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا  
 سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 فَأَفَّكَ اللَّهُ بَنِينَ لَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ  
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

الْقَوَاعِدُ: أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها،  
 فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ: يعني أعلى البيوت ﴿٢٦﴾ مِنْ  
 فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، من  
 مَأْمَنِهِمْ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِجُهُمْ﴾، يهينهم  
 بالعذاب، ﴿وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْفِقُونَ  
 فِيهِمْ﴾، تخالفون، المؤمنون فيهم ما لهم لا  
 يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع  
 النون من (تشاقون) على الإضافة، والآخرون  
 بفتحها. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾، وهم المؤمنون،  
 ﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾، الهوان، ﴿الْيَوْمَ وَالسَّوءَ﴾، أي:  
 العذاب، ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٩١) ٥٣/١ والمصنف  
 في شرح السنة ١٣/١٦٥. (٢) أخرجه مسلم في العلم رقم  
 (٢٦٧٤) ٤/٢٠٦٠ والمصنف في شرح السنة ١/٢٣٢.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾، جاحدة، ﴿وَهُمْ  
 مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متعظمون.

[٢٣] ﴿لَا جْرَمَ﴾، حَقًّا ﴿أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
 تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن  
 عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان  
 في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في  
 قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول  
 الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله  
 حسنا؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر  
 بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: لهؤلاء الذين لا  
 يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا  
 عقابها إذا سأل منهم الحاج، ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا  
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ أي: ليجعلوا، ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾،  
 ذنوب أنفسهم، ﴿كَامِلَةً﴾، وإنما ذكر الكمال لأن  
 البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من  
 الحسنات لا تكفر عنهم شيئا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ  
 أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، بغير حجة  
 فيصدونهم عن الإيمان، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾، ما  
 يحملون. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:  
 «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من  
 تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى  
 ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا  
 ينقص ذلك من آثامهم شيئا»<sup>(٢)</sup>.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ﴾، وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل  
 ليصعد السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول  
 الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال كعب  
 ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت  
 رأسه في البحر وخرّ عليهم الباقي وهم تحته،  
 فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَفَّكَ اللَّهُ بَنِينَ لَهُمْ مِنَ

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة (يتوفاهم) بالياء وكذا ما بعده، ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بالكفر ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿فَالْقَوْمَ الْأَسَرَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، شرك فقال لهم الملائكة، ﴿بَلَىٰ إِنْ أَنَّىٰ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر.

[٢٩] ﴿فَادْخُلُوا﴾ أي: قال لهم ادخلوا ﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسِّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، عن الإيمان، (وقيل للذين اتقوا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون: ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون، ولو لم تلقه خير، فيقول السائل: إنا شر وفد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث.

[٣٠] فذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ يعني: أنزل خيراً، ثم ابتداء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، كرامة من الله. قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر. وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، أي ولدان الحال الآخرة، ﴿خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾، قال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها.

[٣١] فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧٠

سُورَةُ النَّحْلِ

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا السَّعْرَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنْ أَنَّىٰ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسِّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا فَاَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَاصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَقْوَاهُمْ. وقيل: معناه إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿سَلِّمْ عَلَيْنَا﴾، وقيل: معناه يبلغونهم سلام الله، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كفروا كما كفر الذين من قبلهم، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبه إياهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٣٤] ﴿فَاصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧١

سُورَةُ النَّحْلِ

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُمَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرًا لِآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة. وقيل: معناه لنحسن إليهم في الدنيا. وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿وَلَآجِرًا لِآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله: (لو كانوا يعلمون) ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

[٤٢] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في الله على ما نالهم، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا فهل بعث إلينا ملكًا، ﴿فَتَسَلَّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾،

شَيْءٍ﴾، يعني في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا إلى غيرها، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: كما بعثنا فيكم، ﴿أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُمَاتِ﴾، وهو معبود من دون الله، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداة الله إلى دينه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي وجبت: بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾، أي: مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

[٣٧] ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾، يا محمد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، قرأ أهل الكوفة (يهدي) بفتح الياء وكسر الدال أي: لا يهدي الله من أضله. وقيل: معناه لا يهتدي من أضله الله، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: (من يضل الله فلا هادي له)، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي: مانعين من العذاب.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٩] ﴿لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون، ﴿فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء مما يحدث إنما نقول له: كن فيكون.

[٤١] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا﴾، عذبوا وأودوا في الله، قال قتادة: هم

يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ .  
 [٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله (بالبيّنات) قيل: هي راجعة إلى قوله: (وما أرسلنا) من قبلك بالبيّنات والزبر غير مجاز: وما أرسلنا من قبلك ملائكة. وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحي إليهم أرسلناهم بالبيّنات والزبر. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مبيّناً للوحي وبيان الكتاب يُطلب من السنة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ .

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾، عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، من قبل يعني نمروود بن كنعان وغيره الكفار، ﴿أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾، بالعذاب، ﴿فِي تَقْلِيهِمْ﴾، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، السابقين الله .

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾، والتخوف: النقص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئاً بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه، ويقال: هذا لغة بني هذيل. وقال الضحّاك والكلبي: هو من الخوف، أي: أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَحِيمٌ﴾، حين لم يعجل بالعقوبة .

[٤٨] قوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت، والآخرون بالياء خبيراً عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل، ﴿يَنْفَعَتُوا﴾، قرأ أبو عمر، ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء. ﴿ظِلَلُهُ﴾، أي: تميل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعَتُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ لِسُجْدِ اللَّهِ وَهُدًى خُرُونًا ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ سُبْحَانَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّهِ حُبًّا إِنَّنِينَ إِتْمَاهُ لِلَّهِ وَحَدِيثُنِي فَأَنْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْيَمِينُ وَاصْبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ عِتْمَةٍ فَرِحْتُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْفُ فَإِلَيْهِ تَجْرُؤُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرْفُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِحْتُمْ بِرَبِّكُمْ يَسُرُّونَ ﴿٥٤﴾

وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى، سجداً لله فميلانها ودورانها سجودها لله عز وجل . ويقال للظل بالعشي: فيء لأنه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل . يقال: سجدت النخلة إذا مالت . قوله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ لِسُجْدِ اللَّهِ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله . وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإن قيل: لم وحد اليمين وجمع الشمال؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)، وقوله: (يخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: (وما خلق الله) ولفظ (ما)

واحد والشمائل جمع يرجع إلى المعنى. ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾، صاغرون.

[٤٩] ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، إنما أخبر بـ (ما) لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿مِنْ دَابَّوْا﴾، أراد من كل حيوان يدب. ويقال: السجود الطاعة والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى: (قالنا أتينا طائعين)، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسُخِّرَتْ له. وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق). ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشریفًا ورفعًا لشأنهم. وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالديب إذ لهم أجنحة يطرون بها. وقيل: أراد والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٥٠] ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ نَوْفِهِمْ﴾، كقوله: (وهو القاهر فوق عباده). ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[٥١] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِنِّي سَأخَذُّنَّ مِنْكُمْ أَمْثًا وَأَنْتُمْ قَائِلُونَ﴾، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِنِّي سَأخَذُّنَّ مِنْكُمْ أَمْثًا وَأَنْتُمْ قَائِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿وَإِصْبًا﴾، دائمًا ثابتًا، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿أَفَعَبَّرَ اللَّهُ لَنْفُونًا﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، أي: وما يكن من نعمة فمن الله، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، القحط والمرض، ﴿فَالْيَاثِرُونَ﴾،

تضحون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة. [٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِحُوا بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ليجحدوا، ﴿بِمَاءِ آيَاتِنَاهُمْ﴾، وهذه اللام تُسمى لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿فَتَسَوَّأُوا﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، له حقًا أي: الأصنام، ﴿صُيُبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، من الأموال وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿تَاللَّهِ لَأُنْتَنَنَّ﴾، يوم القيامة، ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، في الدنيا.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُمْ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون (ما) في محل النصب، ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون (ما) في محل الرفع.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾، متغيرًا من الغم والكراهية، ﴿وَهُوَ كَاطِمٌ﴾، وهو ممتلىء حزنًا وغيظًا فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

[٥٩] ﴿يَنْوَرِي﴾، أي: يخفي، ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ من سوء ما بُشِّرَ بِهِ، من الحزن والعار ثم يتفكر ﴿أَيْسَكَّرُ﴾، ذكر الكناية ردًا على (ما) ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ أي: هوان، ﴿أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾، أي: يخفيه فيئده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء خوفًا من الفقر عليهم وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧٣

سُورَةُ النَّحْلِ

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُ لَنُتَلَّانَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ تَتَوَرَّى مِنَ الْغَوَامِبِ مِنَ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّنْتَهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَىٰ لَاجِرِمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَأَلَّفَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وِلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أي: تقول، ﴿السُّنْتَهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَىٰ﴾، يعني البنين محل (إن) نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسنى: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقًا بالوعد في البعث. ﴿لَا جِرْمَ﴾، حقًا. قال ابن عباس: بلى، ﴿أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾، في الآخرة، ﴿وَأَنْتُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، قرأ نافع بكسر الراء أي: مسرفون، وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبيرة: مبعدون، وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلى النار. قال الفراء: مقدمون إلى النار، ومنه قوله ﷺ: ﴿أنا فرطكم على الحوض﴾<sup>(١)</sup> أي: متقدمكم.

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ٤٦٣/١١ ومسلم في الطهارة رقم (٢٤٩) ٢١٨/١.

شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى صارت سداسية قال لأمها زينها حتى أذهب بها إلى أحماثها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عز وجل: (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: (الكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى)، وقيل: بس حكمهم وأد البنات.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنين ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكرامية الإناث وقتلن خوف الفقر، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَىٰ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦١] ﴿وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذکور، ﴿مِن دَابَّةٍ﴾، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الأرض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام. وقيل: إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد. ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿مُسَمًّى﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

[٦٢] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿وَتَصِفُ﴾،

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمَا فِي بَطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ قَرْتٍ وَدَمْرٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبَيْنِ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتُخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ نَوَّعَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَرْزُقَ الْعُمَرَ لَكِنِ لَا يَأْتِيهِمْ بِهِ إِلَّا شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرِزْقَكُمْ مِنْ أَلطِّيبَاتٍ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن: ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النيذ المسكر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي، ومن يبيح شرب النيذ ومن حرم يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: (تتخذون منه سكرًا) منسوخ، روي عن ابن عباس قال: السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل. وقال أبو عبيدة: السكر الطعم يقال: هذا سكر لك أي: طعم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ﴾، أي: ألهمها

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة، ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾، الخبيثة، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾، ناصرهم، ﴿الْيَوْمَ﴾، وقرينهم سماه وليًا لهم لطاعتهم إياه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[٦٤] ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، من الدين والأحكام، ﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانًا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله (لتبين).

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، يبوستها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سمع القلوب لا سمع الأذان.

[٦٦] ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾، لعظة، ﴿شَتَقِيكُمْ تَمًّا فِي بَطُونِهِ﴾، قال الفراء: رد الكناية إلى النعم، والنعم والأنعام واحد، ولفظ النعم مذكر قال أبو عبيدة والأخفش: النعم يذكر ويؤنث فمن أنث فالمعنى الجمع ومن ذكر فلحكم اللفظ. قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن إذا ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمرة، ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْتٍ﴾، وهو ما في الكرش من الثقل فإذا خرج منه لا يُسمى قرثًا، ﴿وَدَمْرٍ لَبِنًا خَالِصًا﴾، من الدم والقرث ليس عليه لون دم ولا رائحة قرث، ﴿سَائِغًا لِلشَّرْبَيْنِ﴾، هنيئًا يجري على السهولة في الحلق.

[٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾، يعني: ولكم أيضًا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعنان، ﴿لَتُخَذُونَ مِنْهُ﴾، والكناية في (منه) عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، قال قوم: السكر: الخمر، والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والرُّبُّ،

الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وما له أفعدلون بالله خلقه وعباده، ﴿أَفِينَعَمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، بالإشراك به.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يعني: النساء خلق من آدم وزوجته حواء، وقيل: من أنفسكم أي: من جنسكم أزواجًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً﴾، قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضًا أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجنهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة والحسن والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أعانك فقد حفدك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم. قال الكلبي ومقاتل: البنين الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله. وروى مجاهد وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أنهم ولد الولد. وروى العوفي عنه: أنهم بنوا امرأة الرجل ليسوا منه ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، من النعم الحلال، ﴿أَفَأَلْبِطِلُ﴾، يعني الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، يعني التوحيد والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، وبنعمة الله أي بما أحل الله لهم يكفرون يجحدون تحليله.

[٧٣] ﴿وَبِعَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ﴾، يعني المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعني النبات، ﴿شَيْئًا﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئًا قليلًا ولا كثيرًا. وقال الفراء: نصب شيئًا بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيئًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ولا يقدرُونَ على شيء بذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر.

وقذف في أنفسها فهمته، والنحل زنابير العسل وأحدها نحلة. ﴿أَنْ أَخَذِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا مِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، يبنون، وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تأوى إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء) ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذلة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة متقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف ووقت وإذا سار سارت، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، يعني: العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: في العسل وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيعتبرون.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ﴾، صبيانًا أو شبانًا أو كهولًا، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، أردته قال مقاتل: يعني الهرم. قال قتادة: أزدل العمر: تسعون سنة. روي عن علي قال: أزدل العمر: خمس وسبعون. وقيل: ثمانون سنة. ﴿لِيَكُنَّ لَكُمْ آيَةً لِلَّذِينَ يَدَّبَعُوا عَلَيْهَا شِئْيَاءٌ﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، بسط عن واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر. ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلْنَا بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من العبيد، ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك، يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا مثل ضربه

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكاً فإنه واحد لا مثل له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر، فقال جل ذكره.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، هذا مثل الكافر رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيراً، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِتَّارًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالاً فعمل فيه بطاعة الله وأنفق في رضاء الله سرّاً وجهراً فأثابه الله عليه الجنة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل هل يستويان لمكان (من) وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله (لا يستطيعون) بالجمع لأجل من، معناه: هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العامي والمؤمن المطيع. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله عز وجل لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون، ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال:

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾، كل ثقل ووبال على مولاة ابن عمه وأهل ولايته، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾، يرسله، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، (وهو كل على مولاة) عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه، ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، يعني: الله فإنه قادر متكلم يأمر بالتوحيد، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال الكلبي: يعني يدلکم على صراط مستقیم. وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقیم. وقيل: كلا المثليين للمؤمن

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِتَّارًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾

والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء الأبكم أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاة كان عثمان ينفق عليه وكان مولاة يكره الإسلام.

[٧٧] ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾، في قرب كونها، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾، إذا قال له كن فيكون، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، بل هو أقرب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾، تم الكلام ثم ابتداء فقال جل وعلا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾،

سُورَةُ النَّحْلِ

٢٧٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمَمِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتَّبِعُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا لَهُمْ يَسْتَعِينُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ آرَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَاهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذْ آرَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاءُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَّامِينَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعِينَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

سَرَابِيلٌ ﴿٨٠﴾ قمصًا من الكتان والقز والقطن والصوف، ﴿تَقِيَكُمُ﴾، ﴿تَمْنَعُكُمْ﴾، ﴿الْحَرَّ﴾، قال أهل المعاني: أراد الحر والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ﴾، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، تخلصون له الطاعة.

﴿٨٢﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، فإن أعرضوا فلا يلحق في ذلك عتب ولا سمة تقصير، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمَمِينُ﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، قال السدي يعني: محمدًا ﷺ، ﴿ثُمَّ يُكْفَرُونَهَا﴾، يكذبون به. وقال قوم: هي الإسلام. وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عدَّ لهم من النعم في هذه السورة يقرون أنها من الله، ثم قيل لهم: تصدقوا وامثلوا لأمر الله فيها ينكرونها

لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، نعمة كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم، وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم، كما قال فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب: (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) لا يشكرون نعمه.

[٧٩] ﴿أَمْ يَرَوْنَ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله: (ويعبدون). ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾، مذلات، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ وهو الهوى بين السماء والأرض، روى كعب الأحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلًا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السكاك السماء ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ في الهواء ﴿إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي هي من الحجر والمدر، ﴿سَكَنًا﴾ أي: مسكنًا تسكنونه، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾، يعني الخيام والقباب والأحبية والفساطيط من الأنطاع والأدم، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يخف عليكم حملها، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾، رحلتكم في سفركم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾، يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز، والكناية راجعة إلى الأنعام، ﴿أَثْنَا﴾، قال ابن عباس: مألًا. قال مجاهد: متاعًا. قال الفتيبي: الأثاث المال جميعه من الإبل والغنم والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، ﴿وَمَتَاعًا﴾، بلاغًا ينتفعون بها، ﴿إِلَى حِينٍ﴾ يعني إلى حين الموت. وقيل: إلى حين تلبى.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الأبنية والأشجار، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾، يعني: الأسراب والغيران واحدها كن ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ

سورة النحل

٢٧٧

الَّذِينَ كَفَرُوا

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ  
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ  
 أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ  
 هَؤُلَاءِ وَزَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى  
 وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
 وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾  
 وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ  
 بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ  
 اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ  
 غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا  
 بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ  
 اللَّهُ بِهِ وَلِيْبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾  
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مَنْ  
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

هَؤُلَاءِ ﴿٨٨﴾، الذين بعثت إليهم ﴿٨٨﴾ وَزَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
 بُيُوتًا ﴿٨٩﴾، بيانا، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه من الأمر  
 والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿وَهَدَى﴾، من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾، بشارة  
 ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، بالإنصاف،  
 ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾، إلى الناس وعن ابن عباس: العدل: التوحيد والإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى  
 قول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: العدل التوحيد،  
 والإحسان: العفو عن الناس، ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾، صلة الرحم، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾، ما  
 (١) قطعة من الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في الإيمان ١١٤/١ ومسلم في الإيمان برقم (٨) ٣٦/١.

فيقولون ورثتها من آبائنا. وقال الكلبي: هو أنه لما  
 ذكر لهم هذه النعمة قالوا: نعم هذه كلها من الله  
 ولكنها بشفاعة آلهتنا. وقال عوف بن عبد الله: هو  
 قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما  
 كان كذا، ﴿وَأَكْرَهُمُ الْكُفْرُونَ﴾، الجاحدون.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
 شَهِيدًا﴾، يعني رسولاً ﴿ثُمَّ لَا يُوَدِّتُ لِلَّذِينَ  
 كَفَرُوا﴾، في الاعتذار، وقيل: في الكلام  
 أصلاً، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبُونَ﴾، يسترضون، يعني: لا  
 يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار  
 تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة  
 المعنى في الاستعتاب أنه التعرض لطلب الرضا  
 وهذا الباب مُنسد في الآخرة على الكفار.

[٨٥] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا،  
 ﴿الْعَذَابَ﴾، يعني جهنم، ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ  
 يُنظَرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يوم القيامة،  
 ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾، أوثانهم، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا  
 الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾، أرباباً وعبدهم،  
 ﴿فَالْقَوْلُ﴾، يعني الأوثان، ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، أي:  
 قالوا لهم، ﴿إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾، في تسميتنا آلهة ما  
 دعوناكم إلى عبادتنا.

[٨٧] ﴿وَالْقَوْلُ﴾، يعني المشركين ﴿إِلَى اللَّهِ  
 يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ﴾، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم،  
 ولم تغن عنهم آلهتهم شيئاً، ﴿وَصَلَّ﴾، وزال،  
 ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، من أنها تشفع لهم.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾،  
 منعوا الناس عن طريق الحق ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ  
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾، في الدنيا بالكفر  
 وصد الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ  
 أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني نبيها لأن الأنبياء كانت تبعث إلى  
 الأمم منها. ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾، يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَيَّ﴾

تكون، ﴿أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قومًا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك. ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ يَأْتِيهِمْ﴾، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، في الدنيا.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾، بخذلانه إياهم عدلاً منه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، بتوفيقه إياهم فضلاً منه، ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يوم القيامة.

[٩٤] ﴿وَلَا تَلْحَدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾، خديعة وفساداً، ﴿بَيْنَكُمْ﴾، فتغرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها، ﴿فَنَزَلَ لَكُمْ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه، ﴿وَتَدْرُؤُوا سُوءَ يَمَانِكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿وَلَا تَشْرَبُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنًّا قَلِيلًا﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضاً قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ﴾، من الثواب لكم على الوفاء بالعهد، ﴿حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك.

[٩٦] فقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾، أي: الدنيا وما فيها ينفى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجَزِيَنَّ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الوفاء في السراء والضراء، ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ

قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿وَالنُّكْرُ﴾، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، ﴿وَالْبَغْيُ﴾، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة: العدل استواء السر والعلانية، والإحسان: أن يكون سريره أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريره، ﴿يُعْظَمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، لعلكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية. وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: (إن الله يأمر بالعدل) إلى آخر الآية فقال له: يا ابن أخي أعد فعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

[٩١] قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾، والعهد هنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة اليمين، ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، تشديدها فتحثوا فيها، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كِفَالًا﴾، شهيداً بالوفاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عامًا، قيل: نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية. ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد.

[٩٢] فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه معناه: أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم إذا أنقضتم العهد، لا كفتتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به، ﴿أَنْكَاثًا﴾، يعني أنقاضاً واحدها نكث وهو ما نقض بعد القتل غزلاً كان أو حبلاً. ﴿تَلْحَدُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، أي: دخلًا وخيانة وخديعة والدخل: ما يدخل في شيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقض. ﴿أَنْ تَكُونُوا﴾ أي: لأن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧٨

سُورَةُ النَّحْلِ

وَلَا تَنجُدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمُ بَعْدُ بَوْتِهَا  
 وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ  
 وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ  
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ  
 أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ  
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ  
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٢﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ  
 عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا  
 سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ  
 ﴿١٠٤﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
 ﴿١٠٥﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الْقُدُسِ، جبريل، ﴿بَيْنَ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق،  
 ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: ليثبت قلوب  
 المؤمنين ليزدادوا إيمانًا و يقينًا، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ  
 لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ  
 بَشَرٌ﴾، آدمي وما هو من عند الله، و اختلفوا في  
 هذا البشر، قال ابن عباس: اسمه بلعام وكان  
 نصرانيًا أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون  
 رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون:  
 إنما يعلمه بلعام<sup>(١)</sup>. وقال عكرمة: كان النبي ﷺ  
 يُقرئ غلامًا لبني المغيرة يقال له يعيش، وكان يقرأ  
 الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه بشر، يعيش.  
 وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش

(١) أخرجه ابن جرير ١٤/١٧٧.

أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾، قال سعيد بن  
 جبير وعطاء: هي الرزق الحلال. قال الحسن:  
 هي القناعة. وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في  
 الطاعة. قال أبو بكر الوراق: هي حلاوة الطاعة.  
 وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن  
 الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في  
 الجنة. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، أي: إذا أردت قراءة  
 القرآن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، كقوله  
 تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا)،  
 والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن، وأكثر العلماء  
 على أن الاستعاذة قبل القراءة. وقال أبو هريرة:  
 بعدها ولفظه أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان  
 الرجيم. والاستعاذة بالله هي الاعتصام به.

[٩٩] ﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾، حجة وولاية، ﴿عَلَى  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، قال سفيان:  
 ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر.  
 [١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾،  
 يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ  
 مُشْرِكُونَ﴾، أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية  
 راجعة إلى الشيطان، ومجازة الذين هم من أجله  
 مشركون بالله.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً﴾، يعني  
 وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكمًا آخر،  
 ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾، أعلم بما هو أصلح  
 لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه، ﴿قَالُوا إِنَّمَا  
 أَنْتَ﴾، يا محمد، ﴿مُفْتَرٍ﴾، مختلق وذلك أن  
 المشركين قالوا: إن محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم  
 اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا ما هو إلا مفتر يتقوله  
 من تلقاء نفسه، قال الله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ﴾، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿رُوحٌ



٢٧٩

سُورَةُ النَّحْلِ

وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ أَبْصَرْتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰذِلُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿١١٠﴾ ثَمَّ آتٰ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قٰتَلْتُمْ جَهْدًا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١١﴾

وصهيًا وبلا لا وخبابًا وسالما فعذبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قُبَلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلوا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ قال: شرّ يارسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> وقال مقاتل: نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحسن إسلامه وهاجر

(١) أخرجه الطبري ١٤/١٨١ وعبد بن حميد والحاكم انظر الدر المشور ٥/١٧٢.

مملوك كان لحويطب بن عبدالعزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمي اللسان. وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب، وقال عبدالله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبادان من أهل عين النمر وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكان يقرآن التوراة والإنجيل فرميا مرّ بهما النبي ﷺ وهما يقرآن التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا أذاه الكفار يقعد إليهما ويستريح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبا لهم: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحًا، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحًا، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان.

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون. [١٠٥] فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، لا محمد ﷺ، فإن قيل: قد قال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله: (وأولئك هم الكاذبون)، قيل: إنما يفتري الكذب أخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرًا وأمه سمية

جبر مع سيده، ﴿وَلَيْكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: فتح صدره بالكفر بالقبول فاختره، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾، آثروا، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، لا يرشدهم.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَصْرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾، عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ لَهُ﴾، أي حقاً، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي المغبونون.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فِئَسُوا﴾، عذبوا ومنعوا من الإسلام فتنهم المشركون، ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾، من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١١١] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ﴾، تخاصم وتحتج، ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾، بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، ﴿وَتُؤَيِّقُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ﴾.

[١١٢] قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، يعني: مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾، قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَعْدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يُحمل إليها من البر والبحر، نظيره: (تجىي إليه ثمرات كل شيء). ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنعَمَ اللَّهُ﴾، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، ﴿فَآذَنَاهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُرُوعُ﴾ ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُؤَيِّقُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَعْدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمَ اللَّهُ فَآذَنَاهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُرُوعُ وَالْخَوْفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا وَنِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَاللَّحْمَ الْخَازِرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

﴿حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة، والجيف والكلاب الميتة، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هبك عادييت الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿وَالْخَوْفُ﴾، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾، محمد ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَاللَّحْمَ الْخَازِرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا

عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾ .

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لأجل وصفكم الكذب أي: أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره، ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، يعني البحيرة والسائبة، ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فتقولون إن الله أمرنا بهذا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، لا ينجون من عذاب الله.

[١١٧] ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني: الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في سورة الأنعام. وقوله تعالى: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية ﴿وَمَا ظَلَمْتُهُمْ﴾ بتحریم ذلك عليهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرمنا عليهم ببيغهم.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ يعني: بالإصلاح الاستقامة على التوبة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾، أي: من بعد الجهالة، ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن مسعود: الأمة معلم الخير أي: كان معلم الخير، يأتي به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع في أمة، قال مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار. قال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه ﴿فَأَنبَأَ اللَّهُ مَطِيعًا﴾ وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً على دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿وَلَوْ يَكُنُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ﴾، اختاره، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: إلى دين الحق.

[١٢٢] ﴿وَأَنبَأْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يعني الرسالة

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾  
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَافِيًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾  
 شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٨﴾  
 وَأَنبَأْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٩﴾  
 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾  
 إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْتَفَلُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢١﴾  
 أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٢﴾  
 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٣﴾  
 وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾  
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٥﴾

والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن. وقال مقاتل بن حيان: يعني الصلاة عليه في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم. ﴿وَأَنبَأْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، مع آباءه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير مجازة: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، حاجباً مسلماً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعاً.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى

نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية، قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية محكمة نزلت فيمن ظلم بظلمة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبية ﷺ.

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، أي: مما فعلوا من الأفاعيل، وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه يفتح الضاد. وقال ابن قتبية: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، المناهي، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالعون والنصرة.

## (١٧) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

[١] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، سبحان الله تنزه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة وتكون سبحان بمعنى التعجب أسرى بعبده، أي: سيره، وكذلك أسرى به، والعبد هو: محمد ﷺ، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة. روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول ﷺ قال: «بيننا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»، فذكر حديث المعراج وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ومعنى قوله: (من المسجد الحرام) أي: من الحرم. قال مقاتل:

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما جعل السب لعة على الذين اختلفوا فيه. وقيل: معناه ما فرض الله تعظيم السب وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه، يعني اليهود، قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرّمه بعضهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٢٥] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾، بالقرآن، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، يعني مواظب القرآن. وقيل: الموعدة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف، ﴿وَجِدَلْهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبلغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَعَاقِبَةٌ مِّثْلَ مَا عَاقِبَتُهُمْ بِهِ﴾، هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتالهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عمر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقرؤا بطنه فقال: «لئن أظفرنني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: (وإن عاقبتهم فعاقبوا) الآية. ﴿وَلِيِّنَ صَرَاحًا لِّقَوْمٍ يُشْكِرُونَ﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: بل نصبر، وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه. قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل

## سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مَنْحَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

يعني وقضينا عليهم، فألى بمعنى على، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿لِنُفْسِدَنَّ﴾، لام القسم مجازة: والله لتفسدن، ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ﴾، بالمعاصي، والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس، ﴿وَلِنَعْلُنَّ﴾، ولتستكبرن ولتظلمن الناس، ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾، يعني أولى مرتين، قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم. وقال محمد بن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى: قتل شعيا وارتكابهم المعاصي. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾، قال قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود. وقال سعيد بن جبيرة: يعني سنجاريب من أهل نينوى. وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر. ﴿أُولَى

كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في رمضان. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، يعني: بيت المقدس، وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد الحرام. ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركًا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ذكر السميع لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه. والأكثر على أنه أسرى بجسده في اليقظة وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

[٢] قوله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آلًا﴾، بالأ، ﴿تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾، ربًا كفيلاً، قرأ أبو عمرو: (لا يتخذوا) بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالتاء، يعني قلنا لهم لا تتخذوا.

[٣] ﴿ذُرِّيَّةً مَنْحَمَلْنَا﴾، قال مجاهد: هذا نداء يعني: يا ذرية من حملنا، ﴿مَعَ نُوحٍ﴾، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعامًا أو شرب شرابًا أو لبس ثوبًا قال: الحمد لله، فسمي عبدًا شكورًا، أي: كثير الشكر.

[٤] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه: يكون أمرًا كقوله: (وقضى ربك)، ويكون حكمًا كقوله: (إن ربك يقضي بينهم) ويكون خلقًا كقوله: (ففضاهن سبع سموات)، وقال ابن عباس وقتادة:

سورة الإسراء

٢٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْطَّرِيقِ وَالْآخِرَةُ وَكَانَ الْإِنْسَانُ جَحُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن فُحُوْنَاءَ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتُبْتَغُوا فَوْضَلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانَهُ نَقْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عِنْفِهِ وَنُخْرِجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّنْهَكَ قَرْيَةً أَمْرًا مَّرْفُوفًا فَفَسَّقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

بأسٍ، ذوي بطش، شديد، في الحرب، فجاسوا، أي: فطافوا وداروا، خلل الديار، وسطها يطلبونكم، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء. قال الفراء: جاسوا قتلوكم بين بيوتكم، وكانت وعدًا مفعولًا، قضاء كائنًا لا خلف فيه.

[٦] ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ، يعني: الرجعة والدولة، عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا، عددًا، أي: من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان.

[٧] إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، أي: لها ثوابها، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، أي: فعليها، كقوله تعالى: (فسلام لك) أي: عليك. وقيل: فلها الجزاء والعقاب، فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةُ، أي: المرة الأخيرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم حتى قتلوهم وسبوهم ونفوههم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى: (يَسْفُتُوا وَجُوهَكُمْ)، أي: تحزن وجوهكم وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن. قرأ الكسائي ويعقوب: (للسوء) بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله (وقضينا) و (بعثنا) وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد، أي ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم، وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع، أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد وجوهكم (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ)، يعني: بيت المقدس ونواحيه، (كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَيُسْتَرُوتُوا)، وليهلكوا، (مَا عَلُوا) أي: ما غلبوا عليه من بلادكم (تَنبِيرًا).

العقوبة. قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمدًا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا، سجنًا ومحبسًا من الحصر وهو الحبس. قال الحسن: حصيرًا أي: فراشًا. وذهب إلى الحصر الذي ييسط ويفرش.

[٩] إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ، أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، (وَيُبَشِّرُ)، يعني: القرآن، (الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ) بأن لهم، (أَجْرًا كَبِيرًا)، وهو الجنة.

[١٠] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وهو النار.

[١١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ)، حذف الواو لفظًا لاستقلال اللام الساكنة كقوله: (سندع الزبانية)، وحذف في الخط أيضًا وهي غير محذوفة

[٨] عَسَىٰ رَبُّكُمْ، يا بني إسرائيل، (أَنَّ يَرْحَمَكُمْ)، بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم، (وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا)، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى

أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا، وخصَّ العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، ﴿وَنُحِجُّ لُهُ﴾ يقول الله تعالى: ونحن نخرج له، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب: (ويخرج له) بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابًا. وقرأ أبو جعفر (يخرج) بالياء وضمها وفتح الراء، ﴿بَلَقَهُ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (يلقاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقي الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقر بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿مَشُورًا﴾، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة.

[١٤] ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، محاسبًا. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئًا في الدنيا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، لها ثوابه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، لأن عليها عقابه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وَمَا كُفَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إقامة للحجة وقطعًا لعذر، وفيه دليل على أن ما وجب ووجب بالسمع لا بالعقل.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَلَكَنَا﴾، قرأ مجاهد: (أمرنا) بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وفتادة ويعقوب (أمرنا) بالمد، أي: أكثرنا. وقرأ الباقر بالقصر مختلفًا، أي أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى

في المعنى، ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿بِالْشَّرِّ﴾، فيقول عند الغضب: اللهم العنه وأهلكه ونحوهما، ﴿دُعَاءُ بِالْخَيْرِ﴾، أي: كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية لو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضل، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضجرًا لا صبر له على السراء والضراء.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ وَآيَاتٍ لِللَّيْلِ﴾، أي: علامتين دالتين على وجودنا و وحدانيتنا وقدرتنا، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ آيَاتٍ﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءًا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءًا فجعلها مع نور الشمس، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب: أبصر النهار إذا أضاءت بحيث يبصر بها، ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ آيَاتِنَا وَتَحْسَبُوا﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ نَفْصِيًّا﴾.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرًا فِي نَفْسِهِ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمنه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي طائرًا على عادة العرب فيما كانت تتفائل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها. وقال أبو عبيدة والقيتيبي:

أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثرهم الله واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة. (مترفيها) منعميها وأغنياءها ﴿فَسَفَرُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَا الْقَوْلُ﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها.

[١٧] قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾، أي: المكذبة، ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾، يُخوف كفار مكة، ﴿وَكُنِّي بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القرن: مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة. وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً»<sup>(١)</sup>، قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن: ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، ﴿عَجَلْنَا لَهَا فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾، من البسط والتفتير، ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّنَهَا﴾، يدخل نارها، ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، مطرودًا مبعدًا.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾، عمل عملها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، مقبولًا.

[٢٠] ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿وَمِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، أي: يرزقهما جميعًا ثم يخلف بهما الحال في المال، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾، رزق ربك، ﴿مَحْظُورًا﴾، ممنوعًا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَعَاتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَالْأَبْدَانُ تَبْذُرُونَ وَإِنَّمَا تُحْيَوْنَ أَكْثَرَهَا نَسْفًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

عَلَى بَعْضٍ﴾، في الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب العاجلة وطلب الآخرة، ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

[٢٢] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر، ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، مذمومًا من غير حمد مخذولًا من غير نصر.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾، وأمر ربك، قال ابن عباس وقتادة والحسن: قال الربيع ابن أنس: وأوجب ربك. قال مجاهد: وأوصى ربك، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: وأمر بالوالدين إحسانًا برًا بهما وعطفًا عليهما،

(١) أخرجه ابن جرير ٥٨/١٥ وذكره البخاري في التاريخ الصغير ص(٣٩) وأخرجه أبو نعيم كما في التهذيب ٥/١٣٩.



مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولَئِكَ﴾، بعد المعصية ﴿عَفْوًا﴾، قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد به إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به. قال سعيد بن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبير: الرجوع إلى الخير. وعن ابن عباس قال: هو الرجوع إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هُمُ الْمَسْبُحُونَ، دليله قوله: (يا جبال أوبي معه). قال قتادة: هم المصلون، قال عون العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون، وعن علي بن الحسين: أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ تَبْدِيرًا﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله كان تبذيرًا ولو أنفق مدًا في باطل كان تبذيرًا. وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، جحودًا لنعمه.

[٢٨] ﴿وَأَمَّا تَرَضَىٰ عَنْهُمْ﴾، نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي

(١) أخرجه الترمذي في البر ٢٥/٦ مرفوعًا وموقوفًا وقال في الموقوف: أصح، وأخرجه ابن حبان برقم (٢٠٢٦) ص (٤٩٦) من موارد الظمان وصححه الحاكم ١٥٢/٤ والمصنف في شرح السنة ١٢/١٣. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٨/٣ و ٤٤، والمصنف في شرح السنة ١٧/١٣ وفيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وللحديث شواهد كثيرة وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٢٨٥.

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله: (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وقوله: (الذين ظلموا) ابتداء وقرأ الباقون (يبلغن) على التوحيد، ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفَىٰ﴾ كلمة كراهية، قال أبو عبيدة أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: الأف ما يكون في المغابن من الوسخ، والتف ما يكون في الأصابع. وقيل: الأف وسخ الأنف والتف وسخ الأظفار. وقيل: الأف وسخ الظفر والتف ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير، ﴿وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾، ولا تزجرهما، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، حسنًا جميلًا لينا قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ. وقال مجاهد: لا تسميهما ولا تكنيهما وقل لهما يا أبتاه يا أماه. وقال مجاهد: في هذه الآية أيضًا إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقدرهما ولا تقل لهما أف حين تميظ عنهما الخلاء والبول كما كانا يميظانه عنك صغيرًا.

[٢٤] ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾، أي: ألن جانبك لهما واخضع لهما. قال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه ﴿مِنْ الرَّحْمَةِ﴾، من الشفقة، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَحِمْتَ صَغِيرًا﴾، أراد إذا كانا مسلمين. قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد»<sup>(١)</sup>. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مئان ولا عاق ولا مُدْمِنٌ خمر»<sup>(٢)</sup>.

[٢٥] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾، من برّ الوالدين وعقوقهما، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾، أبرارًا

﴿يَعْلَمُونَ﴾ في الأحيين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول، فنزل (وإما تعرض عنهم)، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن توتيهم، ﴿أَبْعَاةَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ لينا وهي العدة، أي: عدتهم وعدا جميلا. وقيل: القول الميسور أن تقول: رزقنا الله وإياك.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ البَسْطِ﴾، فاعطي جميع ما عندك، ﴿فَلتَقْعُدْ مَلُومًا﴾، يلومك سائلوك بالإمسك إذا لم تعطهم، والمعلوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره، ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعاً لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرتة بالمسألة إذا ألحفت عليه ودابة حسيرة إذا كانت كائلة رازحة. قال قتادة: (محسورا) نادما على ما فرط منك.

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾، يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: يقرر ويضيق، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾، فقر، ﴿تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتدون بناتهم خشية الفاقة فهوا عنه، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَأًا كَبِيرًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (خطأ) أي: إثما كبيرا.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وحقها: ما روي أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ثلاث رجل كفر بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها»<sup>(١)</sup>.

سورة الإسراء

٢٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَمَّا تَعْرِضْنَّ عَنْهُمْ أَبْعَاةَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ﴿٢٩﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَلتَقْعُدْ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَتْ خِطَأًا كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٥﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنتُمْ وَرَثَةً بِالْقِسْطِ لِمَن لَّسْتُمْ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٧﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٨﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٩﴾

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾، أي: قوة ولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استفاد منه وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا عنه. ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (فلا تسرف) بالياء يخاطب ولي القاتل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل، واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ولي القاتل، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل

(١) أخرجه أبو داود في الديات ٣٠١/٦، والترمذي في الفتن ٣٧٣/٣، وابن ماجه في الحدود ٨٤٧/٢، والمصنف في شرح السنة ١٤٨/١ وأخرجه الشيخان عن ابن مسعود نحوه.

أشرف منه. وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَضُورًا﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: (ومن قُتل مظلوماً) يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله: (فلا يسرف في القتل) أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يعتدى بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

[٣٧] ﴿وَلَا تَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، أي بطراً وكبراً وخيلاً وهو تفسير المشي لذلك أخرجه على المصدر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخِرَّقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: لا تقدر أن تطال الجبال وتساويها بكبرك، معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبك، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك.

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الإضافة، ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (كان سيئه) أي: سيئ ما عدنا عليك عند ربك مكروهاً لأن فيما عدنا أموراً حسنة كقوله: (وَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) (واخفض لهما جناح الذل) وغير ذلك، وقرأ الآخرون (سيئه) منصوبة منونة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: (ولا تقتلوا أولادكم) إلى هذا

أشرف منه. وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَضُورًا﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: (ومن قُتل مظلوماً) يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله: (فلا يسرف في القتل) أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يعتدى بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، بالإتيان بما أمر الله به والانتفاء عما نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، وقال السدي: كان مطلوباً. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فيما نقضت كالموءودة تسأل فيم قُتلت.

[٣٥] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (بالقسطاس) بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صغيراً كان أو كبيراً أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبان. قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿الْمُسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: عاقبة.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه. وقال مجاهد: لا ترم أحداً بما

سورة الإسراء

٢٨٦

المائدة

ذَلِكَ وَمِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
 آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ  
 بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾  
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾  
 قُلْ لَوْ كُنَّا مَعَهُ ۖ ءَاهِلَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا  
 ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ  
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن  
 لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ  
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا  
 مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ  
 وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أذْرِهِمْ نُفُورًا  
 ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ  
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ  
 كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾  
 وَقَالُوا ۗءَا ذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ۗ أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهِمْ جَنَدًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

[٤٣] فقال عز من قائل: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (تقولون) بالتاء والآخرون بالياء، ﴿عَلُوًّا كَبِيرًا﴾.  
 [٤٤] ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب (تسبح) بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات. وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن الله تعالى علمًا في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي

الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره كل ذلك كان مكروهًا سيئه. وقوله (مكروهًا) على التكرير لا على الصفة مجازة كل ذلك كان سيئه وكان مكروهًا، راجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرناه، ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، مطرودًا مبعدًا من كل خير. [٤٠] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ﴾، أي: اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني اختاركم، ﴿بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، يخاطب مشركي مكة. [٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾، يعني الصبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد للتكثير والتكرير، ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ أي: ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، تصريفنا وتذكيرنا وتكريرنا، ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾، ذهابًا وتباعداً عن الحق.  
 [٤٢] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين، ﴿لَوْ كُنَّا مَعَهُ ۖ ءَاهِلَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾، قرأ حفص وابن كثير (يقولون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿إِذَا لَبِغُوا﴾، لطلبوا يعني الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلًا بالتقرب إليه. قال قتادة: لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح، ثم نزه نفسه.

وقيل: مصروفًا عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلًا له سحر، والسحر: الرثة أي: إنه بشر مثلكم تغذى مغللاً بالطعام والشراب يأكل ويشرب.

[٤٨] ﴿انظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، الأشباه، قالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿فَضَلُّوا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: وصولاً إلى طريق الحق.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا﴾ بعد الموت. قال مجاهد: ترابًا. وقيل: حطامًا. والرفات: كل ما يكسر ويلى من كل شيء كالفتات والحطام. ﴿إِنَّا لَمَجْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٥٠] ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، قيل: السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم، ﴿فَسَيَقُولُونَ مِنْ يُعِيدَنَّاهُمْ﴾، من يبعثنا بعد الموت، ﴿قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾، خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿فَسَيَعْبُدُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾، أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾، أي: البعث والقيامة، ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: (وما يُدريك لعل الساعة تكون قريبًا).

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن عباس: (١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير ٤٤/٣ و٥٦٥/٤ ومجمع الزوائد.

أن يوكل علمه إليه. ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنة والمستور بمعنى الساتر كقوله: (وكان وعده مأتياً) مفعول بمعنى فاعل. وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه. وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين.

الظاهر كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت: (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجانى؟ فقال:

والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله، فرجعت وهي تقول: قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ برأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله؟ قال: لا لم يزل ملك بيني وبينها

يسترني<sup>(١)</sup>.

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، ثقلاً لئلا يسمعه. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿وَلَوْأَنَّ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمُ نُجُورًا﴾، جمع نافر مثل قاعد وقيود وجالس وجلوس، أي

نافرين.

[٤٧] ﴿لَنْحُنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، قيل: به صلة أي: يطلبون سمعه، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذو نجوى، فبعضهم يقول: هو مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِنْ تَدْعُونَنَا إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا﴾، مطبوعًا. وقال مجاهد: مخدوعًا.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٨٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿٥٣﴾ فَلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِدِيدًا ﴿٥٤﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي  
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُ نَاقِلَ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 فَسَيَخْضُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَائِلٌ بِمَا  
 يَكُونُ قَرِيبًا ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ  
 وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ  
 أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ  
 عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٧﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُم أَوْ إِن يَشَأُ  
 يُعَذِّبَكُم وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٨﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ  
 بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ  
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٩﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا  
 يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ  
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٦١﴾  
 وَإِن مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَأَنحُنَّ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
 أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٢﴾

قال: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكروا فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل

الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم. [٥٦] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ للمشركين ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ﴾ أنها آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ﴾، القحط والجوع، ﴿عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعم الحمد. قيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين. ﴿وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا﴾، في الدنيا أو في القبور، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، لأن الإنسان لو مكث أوفياً من السنين في الدنيا أو في القبور عد ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا﴾، للكافرين ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولا يكافؤوهم بسفهمهم. قال الحسن: يقول له يهديك الله. وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ظاهر العداوة.

[٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُم﴾، يوفقكم فتؤمنوا، ﴿أَوْ إِن يَشَأُ يُعَذِّبَكُم﴾، يميتمكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج. وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، حفيظاً وكفياً. قيل: نسختها آية القتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهم، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾، قيل: جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض. قال قتادة: في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً كما

ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ: «إن شئت أن أستأنى بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوها فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم، فقال النبي ﷺ: «لا بل تستأنى بهم»<sup>(١)</sup>، فأنزل الله عز وجل: (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألتها كفار قريش (إلا أن كذب بها الأولون) فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتناهم، لأن من شأننا في الأمم إذا سألوها الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بامهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)، ثم قال: ﴿وَأَيُّنَا ثَمُودُ الْأَقَاةَ مُبْصِرَةً﴾، مضية بيته، ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: (وما كانوا بآياتنا يظلمون)، أي: يجحدون وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخَوِّفًا﴾، للعباد ليؤمنوا. قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

[٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، أي: هم في قبضته لا يقدر على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهجم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: (والله يعصمك من الناس)، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، فالأكثر على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أُرِيها النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير والحسن

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَيْكَ رَبَّهُمْ أَلْوَسِيلًا﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم، ﴿يَبْتُغُونَ﴾ أي يطلبون ﴿إِلَيْكَ رَبَّهُمْ أَلْوَسِيلًا﴾، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب بيتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾، جنته، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، أي يطلب منه الحذر. وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود (الذين تدعون) بالتاء.

[٥٨] ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وما من قرية ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةٍ﴾، أي: مخربوها ومهلكوا أهلها، ﴿أَوْ مَعَذَّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب. قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾، في اللوح المحفوظ، ﴿سَطُورًا﴾، مكتوباً. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد»<sup>(١)</sup>.

[٥٩] قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾، قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن

(١) أخرجه أبو داود في السنة ٦٩/٧ والترمذي في القدر ٦/٣٦٨ والإمام أحمد في المسند ٣١٧/٥ والطيالسي في مسنده ص ٧٩ وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة ١/٣٤. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٥٨/١ والحاكم في المستدرک ٣٦٢/٢ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٨٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ  
 وَءَاثِنَا مُؤَدِّ النَّافَةَ مُبْجِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ  
 إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا  
 جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾  
 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
 قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي  
 كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ  
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فِاتٍ  
 جَهَنَّمَ جَزَاءً وَكُفْرًا تَوْفُورًا ﴿٦٥﴾ وَأَسْتَفِرُّزُ مَنْ أَسْطَعَتْ  
 مِنْهُمْ بَصُوكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ  
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا  
 غُرُورًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى  
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ  
 فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٨﴾

أي: خلقته من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾، يعني إبليس، ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أي  
 أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هَذَا الَّذِي  
 كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فضلته علي: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾  
 أمهلني ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أي:  
 لأستأصلنهم بالإضلال، يقال: احتنك الجراد  
 الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب  
 حنك الدابة يحنك إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً  
 يقودها، أي لأقودنهم كيف شئت. وقيل:  
 لأستولين عليهم بالإغواء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني  
 المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله:  
 (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فِاتٍ

ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج  
 والأكثرين<sup>(١)</sup>، والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية  
 ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر  
 بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال  
 قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان  
 له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب،  
 وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام  
 الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير  
 إلى مكة قبل الأجل فصدته المشركون، فرجع إلى  
 المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه  
 يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم، حتى دخلها في  
 العام المقبل، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله  
 رسوله الرؤيا بالحق)، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي  
 الْقُرْآنِ﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازة والشجرة  
 الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل  
 طعام كرهه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون  
 أكلها، ونصب الشجرة عطفًا على الرؤيا، أي: وما  
 جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة  
 للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة  
 في الشجرة الملعونة من وجهين: أحدهما: أن أبا  
 جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق  
 الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون  
 أن النار تحرق الشجرة، والثاني: أن عبدالله بن  
 الزبير قال: إن محمدًا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف  
 الزقوم إلا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: يا جارية  
 تعالي فزقمينا فأنت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم  
 تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله  
 تعالي في الصافات. وقيل: الشجرة الملعونة هي  
 التي تلتوي على الشجر فتخفه، يعني الكشوث،  
 ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، التخويف، ﴿إِلَّا طُغْيَانًا  
 كَبِيرًا﴾ أي: تمردًا وعتوًا عظيمًا.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا  
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾،

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٨/٣٩٨.



كَمَا يَنْزِلُ الرَّجُلَ . ﴿وَعَدَهُمْ﴾ ، أَي : خَذَ مِنْهُمْ الْجَمِيلَ فِي طَاعَتِكَ . وَقِيلَ : قَلَّ لَهُمْ : لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعثَ . ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ، وَالغُرُورُ تَرْيِينُ الْبَاطِلِ بِمَا يَظُنُّ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ ذَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)؟ قِيلَ : هَذَا عَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) ، وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ : افْعَلْ مَا شِئْتَ فَسْتَرَى .

[٦٥] قَوْلُهُ : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ، أَي حَافِظًا وَمَنْ يُوَكِّلُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ .

[٦٦] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَكَ ، فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، لِتَطْلُبُوا مِنْ رِزْقِهِ ، ﴿إِنَّهُ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ ، الشَّدَّةُ وَخَوْفُ الْغُرُقِ ، ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾ ، أَي : يَطُلُ وَسَقَطَ ، ﴿مَنْ دَعَاكُمْ﴾ ، مِنَ الْأَلْهَةِ ، ﴿إِلَّا إِلَانَهُ﴾ ، إِلَّا اللَّهُ فَلَمْ تَجِدُوا مَعِيثًا سِوَاهُ ، ﴿فَلَمَّا بَجَّنُكُمْ﴾ ، أَجَابَ دَعَاءَكُمْ وَأَنْجَاكُمْ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ وَأَخْرَجَكُمْ ، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ ، عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ كَفْرًا مِنْكُمْ لِنِعْمِهِ ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ .

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، ﴿أَنْ يَخِصِفَ بِكُمْ﴾ ، يَغُورُ بِكُمْ ، ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾ ، نَاحِيَةَ الْبَرِّ وَهِيَ الْأَرْضُ ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ، أَي : يَمُطِرُ عَلَيْكُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أَمُطِرَ عَلَى قَوْمِ لُوطَ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَتَيْبِيُّ : الْحَاصِبُ الرِّيحُ الَّتِي تَرْمِي بِالْحَصْبَاءِ ، وَهِيَ الْحِصَا الصَّغَارُ ، ﴿ثُمَّ لَا تَحْمِلُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ، قَالَ قَتَادَةُ : مَانِعًا .

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ ، يَعْنِي فِي الْبَحْرِ ، ﴿تَارَةً﴾ مَرَّةً ، ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَي : عَاصِفًا وَهِيَ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَقْصِفُ

جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أَي : جَزَاءَكَ وَجَزَاءَ أَتْبَاعِكَ ، ﴿جَزَاءَ مَوْفُورًا﴾ ، وَافْرًا مَكْمَلًا ، يُقَالُ : وَفَرْتَهُ أَوْفَرَهُ وَفَرًا .

[٦٤] وَقَوْلُهُ : ﴿وَأَسْتَفْزِزُ﴾ ، وَاسْتَخَفَّفَ وَاسْتَجْهَدَ ، ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ ، أَي : مَنْ ذَرِيَّةَ آدَمَ ، ﴿بِصَوْتِكَ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ : بَدْعَائِكَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكُلُّ دَاعٍ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ جِنْدِ إِبْلِيسَ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : مَعْنَاهُ ادْعُهُمْ دَعَاءَ تَسْتَفْزِهِمْ بِهِ إِلَى جَانِبِكَ ، أَي : تَسْتَخَفِّفُهُمْ . وَقَالَ مِجَاهِدٌ : بِالْغِنَاءِ وَالْمِزَامِيرِ ، ﴿وَأَلْبَسَ عَلَيْهِمْ لِجَنبِكَ وَرَجِلِكَ﴾ ، قِيلَ : أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مَكَائِدَكَ وَخَيْلِكَ ، وَيُقَالُ : أَجْلَبُوا وَجَلَبُوا إِذَا صَاحُوا ، يَقُولُ : صَحَّ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَحَثُّهُمْ عَلَيْهِ بِالْإِغْوَاءِ ، قَالَ مِقَاتِلٌ : اسْتَعْنَ عَلَيْهِمْ بِرُكْبَانِ جِنْدِكَ وَمِشَاتِهِمْ ، وَالخَيْلُ : الرُّكْبَانُ ، وَالرَّجْلُ : الْمِشَاةُ . قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : كُلُّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ فِي مَعْاصِيِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ جِنْدِ إِبْلِيسَ .

وَقَالَ مِجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ : إِنَّ لَهُ خَيْلًا وَرَجُلًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَهُوَ كُلُّ مَا يُقَاتَلُ فِي الْمَعْصِيَةِ ، وَالرَّجُلُ وَالرَّجَالَةُ وَالرَّاجِلَةُ وَاحِدٌ ، يُقَالُ : رَاجِلٌ وَرَجُلٌ مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجْرٍ وَرَاكِبٌ وَرُكْبٍ ، وَقُرْأَ حَفْصٌ وَرَجْلُكَ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَهِيَ لُغْتَانُ ، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ، فَالْمِشَارَاةُ فِي الْأَمْوَالِ كُلِّ مَا أُصِيبَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ أُنْفَقَ فِي حَرَامٍ ، هَذَا قَوْلُ مِجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَقَالَ عَطَاءٌ : هُوَ الرِّبَا وَقَالَ قَتَادَةُ : هُوَ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرَمُونَهُ مِنَ الْأَنْعَامِ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامَ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : هُوَ مَا كَانُوا يَذْبَحُونَهُ لِآلِهَتِهِمْ ، وَأَمَّا الشَّرِكَةُ فِي الْأَوْلَادِ ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهَا الْمَوَدَّةُ . وَقَالَ مِجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ : هُمْ أَوْلَادُ الزَّانِ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ : هُوَ أَنَّهُمْ هَوِّدُوا أَوْلَادَهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَمَجَّسَوْهُمْ . وَرُوِيَ عَنِ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَقْعُدُ عَلَى ذِكْرِ الرَّجُلِ فَإِذَا لَمْ يَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَصَابَ مَعَهُ امْرَأَتُهُ وَأَنْزَلَ فِي فَرْجِهَا

سورة الإسراء

٢٨٩

الآية ٧٠

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا جَنَدُوا  
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٠﴾ فَأَمَّا نِسْوَةٌ فِي الْبَعْدِ  
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوُّرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ  
وَكِيلًا ﴿٧١﴾ وَأَمَّا نِسْوَةٌ فِي الْبَعْدِ فَأَمَّا نِسْوَةٌ فِي الْبَعْدِ فَأَمَّا نِسْوَةٌ  
عَلَيْكُمْ فَأَصْفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَعْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا  
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى  
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٣﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ  
بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرِيئِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ  
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
أَعْمَارِهِمْ لَوْ لَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ لَافْتِنًا إِنَّا  
لَنَنظُرُنَّكَ مِنَ الْذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُنْفِرُوا عَلَيْنَا غَيْرَةً  
وَإِذَا لَاتَخَذُوا خَلِيلًا ﴿٧٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ  
تَرَكُنَّ يَوْمَئِذٍ لِأَعْيُنِنَا قَبِيلًا ﴿٧٥﴾ إِذَا لَادَقْنَاكَ ضَعْفَ  
الْحَيَوَةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٦﴾

كل شيء، أي تدقه وتحطمه. وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، ﴿فَيَعْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، ناصراً ولا نائراً، وتبع بمعنى تابع أي تابعاً أي مطالباً بالثأر. وقيل: من يتبعنا بالإنكار. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم)، بالنون فيهن، لقوله (علينا) وقرأ الآخرون بالياء لقوله: (إلا إياه) وقرأ أبو جعفر ويعقوب (فتغرقكم) بالتاء يعني الريح.

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال باللحى والنساء بالذوائب. وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني: لذيق المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل. وقال قوم: فضّلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فضّلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأشباههم.

﴿فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرِيئِهِ﴾، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين). وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، وقال: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن كعب: (بإمامهم)، قيل: يعني بأمهاتهم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لثلاثا يفتضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرِيئِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ وَكَيْفَ يَفْرَحُونَ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلًا﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل.

[٧١] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم. وقال أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضاً: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية،

يمنعك من عذابنا .

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنْ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ ، اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، فإن كنت نبياً مثلهم فأت الشام، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية و ﴿الْأَرْضِ﴾ ههنا هي المدينة. وقال مجاهد وقتادة: الأرض أرض مكة، والآية مكية، هم المشركون أن يُخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل: هم الكفار كلهم أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا عليه، فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ أي: بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول مدة حياتهم، وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا بيدر.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا، فانصب بحذف الكاف، وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم ألا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم. ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا مَحْوِيًّا﴾، أي تبديلاً.

[٧٨] قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ﴾، اختلفوا في الذلوك، رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الذلوك هو الغروب، وقال ابن عباس وابن

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾، اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: (ربكم الذي يزجي لكم الفلك) إلى قوله (تفضيلاً) يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى، ﴿فَهُوَ فِي﴾، أمر، ﴿الْآخِرَةِ﴾، التي لم يعاين ولم ير، ﴿أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، يروي هذا عن ابن عباس، وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلاً أي أخطأ طريقاً. وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار. وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله: (وأضل سبيلاً).

[٧٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ لِيَصْرِفُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿لِنَفْتَرِي﴾، لتختلق، ﴿عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا﴾، لو فعلت مادعوك إليه ﴿لَأَتَّخِذُوكَ خَلِيلاً﴾ أي: والوك وصافوك.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبْنِكَ﴾، على الحق بعصمتنا، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ أي: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ أي: قريباً من الفعل.

[٧٥] ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: الضعف هو العذاب سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾، أي: ناصرًا

عمر وجابر: هو زوال الشمس ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح، قوله عز وجل: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدؤ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، يعني صلاة الفجر، سمي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي: وعليك قرآن الفجر، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[٨٠] قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه، فقال ابن عباس والحسن وقاتدة: أدخلني مدخل صدق المدينة، وأخرجني مخرج صدق من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: وأخرجني مخرج صدق من مكة أمناً من المشركين، وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب عليّ من حقها مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل: أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون أميناً ووجيهاً عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: (إن لهم قدم صدق عند ربهم).

[٧٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعد ما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: (يا أيها المزمّل ه قم الليل إلا قليلاً)، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: (فاقرؤوا ما تيسر منه)، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ قوله عز وجل: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: زيادة لك، يريد فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك. وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقاتدة، لأن الله تعالى قال: (نافلة لك) ولم يقل عليك، قوله عز وجل: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ عسى من الله تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطعمهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأتمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون، والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾، وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: وأخرجني مخرج صدق من مكة أمناً من المشركين، وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب عليّ من حقها مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل: أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون أميناً ووجيهاً عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: (إن لهم قدم صدق عند ربهم).

وحدوده وإقامة دينه .

[٨١] قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، أي الشيطان، قال قتادة، وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ذاهبًا، يقال: زهقت نفسه أي خرجت. عن أبي معمر عن عبدالله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»<sup>(١)</sup>.

[٨٢] قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: (من) ليس للتبعيض، ومعناه: ونزل من القرآن ما هو كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، لأن الظالم لا يتنفع به والمؤمن من يتنفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿وَنَنَا بِحِبَابِهِ﴾، أي تباعد منا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر (وناء) مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، الشدة والضرر،

وَأَن كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مِّن قَدْرُسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى عَسْقِ آيَلٍ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَاتِبٌ مُّشْهُودٌ ﴿٧٨﴾ وَمِن آيَلٍ فَتَجِدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَل لِّي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَأَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحِبَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ بِالَّذِي أُوْحِيَٰنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَجِدَنَّكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾

﴿كَانَ يَؤُوسًا﴾، أي آيسًا قنوطًا. وقيل: معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن يئس من الإجابة، وإن تأخرت فيدع الدعاء.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته. قال الحسن وقاتدة: على نيته. وقال مقاتل: على خليقته. قال الفراء: على طريقته التي جبل عليها. وقال القتبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨/٤٠٠.

كان علماً لنبوته. والأول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني القرآن، معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾، أي: من يتوكل برد القرآن إليك.

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك. ﴿إِنَّا فَضَّلْنَا كَاتَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، فإن قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قيل: المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. وقال عبدالله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً.

[٨٨] قوله جل وعلا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، لا يقدرون على ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، عوناً ومظاهراً، نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، جحوداً.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾، لن نصدقك، ﴿حَتَّىٰ تَفْجَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة ﴿يَبْنُوعًا﴾ أي: عيوناً.

كما يقال في المثل: كل امرئ يشبهه فعله. ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾، أوضح طريقاً.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَسَتَلَوْنَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي﴾ واختلّفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فروى عن ابن عباس: إنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة، روي عن علي أنه قال: ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش.

وقيل: الروح هو القرآن. وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقول النصارى، وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيل به الإنسان، وهو الأصح. وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف.

وقال بعضهم: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فإذا خرج ذهب الكل، وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله عز وجل، وهو قول أهل السنة. قال عبدالله بن بريدة: إن الله لم يُطَّلِعْ على الروح ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا وقوله عز وجل:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي﴾ قيل: من علم ربي، ﴿وَمَا أُوْتِيتَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: في جنب علم الله قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ. وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير. وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٩١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِن أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحْتِهَا عِوَابٌ وَنَحْنُ فَتَفْجُرَ لَنَا تِهَادًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَيْنَانَا كَسُفًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تَأْتِيَ بِلُجَّتٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِجَاجًا فَمَا تُؤْمِنُ ﴿٩٣﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ بِنَاءٌ فَتُكَادُ ﴿٩٤﴾ أَوْ تَكُونُ الْأَرْضُ لَكَ مَهْدًا فَتُكَادُ ﴿٩٥﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ بِنَاءٌ فَتُكَادُ ﴿٩٦﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ بِنَاءٌ فَتُكَادُ ﴿٩٧﴾

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، بستان، ﴿مِّن تَحْتِهَا عِوَابٌ﴾ وَنَحْنُ فَتَفْجُرَ لَنَا تِهَادًا فَتُكَادُ، تشقيقا .

[٩٢] ﴿أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَيْنَانَا كَسُفًا﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعًا وهي جمع كسفة، وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقًا واحدًا. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضًا القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء وسبأ (كسفا) بالفتح، حفص، وفي الروم ساكنة أبو جعفر، وابن عامر. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِلُجَّتٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِجَاجًا﴾، قال ابن عباس: كفيلاً أي يكفلون بما تقول. وقال الضحاك: ضامناً. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. وقال قتادة: عياناً أي نراهم مقابلة أي معانية. وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً، وقبيلاً أي: معانية.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بِنَاءٌ مِّن تَحْتِهَا عِوَابٌ﴾، من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرَفَّى﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبدالله بن أبي أمية، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرَبِّكَ﴾، لصعودك، ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) يعني محمداً، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾، أمره بتزييه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتهم في طوق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم سؤالهم.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾، جهلاً منهم، ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾، أراد أن الكفار كانوا يقولون: لن نؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله تعالى:

[٩٥] ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾، مستوطنين مقيمين، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾، من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أي رسوله إليكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾، يهدونهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم

سورة الإسراء

٢٩٢

سورة الإسراء

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ  
 مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبِكَمَا  
 وَصَّمْنَا مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾  
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا  
 وَرَفْتًا إِذْنَا لَمَجْعُونُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ  
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلًا لَارِيبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾  
 قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ  
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ  
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَ بِئْسَ بَلَىٰ لِمَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ  
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ  
 هَؤُلَاءِ إِلَى الْأَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَصَائِرًا وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ  
 يَنْفِرْعَوْنُ مُتَّبِعًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
 فَأَعْرَفْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ  
 اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ جُنَّا بِكُمْ لَعِيفًا ﴿١٠٤﴾

أي: جحودًا وعنادًا.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾  
 أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾،  
 لبخلتم وحبستم، ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾، أي: خشية  
 الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاق، يقال: أنفق  
 الرجل أي أملك وذهب ماله ونفق الشيء، أي:  
 ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر،  
 ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾، أي: بخيلًا ممسكًا عن  
 الإنفاق.

[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ  
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، أي: دلالات واضحات، فهي  
 الآيات التسع، قال ابن عباس والضحاك: هي  
 العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه  
 (١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٢/٨. ومسلم في  
 المنافقين ٤/٢١٦١.

القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجليه  
 قادر على أن يمشيه على وجهه» (١) ﴿عَمِيًّا وَبِكَمَا  
 وَصَّمْنَا﴾، فإن قيل كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم  
 وصم. وقد قال: (ورأى المجرمون النار)، وقال:  
 (دعوا هنالك ثبورًا) وقال: (سمعوا لها تغيطًا  
 وزفيرًا)، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل:  
 يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه  
 الأشياء، وجواب آخر: قال ابن عباس: عميًا لا  
 يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صمًا لا  
 يسمعون شيئًا يسرهم. وقال الحسن: هذا حين  
 يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال  
 مقاتل: هذا حين يقال لهم: (اخسئوا فيها ولا  
 تكلمون) يصيرون بأجمعهم عميًا وبكمًا وصمًا لا  
 يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمَ  
 كُلَّمَا خَبَتْ﴾، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي:  
 سكن لهيها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة:  
 ضعفت وقيل: هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في  
 ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: (لا يفتر عنهم)،  
 وقيل: كلما خبت أي أرادت أن تخبو، ﴿زِدْنَاهُمْ  
 سَعِيرًا﴾، أي: وقودًا، وقيل: المراد من قوله:  
 (كلما خبت) أي: نضجت جلودهم واحترقت  
 أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار  
 لتحرقتهم.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا  
 كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا إِذْنَا لَمَجْعُونُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فأجابهم  
 الله تعالى.

[٩٩] فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ﴾، في عظمتها وشدهتها، ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ  
 يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله  
 تعالى: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق  
 الناس). ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلًا﴾، أي: وقتًا لعذابهم،  
 ﴿لَا رِيبَ فِيهِ﴾، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت،  
 وقيل: هو يوم القيامة، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾،



هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه.

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ﴾، أي: أراد فرعون أن يستفزه موسى وبني إسرائيل أي يخرجهم، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾، ونجينا موسى وقومه.

[١٠٤] ﴿وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي من بعد هلاك فرعون، ﴿لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾، يعني أرض مصر والشام، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿جِنًا يَكْفُرُ لَفِيئًا﴾ أي: جميعًا إلى موقف القيامة. واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر. وقال الكلبي: فإذا جاء وعد الآخرة يعني محيي عيسى من السماء جئنا بكم لفيئًا أي: النزاع من كل قوم من هنا وهنا لفوا جميعًا.

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيعين، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصين.

[١٠٦] ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾، قيل: أنزلناه نجومًا لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: (وقرآنًا فرقناه) بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصلناه. وقيل: بيّناه. وقال الحسن: معناه فرقنا به بين الحق والباطل. ﴿لِنُقَرِّمَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْنٍ﴾ أي: على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيرًا﴾.

[١٠٧] ﴿قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل زيد بن عمر بن نفييل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم. ﴿إِذَا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿يَحْزُونُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿شَجْدًا﴾.

فحلها وفتح البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي: الشمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات. وقال بعضهم: هن آيات الكتاب ﴿فَسَلِّ﴾، يا محمد، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، أي: مطبوعًا سحروك، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعًا. وقيل: مصروفًا عن الحق. وقال الفراء وأبو عبيدة: ساحرًا فوضع المفعول موضع الفاعل. وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك.

[١٠٢] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، قرأ العامة بفتح التاء خطابًا لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء، ويروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم، قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًا)، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه روي عن رجل من مراد عن علي، وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي، ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾، هذه الآيات التسع، ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصِيرٌ﴾، جمع بصيرة أي يبصر بها، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرُونَ مَشْهُورًا﴾، قال ابن عباس: ملعونًا. وقال مجاهد: هالكًا. وقال قتادة: مهلكًا. وقال الفراء: أي مصروفًا ممنوعًا عن الخير يقال: ما تبرك عن

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾، أي: كأننا واقفًا.

[١٠٩] ﴿وَيَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ﴾، أي: يقعون على الوجوه يكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾، نزول القرآن، ﴿خُشوعًا﴾، خضوعًا لربهم، نظيره قوله تعالى: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبيكياً).

[١١٠] ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: يا الله يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup> ومعناه أنهما اسمان لواحد ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا﴾، (ما) صلة معناه أيّما ما تدعوا

من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿قُلِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ نزلت ورسول الله ﷺ مختم بمكة إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءة تك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك سبيلاً<sup>(٢)</sup>، أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقال قوم: نزلت الآية في الدعاء. عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

[١١١] ﴿وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ﴾، قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به، ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيًّا﴾، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي.

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢٩٣

سُورَةُ الْكَهْفِ

وَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾

وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ لِقِرَاءِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْأَلْنَ

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ

وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ

خُشوعًا ﴿١٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيًّا ﴿٢١﴾

### سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾

فِيمَا لَيْسَ ذَرْبًا بِأَسَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَتَّكِينَ

فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

### (١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ أثنى

الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخص رسول الله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا﴾.

[٢] ﴿فِيمَا﴾، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على

عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً (قيماً) أي مستقيماً. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء:

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٨٢/١٥ وانظر أسباب النزول للواحد ص ٣٤١ والدر المنثور ٣٤٨/٥. (٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٤٠٤/٨ ومسلم في الصلاة ٣٢٩/١.

سورة الكهف

٢٩٤

سورة الكهف

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ إِذَا عَمَرْتَهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ ثَنَاءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَرْشِدَا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنُ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّناهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْنا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هتولاء قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ مُسُلْطِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، جرزا يابساً أملس لا ينبت شيئاً. يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

[٩] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم، والكهف: هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجار، فعلى هذا يكون

قيماً على الكتب كلها أي: مصدقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً. قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي: مختلفاً، على ما قال الله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروى عن ابن عباس في قوله (قرآناً عربياً غير ذي عوج) أي: غير مخلوق. ﴿لِنَسْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا﴾، أي لينذر ببأس شديد، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾، أي من عنده، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾، أي الجنة.

[٣] ﴿مَكَانٍ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: مقيمين فيه.

[٤] ﴿وَيَسْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

[٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كَبُرَتْ﴾، أي عظمت، ﴿كَلِمَةً﴾، نصب على التمييز، يقال: تقديره كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف (مِنْ) فانصب، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: تظهر من أفواههم، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾، ما يقولون، ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ إِذَا عَمَرْتَهُمْ﴾، من بعدهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾، أي: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾، أي حزناً وقيل: غضباً.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾، فإن قيل: أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى. وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت). ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾، لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي أصحح عملاً. وقيل: أيهم أترك للدنيا.

الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم:

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا﴾ شددنا، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، بالصبر

والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف، ﴿إِذْ قَامُوا﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططاً، قال ابن عباس: جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

[١٥] ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾، يعني أهل بلدهم، ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿ءَالِهَةً﴾، يعني الأصنام يعبدونها، ﴿لَوْلَا﴾، أي هلا، ﴿يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾، أي على عبادتهم، ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، بحجة واضحة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وزعم أن له شريكاً أو ولداً.

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذْ اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾، يعني قومكم، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، قرأ ابن مسعود ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان يقول: إذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا، ﴿فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ﴾، فالجأوا إليه، ﴿يَنْشُرُ لَكُمْ﴾، ييسط لكم، ﴿رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ﴾، يسهل لكم، ﴿مِنْ أَمْرٍ مَرْفُوعًا﴾ أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مَرْفُوعًا) بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

[١٧] قوله تعالى: ﴿وَرَبَّى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرْتُّورًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون الزاي

الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة. وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه، وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف، وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

[١٠] فقال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا أي: اتخذه منزلاً ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾، وهو غار في جبل مخلوس واسم الكهف: خيرم. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ﴾. ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وَهَيَّئْ لَنَا﴾، يسر لنا، ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾، أي أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت يتيبه، ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة.

[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾، يعني من نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: علم المشاهدة ﴿أَيُّ الْحَرِيصِينَ﴾، أي: الطائفتين، ﴿أَحْصَى لِمَا لَيْسَ أَمْدًا﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله ﴿أَحْصَى لِمَا لَيْسَ أَمْدًا﴾ حفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً أمداً أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً ونصبه على التفسير.

[١٣] ﴿فَمَنْ نَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ نقرأ عليك ﴿بَنَاهُمْ﴾، خبر أصحاب الكهف. ﴿وَالْحَمَى﴾، بالصدق ﴿بِهِمْ فِتْيَةٌ﴾، شبان، ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَزَقْنَاهُمْ هُدًى﴾،

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢٩٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَإِذِ اعْتَرَّتْ لَمُوتُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأَهُ إِلَى الْكَهْفِ  
يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا  
﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ  
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ  
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَعُورًا مَهْتَدٍ وَمَنْ  
يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ وِلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَيُّكَاطًا  
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ  
بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِاطِعٌ عَلَيْهِمْ لَوِائِتٌ مِنْهُمْ  
فِرَارًا وَكَلِمَاتٌ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ  
لِتَسَاءُلِ أُولَئِينَ لَهُمْ مِنْهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا  
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا  
أَحَدَكُمْ بِرُوقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى  
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرُوقٍ مِنْهُ وَلْيَسْطَفْ وَلَا يَشْعُرَنَّ  
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْحَمُوكُمْ  
أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ﴿٢٠﴾

وتشديد الرأ على وزن تحمر، وقرأ أهل الكوفة  
بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون  
بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل  
وتعدل، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: جانب  
اليمين، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾، أي: تتركهم وتعدل  
عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، أصل القرض القطع،  
﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: متسع من الكهف  
وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم  
مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع  
ولا عند الغروب وفيما بين ذلك، قال: اختار الله  
لهم مضطجعًا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس  
فتؤذيهم بحرهما وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم  
برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار  
وغمومه. وقال بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن  
الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا  
تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته  
وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ  
آيَاتِ اللَّهِ﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته  
التي يعتبر بها، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَعُورًا مَهْتَدٍ وَمَنْ  
يَضِلْ﴾، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فَلَنْ  
يُجِدَ لَهُ وِلِيًّا﴾، معينا، ﴿مُرْسِدًا﴾.

[١٨] قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيُّكَاطًا﴾ أي:  
متتبعين جمع: يقظ، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾، نيام جمع راقد  
مثل قاعد وعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا  
مفتحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلمون، ﴿وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ  
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة  
للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في  
السنة مرة من جنب إلى جنب لثلا تأكل الأرض  
لحومهم. وقيل: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم.  
وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان،  
﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾، أكثر أهل التفسير  
على أنه كان من جنس الكلاب. ورؤي عن ابن  
جريح: أنه كان أسد أو سمي الأسد كلبًا فإن النبي

ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط  
عليه كلبًا من كلابك»<sup>(١)</sup> فافترسه أسد، والأول  
المعروف قوله ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال مجاهد والضحاك:  
والوصيد فناء الكهف. وقال عطاء: عتبة الباب.  
وقال السدي: الوصيد الباب. وهو رواية عكرمة  
عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا  
عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب  
قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي:  
كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب  
معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه  
اليمنى وردد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر  
أذنه اليسرى. وردد عليها. ﴿لَوِاطِعٌ عَلَيْهِمْ﴾، يا  
محمد، ﴿لَوِائِتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، لما ألبسهم الله من  
(١) صححه الحاكم في المستدرک ٥٣٩/٢ ووافقه الذهبي  
وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٩/٤.

ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعامًا. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعامًا. وقال عكرمة: أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعامًا. ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بَرِّزِقٍ مِّنْهُ﴾، أي قوت وطعام تأكلونه، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، ﴿وَلَا يُسْعِرَنَّ﴾، ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾، من الناس.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿بَرِّجُمُوكُمْ﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل: يضربوكم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: إلى الكفر، ﴿وَلَنْ تُلَاحِظُوا إِذَا أَبَدْنَا﴾، إن عدتم إليه.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا﴾ أي: أطلعنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يقال: عثرت على الشيء إذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي أطلعته، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني أصحاب بيدروس الحاكم حين بعثوا الذين أنكروا البعث، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾، قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبي عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبي عليهم بنيانًا لأنهم من أهل ديننا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال قوم للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم. ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بُنِينًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾، بيدروس الملك وأصحابه، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّاغِبُهُمْ كُلُّهُمْ وَإِقْرَؤُونَ

الهيئة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿وَلَمَلِكْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾، خوفًا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقبلهم من غير حس ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لثلا يراهم أحد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾، أي كما أنماهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت، ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضًا واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾، وهو رئيسهم مكسلينا، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا حين انتبهوا عشية فقالوا: لبثنا يومًا ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾، يعني تملیخا، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرهما ومعناهما واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أحل طعامًا حتى لا يكون من غضب أو سبب حرام، وقيل: أمره أن يطلب

وَكَذَلِكَ أَعْرَفْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا فَأَقُولُوا رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا نَحْنُ بِآرِثِينَ لَهُ لَوْلَا أَنزَالُكَ عَلَيْنَا لَكُنَّا عَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

وَكَذَلِكَ أَعْرَفْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا فَأَقُولُوا رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا نَحْنُ بِآرِثِينَ لَهُ لَوْلَا أَنزَالُكَ عَلَيْنَا لَكُنَّا عَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

وَكَذَلِكَ أَعْرَفْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا فَأَقُولُوا رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا نَحْنُ بِآرِثِينَ لَهُ لَوْلَا أَنزَالُكَ عَلَيْنَا لَكُنَّا عَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

وَكَذَلِكَ أَعْرَفْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا فَأَقُولُوا رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا نَحْنُ بِآرِثِينَ لَهُ لَوْلَا أَنزَالُكَ عَلَيْنَا لَكُنَّا عَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

حَسَّةٌ سَادَّتْهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴿٢٣﴾، أي ظنًا وحدثًا من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: المسلمين، ﴿سَبْعَةٌ وَتَأْمُنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، اختلفوا في الواو في قوله: ﴿وَتَأْمُنُهُمْ﴾ وقيل: تركها وذكرها سواء. وقيل: هي واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله: ﴿وَتَأْمُنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والثامن لا يكون إلا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعد فتقول: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى: (التائبون العابدون الحامدون) إلى قوله: (والناهون عن المنكر)، وقال في أزواج النبي ﷺ: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرا ممنكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا). ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبْدَتِهِمْ﴾، أي: بعددهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: إنا من القليل كانوا سبعة. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرًا﴾، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول: بحسبك ما قصصت عليك فلا ترد عليه وقف عنده، ﴿وَلَا سَتَفَتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ﴾، من أهل الكتاب، ﴿أَحَدًا﴾ أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك. [٢٣] ﴿وَلَا نَقُولُنَّ لِشَيْءٍ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾.

نَسِيتُ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنى، وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوز الحسن ما دام في المجلس، وجوز بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلًا بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة، عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»<sup>(١)</sup>. ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا﴾، أي يشبني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر

(١) أخرجه البخاري في المواقيت ٧٠/٢ ومسلم في المساجد رقم (٥٩٧) ٢٤١/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٤١/٢.

[٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إذا عزم على أن تفعل غدا شيئًا فلا تقل أفعل غدا حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غدا ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي أيامًا ثم نزلت هذه الآية، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا

﴿سِنِينَ﴾، قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة. وقيل: ومعناه لبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة. ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾، قال الكلبي: قالت نصارى نجران: أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ رُوي عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاثمائة تسع سنين فلذلك قال: ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾. ﴿لَمْ يَغِبْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراكك والله عزّ وجلّ لا يغيب عن إدراكه شيء. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، ﴿مَا لَهُمْ﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله، ﴿مَنْ وَلِيٌّ نَاصِرٌ﴾، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿ولا تشرك﴾ بالثناء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله في حكمه أحدًا. وقيل: الحكم هنا علم الغيب لا يشرك في علم غيبه أحدًا.

[٢٧] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ أي: وقرأ يا محمد، ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، واتبع ما فيه، ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال الكلبي: لا مغير للقرآن. وقيل: لا مغير لما أُوعد بكلماته أهل معاصيه، ﴿وَلَنْ نَحْدَثَ﴾، أنت، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿مُتَحَدًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرزًا. وقال الحسن: مدخلًا. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: معدلاً. وقيل: مهربًا. وأصله من الميل.

[٢٨] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان

الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئًا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عزّ وجلّ أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث أتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول: (عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا).

[٢٥] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خبرًا من الله عزّ وجلّ عن قدر لبثهم لم يكن لقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وجه، وهذا قول قتادة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: (وَقَالُوا لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) ثم رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف، وهو الأصح، وأما قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبههم: وقل الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فردّ الله عليهم وقال: قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (ثَلَاثَ مِائَةٍ) بلا تنوين، وقرأ الآخرون: بالتنوين، فإن قيل: لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل ستة؟ قيل: نزل قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾، فقالوا: أيامًا أو شهرًا أو سنين؟ فنزلت



فَلْيُؤْمِنِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)، وقيل: معنى الآية: وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سراقها، وإن آمنتم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر، كفر وهو قوله: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله). ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، أعدنا وهياناً من العتاد وهو العدة، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا﴾، السرادق الحجة التي تطيف بالفساطيط، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي: هو عتق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة. وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب). ﴿وَإِنْ يَسْتَفِئُوا﴾ من شدة العطش، ﴿يَعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَمِّهِلٍ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿بِمَاءٍ كَأَمِّهِلٍ﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو القيح والدم، وسئل ابن مسعود عن المهمل؟ فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهمل، ﴿يَشْوَى أَلْوَجُوهَ﴾، ينضح الوجوه من

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم ٣٠٦/٧ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين وفي رشدين بن سعد مقال، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩/٣ والحاكم ٤/٦٠١ والطبري ٢٣٩/١٥ والمصنف في شرح السنة ١٥/٢٤٥. (٢) أخرجه الترمذي في الموضوع السابق ٣٠٥/٧ وأحمد في المسند ٧٠/٣ والحاكم ٦٠٤/٤ والمصنف في شرح السنة ٢٤٥/١٥ بنفس الإسناد، وهو ضعيف.

وعليه شملة قد عرق فيها ويده حوصة يشقها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾، أي: احبس يا محمد نفسك، ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَى وَالْعَشَى﴾، طرفي النهار ﴿بُرَيْدُونَ وَجَهَمٌ﴾ لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة ويتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، إلى غيرهم، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي طلب مجالسة الأغنياء والأشرف وصحبة أهل الدنيا، ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع أمره وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل: باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوز للحد. قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم.

[٢٩] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال، ليس إلي من ذلك شيء. ﴿فَمَنْ شَاءَ

حره، ﴿يَسْكُ الشَّرَابَ وَسَاءَتْ النَّارُ، مُرْتَفَقًا﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء: مقرأ. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل المرتفق المتكأ.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

[٣١] فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، أي: إقامة، يقال: عدن فلان بالمكان إذا أقام به، سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها، ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، قال سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُدُسٍ﴾، وهو مارق من الديداج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السدس هو الديداج المنسوج بالذهب، ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾، في الجنان، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر في الحجال واحدها أريكة، ﴿نَعْمَ الثَّوَابُ﴾ أي نعم الجزاء، ﴿وَحَسَنَتُ الْجَنَانِ مُرْتَفَقًا﴾ أي: مجلساً ومقرأ.

[٣٢] ﴿وَأَصْرَبُ لَهُمْ مَثَلًا رَظَيْنِ﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾، بستانين، ﴿مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِبَنخْلِ﴾، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحفاف الجانب، وجمعه أحفة، يقال: حَفَّ به القوم أي طافوا بجوانبه، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾، أي جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع. وقيل: بينهما أي بين الجنتين زرعاً

﴿وَأَصْرَبُ نَفْسِكَ﴾ مع الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَضْعَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٣٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا اللَّهُ وَإِنْ يَسْتَعْجِلُونَ أَيُّهَا الْإِمَاءُ كَالْمَهْلِ يَسْوَى الْوُجُوهِ بِسْكَ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسَنَتُ مُرْتَفَقًا ﴿٤١﴾ وَأَصْرَبُ لَهُمْ مَثَلًا رَظَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِبَنخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٤٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَطْلُبْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٤٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٤٤﴾

يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ﴾، أي أعطت كل واحدة من الجنتين، ﴿أَكْلَاهَا﴾، ثمرها تاماً، ﴿وَلَمْ تَطْلُبْ﴾، لم تنقص، ﴿مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾، قرأ العامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُ﴾، لصاحب البستان، ﴿ثَمْرٌ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿ثَمْرٌ﴾ بفتح التاء والميم، وكذلك بشمة، وقرأ أبو عمرو بضم التاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهرى: الثمرة تجمع على ثمر، ويجمع الثمر

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

٢٩٨

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ

أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي

لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا

﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ

دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا

أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وُودًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ

جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا

زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ

لِللَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[٣٩] ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾، أي هلا إذ

دخلت جنتك، ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر ما

شاء الله. وقيل: جوابه مضمرة أي ما شاء الله كان،

وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي لا أقدر على حفظ

مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله، ورؤي عن هشام بن

عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه

أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة

إلا بالله. ثم قال: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وُودًا﴾

«أنا» عماد<sup>(١)</sup>، ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني

أقل منك ما لا ووداً فتكبرت وتعظمت علي.

[٤٠] ﴿فَعَسَى رَبِّي﴾، فلعل ربي، ﴿أَنْ يُؤْتِيَنَّ﴾،

يعطيني في الآخرة، ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ

عَلَيْهَا﴾، أي على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾، قال قتادة:

(١) وهكذا في طبعة ١٣٤٣هـ وكذا في طبعة النمر وهو

صحيح.

على ثمار، ثم تجمع الثمار على ثمر. ﴿فَقَالَ﴾،

يعني صاحب البستان، ﴿لِصَاحِبِهِ﴾، المؤمن،

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، يخاطبه ويجاوبه، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ

مَا لَا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة:

خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله

تعالى: (إن ترن أنا أقل منك ما لا وولداً).

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعني الكافر، أخذ بيد

أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿وَهُوَ

ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، بكفره، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾،

تهلك، ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾، قال أهل المعاني: رافع

حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تنفي أبداً وأنكر

البعث.

[٣٦] فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، كائنه،

﴿وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، قرأ

أهل الحجاز والشام هكذا على الشنية، يعني من

الجنيتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون

﴿مِنْهَا﴾ أي: من الجنة التي دخلها، ﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي:

مرجعاً، إن قيل: كيف قال ﴿وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾،

وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي

على ما تزعم أنت يعطيني هنالك خيراً منها فإنه لم

يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة

أفضل منها.

[٣٧] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾، المسلم، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾

أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي خلق أصلك من

تراب، ﴿ثُمَّ﴾، خلقك، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾

أي: عدلك بشراً سوياً ذكراً.

[٣٨] ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، قرأ ابن عامر

ويعقوب لكننا بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا

ألف واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله

«لكن أنا» فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف لكثرة

استعمالها ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى،

قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازة: لكن الله

هو ربي، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

غيره يثيب، ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم (عُقْبًا) ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ﴾، يا محمد أي لقومك: ﴿مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، يعني المطر، ﴿فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، عن قريب ﴿هَشِيمًا﴾، يابسًا. قال ابن عباس وقال الضحاك: كبيرًا. والهشيم: ما ييسر وتفتت من النباتات فأصبح هشيمًا، ﴿نَدْرُوهُ الرِّيحَ﴾، قال ابن عباس: تفرقه الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي: تنسفه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾، قادرًا.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾، التي يفخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء، ﴿زِينَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾، ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد رُوينا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن جبير ومسروق وإبراهيم: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس. ويروى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ نُورًا﴾، أي جزاء، المراد ﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي ما يأمله الإنسان.

[٤٧] ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ الْجِبَالُ﴾. قرأ ابن كثير وأبو

عذابًا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: نارًا. وقال القتيبي: مرامي. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدتها حسبانية، ﴿فَنُصِّحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، أي أرضًا جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملاً هائلًا.

[٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾، أي: غائرًا منقطعًا ذاهبًا لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، والغور مصدر وضع موضع الاسم، مثل زور وعدل، ﴿فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَكَ طَلَبًا﴾، يعني: إن طلبته لم تجده.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾، أي أحاط العذاب بشمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها نارًا فأهلكتها وغار ماؤها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، صاحبها الكافر ﴿يَقْبَلُ كَهَيْئَةٍ﴾، أي يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرًا لبطن تأسفًا وتلهفًا، ﴿عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾، أي ساقطة، ﴿عَلَىٰ غُرُوشِهَا﴾، سقوفها، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

[٤٣] قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾، جماعة، ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يمنعونه من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾، ممتنعًا منتقمًا لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على رد ما ذهب عنه.

[٤٤] ﴿هَذَاكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي (الْوَلِيَّةُ) بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصر، كقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا)، قال القتيبي: يريد أنهم يتلون يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. وقيل: بالفتح الربوبية وبالكسر الإمارة، ﴿الْحَقِّ﴾ برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي:

(هَذَاكَ الْوَلِيَّةُ الْحَقِّ لِلَّهِ)، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ ﴿هُوَ حَيْرٌ نُورًا﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في الإيمان والنذور ١١/٥٦٦ ومسلم من حديث سمرة بن جندب ٣/١٦٧٥ والنسائي وابن حبان. انظر فتح الباري ١١/٥٦٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ  
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْ لَا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى  
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا  
 عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَبْلَ زَعْمَتِهِ  
 أَلَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ  
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ  
 لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا  
 حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا  
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ  
 أَفَتَسْتَحْدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 يَأْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُوعًا  
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ  
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ  
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدْوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴿٥٣﴾

عمرو وابن عامر (تَسِيرٌ «بالتاء وفتح الياء» الجبال  
 «رفع») دليله قوله تعالى: (وإذا الجبال سيرت)، وقرأ  
 الآخرون بالنون وكسر الياء، ﴿الْجِبَالُ﴾ نصب،  
 وسير الجبال نقلها من مكان إلى مكان، ﴿وترى الأرض  
 بارزة﴾، أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا  
 نبات، كما قال: (فيذرها قاعًا صنفًا لا ترى فيها  
 عوجًا ولا أمتًا)، قال عطاء: هو بروز ما في باطنها  
 من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهرًا،  
 ﴿وحشرتهم﴾، جميعًا إلى الموقف والحساب، ﴿فلم  
 نغادر منهم﴾، أي ترك منهم، ﴿أحدًا﴾.

[٤٨] ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾، أي صفا صفا  
 فوجًا فوجًا، لا أنهم صف واحد. وقيل: قيامًا، ثم  
 يقال لهم يعني الكفار: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول  
 مرة﴾، يعني أحياء، وقيل: فرادى كما ذكر في  
 سورة الأنعام. وقيل: غرلاً. ﴿لئلا زعمتم أن نجعل  
 لكم موعدًا﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾، يعني  
 كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في  
 أيمانهم وشمائلهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله  
 تعالى. ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾، خائفين، ﴿مما  
 فيه﴾، من الأعمال السيئة، ﴿ويقولون﴾، إذا  
 رأوها، ﴿يويلنا﴾، يا هلاكنا، والويل والويلة  
 الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى  
 النداء تنبيه المخاطبين، ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر  
 صغيرة ولا كبيرة﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس:  
 الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. وقال سعيد  
 ابن جبير: الصغيرة: اللمم واللمس والقبلة،  
 والكبيرة: الزنا. ﴿إلا أحصاها﴾، عددها، قال  
 السدي: كتبها أثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها  
 ﴿وجادوا ما عملوا حاضرا﴾، مكتوبًا مثبتًا في كتابهم،  
 ﴿ولا يظن ربك أحدًا﴾، أي لا ينقص ثواب أحد  
 عمل خيرًا. وقال الضحاك: لا يؤخذ أحدًا بجرم  
 لم يعمله. وقال عبدالله بن قيس: يعرض الناس يوم

القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجدال  
 ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير  
 الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله.  
 ورفع بعضهم عن أبي موسى.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا  
 لآدم﴾، يقول: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة  
 اسجدوا لآدم ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾،  
 قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم  
 الجن خلقتوا من نار السموم. وقال الحسن: كان  
 من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن  
 كما أن آدم أصل الإنس، ﴿فسق﴾، أي خرج،  
 ﴿عن أمر ربه﴾، عن طاعة ربه، ﴿أفتستجدونه﴾،  
 يعني يا بني آدم ﴿وذريته أولياء من دوني وهم لكم  
 عدو﴾، أي أعداء عن جابر بن عبدالله رضي الله  
 عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن إبليس يضع

[٥٣] ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ﴾، أي المشركون، ﴿فَظَنُّوا﴾، أيقنوا، ﴿أَنَّهُمْ مُّوَفَّعُوهُمَا﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، معدلاً لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، بينا، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي ليتذكروا ويتعظفوا، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، خصومة في الباطل. قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن. قال الكلبي: أراد به أبي بن خلف الجمحي. وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: (ويجادل الذين كفروا بالباطل)، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح.

[٥٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسل ﷺ. ﴿وَيَسْتَعْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل: إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، قال ابن عباس: أي: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

[٥٦] ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ﴾، ومجادلتهم قولهم: (أبعث الله بشراً رسولاً) وقوله: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)، وما أشبهه. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾، ليبطلوا، ﴿بِهِ الْحَقُّ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق، ﴿وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُذِرُوا هُرُوجًا﴾، فيه إضمار يعني وما أنذروا

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم (٢٨١٣) (٤/

٢١٦) والمصنف في شرح السنة (١٤/٤١٠).

عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت. قال الأعمش: أراه قال: فيلترمه<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿يُنْسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، قال قتادة: بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾، ما أحضرتهم، وقرأ أبو جعفر ﴿ما أشهدناهم﴾ بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار، وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾، يقول ما أشهدتهم خلقاً فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً أي: أنصاراً وأعاوناً.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي: يقول الله لهم يوم القيامة، ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾، يعني الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أنهم شركائي، ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾، فاستغاثوا بهم، ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، يعني بين الأوثان وعبديتها وقيل: بين أهل الهدى وأهل الضلال، ﴿مَوْبِقًا﴾ مهلكاً قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو واد في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم. وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيات مثل البغال الدهم. قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه أي أهلكه، قال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: (لقد تقطع بينكم) على قراءة من قرأ بالرفع.

به وهو القرآن، هزوا أي استهزاء.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ﴾، وُعظ، ﴿بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي ما عمل من المعاصي من قبل، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أي يفهموه يريد لثلا يفهموه، ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، أي صمما وثقلا، ﴿وَإِنْ نَدَعُهُمْ﴾، يا محمد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾، إلى الدين، ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، ذو النعمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾، يعاقب الكفار، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، من الذنوب ﴿لَعَجَلْ لَكُمْ الْعَذَابَ﴾، في الدنيا، ﴿بَلْ لَكُمْ مَوْعِدٌ﴾، يعني البعث والحساب، ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا﴾، ملجأ.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، يعني قوم نوح وعاد وشمود وقوم لوط وغيرهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾، أي أجلا، قرأ أبو بكر (لمهلكهم) بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في النمل ﴿مُهْلِكٌ﴾ أي لوقت هلاكهم، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لإهلاكهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّىٰ أَتَّبَلِّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، عامة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميثا من أولاد يوسف. والأول أصح ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْنَهُ﴾، يوشع بن نون، ﴿لَا أَسْبَحُ﴾، أي لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَتَّبَلِّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، أي وإن كان حُقُبًا أي دهرًا طويلاً وزمانًا، وجمعه أحقاب، والحقب جمع الحقب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملا خبرًا وسمكة مألحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً.

سورة الكهف

٣٠٠

سورة الكهف

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٦﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَبِجَدِيدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هَزْوًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلْ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَكُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّىٰ أَتَّبَلِّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَمَاتَا وَخُذْ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٣﴾

[٦١] فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿بِجْمَعٍ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الفريقين، ﴿نَسِيَا﴾، تركا، ﴿حَوْتَهُمَا﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنها جميعًا تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حملة واحد منهم، ﴿فَاتَّخَذَ﴾، أي الحوت، ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، أي مسلكًا قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا ييس حتى صار صخرة.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿لِقَتْنَهُ ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾، أي طعامنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أي تعبًا وشدة وذلك أنه

ألقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ له فتاه يذكر ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبّره، فنسي أن يخبّره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد. قيل: في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿وَمَا أُنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقيل: معناه أنسانيه لثلا أذكره، ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قيل: هذا من قول يوشع، ويقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا. وروينا في الخبر: كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا<sup>(١)</sup>.

[٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾، أي نطلب، ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه يبتغيانه، فوجدا عبدا من عبادنا، قيل: كان ملكا من الملائكة، والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ أنه الخضر<sup>(٢)</sup>، واسمه بلي بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا في الدنيا، والخضر لقب له.

[٦٥] فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾، أي نعمة، ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، أي إلهامًا ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم، يقول: جئت لأتبعك.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، وأصحبك، ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب: (رُشْدًا) بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صوابا. وقيل: علما ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آتَيْنَا عَبْدًا نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُفُوقِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٤﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٥﴾

قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علما وبني إسرائيل شغلا، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحيثنذ.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾، له الخضر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أمورًا منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر.

[٦٨] فقال له: ﴿وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾، أي علما.

[٦٩] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

(١) في رواية البخاري في كتاب التفسير: (فكان لفتاه عجا وللحوت سربا). (٢) انظر صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى (٤٣١/٦).



باليسر ولا تعاملني بالعسر.

[٧٤] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾، في القصة أنهما خرجا من البحر يمسيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلامًا ظريفًا وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال الضحاك: كان غلامًا يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا»<sup>(٢)</sup>. ﴿قَالَ﴾ موسى، ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: ﴿زَاكِيَّةً﴾ بالألف، وقرأ الآخرون: زكية، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية التي لم تذنّب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت، ﴿يَعْيِرُ نَفْسٍ﴾، أي لم تقتل نفسًا بشيء وجب به عليها القتل، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، أي منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الأمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير. قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا ﴿نُكْرًا﴾ وفي سورة الطلاق بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

[٧٥] ﴿قَالَ﴾، يعني الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قيل: زاد هنا لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه.

[٧٦] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾، بعد هذه المرة، ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾، وفارقتي، وقرأ يعقوب: ﴿فَلَا تُصِحْبِنِي﴾ بغير ألف من الصحبة. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِي عُذْرًا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر ﴿مِن لَدُنِي﴾ خفيفة النون وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد

[٧٠] ﴿قَالَ﴾، الخضر، ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي﴾، فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطًا فقال، ﴿فَلَا تَسْتَأْنِي﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ أعمله فيما تنكره وتعترض عليه، ﴿حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، حتى ابتداء لك بذكره فأبين لك شأنه.

[٧١] ﴿فَانطَلَقَا﴾ يمسيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها، وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسًا فخرق لوحًا من السفينة» فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ﴾، له موسى، ﴿أَخْرَقْنَاهَا لِئُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ليغرق﴾ بالياء وفتحها وفتح الراء وقرأ الآخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء ﴿أَهْلُهَا﴾ النصب على أن الفعل للخضر، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: إمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي: ﴿إِمْرًا﴾ أي عجبًا.

[٧٢] ﴿قَالَ﴾، العالم وهو الخضر، ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

[٧٣] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لَا تُؤْخَذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، قال ابن عباس: إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام، فكانه نسي شيئًا آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك. وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسيانًا والوسطى شرطًا والثالثة عمدًا»<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾، ولا تغشني، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقت عسرًا أي كلفته ذلك، يقول لا تضيق على أمري وعاملني

(١) انظر صحيح البخاري ٣٢٦/٥ ومسلم ١٨٤٧/٤.

(٢) أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٦١) ٤/٢٠٥٠.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٣٠٢

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

﴿٧٥﴾ قَالَ أَمْ لَأَقُلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّنَا خَيْرًا مِمَّا كَفَرُوا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْيَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر ﴿بَيْنَ﴾ تأكيداً ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾، أي سوف أخبرك ﴿بِأُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني.

[٧٩] فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾، أي: يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، أ جعلها ذات عيب، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾، أي أمامهم، ﴿مَلِكٌ﴾، كقوله: (من ورائه جهنم)، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس

أعذرت فيما بيني وبينك. وقيل: قد حذرني أني لا أستطيع معك صبراً. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي. عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب»<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ فلو صبر لرأى العجب.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني أنطاكية. وقال ابن سيرين: هي الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: بركة. وعن أبي هريرة: بلدة بالأندلس. ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾، قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما<sup>(٢)</sup>. وروي أنهما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. وروي أنهما طافا في القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف. قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. ﴿فَأَقَامَهُ﴾، أي سواه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لَخَذْتُ) بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون ﴿لَخَذْتُ﴾ بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، ﴿أَجْرًا﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت وإنما جياح وإن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجراً.

[٧٨] ﴿قَالَ﴾ الخضر، ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا

(١) أخرجه مسلم في الفضائل برقم (٢٣٨٠) / ١٤ / ١٨٥١.

(٢) قطعة من الحديث السابق.

وكان أمامهم ملك، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، أي: كل سفينة صالحة غصبًا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا أَلْعَلَّةُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾، أي فعلمنا، وفي قراءة ابن عباس: وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين فخشينا، أي فعلمنا، ﴿أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾، يغشيهما، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿طُعِينَا وَكُفِّرَا﴾، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعه على دينه.

[٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَنْ يُّبَدِّلَهُمَا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمر بالتشديد ههنا وفي سورة التحريم والقلم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان وفرق بعضهم فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿رُهِمًا حَيْرًا مِنْهُ رُكُوءٌ﴾، أي صلاحًا وتقوى، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها أي: عطفًا من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقربة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه، قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، اختلفوا في ذلك الكنز، روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهبًا وفضة»<sup>(١)</sup>. وقال عكرمة: كان مالا. وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفًا فيها علم ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، قيل: كان اسمه كاشح وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا،

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. قوله عز وجل: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، أي يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة، ﴿وَيَسْتَخِرْهَا﴾ حيثلذ ﴿كَتْرَهُمَا رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿وَمِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، أي لم تطق عليه صبرًا، واستطاع واستطاع بمعنى واحد.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَسَتَلُونَا عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، خبرًا، واختلفوا في نبوته والأكثرون على أنه كان ملكًا عادلاً صالحًا.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا مَكَانًا لَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾، أوطانًا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخر له السحاب فحملة عليها، ومد له في الأسباب ويسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكنه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلّل له طرقها. ﴿وَأَنبِئْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، ﴿سَبَبًا﴾، أي: علمًا يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغًا إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف ٦٠٠/٨ والحاكم في المستدرک ٣٦٩/٢ والبخاري في تاريخه والطبراني. انظر تحفة الأحوذی ٦٠١/٨.

[٨٥] ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾، أي: سلك وسار طريقًا، قرأ أهل الحجاز والبصرة: فاتبع ثم اتبع موصولًا مشدداً، قرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء: وقيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الألف فمعناه أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت اتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سبباً أي طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر (حامية) بالألف غير مهموزة، أي حارة، وقرأ الآخرون ﴿حَمِيَّةٌ﴾ مهموزاً بغير الألف أي ذات حماة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعباً: كيف تجد في التوراة أنها تغرب في ماء الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين. قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِيَّةٍ﴾ أي عندها عين حمئة أو في رأي العين. ﴿وَوَجَدَهَا عِنْدَهَا قَوْمًا﴾، أي عند العين أمة ﴿فَلَمَّا يَدَّبَا الْقَرْيَتَيْنِ﴾، يستدل بهذا من زعم أنه كان نبياً فإن الله تعالى خاطبه، والأصح أنه لم يكن نبياً والمراد منه الإلهام، ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾، يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿وَإِمَّا أَنْ نُنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيرَه الله بين الأمرين.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾، كفر، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾، أي: نقتله، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾، في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكرًا يعني بالنار، والنار أنكر من القتل.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿جَزَاءً﴾ منصوباً منوناً أي: فله الحسنى ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر، وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، والحسنى الجنة وإضافة الحسن إليها كما

٣٠٣

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَدَّبَا الْقَرْيَتَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تُنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقَوِّلُ لَهُ مِنِ امْرَأَاتِهِمْ مِمَّنْ أُنْبِغَ سَبَبًا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾

﴿ثُمَّ أُنْبِغَ سَبَبًا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾

﴿قَالُوا يَدَّبَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾

﴿أَتُوفَىٰ زُنْبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأُتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾

قال: (ولدار الآخرة خير)، والدار هي الآخرة. وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. ﴿وَسَنُقَوِّلُ لَهُ مِنِ امْرَأَاتِهِمْ﴾، أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسراً أي معروفاً.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أُنْبِغَ سَبَبًا﴾، أي سلك طرقاً ومنازل.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾، أي موضع طلوعها، ﴿وَجَدَهَا تَطَّعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها،

جعلاً وأجزاً من أموالنا. وقال أبو عمرو: الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك أداؤه. وقيل: الخراج على الأرض والخراج على الرقاب. يقال: أَدَّ خَرَجَ رَأْسِكَ وَخَرَجَ مَدِينَتَكَ. ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، أي حاجزاً فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾، لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾، قرأ ابن كثير ﴿مكنتي﴾ بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قَوَّانِي عَلَيْهِ، ﴿رَبِّي خَيْرٌ﴾، من جعلكم، ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّتِكُمْ﴾، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، أي سداً، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فَعَلَةُ وَصُنَاعُ يَحْسِنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ، والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال:

[٩٦] ﴿ءَاتُونِي﴾، أعطوني وقرأ أبو بكر ﴿آتُونِي﴾ أي جيثوني، ﴿زَبْرَ الْحَدِيدِ﴾، أي قطع الحديد واحدها زبرة، فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَّيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والذال، وجزم أبو بكر الذال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوي أي: سوى بين طرفي الجبلين. ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾، أي صار الحديد ناراً، ﴿قَالَ ءَاتُونِي﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلأ، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، أي أتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس. قال قتادة: هو كالبر والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً

والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس، ﴿وَقَدْ أَحْطَأْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَبْرًا﴾، يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبراً أي علماً.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأً﴾. [٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ هما هنا جبلان سدد، والقرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ يعني: أمام السدين. ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قرأ حمزة والكسائي (يُفْقَهُونَ) بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون؟ قيل: كلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم يا ذا القرنين. ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، قرأهما عاصم مهموزين، والآخرون بغير همز، وهما لغتان أصلهما من أجيح النار، وهو ضوءها وشرها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وقيل: بالهمز من أجيح النار وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل هاروت وماروت قوله تعالى: ﴿مُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس. وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خراجاً﴾ بالألف، وقرأ الآخرون ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد، أي

وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ. [٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾، من أسفله لشدته ولصلابته. وقرأ حمزة ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ بتشديد الطاء أذغم تاء الافتعال في الطاء.

[٩٨] ﴿قَالَ﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هَذَا﴾، أي السد، ﴿رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾، قيل: القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءً﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿دَكَّاءً﴾ بالمد والهمز، أي أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مد أي: جعله مدكوئاً مستويًا مع وجه الأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَوْجٍ فِي بَعْضٍ﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج أي يدخل بعضهم على بعض، كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم، وقيل: هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيهم حيارى، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿فَجَمَعْتُهُمْ جَمَاعًا﴾، في صعيد واحد.

[١٠٠] ﴿وَعَرَّسْنَا﴾، أبرزنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾، حتى يشاهدوها عيانًا.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾، أي غشاء والغطاء ما يغطي به الشيء ويستره، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾، يعني عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. ﴿وَكَاثُرًا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، أي سمع القبول، والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدّة عداوتهم، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئًا لعداوته.

[١٠٢] ﴿أَفْحَسِبَ﴾، أظن، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِيَاءِ﴾، أربابًا يريد بالعباد عيسى والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سماها عبادًا، كما قال: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم)، وجواب هذا الاستفهام محذوف. قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول أظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟! وقيل: أظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. ﴿يَأْتَا أَعْدَانَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾، أي: منزلًا، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزول ما يهبأ للضيف، يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلًا ونوالًا فنالوا هلاكًا وبوارًا، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحًا فخرس وخاب سعيه، واختلفوا فيهم، قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. ﴿صَدَّ سَعْيُهُمْ﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، أي عملاً.

[١٠٥] ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَتْ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ حَبِطَتْ﴾، بطلت، ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾، أي لا نجعل لهم خطرًا وقدرًا، تقول العرب: ما لفلان عندي وزن أي قدر لخصته، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»<sup>(١)</sup> وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾، قال (١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٦/٨ ومسلم في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٥) ٤/٢١٤٧.

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

٣٠٤

الْبُرْجَانِ

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠٦﴾ وَتَرَكَآبَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّوْجٌ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ يَجْمَعُهُمْ جَمْعًا ﴿١٠٧﴾ وَعَرْضَنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٨﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٩﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَسْخَرُوا عِبَادِي مِن دُورِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا عِنْدَنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١١٠﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١١﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١١٣﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٤﴾ وَإِن لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴿١١٥﴾ رَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>. قَالَ كَعْبُ: لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ جَنَّةٌ أَعْلَى مِنَ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا الْأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَقْصَاهَا وَأَرْفَعُهَا. قَالَ كَعْبُ: الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْبَسْتَانُ الَّذِي فِيهِ الْأَعْنَابُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْبَسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هِيَ الْجَنَّةُ بِلِسَانِ الْحَبْشِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ بِالرُّومِيَّةِ مَنقُولٌ إِلَى لَفْظِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الْجَنَّةُ الْمَلْتَقَةُ الْأَشْجَارِ. وَقِيلَ: هِيَ الرُّوْضَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ. وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي تَنْبَتُ ضَرْوِيًّا مِنَ النَّبَاتِ، وَجَمَعَهُ فِرَادِيسٌ، ﴿نُزُلًا﴾، قِيلَ أَي مَنزَلًا. وَقِيلَ: مَا يَهَيَأُ لِلنَّازِلِ عَلَى مَعْنَى كَانَتْ لَهُمْ ثَمَارُ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ وَنَعِيمُهَا نُزُلًا، وَمَعْنَى كَانَتْ لَهُمْ أَي فِي عِلْمِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقُوا.

أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾، يعني القرآن، ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾، أي سخرية ومهزوءاً بهم.

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾، رويها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>. قَالَ كَعْبُ: لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ جَنَّةٌ أَعْلَى مِنَ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا الْأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَقْصَاهَا وَأَرْفَعُهَا. قَالَ كَعْبُ: الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْبَسْتَانُ الَّذِي فِيهِ الْأَعْنَابُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْبَسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هِيَ الْجَنَّةُ بِلِسَانِ الْحَبْشِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ بِالرُّومِيَّةِ مَنقُولٌ إِلَى لَفْظِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الْجَنَّةُ الْمَلْتَقَةُ الْأَشْجَارِ. وَقِيلَ: هِيَ الرُّوْضَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ. وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي تَنْبَتُ ضَرْوِيًّا مِنَ النَّبَاتِ، وَجَمَعَهُ فِرَادِيسٌ، ﴿نُزُلًا﴾، قِيلَ أَي مَنزَلًا. وَقِيلَ: مَا يَهَيَأُ لِلنَّازِلِ عَلَى مَعْنَى كَانَتْ لَهُمْ ثَمَارُ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ وَنَعِيمُهَا نُزُلًا، وَمَعْنَى كَانَتْ لَهُمْ أَي فِي عِلْمِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقُوا.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾، لا يطلبون، ﴿عَمَّا حَوْلًا﴾، أي تحوُّلاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إلى دار إذا توافقه إلى دار أخرى.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، قال ابن عباس: قالت اليهود يا محمد ترعّم أنا قد

أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل: لما نزلت: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ سُمِّي الْمَدَادُ مِدَادًا لِامْتِدَادِ الْكِتَابِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَمَجِيءِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِلْقَلَمِ وَالْقَلَمُ يَكْتُبُ، ﴿لَفِدَّ الْبَحْرُ﴾ أَي مَآوُهُ، ﴿بَلَّ أَنْ تَفِدَّ﴾، قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَاةَ ﴿يَفِدُّ﴾ بِالْيَاءِ لَتَقْدِمِ الْفِعْلِ، وَالْبَاقُونَ بِالْتَاءِ، ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾، أَي عِلْمِهِ وَحِكْمِهِ، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، مَعْنَاهُ لَوْ كَانَ الْخَلَائِقُ يَكْتُبُونَ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُمْ لَفِدَّ الْبَحْرُ وَلَمْ تَفِدَّ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ /

كلمات الله، ولو جئنا بمثله مدداً بمثل ماء البحر في كثرته مداً وزيادة، نظيره قوله تعالى: (لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾، قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لثلا يزهو على خلقه، فأمره الله أن يقر فيقول: أنا آدمي مثلكم إلا إني خصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد لا شريك له، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً فجمع به المعنيين، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، أي لا يراني بعمله، قال النبي ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراني يراني الله به»<sup>(١)</sup> وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»<sup>(٢)</sup>.

## (١٩) سُورَةُ مَرِيَمَ

[١] قوله عزّ وجلّ ﴿كَهَيْصَ﴾، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿كَهَيْصَ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. وقال الكلبي: معناه كافٍ لخلقها، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

[٢] ﴿ذَكَرْ﴾، رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر ربك، ﴿عَبْدُهُ زَكَرِيَّا﴾، برحمته.

[٣] ﴿إِذْ نَادَى﴾، دعا، ﴿رَبِّهُ﴾، في محرابه، ﴿بِدَاءٍ حَفِيًّا﴾، دعا سرّاً من قومه في جوف الليل. [٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾، ضعف ورق، ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾، من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾، أي ابيض شعر الرأس، ﴿شَيْبًا﴾، شمطاً، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، يقول عودتي الإجابة فيما مضى ولم تخيبي. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾، والموالي: بنو العم. قال مجاهد: العصبه. وقال أبو صالح: الكلاله. وقال الكلبي: الورثة. ﴿مِنْ وَرَاءِي﴾، من بعد موتي، قرأ ابن كثير ﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ بفتح الياء، والآخرين بإسكانها. ﴿وَكَانَتْ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا﴾، لا تلد، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾، أعطني من عندك ﴿وَلِيًّا﴾.

[٦] ﴿بِرِثِّي وَرِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، يعني ولياً وارثاً، واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة. وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم. وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٢٣٥/١١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٤٢) ٢٠٣٤/٤ والمصنف في شرح السنة ٣٢٣/١٤. (٢) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٢٨، ٤٢٩ والمصنف في شرح السنة ٣٢٤/١٤ قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح) وقال المسند: «إسناده جيد».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 كَهَيْعَتِ ١ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ، رَكَرَبًا ٢  
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ  
 مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ  
 شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ  
 امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ  
 مِنِّي وَإِلَيَّ يَرْجِعُونَ ٦ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦  
 إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ، يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ، مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي  
 عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ  
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُ  
 شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا  
 تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ  
 مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

والكسائي ﴿خلفناك﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل يحيى، ﴿وَلَوْ تَكُ شَيْئًا﴾.

[١٠] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، دلالة على حمل امرأتي، ﴿قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، أي صحيحًا سليمًا من غير ما بأس ولا خرس. قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض. وقيل: ثلاث ليال سويًا أي متتابعًا، والأول أصح. وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه.

[١١] قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج عليهم زكريا متغيرًا لونه فأنكروه، فقالوا:

الأخبار. وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله، والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولدًا صالحًا يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعمله لثلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، أي برًا تقيًا مرضيًا.

[٧] قوله عز وجل: ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾، وفيه اختصار، معناه فاستجاب الله دعاءه، فقال: يا زكريا إنا نبشرك، ﴿بِغُلَامٍ﴾، بولد ذكر، ﴿اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، قال قتادة والكلبي: لم يسم أحد قبله يحيى. وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شبهًا ومثلاً، كما قال الله تعالى: (هل تعلم له سميا)، أي مثلاً، والمعنى: أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط. وقيل: لم يكن له ميل في أمر النساء، لأنه كان سيدًا وحصورًا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولداً. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، أي ييسًا، وقال قتادة: يريد تحول العظم، يقال: عتا الشيخ يعتو عتياً وعسياً، إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاس إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف. وقرأ حمزة والكسائي: عتياً وبكياً وصلياً وجتياً بكسر أوائلهن، والباقون برفعها، وهما لغتان.

[٩] ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾، يسير، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ﴾، قرأ حمزة،

لم ير مثله، فخصّ يحيى بالسلامة في هذه المواطن.

[١٦] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، في القرآن، ﴿مَرِيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ﴾، تنحت واعتزلت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، من قومها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، أي مكانًا في الدار مما يلي المشرق، وكان يومًا شاتيًا شديد البرد فجلست في مشرقه تغلي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة.

[١٧] ﴿فَأَتَّخَذَتْ﴾، فضربت، ﴿مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترًا. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل. وقال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. الأول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

[١٨] و﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾، مؤمنًا مطيعًا، فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمنًا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعًا من الظلم، وكذلك ههنا معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعًا لك من الفجور.

مالك يا زكريا؟ ﴿فَأَرْحَى إِلَيْهِمْ﴾، قال مجاهد: كتب لهم بالأرض، ﴿أَنْ سَخُوا﴾، أي صلوا لله ﴿بُكْرَةً﴾، غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾، أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيًا فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

[١٢] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْيَى﴾، قيل: فيه حذف معناه: وهبنا له يحيى وقلنا له: يا يحيى، ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، بجهد، ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوة، ﴿صَبِيًّا﴾، وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيًّا<sup>(١)</sup>.

[١٣] ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾، رحمة من عندنا ﴿وَرِزْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص: وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحًا في إخلاص. وقال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبيه، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾، مسلمًا ومخلصًا مطيعًا، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا همّ بها.

[١٤] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾، أي بارًا لطيفًا بهما محسنًا إليهما. ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، الجبار المتكبر، وقيل: الجبار الذي يضرب، ويقتل على الغضب، والعصي العاصي.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾، أي: سلام له، ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْرَثُ حِجَابًا﴾، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومه لم يكن عابنهم، ويوم يعث حيا فيرى نفسه في محشر

(١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي حاتم والديلمي موقوفًا على ابن عباس. انظر الدر المنثور ٤٨٥/٥ كشف الخفا للعجلوني ٨٦/٢.

الْبُرُوجِ

٣٠٦

سُورَةُ مَرْيَمَ

يَبِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴿١٢﴾  
 وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبِرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ  
 يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ  
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ  
 مِن آهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا  
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي  
 أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ  
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي  
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ  
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً  
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ  
 بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِئِجِئِ النَّخْلَةِ  
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾  
 فَوَدَّعْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَخْرَجْنِي فَجَدَّحَلَّ رَبُّكَ حَمْلَكَ سِرًّا ﴿٢٤﴾  
 وَهَرَزْنِي إِلَيْكَ بِجِئِجِئِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَبِيًّا ﴿٢٥﴾

[١٩] ﴿قَالَ﴾، لها جبريل، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: ﴿ليهب لك﴾ أي ليهب لك ربك، وقرأ الآخرون: ﴿لأهب لك﴾ أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به، ﴿عُلْمًا زَكِيًّا﴾، ولذا صالحًا ظاهرًا من الذنوب.

[٢٠] ﴿قَالَتْ﴾، مريم ﴿أَنَّى﴾، من أين، ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾، لم يقربني زوج، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرة، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

[٢١] ﴿قَالَ﴾، جبريل، ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل: معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾، وقيل: هكذا قال ربك ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي خلق ولد بلا أب ﴿وَلَنَجْعَلَنَّهَا آيَةً لِلنَّاسِ﴾ دلالة على قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، ونعمة لمن تبعه على دينه، ﴿وَكَانَ﴾ ذلك، ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، محكومًا مفروغًا عنه لا يرد ولا يبدل.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾، قيل: إن جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيها فحملت حين لبست. وقيل: مَدَّ جِيبَ دَرَعِهَا بِأَصْبَعِهِ ثُمَّ نَفَخَ فِي الْجَيْبِ. وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها. وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخًا من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال، ﴿فَانْتَبَدَّتْ بِهِ﴾، أي تنحت بالحمل فلما حملته انبتت به أي وانفردت، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾، أي بعيدًا من أهلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فرارًا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج، واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء. وقيل: كان مدة ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر،

وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولدت لسته أشهر. وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى.

[٢٣] ﴿فَأَجَاءَهَا﴾، أي أَلْجَأَهَا وَجَاءَ بِهَا، ﴿الْمَخَاضُ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿إِلَى جِئِجِئِ النَّخْلَةِ﴾ وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف، وقيل: التَّجَّاتُ إِلَيْهَا لِتَسْتَنْدَ إِلَيْهَا وَتَتَمَسَّكُ بِهَا عَلَى وَجَعِ الْوِلَادَةِ، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، تمنى الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، ﴿وَكَانَتْ نَسِيًّا﴾، قرأ حمزة وحفص (نسيا) بفتح النون، والباقون بكسرهما، وهما لغتان، مثل الوتر والوتر والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما أُلْقِيَ

خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، وقرأ يعقوب (يساقط) بالياء مشددة رده إلى الجذع، ﴿رُطْبًا جَبِيًّا﴾، مجنيًا. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أو ان اجتناؤه. قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

[٢٦] قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي﴾، يعني فكلي يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾، يعني طيبي نفسًا وقيل: قري عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه. وقيل: أقر الله عينه يعني أنامها، يقال: قرّ يقر إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارًا، فمن هذا قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه، ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ مِّنَ الْبَشْرِ أَحَدًا﴾، يعني ترين، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين، معناه: فإما ترين من البشر أحدًا فيسألك عن ولدك ﴿فَقَوُّوْا إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، يعني صمتًا، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه، والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والشراب والكلام. قال السدي: كان في بني إسرائيل من إذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي. وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة. وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقًا ثم تمسك عن الكلام بعده، ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِسِيًّا﴾، يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

[٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾، وقيل: إنه ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها. وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إلى غار ومكث أربعين يومًا حتى طهرت من نفاسها، ثم

ونسي ولم يذكر لحقارته، ﴿مَنْسِيًّا﴾، أي متروكًا. قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضًا ناداها من سفح الجبل. وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها، ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾، وهو قول مجاهد والحسن، والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي وقاتدة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزني، ﴿فَدَّ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾، والسري: النهر الصغير. وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته بالإمساك أمسك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام. ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى. وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سرًّا يعني عيسى وكان والله عبدًا سرًّا يعني رفيًا.

[٢٥] ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ﴾، يعني قيل لمريم: حركي ﴿بِجَنِّعِ النَّخْلَةِ﴾، تقول العرب: هزه وهز به، كما يقول حَزَّ رأسه وحَزَّ برأسه، وأمَّد الجبل وأمَّد به، ﴿سُقِطَ عَلَيْكَ﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، يعني تساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطبًا، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف

كان حشواً في الكلام لا معنى له كقوله: (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وقال وهب: أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لثلاث يتخذ إلهاً، ﴿ءَأَنْتَی الْكُتُبَ وَجَعَلْتَنِي نَبِيًّا﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً. وقيل: هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»<sup>(١)</sup>. وقال الأثرون: أوتيت الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن أنه قال: ألهم التوراة وهو في بطن أمه.

[٣١] ﴿وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي نفاعاً حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً على من تبعني: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، أي أمرني بهما، فإن قيل: لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال. وقيل: أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة. وقيل: بالاستكثار من الخير. ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ أي وجعلني براً بوالدتي، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا﴾، أي عاصياً لربه. وقيل:

حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري، قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»<sup>(١)</sup> يعني عمله.

[٢٨] ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل. ورؤي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبهوها على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب كما قال الله تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أشباههم. وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم. وقيل: كان هارون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشهوها به.

﴿مَا كَانَ أَبُوكَ﴾ عمران، ﴿أَمْرًا سَوِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ﴾، حنة، ﴿بِعِيًّا﴾، أي زانية فمن أين لك هذا الولد؟

[٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾، مريم ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها، وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا؟ ثم، ﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو في المهد، وهو حجرها. وقيل: هو المهد بعينه، ﴿كَانَ﴾ بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: كان صلة أي كيف نكلم صبياً في المهد، وقد يجيء

(١) أخرجه البخاري في المناقب ٦/٢٩٦ ومسلم في فضائل

الصحابة برقم (٢٣٩٣) ٤/١٨٦٢.

(٢) صححه الحاكم في المستدرک ٢/٦٠٩ وأخرجه الإمام

أحمد في المسند ٥/٣٧٩ والبخاري في تاريخه ٧/٣٧٤.

الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

[٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾، أي السلام عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿وَيَوْمَ أُمُوتُ﴾، أي عند الموت من الشرك، ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾، من الأهوال، فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

[٣٤] ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، قال الزجاج: أي ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم، ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾ بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي: قال: قول الحق، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، يختلفون، فقائل يقول: هو ابن الله، وقائل يقول: هو الله، وقائل يقول: هو ساحر كذاب، وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق، أي هذا الكلام هو قول الحق، أضاف القول إلى الحق، كما قال: حق اليقين، ووعد الصدق، وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق هو الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق، ثم نفى عن نفسه الولد، ثم عظم نفسه فقال:

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد، ﴿سُبْحٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، إذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف يرجع إلى قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ﴾ وبأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٣٧] قوله: ﴿فَاحْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، يعني النصارى سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في

سورة مريم

٣٠٧

الجزء السادس عشر

فَكُلِّي وَأَسْرِبِي وَقَرِي عَيْنًا فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٣٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، فَأُولَا يَمْرِئِمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٣٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٤١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٨﴾

أمر عيسى، النسطورية والملكانية واليعقوبية. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى: (أأنت قلت للناس) الآية. ﴿يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أي: في خطأ بين.

[٣٩] ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠٨

الْباقية

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلُوِّ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ اللَّهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمِنَا وَأَهْجُرْنَا مِثْلًا ﴿٤٥﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْنَا سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٦﴾ وَأَعْتَزَلَكُمُ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٤٩﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾

على الكفر، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، قريبًا في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ أبوه مجيبًا له، ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ اللَّهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشمك إياها، ﴿لَأَرْحَمِنَا﴾، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشتمتك ولأبعدتك عني بالقول القبيح. قال ابن عباس: لأضربتك. وقال الحسن: لأقتلتك بالحجارة. ﴿وَأَهْجُرْنَا مِثْلًا﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلًا. وقال مجاهد وعكرمة: حينًا. وقال سعيد بن جبير: دهرًا. أصله المكث، ومنه يقال: تمليت حينًا، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالمًا. وقال ابن

أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت<sup>(١)</sup> ثم قرأ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لا يصدقون.

[٤٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، أي نमित سكان الأرض ونهلكهم جميعًا، ويبقى الرب وحده فيرثهم، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. والنبى العالى فى الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿لِأَبِيهِ﴾، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾، صوتًا، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾، شيئًا، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾، أي لا يكفيك، ﴿شَيْئًا﴾.

[٤٣] ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلُوِّ﴾، بالله والمعرفة، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾، على ديني، ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾، مستقيمًا.

[٤٤] ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، عاصيًا، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

[٤٥] ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ﴾، أي أعلم، ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾، يصيبك، ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، إن أقمت

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٩) ٤/٢١٨٨.

عباس: اعتزلي سالمًا لا تصيبك مني معرة، يقال: فلان ملي بأمر كذا إذا كان كافيًا.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾، أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برّ ولطف، هو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا). ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾، قيل: إنه لما أعياه أمره ووعده أن يراجع الله فيه، فیسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيْفًا﴾، برًا لطيفًا. قال الكلبي: عالمًا يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثر، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿وَادْعُوا رَبِّي﴾، أي أعبد ربي، ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، أي عسى ألا أشقى بدعائه وعبادته، كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام. وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يخيبني.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فذهب مهاجرًا.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: نعمتنا. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا معناه: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، يعني ثناء حسنًا رفيًا في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونهم ويشنون عليهم.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل. وقرأ أهل الكوفة ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي مختارًا اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله

وَنَدْبَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ بِأَمْرٍ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ عَايَاتٍ أَلْمَحِينَ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا ﴿٥٨﴾ وَخَلَّفُوا مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ بَاطِرَةٌ وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ نَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

من الدنس. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

[٥٢] ﴿وَنَدْبَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾، يعني يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار (فتودي يا موسى إني أنا الله رب العالمين). ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، أي: مناجيًا، فالنجي المناجي، كما يقال: جلس ونديم. قال ابن عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: (واجعل لي وزيرًا من أهلي O هارون أخي)، فأجاب الله دعاءه وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هبة له.

[٥٤] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾، وهو إسماعيل



السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾، تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس، ﴿وَأَتَّعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، أي المعاصي وشرب الخمر، أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، قال ابن وهب: الغي نهر في جهنم بعيد قعره حيث طعمه. وقال ابن عباس: الغي وادٍ في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعبد من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولأكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولدًا، وقال عطاء: الغي وادٍ في جهنم يسيل قيحًا ودماً. وقال كعب: هو وادٍ في جهنم أبعدها قعرًا، وأشدّها حرًا فيه بئر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم وقال الضحّاك: غيًّا وخسرانًا. وقيل: هلاكًا. وقيل: عذابًا. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الروية.

[٦٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروها، ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾، يعني أتيا مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل أتيا لأن كل من أتاك فقد أتته، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت عليّ خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إليّ الخير ووصلت إلى الخير، قال ابن جرير: وعده أي مووعده، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

ابن إبراهيم جد النبي ﷺ ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئًا إلا وفى به ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾، إلى جرهم، ﴿نَبِيًّا﴾، مخبرًا عن الله عز وجل.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفة التي افترضت علينا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، قائمًا لله بطاعته. وقيل: رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته.

[٥٦] قوله: ﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾، هو جد أبي نوح، واسمه: أخنوخ، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطًا وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الثياب المخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قيل: هي الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: إنه رفع إلى السماء الرابعة.

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾، أي إدريس ونوحًا، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿إِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا الرَّحْمَنُ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، سجدًا جمع ساجد وبكيا جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَهِيمِهِمْ خَلْفٌ﴾، أي: من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح قال

له جبريل: إني كنت أشوق، ولكنني عبد مأمور إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتبست، فأنزل الله ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وأنزل: (والضحى ه والليل إذا سجدى ه ما ودّعت ربك وما قلى). ﴿لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيَنَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي له علم ما بين أيدينا، واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبیر وقتادة ومقاتل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون هذا من الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفتين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها، وما بين ذلك مدة حياتنا. وقيل: ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة. وقيل: ما بين أيدينا من الأرض إذا أردنا النزول إليها وما خلفنا السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عزّ وجلّ فلا تقدر على شيء إلا بأمره. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، أي ناسيًا، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

[٦٥] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي اصبر على أمره ونهيه، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثلاً. وقال سعيد بن جبیر: عدلاً. وقال الكلبي: هل تعلم أحدًا يُسمى الله غيره.

[٦٦] ﴿وَقَوْلِ الْإِنْسَانِ﴾، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث، قال: ﴿أَءَدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾، من القبر، قاله استهزاءً وتكذيباً للبعث.

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿لَعْوًا﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿إِلَّا سَلْمًا﴾، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاماً أي قولاً يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب. وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عزّ وجلّ أهل جنته بذلك.

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿مَنْ كَانَ قَبِيًّا﴾، أي المتقين من عباده.

[٦٤] ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، فقال: أخبركم غذا ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨ وفي التوحيد ١٣/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١٠

سُورَةُ مَرْيَمَ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ  
 هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّا مَا مِثْلُ لَسُوفَ  
 أُخْرَجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ  
 وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ  
 لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ  
 شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ  
 هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ  
 حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ  
 فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ  
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ  
 كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا وَعَدُوا  
 وَإِنَّا لَآتِيًّا ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا  
 وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى  
 وَالْبَلْقِيَّتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٧﴾

من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان. واختلّفوا في الورد ههنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿وَأَرِدُهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورد ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورد هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) وقال قوم: ليس المراد من الورد الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ه لا يسمعون حسيستها)، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: (ولما ورد ماء مدين)

[٦٧] قال الله عز وجل: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ﴾، أي يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف، ﴿الْإِنْسَانُ﴾، يعني أبي بن خلف ﴿أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾، أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي لنجمعهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث، ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، قيل: في جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾، لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾، عتواً قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جراً. وقال مجاهد: فجوراً يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرماً وأشد كفراً. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم يقدم الأَكْفَرُ فالأَكْفَرُ ورفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً. وقيل: على الاستئناف، ثم لنزعن يعمل في موضع من كل شيعه.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾، أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صلياً مثل لمضي يمضي لقي يلقي لقياً، صلي يصلي صلياً مثل مضى يمضي مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرّها.

[٧١] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم في مضمرة أي والله ما منكم

الحارث وذويه من قريش، ﴿لَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشتهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون أشعارهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، منزلاً ومسكنًا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: ﴿مَقَامًا﴾ بضم الميم أي إقامة، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، أي مجلسًا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

[٧٤] ﴿وَلَا أَهْلَكَآ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا﴾، أي متاعًا وأموالًا. وقال مقاتل: لباسًا وثيابًا، ﴿وَرِيًّا﴾، قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرًا من الرؤية، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش رياءً مشددًا بغير همز، وله تفسيران، أحدهما: هو الأول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَدْعُ اللَّهَ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿حَتَّىٰ إِنَّا رَأَوْنَا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿وَأِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، عند ذلك ﴿مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، منزلاً، ﴿وَأَضَعَفَ جُنْدًا﴾، أقل ناصرًا أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا ردٌ عليهم في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

[٧٦] ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، أي إيمانًا وإيقانًا على يقينهم، ﴿وَالْبَيْتُكَ أَصْلَابُحْتُ﴾،

أراد به الحضور. ورؤي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: وإن منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعًا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: (ثم ننجي الذين اتقوا)، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت والدليل على هذا ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»<sup>(١)</sup> وأراد بالقسم قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»<sup>(٢)</sup>، وقال أبان عن قتادة «من إيمان» مكان «خير» وأما قوله عز وجل: (لا يسمعون حسيها) قيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعو حسيها ويجوز ألا يسمعو حسيها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها عليهم بردًا وسلامًا. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، أي كان ورودكم جهنم حتمًا لازمًا مقضيًا قضاه الله عليكم.

[٧٧] ﴿مَنْ تَتَّبِعُوا لَوْ كُنْتُمْ عَاوِلِينَ﴾، أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائي (ننجي) بالتخفيف، والباقون بالتشديد ﴿يُنَجِّيكَ رَبُّكَ﴾، جميعًا. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون.

[٧٣] ﴿إِنَّا كُنَّا نُنشِزُ السَّمَكِينَ﴾، واضحات، ﴿عَلَىٰ الْوَالِدِينَ﴾، يعني النضر بن

(١) أخرجه البخاري في الإيمان والنور ٥٤١/١١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٢) ٤/٢٠٢٨.  
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ١٠٣/١ ومسلم في الإيمان رقم (١٩٢) ١/١٨٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١١

سُورَةُ مَرْيَمَ

أَفَرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وُودًا ﴿٧٧﴾  
 أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا  
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَرَبُّهُ  
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْهَتَاةَ  
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ  
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ  
 تَوْرَهُمْ آزًا ﴿٨٣﴾ فَلَاتَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا  
 يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ آتَى ﴿٨٤﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ  
 إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٥﴾ لَأَبْلُغُنَّكَ الشَّفْعَةَ الْإِمْنِ أَخَذَ عِنْدَ  
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٦﴾ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وِلْدَانًا ﴿٨٧﴾ لَقَدْ  
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ  
 وَتُنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٨٩﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وِلْدَانًا  
 ﴿٩٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وِلْدَانًا ﴿٩١﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ  
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٣﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٤﴾

الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها،  
 ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة ومرجعاً .

[٧٧] قوله: ﴿أَفَرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وُودًا﴾ عن مسروق حدثنا خباب قال: كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث، قال: واني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إنه سيكون لي ثم مال وولد فأفضيك، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وُودًا﴾ (١).

[٧٨] ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا؟ ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني قال: لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني أعمل عملاً صالحاً قدمه؟ وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة.

[٧٩] ﴿كَلَّا﴾، ردُّ عليه يعني لم يفعل ذلك، ﴿سَنَكْتُبُ﴾، سنحفظ عليه، ﴿مَا يَقُولُ﴾، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾، أي نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

[٨٠] ﴿وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ﴾، أي ما عنده من المال والولد يهلاكننا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له ما لا وولداً في الآخرة، أي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: ﴿وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، يوم القيامة لا مال ولا ولد.

[٨١] ﴿وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْهَتَاةَ﴾ يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

[٨٢] ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾، أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم، كما أخبر الله تعالى: (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي سلطانهم عليهم وذلك حين قال إبليس: (واستفز من استطعت منهم بصوتك)، الآية ﴿تَوْرَهُمْ آزًا﴾، ترعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، والأز والهز التحريك أي تحركهم وتحثهم على المعاصي.

لقد قلتم قولاً عظيماً. وإلّا في كلام العرب أعظم الدواهي.

[٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾، قرأ نافع والكسائي ﴿كَادُ﴾ بالياء ههنا وفي حمّسق لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾، ها هنا وفي حمّسق بالنون من الانفطار، أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى: (إذا السماء انفطرت) و(السماء منفطر)، وقرأ الباقون بالتاء من التفطير ومعناها واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق، ﴿وَتَنَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾، أي: تنكسر كسراً. وقيل: تشقق الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هذا أي تنطبق عليهم.

[٩١] ﴿أَنْ دَعَا﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، قال ابن عباس وكعب: فرعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقيلين، وكادت أن تزول وغضببت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

[٩٢] ﴿وَمَا يَدْعَى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

[٩٣] ﴿إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ﴾، أي إلا آتية يوم القيامة، ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً يعني الخلق كلهم عبيده.

[٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْضَنُمُ وَعَدَّهُمْ عَدَاً﴾ أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ فَرْدًا﴾ وحيداً ليس معه من الدنيا شيء.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله

[٨٤] ﴿فَلَا تَعَجَلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا تطلب عقوبتهم، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، قال الكلبي: يعني الليلي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم.

[٨٥] قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته (إلى الرحمن) أي إلى جنته وفدًا أي جماعات جمع وافد، مثل راكب وركب، وصاحب وصحب. وقال ابن عباس: ركبنا. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

[٨٦] ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين الكاذبين، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾، أي مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني لا إله إلا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً يعني المؤمنين، كقوله: (لا يشفعون إلا لمن ارتضى من رسول)، وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكسائي (وُلُداً) بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف وسورة نوح، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو ههنا، وهما لغتان مثل العرب والعجم والعجم.

[٨٩] ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾، قال ابن عباس: منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل:

العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض العبد قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك<sup>(١)</sup>.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾، أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني المؤمنين، ﴿وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ شدادًا في الخصومة، جمع الألد. وقال الحسن: صمًا عن الحق، قال مجاهد: الألد الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة: الألد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

[٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْشَى﴾، هل ترى، وقيل: هل تجد ﴿مِّنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾، أي صوتًا، والركز: الصوت الخفي، قال الحسن: أي بادوا جميعًا فلم يبق منهم عين ولا أثر.

## (٢٠) سُورَةُ طه

[١] ﴿طه﴾، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل: معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله عز وجل بطوُّله وهدايته. قال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادٍ، قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين

٣١٢  
سُورَةُ طه  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْشَى مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٣﴾

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن يُجْهَرِ بِالْقَوْلِ فَإِنَّا نَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ أَنَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا الْعُلَىٰ إِنِّي كُنْتُ مِنْهَا نَقِيسٌ أَوْ أَحَدٌ عَلَى النَّارِ هَدَىٰ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُوْدَىٰ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف على نفسه فقال:

[٢] ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ أي لتعني وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء.

[٣] ﴿إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾، أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزل عليك؛ القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

[٤] ﴿تَزِيلًا﴾، بدل من قوله تذكرة، ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٩٥٣/٢ والبخاري في الأدب ٤٦١/١٠ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٦٣٧) ٤/٢٠٣٠.

أَتَكْتُمُونَ ﴿١٠﴾، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص، ﴿إِنِّي ءَأَسْتُكُمْ﴾، أي أبصرت، ﴿نَارًا لَّعَلَّ ءَأَيْتِكُمْ مِنْهَا يَفْقَهُينَ﴾، قطعة من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود ﴿أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، أي أجد عند النار من يدلني على الطريق.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَنهَاجَ﴾ قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى نارًا بل كان نورًا ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارًا. وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عز وجل، وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»<sup>(١)</sup> ﴿نُودِيَ يَمُوسَى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، «أني» بفتح الألف على معنى: نودي بأني، وقرأ الآخرون بكسر الألف أي نودي، فقيل: إني أنا ربك ﴿فَلَاخَلَّغَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أي المطهر، ﴿طُوى﴾، وطوى اسم الوادي وقال الضحاك: طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾، اصطفتيك برسالاتي، قرأ حمزة وأنا مشددة النون، اخترناك على التعظيم ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾، إليك.

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، ولا تعبد غيري، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقال مقاتل: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فأقمها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَأَيُّتُهُ أَكَادُ أَخْفِيَا﴾، قيل: معناه إن الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي وذكر

الْأَرْضِ ﴿١١﴾ أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾، يعني العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقولهم كبرى وصغرى وصغرى.

[٥] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

[٦] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، يعني الهواء، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾، والثرى هو التراب الندي.

[٧] ﴿وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ﴾، أي تعلن به ﴿فَأِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، قال الحسن: السر ما أسره الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر من نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما أسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما أسر به اليوم وما تعلم ما أسر به غدًا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر به غدًا. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: السر ما أسر ابن آدم في نفسه، والخفي ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمل. وقال مجاهد: السر: العمل الذي تسره من الناس، وأخفى: الوسوسة. وقيل: السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحد نفسه، فقال:

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

[٩] ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ حَدِيثُ مُوسَى﴾، أي قد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

[١٠] ﴿إِذْ رَمَى نَارًا﴾، وذلك أن موسى استأذن شعبيًا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد فأبصر نارًا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِيهِ

(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٧٩) ١/١٦١.



الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

٣١٣

سُورَةُ طه

وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٦﴾ إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٧﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٨﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٩﴾ وَمَا تَلَكَ بِسَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿٢١﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَىٰ ﴿٢٢﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٣﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلَ بَيْضَاءِ أَيْةٍ أُخْرَىٰ ﴿٢٥﴾ لِتُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٨﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٩﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي ﴿٣٠﴾ يَفْقَهُهُ قَوْلِي ﴿٣١﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٢﴾ هَٰزُونَ أَيْ ﴿٣﴾ أَشَدُّ دَيْهًا أَرْزَىٰ ﴿٣٤﴾ وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٥﴾ كَيْ سَجَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٦﴾ وَذَكَرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٨﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٤٠﴾

[١٩] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿أَلْقَاهَا يَمُوسَى﴾،

انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَاهَا﴾، على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة، ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿تَسْعَى﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: (كانها جان) وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: (ثعبان)، وهو أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحية فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها فإنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتتفخ حتى صارت ثعبان، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات فلما عاين ذلك

ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سر من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء، وقال: أكاد أي أريد، ومعنى الآية: إن الساعة آتية أريد أخفيها، والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، وقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾، أي تعمل من خير وشر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾، فلا يصرفك عن الإيمان بالساعة، ﴿مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿فَتَرْدَى﴾، أي فتهلك.

[١٧] قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَلَكَ بِسَمِينِكَ يَمُوسَى﴾، سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنه معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾، قيل: وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾، أعتمد عليها إذا مشيت وإذا عبيت وعند الوثبة، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة ﴿وَأَهُسُ﴾ بالسین غير المعجمة، أي أزجر بها الغنم، والهس زجر الغنم، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع مأربة بفتح الراء، ولم يقل ﴿أُخْرَى﴾ لرؤوس الآي، وأراد بالمأرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك.

[٢٧، ٢٨] ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، يقول: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي.

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾، معيّنًا وظهيرًا، ﴿مِنِّ أَهْلِي﴾ والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بين من هو فقال:

[٣٠] ﴿هَرُونَ أَخِي﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانًا وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أقنى أجعد.

[٣١] ﴿أَشُدُّ بِهِ أَزْرِي﴾، قوّ به ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾، يعني في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر (أَشُدُّ) بفتح الألف (وَأَشْرِكُهُ) بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفًا على ما تقدم من قوله: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

[٣٣] ﴿كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا﴾، قال الكلبي: نصلي لك كثيرًا.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾، خيرًا عليماً.

[٣٦] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾، أعطيت، ﴿سُؤْلَكَ﴾، جميع ما سألته، ﴿بِمُوسَى﴾.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾، أنعمنا عليك، ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾، يعني قبل هذه المرة وهي.

[٣٨] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا﴾، وحي إلهام، ﴿مَا يُوحَى﴾، ما يلهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليك فقال:

[٣٩] ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾، يعني ألهمناها أن اجعله في التابوت، ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، يعني نهر النيل، ﴿فَلْيَلْقِهِ إِلِيمٌ بِالسَّاحِلِ﴾، يعني شاطئ النهر، لفظه أمر ومعناه خبر، ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل، ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾، يعني

موسى ولّى مدبرًا وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم تُودي أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا﴾، بيمينك، ﴿وَلَا تَحْفَظْ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، هيئتها الأولى أي نردها عصًا كما كانت، قال المفسرون: أراد الله عزّ وجلّ أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لثلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾، يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿تَخْرُجُ بَيِّنَةً﴾، نيرة مشرقة، ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾، من غير عيب، والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليد نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿آيَةً أُخْرَى﴾، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

[٢٣] ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾، ولم يقل الكبر لرؤوس الآي وقيل: فيه إضمار معناه لنريك من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك. وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفًا شديدًا لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدرًا بما كُلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدًا لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده.

[٢٦] ﴿وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي﴾، يعني سهل عليّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

معنى فتناك: خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه، والفتون مصدر ﴿فَلَيْتَ﴾، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبثت، ﴿سِينِ فِي أَهْلِ مَدِينٍ﴾، يعني ترعى الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يُمْسِي﴾، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء إلي فيه. وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾، أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي، يعني لتتصرف على إرادتي ومحبي وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبه، قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني الذي أقمته بك عليهم الحجة وخاطبتهم.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ آتٍ وَأَخُوكَ بِتَأْتِي﴾، بدلالاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿وَلَا نَبِيًّا﴾، ولا تضعفا، وقال السدي: لا تقفرا. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

[٤٣، ٤٤] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، يقول دارياها وارفقاً به، قال ابن عباس رضي الله عنه: لا تعنفا في قولكما، وقال السدي وعكرمة: كنياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد وقيل: أمرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله

فرعون، فاتخذت تابوتاً ووضعت فيه موسى ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ تابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحظة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه ﴿وَلِئَلَّصَّحَّ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، يعني لثرتي بمراي ومنظر مني، قرأ أبو جعفر ﴿وَلِئَلَّصَّحَّ﴾ بالجزم.

[٤٥] ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾، واسمها مريم متعرفة خبره، ﴿فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾، يعني على امرأة، ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فلما قالت ذلك لهم أخته، قالوا: نعم، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، بلقائك، ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾، أي ليذهب عنها الحزن، ﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة، ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾، أي من غم القتل وكربه، ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: اخترناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً. وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر: أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاءه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمره بدل الدرّة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفاً، فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبیر، فعلى هذا

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١٤

تَبَارَكَ

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِمِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِمِيهِ  
فِي الْبَيْرِ فَلْيُقِ لِقَاءَهُ الْبَيْرُ بِالسَّاحِلِ بِأَخْذِهِ عِدْوَلِي وَعِدْوَلِي. وَالْقَبِيْتُ  
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مَتَىٰ وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمَشَىٰ أَحْتَاكَ  
فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ  
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتِ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا  
فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾  
وَأَصْطَفَعْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا  
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَانَا  
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ أَنفِرًا  
أَوْ أُنْطِقِي ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ  
﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَا تَعْدِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ  
الْمُهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ  
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ  
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

هَدَىٰ ﴿٥٠﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منفعه من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع.

[٥١] ﴿٥١﴾ قَالَ ﴿٥١﴾ فرعون، ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾، ومعنى البال الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث.

[٥٢] ﴿٥٢﴾ قَالَ ﴿٥٢﴾، موسى، ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها. وقيل: إنما

موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلتقاه إلى مرحله وأخبره بما أوحى إليه، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، أي يتعظ ويخاف ويسلم، فإن قيل: كيف قال ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر ويخشى خاش إذا رأى بري والطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية.

[٤٥] ﴿٤٥﴾ قَالَ ﴿٤٥﴾، يعني موسى وهارون، ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه، وفرط منه أمر أي بدر وسبق، ﴿أَوْ أَنْ يُطَغَىٰ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

[٤٦] ﴿٤٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما.

[٤٧] ﴿٤٧﴾ ﴿فَأَنبَأَهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، أرسلنا إليك، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي خلّ عنهم وأطلقهم من أعمالك، ﴿وَلَا تَعْدِبْهُمْ﴾، لا تعذبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْمُهْدَىٰ﴾، ليس المراد منه التحية إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

[٤٨] ﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

[٤٩] ﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ﴾، من إلهكما الذي أرسلكما.

[٥٠] ﴿٥٠﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

[٥٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ﴾، يعني فرعون، ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾، يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى، ﴿فَكَذَّبَ﴾، بها وزعم أنها سحر، ﴿وَإِنِّي﴾، أن يسلم.

[٥٧] ﴿قَالَ﴾، يعني فرعون ﴿أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾، يعني أرض مصر، ﴿بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى﴾، أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾، أي فاضرب بينا وبينك أجلًا وميقاتًا، ﴿لَا تُخْلَفُهُ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿لَا نُخْلَفُهُ﴾ جزمًا لا نجاوزه، ﴿وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: ﴿سَوَى﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عُدى وَعُدَى وَطَوَى وَطَوَى، قال مقاتل وقاتدة: مكانًا عدلًا بيننا وبينك. وعن ابن عباس: نَصَفًا، ومعناه تستوي مسافة الفريقين إليه. قال أبو عبيدة والقتبي: وسطًا بين الفريقين. قال مجاهد: منصفًا. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، قال مجاهد وقاتدة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾، أي وقت الضحوة نهارًا جهارًا ليكون أبعد من الريبة.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾، مكره وحيلته وسحرته، ﴿ثُمَّ أَتَى﴾، أي الميعاد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾، يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا مع كل واحد حبل وعصا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفًا. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿يُسْحِتَكُمْ﴾ بضم

رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه. ﴿فِي كِتَابٍ﴾، يعني في اللوح المحفوظ، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾، أي لا يخطئ. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿وَلَا يَنْسَى﴾، ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمن.

[٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، قرأ أهل الكوفة: (مهْدًا)، ههنا وفي الزخرف فيكون مصدرًا أي فرشًا، وقرأ الآخرون: (مهْدًا)، كقوله تعالى: (ألم نجعل الأرض مهادًا) أي فراشًا وهو اسم يفرش كالسباط اسم لما يبسط، ﴿وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ السلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الأرض لأجلكم طرقًا تسلكونها. قال ابن عباس: سلك لكم فيها طرقًا تسلكونها، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، تم الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، بذلك الماء ﴿أَنْزَجًا﴾، أصنافًا، ﴿وَمِن نَّبَاتِ شَتَّى﴾، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

[٥٤] ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ أي وارتعوا، ﴿أَنْعَمَكُمُ﴾، تقول العرب: رعى الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترعى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، لذوي العقول، واحدتها نهيية سميت نهيية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النهى الذي ينتهون عما حرم الله عليهم، قال قتادة: لذوي الورع.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي من الأرض، ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾، يعني أبابكم آدم ﴿وَفِيهَا نُبَيِّدُكُمْ﴾، أي عند الموت والدفن، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، يوم البعث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ عَلِمَهَا عِنْد رِبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٦﴾  
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُّوا  
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾ وَمِنْهَا  
 خَلَقْنَاكُمْ وَمِنْهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ  
 أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٦٠﴾ قَالَ أَجِئْنَا بِتَحْرِجِنَا  
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُمْ يَا مُوسَى ﴿٦١﴾ فَلَمَّا آيَتَنَا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ  
 فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا  
 سَوِيًّا ﴿٦٢﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى  
 ﴿٦٣﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٤﴾ قَالَ لَهُمْ  
 مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذَّابًا فَسِحْرِكُمْ بِعَذَابٍ  
 وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي ﴿٦٥﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا  
 النَّجْوَى ﴿٦٦﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ  
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ﴿٦٧﴾ فَأَجْمَعُوا  
 كَيْدَهُمْ ثُمَّ اتَّصَفَوْا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٨﴾

طريقة قومهم أي أشرفهم، والمثل تأنيث، الأمثل وهو الأفضل، حديث الشعبي عن علي، قال: يصرقان وجوه الناس إليهما. قال قتادة: طريقتهم المثلى كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عددًا وأموالًا، فقال عدو الله: يريد أن يذهب بهم لأنفسهم. وقيل: بطريقتكم المثلى أن بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، والمثلى نعت الطريق، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على

(١) ذكر الإمام أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ج ٦ ص ٢٥٥: صحة وثبوت الاستعمال «إن» بمعنى «نعم» في اللغة العربية فقال: «إن» بمعنى «نعم»، وثبت ذلك في اللغة، فتحمل الآية عليه، و«هذان لساحران» مبتدأ وخبر.

وقد ساق أوجه صحيحة في اللغة لإثبات صحة القراءة المتواترة الثابتة في المصحف الشريف، فارجع إليه إن شئت. وانظر ما ذكر الإمام الشوكاني في ذلك في تفسيره فيض القدير ج ٣ ص ٣٧٣.

الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الباء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال قتادة: فيستأصلكم، ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي﴾.

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سرًا من فرعون. قال الكلبي: قالوا سرًا: إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذبًا، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول السحر. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، أي المناجاة يكون مصدرًا واسمًا.

[٦٣] ثم ﴿قَالُوا﴾، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: (إِنْ) بتخفيف النون ﴿هَذَا﴾ أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: (إِنْ) نظنك إلا من الكاذبين، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، وشدد ابن كثير النون من هذان، وقرأ أبو عمرو: (إِنْ) بتشديد النون (هذين) بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: ﴿إِنَّ﴾ بتشديد النون ﴿هَذَا﴾ بالألف واختلفوا فيه وقال قوم: هو لغة بالحارث ابن كعب وخثعم وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألف، كما في التثنية، يقولون: كسرت يده وركبت علاه، يعني يديه وعليه. قال شاعرهم:

تزود مني بين أدناه ضربة

دعته إلى هابي التراب عقيم  
 وقيل: تقدير الآية أنه هذان، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف (إن) ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان<sup>(١)</sup>. ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال هؤلاء

الصراف المستقيم.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾، يعني العصا،

﴿تَلْقَفُ﴾، تلتقم، وتبتلع، ﴿مَا صَنَعُوا﴾، قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾، أي الذي صنعوا، ﴿كَيْدٌ سِحْرٍ﴾، أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ﴿سِحْرٍ﴾ لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

[٧٠، ٧١] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى ه قَالَ ءَأَمْنْتُمْ لَهُمْ قِيلَ أُنْ أَدَّانَ لَكُمْ إِنَّمَا لَكُم مَّوَدُّعٌ لِرَبِّكُمْ لَرَبِّكُمْ وَمَعْلَمِكُمْ، الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقْبِعُ بَآيِدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾، يعني على جذوع النخل، ﴿وَلَعَلَّكُمْ آيَاتًا أَشَدَّ عَذَابًا﴾، يعني على إيمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به، ﴿وَأَنفَقَ﴾، يعني أدوم.

[٧٢] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ﴾، لن نختارك، ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا. وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحرًا فأين جبالنا وعصينا. وقيل: من البيئات يعني من اليقين والعلم ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، يعني لن نُؤْتِرَكَ على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿فَأَقْضَىٰ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، يعني فاصنع ما أنت صانع، ﴿إِنَّمَا نُقَضِيٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

[٧٣] ﴿إِنَّا ءَأَمَّا رَبِّنَا لِنُقِرَّ لَنَا خَطْيَيْنَا وَمَا أَكَرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، فإن قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعة فرعون أن لهم الغلبة. قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قومًا على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان

[٦٤] ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ﴾، قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع أي لا تدعوا أشياء من كيدهم إلا جتتم به والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم، ﴿ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾ أي جميعًا، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبدة: الصف المجتمع، ويسمى المصلى صفًّا معناه ثم اتوا المكان الموعد صفًّا، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ﴾، أي فاز من غلب.

[٦٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾، عصاك، ﴿وَمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ عَصِينَا.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿بَلِ الْقَوْمِ﴾، أنتم أولًا، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، وفيه إضمار، أي فآلقوا فإذا جبالهم، ﴿وَعَصِيْبُهُمْ﴾، جمع العصا، ﴿يُحِثِّلُ إِلَيْهِ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء رد إلى الجبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّمَا تَسْعَىٰ﴾، حتى تظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطحوا جبالهم وعصيتهم بالزئبق، فلما أصابه حر الشمس انهمست واهتازت فظن موسى أنها تقصده وفي القصة أنهم لما آلقوا الجبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلًا من كل جانب ورأوا أنها تسعى.

[٦٧] ﴿فَأَوَّحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾، أي وجد، وقيل: أضمّر في نفسه خوفًا، واختلفوا في خوفه طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه.

[٦٨] ﴿قُلْنَا﴾، لموسى، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

قَالُوا يَمْوَسِيٰٓ اِٰمًاۙ اَنْ تَلْقٰىۚ وَاِمْاٰنٌ تَكُوْنُ اَوَّلَۙ مِنْ اللّٰقِيۙ ﴿١٥﴾ قَالَ  
بَلْ اَلْقَوُۡا فَاِذَا جَاۡهُمۡ وَعَصِبْتَهُمْۙ يَخِىْلُ اِلَيْهِمۙ مِنْ سِحْرِهِمۙ اَنۡهَآ سَعٰى  
﴿١٦﴾ فَاَوْجَسَۙ فِي نَفْسِهٖۙ خِيفَةًۙ مُّوسٰى ﴿١٧﴾ فَلَمَّا لَآخَظَۙ اِنَّكَ  
اَنْتَۙ الْاَعْلٰى ﴿١٨﴾ وَالَّذِىۙ مَا فِى يَمِيْنِكَۙ نَلَقَفۙ مَا صَنَعُوۡا اِمْاٰنِصۡوًا  
كَيْدُ سِحْرٍۙ وَلَا فِیْلِحُ السَّاحِرِۙ حَيْثُۙ اَنۡى ﴿١٩﴾ فَاَلْقٰى السَّحِرَةَۙ سِجۡدًا  
قَالُوۡا ؕ اَمَّا رَبِّۙ هَرُونَۙ وَمُوسٰى ﴿٢٠﴾ قَالَ ؕ اَمۡنَتمۙ لَمۡ يَۡقُبَلۙ اَنَّ اٰذَنَ  
لَكُمْۙ اِنَّهٗۙ لَكَبِيْرُكُمْۙ الَّذِىۙ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَۙ فَلَا تُقِطَعُنۙ اَيْدِيكُمْ  
وَاُرۡجَلُكُمْۙ مِنْ خَلْفِىۙ وَلَا صَلَبَتُكُمْۙ فِىۙ جُذُوۡعِ النَّخْلِۙ وَلِنَعْلَمَنۙ  
اَيۡنَاۙ اَشَدُّۙ عَذَابًاۙ وَاَبۡقٰى ﴿٢١﴾ قَالُوۡا لَنْ نُّؤۡثِرَكَۙ عَلٰى مَا جَاۡءَنَاۙ مِنْ  
الْبَيِّنَتِۙ وَالَّذِىۙ فَطَرَنَاۙ فَاَقۡضِۙ مَاۙ اَنْتَۙ قَاضٍۙ اِنۡمَآ نَقۡضِىۙ هٰذِهِ  
الْحَيٰوةَۙ الدُّنْيَا ﴿٢٢﴾ اِنۡهَآۙ اَمَّاۙ رَبِّنَاۙ لَبِغۡفَرۡنَاۙ لَخَطِيۡنَاۙ وَاَمَّاۙ اَكۡرَهَتَنَا  
عَلَيْهِۙ مِنَ السِّحْرِۙ وَاَللّٰهُۙ خَيْرٌۙ وَّاَبۡقٰى ﴿٢٣﴾ اِنَّهٗۙ مِنْۙ يَّاتِ رَبِّهِۙ بِجُرۡمًا  
فَاِنَّ لَهٗۙ جَهَنَّمَۙ لَا يَمُوْتُۙ فِيهَاۙ وَلَا يَحۡيٰى ﴿٢٤﴾ وَمِنۙ بَاۡيَةِۙ مُّؤۡمِنًاۙ قَدَّ  
عَمِلَ الصَّٰلِحٰتِۙ فَاُوۡلٰٓئِكَۙ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى ﴿٢٥﴾ جَنَّتٌۙ عَدۡنٌ  
تَجۡرِىۙ مِنْۙ تَحْتِهَاۙ الْاَنْهٰرُۙ خٰلِدِيْنَۙ فِيهَاۙ وَذٰلِكَۙ جَزَاۗءُۙ مَنْ تَزَكٰى ﴿٢٦﴾

بالجزم على النهي، والباقون بالألف والرفع على  
النفي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْشَى﴾، قيل: لا تخاف  
أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغررك  
البحر أمامك.

[٧٨] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾، فلحقهم، ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾،  
وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى  
وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم،  
﴿فَعَشِيَهُمْ﴾، أصابهم، ﴿مِنَ الَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾، وهو  
الغرق. وقيل: غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما  
غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله. وقيل:  
غشيهم من اليم ما غشيهم قوم موسى فغرقهم ونجا  
موسى وقومه.

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾، يعني ما  
أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: (وما  
أهديكم إلا سبيل الرشاد).

أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السحرة  
اثنين وسبعين، اثنان من القبط، وسبعون من بني  
إسرائيل، كان عدو الله فرعون أكره الذي هم من  
بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قوله: ﴿وَمَا  
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، قال عبد العزيز بن أبان:  
قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم  
موسى نائمًا وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون: إن  
هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره،  
فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى:  
﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبۡقٰى﴾،  
قال محمد بن إسحاق: خير منك ثوابًا وأبقى  
عذابًا، وقال محمد بن كعب: خير منك ثوابًا إن  
أطيع وأبقى منك عذابًا إن عصي وهذا جواب  
لقوله: ﴿وَلِنَعْلَمَنۙ اَيۡنَاۙ اَشَدُّۙ عَذَابًاۙ وَاَبۡقٰى﴾.

[٧٤] ﴿اِنَّهٗۙ مِنْۙ يَّاتِ رَبِّهِۙ بِجُرۡمًا﴾، قيل: هذا ابتداء  
كلام من الله تعالى، وقيل: من تمام قول السحرة  
مجرمًا أي مشرکًا يعني من مات على الشرك، ﴿فَاِنَّ  
لَهٗۙ جَهَنَّمَۙ لَا يَمُوْتُۙ فِيهَا﴾، فيستريح، ﴿وَلَا يَحۡيٰى﴾،  
حياة ينتفع بها.

[٧٥] ﴿وَمِنۙ يَّأْتِيهِ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء،  
ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ  
الأخرون بالإشباع، ﴿مُؤۡمِنًا﴾، أي: من مات على  
الإيمان، ﴿قَدَّ عَمِلَ الصَّٰلِحٰتِۙ فَاُوۡلٰٓئِكَۙ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ  
الْعُلٰى﴾، أي الرفيعة، والعلی جمع والعليا تأنيث  
الأعلى.

[٧٦] ﴿جَنَّتٌۙ عَدۡنٌۙ تَجۡرِىۙ مِنْۙ تَحْتِهَاۙ الْاَنْهٰرُۙ خٰلِدِيْنَۙ فِيهَاۙ  
وَذٰلِكَۙ جَزَاۗءُۙ مَنْ تَزَكٰى﴾، يعني تطهر من الذنوب.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ اَوْحَيْنَاۙ اِلَىۙ مُّوسٰىۙ اَنْ  
اَسْرِۙ بِعِبَادِىۙ﴾، يعني أسر بهم ليلاً من أرض مصر،  
﴿فَاَضْرَبَۙ لَهُمُۙ طَرِيقًاۙ فِىۙ الْبَحْرِۙ﴾، يعني اجعل لهم  
طريقًا في البحر بالضرب بالعصا، ﴿يَسًا﴾، ليس  
فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيسس لهم الطريق  
في البحر، ﴿لَا تَخَفُۙ دَرَكًا﴾، قرأ حمزة ﴿لَا تَخَفُ﴾



[٨٠] قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْبَحْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾، فرعون، ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾.

[٨١] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالثاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ونزلنا لأنه مكتوب بالألف، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾، قال ابن عباس: لا تظلموا. وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فكونوا ظالمين طاغين. وقيل: لا تنفقوا في معصيتي. وقيل: لا تتقوا بنعمتي على معاصي. وقيل: لا تدخروا فادخروا فتدود، ﴿فِيحِلَّ﴾، قرأ الأعمش والكسائي فيحل بضم الحاء، ومن يحلل بضم اللام، يعني ينزل، وقرأ الآخرون بكسرهما يعني يجب، ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾، هلك وتردى في النار.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾، قال ابن عباس: تاب من الشرك، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾، ووعد الله وصدقه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أدى الفرائض، ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام حتى مات عليه. قال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن ذلك ثوابًا. وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل. قال الضحاك: استقام. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾، يعني وما حملك على العجلة، ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى ذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه عز وجل وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ﴾، مجيباً لربه تعالى: ﴿هُمُ أَوْلَاءُ عَلِيَّ

سورة طه

٣١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْبَحْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلِيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدَّ حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

أَتْرَى﴾، يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدي ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، لتزداد رضا.

[٨٥] ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً، من بعدك: أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾، أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، وأضافه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، حزينا. ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدَّ حَسَنًا﴾، صدقاً أنه يعطيكم التوراة، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾، مدة مفارقتي إياكم، ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم به الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾.

يحييهم إذا دعوه، ﴿وَلَا يَمَلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل وقال: كن عجلًا يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل رجوع موسى، ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا فَتْنَتُمْ بِهِ﴾، ابتليتكم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَالْيَعُونِي﴾، على ديني في عبادة الله، ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾، في ترك عبادة العجل.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾، أي لن نزال، ﴿عَلَيْهِ﴾، على عبادته، ﴿عَنكُفَيْنَ﴾، مقيمين، ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفًا وهم الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال للبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه يمينه ولحيته بشماله.

[٩٢] و ﴿قَالَ﴾، له ﴿يَهْدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾، أشركوا.

[٩٣] ﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ﴾، أي: أن تتبعني و ﴿لَا﴾ صلة أي تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أنني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: أن لا تتبعني، أي: ما منعك من اللحق بي وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم تقريبًا وزجرًا لهم عمّا أتوه، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾، أي خالفت أمري.

[٩٤] ﴿قَالَ يَبْنَؤُهُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾، لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم بعضًا، ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزابًا

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾، قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: ﴿بِمَلِكِنَا﴾ بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرهما، أي: ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه، ﴿وَلَكِنَّا جُمَلُنَا﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا حملها، ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾، من حلي قوم فرعون، سمّاها أوزارًا لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردّها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حليًا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالًا لهم في ذلك الزمان، فسمّاها أوزارًا لذلك، ﴿فَفَدَّيْنَاهَا﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون: إن تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى رأيه فيها، ففعلوا. قوله: ﴿فَفَدَّيْنَاهَا﴾ أي طرحناها في الحفرة، ﴿فَكَذَّبَكَ الْغَىٰ السَّامِرِيُّ﴾، ما معه من الحلي فيها، وقال سعيد بن جببر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوقد هارون نارًا وقال: اقدفوا فيها ما معكم، فألقوه فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. قال قتادة: كان صر قبضة من ذلك التراب في عمامته.

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

[٨٩] قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا

يتقاتلون، فتقول أنت فرقت بين بني إسرائيل، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك: اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾، أي ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿يَسْمِرِي﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا، قرأ حمزة والكسائي ﴿ما لم تبصروا﴾ بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿فَبَدَّتْهَا﴾، أي ألقيتها في فم العجل، وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل، فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعت في الكهف حذرًا عليه فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة. ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ﴾، أي زينت، ﴿لِي نَفْسِي﴾.

[٩٧] ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾، أي ما دمت حيًا، ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، أي لا تخالط أحدًا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه. قال ابن عباس: لا ميساس لك ولولدك، والميساس من المماساة معناه لا يمس بعضنا بعضًا، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحدًا ولا يمسه أحد، فعاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحدًا يقول: لا ميساس، أي لا تقربني ولا تمسني، وقيل: كان إذا مس أحدًا أو مسه أحد حما جميعًا حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مس أحد من غيرهم أحدًا منهم حما جميعًا في الوقت، ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾، يا سامري، ﴿مَوْعِدًا﴾، لعذابك، ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾، قرأ ابن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣١٨ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ  
وَإِلَهُ مُوسَىٰ نَفْسِي ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا  
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ  
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا  
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ  
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَأْمَنُكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَذَكَّرُ  
أَفْغَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ بَلَّيْتُمْ لَا تُؤْخَذُ بِحَبِّئِي وَلَا بِرَأْسِي  
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ  
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ  
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ  
فَبَدَّتْهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ  
فَازْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ  
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ  
عَاكِفًا لَنْ نَحْرِقَنَّكَ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّكَ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ  
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تقوته، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ﴾، بزعمك، ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾، أي ظلت ودمت عليه مقيمًا تبعده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظلتت ومست بمعنى مسست، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّكَ﴾، لنذرنيه، ﴿فِي الْيَمِّ﴾، في البحر، ﴿نَسْفًا﴾، روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحمًا ودمًا ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصة: ﴿لَنَحْرِقَنَّكَ﴾ بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد

ثم ذاره في اليم.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وسع علمه كل شيء.

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾، من الأمور، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

[١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾، أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾، حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جِزَاءُ﴾، أي بس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفرًا بالقرآن.

[١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿ننْفِخُ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، والزرقه هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: زرقًا أي عميًا. وقيل: عطاشًا.

[١٠٣] ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾، أي عشر ليال. وقيل: في القبور: بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا.

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، أي يتشاورون بينهم، ﴿إِذْ يَقُولُ آمَلْتُمْ طَرِيقَةَ﴾، أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

[١٠٥] قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾، قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول

الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية، والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثورًا.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا﴾، يعني فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، يعني أرضًا ملساء مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض والصفصاف الأملس.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، قال مجاهد: انخفاصًا وارتفاعًا. وقال الحسن: العوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من الروابي، يعني لا ترى واديًا ولا رابية. قال قتادة: لا ترى فيها صبدًا ولا أكمة.

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾، يعني لدعائه، وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم من دعاء الداعي لا يزيغون عنه يمينًا ولا شمالًا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعًا، ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾، يعني سكتت وذلت وخضعت، وصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير منطق.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾، يعني لا تنفع الشفاعة أحدًا من الناس، ﴿إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، يعني إلا من أذن الله له أن يشفع، ﴿وَرِضَىٰ لَهُ قَوْلًا﴾ يعني ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن.

[١١٠] ﴿يَعْلَمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ما بين أيديهم وما خلفهم وما خلفوا من أمر الدنيا. وقيل: ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الأعمال، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، قيل: الكناية ترجع إلى (ما) أي: هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى (الله) لأن عباده لا يحيطون به علمًا.

[١١١] ﴿وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ﴾، أي ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان، وقال طلق بن حبيب: هو السجود على الجبهة للحي القيوم، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾، قرأ ابن كثير ﴿فلا يخف﴾ مجزومًا على النهي جوابًا لقوله تعالى: (ومن يعمل)، وقرأ الآخرون ﴿فلا يخاف﴾ مرفوعًا على الخبر، ﴿ظلمًا ولا هضمًا﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد على سيئاته لا أن ينقص من ثواب حسناته. وقال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء. وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله وتبطل حسنة عملها، وأصل الهضم النقص والكسر، ومنه هضم الطعام.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما بيّنا في هذه السورة، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، يعني بلسان العرب، ﴿وَصَرَفْنَا﴾ يعني بيّنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾، أي صرّفنا القول فيه بذكر الوعيد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿أَوْ يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للأمم الخالية.

[١١٤] ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾، جلّ الله عن إحداد الملحدين وعبادته يقوله المشركون، ﴿وَلَا

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٢٠﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لِمِثْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٢١﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٢٢﴾ يَخْفَتُونَ مِنْهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٢٣﴾ مَن أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٢٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٢٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٢٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٢٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١٣٠﴾ وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٣٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٣٣﴾

تَعَجَّلَ بِالْقُرْآنِ﴾، أراد النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي لا تعجل بقراءته، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك) وقرأ يعقوب: ﴿نقضي﴾ بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء: ﴿وَحْيِهِ﴾ بالنصب، وقال مجاهد وقاتدة: معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علمًا إلى ما علمت. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيمانًا و يقينًا.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ

على قوله: ﴿أَلَّا نَجُوعَ فِيهَا﴾ ﴿لَا تَظْمَأُوا﴾، لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود. [١٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلدًا، ﴿وَمَنْ لَّا يَبْلُغْ﴾، لا يبيد ولا يفنى.

[١٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿مِنْهَا فَبَدَّتْ لِمَا سَوَّاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾، بأكل الشجرة، ﴿فَفَوَى﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه أكله، فخاب ولم لم ينل مراده. وقال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه وصار من العزُّ إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخطئ ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خاط حتى يعاود ذلك ويعتاده.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ أَجْبَيْتَهُ رَبُّهُ﴾، اختاره واصطفاه، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، بالعفو، ﴿وَهَدَى﴾، هداه إلى التوبة حتى قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا.

[١٢٣] ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيكُمْ مِنْ يَدَيَّ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾، يعني الكتاب والرسول، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾. وقال الشعبي عن ابن عباس: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية.

قَبْلُ﴾، يعني أمرناه وأوحينا إليه ألا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركو الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: (لعلهم يتقون)، ﴿فَنَسِيَ﴾، فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد فإن آدم أيضًا عهدنا إليه فنسي، ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، قال الحسن: لم نجد له صبرًا عما نهي عنه وقال عطية العوفي: حفظًا لما أمر به. وقال ابن قتيبة: رأيًا معزومًا حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسيًا لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعًا عن الإنسان بل كان مؤاخذًا به، وإنما رفع عتًا، وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيها.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، أن يسجد. [١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ﴾، حواء، ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز. وعن سعيد بن جبير: قال أهبط إلى آدم ثورًا أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقى رجوعًا به إلى آدم لأن تبعه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رؤوس الآي.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا نَجُوعَ فِيهَا﴾، أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسفًا

سورة طه

٣٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٢٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْ مَعًا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٢٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلْجَاءَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ﴿١٢٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٢٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَالِدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلُغُ ﴿١٣٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوْءٌ لُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِيقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ، فَجَاءَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٣٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدِ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾، يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، ضيقًا قيل: هو عذاب القبر وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار. وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث. وعن ابن عباس: قال: الشقاء. ورؤي عنه أنه قال: كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقوامًا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم يرون الله ليس بمختلف لهم فاشتدت عليهم معاشيهم من سوء ظنهم بالله، قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد: أعمى عن الحجة.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدِ كُنْتُ بَصِيرًا﴾، بالعين أو بصيرًا بالحجة.

[١٢٦] ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾، أي كما ﴿أَنْتَ أَهْبِطْنَا فَنَسِينَا﴾، فتركها وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، تترك في النار. قال قتادة: نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب.

[١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك، ﴿بِحَرِيٍّ مِّنْ أَسْرَفٍ﴾، أشرك، ﴿وَلَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿وَأَبْقَى﴾، وأدوم.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، يبين لهم القرآن يعني كفار مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾، لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَّتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزامًا، أي لكان العذاب لازمًا لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة.

[١٣٠] ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، نسختها آية القتال، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صلِّ بأمر ربك. وقيل: صلِّ لله بالحمدلة والثناء عليه، ﴿فَقِيلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَقِيلَ غُرُوبًا﴾، صلاة العصر، ﴿وَمِنْ آنَائِ اللَّيْلِ﴾، ساعاتها واحدها أنى، ﴿فَسَبِّحْ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾، يعني صلاة الظهر، وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو

النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء، وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، أي ترضى ثوابه في المعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: تُرضي بضم التاء أي تعطي ثوابه. وقيل: ترضى أي يرضاك الله تعالى، كما قال: (وكان عند ربه مرضياً)، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: (ولسوف يعطيك ربك فترضى).

[١٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: «قل له: إن رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيععه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله لئن باعني وأسلفني لفضيته وإنني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه<sup>(١)</sup> فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، لا تنظر، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾، أعطينا، ﴿أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي زينتها وبهجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿لِنَتْنَبَهُمْ فِيهِ﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغيانًا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾، في المعاد يعني في الجنة، ﴿حَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال أبي ابن كعب: من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حشرات، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قلَّ عمله وحضر عذابه.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾، أي قومك. وقيل: من كان على دينك، كقوله تعالى: (وكان

سورة طه

٣٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِّي ﴿١٣١﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَعَلَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٣٢﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْسِ مَا وَجَلُّ مَسْمُومًا ﴿١٣٤﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٥﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣٦﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَاتٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ؎ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ نَذِيرًا وَنُحْزِنَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ كُلٌّ مَتْرَبٌ فَتَرَبُّوْا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْتَدَى ﴿١٤٠﴾

يأمر أهله بالصلاة)، ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. ﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا﴾، لا نكلفك أن ترزق أحدًا من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملاً، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾، الخاتمة الجميلة المحمودة، ﴿لِلتَّقْوَى﴾، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: يعني الذين صدقوك واتبعوك واتفقوني. وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ: «كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية».

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾، يعني المشركين، ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي الآية

(١) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري والطبري والطبراني وفيه موسى بن عبيدة الرزدي وهو متروك انظر الكافي الشافعي ص ١٠٩ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٥٢ وأيد القرطبي بطلان هذه الرواية ١١/٢٦٣.



## سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾  
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ إِلَّا آسَمَعُوهُ وَهُمْ  
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 هَلْ هَذَا الْبَشَرُ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَانْتُمْ  
 تَصْرُوتُ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَصْغَتْ أَحْصَى بَلْ  
 أَفْتَرَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْبَيِّنَاتِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ  
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ  
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا  
 لَيًّا كَلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ  
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾  
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله الأمر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواعظ سوى القرآن، وأضافه إلى الربِّ عزَّ وجلَّ لأنه قال بأمر الربِّ، ﴿إِلَّا آسَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، يعني استمعوه لاعيين لا يعتبرون ولا يتعظون.

[٣] ﴿لَاهِيَةً﴾، ساهية غافلة، (قُلُوبُهُمْ)، معرضة عن ذكر الله، وقوله: ﴿لَاهِيَةً﴾ نعتٌ تقدم الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان: فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى: (خشعاً أبصارهم) وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله: (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها). ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني

المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل، لأن البينة هي البيان فرد إلى المعنى، بيينة ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، يعني بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية. وقيل: أو لم يأتهم ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك.

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾، يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾، هلا ﴿أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، يدعوننا، أي لقالوا يوم القيامة، ﴿فَتَنبِئْ عَيْنِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْدَلَ وَنَحْرِي﴾، بالعذاب والذل والهوان والخزي والافتضاح.

[١٣٥] ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَضٍ﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصَّرِيطِ السَّوِيِّ﴾، المستقيم، ﴿وَمِنْ أَهْتَدَى﴾، من الضلالة نحن أم أنتم؟

## سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ (٢١)

[١] ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾، قيل: اللام بمعنى من، يعني اقترب من الناس (حِسَابُهُمْ)، يعني وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، عن التأهب له.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ﴾،

أشركوا، قوله: ﴿وَأَسْرُوا﴾ فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: الذين ظلموا أسروا النجوى. وقيل: محل الذين رفع على أسروا. قال المبرد: هذا كقولك: إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله، على البذل مما في انطلقوا.

ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، ﴿فَأْتَاوَنَ السِّحْرَ﴾، يعني تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿وَأَنْتُمْ تُصْرُوتُ﴾، تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿قَالَ﴾، لهم محمد، ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿قَالَ رَبِّي﴾، على الخبر عن محمد ﷺ، ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لا يخفى عليه شيء، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بأفعالهم.

[٥] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَامٍ﴾، أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها في النوم، ﴿بَلْ أَفْتَرْتُهُ﴾، اختلقه، ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو فرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر.

[٦] قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿مَا ءَأَمَنْتَ قَبْلَهُمْ﴾، أي قبل مشركي مكة، ﴿مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، أهلكناهم بالتكذيب، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، إن جاءتهم آية، معناه: أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤن من هؤلاء.

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، هذا جواب لقولهم: (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعني إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾، أي الرسل، ﴿جَسَدًا﴾، ولم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس، ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، هذا رد لقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام)، لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام، ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾، في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾، يعني أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم، ﴿وَأَهْلَكْنَا السُّفْرِينَ﴾، يعني المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾، يا معشر قريش، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، يعني شرفكم، كما قال: (وإنه لذكر لك ولقومك)، وهو شرف لمن آمن به، وقال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾، أهلكنا، والقصم الكسر، ﴿مِنْ قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، أي كافرة، يعني أهلها، ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ﴾، يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْضُونَ﴾، يعني يسرعون هارين.

[١٣] ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، يعني قيل لهم لا تركضوا

لا تهربوا لا تذهبوا، ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أْتَرَفْتُمْ فِيهِ﴾،  
يعني نعمتم به، ﴿وَمَسَلِكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْتَلُونَ﴾، قال ابن  
عباس: عن قتل نبيكم وقيل: من دنياكم شيئاً.

[١٤] ﴿قَالُوا يَوَلِّينَا إِنَّا نكُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾، أي تلك الكلمة  
وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها  
ويرددونها، ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كما يحصد  
الزرع، ﴿خَمِيدِينَ﴾، ميتين.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا  
لَعِينِينَ﴾، أي عبثاً وباطلاً.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾، اختلفوا في  
اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا  
المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية  
الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في  
المرأة أظهر لأن الوطاء يسمى لهواً في اللغة،  
والمرأة محل الوطاء ﴿لَا تَخَذُّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾، يعني من  
عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل  
الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته

لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا  
يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصراري لما قالوا  
في المسيح وأمه ما قالوا ردَّ الله عليهم بهذا وقال:  
﴿لَا تَخَذُّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل  
وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره، ﴿إِنْ كُنَّا  
فَاعِلِينَ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: ﴿إِنْ  
لِلنَّفِيِّ﴾ معناه: ما كنا فاعلين. وقيل: ﴿إِنْ كُنَّا  
فَاعِلِينَ﴾ للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لا يتخذناه  
من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

[١٨] ﴿بَلْ﴾، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه  
كذب وباطل، ﴿تَقْدِيفٌ﴾، نرمي ونسلط،  
﴿بِالْحَقِّ﴾، بالإيمان، ﴿عَلَىٰ الْبَاطِلِ﴾، على الكفر،  
وقيل: الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل  
قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾، يعني يهلكه،  
وأصل الدمع شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَإِذَا

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

٣٢٣

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا  
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ سِنًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يُرْكَبُونَ ﴿١٢﴾  
لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أْتَرَفْتُمْ فِيهِ وَمَسَلِكِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَشْتَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَلِّينَا إِنَّا نكُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ  
دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا  
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا  
لَا تَخَذُّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ  
عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ  
﴿١٨﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ  
عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يَسْبَحُونَ أَتَيْلٌ وَالنَّهَارَ  
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا أَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ  
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبِّحْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ  
عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا تَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي  
وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

هُوَ زَاهِقٌ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما  
تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم  
على كذبهم فقال: ﴿وَلَكُمُْ الْوَيْلُ﴾، يا معشر  
الكفار. ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾، الله بما لا يليق به من  
الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.

[١٩] ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عبيداً  
وملكاً، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾، يعني الملائكة. ﴿لَا  
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾، ولا يأنفون عن عبادته ولا  
يتعظمون عنها، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، لا يعيون،  
يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيأ. وقال  
السدي: لا ينقطعون عن العبادة.

[٢٠] ﴿يَسْبَحُونَ أَتَيْلٌ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، لا  
يضعفون، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالتنفس  
لبنى آدم.

[٢١] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا أَلِهَةً﴾ استفهام بمعنى الجحد

فَاعْبُدُونِ ﴿٢٦﴾، وَّحَدُونَ.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، نزلت في خزاعة حيث قال: الملائكة بنات الله ﴿سُحَّحْنَهُ﴾، نزه نفسه عما قالوا، ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿مُكْرَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿لَا يَسْتَفْتُونَكَ بِالْقَوْلِ﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، قال ابن عباس: أي إلا لمن قال: لا إله إلا الله، وقال مجاهد: أي لمن رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، خائفون لا يأمنون مكره.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقْدُ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهُ مِنْ دُونِهِ﴾، قال مقاتل: عنى به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إنني إله من دون الله، ﴿فَذَلِكَ تَجْرِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْرِي الظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير ﴿ألم ير﴾ بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين، ﴿فَنَفَقْتَهُمَا﴾، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب: خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحتها بها. قال مجاهد والسدي: كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتحتها وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتحتها فجعلها

أي لم يتخذوا، ﴿مِنْ أَرْضٍ﴾، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، ﴿هُمْ يُبْشِرُونَ﴾، يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانِ فِيهِمَا﴾، يعني في السماء والأرض، ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني غير الله، ﴿لَفَسَدَتَا﴾، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجز على النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

[٢٣] ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، ويحكم على خلقه لأنه الرب ﴿وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾، عن أفعالهم وأعمالهم لأنهم عبيد.

[٢٤] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، يعني حجتكم على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن. ﴿ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي﴾، فيه خبر من معي على ديني ومن تبني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَذِكْرٌ﴾، خبر، ﴿مِّنْ قَبْلِي﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾، فهم مُعْرِضُونَ.

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحى إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

سورة الأنبياء ٣٢٤

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَمَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا تَرْتَفًا فَنفَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٤٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٤٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْحَيْرِ فَتَنَّا وَالتَّيَّارِ جَعَلْنَا ﴿٤٥﴾

يقول تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وقال الحسن: الفلك طاحونة كهية فلكة المغزل، يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة. قال الضحاك: فلکها مجراها وسرعة سيرها. قال مجاهد: كهية حديد الرحي. وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنى قول قتادة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء. وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم.

[٣٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ

سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تثبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وإنما قال: ﴿رَتَقًا﴾ على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما، ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وخلقنا، ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي أحينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء. والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء. لقوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء)، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾، أي جبالا ثوابت، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾، لثلا تميد بهم، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾، في الرواسي، ﴿فِجَاجًا﴾، طرقا ومسالك، والفج الطريق الواسع بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقا كي يهتدوا إلى مقاصدهم، ﴿سُبُلًا﴾، تفسير للفجاج، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)، وقيل: محفوظا من الشياطين بالشهب، دليله قوله تعالى: (وحفظناها من كل شيطان رجيم)، ﴿وَهُمْ﴾، يعني الكفار، ﴿عَنْ آيَاتِهَا﴾، أي عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ﴿مُعْرَضُونَ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يجرون ويسرون بسرعة كالسباح في الماء، وإنما قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾، ولم

الْخَالِدُونَ، دوام البقاء في الدنيا، ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمْ  
الْخَالِدُونَ﴾، أي أفهم الخالدون إن مت، قيل:  
نزلت هذه الآية حين قالوا: نتربص بمحمد ريب  
المنون.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ﴾،  
نختبركم ﴿بِالسَّيْرِ وَالْحَيْرِ﴾، بالشدة والرخاء والصحة  
والسقم والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما  
تكرهون، ﴿فِتْنَةً﴾، ابتلاء لننظر كيف شكرتم  
فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿وَإِنَّا  
نُرْجِعُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِن  
يَتَّخِذُونَكَ﴾، ما يتخذونك، ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾، سخريًا،  
قال السدي: نزلت في أبي جهل مرَّ به النبي ﷺ  
فضحك، وقال: هذا نبيُّ بني عبد مناف، ﴿أَهَذَا  
الَّذِي﴾، أي يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي  
﴿يَذَكِّرُ الْهَاتِكُمْ﴾، أي يعيها، يقال: فلان  
يذكر فلانًا أي يعيها، وفلان يذكر الله أي يعظمه  
ويجعله، ﴿وَهُمْ يَذَكِّرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾،  
وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا  
مسيلمه، و﴿هُمْ﴾ الثانية صلة.

[٣٧] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾، اختلفوا فيه،  
فقال قوم: معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها  
طبع، كما قال الله تعالى: (وكان الإنسان عجولاً)  
والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده العجلة،  
والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خلقت منه،  
كما يقول: خلقت من تعب وخلقت من غضب،  
تريد المبالغة في وصفه بذلك، يدل على هذا قوله  
تعالى: (وكان الإنسان عجولاً)، وقال قوم: معناه  
خلق الإنسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه،  
لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم  
الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس  
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾، هذا خطاب  
للمشركين، نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون

سورة الأنبياء

٣٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا  
أَهَذَا الَّذِي يَذَكِّرُ الْهَاتِكُمْ وَهُمْ يَذَكِّرُ الرَّحْمَنَ  
هُم كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأُورِيكُمْ  
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ  
لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا  
هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْرَيْنَا  
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَن  
الرَّحْمَنُ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ  
لَهُمُ الْهَيَّةُ تَمَتُّعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ  
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ  
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي  
الْأَرْضَ نَنْفَعُهَا مَنْ أَرْبَابُهَا أَفَهُمُ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء:  
وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، فقال تعالى:  
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي  
فلا تطلبوا العذاب من وقته، فأراهم يوم بدر،  
وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

[٣٨، ٣٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ﴾، فقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ  
لَا يَكْفُرُونَ﴾، لا يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا  
عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم السياط،  
﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾، يمنعون من العذاب، وجواب  
لو في قوله: (لو يعلم الذين) محذوف معناه: ولو  
علموا لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا،  
ولا قالوا متى هذا الوعد.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾، يعني الساعة ﴿بَغْتَةً﴾،  
فجأة، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾، أي تحيرهم، يقال: فلان

مبهوت أي متحير، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، يمهلون.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ نَزْلُ بِالذِّبِّ سَحْرًا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي جزاء استهزائهم.

[٤٢] ﴿قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ﴾، يحفظكم، ﴿بِالْبَلِّ وَاللَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾، عن القرآن ومواعظ الله، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾، أي: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾، قال ابن عباس: ينعون. وقال عطية: عنه يجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مجير منه. وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون. وقال قتادة: لا يصبحون من الله بخير.

[٤٤] ﴿بَلْ مَعْنَا هَؤُلَاءِ﴾، الكفار، ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾، في الدنيا أي أهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة، ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، أي امتد بهم الزمان فاغثروا، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أي ما نقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، أم نحن.

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾، أي أخوفكم بالقرآن، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم، (الصُّمُّ) نصباً، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، ﴿الصُّمُّ﴾ رفع،

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾، يخوفون.

[٤٦] ﴿وَلَكِن مَّسَّتْهُمْ﴾، أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ﴾،

قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصيب، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه خطأً ونصيياً منه.

وقيل: ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها، ﴿مَنْ عَذَابَ رَبِّكَ لِكَيْلُولِكَ يَتُوبَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، أي بإهلاكنا إننا كنا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾، أي ذوات القسط

والقسط العدل، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، أي: لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزداد على سيئاتها ﴿وَإِن كَانَتْ﴾، الشيء، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، أي زنة مثقال حبة. ﴿مِنَ خَرْدَلٍ﴾، قرأ أهل المدينة (مثقال) برفع اللام هاهنا وفي سورة لقمان يعني: وإن وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة من خردل، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها لنجازي بها، ﴿وَكُنِيَ بِنَا حَسِينًا﴾، قال السدي: مُحْصِينَ، والحسب معناه: العُدَّة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾، يعني

الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)، يعني يوم بدر لأنه قال ﴿وَضِيئَةٌ﴾، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء، وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿وَضِيئَةٌ﴾، زائدة مقحمة، معناه: آتينا التوراة ضياءً، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿وَذِكْرًا﴾، تذكيراً، ﴿لِلْمُنْقِبِينَ﴾.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، أي

يخافونه ولم يروه، ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾، خائفون.

[٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾، يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير، ﴿أَنْزَلْنَاهُ أَفَانْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، جاحدون، هذا استفهام توبيخ وتعبير.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾، قال القرطبي: أي صلاحه، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) ﴿رُكْنَا بِهِ عَلَمِينَ﴾، أنه أهل للهداية والنبوة.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾، أي الصور، يعني الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، يعني على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، فافتدينا بهم.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ عَلَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، خطأ بين عبادتكم إياها.

[٥٥] ﴿قَالُوا أَحْمِتُنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾،

يعنون أجاد أنت فيما تقول أم لا عب؟

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾، خلقهن، ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

[٥٧] ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾، لأمكرن بها، ﴿بَعْدَ أَنْ تَرْوُلُوا مُدْبِرِينَ﴾، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم.

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾، قرأ الكسائي ﴿جُدًا﴾ بكسر الجيم أي كسرًا وقطعًا جمع جديذ، وهو الهشم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمها،

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُبْوِئُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ أَلْسِنَةِ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَحْمِتُنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦١﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَرْوُلُوا مُدْبِرِينَ ﴿٦٢﴾

مثل الحطام والرفات، ﴿إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ﴾، فإنه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه، وقيل: ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، قيل: معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جُدادًا.

[٥٩] ﴿قَالُوا مِنْ فَعَلْ هَذَا يَا هَتِّتًا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني من المجرمين.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ يعني الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لأكيدن أصنامكم، ﴿سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُّهُمْ﴾،



يعيهم ويسبهم، ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾، وهو الذي نطن أنه صنع هذا، فبلغ ذلك نمرد الجبار وأشرف قومه.

[٦١] ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾، قاله نمرد يقول: جيئوا به ظاهراً بمرأى من الناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذه بغير بينة، قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد ابن إسحاق: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾، له ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لِهَيْبَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، غضب من أن يعبد معه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، حتى يخبروا من فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطاً للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره أنا فعلت.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم، ﴿فَقَالُوا﴾، ما نراه إلا كما قال، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾، يعني بعبادتكم من لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل سؤالكم إياه وهذه ألهمتكم حاضرة فاسألوها.

[٦٥] ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، فكيف نسالهم؟ فلما اتجهت

سُورَةُ الْاَنْبِيَاءِ

٢٢٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

فَجَعَلَهُمْ جُودًا اَلْاَكْبَرِ لِهَيْبَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

٥٨ قَالُوا مِنْ فَعَلَ هَذَا يَا هَيْبَتَانِ اِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٥٩

قَالُوا سَمِعْنَا قِيْدَكَ كَرِهْمُ يُقَالُ لَهُ: اِبْرَاهِيمُ ٦٠ قَالُوا فَاتُوا بِهِ

عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١ قَالُوا اءَ اَنْتَ فَعَلْتَ

هَذَا يَا لِهَيْبَتِنَا يَا اِبْرَاهِيمُ ٦٢ قَالِ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ

هَذَا فَسْتَلَوْهُمْ اِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوا اِلَىٰ

اَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا اِنَّكُمْ اَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ٦٥ قَالَ

اَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ٦٦ اَفِ لَكُمْ وِلْمَاتُ عِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَفَلَا

تَعْقِلُونَ ٦٧ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوْا الهَتَمَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلٰى اِبْرَاهِيمَ ٦٩

وَارَادُوْا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْاَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ

وَلُوْطًا اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَدَرْنَا فِيْهَا لِلْعَالَمِيْنَ ٧١ وَوَهَبْنَا

لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صٰلِحِيْنَ ٧٢

الحجة لإبراهيم عليه السلام.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾، لهم، ﴿اَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾، إن عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، إن تركتم عبادته.

[٦٧] ﴿اَفِ لَكُمْ وِلْمَاتُ عِبَادُونَ﴾، يعني تباً وقدراً لكم، ﴿وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتمهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوْا الهَتَمَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ﴾، يعني إن كنتم ناصرين لها.

[٦٩] قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

عَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها.

[٧٠] قوله: ﴿وَارَادُوْا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

الْاَخْسَرِيْنَ﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة

ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله عز وجل أرسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

[٧١] قوله: ﴿وَجَبَّيْنَهُ وُلُوطًا﴾، من نمرود وقومه من أرض العراق، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. خرج من كوثي من أرض العراق مهاجرًا إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: (فَأَمَّنْ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة: العطية وهما جميعًا من عطاء الله نافلة يعني عطاء، قال الحسن والضحاك: فضلًا. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب لأن الله عز وجل أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: (هب لي من الصالحين)، وزاد يعقوب وهو ولد الولد، والنافلة الزيادة، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى ديننا، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾؛ يعني العمل بالشرائع، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني المحافظة عليها، ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ الزُّكُورَ﴾، إعطاءها، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، موحدين.

[٧٤] ﴿وُلُوطًا ءَآيِنُهُ﴾، يعني وآتيناه لوطًا، وقيل: واذكر لوطًا آتيناه، ﴿حُكْمًا﴾، يعني الفصل بين الخصوم بالحق، ﴿وَعِلْمًا﴾، ﴿وَجَبَّيْنَهُ مِنَ الْقُرْبَىٰ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ﴾، يعني سدومًا وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء آخر، كانوا يعملونها من

المنكرات، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَتُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾، دعا، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾،

يعني من قبل إبراهيم ولوط، ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَٰئَتْهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمرًا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم.

[٧٧] ﴿وَوَصَّيْنَاهُ﴾، منعناه، ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: يعني على القوم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي

الْحَرْثِ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن

عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين: كان

الحرث كرمًا قد تدلت عناقيدته. وقال قتادة: كان

زرعًا، ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ﴾، يعني رعته ليلاً

فأفسدته، والنفس الرعي بالليل والهمل بالنهار

وهما الرعي بلا راع، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾،

يعني كان ذلك بعلمنا وبمراى مما لا يخفى علينا

علمه، قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن

رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع

والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع إن هذا

انقلت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق

منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث،

فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى

بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمرهما

لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال:

كيف تقضي؟ قال: أدفع الغنم إلى صاحب الحرث

ينتفع بدها ونسلها وصفوها ومنافعها ويذر

صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا

صار الحرث كهيئة يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ

صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت

وحكم بذلك.

وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عبيدِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ طَءَ أَيْدِيَهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْغَبْثِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَفَسِقِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ وَنَضَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَاعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٠﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمٌ مِنَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ الْحُكْمَ وَعَلَّمْنَا سَخْرَانَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٢﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَرُسُلَيْنَا مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَانَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٤﴾

[٨١] ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهم جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسن بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاءً والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَانَا فِيهَا﴾، يعني الشام وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ﴾، علمناه، ﴿عَلِيمِينَ﴾، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يعطى سليمان من

[٧٩] قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿وَكَلَّمْنَا﴾، يعني داود وسليمان، ﴿ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد أهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود ف قضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتاها فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله فهو ابناهما ف قضى به للصغرى»<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾، أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان يفهم تسييح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسييح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يُسمعه الله تسييح الجبال والطير لينشط في التسييح ويشتاق إليه. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، المراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِيُحْصِنَكُمْ﴾، لتحرككم وتمنعكم، ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾، أي من حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم وقيل: ليحصنكم الله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة: فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٦/٢٥٨ ومسلم في الأفضية رقم (١٧٢٠) ٣/١٣٤٣.

أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أَنِّي مَسْنِي الصُّرِّ﴾ (وإني مسني الشيطان بنصب)، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: (إنما أشكو بني وحزني إلى الله). قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجددك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»<sup>(١)</sup>. وقال لعائشة حين قالت وارأساه: «قال: بل أنا وارأساه»<sup>(٢)</sup>.

[٨٤] قوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياءهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن: قال الحسن: أتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله إليه وأهله، يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله عز وجل رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وأتيناك مثلهم في الدنيا فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وأتيناها أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلَّذِينَ﴾، أي عظة وعبرة لهم.

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣٩/٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه عبد الله ابن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث. (٢) أخرجه البخاري في المرضى ١٠/١٢٣.

تسخير الريح وغيره يدعوهُ إلى الخضوع لربه عز وجل.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ﴾، يعني وسخرنا له من الشياطين، ﴿مَنْ يَعْصُونَكَ لَكُمْ﴾، يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني دون الغوص وهو ما ذكر الله عز وجل: (يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتمائيل) الآية. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، يعني دعا ربه، واختلفوا في وقت نداءه والسبب الذي قال لأجله: أني مسني الضر وفي مدة بلائه، فروى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة. وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً. وقال كعب: كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كنانة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرَّ ساجداً لله وقال: رب ﴿أَنِّي مَسْنِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاعتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكسى حلة قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد ضاعفه الله فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد

العوفي عن ابن عباس يقال: قدر الله الشيء تقديرًا وقدر يقدر قدرًا بمعنى واحد، ومنه قوله: (نحن قدرنا بينكم الموت) في قراءة من خففها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿فَقَطَّنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، كقوله تعالى: (الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر)، أي يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يُعجز ربّه، فلا يقدر عليه. وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، ورؤي عن أبي هريرة مرفوعًا: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحمًا ولا تكسر له عظمًا فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسًا فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه. فقالوا: يا ربنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة. وفي رواية: صوتًا معروفًا من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: (فنبذناه بالعاء وهو سقيم).

[٨٨] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَنْتَجَبْنَا لَهُ﴾، أي أجبناه، ﴿وَوَجَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، من تلك الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها كانت بعد أن أخرجها الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة

[٨٥] قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿وَإِدْرِيسَ﴾، وهو أخنوخ، ﴿وَذَا الْكَلْبِ كُلُّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل، فقال عطاء: إن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه كان نبيًا، فقال بعضهم: كان نبيًا. وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى: لم يكن نبيًا ولكن كان عبدًا صالحًا.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾، يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَذَا التُّورِ﴾، أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافر والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضبًا أي غضبان. وقال الحسن: إنما غاضب ربّه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربّه أن ينظره ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلًا يلبسها فلم ينظر، وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبًا. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، فقال: ألتمس دابة، قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة ﴿فَقَطَّنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لن نقضي عليه العقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية

الصفات، (فنبذناه بالعراء)، ثم ذكر بعده: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين ٥ إذ أبق إلى الفلك المشحون).

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، أي دعا ربه، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، وحيدًا لا ولد لي وارزقني وارثًا، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أثني على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حيًا.

[٩٠] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾، ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، أي جعلناها ولوذا بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق. ﴿إِنَّهُمْ﴾ الأنبياء، يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة ﴿كَانُوا يَسْرُعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا﴾، طمعًا ﴿ورهبًا﴾، خوفًا، رعبًا في رحمة الله، ورهبًا من عذاب الله، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

[٩١] ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرِحَهَا﴾، حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿فَفَخْنَا فِيهَا مِن زَوْجِنَا﴾، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريقاً لعيسى عليه السلام، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فعل.

[٩٢] قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾، أي ملتكم ودينكم، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي دينًا واحدًا وهو

سورة الأنبياء ٢٢٩

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِن عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا ظَنًّا أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا﴾ ﴿٩٠﴾ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩١﴾

الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقًا وأحزابًا، قال الكلبي: فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ لَّ رَاجِعُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

[٩٤] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْلَ صَلِيحَةٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾، لا يُجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يُشكر ويُثاب عليه، ﴿وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة، ومعنى الكفران ترك المجازاة.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

٣٣٠

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا  
 وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ  
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾  
 وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَمَا كَفَرُوا فَلا يَرْجِعُونَ ﴿٩٣﴾  
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ  
 لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى قَرْيَةٍ  
 أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ  
 يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾  
 وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا يُنْزِلُونَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا  
 ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ  
 هَتُولَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾  
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا تَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُعْدَدُونَ ﴿١٠١﴾

الإبصار بياناً معناه فإذا الأبصار شاخصة أبصار  
 الذين كفروا. والثاني: أن هي تكون عمداً كقوله:  
 (فإنها لا تعمى الأبصار)، والثالث: أن يكون تمام  
 الكلام عند قوله: ﴿هِيَ﴾، على معنى فإذا هي بارزة  
 يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتداء: ﴿شَخِصَةٌ  
 أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على تقديم الخبر على  
 الابتداء، مجازها: أبصار الذين كفروا شاخصة.  
 قال الكلبي شخست أبصار الكفار فلا تكاد تطرف  
 من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون: ﴿يُنْزِلُونَا قَدْ  
 كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم، ﴿بَلْ كُنَّا  
 ظَالِمِينَ﴾، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾،  
 يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها،  
 والحصب في لغة أهل اليمن الحطب. وقال

[٩٥] ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس:  
 معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية،  
 ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا  
 تكون ﴿لَا﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى  
 الواجب، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ ثابتة معناه واجب  
 على أهل قرية أهلكتناهم ﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾، إلى  
 الدنيا، وقال الزجاج: معناه حرام على أهل قرية  
 أهلكتناهم أي حكمنا بهلاكهم أن يتقبل أعمالهم  
 لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا  
 المعنى أنه قال في الآية التي قبلها: فمن يعمل من  
 الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي يتقبل  
 عمله، ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا  
 يتقبل عمله.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ﴾، قرأ ابن  
 عامر وأبو جعفر ويعقوب: (فُتِحَتْ) بالشديد على  
 التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿يَأْجُوجُ  
 وَمَأْجُوجُ﴾، يريد فتح السد عن يأجوج، ﴿وَهُمْ مِنْ  
 كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، أي نشز وتل، والحذب  
 المكان المرتفع، ﴿يَنْسِلُونَ﴾، يسرعون النزول من  
 الآكام والتلال كسبلان الذئب، وهو سرعة مشيه،  
 واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عنى بها  
 يأجوج ومأجوج وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني  
 أنهم يخرجون من قبورهم.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾،  
 يعني القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله  
 واقترب مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج  
 ومأجوج اقترب الوعد الحق وقال قوم: لا يجوز  
 طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في  
 قوله يا ويلنا، فيكون مجاز الآية: حتى إذا فتحت  
 يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا يا  
 ويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ  
 شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله هي ثلاثة  
 أوجه: أحدها: أنها كناية عن الإبصار، ثم أظهر

عكرمة: هذا الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب. وأصل الحصب المرمي، قال الله عز وجل: (أرسلنا عليهم حاصباً) أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي بن أبي طالب: حطب جهنم، ﴿أنتَ لَهَا وَرِدْرِدٌ﴾، أي فيها داخلون.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَوَآءٌ﴾، يعني الأصنام، ﴿إِلَهَةً﴾ على الحقيقة، ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾، أي ما دخل عابدها النار، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يعني العابد والمعبودين.

[١٠٠، ١٠١] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ إن الذين سبقت لهم من الحسن، قال بعض أهل العلم: إن ههنا بمعنى إلا معناه: إلا الذين سبقت لهم من الحسن، يعني السعادة والعدو الجميلة بالجنة، ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من يعبده كاره.

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾، يعني صوتها وحرارة تلها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسن والحسيس الصوت الخفي، ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، مقيمون كما قال: (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين).

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: الفرع الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: (وتنفخ في الصور ففرع من في السماوات ومن في الأرض)، قال الحسن: حين يؤمر بالعباد إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرج. ﴿وَنُلْقَاهُمْ الْمَلَكَةَ﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب

٣٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنُلْقَاهُمْ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّاعِلِينَ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يُعَلِّمُ الْجَاهِلِينَ الْقَوْلَ الَّذِي يَعْلَمُونَ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِن أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ قُلْتُمْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْحَاجِّ

الجنة يهنؤونهم، ويقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ اختلفوا في السجل، فقال السدي، السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي كطي السجل الكتب كقوله: (ردف لكم)، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتب، والطى الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة).

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ



وَجِدْ فَهَلْ أُنْتُمْ تُسَلِّمُونَ ﴿١٠٩﴾ . أَي أَسْلِمُوا .

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ﴾ ، أَي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا ، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ ، يعني إنذارًا بينًا نستوي في علمه لا استيذانًا به دونكم لتأهبوا لما يُراد بكم، يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستويوا في الإيمان به ﴿وَإِنْ أَدْرَيْتُمْ﴾ ، يعني وما أعلم . ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ، يعني القيامة .

[١١٠] ﴿إِنِّي يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ .

[١١١] ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّكُمْ﴾ ، يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿فِتْنَةً﴾ اختبار، ﴿لَكُمْ﴾ ، ليرى كيف صنعكم وهو أعلم، ﴿وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ، يعني تتمتعون إلى انقضاء آجالكم .

[١١٢] ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ قرأ حفص عن عاصم: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم﴾ ، وقرأ الآخرون: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم﴾ يعني افصل بيني وبين من كذبنى بالحق، فإن قيل: كيف قال: احكم بالحق؟ قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق)، قال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طُلب منه أو لم يُطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه من الحق، ﴿وَرَبَّنَا أَلْحِمْنَا الْمُسْتَعَانَ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ ، من الكذب والباطل .

الذِّكْرُ ﴿١٠٦﴾ ، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ . وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة . وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر التوراة، وقيل: الزبور زبور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: (كان وراءهم ملك): أي أمامهم ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ﴾ ، يعني أرض الجنة، ﴿بِرِثْمَا عِبَادِي الصَّالِحِينَ﴾ ، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض)، وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين . وقيل: أراد بالأرض الأرض المقدسة .

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ ، أي في هذا القرآن، ﴿لَبَلَعًا﴾ ، وصولًا إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب . وقيل: بلاغًا أي كفاية . يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ ، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان .

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم . وقال ابن عباس: هو عامٌّ في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ»<sup>(١)</sup> .

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ﴾

(١) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلًا ٩/١ ووصله الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرط الشيخين . قال الهيثمي في المجمع ٢٥٧/٨: (رواه البزار والطبراني في الصغير، ورجال البزار رجال الصحيح) .

## (٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِتَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

ترابًا. قوله تعالى: ﴿وَتَّبِعُ﴾ أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ﴾، والمريد المتمرد الغالي العاتي المستمر في الشر.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾، قضى على الشيطان، ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾، اتبعه ﴿فَآنَهُ﴾، يعني الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾، أي: يضل من تولاها، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، ثم ألزم الحجة، منكري البعث.

[٥] فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، يعني: في شك، ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني: أباكم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ﴾ يعني ذريته والنطفة هي المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف، ﴿ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾، وهي الدم الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير دمًا غليظًا ثم تصير لحمًا، ﴿ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ﴾، وهي لحمة قليلة قدر ما يمزج، ﴿مُخَلَّقَةٍ

[١] ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، والزلزلة والزلال شدة الحركة على الحالة الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي: هي من أشراف الساعة. وقيل: قيام الساعة. وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا﴾، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿تُذْهِلُ﴾ قال ابن عباس: تشغل، وقيل: تنسى، يقال: ذهلت عن كذا إذا تركته واشتغلت بغيره عنه. ﴿كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، أي: كل امرأة معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع بلا هاء إذا أريد به الصفة مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم. قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومن قال: تكون في القيامة قال: هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته. ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ قال الحسن: معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب. وقيل: معناه وترى الناس كأنهم سكارى، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

[٣] قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثير الجدال وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار

الله هو الحق، ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿وَلَا هُدًى﴾، بيان ﴿وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ﴾.

[٩] ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾، متبختراً لتكبره. وقال مجاهد وقتادة: لاوي عنقه. قال عطية وابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه تكبراً. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبراً. والعطف: الجانب، وعطفاً الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً)، وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم). ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾، عذاب وهوان هو القتل بيدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً. ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ لَلْبَاطِلِ﴾، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم.

[١١] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِ اللَّهُ عَلَيَّ حَرْفٌ﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه وتنجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته ذكراً وكثر ماله قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت فرسه وقتل ماله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة فأنزل الله عز

وَعَزَّيْرٌ مُّخَلَّفَةٌ، قال ابن عباس وقتادة: مخلقة أي تامة وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة يعني السقط. وقيل: المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة السقط. ﴿لِنَسِينَ لَكُمْ﴾، كما قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل: لنسين لكم ما تأتون وما تدررون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ أي: صغاراً ولم يقل أطفالاً لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّوْا أَشَدَّكُمْ﴾ يعني: الكمال والقوة، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى﴾، من قبل بلوغ الكبر، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، أي: الهرم والخرف، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئاً ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: ﴿وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِئَةً﴾، أي يابسة لا نبات فيها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾، المطر، ﴿أَهْتَزَّتْ﴾، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿وَرَبَّتْ﴾، أي: ارتفعت وزادت، وقرأ أبو جعفر: (ورأبت) بالهمزة، وكذلك في حم السجدة أي: ارتفعت وعلت، قال المبرد: أراد اهتز وربا نباتها فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتز النبات أي: طال وإنما أنث لذكر الأرض. وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾، أي: صنف حسن يبهج به من رآه أي: يسر، فهذا دليل آخر على البعث.

[٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي: لتعلموا أن

وَجَلَّ: (ومن الناس من يعبد الله على حرف)، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي كالثاقم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالثاقم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. ﴿فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، الظاهر.

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن أطاعه وعبده ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ﴾، عن الحق والرشد.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: (ذلك رجع بعيد) أي: لا رجع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب من نفعه لأنه كائن. ﴿لَيْسَ الْمَوْتَى﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمى الزوج العشير لأجل المخالطة.

وَجَلَّ: (ومن الناس من يعبد الله على حرف)، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي كالثاقم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالثاقم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. ﴿فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، الظاهر.

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن أطاعه وعبده ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ﴾، عن الحق والرشد.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: (ذلك رجع بعيد) أي: لا رجع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب من نفعه لأنه كائن. ﴿لَيْسَ الْمَوْتَى﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمى الزوج العشير لأجل المخالطة.

وَجَلَّ: (ومن الناس من يعبد الله على حرف)، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي كالثاقم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالثاقم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. ﴿فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، الظاهر.

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن أطاعه وعبده ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ﴾، عن الحق والرشد.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: (ذلك رجع بعيد) أي: لا رجع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب من نفعه لأنه كائن. ﴿لَيْسَ الْمَوْتَى﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمى الزوج العشير لأجل المخالطة.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٣٣٤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنَاهُ اٰیٰتٍ یَّبِیِّنٰتٍ وَّ اَنَّ اللّٰهَ یَهْدِیْ مَنْ یَّرِیْدُ ﴿١٦﴾ اِنَّ الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا وَالَّذِیْنَ هَادُوْا وَالصّٰدِقِیْنَ وَالنّٰصِرِیْنَ وَالْمُجُوْسَ وَالَّذِیْنَ اَشْرَكُوْا اِنَّ اللّٰهَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیَمَةِ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ شَهِیْدٌ ﴿١٧﴾ التّٰوْرٰتِ اِنَّ اللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِی الْاَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدّٰوَابُّ وَكَثِیْرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِیْرٌ حَقَّ عَلَیْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ یُّهِنِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرَمٍ اِنَّ اللّٰهَ یَفْعَلُ مَا یَشَآءُ ﴿١٨﴾ هٰذَا نِ حَصَمٰنِ اَخْتَصَمُوْا فِی رَیْبِهِمْ فَالَّذِیْنَ كَفَرُوْا قَطَعْتَ لَهُمْ شِیْبًا مِّنْ نّٰرٍ یُّصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِیْمِ ﴿١٩﴾ یُصْهَرُ بِهِ ءَمَا فِیْ بُطُوْنِهِمْ وَالْجُلُوْدِ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْتَمِعٌ مِنْ حَدِیْدٍ ﴿٢١﴾ كَمَا اَرَادُوْا اَنْ یَخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اَعِیْدُ وَاِیْنَمَا وُذِقُوا عَذَابَ الْحَرِیْقِ ﴿٢٢﴾ اِنَّ اللّٰهَ یُدْخِلُ الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِیْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ یُحْكَمُونَ فِیْهَا مِنْ اَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَلُوْءًا وَّلِبَاسُهُمْ فِیْهَا حَرِیْرٌ ﴿٢٣﴾

مِنْ مُّكْرَمٍ ﴿١٦﴾ أي: من يذله الله فلا يكرمه أحد، ﴿١٧﴾ اِنَّ اللّٰهَ یَفْعَلُ مَا یَشَآءُ ﴿١٨﴾، أي: يكرم ويهين فإللسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته.

[١٩] قوله تعالى: ﴿هٰذَا نِ حَصَمٰنِ اَخْتَصَمُوْا فِی رَیْبِهِمْ﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر، فلذلك قال: (اختصموا) بلفظ الجمع كقوله: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب)، واختلفوا في هذين الخصمين. فقيل: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحزمة وعبيدة وشيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله أماناً بنينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون نبينا

السماء السماء المعروفة ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

[١٦] ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن، ﴿اَنْزَلْنَاهُ﴾، يعني: القرآن ﴿اٰیٰتٍ یَّبِیِّنٰتٍ وَّ اَنَّ اللّٰهَ یَهْدِیْ مَنْ یَّرِیْدُ﴾.

[١٧] ﴿اِنَّ الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا وَالَّذِیْنَ هَادُوْا وَالصّٰدِقِیْنَ وَالنّٰصِرِیْنَ وَالْمُجُوْسَ وَالَّذِیْنَ اَشْرَكُوْا﴾، يعني: عبدة الأوثان، ﴿اِنَّ اللّٰهَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ﴾، يحكم بينهم، ﴿یَوْمَ الْقِیَمَةِ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ شَهِیْدٌ﴾.

[١٨] ﴿اَلَمْ﴾، ألم تعلم، وقيل: ألم ﴿تَرَ﴾ بقلبك ﴿اَنَّ اللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُمْ مَنْ فِی السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِی الْاَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدّٰوَابُّ﴾، قال مجاهد: سجودها تحول ظلالتها.

وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبرنا الله تعالى عن السموات والأرض (قالتا أتينا طائعين)، وقال في وصف الحجارة (وإن منها لما يهبط من خشية الله)، وقال تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)، وهذا مذهب حسن موافق لأهل السنة. قوله: ﴿وَكَثِیْرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، أي: من هذه الأشياء كلها تسبح الله عز وجل وكثير من الناس يعني المسلمين. ﴿وَكَثِیْرٌ حَقَّ عَلَیْهِ الْعَذَابُ﴾، وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالتهم لله عز وجل والواو في قوله: (وكثير حق عليه العذاب)، واو الاستئناف. ﴿وَمَنْ یُّهِنِ اللّٰهُ﴾ أي: يهينه الله ﴿فَمَا لَهُ﴾

الحريق، أي: المحرق مثل الأليم والوجيع، قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر وهم المؤمنون.

[٢٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، جمع سوار، ﴿وَلَوْلَا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم (ولؤلؤا) ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤا ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف وقرأ الآخرون بالخفض عطفًا على قوله من ذهب، ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده. ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، إلى دين الله وهو الإسلام والحمد هو الله المحمود في أفعاله.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عطف المستقبل عن الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر: (الذي كفروا وصدوا عن سبيل الله)، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾، قبة لصلاتهم ومنسكًا ومتعبدًا كما قال: (وُضِعَ لِلنَّاسِ). ﴿سَوَاءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: (سواء) نصبًا بإيقاع الجعل عليه يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستويًا فيه، ﴿الْعَلِكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر،

وكتابتنا وكفرتم به حسدًا، فهذه خصومتهم في ربهم. وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا. وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية فجعل خمسة للنار وواحدًا للجنة. فقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمى أشد حرًا منه وسمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾، الحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾، يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتهما أصهرها صهرًا معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: يشوي حرها جلودهم فتساقط.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾، سباط من حديد واحدها مقعة، قال الليث: المقعة شبه الجزر من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضربًا عنيفًا.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾، يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾، يعني: ردوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهون فيها سبعين خريفًا. ﴿وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، أي: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب

تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: وهو احتكار الطعام بمكة. وقال عبدالله بن مسعود: لو أن رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همّ بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبن أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلا أن يتوب.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾، أي: وطأنا. قال ابن عباس: جعلنا. وقيل: بينا. قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكر مكان البيت لأنه لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكنت له ما حول البيت على الأساس. قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿وَطَهَّرَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُطَّافِينَ﴾، أي: الذين يطوفون بالبيت، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين، ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، أي: المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: أعلم ونادى في الناس، ﴿بِالْحَجِّ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم وقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، قال ابن عباس وزعم الحسن أن قوله: (وأذن في الناس بالحج) كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. وروى أبو هريرة قال:

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٨٠) ٣/١٤٠٥.

وتم الكلام عند قوله: (للناس) وأراد بالعاكف المقيم فيه، وبالبادي الطارئ المتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم: سواء العاكف فيه والباد يعني في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال الآخرون: المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يزعم فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول وهو الأقرب إلى الصواب يجوز لأن الله تعالى قال: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق)، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»<sup>(١)</sup>، فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمر بن دينار وبه قال الشافعي. قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم، والباء في قوله (بالحداد) زائدة كقوله: (تبت بالدهن)، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وهو عبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْعَمِيدِ ﴿٢٨﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ  
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ  
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِدِ بِظُلْمٍ نُدْفَةً مِنْ عَذَابِ الْبَعْرِ ﴿٢٩﴾  
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي  
 شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
 السُّجُودِ ﴿٣٠﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكَّلْ يَا حَسْبِيَ  
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣١﴾ لِيَشْهَدُوا  
 مَنْفَعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ  
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا  
 الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا  
 نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ  
 يَعْظَمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ حَزَنٌ إِنَّ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ  
 لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا  
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٤﴾

يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عز وجل: ﴿وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، يعني: الزَّمن الفقير الذي لا شيء له والبائس الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أتفتك أي ما أوسحك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره فقضاء التفث إزالة هذه الأشياء ليقضوا (١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) ٩٧٥/٢ والمصنف في شرح السنة ٣/٧.

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» (١). قوله تعالى: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾، أي: مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: ركبانا على كل ضامر، والضاامر: البعير المهزول. ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ من كل طريق بعيد. [٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾، ليحضروا، ﴿مَنْفَعَ لَهُمْ﴾، قال سعيد بن مسيب: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. وقال مجاهد: التجارة وما يرضي الله به من أمر الدنيا والآخرة. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل لها: معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروى عن علي رضي الله عنه أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق. ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئًا واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعًا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع. واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئًا مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب يفسد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئًا وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا



لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيق لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان.

[30] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾، أي معاصي الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابتها. قال الليث: حرمت الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمت ههنا زيد: الحرمت ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أي: تعظيم الحرمت، خير له عند الله في الآخرة، ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمَ﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ﴾، تحريمه وهو قوله في سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة والدم)، الآية، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: عبادتها، يقول: كونوا على جانب منها فإنها رجز، أي: سبب الرجس، وهو العذاب والرجس: بمعنى الرجز وقال الزجاج: (من) ههنا للجنس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجز، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور، وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

[31] ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ﴾، مخلصين له، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: (حنفاء لله غير مشركين به) أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ﴾، أي: سقط، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، إلى الأرض، ﴿فَتَحَطُّهُ

تفثمهم، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلوق وقص الشارب وتنف الإبط والاستحداد وقلم الأظفار ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: قضاء التفت مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج وأخذ الشارب وتنف الإبط وحلق العانة وقلم الأظفار. وقيل: التفت ههنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا تعرف التفت ومعناه إلا من القرآن. قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليطمئئنها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذرًا ولم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفقى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر (وليوفوا) بنصب الواو وتشديد الفاء ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم: وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعة يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه. والطواف الثاني: هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به. والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعة فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. قوله: (بالبيت العتيق) واختلفوا في معنى العتيق، فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقاتدة: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. وقال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد: سمي به

المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿تَمَّ مَجْلُهَا﴾، أي: منحراها، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: منحراها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: (فلا تقربوا المسجد الحرام) أي: الحرم كله. ورؤي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرث ههنا ومئى كلها منحر فانحروا في رحالكم»<sup>(١)</sup> ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

[٣٤] قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحًا وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، عند نحرها وذبحها وسمائها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: (بهيمة الأنعام) وقيدها بالتعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فَالنَّهْكَرُ لِلَّهِ وَجَدُّ﴾، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن الإهكم إله واحد، ﴿فَلَهُ اسْلِمُوا﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿وَيَشِرُّ الْمُخْبِرِينَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم يتصروا.

(١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٢/٨٩٣ والمصنف في شرح السنة ٧/١٥٠.

أَطْيَرُ، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفه، ﴿أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ﴾، أي: تميل وتذهب به، ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدر على شيء منها.

[٣٢] ﴿ذَلِكَ﴾، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليُعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿مَنْفَعٌ﴾، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، وهو أن يسميها ويوجبها هديًا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديًا بأن تركيبها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء

[٣٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، أي: يتصدقون.

[٣٦] ﴿وَالْبُدْنَ﴾، جمع بدنة سميت بدنة لعظمتها وضخامتها يريد الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال: بَدُنَ الرجل بدناً وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال: بدن تديناً. قال عطاء والسدي: البُدْنُ البقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعْتِيرٍ﴾، من أعلام دينه، سُميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: عند نحرها، ﴿صَوَافٍ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك. وقرأ أبي الحسن ومجاهد (صوافي) بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿فَإِذَا وَجِئْتَ جَنَّوَيْهَا﴾، يعني:

سقطت بعد النحر ف وقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، أمر بإباحة، ﴿وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ﴾، اختلفوا في معناهما، فقال عكرمة وإبراهيم وقاتدة: القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، والمعتَرُّ الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يعترض ولا يسأل، والمعتَرُّ الذي يريك نفسه ويعترض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال: قنع قناعة إذا رضي بما قُسم له. وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: القانع الذي يسأل والمعتَرُّ الذي يعترض ولا يسأل، فيكون القانع من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل. وقال ابن زيد: القانع المسكين، والمعتَرُّ الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى

تِلْكَ آيَاتُ

٣٦

الْحَجِّ الْمَكْرُومِ

حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمِ شَعْتِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٧﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِّنْ بِهِيمَةٍ لَّا تَعْبُرَ فَإِنَّهَا إِلَى اللَّهِ وَجَدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَيُشِرُّ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعْتِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئْتَ جَنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ لَن يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِن يَبَالُهُ النَّفْسِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٣﴾

القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾، نعمة منا لتمكنوا من نحرها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لكي تشكروا إنعامي عليكم.

[٣٧] ﴿لَن يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا﴾، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَن يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا﴾ قرأ يعقوب (تنال وتنال) بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء، قال مقاتل: لن يُرْفَع إلى الله لحومها ولا دماؤها، ﴿وَلَكِن يَبَالُهُ النَّفْسِيُّ مِنْكُمْ﴾، ولكن ترفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص ما أريد به وجه الله، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾، يعني: البدن، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على

ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس: الموحدين.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (يدفع)، وقرأ الآخرون (يدافع) بالألف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، يعني: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكاً وكفروا بنعمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذيبحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

[٣٩] ﴿أُذِّنُ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الألف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، ﴿لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص (يقاتلون) بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذي أذن لهم بالجهاد (يقاتلون) المشركين، قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة، ﴿يَأْتَهُمْ ظُلْمًا﴾، يعني: بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، بدل من الذين الأولى ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾، يعني: لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده، ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، بالجهاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُذِّنُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسُ صَرْبُ اللَّهِ مِنْ بَصْرَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهَلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمَقَرَّهَا عَلَىٰ عُرْوِ شَيْهَاءٍ وَبَنَتْ مِعْطَلَةَ وَقَصَّ مَسْجِدَ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأْتَاهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

وإقامة الحدود، ﴿لَمَّمَتْ﴾، قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكرير فالتخفيف يكون للتقليل والتكرير والتشديد يختص بالتكرير، ﴿صَوْمِعُ﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿وَيَبِعُ﴾، يعني: بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى، ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾، يعني: كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلواتا، ﴿وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ، ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام فإنها لا تنقطع إذا

دخل العدو عليهم. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَبْصُرُهُ﴾،  
يعني: ينصر دينه ونيبه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.  
[٤١] ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾،  
قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه ومعنى مكناهم  
نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قال:  
هم أصحاب محمد ﷺ. قال الحسن: هذه الأمة  
﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، يعني: آخر أمور الخلق  
ومصيرهم إليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه  
فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدع.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن  
الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من  
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ  
اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، فأُنجز ذلك يوم بدر. ﴿وَلَا تَكُنْ  
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوكَ﴾ قال ابن عباس:  
يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها  
السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً  
من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي  
سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا  
معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة  
تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك  
مقدار خمسمائة سنة»<sup>(١)</sup> قال ابن زيد: هذه أيام  
الآخرة: وقوله: (مقداره خمسين ألف سنة مما  
تعدون) يوم القيامة. والمعنى على هذا أنهم  
يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في  
الآخرة ألف سنة. وقيل: معناه وإن يوماً من أيام  
العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة  
والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه  
هذا؟ كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور  
قصار. وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في  
الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته  
شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون  
به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس  
في رواية عطاء.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ﴾، يعزي نبيه  
ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُوحٌ  
وَأَمْوَةٌ﴾.

[٤٣] ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ﴾.  
[٤٤] ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ  
لِلْكَافِرِينَ﴾، يعني: أمهلتهم وأخرت عقوبتهم، ﴿ثُمَّ  
أَخَذْتَهُمْ﴾، عاقبتهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، يعني:  
إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من  
التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف  
النبي ﷺ ويكذبه.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّنْ﴾، فكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾  
بالنون والألف على التعظيم، ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾، يعني:  
وأهلها ظالمون، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى سَاقِطَةٍ﴾ على  
عروشها، على سقوفها، ﴿وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ﴾: يعني  
وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها ﴿وَقَصِرَ  
مَشِيدِ﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع  
طويل، من قولهم: شاد بناء إذا رفعه. وقال سعيد  
ابن جبير ومجاهد وعطاء: مجصص من مشيد،  
وهو الجصص.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: كفار  
مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم  
الخالية، ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ  
يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار القرون  
الماضية فيعتبرون بها، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنِ

تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ذكر التي في الصدور  
تأكيداً كقوله: (يطير بجناحيه) معناه أن العمى  
الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس  
بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر بلغة  
ومتعة وبصر القلب هو البصر النافع.

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن  
الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من  
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ  
اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، فأُنجز ذلك يوم بدر. ﴿وَلَا تَكُنْ  
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوكَ﴾ قال ابن عباس:  
يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها  
السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً  
من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي  
سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا  
معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة  
تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك  
مقدار خمسمائة سنة»<sup>(١)</sup> قال ابن زيد: هذه أيام  
الآخرة: وقوله: (مقداره خمسين ألف سنة مما  
تعدون) يوم القيامة. والمعنى على هذا أنهم  
يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في  
الآخرة ألف سنة. وقيل: معناه وإن يوماً من أيام  
العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة  
والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه  
هذا؟ كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور  
قصار. وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في  
الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته  
شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون  
به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس  
في رواية عطاء.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّنْ مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا﴾، يعني  
أمهلتها، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَّمْ يَأْتِهَا الْبَصِيرُ﴾  
(١) أخرجه أبو داود في العلم ٢٥٥/٥ قال المنذري: في  
إسناده المعلى بن زياد وفيه مقال.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ، الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً .  
وقيل : هو الجنة .

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ ، يعني عملوا في إبطال آياتنا ، ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (معجزين) بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني مثبطين الناس عن الإيمان ، وقرأ الآخرون (معاجزين) بالألف يعني معاندين مشاقين . وقال قتادة : معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزونا بزعمهم ألا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ، ومعنى يعجزونا أي يفوتونا فلا تقدر عليهم ، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ﴾ ، وقيل : معاجزين مغالين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه .

[٥٢، ٥٣] قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

مِنْ رَسُولٍ﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً ، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ ، وهو الذي يكون نبوته إلهاماً أو مناماً ، وكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً ﴿إِلَّا إِذَا

نَمَّيْتَهُ﴾ قال بعضهم : أي : أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي

أَمْنِيَّتِهِ﴾ يعني مراده . وعن ابن عباس قال : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ما وجد إليه سبيلاً ،

وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي به قومه

فينسخ الله ما يلقي الشيطان . وأكثر المفسرين قالوا : معنى قوله (تمنى) يعني تلا وقرأ كتاب الله

تعالى ألقى الشيطان في أمنيته يعني في تلاوته ، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي : يُبطله ويذهبه ،

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ ، فيثبتها ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٥ ليَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ ، أي : محنة

وبلية ، ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ، شك ونفاق ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ﴾ ، يعني : الجافية ، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ ، عن قبول

الحق وهم المشركون ، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ،

سُورَةُ الْحَجِّ

٣٣٨

الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ

وَيَسْتَعِجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ

قَرِيبةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ

﴿٨﴾ قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ فَالَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٠﴾

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

﴿١١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى

أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ

ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾ لِيَجْعَلَ

مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ

فَتُخَيِّبَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى

تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿١٥﴾

المشركين ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ ضلال ، ﴿بَعِيدٍ﴾ أي : في خلاف شديد .

[٥٤] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ، التوحيد والقرآن . وقال السدي : التصديق بنسخ الله تعالى ،

﴿أَنَّهُ﴾ يعني : الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ، أي : يعتقدون أنه

من الله ، ﴿فَتُخَيِّبَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني : فتسكن إليه قلوبهم ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ ، أي : طريق قويم هو الإسلام . [٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ ،

يعني في شك مما ألقى الشيطان . وقال ابن جريج : منه أي من القرآن . وقيل : من الدين وهو الصراط

المستقيم . ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ، يعني : القيامة . وقيل : الموت ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾

قال الضحاك وعكرمة : عذاب يوم لا ليلة

له وهو يوم القيامة. والأكثر على أن اليوم العقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا منع من الولد. وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

[٥٦] ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿لِلَّهِ﴾، من غير منازع، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، ثم بين الحكم، فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر (قتلوا) بالتشديد ﴿لِيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، ﴿وَإِنَّ لِلَّهِ لَهَرُ خَيْرٌ مِنَ الزَّرْقِينَ﴾، قيل: هو قوله: (بل أحياء عند ربهم يرزقون).

[٥٩] ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُّدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، لأن لهم فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾، بنياتهم، ﴿حَلِيمٌ﴾، عنهم.

[٦٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾، يعني: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾، جازى الظالم بمثل ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ﴾، يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني ما آتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجهم إلى مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل

٢٣٩ ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ لِلَّهِ لَهَرُ خَيْرٌ مِنَ الزَّرْقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُّدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿الْمُرْتَدُونَ اللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصِّحُ الْأَرْضَ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٤﴾

الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، قال الله تعالى: ﴿لِيَنْصُرْهُ اللَّهُ﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾، عفا عن مساوي المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك النصر ﴿يَأْتِ اللَّهُ﴾، القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه، ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، يعني المشركين، ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾، العالي على كل شيء، ﴿الْكَبِيرُ﴾، العظيم الذي كل شيء دونه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقُرْآنَ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ  
 بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ  
 اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ  
 ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾  
 لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ  
 فِي الْأَمْرِ وَادِعٌ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾  
 وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ  
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾  
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ  
 فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ  
 مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ عِلْمِهِمْ عَابِدٌ تَابِعٌ تَعْرِفُ فِي  
 وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادِبُونَ يُسْطُونَ  
 بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ عَابِدًا تَقُولُ لَئِن آفَأُنَيْتُكُمْ بِشْرٍ مِّنْ  
 ذَلِكَ لَأُنَارِعُوهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصُخِّجَ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾، بالنبات، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿خَيْرٌ﴾، بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم.

[٦٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، عبيداً ومُلَكًا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾، عن عباده، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في أفعاله.

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ﴾ يعني وسخر لكم الفلك، ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تتركب في البر، والفلك التي تتركب في البحر، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾، لكيلا تسقط على الأرض، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[٦٦] ﴿هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾، عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، يوم البعث للشواب والعقاب، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، لنعم الله.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها.

وروي عنه أنه قال: عبيداً. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة.

مألفاً بالفونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج. ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا

لأصحاب النبي ﷺ: ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ قال الزجاج: معنى قوله (لا ينازعك) أي: لا تنازعهم أنت،

كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز لا يضربك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك أن

المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. ﴿وَادِعٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، إلى الإيمان بربك، ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٨] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾، كله، ﴿فِي كِتَابٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني: علمه لجميع ذلك، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم،



﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، للمشركين، ﴿مِنْ نَّصِيرٍ﴾، مانع يمنعهم من عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾، يعني: القرآن، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾، يعني: يقعون ويسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، يعني: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو القهر. ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَنِ ذَلِكُمْ﴾، يعني بشر لكم وأكره إليكم من القرآن الذي تستمعون، ﴿النَّارُ﴾ يعني: هي النار، ﴿وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْنَّصِيرُ﴾.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾، معنى: ضرب جعل كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه وشبه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها ومعنى ﴿فَأَسْمَعُوا لَهُمْ﴾، يعني: فاستمعوا حالها وصفتها، ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، واحداً في صغره وقلته لأنها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذباب مثل غراب وأغربة وغربان، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ﴾، يعني خلقه، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه. وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر، ويطيبونها بألوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على

استردادها فذلك قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئاً مما عليها لا يقدر أن يستنقذه منه، ﴿ضَعُفَ الطَّلَابُ وَالطَّلُوبُ﴾، قال ابن عباس: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم، والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: الطالب الصنم والمطلوب الذباب. وقال الضحاك: الطالب العابد والمطلوب المعبود.

[٧٤] ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ﴾، ما عظموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا يتتصف منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾، يعني يختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، يعني: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، يعني: سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس: ما قدموا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ما خلفوا. وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد. وقيل: ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورسله قبل أن خلقهم وما خلفهم أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: وحدوه، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في

سُورَةُ الْحَجِّ  
٣٤١

يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ لِمَا هُمْ فِيهَا خَالِفُونَ ﴿٧٨﴾

يَتَّيِبُهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ  
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ  
الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٧﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ  
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ يَا اَيُّهَا اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ  
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٤﴾  
يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَوْ اسْجُدُوا وَاعْبَدُوا  
رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٣﴾  
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ  
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِزْهِيمَهُ هُوَ سَمَّاكُمْ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ  
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٢﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ  
٣٢٠

أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الأعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ إِزْهِيمَهُ﴾، يعني كلمة أَيْكُمْ نصب بنزع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا ملة أَيْكُمْ إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ فإن قيل فما وجه قوله: (ملة أَيْكُمْ) وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: (وأزواجه أمهاتهم)، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد»<sup>(١)</sup>، ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ﴾، يعني

سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود.

[٧٨] قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضًا أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم). قال الضحاک ومقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته. وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: (فاتقوا الله ما استطعتم)، وقال أكثر المفسرين: حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى. وقال عبدالله بن المبارك: هو مجاهدة النفس وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد. ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ يعني: اختاركم لدينه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ضيق، معناه أن المؤمن لا يتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجًا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلًا إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والنظر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتميم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والإفطار بالسفر والمرض والصلاة قاعدًا عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي، ورؤي عن ابن عباس

(١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الطهارة ١٨/١ =

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

٣٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾  
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ  
 فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى  
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾  
 فَمَنْ ابْتَغَى زَوَاةَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ  
 لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ  
 يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ  
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ  
 سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ  
 خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا  
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا  
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ  
 خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

أن الله تعالى سماكم ﴿الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من  
 قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾  
 يعني: وفي الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال  
 ابن زيد: هو يرجع إلى إبراهيم سماكم المسلمين في  
 أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت، وهو  
 قوله: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة  
 مسلمة لك)، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾، يوم  
 القيامة أن قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا﴾، أنتم، ﴿شُهَدَاءَ عَلَى  
 النَّاسِ﴾، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ  
 وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾، ثقوا بالله وتوكلوا  
 عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. ورؤي عن  
 ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما  
 يكره. وقيل: معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل:  
 الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿هُوَ  
 مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى  
 وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾، الناصر لكم.

## سورة المؤمنون (٢٣)

يلتفت يمينًا ولا شمالًا. وقال سعيد بن جبير: هو  
 أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ولا  
 يلتفت من الخشوع لله عز وجل. وقال عمرو بن  
 دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن سيرين  
 وغيره: هو ألا ترفع بصرك عن موضع سجودك.  
 وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ  
 يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل:  
 (الذين هم في صلاتهم خاشعون) رموا بأبصارهم  
 إلى مواضع السجود. وقال عطاء: هو ألا تعبت  
 بشيء من جسدك في الصلاة. وقيل: الخشوع في  
 الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سواها،

[١] قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قد حرف  
 تأكيد، وقال المحققون: قد يقرب الماضي من  
 الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم  
 عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل،  
 والفلاح: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد  
 المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

[٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، اختلفوا في  
 معنى الخشوع، فقال ابن عباس: محبتون أذلاء.  
 وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل:  
 متواضعون. وقال مجاهد: هو غض البصر وخفض  
 الصوت، والخشوع قريب من الخضوع إلا أن  
 الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر  
 والصوت، قال الله عز وجل: (وخشعت الأصوات  
 للرحمن)، وعن علي رضي الله عنه: هو أن لا

= والنسائي في الطهارة ٣٨/١ وابن ماجه في الطهارة ١/  
 ١١٤ والدارمي ١٧٢/١ وصححه ابن حبان برقم (١٢٨)  
 ص ٦٢ ورواه المصنف في شرح السنة ٣٥٦/١ وقال: هذا  
 حديث صحيح.

إلى أهلها)، ﴿وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، حافظون، أي يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي (صلاتهم)، على التوحيد، والآخرون صلواتهم على الجمع. ﴿يُحَافِظُونَ﴾، أي يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكر الصلاة ليعين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

[١٠] ﴿أُولَئِكَ﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾، يرثون منازل أهل النار من الجنة. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

[١١] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف، ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لا يموتون ولا يُخرجون.

[١٢] وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: ولد آدم، والإنسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع، ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾، رُوي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالةً والولد سليلًا وسلالةً لأنهما مسلولان منه. قوله: ﴿مِنْ طِينٍ﴾، يعني: طين آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق آدم منه. وقيل: المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: (من سلالة) أي: سل من كل تربة.

(١) أي وقرأ الباقون بالجمع.

والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر. [٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل وهو وما لا يحمل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتيم والسب، قال الله تعالى: (وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا)، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل. وقيل: الزكاة ههنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفف عن الحرام.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾، أي: من أزواجهم، وعلى بمعنى من ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، (ما) في محل الخفض يعني أو مما ملكت أيانهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: (أو ما ملكت أيانهم) والمرأة لا يجوز أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿فَأَتَتْهُمْ غَيْرُ مُلْمِئِينَ﴾، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأثي، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

[٧] ﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعَادُونَ﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُمَّتِهِمْ﴾، قرأ ابن كثير (لأماناتهم) على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج، كقوله تعالى: (وعهدهم) والباقون<sup>(١)</sup> بالجمع، كقوله عز وجل: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

بعضها فوق بعض، يقال: طارت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه). وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي. وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض كله من السماء، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، حتى تهلكوا عطشاً وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم.

[١٩] قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾، يعني بالماء، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٍ لَّكُم فِيهَا﴾، في الجنات، ﴿فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنَهَا تَأْكُلُونَ﴾، شتاءً وصيفاً، وخصّ النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب.

[٢٠] ﴿وَسَجْرَةٍ﴾ أي: أنشأ لكم شجرة ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (سيناء) بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في معناه وفي (سين) في قوله تعالى: (وطور سينين) قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن: وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا،

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، حريز وهو الرحم مكنّ وهيء لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

[١٤، ١٥] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (عظماً) ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ بسكون الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقتين أربعون عامًا. (فكسونا العظام لحماً)، أي ألبسنا، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس وغيره: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكرًا أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع. وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال: (إني أخلق لكم من الطين) فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾، والميت بالتشديد، والمات الذي لم يمت بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هنا. كقوله: (إنك ميت وإنهم ميتون).

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾. [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها وهو أن

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

٣٤٣

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ  
 بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ  
 لَّكُمْ فِيهَا فَوْكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ  
 طُورٍ سِينَاءَ تُنْتَبِئُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي  
 الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ  
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَهُم مِّنْ كَرَمٍ إِلَّاهُ  
 غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا  
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ  
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا  
 رَجُلٌ بِهٖ جِنَّةٌ فَتَرْتَفِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي  
 بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا  
 وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ  
 كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّسَبٍ وَأَهْلَاكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ  
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

تبع، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾، ألا يعبد سواه، ﴿لَأَنْزَلَ  
 مَلَائِكَةً﴾، يعني بإبلاغ الوحي ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾،  
 الذي يدعوننا إليه نوح ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾، وقيل:  
 ما سمعنا بهذا أي: بإرسال بشر رسولا.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهٖ جِنَّةٌ﴾، يعني جنون،  
 ﴿فَتَرْتَفِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني إلى أن يموت  
 فتستريحوا منه.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾، يعني:  
 أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي.

﴿٢٧﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا  
 وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾،  
 أدخل فيها، يقال: سلكته في كذا وأسلكته فيه،  
 ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّسَبٍ وَأَهْلَاكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ  
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك.  
 ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

وسنين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو  
 الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجبل الذي نودي منه  
 موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم  
 حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده.  
 وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا  
 الجبل، ﴿تُنْتَبِئُ بِالذَّهْنِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل  
 البصرة ويعقوب تنبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ  
 الآخرون بفتح التاء وضم الباء، فمن قرأ بفتح التاء  
 فمعناه تنبت ثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تنبت  
 ومعها الدهن، ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه  
 فمنهم من قال: الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما  
 يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم من قال  
 نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، ﴿وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ﴾،  
 الصبغ والصباغ الإدام الذي لون الخبز إذ غمس فيه  
 وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز سواء  
 ينصبغ به الخبز ولا يصبغ. قال مقاتل: جعل الله  
 في هذه الشجرة أدمًا ودُهْنًا، فالأدم: الزيتون،  
 والدهن: الزيت، وقال: حُصِّنَ الطُّورُ بِالزَّيْتُونِ لِأَنَّ  
 أَوَّلَ الزَّيْتُونِ نَبْتُ بَهَا. ويقال: لأن الزيتون أول  
 شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان.

﴿٢١﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ  
 لَعِبْرَةً﴾، يعني: آية تعتبرون بها، ﴿تُنْقِضُوا﴾، قرأ  
 العامة بالنون، وقرأ أبو جعفر ههنا بالتاء وفتحها،  
 ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، يعني: على  
 الإبل في البر وعلى الفلك في البحر.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا  
 اللَّهَ مَا لَهُم مِّنْ كَرَمٍ إِلَّاهُ غَيْرُهُ﴾، وحده،  
 معبود سواه، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أفلا تخافون عقوبته  
 إذا عبدتم غيره.

﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا  
 بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: يتشرف  
 بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعًا وأنتم له

﴿٢٥﴾ ﴿فَتَرْتَفِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني: يتشرف  
 بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعًا وأنتم له

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾، يعني:  
 أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي.

﴿٢٧﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا  
 وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾،  
 أدخل فيها، يقال: سلكته في كذا وأسلكته فيه،  
 ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّسَبٍ وَأَهْلَاكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ  
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك.  
 ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَجَدْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَبْرُكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنْ كُنَّا الْمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ وَمِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِذَا الْخَلْسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاةُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُوا ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِحَّ عَنْ نَدْمِهِمْ ﴿٤٠﴾ فَآخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءَ فِجَعًا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

عبد الله.

[٢٨] ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَجَدْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني هوذا قومهم. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿إِنَّ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. [٢٩] ﴿وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي المصير إلى الآخرة ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ﴾ يعني مما تشربون منه.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنْ كُنَّا الْمُبْتَلِينَ﴾ أي: بمتلين أي: مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لئنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم. [٣١] ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ قرناً آخرين. [٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني هوذا قومهم. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿إِنَّ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. [٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي المصير إلى الآخرة ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ﴾ يعني مما تشربون منه. [٣٤] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِذَا الْخَلْسِرُونَ﴾ لخبسرون، لمغبونون. [٣٥] ﴿أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء وأعاد إنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة

[٢٨] ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَجَدْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَبْرُكاً﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم (منزلاً) بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع النزول، قيل: هذا هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض بعد النزول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج، وقرأ الباقون منزلاً بضم الميم وفتح الزاي، أي إنزالاً مباركاً، فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله ﴿لَآيَاتٍ﴾ لدلالات على قدرته، ﴿وَأَنْ كُنَّا الْمُبْتَلِينَ﴾، يعني: وقد كنا. وقيل: وما كنا إلا مبتلين أي: مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لئنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ من بعد إهلاكهم، ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني هوذا قومهم. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿إِنَّ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي المصير إلى الآخرة ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ﴾ يعني مما تشربون منه.

[٣٤] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِذَا الْخَلْسِرُونَ﴾ لخبسرون، لمغبونون.

[٣٥] ﴿أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء وأعاد إنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة

﴿٣٨﴾ [٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني الرسول، ﴿إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَىٰ﴾، يعني بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرهما.

﴿٤٦﴾ [٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾، تعظموا

عن الإيمان، ﴿وَكَاوَرُوا قَوْمًا عَلَيْنَ﴾، متكبرين قاهرين بالظلم.

﴿٤٧﴾ [٤٧] ﴿فَقَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَتُؤْمِنُ

بِشَرِّينَ مِثْلِكَ﴾، يعني: موسى وهارون، ﴿وَقَوْمَهُمَا لَنَا

عَدِيدُونَ﴾ مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان للملك عابداً له.

﴿٤٨﴾ [٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾، بالغرق.

﴿٤٩﴾ [٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة،

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، أي لكي يهتدي به قومه.

﴿٥١، ٥٠﴾ [٥١، ٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، دلالة

على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه شأنهما

آية. وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله

تعالى: (كلتا الجنتين آتت أكلها). ﴿وَوَاعَدْنَا نَارًا

رَبَّوْنَ﴾، الربوة المكان المرتفع من الأرض،

واختلفت الأقوال فيها، فقال عبدالله بن سلام: هي

دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال

الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو هريرة: هي

الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت

المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال كعب: هي

أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال

ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين.

﴿ذَاتِ قُرْبَىٰ﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر

عليها ساكنوها. ﴿وَوَعَيْنَ﴾، فالمعين الماء

الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه

يعنيه إذا أدركه البصر. قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾، قال

الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة:

أراد به محمد ﷺ وحده على مذهب العرب في

مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد

به عيسى وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿كُلُّوا مِنِ الطَّيِّبَاتِ﴾، أي الحلالات،

﴿٣٨﴾ [٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني الرسول، ﴿إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَىٰ﴾، على الله كذباً وما نحن لهم بمصدقين، بالبعث بعد الموت.

﴿٣٩، ٤٠﴾ [٣٩، ٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾. ﴿قَالَ

عَمَّا قَلِيلٍ﴾، أي: عن قليل و(ما) صلة،

﴿لِيُصِخَّرَنِي﴾، ليصيرن، ﴿نَادِيَيْنِ﴾، على كفرهم

وتكذيبهم.

﴿٤١﴾ [٤١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، يعني صيحة العذاب،

﴿بِالْحَقِّ﴾، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل:

صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم،

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾، وهو ما يحمله السيل من

حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكى

فيسوا بيس الغطاء من نبات الأرض، ﴿فِعْدًا لِّقَوْمٍ

الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٤٢﴾ [٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾،

يعني: أقواماً آخرين.

﴿٤٣﴾ [٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾، يعني: ما

تسبق أمة أجلها، (ومن) صلة أي: وقت هلاكها،

﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾، وما يتأخرون عن وقت

هلاكهم.

﴿٤٤﴾ [٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا نَارًا﴾، يعني: مترادفين

يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبين

زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال

الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبع بعضه

بعضاً وبين الخبرين مهملة. ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا

كَذَّبُوهُ فَسَبَّأْنَا بَعْضَهُمُ بَعْضًا﴾، بالهلاك، أي: أهلكتنا

بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني

سمرًا وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم،

وهي جمع أحدوثه. وقيل: جمع حديث. قال

الأخفش: إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال

جعلتهم أحاديث وأحدوثه إنما يقال صار فلان

حديثاً، ﴿فِعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ [٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسَطَّانِ



﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾ قرأ أهل الكوفة وإن بكسر الألف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الألف وخفف ابن عامر النون وجعل إن صلة مجازة وهذه ﴿أَمْتَكُمْ﴾، وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذا تقديره بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أتمت عليها، ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾، أي ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد (وأنا ربكم فاتقون) فاحذروني وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: اعلموا أن هذه أمتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾، دينهم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: تفرقوا فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿زُبُرًا﴾ أي: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، ومنه: (زبر الحديد) أي: صاروا فرقاً كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام (زبراً) بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد: (زبراً) أي: كتباً يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وحرّفوا البعض ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، أي: بما عندهم منهم الذين، ﴿فَرِحُوا﴾، معجبون ومسرورون.

[٥٤] ﴿فَدَرَّهْمٌ فِي عَمْرَتِهِمْ﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾، إلى أن يموتوا.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا.

[٥٦] ﴿سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْحَبْرِ﴾، أي: نجعل لهم في

الَّذِينَ آمَنُوا

٣٤٥

سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَاجَاءٍ أُمَّةٍ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَلٍ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا اتُّؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٣﴾ فَذَرَّهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْحَبْرِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

الخيرات ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، إن ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من جمعه عقابه، قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأمناً.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، يُصدّقون.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾، أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، ورؤي عن عائشة أنها كانت تقرأ (والذين يأتون ما أتوا) أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أن ذلك

لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة، هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِمْ﴾، أي: أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم، ﴿بِالْعَذَابِ﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»<sup>(١)</sup> فابتلاههم الله عز وجل بالقحط حتى أكلوا الكلاب والحيف. ﴿إِذَا هُمْ يَخْتَرُونَ﴾ يجزعون ويستغيثون وأصل الجأ رفع الصوت بالتضرع.

[٦٥] ﴿لَا تَحْزَنُوا الْيَوْمَ﴾، أي لا تضحوا، ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُضُرُّونَ﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

[٦٦] ﴿فَدَكَانَتْ عَائِنِي ثُنَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَكَتَبْنَا عَلَىٰ أَفْعَانِكُمْ نُنْكَصُونَ﴾ ترجعون الفهقري تتأخرون عن الإيمان.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾، اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون: نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيؤمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، وقيل: مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول أظهر، المراد منه

لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿إِنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه»<sup>(٢)</sup>.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: (لما نهوا) أي: إلى ما نهوا، (ولما قالوا) ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم في الخيرات.

[٦٢] قوله: ﴿وَلَا تَكُلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَتْلُقُ بِالْحَقِّ﴾، وهو اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق، ومعنى الآية لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به ويبيئه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْهِرُونَ﴾، ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿مِنْ هَذَا﴾، أي: من القرآن، ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي، والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون)، ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾،

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ١٩/٩ والإمام أحمد ٦/١٥٩-٢٠٦ والحاكم ٣٩٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبري ٣٤/١٨.  
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات ١١/١٩٣ ومسلم في المساجد رقم (٦٧٥) ٤٦٦/١.

سورة المؤمنون

٣٤٦

سورة المؤمنون

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبِهِمْ وَجِلَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٨﴾  
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِاتِ وَهُمْ هَاسِبُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَكَلِّفْ  
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَأَلْدَيْنَا كِتَابًا يَطَّيِّرُ بِالْحَقِّ وَيُهْمِلُ لِيُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾  
 بَلْ قُلُوبِهِمْ فِي غَمْرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُونَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا  
 عَمِلُونَ ﴿٧١﴾ حَقٌّ إِذَا أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ  
 ﴿٧٢﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مَتَانًا لَنُنصِرَنَّكُمْ ﴿٧٣﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي  
 نُتَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ كُصُونَ ﴿٧٤﴾ مُسْتَكْبِرِينَ  
 بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٥﴾ أَفَلَا يَذَّكَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ  
 آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٦﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ  
 ﴿٧٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ  
 كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ  
 ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ  
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّا لَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨١﴾  
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ

الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكًا وولداً كما يقولون: ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، وقال الفراء والزجاج: والمراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)، وهو كقوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). ﴿بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخريهم وشرفهم يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: (لقد أنزلنا إليك كتاباً فيه ذكركم)، أي: شرفكم (وإنه لذكر لك ولقومك)، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ﴾، يعني عن شرفهم، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾، على ما جنتهم به، ﴿خَيْرًا﴾، أجراً وجعلاً، ﴿فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾، يعني

الحرم، ﴿سَمِرًا﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحد سامراً وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وحد سامر، ومعناه الجمع، كقوله: (ثم نخرجكم طفلاً)، ﴿تَهْجُرُونَ﴾، قرأ نافع (تهجرون) بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخنا، وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون (تهجرون) بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال: هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى.

[٦٨] ﴿أَفَلَا يَذَّكَّرُوا﴾، يعني يتدبروا ﴿الْقَوْلَ﴾، يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، فأنكروا، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: أم بمعنى بل يعني جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾، محمداً ﷺ، ﴿فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ﴾، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾، جنون وليس كذلك، ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ﴿وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: الحق هو الله أي لو اتبع

ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خراجاً) (فخرج) كلاهما بالألف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون (خرجاً) بغير الألف (فخراج) بالألف.

[٧٣] ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾، أي عن دين الحق، ﴿لَنَنكَبُوكُمْ﴾، لعادلون ماثلون.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّهِمْ﴾، قحط وجدوبة ﴿لَلْجُوعِ﴾، تمادوا، ﴿فِي طُعِينِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ولم ينزعوا عنه.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني

يوسف فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال: أشدك الله والرحم، ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا لَهُمْ﴾، أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿وَمَا يَبْضُرُّونَ﴾، أي: لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم.

[٧٧] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّئُونَ﴾، آيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعتقلوا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: لم تشكروا هذه النعم.

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤٧

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجُوعِ فِي طُعِينِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٧٥] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لَهُمْ وَمَا يَبْضُرُّونَ﴾ [٧٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّئُونَ﴾ [٧٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٨٠] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [٨١] ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [٨٢] ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَعَاكِوْنَا هَذَا﴾، الوعد، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفراء: جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون.

[٨٢] ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار في التعجب.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَعَاكِوْنَا هَذَا﴾، الوعد، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل

(١) هكذا في الأصل، وفي طبعة النمر وزميله.

الله فلم نر له حقيقة، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أكاذيب الأولين.

[٨٤] ﴿قُلْ﴾، يا محمد مجيباً لهم يعني أهل مكة، ﴿لَمِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا﴾، من الخلق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقولون أنها مخلوقة. ﴿قُلْ﴾ لهم إذا أقروا بذلك، ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت.

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، قرأ العامة (الله) ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: فلان، أي أنا فلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيها (الله) وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالألف كالأول، ﴿قُلْ أَفَلَا نُنْفِثُ﴾، تحذرون.

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة، ﴿وَهُوَ يُحْيِي﴾، أي: يؤمن من يشاء ﴿وَلَا يُكْفِرُ عَلَيْهِ﴾، أي: لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من سوء من يشاء ولا يمنع منه من أَرَادَهُ بِسُوءٍ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قيل: معناه أجبوا إن كنتم تعلمون.

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته، والمعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟

[٩٠] ﴿بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ﴾، بالصدق ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فيما يدعون من الشريك والولد.

[٩١] ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، أي: من شريك، ﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، أي: تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف

[٩٢] ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص (عالم) برفع الميم على الابتداء، وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله، ﴿فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أي: تعظم عما يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف.

[٩٣] قوله: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي﴾، أي: إن أريدتني، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب.

[٩٤] ﴿رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوَرِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم.

[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ﴾، من العذاب لهم، ﴿لَقَدِيرُونَ﴾.

[٩٦] ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: ادفع بالخلعة التي هي أحسن هي الصفح والإعراض والصبر، ﴿السَّيِّئَةِ﴾، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة، نسختها آية السيف. ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾، يكذبون ويقولون من الشرك.

[٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾، أي: أمتنع وأعتصم بك، ﴿مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، قال ابن عباس: نزعاتهم. وقال الحسن: وساوسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدة الدفع.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي﴾، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه.

ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت.

[٩٩] فقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، أي: ضيعت أن أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرأة أعمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب، ﴿كَلَّا﴾، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها، ﴿إِنبَاءًا﴾ يعني: سؤاله الرجعة، ﴿كَلِمَةً هُوَ قَائِلُهَا﴾، ولا ينالها، ﴿وَمِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾، أي أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾، والبرزخ الحاجز بين الشيتين، واختلفوا في معناه ههنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر وهم فيه إلى يوم يبعثون.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾، اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون). وعن ابن مسعود: أنها النفخة

سورة المؤمنون

٣٤٨

سورة المؤمنون

بَلْ أَيْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَانْتَهَمَ لِكَذِبُونَ ﴿٩٩﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَاهُ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرِيحِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ عُنُقِ رَبِّكَ مَا نَعُدُّهُمْ لِقَدَرُونَ ﴿١٠٤﴾ أَدْفَعْ يَا لَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ مَعْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿١٠٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٠٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٠٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٣﴾

الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد: هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون). وفي رواية عطاء عن ابن مسعود: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع. فإن قيل: قد قال ههنا (ولا يتساءلون) وقال في موضع آخر: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)؟ الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطن ففي موطن يشتد عليهم

والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل وانفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حَتَّىٰ أَسْوَكَكُمْ﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، نظيره (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم.

﴿١١١﴾ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (إنهم) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

﴿١١٢﴾ ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: وقل إن، على الأمر والنهي. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة إذا كان معناه مفهومًا ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل يا أيها الكافرون وقرأ ابن كثير: قل كم على الأمر، وقال أن على الخبر لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون قال فيهما جميعًا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبستم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿١١٣﴾ ﴿قَالُوا لَيْسْنَا بِيَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب، ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾، الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم.

﴿١١٤﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾، أي: ما لبستم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، سماه قليلًا لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلًا في جنب

الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون.

﴿١٠٢﴾ قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾. أي: تسفع، وقيل: تحرق، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ﴾، عابسون.

﴿١٠٥﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تِلْكَ عَلَيْكَ﴾، يعني القرآن تخوفون بها، ﴿فَكَفَّتْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي: شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهدى.

﴿١٠٧﴾ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار، ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾، لما تكره ﴿فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿قَالَ أَحْسَبُوا﴾، أبعدوا، ﴿فِيهَا﴾، كما يقال للكلب إذا طرد احسأ، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾، في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيسر المساكين من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون.

﴿١٠٩﴾ ﴿إِنَّهُ﴾ الهاء في (إنه) عماد وتسمى أيضًا المجهولة، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾، وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَإِرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي (سخريا) بضم السين ههنا وفي سورة ص، وقرأ الباقون بكسرهما وانفقوا على الضم في سورة الزخرف. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لُجِّي، ولججي بضم اللام

ما يلبث في الآخرة لأن لبثه في الدنيا والقبر متناه ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قدر لبثكم في الدنيا.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾، لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: (أحسب الإنسان أن يترك سدى) وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم. ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون.

[١١٦] فقال جل ذكره: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، أي: لا حجة له به ولا بينة لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿فَاتِمَّا حِسَابُهُ﴾، جزاؤه، ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾، يجازيه بعلمه كما قال تعالى: (ثم إن علينا حسابهم)، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾. لا يسعد من جحد وكذب.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

## (٢٤) سُورَةُ النُّورِ

[١] ﴿سُورَةٌ﴾، أي: هذه سورة، ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر (وفرضناها) بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود، والفرض: التقدير، قال الله عز وجل: (نصف ما فرضتم) أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله: (إن الذي

سُورَةُ النُّورِ

٢٤٩

سُورَةُ النُّورِ

أَلَمْ تَكُنْءَ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْفُمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَغْرَبْنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ كَمْ لَيْسَتُمْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا الْيَوْمَ أَوْبَعُضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٨﴾

## سُورَةُ النُّورِ

فرض عليك القرآن)، وأما التشديد فمعناه فصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، واضحات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

[٢] قوله عز وجل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، أراد إذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضرب جلده، كما يقال رأسه وبطنه، إذا ضرب رأسه وبطنه، وذكر بلفظ الجلد لثلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاماً<sup>(١)</sup> وهو

(١) أخرج البخاري في الشهادات ٢٥٥/٥ أن رسول الله =



عن ابن عباس، وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها، منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية. وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزنانة أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبيرة والضحاك بن مزاحم. ورواه الوالبي عن ابن عباس، قال يزيد بن هارون: إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك، وإن جامعها وهو محرّم فهو زان، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً. وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكم الآية منسوخ، فكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها قوله: (وأنكحوا الأيامى منكم) فدخلت الزانية في أيامى المسلمين.

[٤] قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا بِلَدَّةٍ﴾، أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال له: زنت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حرّاً وإن كان عبداً فيجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزاني حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه = أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتغريب عام.

(١) آية: ١٦.

قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، أي: رحمة ورقة، وقرأ ابن كثير (رأفة) بفتح الهمزة، والرأفة معنى يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن. قال الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَوَاقِفُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿وَلْيَشْهَدْ﴾، وليحضر، ﴿عَدَابَهُمَا﴾ حدهما إذا أقيم عليهما ﴿طَائِفَةٌ﴾، نفر، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء: رجلان فصاعداً. وقال الزهري وقاتادة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

[٣] قوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية (وحرّم ذلك على المؤمنين) أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقاتادة والزهري والشعبي، ورواية العوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٠

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لِيُنذِرَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

والكسائي وحفص ويعقوب (أربع شهادات) برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

[٧] ﴿ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾، قرأ نافع ويعقوب (أن) خفيفة وكذلك الثانية (لعنة الله) رفع، ثم يعقوب قرأ (غضب) بالرفع، وقرأ نافع (غَضِبَ) بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي (الله) رفع، وقرأ الآخرون (أن) بالتشديد فيهما، (لعنة) نصب، و (غَضِبَ) بفتح الضاد على الاسم، (الله) جر، وقرأ حفص عن عاصم (والخامسة) الثانية نصب، أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى.

قاذف فلا حدّ عليه. فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لأن الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه، وقوله: (والذين يرمون المحصنات) أي: يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة، أي: اضربوهم ثمانين جلدة. ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

[٥] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قُبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحدّ عليه أو قبلها، لقوله تعالى: (إلا الذين تابوا) وقالوا: الاستثناء يرجع إلى ردّ الشهادة وإلى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: (وأولئك هم الفاسقون)، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل: إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله (أبدا) قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام هو مصراً على قذفه لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً: يراد ما دام كافراً.

[٦] قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾، يقذفون نساءهم، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ﴾، غير أنفسهم، ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾، قرأ حمزة

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْتِمَاءِ﴾، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب (كبره) بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر، قال الكسائي: هما لغتان. قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبدالله بن أبي ابن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة (والذي تولى كبره منهم) قالت: عبدالله بن أبي ابن سلول، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة.

[١٢] قوله: ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ياخوانهم، ﴿خَيْرًا﴾، قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم)، (فسلموا على أنفسكم). ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، أي: كذب بين.

[١٣] ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، على ما زعموا، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

[١٤] ﴿لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَّرَ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ﴾، خضتم، ﴿فِيهِ﴾، من الإفك، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس: أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)، وقد أصابهم فإنه قد جلد وحُدِّ، وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حدَّ أربعة نفر: عبدالله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش.

[٨] قوله: ﴿وَيَذُرُوا﴾ يدفع، ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

[٩] ﴿وَالْحَنُوسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي: أحدهما ومعنى الآية أن الزوج إذ لعنَ وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به، وتقول في الخامسة عليَّ غضبُ الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رمانى به.

[١٠] قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان، وإن الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود.

[١١] قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بالكذب وهو أسوأ الكذب سُمي إفكًا لكونه مصروفًا عن الحق، من قوله: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه «وهو ما مثل في عائشة رضي الله عنها عند تخلفها عن رسول الله ﷺ في أحد غزواته بعد أن أحضرها صفوان السلمي» وذلك أن عائشة تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ أي جماعة منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيد الله وغيرهم، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني لا تحسبوا الإفك شرًّا لكم، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم.

[١٥] قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾، تقولونه، **بِالسِّنِّكَرِ**، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضهم عن بعض. وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منكم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، وكذا قرأه أبي بن كعب. وقال الزجاج: يلقيه بعضهم إلى بعض، وقرأت عائشة (تلقونه) بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿وتَقُولُونَ يَا فَوَهِكُمَا مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿وهو عند الله عَظِيمٌ﴾ في الوزر.

[١٦] ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾، هذا اللفظ ههنا بمعنى التعجب، ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، يعني كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية على وفق قوله.

[١٧] ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرم الله عليكم وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. [١٨] ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾، بالأمر والنهي، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿حَكِيمٌ﴾، حكم ببراءتهما.

[١٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾، يعني يظهر ويذيع الزنا، ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، يعني عبدالله ابن أبي وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار، ﴿وَاللَّهُ يَسْلُمُ﴾، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، جواب (لولا) محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً

سورة النور

٣٥١

سورة النور

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسْبُوهُمْ شَرُّ لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِّنْهُمْ مَا أَكَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكَرِ وَتَقُولُونَ يَا فَوَهِكُمَا مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

وحسان بن ثابت وحمنة.

[٢١] قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يعني بالقباح من الأفعال، ﴿وَالنَّكْرِ﴾، كل ما يكرهه الله، ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا﴾، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، ﴿وَمِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، ﴿أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾، يُطَهِّرُ، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلُ﴾، يعني ولا يحلف، وهو يفعل من الألية وهي القسم، وقرأ أبو جعفر يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية وهي القسم. ﴿أُولَؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾، يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر، حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿أَلَا يُحِشُّونَ﴾، يخاطب أبا بكر، ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كانت ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر ألا يتصدقون على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوه، فأنزل الله هذه الآية.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، العفاف، ﴿الْغَفْلَاتِ﴾، عن الفواحش، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا﴾، عذبوا، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، بالحد، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بالنار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال مقاتل: هذا خاص في عبدالله بن أبي المنافق. ورؤي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) إلى قوله (فإن الله غفور رحيم) فأنزل الجلد والتوبة.

٣٥٢ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١) ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِشُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤) ﴿يَوْمَ يُؤْذِنُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (١٥) ﴿الْحَيْثُ بَدَأَ الْخَيْثُورُ وَالْحَيْثُ بَدَأَ الطَّيْبُ لِلطَّيْبِينَ وَالطَّيْبُونَ لِلطَّيْبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١٦) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧)

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿أَلْسِنَتُهُمْ﴾، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾، يروى أنه يختم على الأفواه فتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد السنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٥] ﴿يَوْمَ يُؤْذِنُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبدالله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٥٥/٨ ومسلم في التوبة رقم (٢٧٧٠) ٤/٢١٢٩.

المبرأة من السماء.

[٢٧] قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، قيل: معنى قوله: (حتى تستأذنوا) أي: حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، والقراءة المعروفة تستأذنوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأئس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنهم إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنتست نازًا أي: أبصرتها. وقيل: هو أن يتكلم بتسيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: (حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) والأكثر على أنه يقدم السلام فيقول: سلام عليكم أدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود.

[٢٨] قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، أي إن لم تجدوا في البيوت أحدًا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ أَنزِعُوا فَأَرْجِعُوا﴾، يعني إذا كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازمًا، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، يعني الرجوع أظهر وأصلح لكم. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

[٢٩] فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: بغير استئذان، ﴿فِيهَا

[٢٦] قوله سبحانه تعالى: ﴿الْخَيْثُتُ لِلْخَيْثِينَ﴾، قال أكثر المفسرين: الخيثات من القول والكلام للخيشين من الناس. ﴿وَالْخَيْثُونَ﴾، من الناس، ﴿لِلْخَيْثِيَّةِ﴾، من القول، ﴿وَالطَّيِّبَتِ﴾، من القول، ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾، من الناس، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الناس، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾، من القول، والمعنى: أن الخيث من القول لا يليق إلا بالخيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا تليق بها الخيثات من القول لأنها طيبة فتضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. قال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخيثات إلا الخيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخيثات من النساء للخيشين من الرجال والخيشون من الرجال للخيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ. ﴿أَزْلَيْكَ مُبْرَأُونَ﴾ يعني: عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى: (فإن كان له إخوة) أي: إخوان. وقيل: أولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات منزهون، ﴿مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. ورؤي أن عائشة كانت تتخر بأشياء أعطيها لم تعطها امرأة غيرها، منها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقًا كريمًا، وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠٣

سُورَةُ النُّورِ

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يَبُودَ لَكُمْ وَإِنْ  
 قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ  
 عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ  
 فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣١﴾  
 قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ  
 ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ  
 يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ  
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ  
 وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ  
 آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ  
 أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ  
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ  
 الرِّجَالِ وَالْطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ  
 وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا  
 إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾

مَتَّعْ لَكُمْ، يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الحانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والالتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لثلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أي: عن النظر إلى ما يحل النظر إليه. وقيل: (من) صلة يعني يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿ذَلِكَ﴾ يعني غض البصر وحفظ الفرج، ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾، يعني خير لهم وأظهر، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِمَا يَصْنَعُونَ﴾، يعني عليم بما يفعلون.

[٣١] قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، عما لا يحل، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، عمن لا يحل. وقيل أيضاً: يحفظن فروجهن يعني يسترنها حتى لا يراها أحد، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز

لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، أراد به الزينة الظاهرة، واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد)، وأراد بها الثياب وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر، قوله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾، يعني: ليلقين بمقانعهن، ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة: رحم الله نساء

ب (التابعين غير أولي الإربة) هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحقق العين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة: المجهوب. وقيل: هو المخنث. وقال مقاتل: الشيخ الهرم والعين والخصي والمجهوب ونحوه. ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، أراد بالطفل الأطفال يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد، وقيل: لم يطبقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ﴿وَلَا يَصْرِيحُ بِالرَّجُلِهَا لَعَلَّهَا تَجُنَّبُ مِنْهَا﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهيت عن ذلك. ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»<sup>(١)</sup>.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ﴾، الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة يقال رجل: أيم وامرأة أيمة، وأيم، ومعنى الآية: زوجوا أيها المؤمنون من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، وهذا الأمر أمر نذب واستجاب. يستحب لمن تاقت

المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاخترن بها. ﴿وَلَا يَبْدِيكُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبعولتهن، أي إلا لأزواجهن، ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ﴾، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها. قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها. اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: (أو نسائهن) والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين، وكانت أبعد من الرجل الأجنبي، قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد، قوله: ﴿أَوْ النَّبِيعَاتِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَابِ مِنَ الرِّجَالِ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن (التابعين) معرفة و (غير) نكرة. وقيل: بمعنى (إلا) فهو استثناء معناه: يبدن زينتتهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم فإنهن لا يبدن زينتتهن لمن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجسر على نعت (التابعين) والإربة والأرب الحاجة، والمراد

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٠٧٢) ٤/٢٠٧٦ والمصنف في شرح السنة ٥٧١/٥.



حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: (فكاتبوهم) أمرًا يجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيرًا إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر نذب واستحباب، ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، اختلفوا في معنى الخير، فقال ابن عمر: قوة على الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالا، كقوله تعالى: (إن ترك خيرًا) أي: مالا، قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيرًا، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقًا وأمانة. وقال طاوس وعمرو بن دينار: مالا وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا. وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: إن علمتم فيهم خيرًا أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغا عاقلًا، فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح، وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفُسُهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحط عن مكاتبته من مال كتابته شيئًا، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: يحط عنه ربع مال الكتابة، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعًا، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط»<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الغنى ههنا القناعة. وقيل: اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة. وقال عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عز وجل يقول: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). ورؤي عن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالترفق فقال تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)، وقال تعالى: (وإن يتفرقا يغني الله كلاً من سعته).

[٣٣] ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصدقات والنفقة، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ﴾، أي: يطلبون المكاتب، ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾، سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلامًا لحويطب بن عبد العزيز سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين دينارًا فأذاها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوك: كاتبك على كذا من المال ويسمي مالا معلوماً يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أدت فأنت حر، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال، يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في

(١) أخرجه البخاري في النكاح ١٠٦/٩ ومسلم في النكاح رقم (١٤٠٠) ١٠١٨/٢. (٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٧٣/٦ عن سعيد بن أبي هلال مرسلًا.

للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون. وقال الضحاك: منور السموات والأرض، يقال: نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء. وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات والأرض، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار.

قوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال فهو على نور من ربه، وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل نور قلب المؤمن، وكان أبي يقرأ: (مثل نور من آمن به) وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو محمد ﷺ. وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمي طاعة الله نوراً وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً، ﴿كَيْشْكُورَةٍ﴾، وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حبشية. قال مجاهد: هي القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج، أصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاج لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوء يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاج، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، قرأ أبو عمر والكسائي (درئ) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة، فمن كسر

يحط عنه الثلث. وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي وقال بعضهم: هو أمر استحباب، والوجوب أظهر، وقال قوم: أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات، بقوله تعالى: (وفي الرقاب) وهو قول الحسن وزيد بن أسلم، وقال إبراهيم: هو حث لجميع الناس على معوتهم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان معادة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام أتيا رسول الله ﷺ وشكنا إليه، فأنزل هذه الآية: (ولا تكرهوا فتياتكم) إماءكم (على البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصناً) أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصناً، كقوله تعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن، فإذا لم ترد التحصن بغت طوعاً، والتحصن التعفف، وقال الحسن بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء. ﴿لِيَتَّعَفُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني للمكراهات، والوزر على المكره.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾، من الحلال والحرام، ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي شبهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾،

الدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضواً وأنور، ويقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضاً فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت. وقيل: دُرِي مكرر أي طالع، يقال: درأ النجم إذا طلع وارتفع. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة: هو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين، قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول، مثل سبوح وقدوس، وقد استقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتيا وهو فعول من عتوت، وقرأ الآخرون (دُرِي) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة نسبت إلى الدر في صفائه وحسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكنه يفضل الكوكب بضيائه، كما يفضل الدر سائر الحب. وقيل: الكوكب الدرّي واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد. وقيل: شبهه بالكوكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿يُوقَدُ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (توقد) بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال أو تشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجية أي: نار الزجاجية لأن الزجاجية لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفاً يعني المصباح، ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾، وأراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به

وهو أضواً وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجها إلى إحصاء بل كل أحد يستخرجه، قوله تعالى: ﴿لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا غَرِيَّةَ﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضواً وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل واحد منهما. وقال السدي وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل. وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ دهنها، ﴿يُضِيءُ﴾، من صفائه، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجية. واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة) فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ، فالمشكاة صدره والزجاجية قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجية صدره، والمصباح ما

سورة النور

٣٥٤

سورة النور

وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ  
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾  
وَلَيْسَ الضَّعِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِنُفَ وَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَا رُبُّهُمُ إِنْ  
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَوْ تَوْهُمُ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا  
تُكْرَهُوا فَنِيَّتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ حَسَنًا لِيَبْتَغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ كَرْهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مَبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا  
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ  
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ  
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ  
نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ  
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرَفَعَ  
وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٠﴾

جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوحد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور. وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يُستضاء بالمصباح يُهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، (يكاد زيتها يضيء) تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ، نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لذين الإسلام وهو نور البصيرة وقيل: القرآن ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

نظيره قوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) قال الحسن: أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنا من القول. ﴿وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، (يسبح)، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يسبح) بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله: (والآصال) وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلاً للرجال، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾، أي: يصلي، ﴿فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، أي بالغدوة والعشي. قال أهل التفسير: أراد به الصلوات المفروضة. فالتى تؤدي بالغدوة صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر.

﴿٣٧﴾ قوله: ﴿رِجَالٌ﴾، قيل: خص الرجال

﴿٣٦﴾ قوله: ﴿فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ﴾، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: يوحد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى: (في بيوت أذن الله)، قال: إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ. قوله: ﴿أَنْ تَرَفَعَ﴾، قال مجاهد: أن تبني

اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي بأحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿وَيُرِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾، ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ثم ضرب لأعمال الكفار مثلاً .

[٣٩] فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرِبٍ بِقِيَعَةٍ﴾، السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفس فلم ير شيئاً، والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾، أي يتوهمه العطشان، ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾، أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، على ما قدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئاً ولا نفعه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِندَهُمْ﴾، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم على الله، ﴿فَوَقَّئَهُ حِسَابَهُ﴾، أي جزاء عمله، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر: معظمه، ﴿يَعْسَلُهُ﴾، يعلوه، ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾، متراكم، ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس (سحاب) بالرفع والتنوين، ﴿ظَلُمَاتٍ﴾، بالجر على البدل من قوله: (أو كظلمات). وروى أبو الحسن البري عنه: (سحاب ظلمات) كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله (سحاب) ثم ابتداء فقال: (ظلمات)، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ

بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد، ﴿لَّا لَّهُمَّ﴾، لا تشغلهم، ﴿بِحِجْرَةٍ﴾، قيل: خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: (وإذا رأوا تجارة) يعني الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، عن حضور المساجد لإقامة الصلاة، ﴿وَأَقَامِهِ﴾، أي: لإقامة، ﴿الصَّلَاةِ﴾، حذف الهاء وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت. روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام) ﴿وَأَيْتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، المفروضة، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسبوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتفتتح أبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هوله أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الإيمان أم من قبل الشكائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: فتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، يريد أنهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٥

سُورَةُ النُّورِ

رَجَالٌ لَا لَّهُمْ تَحِيزَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ  
 الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نُنْقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾  
 لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ بَرَزَقُ  
 مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ شَرَابٍ  
 بِقِيَعَةٍ يَجْسَبُهَا الظَّمْثَانُ مَاءً حَرِيًّا إِذَا جَاءَهُ لَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا  
 وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾  
 أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لَيْلِي يَعْتَلِهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن  
 فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ  
 يَكِدْ بِرِئْهَا وَمِن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
 اللَّهَ يُسَيِّجُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ  
 عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي  
 سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
 خِلَّتِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ  
 وَيُصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

بَعْضٌ، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجج قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾، يعني الناظر، ﴿يَكِدُ لَمْ يَكِدْ بِرِئْهَا﴾، يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء: (يكد) صلة أي لم يرها، قال المبرد: يعني لم يرها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد بأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿وَمِن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له دينًا وإيمانًا فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثر على أنه عام في جميع الكفار.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّجُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ﴾، باسطات أجنحتهن بالهواء. قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض، ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: (كل قد علم) أي: كل فصل ومسيح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل فصل ومسيح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

[٤٢] ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي سَحَابًا﴾، إلى حيث يريد، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾، متراكمًا بعضه فوق بعض، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَّتِهِ﴾، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع الجبل. ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، يعني: ينزل البرد، و(من) صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، (من) في قوله (من جبال) صلة أي: وينزل من السماء جبالاً من برد. وقيل: معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبالاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها

سُورَةُ النُّورِ

٣٥٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾  
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن  
 يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ  
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ  
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ  
 ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ  
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُنْ لَّكُمُ الْخِفَاءُ  
 يَا تُوًّا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَلَيْسَ لِقُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَوِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ  
 أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾  
 إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ  
 أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن  
 يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ  
 وَيُؤْتِيهِم مَّا يُرِيدُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرُوا لَيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ  
 لِأَنفُسِهِمْ طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو: ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية فقوله: (من السماء) لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: (من جبال) للتبويض لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: (من برد) للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾، يعني بالبرد ﴿مَن يَشَاءُ﴾، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾، فلا يضره، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾، يعني ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾، من شدة ضوئه وبريقه.

[٤٤] ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويذهب بالليل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خالق كل) بالإضافة، وقرأ الآخرون (خلق كل) على الفعل، ﴿مِّن مَّاءٍ﴾، يعني من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأننا لا نشاهدهم. وقيل: أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها الجن، وبعضها طيناً فخلق منها آدم، ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾، كالحيات والحيتان والديدان، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، مثل بني آدم والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾، كالبهائم والسباع، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنها في الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: (من يمشي)، و (من) إنما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابة،

فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾، إليك، ﴿آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾.

يعني المنافقين يقولونه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾، يعرض عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أي من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، نزلت هذه الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب ابن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية.

معك، لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿لَا تَقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر عرف أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: لكن منكم طاعة معروفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا،﴾ يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾، يعني على الرسول ما كُلف وأمر به من تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿وَإِن تَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾، أي التبليغ البين.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يصبحون ويُمسُونَ خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أما يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله ليستخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: (وعد الله) قال قتادة: (كما استخلف) داود

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، الرسول يحكم بحكم الله، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرَضُونَ﴾، يعني عن الحكم. وقيل: عن الإجابة. [٤٩] ﴿وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْخُفُ يُأْتُوا إِلَيْهِ مُّدْعِينَ﴾، مطيعين منقادين لحكمه، يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضًا بالحق.

[٥٠] ﴿إِنِّي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَوْ آذَانًا أَوْ أَبْصَارًا﴾، يعني شكوا، هذا استفهام ذم وتوبيخ، يعني هم كذلك، ﴿أَمْ يَحْتَابُونَ أَن يُحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَرَسُولَهُ﴾، يعني بظلم، ﴿بَلْ أَوْلَتْكُمُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ويخشى الله على ما عمل من الذنوب. ﴿وَيَتَّقَهُ﴾، فيما بعد، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر (يتقه) ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسرًا، وقرأ حفص (يتقه) بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعامًا بسكون الراء.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن



سُورَةُ النُّورِ

٣٥٧

الَّذِينَ آمَنُوا

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيْهِ مَآحِلٌ  
وَعَلَيْكُمْ مَا حِمْلَتْهُ وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ  
إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ  
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي  
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾  
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ  
تُرْحَمُونَ ﴿٥٨﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَيَسْتَعِزَّيَنَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهْرِ  
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ  
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى  
بَعْضٍ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

النساء ولكن لم يبلغوا. ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾، أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات، ﴿مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهْرِ﴾، يريد المقيبل، ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾، وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي (ثلاث) بنصب التاء بدلاً من قوله: (ثلاث مرات)، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾، جناح ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾، على العبيد والخدم والصبيان، ﴿جُنَاحٌ﴾، في الدخول عليكم من غير استئذان، ﴿بَعْدَهُنَّ﴾، أي بعد هذه الأوقات

وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث أهلك الجابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾، أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغير حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾، آمين، ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الأرض. ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

[٥٧، ٥٦] قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي افعلوها على رجاء الرحمة. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ عامر وحمزة (لا يحسبن) بالياء أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم، ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء يقول: لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بمعجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَنَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَعِزَّيَنَّكُمْ﴾ اللام لام الأمر ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني العبيد والإماء، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾، من الأحرار، ليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣٥٨

سُورَةُ النُّورِ

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاحِشًا أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَوْ شَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

الثلاثة، ﴿طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن، ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي يطوف بعضهم على بعض ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: منسوخ. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، فكان الخدم والولائد يدخلون فریما يرون منهم ما لا يجبون، فأمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة، روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية (ليستأنذكم الذين ملكت أيمانكم) أم منسوخة هي؟ قال: لا والله، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله المستعان<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن جبیر في هذه الآية: أن ناسًا يقولون: نسخت والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾ أي: الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا، ﴿فَلْيَسْتَنْذِرُوا﴾، أي يستأذنون في جميع الأوقات في الدخول عليكم، ﴿كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأحرار والكبار. وقيل: يعني الذين كانوا مع إبراهيم وموسى وعيسى، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾، دلالاته. وقيل: أحكامه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بأمور خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾، بما دبر لهم. قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت هذه الآية في ذلك. وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، يعني اللاتي قدعن عن الولد والحیض من الكبر لا يلدن ولا يحضن، واحدها قاعد بلا هاء. وقيل: قدعن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ

نِكَاحًا﴾، أي لا يردن الرجال لكبرهن، قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعدًا إذا كبرت لأنها تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هن العجز اللاتي إذا رأوهن الرجال استقدروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، عند الرجال، يعني يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي ابن كعب (أن يضعن من ثيابهن)، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾، أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء إظهار زيتتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة (١) أخرجه الطبري ١٨/١٦٢، ١٦٣ ونسبه السيوطي ٦/٣١٩ للفريابي.

عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب) ويجوز أن يكون الذي يفتح به. قال عكرمة: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء السير. وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم: وما ملكتم مفاتيحه ما خزتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. الصديق الذي صدقك في المودة، والمعنى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تزودوا وتحملوا. قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾، رخص لهم أن يأكلوا كيف شأؤوا جميعًا أو أشتاتًا متفرقين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، أي يسلم بعضهم على بعض، هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته. وقال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهو أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتًا لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على المصدر أي تحيون تحية، ﴿مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا

كَانُوا مَعَهُ﴾، أي مع رسول الله ﷺ، ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾، يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم يفرقوا عنه لم ينصرفوا عما

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩١) ٢/٧٦٩. قال في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط البخاري.

من محاسنها ما ينبغي لها أن تتزده عنه. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٦١] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ الآية، اختلف العلماء في هذه الآية فقيل: (على) بمعنى في أي ليس في الأعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض. وقال مجاهد: نزلت الآية ترخصًا لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية. وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: (ولا على المريض حرج)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ كلام منقطع عما قبله. وقيل: لما نزل قوله: (لا تأكلوا أموالكم بالباطل) قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتبية: أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء، كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(١)</sup>، ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر. وقال الضحاك: يعني في بيوت

اجتمعوا له من الأمر، ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوكَ﴾، قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن فلإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُوتِيَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾، أي أمرهم، ﴿فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، في الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره. وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا يا محمد يا عبدالله، ولكن فخموه وشرفوه، فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ﴾، أي: يخرجون ﴿مِنْكُمْ لَوْأَدَا﴾، أي يستر بعضهم بعضًا ويروغ في خيفة، فيذهب، واللواذ مصدر لاوَّذَ يَلَاوِذُ مُلَاوِذَةً، ولوآذا، قيل: كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مخفتين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لوآذا أي يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم

سُورَةُ النُّورِ

٣٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُوتِيَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْأَدَا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

## سُورَةُ الْمُرْقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾

الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قوله: (قد يعلم الله) للتهديد بالمجازاة، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، أي أمره، و (عن) صلة. وقيل: معناه يُعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي لثلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وجمع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظم نفسه. [٦٤] فقال: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، ملكًا وعبيدًا، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، من الإيمان والنفاق أي يعلم، و (قد) صلة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾، يعني يوم البعث، ﴿فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا﴾، من الخير والشر، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

## سُورَةُ الْفُرْقَانِ (٢٥)

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾، تفاعل، من البركة، عن ابن عباس: معناه جاء بكل بركة، دليله قوله الحسن: مجيء البركة من قبله. وقال الضحاك: تعظم، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، أي القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾، محمد ﷺ. ﴿يَكُونُ لِلْمَعْلُومِينَ نَذِيرًا﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

[٢] ﴿الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذْ وَكَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿فَقَدَرَهُ نَفِيرًا﴾، فسواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق.

[٣] قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾، يعني: الأصنام، ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾، أي إماتة ولا إحياء، ﴿وَلَا شُورًا﴾، أي بعثًا بعد الموت.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، يعني النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا القرآن، ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾، كذب، ﴿أَفْتَرْتَهُ﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾، قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد ابن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر ويسار وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمدًا ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَّ جَاءُو﴾، يعني قائلني هذه المقالة، ﴿ظَلْمًا وَزُورًا﴾، أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركًا وكذبًا بنسبتهم كلام الله

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْطِطِرُّوا أَوْلِيَاءَ أَكْتَبْتَهَا فِيهِ نَسْمًا عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَرُورًا تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْتُبُونَ الْأَرْجُلَ الْمَسْجُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ لَلَّذِي كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

تعالى إلى الإفك والافتراء.

[٥] ﴿وَقَالُوا اسْطِطِرُّوا أَوْلِيَاءَ أَكْتَبْتَهَا﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار، اكتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، غدوة وعشيًا. قال الله عز وجل ردًا عليهم:

[٦] ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾، يعني الغيب، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾، يعنون محمدًا ﷺ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، كما نأكل نحن، ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ يلتبس المعاش كما نمشي فلا يجوز

تَعْظَاً ﴿ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. ﴿ وَرَفِيرًا ﴾ صوتاً. فإن قيل: كيف يسمع التعيظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تعيظاً وسمعوا لها زفيراً، وقيل: سمعوا لها تعيظاً أي: صوت التعيظ من التلهب والتوقد.

[١٣] ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾، قال ابن عباس: يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح، ﴿ مُقْرَبِينَ ﴾، مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل، ﴿ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾، قال ابن عباس: ويلاً. وقال الضحاك: هلاكاً، وفي الحديث: «إن أول من يكسى حلة من النار إبليس»، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول: يا ثوراه، وهم ينادون يا ثورهم حتى يقفوا على النار فينادون يا ثوراه وينادي يا ثورهم، فيقال لهم:

[١٤] ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَذِلَّةٌ ﴾، يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها، ﴿ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً ﴾، ثواباً، ﴿ وَمَصِيرًا ﴾، مرجعاً.

[١٦] ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴾، مطلوباً وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنة خلد وعداً وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك. قال محمد بن كعب القرظي: الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

[١٧] ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ ﴾، قرأ ابن كثير ويعقوب وحفص (يحشرهم) بالياء وقرأ الباقون بالنون،

أن يمتاز عنا بالنبوة، وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك، لأنك تأكل والملك لا يأكل، ولست بملك لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتبذل. وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدمياً ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوة. ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكًا ﴾، فيصدقه، ﴿ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾، داعياً.

[٨] ﴿ أَوْ يُلَقَىٰ إِلَيْنَا كَرًا ﴾، أي: ينزل عليه كثر من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش، ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةً ﴾، بستان، ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾، قرأ حمزة والكسائي (تأكل) بالنون أي نأكل نحن منها، ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾، مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

[٩] ﴿ انظُرْ ﴾، يا محمد، ﴿ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾، يعني الأشباه، فقال: مسحور محتاج وغيره، ﴿ فَضَلُّوا ﴾، عن الحق، ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾، إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة.

[١٠] ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾، الذي قالوا أو أفضل من الكثر والبستان الذي ذكروا وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش، ثم بين ذلك الخير فقال. ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُورًا ﴾، بيوتاً مشيدة، والعرب تسمى كل بيت مشيد قصرًا.

[١١] قوله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾، بالقيامة، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾، ناراً مستعرة.

[١٢] ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً». قالوا: وهل لها من عينين؟ قال: نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ وقيل: إذا رأتهم زبانيتهما ﴿ سَمِعُوا لَهَا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦١

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سِعُوا بِهَا تَعْيِطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا  
 أَلْقَاوْنَهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾  
 لَأَنْدَعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ  
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ  
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ  
 كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي  
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ  
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ  
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ  
 كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا  
 نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾  
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا  
 الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ  
 لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

الطَّعَامَ ﴿٢٠﴾، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما  
 غير المشركون رسول الله ﷺ وقالوا: ما لهذا  
 الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أنزل  
 الله عز وجل هذه الآية، يعني ما أنا إلا رسول وما  
 كنتُ بدعا من الرسل، وهم كانوا بشرًا يأكلون  
 الطعام، ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾. وقيل: معناه وما  
 أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا  
 أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال  
 في موضع آخر: ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل  
 من قبلك، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، أي  
 بلية فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما لي لم أكن  
 مثله، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة  
 للوضيع. وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاء  
 لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من  
 خلاقهم، وتتبعوا الهدى. وقيل: نزلت في ابتلاء

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال مجاهد: من  
 الملائكة والجن والإنس وعيسى وعزير. وقال  
 عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام ثم  
 يخاطبهم، ﴿فَيَقُولُ﴾، قرأ ابن عامر بالنون  
 والآخرون بالياء، ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ  
 هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، أخطأوا الطريق.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، نزهوا الله من أن يكون  
 معه إله، ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ  
 أَوْلِيَاءَ﴾، يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك  
 بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن  
 نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر (أن  
 نتخذ) بضم النون وفتح الخاء فتكون (من) الثاني  
 صلة، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾، في الدنيا بطول  
 العمر والصحة والنعمة، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾،  
 تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا  
 ذكركم وغفلوا عنه، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾، يعني هلكى  
 غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر،  
 وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد،  
 ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم  
 مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثان والجمع  
 والمذكر والمؤنث.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، هذا خطاب مع  
 المشركين، أي: كذبكم المعبودون، ﴿بِمَا  
 تَقُولُونَ﴾، إنهم آلهة، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾، قرأ  
 حفص بالياء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء  
 يعني: الآلهة. ﴿صَرْفًا﴾ يعني صرف العذاب عن  
 أنفسهم، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعني ولا نصر أنفسهم.  
 وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله  
 بدفع العذاب عنكم وقيل: الصرف الحيلة، ومنه  
 قول العرب: إنه ليسصرف أي يحتال، ﴿وَمَنْ  
 يظْلِمِ﴾، يشرك، ﴿مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.  
 [٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا

[٢٣] ﴿وَقَدِمْنَا﴾، وعمدنا، ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَجَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾، أي باطلاً لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عز وجل. واختلفوا في الهباء قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، والمنثور: المفروق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنايك الخيل.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾، أي: من هؤلاء المشركين المتكبرين، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: (وأحسن مقيلاً) والجنة لا نوم فيها.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾، أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال: رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تشقق، أذغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا، وفي سورة (ق) بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿وَنَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾، قرأ ابن كثير (ونزل) بنونين خفيف ورفع اللام، (الملائكة) نصب، قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء

الشريف بالوضع، وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضع قد أسلم قبله أنف، وقال: أسلم بعده فيكون له عليّ السابقة والفضل، فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتان بعضهم ببعض ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، بمن صبر وبمن جزع.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي لا يخافون البعث، قال الفراء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: (ما لكم لا ترجون لله وقارًا) أي: لا تخافون لله عظمة. ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، فتخبرنا أن محمداً صادق، ﴿أَوْ نَزَّلْنَا رَبَّنَا﴾، فيخبرنا بذلك، ﴿لَقَدْ أَسْتَكْبَرُوا﴾، أي تعظموا. ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾، بهذه المقالة، ﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾. قال مجاهد: عتوا طغفوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم. وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿لَا بَشَرًا يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، للكافرين، وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار: لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشر المؤمنون. ﴿وَسَوْفَ لَنُجْزِيَنَّكَ جَزَاءً مَّحْجُورًا﴾، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة: حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة: حراماً محرماً عليكم أن يكون لكم البشري. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدة رأوا ما يكرهون، قالوا: حجراً محجوراً، فهم يقولونه إذا عابوا الملائكة قال مجاهد: يعني عوداً معاداً يستعيذون به من الملائكة.



سورة الفرقان

٣٦٢

سورة الفرقان

﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوُلَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ  
 أَوْزُرِي رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِيْٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُنُوًا كَبِيرًا  
 ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرٰٓى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ  
 حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٨﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلٰٓنَا مَا عَمِلُوْا مِنْ عَمَلٍ فَعَجَلْنَاهُ  
 هَبَاءً مَّنشُورًا ﴿٢٩﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا  
 وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ نَشْفِقُ السَّمَآءَ بِالْعَنَمِ وَنَزِّلُ الْمَلٰٓئِكَةَ  
 تَنْزِيلًا ﴿٣١﴾ الْمَلٰٓئِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلرَّحْمٰٓنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلٰٓى  
 الْكٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلٰٓى يَدَيْهِ يَقُولُ  
 يٰلَيْتَنِيْٓ أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلًا ﴿٣٣﴾ يٰوَيْلَيْ لَيْتَنِيْ لَوِ اتَّخَذْتُ  
 فَلَانًا خَلِيْلًا ﴿٣٤﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِيْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيْ  
 وَكَانَ الشَّيْطٰٓنُ لِلْإِنْسٰٓنِ خَدُوْلًا ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الرَّسُوْلُ  
 يٰرَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوْا هٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُوْرًا ﴿٣٦﴾ وَكَذٰلِكَ  
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هٰدِيًا  
 وَنَصِيْرًا ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا الْقُرْءَانُ جُمَّلًا  
 وَوَحْدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًا ﴿٣٨﴾

الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش.

﴿٢٦﴾ ﴿الْمَلٰٓئِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلرَّحْمٰٓنِ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقًا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس: يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلٰٓى الْكٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾، شديدًا فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمن عسيرًا، وجاء في الحديث: «إنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلٰٓى يَدَيْهِ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط تحسرا على ما فعل ﴿يَقُولُ يٰلَيْتَنِيْ أَخَذْتُ﴾، في الدنيا، ﴿مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلًا﴾، ليتني اتبعت محمداً ﷺ واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى.

﴿٢٨﴾ ﴿يٰوَيْلَيْ لَيْتَنِيْ لَوِ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيْلًا﴾، يعني أبي بن خلف.

﴿٢٩﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِيْ عَنِ الذِّكْرِ﴾، عن الإيمان والقرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيْ﴾، يعني الذكر مع الرسول ﴿وَكَانَ الشَّيْطٰٓنُ﴾، وهو كل متمرد عات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان.

﴿لِلْإِنْسٰٓنِ خَدُوْلًا﴾، أي تاركًا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتماعاً على معصية الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(٢)</sup>.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُوْلُ﴾، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: ﴿يٰرَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوْا هٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُوْرًا﴾، يعني متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهديان، والقول السيء فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد. وقيل: قال

الرسول يعني محمداً ﷺ يشكو قومه إلى الله يارب: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى فقال:

﴿٣١﴾ ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا﴾، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول: لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لأمري كما صبروا فإني ناصرك وهاديك، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هٰدِيًا وَنَصِيْرًا﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا الْقُرْءَانُ جُمَّلًا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٧٥/٣ وقال الهيثمي في المجمع ٣٣٧/١٠: وإسناده حسن على ضعف في رواية.  
 (٢) أخرجه أبو داود في الأدب ١٨٦/٧ والترمذي في الزهد ٧/٤٩ وقال: هذا حديث حسن غريب وصححه الحاكم ١٧١/٤ والإمام أحمد ٣٠٣/٢ والمصنف في شرح السنة ٧٠/١٣.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾  
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُكَّرُ  
 مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى  
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ  
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ  
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا  
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا  
 لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا نَبِّئْنَا بِتَمِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ  
 الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوَاءَ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَدَّ إِلَيْهَا  
 كَانُوا لَا يَرْجُونَ سُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا بُعْثُوا رَأَوْكَ  
 إِلَّا أَهْرَؤًا أَهْدَأُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ  
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ  
 مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾

وَحِدَةً ﴿٣٣﴾، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾، فعلنا، ﴿لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، يعني أنزلناه متفرقًا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب أنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، قال ابن عباس: بيناه بيانًا، والترتيل التبيين في ترتل وتثبت. وقال السدي: فصلناه تفصيلًا. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن: فرقناه تفريقًا آية بعد آية.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾، يا محمد يعني هؤلاء المشركين، ﴿بِمَثَلٍ﴾، يضربونه في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله، فسمى ما يردون من الشبه مثلًا، وسمى ما يدفع به الشبه حقًا، ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، يعني بيانًا وتفصيلًا، والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي، ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

[٣٤] ﴿الَّذِينَ﴾، أي: هم الذين، ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، فيساقون ويجرون، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُكَّرُ مَكَانًا﴾، يعني مكانة ومنزلة، ويقال: منزلا ومصمرا ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾، أخطأ طريقًا.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾، معينًا وظهرًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، يعني القبط، ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾، فيه إضمار، أي: فكذبوهما فدمرناهم، ﴿تَدْمِيرًا﴾، أهلكتناهم إهلاكًا.

[٣٧، ٣٨] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾، أي: الرسول، ومن كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع

الرسول، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾، يعني لمن بعدهم عبرة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾، سوى ما حل به من عاجل العذاب. ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾، يعني وأهلكنا عَادًا وَثَمُودًا، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾، اختلفوا فيهم، قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعودًا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الأصنام فوجه الله إليهم شعيبًا يدعوهم إلى الإسلام فتدادوا في طغيانهم، وفي أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حوالي البئر في منازلهم انهارت بهم البئر فحسف الله بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعًا، والرس: البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والأجر فهو رس. وقال قتادة والكلبي: الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل، وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم

أخطأ طريقًا .

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجرًا أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبده. وقال ابن عباس: أ رأيت من ترك عبادة الله وخالفه ثم هوى حجرًا فعبده ما حاله عندي، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾، يعني حافظًا، يقول: أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله، أي لست كذلك .

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿أَوْ يَفْقَهُونَ﴾، ما يعاينون من الحججة والإعلام، ﴿إِنْ هُمْ﴾، ما هم، ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم، ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون .

[٤٥] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾، معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدودًا لأنه ظل لا شمس معه، كما قال في ظل الجنة: (وظل ممدود) لم يكن معه شمس. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾، أي: دائمًا ثابتًا لا يزول، ولا تذهب الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس، وهو بالغداوة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سُمي فيثًا لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، يعني على الظل. ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها .

[٤٦] ﴿ثُمَّ بَقِصْنَهُ﴾، يعني الظل، ﴿إِلَيْنَا مَبِئَسًا يَسِيرًا﴾، بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع

أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: (وبئر معطلة وقصر مشيد). وقال سعيد بن جبيرة: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى. وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه. وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم في بئر. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، ﴿وَفُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، يعني وأهلكنا قرونًا كثيرًا بين عاد وأصحاب الرس. [٣٩] ﴿وَكَأَلَّا صُرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾، يعني الأشباه في إقامة الحججة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار، ﴿وَكَأَلَّا تَبْرًا تَنْبِيرًا﴾، يعني أهلكنا إهلاكًا. وقال الأخفش: كسرنا تكسيرًا. قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته .

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقُرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوَاءَ﴾، يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله أربعًا منها وبقيت واحدة، وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخيث، ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَرُوءْنَهَا﴾، إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾، لا يخافون، ﴿شُورًا﴾، بعثًا .

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ﴾، يعني ما يتخذونك، ﴿إِلَّا هُرُورًا﴾، يعني مهزورًا به، نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئًا: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ .

[٤٢] ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾، يعني قد قارب أن يضلنا، ﴿عَنَ الْهَيْتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْنَا﴾، يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مِّنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، من

سورة الفرقان

٣٦٤

سورة الفرقان

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا  
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ  
 الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا  
 ﴿٤٨﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ  
 لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٥٠﴾  
 وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥١﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ  
 مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِيَ كَثِيرًا ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ  
 لِيَذْكُرُوا فَآئِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴿٥٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا  
 لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٤﴾ فَلَا تَطْعُمُ الْكُفْرِيْنَ  
 وَخَلَّاهُمْ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ  
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا  
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ  
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٨﴾

الياء عوضًا عن النون.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾، يعني المطر مرة ببلد  
 ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمر  
 من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه  
 الآية. وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه  
 وابلًا وطلًا ورذاذًا ونحوها. وقيل: التصريف  
 راجع إلى الريح. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي ليتذكروا ويفكروا  
 في قدرة الله تعالى، ﴿فَآئِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا  
 كُفُورًا﴾، جحودًا، وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا  
 قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا. عن زيد بن خالد

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٢٢/١ وأبو داود في  
 الوضوء بماء البحر ٨٠/١ والترمذي فيما جاء في ماء البحر  
 ٢٢٤/١ وقال: (حديث حسن صحيح) والنسائي في الطهارة  
 ٥٠/١ وابن ماجه في الوضوء بماء البحر ١٣٦/١ وصححه  
 الحاكم ١٤٠/١.

الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس  
 قبض الله الظل جزءًا فجزءًا قبضًا يسيرًا أي خفيًا.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أي  
 سترًا تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء،  
 كاللباس الذي يشتمل على لابس، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾،  
 راحةً لأبدانكم وقطعًا لعملكم، وأصل السبت  
 القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته.  
 ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾، أي يقظة وزمانًا تنتشرون فيه  
 لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ  
 رَحْمَتِهِ﴾، يعني المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 طَهُورًا﴾، والظهور هو الطاهر في نفسه المطهر  
 لغيره، فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما  
 يتسحر به والظهور اسم لما يفطر به، والدليل عليه  
 ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الظهور  
 ماؤه الحل ميتته» (١) وأراد به المطهر فالماء مطهر  
 لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة، كما قال  
 في آية أخرى: (ويُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فثبت به أن التطهير يخص بالماء،  
 وذهب أصحاب الرأي إلى أن الظهور هو الطاهر  
 حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل  
 الخل وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة  
 النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها، وذهب بعضهم  
 إلى أن الظهور ما يتكرر منه التطهير كالصبور اسم  
 لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه  
 الشكر، وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء  
 الذي توضع منه مرة.

[٤٩] قوله عز وجل: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾، أي:  
 بالمطر، ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾، ولم يقل ميتة لأنه رجع به  
 إلى الموضع والمكان، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾،  
 نسقي من ذلك الماء أنعامًا ﴿وَأَنْبِيَ كَثِيرًا﴾، أي  
 بشرًا كثيرًا، والأناسي جمع إنسي، وقيل: جمع  
 إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل

[٥٥] ﴿وَيَسْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿مَا لَا يَفْقَهُمْ﴾، إن عبوده، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾، أي: معينًا للشيطان على ربه بالمعاصي. وقال الزجاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان. وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيرًا أي هينًا ذليلًا كما يقال: الرجل جعلني بظهير أي جعلني هينًا. ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: منذرًا.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا تتبعه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازة: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالإفناق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجرًا ولكن لا أمنع من إفناق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

[٥٨] ﴿وَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، أي صلِّ له شكرًا على نعمه. وقيل: قل سبحان الله والحمد لله، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾، عالمًا بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

[٥٩] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾، أي بالرحمن، قال الكلبي: يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش: وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدقًا به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم

الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(١)</sup>.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾. رسولًا ينذرهم، لكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة جميعها لتستوجب بصبرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

[٥٢] ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك فيه من موافقتهم ومداهنتهم. ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾، شديدًا.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرح، وأصل المرح الخلط والإرسال، يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾، شديد العذوبة والفرات أعذب المياه، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، شديد الملوحة. وقيل: أجاج أي مر، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿وَجَحْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: سترًا ممنوعًا فلا يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾، من النطفة، ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾، أي: جعله ذا نسب وذا صهر، قيل: النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه، فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها، وقيل - وهو الصحيح - النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، ﴿وَكَانَ رَيْكَ قَدِيرًا﴾.

(١) أخرجه مالك في الاستسقاء ١٩٢/١ والبخاري في الاستسقاء ٥٢٢/٢ ومسلم في الإيمان رقم (٧١) ٨٣/١ والمصنف في شرح السنة ٤١٩/٤.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ لَمْ يَشَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا، قَرَأَ حَمْزَةَ وَالْكَسَائِي (يأمرنا) بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، ﴿وَزَادَهُمْ﴾، يعني زادهم قول القائل لهم: (اسجدوا للرحمن) ﴿فَقُورًا﴾، عن الدين والإيمان.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿بَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: (البروج) هي النجوم الكبار سميت بروجًا لظهورها، وقال عطية العوفي: بروجًا أي: قصورًا فيها الحرس، كما قال: (ولو كنتم في بروج مشيدة)، وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلاثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾، يعني الشمس كما قال: (وجعل الشمس سراجًا) وقرأ حمزة والكسائي (سرجًا) بالجمع يعني النجوم. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، والقمر قد

بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى عن أي: فاسأل عنه خيرًا وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، ﴿وَزَادَهُمْ﴾، يعني زادهم قول القائل لهم: (اسجدوا للرحمن) ﴿فَقُورًا﴾، عن الدين والإيمان.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿بَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: (البروج) هي النجوم الكبار سميت بروجًا لظهورها، وقال عطية العوفي: بروجًا أي: قصورًا فيها الحرس، كما قال: (ولو كنتم في بروج مشيدة)، وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلاثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾، يعني الشمس كما قال: (وجعل الشمس سراجًا) وقرأ حمزة والكسائي (سرجًا) بالجمع يعني النجوم. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، والقمر قد

دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: (فيها فاكهة ونخل ورمان)، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، اختلفوا فيها قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفًا و عوضًا يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاؤه في الآخر. قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفًا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره: يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾، قرأ حمزة بتخفيف الدال والكاف وضمها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي يتذكر ويتعظ ﴿أَوْ أَرَادَ

شُكْرًا، قال مجاهد: أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

[٦٣] قوله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿الَّذِينَ يَمْتَسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ﴾، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا، والهون في اللغة الرفق واللين، ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾، قال مجاهد: سدادًا من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروى عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عز وجل: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم)، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال: وروى عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) قال: هذا وصف ليلهم.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، يقال لمن أدرك الليل: بات نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلماً، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿سَجْدًا﴾، على وجوههم، ﴿وَقِيَامًا﴾، على أقدامهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً.

[٦٥] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، يعني ملحاً دائماً لازماً غير مفارق من عذب به من الكفار، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاجة على

صاحبه وملازمته إياه. وقيل: غراماً هلاكاً.

[٦٦] ﴿إِنهَا﴾، يعني جهنم، ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا

وْمَقَامًا﴾، يعني بس موضع قرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾

واختلفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت، والإقتار منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم: الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير، والإقتار التقصير عما لا بد منه، وهذا معنى قول إبراهيم لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار، حسنة بين السيتين.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ﴾، الآية. قال رجل: يا رسول الله أي

الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله ندأ وهو

خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية

أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني

حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا

يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

أثَامًا﴾. قوله عز وجل (ومن يفعل ذلك)، أي شيئاً

من هذه الأفعال، (يلق أثاماً)، يوم القيامة، قال

ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم.

وقال أبو عبيدة: الآثام العقوبة. وقال مجاهد:

الآثام واد في جهنم.

[٦٩] ﴿يُضَلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلَدُ فِيهِ

مُهَانًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف)

(ويخلد) برفع الفاء والبدال على الابتداء وشداد بن

عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والبدال

على جواب الشرط.

[٧٠] الحنفية: لا يشهدون الله والثناء، قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مَرًّا كَرَامًا﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد، نظيره قوله: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجلس اللهو والباطل مروا كرامًا مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكره نفسه عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا﴾، لم يقموا ولم يسقطوا، ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْيَبَ﴾، يعني أولادًا أبرارًا أتقياء، يقولون: اجعلهم صالحين ففقر أعيننا بذلك. قال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن: ووحد القررة لأنها مصدر وأصلها من القرد لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد وتذكر قررة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قررة الأعين أن يصادف قلبه من يرضاه ففقر عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، يعني أئمة يقتدون في الخير بنا. قال الحسن: نفتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، قال قتادة: إلا من تاب وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه ﴿فَأُولَئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا، قال ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن ومجاهد والسدي والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانهم وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً. وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول، وقال بعضهم: إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحاً أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي يعود إليه بالموت، ﴿مَتَابًا﴾، حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: (ومن تاب) رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: (يتوب إلى الله) خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله. وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، قال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك. وقال علي ابن طلحة: يعني شهادة الزور. وقال ابن جريج: يعني الكذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل: النوح، قال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد ابن



هداة، كما قال: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)، وقيل: هذا من المقرب يعني واجعل المتقين لنا إمامًا واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

[٧٥] ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ﴾، يعني ينالون، ﴿الْعُرْفَةَ﴾، يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عال وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد في الجنة، ﴿يَمَا صَبْرًا﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمَةَ﴾، أي ملكًا وقيل: بقاء دائمًا، ﴿وَسَلَامًا﴾، أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلامًا أي سلامة من الآفات،

[٧٦] ﴿خَلْدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: موضع قرار وإقامة.

[٧٧] ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي ما يصنع وما يفعل بكم؟ قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئًا أي لم أعده، فوجوده وعدمه سواء، مجازة: أي وزن وأي مقدار لكم عنده، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، إياه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، فإذا آمتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناها قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني أنه خلقكم لعبادته، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). وهذا قول ابن عباس ومجاهد، وقال قوم: قل ما يعبا ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) وقيل: ما يعبا بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد، كما قال: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله)، وقال:

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ يَمَا صَبْرًا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمَةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلْدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(فأخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون). وقيل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، هذا تهذيبه لهم أي يكون تكذيبكم لزامًا، قال ابن عباس: موتًا. وقال أبو عبيدة: هلاكًا. وقال ابن زيد: قتالًا. والمعنى يكون التكذيب لازمًا لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جرير: عذابًا دائمًا وهلاكًا مقيمًا يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وقيل: اللزام هو عذاب الآخرة.

## (٢٦) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ

سُورَةُ الشُّعْرَاءِ

٣٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَرَ﴾ روى علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾، أي هذه، ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَنِعٌ﴾، قاتل، ﴿نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، إن لم يؤمنوا ذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

[٤] ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية.

وقوله عز وجل: (خاضعين) ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، ففيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال. وقال الأخفش: رد الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى المؤنث. وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعنق عن جميع البدن، كقوله: (ذلك بما قدمت يداك) و(الزمناء طائره في عنقه). وقال مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي فظلت كبرائهم خاضعين، وقيل: أراد بالأعناق

طَسَرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهَتْ رَبَّهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمٌ فَرَعُونَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْنِي لِسَانِي فَأرْسِلْ لِي فِي هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبْ بِأَيِّتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا فَآرَأَيْتَ رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَّا بِنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَمِئْتَ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنَا الَّذِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

الجماعات، يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾، وعظ وتذكير، ﴿مِنْ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾، أي محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، أي عن الإيمان به.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ﴾، أي: فسوف يأتيهم، ﴿أَنْبَاءٌ﴾، أخبار وعواقب، ﴿مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهَتْ رَبَّهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾، صنف وضرب، ﴿كَرِيمٍ﴾، حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها، وناقاة كريمة إذا كثر لبنها. قال الشعبي:

دُو رسالة رب العالمين، وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي وهذا وهؤلاء رسولي ووكيلي، كما قال الله تعالى: (وهو لكم عدو)، وقيل: معناه كل واحد من رسول رب العالمين.

[١٧] ﴿أَنْ أَرْسِلَ﴾، أي بأن أرسل، ﴿مَعْنًا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ﴾، أي إلى فلسطين، ولا تستعبدهم، وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفًا، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك.

[١٨] ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، صبيًا، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، وهو ثلاثون سنة.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الْبُتِّي فَعَلْتَ﴾، يعني قتل القبطي، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، قال الحسن والسدي: يعني وأنت من الكافرين بإلهك الذي تدعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعييه. وقال أكثر المفسرين: معنى قوله وأنت من الكافرين يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك فينا فكأفأتنا أن قتلت منا نفسًا وكفرت بنعمتنا. وهذا رواية العوفي عن ابن عباس: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

[٢٠] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿فَعَلَهَا إِذَا﴾، أي فعلت ما فعلت حينئذ، ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، أي من الجاهلين، لم يأت من الله شيئًا. وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل: من المخطئين.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ﴾، إلى مدين، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾، يعني النبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّنَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار

الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

[٨] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَةً﴾، دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون. وقال سيبويه: كان ههنا صلة مجازه: وما أكثرهم مؤمنين.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، العزيز بالنقمة من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾، ذو الرحمة بأوليائه.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾، واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار، ﴿أَنْ أَنْتَ الْغَافِرُ الْظَّالِمِينَ﴾، يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

[١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾، ألا يصفرون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته.

[١٢] ﴿قَالَ﴾، يعني موسى، ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم آيائي، و﴿وَلَا يَطَّلِقُ لِسَانِي﴾، قال: هذا للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ يعقوب (ويضيق)، (ولا ينطلق) بنصب القافين على معنى وأن يضيق، وقرأ العامة برفعهما ردًا على قوله: (إني أخاف)، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾، ليؤازرنِي ويظاهرنِي على تبليغ الرسالة.

[١٤] ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾، أي دعوى ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، أي يقتلونني به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿كَلَّا﴾، أي لن يقتلوك، ﴿فَأَذْهَبَا بِمَا بَيْنَنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾، سامعون ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة. وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

[١٦] ﴿فَأَيُّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل رسولا رب العالمين لأنه أراد الرسالة أنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ٣٦٨  
 قَالَ فَعَلْنَهَا إِذَا أُنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٦﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ  
 فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا  
 عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾  
 قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٠﴾  
 قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٣﴾  
 قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾ قَالَ  
 لَئِن أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ  
 أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
 الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾ وَرَمَى يَدَهُ  
 فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ  
 عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا  
 تَأْمُرُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٢﴾  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ  
 لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٥﴾

في البيان .

[٢٦] ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ .

[٢٧] ﴿٢٧﴾ قَالَ ﴿٢٧﴾ ، يعني فرعون ، ﴿٢٧﴾ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي  
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ، يتكلم بكلام لا عقله ولا  
 نعرف صحته ، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما  
 يعتقدون ليس بعاقل ، فزاد موسى في البيان .  
 [٢٨] ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ  
 تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ .

[٢٩] ﴿٢٩﴾ قَالَ ﴿٢٩﴾ ، فرعون حين لزمته الحجة وانقطع  
 عن الجواب تكبراً عن الحق : ﴿٢٩﴾ لَئِن أَخَذتَّ إِلَهًا  
 غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ ، من المحبوسين .

[٣٠] ﴿٣٠﴾ قَالَ ﴿٣٠﴾ له موسى حين توعده بالسجن  
 ﴿٣٠﴾ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ،  
 بآية مبينة ، ومعنى الآية أنفعل ذلك وإن أتيتك بحجة  
 بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس

وبعضهم على الإنكار ، فمن قال هو إقرار قال  
 عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ، ولم يقتله  
 كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل ، ولم يستعبده  
 كما استعبد بني إسرائيل ، مجازة : بلى وتلك نعمة  
 لك عليّ أن عبّدت بني إسرائيل ، وتركتني فلم  
 تستعبدني . ومن قال : هو إنكار قال قوله : وتلك  
 نعمة هو على طريق الاستفهام أي : أو تلك نعمة؟  
 حذف ألف الاستفهام ، كقوله : (فهم الخالدون)؟  
 يقول : تمنّ عليّ أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني  
 إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ أو يريد :  
 كيف تمنّ عليّ بالتربية وقد استعبدت قومي ، ومن  
 أهين قومه ذلّ ، فتعبدك بني إسرائيل قد أحبط  
 إحسانك إليّ ، وقيل : معناه تمنّ عليّ بالتربية .  
 وقوله : ( أن عبّدت بني إسرائيل ) أي باستعبادك بني  
 إسرائيل وقتلك أولادهم ، دُفعت إليك حتى ربيتني  
 وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كان لي من أهل  
 من يربيني ولم يلقوني في اليم ، فأى نعمة لك عليّ؟  
 قوله : ( عبّدت ) أي اتخذتهم عبيداً ، يقال : عبّدت  
 فلاناً وأعبدته وتعبدته واستعبدته ، أي اتخذته عبداً .

[٢٣] ﴿٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ، يقول : أي  
 شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ  
 يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه مما هو سؤال عن  
 جنس الشيء ، والله منزّه عن الجنسية ، فأجابه  
 موسى عليه السلام يذكر أفعاله التي يعجز عن  
 الإتيان بمثلها .

[٢٤] ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ  
 مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ، إنه خالقهما . قال أهل المعاني : أي كما  
 توقنون هذه الأشياء التي تعابونها فأيقنوا أن إله  
 الخلق هو الله عزّ وجلّ ، فلما قال موسى ذلك تحير  
 فرعون في جواب موسى .

[٢٥] ﴿٢٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴿٢٥﴾ ، من أشرف قومه  
 استعباداً لقول موسى ، ﴿٢٥﴾ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ ، وذلك أنهم  
 كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم ، فزادهم موسى

سُورَةُ الشُّعْرَى

٣٦٩

الْبُرْجَانِ

لَعَلْنَا نَبْعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ  
 قَالُوا فِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ نَعَمْ  
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُثَقَلُونَ  
 ﴿٥١﴾ فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ  
 الْغَالِبُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ  
 ﴿٥٣﴾ فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَلْجِدِينَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَمْ نَارِيبُ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾  
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَمْسِرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ  
 لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ  
 وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا لَاضْرِبْنَا  
 إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا إِنَّ كُنَّا  
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ  
 مُتَّبَعُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٦١﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ  
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَيْتَهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ  
 ﴿٦٤﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٥﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٦﴾  
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٧﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٩﴾ قَالَ أَمْسِرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمْ  
 الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ  
 مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴿٥١﴾ لَا ضُرَّ، ﴿٥٢﴾ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا  
 مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٥٤﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ من أهل زماننا.

﴿٥٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ  
 مُتَّبَعُونَ ﴿٥٧﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين  
 الخروج من مصر.

﴿٥٨﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٩﴾ يحشرون  
 الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى

يجمعوا له الجيش. ﴿٦٠﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴿٦١﴾ عصابة ﴿٦٢﴾ قَلِيلُونَ ﴿٦٣﴾

السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد  
 البيان.

﴿٣١﴾ قَالَ ﴿٣٢﴾ لَهُ فِرْعَوْنَ ﴿٣٣﴾ فَأَتَتْ بِهِ ﴿٣٤﴾ فَإِنَّا لَن  
 نَسْجُنُكَ حَيْثُذُ، ﴿٣٥﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٣﴾ فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٣٤﴾  
 فقال وهل غيرها، ﴿٣٥﴾ وَنَزَعَ ﴿٣٦﴾ مُوسَى، ﴿٣٧﴾ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ  
 بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿٣٤﴾ قَالَ ﴿٣٥﴾ فِرْعَوْنَ ﴿٣٦﴾ لِمَالِ حَوْلِهِ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ  
 عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا  
 تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَتْ فِي الدَّائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٧﴾  
 ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾

﴿٣٨﴾ فَجُمِعَ السَّحْرَةُ لِمَبْقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٩﴾ وهو  
 يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك

اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم  
 النيروز.

﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ لتنظروا إلى  
 ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة.

﴿٤٠﴾ لَعَلْنَا نَبْعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾  
 لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق

الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون  
 وقومهما.

﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ  
 كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٣﴾  
 ﴿٤٣﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُثَقَلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ  
 إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٤٥﴾ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا  
 يَأْفِكُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٤٦﴾ فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَلْجِدِينَ ﴿٤٧﴾  
 ﴿٤٧﴾ قَالُوا أَمْ نَارِيبُ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾

والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شرادم.

[٥٥] ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لِعَاظُونَ﴾، يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيظ والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا، وخرجهم من أرضنا بغير إذن منا.

[٥٦] ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ قال أهل التفسير: حازرون أي مؤدون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومعنى حازرون أي خائفون شرمهم. وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. وقال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلا حذرًا. والحذر اجتناب الشيء خوفًا منه.

[٥٧] ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ﴾، وفي القصة البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل، ﴿وَعَيْنُونَ﴾، أنها جارية.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، قال مجاهد: سماها كنوزًا لأنه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منها فهو كنز وإن كان ظاهرًا ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، أي مجلس حسن، قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: هي المنابر.

[٥٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، كما وصفنا، ﴿وَأُورَثْنَهَا﴾، بهلاكهم، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمسكن.

[٦٠] ﴿فَأَنبَغُوهُمْ تُشْرِيفَاتٍ﴾، يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس.

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ﴾، يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا

لَمُدْرِكُونَ﴾، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾، موسى ثقة بوعد الله إياه ﴿كَلَّا﴾، لن يدركونا، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، يدلني على طريق النجاة.

[٦٣] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾، يعني فضربه فانفلق فانشق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾، قطعة من الماء، ﴿كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾، كالجبل الضخم.

[٦٤] ﴿وَأَرْزَلْنَا﴾ يعني وقربنا، ﴿ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾، يعني قوم فرعون، يقول: قدمناهم إلى البحر وقربناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: وأرزلنا: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع.

[٦٥] ﴿وَأَخْرَجْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبیر: كان البحر ساكنًا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويعجزر.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، أي من أهل مصر، قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن، ومريم بنت مأمويا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

[٦٩] قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٧٠] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي شيء تعبدون.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، يعني نقيم على عبادتها. قال بعض أهل العلم: إنما قال: (نظلل) لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾، أي هل يسمعون

دعاءكم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾، قال ابن عباس: يسمعون لكم؟

[٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾، قيل: بالرزق، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾، إن تركتم عبادتها.

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتِنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، معناه إنها لا تسمع قولاً ولا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً لكن اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في الدين.

[٧٦، ٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۚ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾، الأولون.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾، يعني أعدائي ووحده على معنى أن كل معبود لكم عدو لي، فإن قيل:

كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة،

كما قال تعالى: (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً)، وقال الفراء: هو من المقلوب أراد

فإنهم عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك. وقيل: فإنهم عدو لي على معنى إني لا أتوهم ولا أطلب

من جبهتهم نفعاً كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع، قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، اختلفوا في

هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي. وقيل: إنهم

كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعدائي إلا رب العالمين. وقيل: إنهم

غير معبود لي إلا رب العالمين، فإني أعبد. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلا من عند رب

العالمين، ثم وصف معبوده فقال: [٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، أي يرشدني إلى

طريق النجاة. [٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾، أي يرزقني

ويغذييني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومن عنده رزقي.

[٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً

سورة الشعراء

٣٧٠

سورة الشعراء

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾

وَأَرْزَلْنَاهُمَ الْآخَرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَفْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا

تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا فَظَلُّوا عَنكُم مِّثْلَ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَ كُمْ إِذْ

تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتِنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٠﴾ أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿٨٢﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي

﴿٨٤﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٥﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ

يُحْيِينِي ﴿٨٦﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ

﴿٨٧﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقَ بِالضَّلِيلِينَ ﴿٨٨﴾

لحسن الأدب كما قال الخضر: (فأردت أن أعيها)، وقال: (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما)، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِي﴾، أي يبرئني من المرض.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾، أدخل (ثم) ههنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾، أرجو، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، أي خطاياي يوم الحساب.

قال مجاهد: هو قوله: (إني سقيم)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله لسارة: هذه أختي، وزاد

الحسن وقوله للكواكب: (هذا ربي). وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾، قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم

والعلم. وقال الكلبي: النبوة، ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

[٨٤] ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي ثناء حسناً وذكرًا جميلًا وقبولًا عامًا في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، أي ممن تعطيه الجنة النعيم.

[٨٦] ﴿وَأَغْفِرْ لِي إِيَّاهُ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وقال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ لا تفضحني ﴿يَوْمَ يُعْتَوْنَ﴾.

[٨٨، ٨٩] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين، قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله تعالى: (في قلوبهم مرض) قال ابن عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المظمتن على السنة.

[٩٠، ٩١] ﴿وَأَزَلَّتْ﴾ قربت ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ وَبَرَّزَتْ، أظهرت، ﴿الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ﴾، للكافرين.

[٩٢، ٩٣] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله هل يَصُرُّوكُمْ، يمنعونكم من العذاب، ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ لأنفسهم.

[٩٤] ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا﴾، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد: دهورًا. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجاج: طرح بعضهم على بعض. وقال القتيبي: ألقوا على رؤوسهم. ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾، يعني الشياطين، قاله قتادة ومقاتل. وقال الكلبي: كفرة

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِيَّاهُ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَوْنَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبَرَّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُّوكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجَحُّودًا إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْذَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبَأَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالُوا لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَّا نَنْفُونَ ﴿١٠٦﴾ إِيَّاكُمْ رَسُولَ آمِينَ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٠﴾

الجن.

[٩٥] ﴿وَجَحُّودًا إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾، وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس. ويقال: ذريته.

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أي: قال الغاؤون للشياطين والمعبودين، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضًا.

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

[٩٨] ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾، عدلكم، ﴿رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾، فنعبدكم.

[٩٩] ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ أي: ما دعانا إلى الضلال، ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: إلا ولونا الذين اقتدنا بهم. وقال أبو العالية وعكرمة: يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل لأنه أول من سنّ القتل، وأنواع المعاصي.



بِعَمَلَاتِكُمْ ﴿١٠٠﴾، أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس عليّ من ذنابة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم.

[١١٣] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾، ما حسابهم، ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾، لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال الزجاج: الصناعات لا تضر في الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلّكم ويوفّقهم ويخذلكم.

[١١٤، ١١٥] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ إِنَّا إِنَّمَا لَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ﴾، عما تقول، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة. وقال الضحاك: من المشتمومين.

[١١٧، ١١٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ كَاذِبُونَ ۚ فَافْتَحْ لِي فِيهِمْ بَابَ رَحْمَتِكَ ۖ إِنَّي أَعُوذُ بِكَ مِنْهُمْ وَرَبِّي حَكِيمٌ﴾، فاحكم، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾، حكماً، ﴿وَيُخَيِّرْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَنِّي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] ﴿فَاتَّخِذْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾، الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها. [١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾، أي أغرقنا بعد

إنجاء نوح، وأهله: من بقي من قومه. [١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. [١٢٣] قوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ﴾، يعني في النسب لا في الدين، ﴿هُودُ أَلَّا نُنْقَوُ﴾.

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تهمني اليوم.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾. [١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنِ اجْتَبَىٰ إِلَّاءَ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[١٢٨] ﴿أَتَتَّبِعُونَ يَكُلَّ رَيْعٍ﴾، قال الوالبي عن ابن

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾، أي: من يشفع لنا من الملائكة والنبیین والمؤمنين.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، أي قريب يشفع لنا يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبیین والمؤمنون، والصدیق هو الصادق في المودة بشرط الدين.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم.

[١٠٥] قوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾، قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرايت قوله: (كذبت قوم نوح المرسلين) و(كذبت عاد المرسلين) و(كذبت ثمود المرسلين)، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ﴾، في النسب لا في الدين. ﴿نُوحٌ أَلَّا نُنْقَوُ﴾.

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الوحي. [١٠٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، بطاعته وعبادته، ﴿وَأَطِيعُوا﴾، فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنِ اجْتَبَىٰ إِلَّاءَ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثوابي

[١١٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته وعبادته ﴿وَأَطِيعُوا﴾.

[١١١] ﴿قَالُوا أَنزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَلْدَلُونَ﴾ السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٣٧٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي  
 لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا لَازِمُهُمْ  
 ﴿١٣٩﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ  
 رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٤١﴾ فَأَفْنَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَجْنِي وَمَنْ  
 مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ فَأَجْنِيهِ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَائِكِ الْمَشْحُونِ  
 ﴿١٤٣﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٤٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ  
 أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٦﴾ كَذَّبَتْ  
 عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٨﴾ إِنِّي لَكُمْ  
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥١﴾ أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ  
 آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٥٢﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٥٣﴾  
 وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٥٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٥﴾  
 وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ  
 وَحَدَّتِ وَعْيُونِ ﴿١٥٧﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
 ﴿١٥٨﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٥٩﴾

بضم الخاء واللام، أي عادة الأولين من قبلنا،  
وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث  
ولا حساب.

[١٣٨] ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَدِّينَ﴾.

[١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ  
أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٤١-١٤٦] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ  
الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ  
رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَنْتَرَكُونَ فِي مَا  
هَهُنَا﴾، يعني في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾، من  
العذاب.

(١) بوزن المترية وهي المرقبة انظر مختار الصحاح ص  
٦٦٧.

عباس: بكل شرف. وقال الضحاك ومقاتل  
والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن  
عباس، وعن مجاهد قال: هو الفج بين الجبلين.  
وعنه أيضًا: أنه المنظرة<sup>(١)</sup>. ﴿آيَةً﴾، علامة  
﴿تَعْبَثُونَ﴾، بمن مرَّ بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا  
يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة  
والسابلة فيسخرها منهم ويعبثوا بهم.

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ﴾، قال ابن عباس:  
أبنية. وقال مجاهد: قصورًا مشيدة. وعن الكلبي:  
أنها الحصون. وقال قتادة: مأخذ الماء يعني  
الحياض، واحدها مصنعة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، أي  
كانكم تبقون فيها خالدين. والمعنى: أنهم كانوا  
يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ ۝ أَخَذْتُمْ وَسُطُوتُمْ،  
﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، قتلًا بالسيف وضربًا بالسوط،  
والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٣٢] ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، أي  
أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم  
فقال:

[١٣٣، ١٣٤] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ۝ وَحَدَّتِ  
وَعْيُونِ﴾، يعني بساتين وأنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس: إن  
عصيتموني، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا ۝﴾، يعني مستو عندنا،  
﴿أَوَعظت أم لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾، الوعظ كلام  
يلين القلب بذكر الوعد والوعيد. قال الكلبي:  
نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا.

[١٣٧] ﴿إِنْ هَذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأُولَيْنِ﴾،  
قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي  
ويعقوب (خُلُق) بفتح الخاء وسكون اللام أي  
اختلاق الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله  
تعالى: (وتخلقون إفكًا)، وقرأ الآخرون (خُلُق)

[١٤٧، ١٤٨] ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا﴾، ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿هَضِيمٌ﴾، قال ابن عباس: لطيف، ومنه هضم الكشح إذا كان لطيفاً. وروى عطية عنه: يانع نضيج. وقال عكرمة: هو اللين. وقال الحسن: هو الرخو. وقال مجاهد: متهشم متفتت إذا مس، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضم هو الداخل بعضه في بعض من النصح والنعومة. وقيل: هضم أي هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطافته.

[١٤٩] ﴿وَتَنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّونًا فَرْهِينَ﴾، وقرئ: (فرهين)، قيل: معناهما واحد. وقيل: فرهين أي حاذقين بنحتها، من قولهم: فره الرجل فراهة فهو فاره، ومن قرأ (فرهين) قال ابن عباس: أشرين بطرين. وقال عكرمة: ناعمين. وقال مجاهد: شرهين. قال قتادة: معجيين بصنيعكم. قال السدي: متجبرين. وقال أبو عبيدة: مرحين. وقال الأخفش: فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدته. قال الضحاك: كيسين.

[١٥٠، ١٥١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ وَلَا تُطِيعُوا أُمَّرَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن عباس: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم.

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، بالمعاصي، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: من المسحورين المخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعلنين

سورة الشعراء ٣٧٣

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَنْحَنٌ بِمَعْدِبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالْتَفِقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَرَكُونَ فِي مَا ههْنَاءَ مَمِينًا ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّونًا فَرْهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أُمَّرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ﴾، على صحة ما تقول. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾، حظ ونصيب من الماء، ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾، بعقر، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾، على عقرها حين رأوا العذاب.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٦٥-١٦٠] قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ۚ﴾، قال مقاتل: يعني جماع الرجال. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني من بني آدم.

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾، معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١٦٧] ﴿قَالُوا لَنْ لَوْ نَنْتَهَىٰ بِنُطْقِ الْمُخْرَجِينَ﴾، من قريتنا.

[١٦٨] ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾، المبغضين، ثم دعا فقال:

[١٦٩] ﴿رَبِّ بَنِي وَهْبٍ وَمِمَّا يَعْمَلُونَ﴾، من العمل الخبيث.

[١٧٠، ١٧١] قال الله تعالى: ﴿فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْعِينَ ۚ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾، وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾، أي: أهلكتناهم.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾، قال وهب بن منبه: الكبريت والنار.

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٧٦] قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: (الآيكة) ههنا وفي ص بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء، وقرأ الآخرون: (ليكة) بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلدة، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة الحجر وق أنهما مهموزان مكسوران، والآيكة: الغيضة من الشجر الملتف.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٩﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ﴿١٧٠﴾ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا لَنْ لَوْ نَنْتَهَىٰ بِنُطْقِ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٧٣﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٧٤﴾ رَبِّ بَنِي وَهْبٍ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْعِينَ ﴿١٧٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٧٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨١﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٥﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٦﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمَسْتَقِيمَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٨﴾

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٨-١٨٠] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة.

[١٨١] ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾،

[١٨٢-١٨٤] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمَسْتَقِيمَ ۚ وَلَا

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٣٧٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَآخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ كُنَّ هُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعَدَابُنَا يُسْتَعْجَلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

تَخَسَّرُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ۝، الخليفة، ﴿الْأُولِينَ﴾، يعني الأمم المتقدمين، والجبلة: الخلق، يقال: جُبل أي خُلِقَ.

[١٨٥-١٨٨] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. أي من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾، وذلك أنه أخذهم حرّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّاً فخرجوا فأظلمت سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود<sup>(١)</sup>. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُوعَدُونَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٩٢، ١٩٣] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص: (نزل) خفيف (الروح الأمين) برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزل الله به جبريل لقوله عزّ وجلّ: (وإنه لتنزيل رب العالمين).

[١٩٤] ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾، يا محمد حتى وعيته، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، المخوفين.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿لَفِي زُبُرِ﴾، كتب ﴿الْأُولِينَ﴾.

[١٩٧] ﴿أَوْ لَوْ كُنَّ هُمْ آيَةً﴾، قرأ ابن عامر: (تكن) بالياء آية بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، (آية) نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: (أن يعلمه)، يعني يعلم محمد ﷺ، ﴿عُلِمُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قال عطية: كانوا خمسة:

(١) من آية ٨٤ إلى ٩٥.

رسل ينذرونهم.

[٢٠٩] ﴿ذِكْرَى﴾، محلها نصب أي ينذرونهم، تذكرة، وقيل: رفع أي تلك ذكري، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعدنا إليهم.

[٢١٠] ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فقال جلّ ذكره: (وما نزلت به) أي بالقرآن، الشياطين.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾، أن ينزلوا بالقرآن، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي عن استراق السمع من السماء، ﴿لَمَعْرُوفُونَ﴾، أي محجوبون بالشهب مرجومون.

[٢١٣] ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك.

[٢١٤] ﴿وَأَنْذَرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (وأندر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتكم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟! ثم قال: فنزلت (تبث يدا أبي لهب وتب)<sup>(١)</sup>.

[٢١٥] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾، يعني ألن جانبك، ﴿لِمَنِ الْبَعْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢١٦] ﴿إِنَّ عَصَاكَ فَعَلَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر وعبادة غير الله.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٧٣٧/٨ ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٨) ١٩٣/١ والمصنف في شرح السنة ٣٢٧/١٣.

عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد. [١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾، يعني القرآن، ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

[١٩٩] ﴿فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ﴾، بغير لغة العرب، ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عزّ وجلّ: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته)، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أفقه من أتباعه.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، أي بالقرآن، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، يعني عند الموت.

[٢٠٢] ﴿فِيَأْتِيهِمْ﴾، يعني العذاب، ﴿بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، به في الدنيا.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾، أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى:

[٢٠٤، ٢٠٥] ﴿أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۚ أَفَرَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾، كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نهلكهم.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني بالعذاب.

[٢٠٧] ﴿مَا آغَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾، به في تلك السنين. والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغن عنهم طول التمتع شيئاً، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾،

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو (وتوكل)، ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، ليكيفيك كيد الأعداء.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، إلى صلاتك، عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت وقيل: حين تقوم لدعائهم.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾، يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلين. وقال مقاتل والكلبي:

أي مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة. وقال الحسن: وتقلبك في الساجدين أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين. وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك.

والساجدون: هم الأنبياء. وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. [٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾، أخبركم، ﴿عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾، هذا جواب قولهم: (تنزل عليه الشياطين). ثم بين فقال:

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ﴾، أي تنزل، ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَقَّاكٍ﴾، كذاب، ﴿أُتِيرَ﴾، فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عز وجل:

[٢٢٣] ﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ﴾، أي يستمعون من الملائكة مستقرين فيلقون إلى الكهنة، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾، لأنهم يخلطون به كذبًا كثيرًا.

[٢٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ و(الغاوون)، هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾، من أودية الكلام، ﴿يَهيمُونَ﴾، حاثرون وعن طريق الحق جاثرون، والهائم: الذاهب على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام، كما يقال: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ. وقيل: في كل وادٍ يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، أي:

سورة الشعراء  
٢١٧  
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢١٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٨﴾ ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٢١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢٢٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَكَوْنُ مِنَ الْمُعْذِبِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَقَّاكٍ أُتِيرَ ﴿٢٢٢﴾ يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا وَإِنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مَقْلَبٍ يَقْلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سورة الشعراء  
سورة الشعراء  
سورة الشعراء

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لأربابها، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّانًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿فَهُمْ يَمَعَهُونَ﴾، أي يترددون فيها متحيرين.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، شدة العذاب في الدنيا بالقتل والأسر بيدر، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَلنَّاسِ لَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ﴾، أي توتى القرآن، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، أي وحياً من عند الله الحكيم العليم.

[٧] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾، أي واذكر يا محمد إذا قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر، ﴿إِنِّي أَنَا نَارًا﴾، أي أبصرت ناراً، ﴿سَاتِيكُمْ بِخَبَرٍ عَن الطَّرِيقِ أَوْ النَّارِ﴾، أي امكثوا مكانكم ساتيكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتنوين جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة

(١) أخرجه عبدالرزاق في كتاب الجامع ١١/٢٦٣ وصححه ابن حبان ص ٤٩٤ من موارد الظمان والبيهقي في السنن ١٠/٢٣٩ والإمام أحمد في المسند ٣/٥٦٦ والمصنف في شرح السنة ١٢/٣٧٨.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب ٨/١٣٧ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الحاكم ٣/٤٨٧ والمصنف في شرح السنة ١٢/٣٧٧.

يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة، ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيئون شعراء الجاهلية، ويهجون شعراء الكفار، وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك، فقال:

[٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل»<sup>(١)</sup>. وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله»<sup>(٢)</sup>. ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ﴿وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾، قال مقاتل: انتصروا في المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، أي مرجع يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم.

## (٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ

[١] ﴿طَسَّ﴾، قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾، أي هذه آيات القرآن، ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، يعني وآيات كتاب مبين.

[٢] ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة.



سُورَةُ النَّامِلِ

٣٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى  
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
 بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ  
 أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ  
 وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ اتِّبَاعًا  
 لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِغًا  
 مِنِّي خَيْرٍ أَوْ أُنذِرِكُمْ بِشَيْءٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا  
 جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسَبَّحَ اللَّهُ رَبَّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ  
 فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْرِكًا ﴿١٠﴾ وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَّا يَخَفُ  
 إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ  
 سُوءٍ فَأَنَّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَأَدْخَلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرُجْ بِيضًا  
 مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهُوَ وَجْهٌ مُنْتَهَى فَنَاقٍ  
 ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾

معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها، ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جل ذكره. ﴿وَسَبَّحَنَّا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

[٩] ﴿يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والهاء في قوله: (إنه) عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن أي المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكسر اضطرابها، ﴿وَلَّى مُدْرِكًا﴾، وهرب من الخوف، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، ولم يرجع، يقال: عقب فلان إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عز وجل: ﴿يَمْوَسِي لَّا يَخَفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾، يريد إذا أمنهم لا يخافون أما الخوف

من النار، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، تستدفئون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾، أي بورك على من في النار أو من في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارًا، ومن في النار هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: من في النار ومن حولها جميعًا الملائكة وقيل: من في النار موسى ومن حولها الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريبًا منها كما يقال: بلغ فلان المنزل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه بُوركت النار. وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أبيًا يقرأ: أن بُوركت النار ومن حولها، (ومن) قد يأتي بمعنى ما (وما) قد يكون صلة في الكلام، كقوله: (جند ما هنالك)، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمى النار مباركة كما سمي البقعة مباركة فقال: (في البقعة المباركة)، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: (بُورِكَ من في النار)، يعني قدس من في النار، وهو الله عنى به نفسه، على

البرق، فذلك قوله: ﴿تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، من غير برص، ﴿فِي تَسْبِغِ أَيْتٍ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِتْمَهُمْ كَأَنَّهُمْ قَوْمًا نَافِقِينَ﴾.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾، بيّنة واضحة يبصر بها، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ظاهر.

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾، أي أنكروا الآيات ولم يقرأوا أنها من عند الله، ﴿وَأَسْتَفْتَنَاهَا أَنفُسَهُمْ﴾، يعني علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿ظَلَمًا وَعُلُوفًا﴾، يعني شركًا وتكبرًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال، ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾، بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦] ﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، نبوته وعلمه وملكوته دون سائر أولاده، وكان داود تسعة عشر ابنًا، وأعطى سليمان ما أعطي داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى، ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾، سمى صوت الطير منطقًا لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يؤتى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة. وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم، قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله»<sup>(١)</sup>.

[١١] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، واختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له، قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفكتك لقتلك النفس. وقال: معنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحًا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: (إلا من ظلم) ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة، وفي الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء فإنني غفور رحيم. قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه لا يخاف لديّ المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلا من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبدّل حسنًا بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: إلا ههنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لديّ المرسلون ولا من ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

[١٢] ﴿وَأَدْخُلْ بِدُكِّ فِي جَبِّكَ﴾، والعجيب حيث جيب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في النكاح ١٠٤/٩ ومسلم في الصيام رقم (١١٠٨) ٧٧٩/٢.

[١٧] قوله عز وجل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾، وجمع لسليمان، ﴿جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مسيره، ﴿فَهُمْ يُورَعُونَ﴾، فهم يكفون. وقال مقاتل: يوزعون يساقون، وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون. وأصل الوزع الكف والمنع.

[١٨] قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ﴾ قال كعب: إنه واد بالطائف، وقال قتادة ومقاتل: هو أرض بالشام. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾، ولم تقل: ادخلن لأنه لما جعل لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿لَا يَحِطُّ بِكُمْ﴾، لا يكسرتكم، ﴿سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُ﴾، والحطم الكسر، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فسمع سليمان قولها. ومعنى الآية: إنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسم. وقوله: (ضاحكاً) أي متبسماً. قيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾، اللهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرنني في زميرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن بعدهم، من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك من عبادك الصالحين.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَيَنْقُدُّ الطَّيْرُ﴾، أي: طلبها وبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير، ﴿فَقَالَ مَا لِي لَأَرَىٰ الْهَيْدُودَ﴾، أي ما للهدد لا أراه، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، يعني أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

سورة النمل

٣٧٨

الجزء التاسع عشر

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴿١٥﴾ وورث سليمان داود وقال يأتيناها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين ﴿١٦﴾ وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يورعون ﴿١٧﴾ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأتياها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحط بكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴿١٨﴾ فبسس ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿١٩﴾ ونفق الطير فقال ما لي لَأَرَىٰ الْهَيْدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ أولياتي بسطاني مبین ﴿٢١﴾ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به ورحمتك من سيأبينا يعني ﴿٢٢﴾

[٢١] ﴿لَأَعِدَّتْهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾، لأقطعن حلقة، ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، بحجة بينة في غيبته، وعذر ظاهر.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، أي غير طويل، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿وَرَحِمْتُكَ مِنْ سَيِّئًا﴾ اسم البلد أو اسم رجل، ﴿بَيْنًا﴾، بخبر يقين، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، ﴿وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد

الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد عليه سبعة آيات على كل بيت باب معلق .

[٢٤] ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ .

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي (ألا يسجدوا) بالتخفيف وإذا وقفوا يقولون: ألا يأثم يبتدون: اسجدوا، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة يا عليها، وذكر بعضهم

سماعاً من العرب ألا يا ارحمونا، يريدون ألا يا قوم وعلى هذا يكون قوله ألا كلاماً معترضاً من غير

القصة إما من الهدهد وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ الآخرون ألا يسجدوا بالتشديد

بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾، أي الخفي المخبأ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي ما خبأت. قال أكثر

المفسرين: خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات. وفي قراءة عبدالله: (يخرج الخبء من السموات والأرض)، ومن وفي يتعاقبان تقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم يريد منكم.

وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم غيب السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء

فيهما لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألا، وقرأ الآخرون بالياء.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيمًا فهو صغير وحقير في جنب عرشه عز وجل، تم ههنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾، سليمان للهدهد ﴿سَنَنْظُرُ

سورة النمل

٣٧٩

سورة النمل

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ

عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣٠﴾ اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ

أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٢﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا

فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا

الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ بِالْكِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ أَعْلَى وَأَتُونِي مَسْلُمِينَ ﴿٣٦﴾

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى

تَشْهَدُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا لَنْحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا نَاسٍ شَدِيدِينَ أَلَا مَرُّ إِلَيْكَ

فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٩﴾

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٠﴾

أَصَدَقْتَ، فيما أخبرت، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ثم كتب سليمان كتاباً من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام

على من اتبع الهدى أما بعد فلا تلعوا عليّ وأتوني مسلمين، قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء

كانت تكتب جملاً لا يطيلون ولا يكثرون، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه. فقال للهدهد:

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، تتخ عنهم فكن قريباً منهم، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾، يردون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا

فألفه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، أي انصرف إليّ فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به إلى

بلقيس، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملاً من قومها.

[٢٩] ﴿قَالَتْ﴾، لهم بلقيس، ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾، وهم أشرف الناس وكبرأؤهم ﴿إِنِّي أَلْفِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾، قال عطاء والضحاك: سمته كريماً لأنه كان مختوماً، وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم أي حسن، ورؤي عن ابن عباس: كريم أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مصدراً ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت الكتاب.

[٣٠] فقالت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾، وبينت المكتوب فقالت، ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. [٣١] ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾، قال ابن عباس: أي لا تتكبروا عليّ. وقيل: لا تعظموا ولا تترفعوا عليّ. وقيل: معناه لا تمتنعوا عليّ من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، مؤمنين طائعين. قيل: هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

[٣٢] ﴿قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي أَمْرِي﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾، قاضية وفاصلة، ﴿أَمْرٌ حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾، أي تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُوا﴾، مجيبين لها، ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ﴾، في القتال، ﴿وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ﴾، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا، ﴿وَأَلْمُرُ إِلَيْكَ﴾، أيتها الملكة في القتال وتركه، ﴿فَأَنْظِرِي﴾، من الرأي، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، تجدين لأمرك مطيعين.

[٣٤] ﴿قَالَتْ﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، عنوة، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾، خربوها، ﴿وَجَعَلُوا آعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾،

أي أهانوا أشرفها وكبرأئها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْبِلَادِ الْيَسْرَةَ﴾، أي أهانوا أهل البلاد التي يسروها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَسْرَةً﴾، أي أهانوا أهل الأرض التي يسروها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْبِلَادِ الْيَسْرَةَ﴾، أي أهانوا أهل البلاد التي يسروها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَسْرَةً﴾، أي أهانوا أهل الأرض التي يسروها.

[٣٥] ثم قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾، والهدية هي العطية على طريق الملاطفة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملاً من قومها: إني مرسلَةٌ إليهم أي إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكي وأخبره بها أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه متاً إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَاطِرُهُ يَمُورُ بِرَجْعِ الْمُرْسَلُونَ﴾، فأهدت إليه، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله، ثم ردّ سليمان الهدية.

[٣٦] كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَهُ اللَّهُ﴾، أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك، ﴿خَيْرٌ﴾، أفضل، ﴿مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو وأمير الوفد.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾، بالهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُودٍ لَا قِبَلٍ لَهُمْ﴾، لا طاقة لهم، ﴿بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾، أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ، ﴿إِذْ لَوْ وَهَبْ صَعْرُونَ﴾، ذليلون إن لم يأتوني مسلمين، قال وهب وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما

[٣٨] ﴿قَالَتْ﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، عنوة، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾، خربوها، ﴿وَجَعَلُوا آعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾،

أي أهانوا أشرفها وكبرأئها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْبِلَادِ الْيَسْرَةَ﴾، أي أهانوا أهل البلاد التي يسروها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَسْرَةً﴾، أي أهانوا أهل الأرض التي يسروها.

[٣٩] ﴿قَالَتْ﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، عنوة، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾، خربوها، ﴿وَجَعَلُوا آعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾،

أي أهانوا أشرفها وكبرأئها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْبِلَادِ الْيَسْرَةَ﴾، أي أهانوا أهل البلاد التي يسروها، ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَسْرَةً﴾، أي أهانوا أهل الأرض التي يسروها.

تدعو إليه من دينك فأقبل سليمان حينئذ على جنوده.

[٣٨] ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، أي مؤمنين، وقال ابن عباس: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: لئريها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتكره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، وهو المارد القوي، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفراء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجنى، وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار، ﴿وَأِنِّي عَلَيْهِ﴾، أي على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾، على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

[٤٠] ف ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان. وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال سليمان: هات، قال أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه

كان عندك، فقال: صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: (قبل أن يرتد إليك طرفك) قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدّ بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. قال وهب: تمت عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾، يعني رأى سليمان العرش، ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾، محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلُوِيَّ أَشْكُرُ﴾، نعمه، ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾، فلا أشكرها، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِي﴾، عن شكره، ﴿كَرِيْمٌ﴾، بأفضال على من يكفر نعمه.

[٤١] قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾، يقول: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رآته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزداد فيه وينقص منه، ورؤي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجواهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿نَظَرَ النَّهْدِيُّ﴾، إلى عرشها فتعرفه، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنْ﴾، الجاهلين، ﴿الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، إليه، إنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفتشى إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولدًا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء السابقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكثير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٣٨٠

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْتَعِذُّ بِمَالِ مَاءِ اتْنَيْنِ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا  
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ مَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ  
 بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ  
 يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا إِلَيْكُمْ بِأَتْنَيْنِ بَعْرَشًا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾  
 قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي  
 عَلَيْهِ لَقَوِيْ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِيْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ  
 بِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا  
 مِنْ فَضْلِ رَبِّيْ لِيَبْلُوَنِيْ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
 لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيْ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرَّرْهَا وَعَرَشَهَا  
 نَظَرَ أَنَهْدِيْ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ  
 أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ  
 ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ  
 ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ  
 سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي  
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾، لها، ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، قال مقاتل: عرفته لكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل لا خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل: اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت: ﴿وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ﴾، بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسول، ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾، من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، منقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: قوله: ﴿وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ قاله سليمان، يقول: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وكنا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله.

[٤٣] قوله عز وجل: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله، أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل يكون (ما) في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً بل ما كانت تعبد من دون الله. وقيل: معناه وصددها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل (ما) نصباً، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، هذا استئناف أخير الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس.

[٤٤] قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين: إن رجليها

كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصرًا من زجاج، وقيل: بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً وقيل: الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها، فلما جاءت قيل لها: ادخلي الصرح، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾، وهي معظم الماء، ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾، لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾، مملس مستو، ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله

الْبُرُوقِ

٣٨١

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ نَسْتَعِجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِیْمَنَ مَعَكَ قَالَ طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ نَفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَهْطٌ یُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا یُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِن بَدَّلْنَا آهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا یَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُیُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآیَةٌ لِّقَوْمٍ یَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الذِّرَابَ ۖ أَتَمْنَا وَكَانُوا یَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَوَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَتَأْتُونَ الْفُلْجِحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ إِنِّتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ یَّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

فقلت: ربّ إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أخلصت له التوحيد، وقيل: إنها لما بلغت الصرح فظنت لهجة، قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل عليّ أهون من هذا فقولها: ﴿ظلمت نفسي﴾ تعني بذلك الظن.

[٤٥] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ﴾، أي أن، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وحده، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾، مؤمن وكافر، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، في الدين، قال مقاتل واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم)، إلى قوله: (يا صالح اتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين).

[٤٦] ف ﴿قَالَ﴾، لهم صالح، ﴿يَتَقَوَّمُ لِمَ نَسْتَعِجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، بالبلاء والعقوبة، ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾، العافية والرحمة، ﴿لَوْلَا﴾، هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾، بالتوبة من كفركم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ﴾، أي تشاءمنا، وأصله تطيرنا، ﴿بِكَ وَبِیْمَنَ مَعَكَ﴾، قيل: وإنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم. وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا: أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك، ﴿قَالَ طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم، سمي طائرًا لسرعة نزوله بالإنسان فإنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم، قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم. وقيل: طائرکم أي عملکم عند الله، سمي طائرًا لسرعة صعوده إلى السماء. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ نَفْتَنُونَ﴾، قال ابن عباس: تختبرون بالخير والشر، نظيره قوله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)، وقال محمد ابن كعب القرظي: تعذبون.

[٤٨] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، يعني

مدينة ثمود وهي الحجر، ﴿شَعَةٌ رَهْطٌ﴾، من أبناء أشرافهم، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا یُصْلِحُونَ﴾، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها؛ كانوا يعملون بالمعاصي.

[٤٩] ﴿قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ﴾، تحالفوا، يقول بعضهم لبعض: احلفوا بالله أيها القوم، وموضع تقاسموا جزم على الأمر، وقال قوم: محله نصب على الفعل الماضي، يعني أنهم تحالفوا وتوافقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ﴿لَئِن بَدَّلْنَا آهْلَهُ﴾، أي قومه الذين أسلموا معه، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (لئینته) و(لتقولن) بالتاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾، أي لولي دمه، ﴿مَا



النمل

٣٨٢

سورة النمل

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَّا لُوطٌ مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَهِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ فَدَرَرَتْهَا مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَكُمْ لَأَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلَائِفًا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ تَعْلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَهِرُونَ ﴿٥٦﴾، من أديار الرجال.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ فَدَرَرَتْهَا﴾، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿مِنَ الْغَيْرِينَ﴾، أي الباقيين في العذاب.

﴿٥٨﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا﴾، وهو الحجارة، ﴿فَسَاءً﴾ فبس، ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، وقيل: على جميع نعمه، ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، دليله قوله عز وجل: (وسلام على المرسلين)، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك: هم أصحاب محمد ﷺ. وقال الكلبي: هم أمة محمد ﷺ. وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين

شَهَدْنَا ﴿٥٦﴾، ما حضرنا، ﴿مَهْلِكِ أَهْلِهِ﴾، أي إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿وَأَنَا لَصَدِيقُونَ﴾، في قولنا ما شهدنا ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾، غدروا غدرا حين قصدوا تبئيت صالح والفتك به، ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا﴾، قرأ أهل الكوفة (أنا) بفتح الألف رداً على العاقبة، أي أنا دمرناهم، وقرأ الآخرون (إنا) بالكسر على الاستئناف، ﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾، أي أهلكناهم التسعة. واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهن الملائكة بالحجارة من حيث يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أهلكنهم الله بالصيحة.

﴿٥٢﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾، نصب على الحال أي خالية، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾، أي بظلمهم وكفرهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعبرة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قدرتنا.

﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف.

﴿٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، وهي الفعلة القبيحة، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتوا منهم.

﴿٥٥﴾ ﴿أَبْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا

واللاحقين، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم: (يشركون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار، يقول: الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها والمعنى: أن الله نجى من عبده من الهلاك، والأصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب بهم.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، معناه ألهمتكم خير أم الذي خلق السموات والأرض، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾، بساتين جمع حديقة، قال الفراء: الحديقة البستان المحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ذَلِكَ بِهَيْجَةٍ﴾، أي منظر حسن، والبهجة: الحسن يتهج به من يراه، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُلْبَسُوا شَجَرَهَا﴾، أي ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ﴾، استفهام على طريق الإنكار أي هل معه معبود سواه يعينه على صنعه بل ليس معه إله. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾، يعني كفار مكة، ﴿يَعْدِلُونَ﴾، يشركون.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، لا تميد بأهلها، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾، وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾، تترد بالمياه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾، جبلاً ثوابت، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب والمالح، ﴿حَاجِرًا﴾، مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، توحيد ربهم وسلطانه.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾، المكروب المجهود، ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، الضر، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾، سكانها يهلك قرناً وينشئ آخر. وقيل: يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾، إذا سافرتهم، ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا نَبَتْ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ أي قدام المطر، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، بعد الموت، ﴿وَمَنْ يُرْفَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ قُلَّ هَاوُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، حججتكم على قولكم أن مع الله إلهاً آخر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، نزلت في المشركين حيث سألو النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾، متى، ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: (أدرك) على وزن أفعل أي بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا﴾، يعني هم اليوم في شك من الساعة وقرأ الآخرون بل ادرك موصولاً مشدداً مع الألف بعد الدال المشدد، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق، وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنة، وهم في شك منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه، قراءة ابن عباس (بلى) بإثبات الياء، (أدراك) بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك،

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣٨٣

سُورَةُ النَّامِلِ

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرِثُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 أَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾  
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ  
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٧﴾ بَلْ أَدْرَكْهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ  
 فِي شَكٍّ مِمَّا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا أَبَاؤُنَا أَيْتَانَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا  
 هَذَا نَحْنُ وَءِابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٧٠﴾  
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ  
 ﴿٧١﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٢﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ عَسَى  
 أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ  
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّ  
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ  
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٧﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
 يَفُصِّحُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٨﴾

﴿٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ، تخفي،  
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.

﴿٧٥﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ، أي جملة غائبة من مكتوم  
 سرٍّ وخفي أمرٍ وشيءٍ غائب، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا  
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، أي في اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّحُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أي  
 يبين لهم، ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر  
 الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما  
 بينهم فصاروا أحزابًا يطعن بعضهم على بعض،  
 فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه.

﴿٧٧﴾ وَإِنَّهُ، يعني القرآن ﴿لَهْدَى وَرَحْمَةً  
 لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي، يفصل، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي  
 بين المختلفين في الدين يوم القيامة، ﴿بِحُكْمِهِ﴾،  
 الحق، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، المنيع فلا يرد له أمر،

وجملة القول فيه أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم  
 القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها  
 من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة  
 في الدنيا، وذكر علي بن عيسى أن معنى (بل) ههنا  
 لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة  
 لم يشكوا بل هم في شك منها، بل هم اليوم في  
 الدنيا في شك من الساعة. ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾،  
 جمع عم وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول  
 هم جهلة بها.

﴿٦٧﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني مشركي  
 مكة، ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا أَبَاؤُنَا أَيْتَانَا لَمُخْرَجُونَ﴾، من  
 قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة (إذا) غير مستفهم  
 (أنا) بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي (أنا)  
 بهمزتين أنا بنونين، وقرأ الآخرون باستفهامها.

﴿٦٨﴾ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا﴾، أي هذا البعث، ﴿نَحْنُ  
 وَءِابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل محمد وليس ذلك  
 بشيء ﴿إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾،  
 أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوا.

﴿٦٩﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
 عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿٧٠﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، على تكذيبهم إياك  
 وإعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾،  
 نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

﴿٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾، أي دنا وقرب،  
 ﴿لَكُمْ﴾، وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه  
 اللام كما أدخل في قوله: (لربهم يرهبون) قال  
 الفراء: اللام صلة زائدة كما تقول: نقدته مائة  
 ونقدت له ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب فحل  
 بهم ذلك يوم بدر.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، قال  
 مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم  
 العذاب، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ذلك.

الناس، وقرأ الباقون بالكسر على الاستثناف، أي إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: (تكلمهم) وفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية (تكلمهم) أو (تكلم) قال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَرَجًا﴾ أي من كل قرن جماعة، ﴿مَنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾، وليس من ههنا للتبعيض لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا إلى النار.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ﴾، يوم القيامة، ﴿قَالَ﴾، الله لهم، ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عُلَمَاءُ﴾، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمَّا أَمْزَأَ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتهم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتهم بها جاهلين.

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾، بما أشركوا، ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون)، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة.

[٨٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا خَلْقَنَا﴾ ﴿الَّذِينَ لَيْسَ كُنُوفُهُمْ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، مضياً يبصر فيه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون فيعتبرون.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وقال الحسن: الصور هي القرن، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى

﴿الْعَلِيمِ﴾، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾،

الْبَيِّن.

[٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، يعني الكفار، ﴿وَلَا تَسْمِعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، معرضين، فإن قيل ما معنى قوله: (ولو مدبرين)، وإذا كانوا صمًا لا يسمعون سواء ولو أو لم يولوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضرًا فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبرًا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع.

[٨١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى﴾، قرأ الأعمش وحمزة (تهدى) بالتاء وفتحها على الفعل (العمي) بنصب الياء ههنا وفي الروم، وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم، (العمي) بكسر الياء، ﴿عَنْ صَلَاتِنَهُمْ﴾، أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، ﴿إِنْ تَسْمِعُ﴾، ما تسمع، ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾، إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، قال مقاتل: تكلمهم بالعربية، فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخير الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل الكوفة (أن الناس) بفتح الألف أي بأن

الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿فَفَرَجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي فصق كما قال في آية أخرى: (فصق من في السموات ومن في الأرض)، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقي عليهم الفرع إلى أن يموتوا وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين، قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: (إلا من شاء الله)، قال: هم الشهداء المقلدون أسيافهم حول العرش<sup>(١)</sup>. وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفرع إليهم، وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله أي الذين استشهدوا الله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل: يعني جبريل ومكائيل وإسرافيل وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح ملك الموت، ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل ﴿وَكُلُّ﴾ أي كل الذين أحيوا بعد الموت، ﴿أَتَوْهُ﴾، قرأ الأعمش وحمزة وحفص (أتوه) مقصوراً بفتح التاء على الفعل أي جاءوه، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى: (وكلهم آتاه يوم القيامة فرداً) ﴿ذَخِيرِينَ﴾، صاغرين.

[٨٨] قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا﴾، قائمة واقفة، ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾، أي تسير سير السحاب، ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾، نصب على المصدر، ﴿الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، يعني أحكم، ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾، بكلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني أن الحسنه لا إله إلا الله. وقال قتادة: بالإخلاص. وقيل: هي كل

وَرِثَهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُتَوَكِّلِينَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينًا ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تَحْطِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لَيْلَىٰ لَيْسَتُكُونُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرَاتٍ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ نَبْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ ذَخِيرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

الطاعة، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنَّا﴾، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه يعني له من تلك الحسنه خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إله إلا الله. وقيل: ﴿فله خير منها﴾ يعني رضوان الله، قال تعالى: (ورضوان من الله أكبر)، وقال محمد بن كعب: قال عبد الرحمن ابن زيد: ﴿فله خير منها﴾ يعني الأضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرًا فصاعداً، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سبيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف ولا مطمع

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢٤٩/٧) لأبي يعلى والدارقطني وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.

سورة القصص

٣٨٥

سورة القصص

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجِ يَوْمِئِذٍ ءَامُونَ ﴿٩١﴾  
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ  
 إِلَّا مَا كَسَبَتْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ  
 الْبَلَدِ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ  
 الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي  
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ  
 لِلَّهِ سُبْحَانَ عَيْنَيْهِ فَعَرَفُونَهَا وَأَمَّا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

## سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُوا عَلَيْكَ  
 مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ  
 فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ  
 طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَدِيحَ آيَاتِهِ هُمْ وَاسْتَحَىٰ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ  
 مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَزُرِّيذًا نَمَّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ  
 فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

## سورة القصص (٢٨)

[١] ﴿طَسَّ﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

[٣] ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾،

بالصدق، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون بالقرآن.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾، استكبر وتجبّر وتعظّم،

﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾

فرقًا وأصنافًا في الخدمة والتسخير، ﴿يَسْتَضِعُّ

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، أراد الطائفة بني إسرائيل، ثم فسّر

الاستضعاف فقال، ﴿بَدِيحَ آيَاتِهِ هُمْ وَاسْتَحَىٰ

نِسَاءَهُمْ﴾. سمى هذا استضعافًا لأنهم عجزوا أو

للخصوم في الأضعاف ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، ﴿وَهُمْ مِنْ فَرَجِ يَوْمِئِذٍ ءَامُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة من فرع بالتونين يومئذ بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فرع ذلك اليوم، وبالتونين كأنه فرع دون فرع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، يعني الشرك، ﴿فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، يعني ألقوا على وجوههم، يقال: كَبَّتْ الرَّجُلُ إِذَا أَلْقَيْتَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَانكَبَ وَأَكَبَ، وتقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشرك.

[٩١] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أمرت، ﴿أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدِ﴾، يعني مكة، ﴿الَّذِي حَرَمَهَا﴾، يعني جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، خلقًا وملكًا، ﴿وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، لله.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾، يعني وأمرت أن أتلوا القرآن، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، أي نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾، عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، من المخوفين فليس عليّ إلا البلاغ، نسختها آية القتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على نعمه، ﴿سُبْحَانَ عَيْنَيْهِ﴾، يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله عزّ وجلّ (سأريكم آياتي فلا تستعجلون)، وقال مجاهد: سيريكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكم، كما قال: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)، ﴿فَعَرَفُونَهَا﴾، يعني تعرفون الآيات والدلالات،

استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه.

[٨] ﴿فَالْقَطَطُ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة والكسائي (حزناً) بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَحُوْدُهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾، عاصين آثمين.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ دعه يكون قرة عين لي ولك، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾، وروي أنها قالت له إنه أتانا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أن هلاكهم على يديه فاستجياه فرعون وألقى الله عليه محبته.

[١٠] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِجًا﴾، أي خاليًا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: فارغًا أي ناسيًا للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتله فرعون ورجاله فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقىته في البحر، وأغرقتيه، فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: فارغًا أي فارغًا من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى وأنكر القتيبي هذا وقال: كيف يكون هذا والله تعالى

ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٥] ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِيكِ اسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني بني إسرائيل، ﴿وَتَجَمَّلَهُمْ آيَمَةً﴾، قادة في الخير يقتدى بهم. وقال قتادة: ولاة وملوكًا دليله قوله عز وجل: (وجعلكم ملوكًا)، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. ﴿وَتَجَمَّلَهُمْ الْوَرِثِيكِ﴾، يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم.

[٦] ﴿وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أوطن لهم في الأرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكانًا يستقرون فيه، ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾، قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (يرى) بالياء وفتحها، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَحُوْدُهُمَا﴾، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده يوقع الفعل عليه، ﴿مَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، والحذر هو التوقي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو وحي إلهام ولا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب، ﴿أَنَّ أَرْضِيهِ﴾، واختلفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿فَإِذَا خَفَّتْ عَلَيْهِ﴾، يعني من الذبح، ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، واليم البحر وأراد ههنا النيل، ﴿وَلَا تَخَافِ﴾، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، على فراقه، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر

سورة القصص

٣٨٦

سورة القصص

وَنَمَكْنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّيَ فِرْعَوْنُ وَهَمَنُ وَجُنُودُهُمَا  
 مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ  
 أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي  
 وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾  
 فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَانًا  
 فِرْعَوْنَ وَهَمَنُ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾  
 وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ  
 أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا شَعُورُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ  
 فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَدْرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ  
 رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ  
 لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ  
 ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ  
 عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾  
 فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ  
 أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأتينا بها، فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه فذلك قوله تعالى:

[١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، برد موسى إليها، ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾، أي لتلا تحزن، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، برده إليها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن الله وعدها رده إليها.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشر سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾، أي بلغ أربعين سنة، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه ﴿ءَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، أي الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى

يقول: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، والأول أصح قوله عز وجل: (إن كادت لتبدي به)، قيل: الهاء في به راجعة إلى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول وابناه. وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب: موسى بن فرعون، فشق عليها وكادت تقول: بلى هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده إليها، (لولا أن ربطنا على قلبها)، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، المصدقين لوعده الله حين قال لها: (إنا رادوه إليك).

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾، أي لمريم أخت موسى ﴿قُصِّيهِ﴾، اتبعي أثره حتى تعلمي خبره، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾، أي عن بعد، وفي القصة أنها كانت تمشي جانبًا وتنظر اختلاسًا تُري أنها لا تنظره، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أنها أخته وأنها ترقبه، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كل همها من الدنيا أن تجد له مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله عز وجل:

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل مجيء أم موسى فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم: هل أدلكم؟ وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديًا ويصيح وهم في طلب مرضعة له، ﴿فَقَالَتْ﴾، يعني أخت موسى، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾، أي يضمونه ﴿لَكُمْ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيرًا ترضعه، ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾،



وحكم قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٥] قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر. وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، ﴿عَلَى حَيْنٍ غَفْلَةً مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة. وقال محمد ابن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء. واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت. قال السدي: وذلك أن موسى كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾، يختصمان ويتنازعان، ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾، من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾، من القبط وقيل: هذا من شيعته وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر، ﴿فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثة طلب العوث فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾، وقرأ ابن مسعود (فلكره موسى) ومعناها واحد وهو الضرب بجميع الكف. وقيل: الوكر الضرب في الصدر واللكز في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكر الدفع بأطراف الأصابع ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾، أي فقتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، أي بين الضلالة.

سورة القصص

٣٨٧

المؤمنين

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَآيَنتهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا

فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ

فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى

فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَوْلَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ

﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ

ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا

الَّذِي اسْتَعْتَرَهُ بِآلِئِمْسٍ يَسْتَصْرِخُهِ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ

مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ

يَمُوسَى أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِآلِئِمْسٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا

أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْأَمْلَأُ

بِأَتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

[١٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، بالمغفرة، ﴿فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا﴾، عونًا، ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

[١٨] ﴿فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿خَائِفًا﴾، من قتله القبطي، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾، ينتظر سوءاً، والترقب: انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَعْتَرَهُ بِآلِئِمْسٍ يَسْتَصْرِخُهُ﴾، يستغيثه ويصيح به من بُعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾، للإسرائيلي، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ

قد خرج خائفًا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَيْتَ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها.

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾، جماعة، ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾، مواشيهم، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾، يعني سوى الجماعة، ﴿أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾، يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، قال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس. وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشد وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله: ﴿قَالَ﴾، يعني موسى للمراتين، ﴿مَا خَطَبَكُمَا﴾، ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾، أغنامنا، ﴿حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر (يُصَدِّرُ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لأننا امرأتان لا نطبق أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، لا يقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك والسدى والحسن: شعيب النبي عليه السلام. وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبيرة: هو بيرون بن أخي شعيب، فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقطع صخرة من رأس بئر لا يطبق رفعها إلا جماعة من الناس، فسقى غنم

مُيِّنٌ، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسبك، وتقاتل اليوم آخر وتستغثني عليه وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك. والأول أصوب وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

[١٩] ﴿فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، وذلك أن موسى أدركته الرقة بالإسرائيلي فعذ يده ليبطش بالفرعوني فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش له لما رأى من غضبه ومع قوله إنك لغوي مبين، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَن نَقْتَلِي كَمَا قُتِلْتُمْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ﴾، ما تريد، ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، بالقتل ظلمًا، ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾، من شيعة موسى، ﴿مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾، أي من آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾، أي يسرع في مشيه فأخذ طريقًا قريبًا حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقًا آخر، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِرُونَ بِكَ﴾، يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾، قال الزجاج: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك، ﴿فَأَخْرَجَ﴾، من المدينة، ﴿إِنِّي لَكَّ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾، في الأمر لك بالخروج.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾، موسى، ﴿حَافِيًا يَرْقُبُ﴾، أي ينتظر الطلب، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾، أي قصد نحوها ماضيا يقال: داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، قال الزجاج: يعني سلك الطريق التي يلقي مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلدة باسمه، وكان موسى

المرأتين. فذلك قوله:

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾، ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾، من طعام، ﴿فَقَفِيرٌ﴾، قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى يقال: هو فقير له وفقير إليه يقول: إني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه. فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه لي.

[٢٥] قال الله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسلفع من النساء خراجه ولاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كُم درعها على وجهها استحياء ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله، ﴿قَالَ لَا تَحْفَظْتِ بَحْرَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَّابَتْ أَسْتَحْجِرَةَ﴾، اتخذه أجييراً ليرعى أغنامنا، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَحْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾، يعني خير من استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل: إلا أربعون رجلاً، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك.

القصص

٣٨٨

سورة القصص

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا وُودِمَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَحْفَظْتِ بَحْرَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَّابَتْ أَسْتَحْجِرَةَ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَحْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمْلِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ فَضَيِّتْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ شعيب عند ذلك، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمْلِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ﴾ قيل: زوجه الكبرى وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْجًا﴾، يعني أن تكون أجييراً لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني اجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثماني حجج، تقول العرب: أجرك الله بأجرك أي أثابك، والحجج السنون واحدها حجة، ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، أي إن أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عليك، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾، أن أزمك تمام العشر إلا أن تتبرع، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، قال عمر: يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾، يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت علي فلك وما شرطت أن تزوج إحداهما فلي، والأمر بيننا، تم الكلام، ثم قال: ﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتَ﴾، يعني أي الأجلين (وما) صلة نصب بمعنى أتممت أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ﴾ لا ظلم لي بأن أطالب بأكثر منهم، ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾، يعني أتمه وفرغ منه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، فخرج بأهله إلى جانب مصر، ﴿ءَأَنسَكُ﴾، يعني أبصر، ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي ءَأَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأْتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾، يعني عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث لغات: قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها أجدى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، تستدفنون.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَلْطِي الْوَادِ الْأَيْتَنِ﴾، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾، لموسى جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيًا. وقال عطاء: يريد المقدسة، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، من ناحية الشجرة، ﴿أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿وَأَن يَجَانِبَ﴾، وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، ﴿وَأَن يَمُوسَىٰ﴾، هاربًا منها، ﴿وَأَن يَعْصِبَ﴾، لم يرجع فنودي، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾، ﴿إِنَّكَ مِنَ الْإِيْتِينَ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْأَلُكَ﴾، أدخل ﴿بِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا﴾

الطُّورِ

٣٨٩

سُورَةُ الْقَصَصِ

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ ءَأَنسَكُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي ءَأَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأْتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَلْطِي الْوَادِ الْأَيْتَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ بِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَلَذَكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ءَأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَسُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلْنَا لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعٰلَمُونَ ﴿٣٥﴾

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام بضم الواو وسكون الهاء وفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحها وكلها لغات بمعنى الخوف ومعنى الآية إذا هالك أمر يدك ما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى والجنح اليد كلها. وقيل: هو العضد. وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم: أمره الله بضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية. وقيل: المراد من ضم الجنح السكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) يريد الرفق، وقوله: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ارفق بهم

وَأَلَّنْ جَانِبَكَ لَهُمْ، وَقَالَ الْفَرَاءُ: أَرَادَ بِالْجَنَاحِ الْعَصَا، مَعْنَاهُ اضْمُمْ إِلَيْكَ عَصَاكَ، وَقِيلَ: الرَّهْبُ الْكَمُّ بِلُغَةِ حَمِيرٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ يَقُولُ: أَعْطَنِي مَا فِي رَهْبِكَ أَي فِي كَمِّكَ، مَعْنَاهُ اضْمُمْ إِلَيْكَ يَدَكَ وَأَخْرِجْهَا مِنَ الْكَمِّ، لِأَنَّهُ تَنَاوَلَ الْعَصَا وَيَدَهُ فِي كَمِّهِ، ﴿فَلَذَائِكَ﴾، يَعْنِي الْعَصَا وَالْيَدَ الْبَيْضَاءَ، ﴿رُهْنَانٍ﴾، آيَاتَانِ، ﴿مَنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِلْعَقْدَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي لِسَانِهِ مِنْ وَضْعِ الْجَمْرَةِ فِي فِيهِ، ﴿فَارْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾، عَوْنًا، يُقَالُ: رَدَأْتَهُ أَي أَعْنَيْتَهُ، ﴿يُصَدِّقُنِي﴾، قَرَأَ ابْنُ عَمْرٍو وَعَامِرٌ وَحَمْزَةٌ بَرَفْعِ الْقَافِ عَلَى الْحَالِ، أَي رَدًّا مُصَدِّقًا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْجَزْمِ عَلَى جَوَابِ الدَّعَاءِ وَالتَّصْدِيقِ لِهَارُونَ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، قَالَ مِقَاتِلٌ: لَكِي يَصَدِّقُنِي فِرْعَوْنُ، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾، يَعْنِي فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، أَي نَقْوِيكَ بِأَخِيكَ وَكَانَ هَارُونُ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ، ﴿وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَانًا﴾، حِجَّةً وَبِرْهَانًا، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا﴾، أَي لَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِقَتْلِ وَلَا سَوْءِ لِمَكَانِ آيَاتِنَا، وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا بِآيَاتِنَا بِمَا نَعْطِيكُمْ مِنْ الْمَعْجَزَاتِ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا، ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْفَٰغِلُونَ﴾، أَي لَكُمْ وَلَا تَبَاعِكُمَا الْعَلْبَةُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾، وَاضْحَاتِ، ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى﴾ مَخْتَلَقٌ ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، بِالَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ، ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ [٣٦] وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [٣٧] وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمُنُنَّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٣٨] وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ [٣٩] فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [٤٠] وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ [٤١] وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ [٤٢] وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَافِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [٤٣]

[٣٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾، بِالْمَحَقِّ مِنَ الْمَبْطَلِ، ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، يَعْنِي الْعَاقِبَةَ الْمَحْمُودَةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، يَعْنِي الْكَافِرُونَ.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمُنُنَّ عَلَى الطِّينِ﴾، يَعْنِي فَاطْبِخْ لِي الْآجِرَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْآجِرَ وَبَنَى بِهِ، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾، قَصْرًا عَالِيًا، وَقِيلَ: مَنَارَةٌ، ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، أَنْظِرْ إِلَيْهِ وَأَقِفْ عَلَى حَالِهِ، ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ﴾، يَعْنِي مُوسَى، ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، فِي زَعْمِهِ أَنَّ لِلْأَرْضِ وَاللَّخْلِقِ إِلَهًا غَيْرِي، وَأَنَّهُ رَسُولُهُ.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾، قَرَأَ نَافِعٌ وَحَمْزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: (يُرْجَعُونَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ

وكسر الجيم، والباقون بضم الباء وفتح الجيم.  
[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَخُوْدُهُ فَنَبَذْنَهُمْ﴾،  
فألقيناهم، ﴿فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ  
الظَّالِمِينَ﴾.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾، قادة ورؤساء،  
﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ﴾، لا  
ينجون من العذاب.

[٤٢] ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، خزيًا  
وعذابًا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾، من  
المبعدين الملعونين، وقال أبو عبيدة: من  
المهلكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من  
المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون، يقال:  
قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحًا، ويقال: قبحه قبحًا  
وقبحًا إذا أبعده من كل خير.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ  
مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾، يعني قوم نوح  
وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿بصكائر  
للنَّاسِ﴾، يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهدتوا به،  
﴿وَهُدَى﴾، من الضلال لمن عمل به، ﴿وَرَحْمَةً﴾،  
لمن آمن به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بما فيه من  
المواعظ والبصائر.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾،  
يعني بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي،  
وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي. قال ابن  
عباس رضي الله عنهما: يريد حيث ناجى موسى  
ربه، ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾، يعني عهدنا إليه  
وأحکمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه،  
﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، الحاضرين ذلك المقام  
فتذكره من ذات نفسك.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾، خلقنا أمما من بعد  
موسى عليه السلام، ﴿فَنَطَّأُوا عَلَيْهِمُ الْعَمْرُ﴾، أي  
طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا  
أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ  
مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٤٤] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَّأُوا عَلَيْهِمُ  
الْعَمْرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ  
ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [٤٥] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ  
الْطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا  
مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤٦]  
﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا  
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا  
لَوْلَا أَوْفِيٌّ مِّثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ  
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفٍ  
مِّنْكُمْ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَن تَتَّبِعَهُ  
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤٩] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ  
أَنَّآ يَبْتَغُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ  
هُدًى مِّنْ اللَّهِ إِنَّكَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٠]

عهدًا في محمد والإيمان به، فلما طال عليهم  
العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود  
وتركوا الوفاء بها، ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾، مقيمًا،  
﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، كمقام موسى وشعب فيهم،  
﴿تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾، تذكرهم بالوعد والوعيد،  
قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على  
أهل مكة خبرهم، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، أي  
أرسلناك رسولًا وأنزلنا عليك كتابًا فيه هذه  
الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم  
تخبرهم بها.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾، بناحية الجبل  
الذي كلم الله عليه موسى، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾، قيل: إذ  
نادينا موسى خذ الكتاب بقوة، ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن  
رَّبِّكَ﴾ أي ولكن رحمتناك رحمة بإرسالك  
وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة

عنك، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾، يعني أهل مكة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾، عقوبة ونقمة، ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعصية، ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أُرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة، يعني لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم لثلاثا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينا، قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾، من قبل محمد ﷺ، وقيل: من قبل القرآن، ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذي قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ. وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله! إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فنزل فيهم: (الذين آتيناهم الكتاب) إلى قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون)، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

[٥٣] ﴿وَإِذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾، وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿قَالُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أُوتِيَ﴾، محمد، ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾، من الآيات كاليد البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أوتي موسى كتاباً جملة واحدة. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾، أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، قرأ أهل الكوفة: (سحران) أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوي الآخر نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، قال الكلبي: كانت مقالاتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول الله ﷺ إلى رؤوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: سحران تظاهرا، وقرأ الآخرون: (ساحران) يعنون محمداً وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد ﴿فَاتُوا بِكِتَابِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أهدىٰ مِّنْهُمَا﴾، يعني من التوراة والقرآن، ﴿اتَّبِعْهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾، أي لم يأتوا بما

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿يَمَا صَبْرًا﴾، على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك، قال مقاتل: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، في الطاعة.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾، القبيح من القول، ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبأ لكم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾، لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة، معناه سلمتم منا لا نعاوضكم بالشتم والقبح من القول، ﴿لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾، أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسعة، وهذا قيل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقرابته، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، قال مجاهد ومقاتل: بمن قدر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>.

[٥٧] ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِئِ الْهَدْيِ مَعَكَ نُنْخِطُ مِنْ أَرْضِنَا﴾، أرض مكة، نزلت في الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق ولكننا إن اتبعناك على دينك خفتنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، وهو معنى قوله: (نتخطف من أرضنا)، والاختطاف

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَايَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَأْتِي عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ ءَامَنَّا بِهِ ءَإِن نَّهَىٰ عَنْهُ لَأَنفِكْنَا مِن قَبْلِهِ ءَمُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّبِئِ الْهَدْيِ مَعَكَ نُنْخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامَنَّا بِحَيْثُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ فِي بَطْرَتٍ مَعِيشَتَهَا فُتِنَاتٌ مَسَكْنَتُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهَا إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَارِ سُورًا يَلْتَلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامَنًا﴾، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا، لحرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الطباء من الذناب والحمام من الحداة، ﴿يُجِئُ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب: (تجبي) بالتاء لأجل الثمرات، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي يجلب ويجمع، ﴿إِلَيْهِ﴾، يقال: جبيت العامة في الحوض أي جمعته، قال مقاتل: يحمل إلى الحرم، ﴿تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن ما يقوله حق.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٢٤) ٥٥/١ والبخاري مطولاً بلفظ آخر في التفسير ٦٥٠/٨.



[٦٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، في الدنيا أنهم شركائي.

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أوجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة، ﴿رَبَّنَا هَاتُوا لَنَا آيَاتِنَا﴾ أي دعونا إلى الغي وهم الأتباع، ﴿أَفْعَوْنَاهُمْ كَمَا وَعَيْنَا﴾، أضللناهم كما ضللنا، ﴿تَرَانَا إِلَيْنَا﴾ منهم، ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاعِبِينَ﴾، برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو).

[٦٤] ﴿وَقِيلَ﴾، للكفار، ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، أي الأصنام لتخلصكم من العذاب، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، لم يجيبوهم، ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾، وجواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

[٦٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، أي يسأل الله الكفار، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ﴾، خفيت واشتبهت، ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾، أي الأخبار والأعداء، وقال مجاهد: الحجج، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فلا يكون لهم عذر ولا حجة، ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾: لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجون، وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾، من السعداء الناجين.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم. قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَخْتَارَ﴾، قيل: (ما) للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي يختار ما هو الأصلح والخير. وقيل: هو للنفى أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال تعالى:

[٥٨] قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي من أهل قرية، ﴿بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا﴾، أي في معيشتها، أي أشرت وطغت، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿فَلَيْكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافرون وما رأوا الطريق يوماً أو ساعة، معناه لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً. وقيل: معناه لم يعمر منها إلا أقالها وأكثرها خراب، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾، كقوله: (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها).

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾، أي القرى الكافر أهلها، ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾، يعني في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أم ما حولها، ﴿يَنلُؤُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، مشركون، يريد أهلكهم بظلمهم.

[٦٠] ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة القراء: (تعقلون) بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء.

[٦١] ﴿أَفَنَنْ وَعَدَدَهُ وَعَدًّا حَسَنًا﴾، أي الجنة، ﴿فَهُوَ لَنَقِيهِ﴾، مصيبه ومدركه وصائر إليه، ﴿كَمَنْ مَنَعْتَهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ويزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار، قال قتادة: يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقال محمد بن كعب: نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣٩٣

سُورَةُ الْقَصَصِ

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا وَمَا عِنْدَ  
 اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا  
 فَهُوَ لَقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ  
 كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ  
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا  
 يَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُفْرِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٧٣﴾  
 لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يهْتَدُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ  
 فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ  
 يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ  
 صَالِحًا فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَبُّكَ  
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ  
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ  
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ  
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٠﴾

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة، والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضاً كما يقال: محمد خيرة الله من خلقه، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، يظهرون.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾، فصل القضاء بين الخلق. قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٧١] قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، أخبروني يا أهل مكة، ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾، دائماً، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، لا نهار معه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، سماع فهم وقبول.

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، لا دليل فيه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُوتٍ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ما أنتم عليه من الخطأ.

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، أي في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار، ﴿وَلَمَّا كُنتُمْ تَسْكُرُونَ﴾، نعم الله عز وجل.

[٧٤] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ.

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولهم الذي أرسل إليهم كما قال: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ﴿فَقُلْنَا

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، حجتكم بأن معي شريكاً. ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾، التوحيد، ﴿لِلَّهِ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾، في الدنيا.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾، كان ابن عمه لأنه قارون بن يصر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى كان أخا عمران، وهما ابنا يصر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري، ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾، قيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغى عليهم ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال، وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وَأَنبَأْنَاهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾، هي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به

الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتيح خزائنه، كما قال: (وعنده مفاتيح الغيب) أي خزائنه ﴿لَسَوْأَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾، لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لتثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلًا، واختلفوا في عدد العصبة، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلًا. وقيل: سبعون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾، قال لقارون قومه من بني إسرائيل، ﴿لَا تَفْرَحْ﴾، لا تبطر ولا تأشر ولا تفرح، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

[٧٧] ﴿وَأَنْبَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله، ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم، وقال علي: لا تنس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة، قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الحديث صحيح مرسل<sup>(١)</sup>. قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال: قوتك وقوت أهلك، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، ﴿وَلَا تَبْغِ﴾، لا تطلب، ﴿الْفَسَادَ فِي

٣٩٤

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الِئْتِلَافَ سَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَأَنْتُمْ سَمْعُونَ ﴿٧٦﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الِئْتِلَافَ وَالنَّهَارَ لَسْكُونًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٦﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٧﴾ إِنْ قُلْتُمْ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبِعَنِّي عَلَيْهِمْ وَعَالِيْنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا مِنْ مَفَاتِحَةٍ لِنُحْنُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَنْبَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسُ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

الْأَرْضِ﴾، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٧٨] ﴿قَالَ﴾، يعني قارون، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك فضّلني بهذا المال عليكم كما فضّلني بغيره، قيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد ابن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف

(١) أخرجه مرسلًا كما ذكر المصنف أبو نعيم في الحلية ٤ / ١٤٨ والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم والعمل ص ٢١٨ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣ / ٢٢٣ ووصله الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٤ / ٢٢٤ وابن المبارك في الزهد ص ٢ بسند صحيح. انظر فتح الباري ١١ / ٢٣٥.

الْحَيَاتِ الْكَاثِرَاتِ

٣٩٥

سُورَةُ الْقَصَصِ

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ  
 مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا  
 وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ  
 فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا نَبِئْت لَنَا  
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنَا أَنَّهُ لَدُوْحٌ عَظِيْمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ  
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ  
 وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَهَا إِلَّا الْآصِفِيَّةُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا  
 بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِتْنَةٍ يَصْخَرُوهٗ مِن دُونِ  
 اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا  
 مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآثُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَن  
 يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا  
 وَيَكَآثُهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا  
 لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ  
 ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا  
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: (على علم عندي) بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ﴾، الكافرة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾، للأموال، ﴿وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم. قال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تبرع وتوبيخ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا نَبِئْت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنَا أَنَّهُ لَدُوْحٌ عَظِيْمٌ، من المال.

[٨٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأخبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتو العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا. ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿لِّمَن ءَامَنَ﴾، وصدق بتوحيد الله، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، مما أوتي قارون في الدنيا، ﴿وَلَا يُلْقَهَا إِلَّا الْآصِفِيَّةُونَ﴾، قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة. وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

[٨١] قوله عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِتْنَةٍ﴾، من جماعة، ﴿يَصْخَرُوهٗ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يمنعونه من الله، ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾، الممتنعين مما نزل به من الخسف.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾، صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني ﴿يَقُولُونَ وَيَكَآثُ اللَّهُ﴾، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد:

ألم تعلم، وقال قتادة: ألم تر. قال الفراء: هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وعن الحسن: أنه كلمة ابتداء تقديره أن الله ييسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بمنزلة إلا وقال قطرب: ويك بمعنى ويلك حذفت اللام منه وقال الخليل: وي مفصولة من كان ومعناها التعجب كما يقول: وي لم فعلت ذلك، وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي متندمين على ما سلف منهم وكان معناه أظن ذلك وأقدره، كما تقول: كأن الفرح قد أتاك أي أظن ذلك وأقدره، ﴿يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، أي يوسع ويضيق، ﴿لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾، قرأ حفص ويعقوب بفتح الخاء والسين وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿وَيَكَآثُهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ﴿٨٥﴾، قال الكلبي ومقاتل: استكباراً عن الإيمان، وقال عطاء: علواً واستطالة على الناس وتهاوناً بهم. وقال الحسن: لم تطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانها. وعن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾، قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. قال ابن جريج ومقاتل: العمل بالمعاصي، ﴿وَالْعَبِيَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أمره واجتناب معاصيه. قال قتادة: الجنة للمتقين.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾، أي أنزل عليك القرآن - على قول أكثر المفسرين - وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، إلى مكة، وذلك أن النبي ﷺ لما خرج مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأثاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية. وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لرادك إلى معاد﴾ إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾، أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ: إنك لفي ضلال، فقال الله عز وجل: قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يعني المشركين ومعناه أعلم بالفريقين.

سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٩٦

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدَكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ ١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾، أي يوحى إليك القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾، أي معيماً لهم على دينهم. وقال مقاتل: وذلك حين دُعِيَ إلى دين أبائه فذكر

الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه. [٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني القرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، إلى معرفته وتوحيده، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي فصل

من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني يوم القيامة لكائن، ومعنى الآية أن من يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم، كما قال: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) الآية، ﴿وَهُوَ السَّجِّجُ الْكَلِيمُ﴾.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾، له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنُ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، عن أعمالهم وعباداتهم.

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، لنبطلنها يعني حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل، فالتكفير إذهاب السيئة بالحسنة، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة، وقيل: نعطيمهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، أي برًا بهما عطفًا عليهما، معناه ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحزاب في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه: حمنة بنت أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارًا بأمه قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟! والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أجد الدهر، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني فكلني وإن شئت فلا تأكلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطعمها في الشرك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، جاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»<sup>(١)</sup>

(١) رواه الإمام أحمد ٦٦/٥ وصححه الحاكم ٤٤٣/٣ وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤٤/١.

القضاء، ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾، تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

## (٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[٢، ١] ﴿الرَّحْمَنِ أَحْسَبَ النَّاسَ﴾، أظن الناس، ﴿أَن يُزَكَّوْا﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء، ﴿أَن يَقُولُوا﴾، أي بأن يقولوا، ﴿ءَأَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال:

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في قولهم آما، ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾، والله أعلم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه، وقال مقاتل: فليرين الله. وقيل: ليميز الله كقوله: (ليميز الله الخبيث من الطيب).

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني الشرك، ﴿أَن يَسْمُوتُوا﴾، يُعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي بس ما حكموا حين ظنوا ذلك.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: من كان يطمع في ثواب الله، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾. يعني ما وعد الله

سورة العنكبوت

٣٩٧

الَّذِينَ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ  
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَآئِنْتَكَ بِمَا كُنتَ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ  
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ  
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ  
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ  
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ  
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا  
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَمِلِينَ ﴿١٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن  
يَقُولُ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ  
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ  
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

وقيل: هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾، أي أوزارهم من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قوله عز وجل: (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم)، ﴿وَلَيَسْتَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾، سؤال توبيخ وتقريع.

[١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾، فغرقوا، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾، قال ابن عباس: مشركون.

ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أخبركم بصلاح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء، وقيل: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾، أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالوا: هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجوع عن الدين وكفر، ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، على عدوكم وكننا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾، من الإيمان والنفاق.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾، بترك الإسلام عند نزول البلاء قال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السورة مكية.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم، وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش: اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبيكم، فذلك قوله: ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر معناه خبر، مجازة: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله: (فليلقه اليم بالساحل)،

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٣٩٨

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ  
 ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ  
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ  
 وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا  
 فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْرٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ  
 الْمَعِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ  
 يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
 فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ  
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ  
 مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
 الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ  
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلَقَايِهِ  
 أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مَن رَّحِمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي.

﴿٢٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلَقَايِهِ﴾ بالقرآن وبالبعث، ﴿أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مَن رَّحِمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جل ذكره:

﴿٢٤﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم لقومه، ﴿إِنَّمَا

﴿١٥﴾ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾، يعني من الغرق، ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾، يعني السفينة ﴿آيَةً﴾، أي عبرة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة.

﴿١٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾، أي وأرسلنا إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾، أطيعوه وخافوه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصنامًا، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، تقولون كذبًا، قال مقاتل: تصنعون أصنامًا بأيديكم فتسمونها آلهة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾، لا يقدر أن يرزقوكم، ﴿فَابْتَغُوا﴾، فاطلبوا، ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إليه ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْرٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمَعِينُ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقه ثم مضغه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة بعد البعث ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبتدئًا لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدًا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾، تردون.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع آدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز أي لا



سورة العنكبوت

٣٩٩

سورة العنكبوت

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفْتَلَوْا أَوْ حَرِفُوهُ  
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
(٢٦) وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُكُمْ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ (٢٧) ﴿ فَمَا مِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ  
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٨) وَوَهَبْنَا  
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ  
وَعَائِنَتَهُ آجُرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ  
(٢٩) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ  
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٣٠)  
أَيُّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ  
فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا  
أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ  
(٣١) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٢)

استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿لَأَتُونَ  
الْفَاحِشَةَ﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿مَا سَبَقَكُمْ  
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

[٢٩] ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ  
السَّبِيلَ﴾، وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن  
يمرّ بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم،  
وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على  
النساء، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، النادي  
والندى والامتددي مجلس القوم ومتحدثهم ﴿فَمَا  
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، لما أنكر عليهم لوط ما  
يأتونه من القبائح، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، له استهزاء  
﴿أَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أن  
العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾، لوط، ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ  
الْمُفْسِدِينَ﴾، بتحقيق قولي في العذاب.

أَخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾، قرأ ابن  
كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب: ﴿مَوَدَّةٌ﴾ رفعا  
بلا تنوين، ﴿بَيْنِكُمْ﴾ خفضا بالإضافة على معنى:  
إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا هي مودة  
بينكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ثم هي تنقطع ولا  
تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة وحفص (مودة) نصبا  
بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ  
الآخرون ﴿مَوَدَّةً﴾ منصوبة بمنونة بينكم بالنصب،  
معناه إنكم اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في  
الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون  
عليها في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، تتبرأ الأوثان من  
عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع وتلعن الأتباع  
القادة، ﴿وَمَا وَانِكُمْ﴾، جميعا العابدون  
والمعبودون، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾.

[٢٦] ﴿فَمَا مِنْ لَهُ لُوطٌ﴾، يعني صدقه وهو أول  
من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه، ﴿وَقَالَ﴾ يعني  
إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾، فهاجر من كوثي  
وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه  
لوط وامراته سارة وهو أول من هاجر، قال مقاتل:  
هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين  
سنة، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبيا بعد  
إبراهيم إلا من نسله، ﴿وَعَائِنَتَهُ آجُرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾،  
وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه، وقال  
السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى  
مكانه في الجنة، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾،  
أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس: مثل آدم  
ونوح.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
إِنَّكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو  
بكر: ﴿أَيُّكُمْ﴾ بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾، من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم للرسول، ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾، قالت الملائكة، ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لننجيه) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾، أي الباقين في العذاب.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، ظن أنهم من الإنس، ﴿بِئْسَ بِهِمْ﴾، حزن بهم، ﴿وَصَافَىٰ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذَرَعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ﴾، من قومك علينا، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، ياهلاكنا إياهم، ﴿إِنَّا مُنْجِيوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: ﴿منجوك﴾ بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾، عذابًا، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، قال مقاتل: الخسف والحصب، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾، من قريات لوط، ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾، عبرة ظاهرة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

[٣٦] ﴿وَالِىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا، ﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي واخشوا اليوم الآخر، ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّيحَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾  
 قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٢﴾ وَوَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئس بِهِمْ وَصَافَىٰ بِهِمْ ذَرَعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَوَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّيحَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتَهُمْ فِصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾، أي وأهلكنا عادًا وثمود، ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿بَيْنَ مَسْكِنِهِمْ﴾، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتَهُمْ فِصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، عن سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾، قال مقاتل والكلبي وقاتدة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر.

[٣٩] ﴿وَفَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾، أي وأهلكنا هؤلاء، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾، أي فاتئين من عذابنا.

[٤٠] ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهم قوم لوط، والحاصب الريح التي

سورة العنكبوت

٤١

الْعنكبوت

وَقَرُورٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَنُكٌ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ  
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٦﴾  
فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا  
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ  
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ الَّذِينَ  
أَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنكَبُوتِ  
أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِن  
دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ  
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَىٰ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ  
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

تحمل الحصا وهي الحصا الصغار، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ  
أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، يعني ثمود، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ  
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه،  
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا﴾، يعني قوم نوح وفرعون  
وقومه، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤١] ﴿مِثْلَ الَّذِينَ أَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ  
أَوْلِيَاءَ﴾، أي الأصنام يرجون نصرها ونفعها،  
﴿كَمِثْلِ الْعَنكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا﴾، لنفسها تأوي  
إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهن، لا يدفع  
عنها حرا ولا بردا، فكذلك الأوثان لا تملك  
لعابديها نفعًا ولا ضرًا. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ  
الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن  
شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قرأ أهل البصرة  
وعاصم يدعون بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ  
الآخرون بالتاء.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ الأشباه والمثل كلام  
سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول يريد أمثال القرآن  
التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار  
الأمم المتقدمة، ﴿نُضْرِبُهَا﴾، نبينها، ﴿لِلنَّاسِ﴾،  
قال عطاء ومقاتل: لكفار مكة، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا  
الْعَالِمُونَ﴾، أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين  
يعقلون عن الله، عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه  
الآية فقال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته  
واجتنب سخطه).

[٤٤] قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أي للحق وإظهار الحق، ﴿إِنَّ فِي  
ذَلِكَ﴾، في خلقها، ﴿لَآيَةً﴾، للدلالة  
﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على قدرته وتوحيده.

[٤٥] ﴿أَتَىٰ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني  
القرآن، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، الفحشاء ما قبح من الأعمال

والمنكر ما لا يعرف في الشرع، قال ابن مسعود  
وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدرج عن  
معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم  
تنهه عن منكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدًا.  
وقال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن  
الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه، وقال ابن  
عون: معنى الآية إن الصلاة تنهى صاحبها عن  
الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة  
القرآن، كما قال تعالى: (ولا تجهز بصلاتك) أي  
بقراءتك. وقيل: أراد أن يقرأ القرآن في الصلاة  
فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر قوله عز وجل:  
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي ذكر الله أفضل  
الطاعات، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير  
أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في  
درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٤٠٢

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٤٦] وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْتَلِئُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطَلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنْتَ تَسْتَلِئُ ﴾، يا محمد، ﴿ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴾، يعني من قبل ما أنزل إليك الكتاب، ﴿ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾، يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطَلُونَ ﴾، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣١٧/٩، وابن ماجه في الأدب رقم (٣٧٩٠) ١٢٤٥/٢ وصححه الحاكم في المستدرک ٤٩٦/١ ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك في الموطأ ٢١١/١ والإمام أحمد في المسند ٤٤٧/٦ والمصنف في شرح السنة ١٦/٥ وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ٥١٦/١٣ والمصنف في شرح السنة ٢٦٨/١.

لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»<sup>(١)</sup> وقال قوم: معنى قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه وقال عطاء في قوله: ﴿ إِنْ الصَّلَاةُ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾، لا تخاصموهم، ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾: أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر، وقال سعيد بن جبیر: هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله). ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ﴾ يريد إذا أخبركم واحد منهم مما قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، ﴿ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»<sup>(٢)</sup>.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب، ﴿ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ وَمِنْ هَؤُلَاءِ ﴾، يعني أهل مكة، ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾، وهم مؤمنو أهل مكة،

أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿لَجَأَهُمُ الْعَذَابُ وَلْيَأْيَنَّهُمْ﴾، يعني العذاب وقيل: الأجل، ﴿بَعْنَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بإتيانه.

[٥٤] ﴿سَتَجِدُنَا بِالْعَذَابِ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَرَأَى جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ﴾، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ﴾، يصيبهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال: (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش)، ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم: ذوقوا، وقرأ الآخرون بالنون لأنه لما كان بأمره نسب إليه، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي جزاء ما كنتم تعملون.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، إن أرضي يعني المدينة واسعة آمنة، قال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد ابن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله: أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، خوفهم بالموت لهنون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان

المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذا لشكوا فيك واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعتة في التوراة أمني لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتُ يَنْتَنُتُ﴾، قال الحسن: يعني القرآن آيات بينات، ﴿فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتدة: بل هو - يعني محمداً ﷺ - ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم، ﴿وَمَا يَحْكُدُ يَأَيُّنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّنَا﴾، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر آية على التوحيد، وقرأ الآخرون آيات من ربه. قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلْهَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وهو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها، ﴿وإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أُنذر أهل المعصية بالنار، وليس إنزال الآيات بيدي.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾، هذا الجواب لقولهم: (لولا أنزل عليه آيات من ربه) قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في إنزال القرآن، ﴿لرَّحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾، أي رسول الله وهذا القرآن كتابه ﴿بَعْدَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾، قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان، ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[٥٣] ﴿سَتَجِدُنَا بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، قال ابن عباس: ما وعدتك

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٤٠٣

الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ  
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ  
وَأِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ  
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ  
﴿٥٩﴾ يَنْبَغِدَى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ أَرْضِي وَسِعَةً فَأَيُّنِي فَأَعْبُدُونِ  
﴿٦٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦٢﴾  
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٣﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ ذَائِقَةِ لَأَحْمِلُ  
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٦٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾، اللهو هو الاستماع بلذات الدنيا، واللعب العبث سميت بهما لأنها فانية ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ﴾، وخافوا الغرق، ﴿دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وتركوا الأصنام، ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب.

فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، فنجزبكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز فقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثوبته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لتنزلتهم، ﴿مَنْ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾، علالي، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

[٥٩] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الشدائد ولم يترخوا دينهم لشدة لحقتهم، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، يعتمدون.

[٦٠] ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ ذَائِقَةِ لَأَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد أذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: (وكأين من ذابرة) ذات حاجة إلى غداء، ﴿لَأَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، حيث كنتم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لأقوالكم لا نجد ما تنفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾، يعني كفار مكة، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[٦٣] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وقيل: قل الحمد لله على إقرارهم لزوم النعمة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ينكرون

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آءَانْتَهُمْ﴾، هذا لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد، كقوله: (اعملوا ما شئتم)، أي ليجحدوا نعمة الله في إنجائهم إياهم، ﴿وَلِيَسْتَمْعُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام، وقرأ الباقون بكسرهما نسقاً على قوله: (ليكفروا) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: مَنْ كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا، والمعنى لا فائدة لهم في الإشراف إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَظُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، يسيب بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾، بالأصنام والشيطان، ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾، بمحمد والإسلام، ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن الله شريكاً وأنه أمر بالفواحش، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾، بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُ ءَالَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا الكافر مأوى في جهنم.

[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾، الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، ﴿لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾، لنثبتهم على ما قاتلوا عليه، وقيل: لنزيدهم هدى كما قال: (وزيد الله الذين اهتدوا هدى)، وقيل: لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيمة هي التي توصل بها إلى رضا الله عز وجل وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل الجنة. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة، وروى عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقابهم.

٤٠٤ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آءَانْتَهُمْ﴾  
وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي السَّمَاءِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آءَانْتَهُمْ وَلِيَسْتَمْعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَظُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ءَالَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

## سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّ ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بَنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

## (٣٠) سُورَةُ الرَّوْمِ

[٣-١] ﴿الرَّ ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ٥ فِي آدْنَى الْأَرْضِ ٥ أَي أَقْرَبَ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ فَارَسِ، قَالَ عِكْرَمَةَ: هِيَ أَدْرَعَاتُ وَكَسْكَرُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَرْضُ الْجَزِيرَةِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْأُرْدُنُّ وَفِلَسْطِينَ. ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾، أَي الرُّومُ مِنْ بَعْدِ غَلَبَةِ فَارَسِ إِيَّاهُمْ، وَالْغَلْبُ وَالْغَلْبَةُ لَغْتَانِ، ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾، فَارَسُ.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾، وَالْبَضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى السَّبْعِ، وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ. وَقِيلَ: مَا دُونَ الْعَشْرِ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ وَالْحَسَنُ وَعِيسَى بْنُ عَمْرٍو: ﴿غَلَبَتْ﴾ بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَاللَّامِ، (سَيَغْلِبُونَ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَبِفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠٥

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾  
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾  
 أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ  
 بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً  
 وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوا وَهَاجَرُوا تَهَاوُونَ  
 رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ  
 يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى  
 أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ  
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ  
 السَّاعَةُ يُبْسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ  
 شُفَعَاتٌ أَوْ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ  
 تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدِينَ يُفْرَقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

لأهل مكة حرت، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾، ينقص حقوقهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، يبخس حقوقهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾ أي أساءوا العمل، ﴿السُّوءِ﴾، يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: السوء اسم لجهennem كما أن الحسنى اسم للجنة، ﴿أَن كَذَّبُوا﴾، أي لأن كذبوا، وقيل: تفسير السوء ما بعده وهو قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (عَاقِبَةُ) بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا. [١١] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾،

اللام، وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: ألم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والأول أصح وهو قول أكثر المفسرين. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، من بعد دولة الروم على فارس ومن بعدها فأى الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون، بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، الغالب، ﴿الزَّهِيمُ﴾، بالمؤمنين.

[٦] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾، نصب على المصدر أي وعد الله وعدًا بظهور الروم على فارس، ﴿لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، ساهون عنها جاهلون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي لوقت معلوم إذ انتهت إليه فنيته وهو القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾، حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، أي أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن



سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤٠٦

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ  
 فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ  
 وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ  
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ  
 ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ  
 تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
 أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً  
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافَ السِّنِّكُمْ وَالْوَلَدِ كَرِيمًا  
 فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ  
 وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ  
 لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ  
 خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ  
 بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد صلاة  
 الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين،  
 وقال: جمعت الآية صلاة الخمس وموافقها.

[١٩] قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ  
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ  
 تُخْرَجُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (تخرجون) بفتح  
 التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح  
 الراء.

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي  
 خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ  
 بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، تنبسطون في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
 أَزْوَاجًا﴾، قيل: من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق  
 حواء من ضلع آدم، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ  
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، جعل بين الزوجين المودة والرحمة

أي يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم بعد الموت أحياء،  
 ولم يقل يعيدهم، رده إلى الخلق، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ  
 رُجِعُونَ﴾، فيجزئهم بأعمالهم.

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾، قال  
 قتادة والكلبي: يبأس المشركون من كل خير. وقال  
 الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. وقال مجاهد:  
 يفتضحون.

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ  
 وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾، جاحدين متبرئين  
 يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ﴾، أي  
 يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل:  
 يتفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون  
 أبداً.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ  
 فِي رَوْضَةٍ﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة،  
 ﴿يُحْبَرُونَ﴾، قال ابن عباس: يكرمون. وقال  
 مجاهد وقاتادة: ينعمون. وقال أبو عبيدة: يسرون،  
 والحبرة السرور، وقيل: الحبرة في اللغة كل نعمة  
 حسنة والتحجير التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيى  
 ابن أبي كثير: تحبرون هو السماع في الجنة.

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ  
 الْآخِرَةِ﴾، أي البعث يوم القيامة، ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي  
 الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ﴾، أي سبحوا  
 الله ومعناه صلوا لله، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، أي تدخلوا  
 في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ  
 تُصْبِحُونَ﴾، أي تدخلون في الصباح، وهو صلاة  
 الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن  
 عباس: يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له،  
 ﴿وَعَشِيًّا﴾، أي صلوا لله عشياً يعني صلاة العصر،  
 ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، تدخلون في الظهيرة وهو الظهر،

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤٠٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِن مَّ نَّ سَاءَ فِيهِمْ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْرِبْهُمَ لِلَّذِينَ أَحْسَنَ فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَدِيمَ وَلَكِن بَدَّلَ الْبَشَرِ الْأَكْثَرِ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَالِ اللَّهِمِ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

والكلبي: أي هو هين عليه وما شيء عليه بعزير. وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقال مجاهد وعكرمة: وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندهم. وقيل: هو أهون عليه أي على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطقًا، ثم علقًا ثم مضغًا إلى أن يصيروا رجالًا ونساءً ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، أي الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثل شيء، وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في خلقه.

﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي بين

فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، في عظمة الله وقدرته.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾، يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما، ﴿وَالْوَيْدَانِ﴾، أيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، قرأ حفص: (للعالمين) بكسر اللام.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾، أي منامكم بالليل وابتغاءكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سماع تدبر واعتبار.

﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿وطمعًا﴾، للمقيم في المطر. ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ﴾، يعني بالمطر، ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي بعد يسها وجدوبتها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾. قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: من القبور، ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبِنُونَ﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعًا، عن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، قال الربيع بن خثيم وقاتدة

الذين فطرهم الله على الإسلام ﴿لَا يُدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه. لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله، قال مجاهد وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك، ﴿ذَلِكَ الدِّينَ الْقِيمَ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقيًّا ولا الشقي سعيدًا.

[٣١] ﴿مُنِيْبِينَ﴾ أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبن إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الأمة كما قال: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)، ﴿مُنِيْبِينَ إِلَيْهِ﴾، أي راجعين إليه بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة ﴿وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ أي صاروا فرقًا مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أي راضون بما عندهم.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا﴾، قحط وشدة، ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيْبِينَ إِلَيْهِ﴾، مقبلين إليه بالدعاء ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾، خصبًا ونعمة، ﴿إِذَا فَرِحُوا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾، حالكم في الآخرة.

[٣٥] ﴿أَمْ أَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾، قال ابن عباس: حجة وعذرًا، وقال قتادة: كتابًا، ﴿فَهُوَ يَحْكُمُ﴾، ينطق، ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾، أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾، أي الخصب وكثرة المطر، ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾، يعني فرح البطر، ﴿وَإِنْ نُصِْبْهُمْ سَيْئَةً﴾، أي الجذب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، من السيئات،

لكم شبهًا بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي عبيدكم وإمائكم، ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾، من المال، ﴿فَأَنْتُمْ﴾، وهم، ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي شرع أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن يفرد فيه بأمر دونه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يحب أن يفرد به، قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا فإذا لم تخافوا هذا من مواليكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي، ومعنى قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار كقوله: (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أي بأمثالهم، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا بالله، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الشرك، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، جهلاً بما يجب عليهم، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، أي أضله الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصْرَتِكَ﴾، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، أي أخلص دينك لله، قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده، ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً مستقيماً عليه، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾، دين الله وهو نصب على الإغراء أي الزم فطرة الله، ﴿الَّتِي فِطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين هم

﴿إِذَا هُمْ يَقْطُونَ﴾، يأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، من البر والصلة، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، يعني المسافر، وقيل: هو الضعيف، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾، يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٣٩] قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾، قرأ ابن كثير: (أيتيم) مقصوراً وقرأ الآخرون بالمد أي أعطيتم، ومن قصر فمعناه ما جتتم من ربا ومجئتهم ذلك على وجه الإعطاء كما يقول: آتيت خطئا وآتيت صواباً فهو يؤول في معنى إلى قول من مد. ﴿لَيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب: لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب

أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فَلَا يُرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ﴾، في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها، واختلفوا في معنى الآية، فقال سعيد ابن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال لكن لا ثواب عليها في القيامة، وهو معنى قوله عز وجل: فلا يربوا عند الله، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله. وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ما له التماس عونه لوجه

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا فَهَوِيَ تَكْمُلُ مَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا فَادَمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْطُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ، وَأَبْنِ السَّبِيلِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يُرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكٰوٰتٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذٰلِكُمْ مَن شِئْءٍ عَسَّحٰنَنَّهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الرِّبِّ وَالْبَحْرِي مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

الله فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكٰوٰتٍ﴾، أعطيتم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾، فيضعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمنون إذا هزلت أو سمت إيلهم.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذٰلِكُمْ مَن شِئْءٍ عَسَّحٰنَنَّهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الرِّبِّ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات وأراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمي المصر بحرًا يقال: أجذب البر وانقطعت مادة البحر، ﴿بِئْسَ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، أي بشؤم

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤٠٩

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

ذَنُوبِهِمْ ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

[٤٢] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، لتروا منازلهم ومسكنهم خاوية، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾، فأهلكوا بكفرهم.

[٤٣] ﴿فَاقْرَأْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ﴾، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾، يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾، أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، أي وبال كفرة، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾، يوطنون المضاجع ويسوونها في القبور.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٦] قوله عز وجل: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشُرَاتٍ﴾، تبشر بالمطر، ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾، نعمة المطر وهي الخصب، ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ﴾ في البحر بهذه الرياح، ﴿بِأَمْرِهِ وَيَلْتَمِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ نُوحًا وَّهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات الواضحات على صدقهم. ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ﴾، عذبنا الذين كذبوهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، إنجاؤهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، قال الحسن: أنجاهم مع الرسول من عذاب الأمم.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلَ الرِّيحَ فتنير سحاباً﴾، أي ينشره، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على من يشاء، ﴿وَجَعَلَهُ كَسَفًا﴾، قطعاً

متفرقة، ﴿فَنَزَّلَ الْوَدْقَ﴾، المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ﴾، وسطه، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ﴾، أي بالودق، ﴿مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾، يفرحون بالمطر.

[٤٩] ﴿وَإِن كَانُوا﴾، وقد كانوا ﴿مِن قَبْلِ أَن يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾، أي آيسين، وقيل: وإن كانوا أي وما كانوا إلا مبلسين، وأعاد قوله من قبله تأكيداً، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر والثانية إلى إنشاء السحاب.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، قال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبات، ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾، يعني أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحْيِي الموتى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ باردة مضرّة فأفسدت

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤١٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَّةَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا عِذْرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِثَّتْهُم بِئَابَةٌ يُقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

من اللبث في القبور، وقيل: في كتاب الله أي في حكم الله، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرأوا قوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)، أي قالوا للمتكبرين لقد لبثتم، ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا عِذْرَتُهُمْ﴾، يعني عذرهم، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، لا يطلب منهم العتبي والرجوع إلى الدنيا.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِثَّتْهُم بِئَابَةٌ يُقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ﴾، ما أنتم إلا على باطل.

الزرع، ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي والنبت والزرع مصفرًا بعد الخضرة، ﴿لَظَلُّوا﴾، لصاروا، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد إصفرار الزرع، ﴿يَكْفُرُونَ﴾، يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابًا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَّةَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾، قرئ بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة يريد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: (ألم نخلقكم من ماء مهين)، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾، من بعد ضعف الطفولية شابًا وهو وقت القوة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، من الضعف والقوة والشباب والشيبة، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾، بتدبير خلقه، ﴿الْقَدِيرُ﴾، على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يحلف المشركون، ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في الدنيا ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار). ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا، قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال:

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله .

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، في نصرتك وإظهارك على عدوك ﴿وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ﴾، لا يستجھلنك معناه لا يحملك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك، ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، بالبعث والحساب.

### (٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ

[٣-١] ﴿الْمَاءُ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ه هُدَى وَرَحْمَةً، قرأ حمزة (ورحمة) بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤، ٥] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ه أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾، الآية. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى أخبار العجم فيحدث بها قريشاً فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية. وقال مجاهد: يعني شراء القيان والمغنيين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث، وعن عبدالله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، قال أبو الصبأ البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددھا ثلاث مرات. وعن الضحاك قال: هو الشرك. وقال قتادة: هو كل لهو

٤١١

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَاءُ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ  
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا  
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
أَنْهَارٌ فِيهَا مَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَن تَمِيدَ  
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا  
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا  
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

ولعب، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني يفعله عن جهل. قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنصب الدال عطفًا على قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ وقرأ الآخرون بالرفع نسقًا على قوله: ﴿يَشْتَرِي﴾، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ فِيهَا مَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ه خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ه وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ ﴿١١﴾، حسن.

[١١] ﴿هَذَا﴾، يعني الذي ذكرت مما تعينون، ﴿خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، من ألهمتكم التي تعبدونها، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾، واسمه أنعم ويقال: مشكم، ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ تَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، قرأ ابن كثير: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، ﴿يَبْنِي إِنَّهَا﴾ بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، ﴿يَبْنِي أَقْرَبُ الصَّلَاةِ﴾ بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ﴾، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. قال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالي عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف، ﴿وَفَصَّلَهُ﴾، أي فطامه، ﴿فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه، قال عطاء عن ابن

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ تَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْرِعْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْرِعْ حَدِّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مِرْحَانًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

عباس: يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وأمنت به؟ قال: نعم هو صادق فأمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، يعني أبا بكر، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقيل: نزلت هاتان الآياتان في سعد بن أبي وقاص وأمه وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

[١٦] ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾، الكناية في قوله: ﴿إِنَّهَا﴾ راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ



فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴿١٧﴾، قال قتادة: تكن في جبل. وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾، باستخراجها، ﴿خَيْرٌ﴾، عالم بمكانها، قال الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ، أتم وأكمل، ﴿نِعْمَةً﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص ﴿نِعْمَةً﴾ بفتح العين والهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجمع أيضًا كقوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، ﴿ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يجعل عليك بالنقمة. وقال الضحاك: الظاهرة حسن الصورة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة.

وقال مقاتل: الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام، والباطنة الإيمان. وقال الربيع: الظاهرة الجوارح والباطنة القلب، وقيل: الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وقال سهل بن عبدالله: الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث وأبي ابن خلف وأميمة بن خلف وأشباههم كان يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبِّحُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وجواب

﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، يعني من الأذى، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٧] ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، يعني من الأذى، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون ﴿تصاعر﴾ بالألف يقال: صعر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبرًا ورجل أصعر أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سلّم عليه لوى عنقه تكبرًا. وقال الربيع بن أنس وقاتادة: ولا تحقرن الفقراء ليكن الفقر والغنى عندك سواء، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾. خيلاء تكبرًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، في مشيه ﴿فَخَوْزٌ﴾، على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، أي ليكن مشيك قصدًا لا تخيلاً ولا إسراعًا. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: (يمشون على الأرض هونًا)، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾، وقال مقاتل: اخفض صوتك، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار، وقال موسى بن

٤١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ لُقْمَانَ

الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطَنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْرُوكُ كُفْرَهُ إِلَّا يَنَا مَرَجِعُهُمْ فَيَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمَتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفَدْتَ كَلِمَاتِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يعني لله أي يخلص دينه لله ويفوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، في عمله، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْرُوكُ كُفْرَهُ إِلَّا يَنَا مَرَجِعُهُمْ فَيَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾.

[٢٤] ﴿نَمَتُهُمْ قَلِيلًا﴾، أي نملهم ليمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿ثُمَّ نَضَّطُّهُمْ﴾، ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وهو عذاب النار.

[٢٥] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

[٢٧] قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ قال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ أي بريت أقلاماً، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: (وَالْبَحْرُ) بالنصب عطفًا على (مَا)، والباقون بالرفع على الاستئناف ﴿يَمُدُّهُ﴾ أي يزيده، وينصب فيه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من خلفه، ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، وفي الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً﴾، أي كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

[٣١] ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾، إن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾، عجائبه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾، على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾، لنعمه.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ﴾، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: كالسحاب. والظل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿دَعَاُ اللَّهُ مُجْلِصِينَ لَهُ الْدِينِ﴾

سورة السجدة

٤١٤

سورة السجدة

الَّذِينَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ  
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ  
 مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ  
 أَلْفَكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ نَبَعَتْ اللَّهُ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ  
 كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَلَغْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ  
 فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ  
 ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقًا رِبَكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ  
 عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٌّ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
 حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ  
 الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ  
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا  
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

## سورة السجدة

تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي  
 أرض تموت» (١) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

## (٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ

[٢، ١] ﴿الَّذِينَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ  
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من رب  
 العالمين .

[٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ، بل يقولون ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ ، وقيل:  
 الميم صلة أي يقولون افتراه، استفهام توبيخ،  
 وقيل: أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه، وقيل:

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٥٢٤/٢ والمصنف في  
 شرح السنة ٤٢٢/٤ .

فَلَمَّا بَلَغْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ، أي عدل موف  
 في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له  
 يعني ثبت على إيمانه قيل: نزلت في عكرمة بن أبي  
 جهل هرب عام الفتح إلى البر فجاءتهم ريح  
 عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا  
 لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده  
 فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم  
 وحسن إسلامه . وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في  
 القول مضمحل للكفر . وقال الكلبي: مقتصد في  
 القول أي من الكفار لأن بعضهم كان أشد قولاً  
 وأغلب في الافتراء من بعض، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا  
 إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ، والختر أسوأ الغدر .

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقًا رِبَكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا  
 يَجْزِي﴾ ، لا يقضي ولا يغني، ﴿وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا  
 مَوْلُودٌ هُوَ جَانٌّ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ ، قال ابن  
 عباس: كل امرئ تهمة نفسه، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ  
 الْغُرُورُ﴾ ، يعني الشيطان . قال سعيد بن جبير: هو  
 أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة .

[٣٤] قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية  
 نزلت في الحارث بن عمرو من أهل البادية أتى  
 النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا  
 أجذبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلً،  
 فمتى تلد، وقد علمت أين ولدت فبأي أرض  
 أموت؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ  
 السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي  
 نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ  
 تَمُوتُ﴾ ، وقرأ أبي بن كعب ﴿بآية أرض﴾  
 والمشهور ﴿بأي أرض﴾ لأن الأرض ليس فيها من  
 علامات التأنيث شيء . وقيل: أراد بالأرض  
 المكان، عن سالم بن عبدالله عن أبيه أن رسول الله  
 ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم  
 الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَأرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا  
 مَّا أَنْتُمْ بِهِ مِنْ نَذِيرٍ مَن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ  
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا  
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يَدْبُرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ  
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ  
 عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ  
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ  
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ  
 مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا  
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي  
 خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُمُ  
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ أَرْسَلَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، وأما قوله: خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث: «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»<sup>(١)</sup> وقال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته.

[٦] ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، معنى ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السموات والأرض

(١) أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند ٧٥/٣ والمصنف في شرح السنة ١٢٩/١٥ قال الشيخ الأرنؤوط: وفيه ابن لهيعة سيء الحفظ وحسنه الهيثمي في المجمع ٣٣٧/١٠.

فيه إضمار مجاز فهم يؤمنون، أم يقولون افتراه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُمْ بِهِ﴾، يعني لم يأتهم، ﴿مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ. وقال ابن عباس ومقاتل: ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٥] ﴿يَدْبُرُ الْأُمُورَ﴾ أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾، يصعد ﴿إِلَيْهِ﴾، جبريل بالأمر، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه

أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعون في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله: (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)، أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله: إليه أي إلى الله. وقيل: على هذا التأويل إلى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه. وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾، المشركون، ﴿تَأْكُشُوا بُرُوسَهُمْ﴾، مطاطو رؤوسهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، حياء منه وندما. ﴿رَبَّنَا﴾، أي يقولون: ربنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾، ما كنا به مكذبين، ﴿وَسَمِعْنَا﴾، منك تصديق ما أتتنا به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾، فارددنا إلى الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، وجواب لو مضمرة مجازة لرأيت العجب.

[١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾، رشدًا وتوفيقًا للإيمان، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ﴾، وجب، ﴿الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وهو قوله لإبليس: (لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين)، ثم يقال لأهل النار، وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة.

[١٤] ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أي تركتم الإيمان به في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾، تركناكم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والتكذيب.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾، وعظوا بها، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾، سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: صلوا بأمر ربهم، وقيل: قالوا: سبحان الله وبحمده، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان والسجود له.

[١٦] ﴿نَتَجَافَىٰ﴾، ترتفع وتنبوا، ﴿جُنُودِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتعبدون بالليل، الذين يقومون للصلاة، واختلفوا في المراد بهذه الآية، قال أنس: نزلت فينا معشر الأنصار كآتي نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالتنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ. وعن أنس أيضًا قال: نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من

عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر، ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي أحسن خلق كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسن. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾، يعني آدم.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾، يعني ذريته، ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾، نطفة سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، أي ضعف وهو نطفة الرجل.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾، ثم سوى خلقه، ﴿وَوَفَّخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾، بعد أن كنتم نطفًا، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحده.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾، هلكنا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، وصرنا ترابًا وأصله من قولهم: ضل الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿أَءِذَا لَفَىٰ خَلْقِي جَدِيدٍ﴾، استفهام إنكار. قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾، أي بالبعث بعد الموت.

[١١] ﴿قُلْ يَتُوبَ إِلَيْكُمْ﴾، يقبض أرواحكم، ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾، أي وكل يقبض أرواحكم وهو عزرائيل، والتوفي استيفاء المضروب للخلق في الأزل، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، أي تصيرون إليه أحياء فيجزئكم بأعمالكم.

سورة السجدة

٤١٦

سورة السجدة

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْمُوتِ نَاكِسَوٰرُهُمْ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾  
 ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾  
 فَذُوقُوا بَأْسَ يَسِيرَتِكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُودَهُم مِّنَ الْمُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَّا وَدَّعُوا النَّارَ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر<sup>(٢)</sup>». قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

[١٨] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل لا يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٦٢/٧ وقال: (هذا حديث حسن صحيح) والنسائي في التفسير ١٥٦/٢ وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٧٣) وعبدالرزاق في المصنف ١٩٤/١١ وعبد ابن حميد في المنتخب من المسند برقم (١١٢) ص ٦٨ وأخرجه الحاكم مطولاً ٤١٢/٢ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. (٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣١٨/٦ ومسلم في الجنة برقم (٢٨٢٤) ٤/٢١٧٤.

صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر، وقالوا: هي صلاة الأوابين. ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين. وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة. وعن أبي الدرداء وأبي ذر وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم: هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة، وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل، وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُودَهُم مِّنَ الْمُضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: ألا أدلك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس: خَوْفًا مِنَ النَّارِ وَطَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، قيل: أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: في الواجب والتطوع.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾، قرأ حمزة ويعقوب (أخفي لهم) ساكنة الياء أي أنا أخفي لهم، ومن حجته قراءة ابن مسعود ﴿نخفي﴾ بالنون، وقرأ الآخرون بفتحها، ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، مما تقرّ به أعينهم، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عن أبي

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٤١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَنذِيقُنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلْفِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ  
 أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ  
 هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ  
 بِأَمْرِنَا الْمَاصِرُونَ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ  
 هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ  
 ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ  
 يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ  
 ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ  
 بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾  
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ  
 ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرْنَا لَهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ  
 الْمَأْوَىٰٓءِ﴾، التي يأوي إليها المؤمنون، ﴿تُرَابًا نَّيْمًا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ  
 يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ  
 الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

[٢١] ﴿وَلَنذِيقُنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلْفِ دُونَ الْعَذَابِ  
 الْأَكْبَرِ﴾، أي سوى العذاب الأكبر، ﴿لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ﴾ قال أبي بن كعب والضحاك والحسن  
 وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا  
 وأسقامها، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس. وقال  
 عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع  
 سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب.  
 وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر، وهو  
 قول قتادة والسدي، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يعني  
 عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إلى الإيمان،  
 يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَكَرَ آيَاتِ  
 رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني  
 المشركين، ﴿مُنْقِمُونَ﴾.

[٢٣، ٢٤] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي  
 مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾، يعني فلا تكن في شك من لقاء  
 موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره عن ابن  
 عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي  
 موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال  
 شنوءة<sup>(١)</sup>» قال السدي: فلا تكن في مرية من لقائه  
 أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول،  
 ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾، يعني الكتاب وهو التوراة، وقال  
 قتادة: موسى، ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَجَعَلْنَا  
 مِنْهُمْ ﴿آيَمَةً﴾، يعني من بني إسرائيل، ﴿آيَمَةً﴾، قادة في  
 الخير يُقْتَدَى بِهِمْ، يعني الأنبياء الذين كانوا فيهم.  
 وقال قتادة: أتباع الأنبياء، ﴿يَهْدُونَ﴾، يدعون،  
 ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي

بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم وقراً  
 الباقون بفتح اللام وتشديد الميم، أي حين صبروا  
 على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر،  
 ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾، يقضي، ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، لم يتبين، ﴿لَهُمْ كَمْ  
 أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، آيات الله وعظاته  
 فيعتظون بها.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ  
 الْجُرُزِ﴾، أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها  
 ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾، من العشب

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣١٤/٦ ومسلم في  
 الإيمان برقم (١٦٥) ١/١٥١.

والتبن، ﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾، من الحبوب والأقوات، ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم، وقال الكلبي: يعني فتح مكة. وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم، فيقولون: متى هذا الفتح.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾، يوم القيامة، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، لا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا.

[٣٠] ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فيهم فإنهم منتظرون ذلك.

### (٣٢) سورة الأحزاب

[٢] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾، قرأ أبو عمرو (يعملون خيراً) و(يعملون بصيراً) بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ثق بالله، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً لك، وقيل: كفيلاً برزقك.

[٤] قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَتِ فِي جُوفِهِ﴾، نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتبنين ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْهِ تَطْهَرُونَ وَمِنْهُمْ أَهْتِكُونَ﴾ صورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم

[١] ﴿يَتَّيَبُهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾، نزلت في أبي سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور وعمرو بن سفيان السلمى، وذلك أنهم قدموا المدينة على عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر ابن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى



سورة الأحزاب

٤١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِنْ مَاتُمْحَدَّتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا رَاحِلًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من أنفسهم، وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذلك النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم» ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيا ما مؤمن مات وترك مالا فليريته عصبته من كانوا، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني فأنا مولاه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٤٥/٨ ومسلم في الإيمان رقم (٦٣) ٨٠/١. (٢) أخرجه البخاري في الاستقراض ٦١/٥ ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩) ٣/١٢٣٨.

اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾، يعني من تنبتموه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾، فيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه، وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني، ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾، يعني قوله الحق، ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، أي يرشدكم إلى سبيل الحق.

[٥] ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾، الذين ولدوهم، ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾، أعدل، ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾، يعني فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾، إن كانوا محررين وليسوا بنيكم، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليكم أي أولياءكم في الدين، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، ومن دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك ومحل (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ خفض رداً على (ما) التي في قوله: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا رَاحِلًا﴾ قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ ادْعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ﴾<sup>(١)</sup>.

[٦] قوله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يُصدق بعضهم بعضًا ويبشر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضًا وينصحوا لقومهم، ﴿وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، خصّ هؤلاء الخمسة بالذكر من النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، عهدًا شديدًا على الوفاء بما حملوا.

[٨] ﴿لَيْسَلَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾، يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون لتبكيك من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسأل الصادقين عن علمهم لله عزّ وجلّ. وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وذلك حين حُوصِر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُودًا﴾، يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾، وهي الصبا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحًا باردةً فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض فانهمزوا من غير قتال. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، أي من فوق

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرْوَجَهُمْ أُهْتَهُمْ﴾، وفي حرف أبي (وأزواجه وأمهاتهم)، وهو لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأييد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: (وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب) ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكم الله ﷻ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾، يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، نسخت هذه الآية الموارثة بالمآخاة والهجرة وصارت القرابة. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان بالهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا يعني إلا أن توصوا لذوي قرباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعكرمة. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾، أي كان الذي ذكر من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطورًا مكتوبًا. وقال القرظي: في التوراة.

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٥٢/٢ ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢.

سورة الأحزاب

٤١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ  
 وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾  
 لَيْسْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا  
 ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ  
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ  
 مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ  
 وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا  
 زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ  
 مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ  
 مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ يُرِيدُونَ إِلَّا  
 فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاطِرِهَا فَمَا هُمْ سِوَى الْقِتْنَةِ  
 لِأَنَّهُمْ وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا  
 اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُونَ إِلَّا ذَبْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿١١﴾ شك و ضعف اعتقاد، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وهو قول أهل النفاق: يعدنا  
 محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع  
 أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، أي من المنافقين  
 وهم أوس بن قيطي وأصحابه، ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾،  
 يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب، وقال: هي  
 مدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض  
 الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب،  
 وقال: «هي طابة»، كأنه كره هذا اللفظ ﴿لَا مُقَامَ  
 لَكُمْ﴾، قرأ العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم  
 تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي  
 وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿فَارْجِعُوا﴾  
 إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ، وقيل: عن  
 القتال إلى مساكنكم، ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ

الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم  
 مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري  
 في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد  
 الأسدي في بني أسد وحبي بن أخطب في يهود بني  
 قريظة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، يعني من بطن الوادي  
 من قبل المغرب، وهم قريش وكنانة عليهم أبو  
 سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور  
 ابن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان السبب  
 الذي جر غزوة الخندق - فيما قيل - إجلاء رسول  
 الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ  
 الْأَبْصَارُ﴾، مالت وشخصت من الرعب، وقيل:  
 مالت عن كل شيء فلم تنظر إلى عدوها، ﴿وَبَلَغَتِ  
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، فزالت عن أماكنها حتى بلغت  
 الحلق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا  
 على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء:  
 معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن  
 تنتفخ رتته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى  
 الحنجرة، ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره،  
 ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾، أي اختلفت الظنون فظن  
 المنافقون استتصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله  
 عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل  
 المدينة والشام وأبو بكر: الظنونا والرسولا  
 والسيلا بإثبات الألف وصلًا ووقفًا لأنها مثبتة في  
 المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة وغير  
 الألف في الحاليين على الأصل، وقرأ الآخرون  
 بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس  
 الآي.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ﴾، أي عند ذلك اختبر،  
 ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، بالحصص والقتال ليتبين المخلص من  
 المنافق، ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، حركوا حركة  
 شديدة.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾، معتب بن قشير،  
 وقيل: عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَالَّذِينَ فِي

[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ﴾، أي يمنعكم من عذابه، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾، هزيمة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، نصرة، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَبَلًا﴾، أي قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾، أي ناصرًا يمنعهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوفِينَ مِنكُمْ﴾، أي المشبطين للناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدًا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يشبثون أنصار النبي ﷺ ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾، الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، بخلاء بالنفقة في سبيل الله، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالخل والجبن، فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظِرُونَ لِيَاكُ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، في الرؤوس من الخوف والجبن، ﴿كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أي كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾، آذوكم ورموكم في حال الأمن، ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾، ذربة، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان مسلوق ومصلوق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منّا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَوْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلْمَةَ﴾، يقولون إنَّ يوتنَّا عورة، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق، وقرأ أبو رجاء العطاردي (عورة) بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها، فكذبهم الله فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾، أي ما يريدون إلا الفرار.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ﴾، أي الشرك، ﴿لَأَنوَاهَا﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصورًا، أي لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى يهلكوا.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِن قَبْلِ﴾، أي من قبل غزوة الخندق، ﴿لَا يُؤْلَوْنَ الْإَدْبَرَ﴾، من عدوهم أي لا ينهزمون، قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا: لئن أشهدنا الله قتالًا لنتقاتل فساق الله إليهم ذلك ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾، أي مسؤولًا عنه.

[١٦] ﴿قُلْ﴾، لهم ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِرَاكُمُ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾، الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿الْأَحْزَابِ﴾، يعني قريشًا وغطفان اليهود، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم ينصرفوا عن قتالهم جنبًا وفرقًا وقد انصرفوا، ﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾، أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية، ﴿يَسْتَلُوتَ عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ﴾، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: (يساءلون) مشددة ممدودة أي يتساءلون، ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، تعذيرًا، أي يقاتلون قليلًا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الانتساء، كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كُسرَتْ رُباعيته وجرح وجهه، وقُتل عمه وأوذى بضروب من الأذى فوأساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضًا واستتوا بسنته، ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾، بدل من قوله: لكم، وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَدَكَرَ اللَّهُ كَبِيرًا﴾ في جميع المواطن على السراء والضراء.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا﴾، تسليمًا لأمر الله وتصديقًا لوعده، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وعد الله إياهم ما ذكر في

سورة الأحزاب

٤٢٠

سورة الأحزاب

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِّنْ ذُنُوبِ اللَّهِ وَايَا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إِلَيْكَ تَدُورًا عَيْنَهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادِ أَشْحَهَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيْتَكَ لَمْ تُوْمِنُوا فَاَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتَ عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَبِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

سورة البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)، إلى قوله: (ألا إن نصر الله قريب)، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، أي تصديقًا لله وتسليمًا لأمر الله.

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿فِيهِمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾، أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النذر، والنحب: الموت أيضًا، قال مقاتل: قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نحب فلان في سيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن  
 قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا أَبَدِيًّا ﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ  
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِن شَاءَ  
 أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ  
 وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٦﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّن  
 أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ  
 فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٧﴾ وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ  
 وَيَدَيْرُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَنْكُحْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَّا رُوحُكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّيئَتَهَا فَتَأْتِيكُم مِّنْكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ  
 سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللِّدَارَ  
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْآجُرِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾  
 يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُم بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفْ  
 لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾

يومه وليله أجمع إذا مد فلم ينزل، ﴿وَمِنْهُمْ مَن  
 يَنْتَظِرُ﴾، الشهادة، وقال محمد بن إسحاق: فمنهم  
 من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من  
 ينتظر يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون  
 أحد الأمرين إمَّا الشهادة أو النصر، ﴿وَمَا بَدَلُوا﴾،  
 عهدهم ﴿تَبْدِيلًا﴾.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ  
 بِصِدْقِهِمْ﴾، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء  
 بالعهد، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ  
 عَلَيْهِمْ﴾، فيهدهم إلى الإيمان، ﴿إِن كَانَ اللَّهُ كَانَ  
 عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قريش  
 وغطفان، ﴿بِعَيْثِهِمْ﴾، لم يشف صدورهم بنيل ما  
 أرادوا، ﴿لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا﴾، ظفرا، ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ  
 الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، بالملائكة والريح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ  
 قَوِيًّا عَزِيمًا﴾، قويًّا في ملكه عزيزًا في انتقامه.

[٢٦] ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾،  
 أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول  
 الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿مِن  
 صِيَاصِيهِمْ﴾، حصونهم ومعاملهم، واحدها  
 صيصية، ومنه قيل: للقرن ولشوكة الديك والحاقة  
 صيصية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من  
 الليلة التي انصرف الأحزاب فيها راجعين إلى  
 بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق  
 إلى المدينة، ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى  
 جبريل رسول الله ﷺ فقال: قد وضعت السلاح يا  
 رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: عفا الله عنك  
 ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما  
 رجعت الآن إلا من طلب القوم. فقال: إن الله  
 يأمرك بالسير إلى بني قريظة فأمر النبي ﷺ مناديا  
 فأذن أن مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا  
 في بني قريظة فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل  
 على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم، فتلاحق

به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة  
 ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين  
 أحد العصر إلا في بني قريظة» فصلوا العصر بها  
 بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم  
 به رسول الله ﷺ، قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ  
 خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف  
 الله في قلوبهم الرعب فلما أصبحوا نزلوا على حكم  
 رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا  
 معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟» قالوا:  
 بلى قال: فذاك إلى سعد بن معاذ، قال سعد: فإني  
 أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبى  
 الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد  
 حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»،  
 وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس  
 من الهجرة ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وهم الرجال يقال:

إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، قال مقاتل: كان عذابها على الله ههنا وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْتَنُ﴾، يطع، ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ﴾، أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، حسناً يعني الجنة. [٣٢] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنًا كَأَلِمٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾،

قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، قال الله تعالى: (لا نفرق بين أحد من رسله) وقال: (فما منكم من أحد عنه حاجزين)، ﴿إِنْ أَتَيْتَنَّ﴾، الله أطعنه، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، لا تلتن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام، ﴿فِيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، أي فجور وشهوة، وقيل: نفاق، والمعنى لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

[٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرهما فمن فتح القاف فمعناه: اقررن أي الزمن بيوتكن، من قولهم: قررت بالمكان أقر قرأ، ويقال: قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان،

كانوا ستمائة، ﴿وَتَأْسَرُونَ فَرِيقًا﴾، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: سبعمائة.

[٢٧] ﴿وَأُورِثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوهَا﴾، بعد، قال ابن زيد ومقاتل: يعني خبير، قال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيمة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا أَرْسَلْنَا بِكُنْتَن نُّرِدُّكَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّيْنَهَا فَعَالِيْنَ أُمَّعَكُنَّ﴾، متعة الطلاق، ﴿وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿وَإِنْ كُنْتَن نُّرِدُّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْءَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سأله شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيرة بعضهن على بعض فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعاشته، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك<sup>(١)</sup>. قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: (لا يحل لك النساء من بعد).

[٣٠] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾، بمعصية ظاهرة وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق، ﴿يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿نُضْعَفُ﴾ بالنون وكسر العين وتشديدها، ﴿الْعَذَابُ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين ﴿الْعَذَابُ﴾ رفع ويشدها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾، وقرأ الآخرون: (يُضَاعَفُ) بالألف وفتح العين، ﴿الْعَذَابُ﴾ رفع، وهما لغتان مثل بعد وباعد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء

(١) أي بقية نسائه، انظر فتح الباري ٥١٩/٨ مسلم (١٤٧٥) ١١٠٥/٢-١١٠٨، الطبري ١٥٦/٢١ شرح السنة ٢١٥/٩.





[٣٧] ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: «إني أريد أن أفارق صاحبتي»، قال: ما لك أرابك منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك»، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، في أمرها، ثم طلقها زيد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالتربية والإعتاق وهو زيد بن حارثة، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، يعني زينب بنت جحش، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ فيها ولا تفارقها، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، أي تسر في نفسك ما الله مظهره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها، وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ود أنه طلقها، ﴿وَتُخْفِي النَّاسَ﴾، قال ابن عباس والحسن: تستحييهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾، قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية. وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾. وروى سفيان ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾؟ قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله! إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها

﴿وَالْقَيْنَتِ وَالصَّديقِ﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، على ما أمر الله به، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، المتواضعين، ﴿وَالصَّديقِ﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ألا يلتفت، ﴿وَالصَّديقِ﴾، مما رزقهم الله، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، عما لا يحل، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، كثيرًا والذكريات، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ﴿أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، الآية نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبدالله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾، يعني عبدالله ابن جحش، ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني أخته زينب، ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾، أي إذا أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زينب لزيد ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من أمرهم، والخيرة الاختيار، والمعنى أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾، أي أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها.

قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتُك أنها ستكون من أزواجك، وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: (زوجناكها) فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياءً أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول حسن مرضٍ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر وقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُهُ﴾، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال: (أنا أخشاكم لله وأتقاكم)، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا﴾، أي حاجة من نكاحها، ﴿زَوْجَتِكُمْ﴾، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها، قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكُنْ أهاليكُنْ وزوجني الله من فوق سبع سموات. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدُلُّ عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدلي بهنّ: جدي وجدك واحد، إني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام. ﴿لَيْكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، إثم، ﴿فِي أَرْوَاحٍ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا﴾، والأدعياء جميع

﴿٢٣﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مَبْدِيُّهُ وَمَخْشَى النَّاسِ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحٍ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

الدعي وهو المتبني، يقول: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لتعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني، وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، أي كان قضاء الله ماضيًا وحكمه نافذًا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، أي فيما أحل الله له، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾، أي كسنة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي الزموا سنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام، وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿وَكَانَ

فريضة على عباده إلا جعل لها حدًا معلومًا وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدًا يُنتهى إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: (فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم). وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدًا.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾، أي صَلُّوا له، ﴿بُكْرَةً﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَأَصِيلًا﴾، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلًا صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالترسيخ عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين. قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أياصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وأن صلواتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

[٤٤] ﴿تَحِيَّاتُهُمْ﴾، أي تحية المؤمنين، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾، أي يرون الله، ﴿سَلَامٌ﴾، أي يسلم الله

أمر الله قَدْرًا مَقْدُورًا، قضاءً مقضيًا كائنًا ماضيًا.

[٣٩] ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبهم، ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه.

[٤٠] ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: إن ابني هذا سيد؟ قيل: هؤلاء كانوا صغارًا لم يكونوا رجالًا. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم، ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، ختم الله به النبوة، وقرأ ابن عامر وابن عاصم: ﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنًا يكون بعده نبيًا. وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدًا ذكرا يصير رجلاً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»<sup>(١)</sup>.

[٤١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة ٢٠١/١٣ وأخرج البخاري نحوه ٥٥٨/٦ وكذا مسلم ١٧٩١/٤.

عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات. وروي عن البراء بن عازب قال: ﴿يَحْيِيَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه. وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقربك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حتى يخرجون من قبورهم. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، يعني الجنة.

[٤٥] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي شاهداً للرسول بالتبليغ ومبشراً لمن آمن بالجنة ونذيراً لمن كذب بآياتنا بالنار.

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى توحيده وطاعته، ﴿بِإِذْنِهِ﴾، بأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، سماه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

[٤٧] ﴿وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿وَدَعَّ أَدْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآياته القتال. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً.

[٤٩] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية: إذا نكحتك فأنت طالق، وقال: كل امرأة أنكحها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾، تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾، تحصونها بالأقراء والأشهر، ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾، أي أعطوهن ما يستمتعن به، قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمي لها صداقاً فلها المتعة فإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف

سُورَةُ الْاِحْبٰبِ

٤٢٤

سُورَةُ الْاِحْبٰبِ

يَحْيِيَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ أَدْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

الصداق ولا متعة لها. وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: (فنصف ما فرضتم)، وقيل: هذا أمر نذب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر، وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، ﴿وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا﴾، خلوا سيبلهن بالمعروف من غير ضرار.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾، أي مهورهن، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، رد عليك من الكفار بأن تسيب فتملك مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾، يعني نساء قريش، ﴿وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾، يعني نساء بني زهرة، ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، إلى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها. وروى أبو صالح عن أم

سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله  
ورسوله والدار الآخرة، على أنهم أمهات المؤمنين  
ولا ينكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن  
ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهنّ أو لم يقسم،  
أو قسم لبعضهنّ دون بعض أو فضل بعضهنّ في  
النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل  
كيف يشاء، وكان ذلك من خصائصه، فرضين  
بذلك واخترنه على هذا الشرط وقال مجاهد:  
ترجي من تشاء منهن يعني تعزل من تشاء منهن بغير  
طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد  
عقد. وقال ابن عباس: تطلق منهن وتمسك من  
تشاء. وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح  
من شئت من نساء أمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا  
خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها  
رسول ﷺ. وقيل: تقبل من تشاء من المؤمنات  
اللاتي يهين أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من  
تشاء فلا تقبلها ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾، أي  
طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن  
القسم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لا إثم عليك فأباح الله  
له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في  
نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى  
فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال،  
﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾، أي  
التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى  
رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهم إذا علمن  
أن ذلك من الله عز وجل، ﴿وَبَرَّضْتَ بِمَا  
ءَالَيْتَهُنَّ﴾، أعطيتهن، ﴿كُلُّهُنَّ﴾، من تقرير  
وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾،  
من أمر النساء والميل إلى بعضهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ  
عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

هانء أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل  
الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أكن من  
المهاجرات وكنت من الطلقاء، ثم نسخ شرط  
الهجرة في التحليل<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَمْرًا مُّؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ  
نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ  
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أحللتنا لك امرأة مؤمنة وهبت  
نفسها لك من غير صداق، فأما غير المؤمنة فلا  
تحل له إذا وهبت نفسها منه، وأول بعضهم الهجرة  
في قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ على الإسلام أي  
أسلمن معك، وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى  
الهيئة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك  
من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً  
لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالزيادة على الأربع  
ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة  
لأحد معه فيه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي  
أوجبنا على المؤمنين، ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، من  
الأحكام ألا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا  
بولي وشهود ومهر ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، أي  
ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿لِكَيْلَا  
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي  
أحللتنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة  
لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿وَكَانَ اللَّهُ  
عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٥١] ﴿تُرْجَى﴾، أي تؤخر، ﴿مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ  
وَتُؤْوَى﴾، أي تضم، ﴿إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾، اختلف  
المفسرون في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في  
القسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم  
كانت واجبة عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه  
وصار الاختيار إليه فيهن، قال أبو رزين وابن زيد:  
نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين  
على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن  
النبي ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز  
وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٧٤/٩ وقال: (حديث حسن  
لا نعرفه إلا من هذا الوجه) والطبري ٢٠/٢٢ وصححه  
الحاكم ٤٢٠/٢.

سُورَةُ الْاِحْزَابِ

٤٢٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ تَرْجِيْ مِنْ نِّسَاءِ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّدُ لِيَكُ مِنْ نِّسَاءِ وَمِنْ اَبْنِيَّتِ  
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ اِنْ قَرَأْتِ قُرْآنًا مِّنْ  
وَلَا يَحْزَنْ وَيَرْضَىٰ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ  
مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَلِيْمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ  
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا اَنْ تَبَدَّلَ مِنْ اَزْوَاجٍ وَلَوْ اَعْجَبَكَ  
حُسْنُهُنَّ اِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيْبًا  
﴿٥٢﴾ يَتَّيْمِنُ الْيَتِيْمَ ؕ اٰمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بِيُوْتِ النَّبِيِّ اِلَّا اَنْ  
يُوْذَنَ لَكُمْ اِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَّظَرٍ اِنَّهُ وَلٰكِنْ اِذَا دُعِيْتُمْ  
فَادْخُلُوْا اِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوْا وَلَا مَسْتَعْسِبِيْنَ لِجَدِيْثٍ اِنْ  
ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِىْ مِنْكُمْ وَاللّٰهُ لَا  
يَسْتَجِىْ مِنْ الْحَقِّ وَاِذَا سَأَلْتُمُوْهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوْهُنَّ مِنْ  
وَّرَآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ وَمَا كَانَ  
لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَلَا اَنْ تَكُوْنُوْا اَزْوَاجَهُ  
مِنْ بَعْدِهِ اَبَدًا اِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيْمًا ﴿٥٣﴾ اِنْ  
تَبَدُّوْا شَيْئًا اَوْ خَفُوْهُ فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا ﴿٥٤﴾

الحميم إذا انتهى حره، وإنى أن يفعل ذلك إذا حان، إنى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحتها مددت فقلت الاناء، وفيه لغتان: إنى بأنى وأن يثن مثل حان يحين، ﴿وَلٰكِنْ اِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوْا اِذَا طَعِمْتُمْ﴾، أكلتم الطعام، ﴿فَانْتَشِرُوْا﴾، تفرقوا واخرجوا من منزله، ﴿وَلَا مَسْتَعْسِبِيْنَ لِجَدِيْثٍ﴾، ولا طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فنهوا عن ذلك، ﴿اِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِىْ مِنْكُمْ وَاللّٰهُ لَا يَسْتَجِىْ مِنْ الْحَقِّ﴾، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً، ﴿وَاِذَا سَأَلْتُمُوْهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوْهُنَّ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ﴾، أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة رسول الله ﷺ منتقبة كانت أو غير منتقبة، ﴿ذَلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ﴾ من الريب ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ﴾،

[٥٢] قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا اَنْ تَبَدَّلَ مِنْ اَزْوَاجٍ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب (لَا تَحِلُّ) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من بعد يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرّم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس وقتادة وقال مجاهد: معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن، يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى، يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلا ما ملكت يمينك، أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا اَنْ تَبَدَّلَ مِنْ اَزْوَاجٍ﴾، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: (وَلَا اَنْ تَبَدَّلَ مِنْ اَزْوَاجٍ)، يعني لا تبادل بأزواج غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته، إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبدل بجارتك ما شئت، فأما الحرائر فلا. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾، يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نساءك وتكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك، ﴿اِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية، ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيْبًا﴾، حافظاً.

[٥٣] ﴿يَتَّيْمِنُ الْيَتِيْمَ ؕ اٰمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بِيُوْتِ النَّبِيِّ اِلَّا اَنْ يُوْذَنَ لَكُمْ﴾ يقول: إلا أن تدعوا، ﴿اِلَى طَعَامٍ﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿غَيْرٍ نَّظَرٍ اِنَّهُ﴾، غير متظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال: أنى

سورة الأحزاب

٤٢٦

سورة الأحزاب

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قَوْلًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْمَلُونَ فِيهَا لِأَقْلِيلًا ﴿٥٩﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا لِتُؤْمَرُوا بِأَلْحَادٍ لِتَقُولُوا أَنِّي مُنْجَبِلَةٌ ﴿٦٠﴾ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْمَلُونَ فِيهَا لِأَقْلِيلًا ﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا لِتُؤْمَرُوا بِأَلْحَادٍ لِتَقُولُوا أَنِّي مُنْجَبِلَةٌ ﴿٦٢﴾

عليه، أي ادعوا له بالرحمة، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي حيّوه بتحية الإسلام. وقال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا»<sup>(١)</sup>.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا: عزيز ابن الله، ويد الله مغلولة وقالوا: إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون

ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿وَلَا أَنْ تَكْفُرُوا بِأَلْحَادٍ مِنْ بَعْدِهِ أُولَٰئِكَ﴾، نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة، قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة ابن عبيدالله فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرم، وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، أي ذنبًا عظيمًا.

[٥٤] ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، نزلت فيمن أضمّر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ، وقيل: قال رجل من الصحابة: ما بالناس يمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضًا نكلمهن من وراء الحجاب؟

[٥٥] فأنزل الله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، أي لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾، قيل: أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتبايات الدخول عليهن، وقيل: هو عام في المسلمات والكتبايات، وإنما قال: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾، لأنهن بين أجناسهن، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرّمًا لها أم لا؟ فقال قوم: يكون محرّمًا لقوله عز وجل: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، وقال قوم: هو كالأجنبي، والمراد من الآية الإمامة دون العبيد، ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ أن يراكن غير هؤلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمًا﴾، من أعمال العباد ﴿شَهِيدًا﴾.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، قال ابن عباس: أراد إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له. وعن ابن عباس أيضًا: يصلون يتبركون. وقيل: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا

(١) أخرجه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨) ٣٠٦/١ والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٣.

وَبَنَاتِكَ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ﴿٥٨﴾  
 جمع الجلاب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر، ﴿ذَلِكَ أَدَّتْ أَنْ يُعْرِفَنَّ﴾، أنهن حرائر، ﴿فَلَا يُؤَدِّنَنَّ﴾، فلا يتعرضن لهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة، وقال: بالكاع أشتبهين بالحرائر، ألقى القناع.

[٦٠] قوله عز وجل: ﴿لَيْنَ لَمَّا يَنْتَهَى الْمُتَفِقُونَ﴾، عن نفاقهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، فجور، يعني الزنا، ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانهمزوا، ويقولون: قد أتاكم العدو ونحوها. وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿لِنُعْرِضَنَّكَ بِهِمْ﴾، لنحرضنك بهم ولنسلطنك عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾، لا يساكنوك في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

[٦١] ﴿مَلْعُونِينَ﴾، مطرودين، نصب على الحال، ﴿أَيْنَ مَا تَقْفُوا﴾، وجدوا وأدركوا، ﴿أُحْذَرُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا﴾، أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾، أي كسنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانًا﴾.

[٦٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا بَدْرِيكَ﴾، أي أي شيء يعلمك

فقالوا: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل: معنى يؤذون الله: أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير، عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»<sup>(١)</sup> وقال بعضهم: (يؤذون الله) أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: (واسئل القرية)، أي أهل القرية. فعن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»<sup>(٢)</sup>، وقال: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة»، ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه.. ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن أن يلحقه أذى من أحد. وإيذاء الرسول قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلم مجنون.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم، ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتًا وَإِنَّمَا كُنْتُمْ بَغْلًا﴾، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة. وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيغمزون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها. ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الأمة لأن زي الكل كان واحد، يخرجون في درع وخمارة الحرّة والأمة كذلك فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

[٥٩] فقال جل ذكره: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رِزْقَ لَهَا

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٥٢٨/١٣ ومسلم في اللباس برقم (٢١١١) ١٦٧١/٣. (٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٤٠/١١.



سورة الأحزاب

٤٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا بَدْرِيكَ  
 لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا  
 ﴿٦٥﴾ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا  
 ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تُغْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ  
 وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا  
 فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ  
 وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
 ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٠﴾  
 يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ  
 لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا  
 الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٣﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ  
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ  
 عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٤﴾

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴿٧٣﴾، الآية، أراد بالأمانة الطاعة  
 والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على  
 السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها  
 أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس،  
 وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة  
 وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء  
 الدين والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا  
 كله الودائع. وقال مجاهد: الأمانة الفرائض،  
 وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا  
 عنه. وقال زيد بن أسلم: هو الصوم والغسل من  
 الجنابة، وما يخفى من الشرائع. وقال بعضهم:  
 هي أمانات الناس والوفاء بالعهد، فحق على كل  
 مؤمن أن لا يغش مؤمنًا ولا معاهدًا في شيء قليل  
 ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس،  
 فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات

أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه،  
 ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

[٦٤-٦٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝  
 خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُغْلَبُ  
 وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، ظهرًا لبطن حين يسحبون  
 عليها، ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، في  
 الدنيا.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾. قرأ ابن  
 عامر ويعقوب: ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على  
 جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف  
 قبلها، ﴿وَكِبْرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَ﴾.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾، أي  
 ضعفي عذاب غيرهم. قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا  
 كَبِيرًا﴾، قرأ عاصم كبيرًا بالباء. قال الكلبي: أي  
 عذابًا كثيرًا، وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى:  
 ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس  
 أجمعين﴾، وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

[٦٩] قوله عز وجل: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا  
 كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، فظهره الله مما  
 قالوا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾، أي كريمًا ذا جاه،  
 يقال: وجه الرجل يوجهه وجهة فهو وجيه، إذا كان  
 ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حظيًا عند الله  
 لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه. وقال الحسن: كان  
 مستجاب الدعوة. وقيل: كان محببًا مقبولًا.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
 وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، قال ابن عباس: صوابًا. وقال  
 قتادة: عدلًا. وقال الحسن: صدقًا. وقيل:  
 مستقيمًا. وقال عكرمة: هو قول لا إله إلا الله.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، قال ابن عباس:  
 يتقبل حسناتكم. وقال مقاتل: يذك أعمالكم،  
 ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
 عَظِيمًا﴾، أي ظفر بالخير كله.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا مَعْجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكَّرُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتِغِيكُمُ إِذْ أَمَرْتُمْ كُلَّ مَرْجَمٍ قُلْ إِنَّمَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

منه، وقيل: الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)، و(الحمد لله الذي صدقنا وعده)، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي يدخل فيها من الماء والأموات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، من النبات والأموات إذا حشروا، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، من الأمطار، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾، يصعد، ﴿فِيهَا﴾، من الملائكة وأعمال العباد، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، الساعة، ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿عَلِيمِ﴾ بالرفع على الاستثناف وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب، أي وربِّي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿علام﴾ على

والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف. وقال بعضهم: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: (واستل القرية) أي أهل القرية. والأول أصح، وهو قول العلماء ﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، أي خفن من الأمانة أن لا يؤديها فيلحقهن العقاب، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، يعني آدم عليه السلام، فقال الله لآدم: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تقبها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً لأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلوماً حين عصى ربه، جهولاً لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمّل.

[٧٣] قوله عز وجل: ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾، وقال مقاتل: ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة. وقال ابن قتيبة: أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن من فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.

### (٣٤) سُورَةُ سَبْأِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكاً وخلقاً، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾، كما هو له في الدنيا، لأن النعم في الدارين كلها

وزن فعال، وجر الميم، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾، لا يغيب، ﴿عَنْهُ مِمَّا لَدَرَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي من الذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

[٤] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلِيَّاتِكُمْ﴾، يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن يعني في الجنة.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾، في إبطال أدلتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿أَوْلِيَّاتِكُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع ههنا وفي الجاثية على نعت العذاب، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز، وقال قتادة: الرجز سوء العذاب.

[٦] ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾، يعني أنه من عند الله، ﴿وَيَهْدِي﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وهو الإسلام.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منكرين للبعث متعجبين منه، ﴿هَلْ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْسِكُمْ﴾، أي يخبركم يعنون محمداً ﷺ، ﴿إِذَا مَرَقْتَهُ كُلُّ مِرْقٍ﴾، قُطِعْتُمْ كل تقطيع وفُرِقْتُمْ كل تفريق وصرتم تراباً ﴿إِن كُمْ لَنِي خَلَقٍ حَكِيدٍ﴾ يقول لكم إنكم لفي خلق جديد.

[٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ يقولون: أزعم كذباً أم به جنون، قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾، من الحق في الدنيا.

[٩] قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسماوي محيطة بهم لا يخرجون

من أقطارها وأنا القادر عليهم، ﴿إِن نَّشَأْ نُخَسِّفَ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾، قرأ الكسائي ﴿نُخَسِّفُ بِهِمْ﴾ بإدغام الفاء في الباء، ﴿أَوْ نَسُفُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿إِن يَشَأْ يُخَسِّفُ﴾ أو يسقط، بالياء فيهن لذكر الله من قبل، قرأ الآخرون بالنون فيهن، ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾، أي فيما ترون من السماء والأرض، ﴿لَايَةً﴾، تدل على قدرتنا على البعث ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾، تائب راجع إلى الله بقلبه.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾، يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أوتي من حسن الصوت وتلين الحديد وغير ذلك مما خص به، ﴿يَجْعَالُ﴾، أي وقلنا: يا جبال، ﴿أُوبِي﴾، أي سبحي، ﴿مَعَهُ﴾، إذا سبح، وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله فينزل ليلاً بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحى معه، ﴿وَالطَّيْرَ﴾، عطف على موضع الجبال، لأن كل منادى في موضع النصب. وقيل: معناه وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه. وقرأ يعقوب: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالرفع رداً على الجبال أي أوبي أنت والطير ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾، حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة،

[١١] ﴿أَن أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ﴾، دروعاً كوامل واسعات طوالاً تسحب في الأرض، ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾، واسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السرد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاً فتفتلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال: السرد المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة، ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، يريد داود وآله، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢٩

سَبَأٌ

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفْتَرُوا لِي مَائِنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن شَاءَ نَحْصِفْ بِهِمْ  
 الْأَرْضَ أَوْ نَسْفِطْ عَلَيْهِمْ كَسَافِرِينَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ  
 لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا  
 يَنْجِي آلَ أَبِي مَعَّةَ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ  
 سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صِلًا حِإِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ  
 وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
 بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴿١٢﴾ بِأَمْرِ رَبِّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَخَّرَ اللَّهُ  
 الْجِنَّ لِسَلِيمَانَ وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، ﴿وَمِنَ  
 يَزِجٍ﴾، أَي يَعْدِلُ، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، مِنَ الْجِنِّ، ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾،  
 الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ مِنْ طَاعَةِ سَلِيمَانَ، ﴿نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ  
 السَّعِيرِ﴾، فِي الْآخِرَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّ  
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّ بِهِمْ مَلَكًا بِيَدَيْهِ سَوَاطِيرَ مِنْ نَارٍ  
 فَمَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ سَلِيمَانَ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ.

﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ، أَي مَسَاجِدَ  
 وَالْأَبْنِيَةَ الْمُرْتَفِعَةَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَمَثِّلُ﴾ أَي كَانُوا يَعْمَلُونَ  
 لَهُ تَمَثُّيلَ أَي صُورًا مِنْ نَحَاسٍ وَصَفَرٍ وَشَبَّةٍ وَزَجَاجٍ  
 وَرِخَامٍ. وَقِيلَ: كَانُوا يَصُورُونَ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ. وَقِيلَ:  
 كَانُوا يَتَّخِذُونَ صُورَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
 فِي الْمَسْجِدِ لِيَرَاهَا النَّاسُ فَيَزِدَادُوا عِبَادَةً، وَلَعَلَّهَا  
 كَانَتْ مَبَاحَةَ فِي شَرِيعَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْسَى كَانَ يَتَّخِذُ  
 صُورًا مِنَ الطَّيْرِ فَيَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ.  
 ﴿وَجَفَّانٍ﴾، أَي قِصَاعٍ وَاحِدَتُهَا جَفْنَةٌ، ﴿كَلْجَوَابٍ﴾،  
 كَالْحِيَاضِ الَّتِي يَجِبِي فِيهَا الْمَاءُ أَي يَجْمَعُ وَاحِدَتُهَا جَابِيَةٌ  
 ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، أَي وَقَلْنَا: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا،  
 مَجَازَةً: اعْمَلُوا يَا آلَ دَاوُدَ بِطَاعَةِ اللَّهِ شُكْرًا لَهُ عَلَى  
 نِعْمِهِ، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾، أَي الْعَامِلُ بِطَاعَتِي  
 شُكْرًا لِنِعْمَتِي قِيلَ: الْمُرَادُ مِنْ آلِ دَاوُدَ هُوَ دَاوُدُ نَفْسُهُ.  
 وَقِيلَ: دَاوُدُ وَسَلِيمَانُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ.

﴿١٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ، أَي عَلَى سَلِيمَانَ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ:  
 كَانَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿١٢﴾ ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحِ﴾، أَي وَسَخَّرْنَا لِسَلِيمَانَ الرِّيحَ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمِ الرِّيحَ بِالرَّفْعِ أَي سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ، ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾، أَي سَبَّرَ غَدُوًّا تِلْكَ الرِّيحَ الْمَسْخُورَةَ لَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَسَبَّرَ رَوَّاحُها مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَكَانَتْ تَسِيرُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ﴾، أَي أَذْنَبْنَا لَهُ عَيْنَ النَّحَاسِ، وَالْقَظْرُ النَّحَاسُ ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، بِأَمْرِ رَبِّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَخَّرَ اللَّهُ الْجِنَّ لِسَلِيمَانَ وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، ﴿وَمِنَ يَزِجٍ﴾، أَي يَعْدِلُ، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، مِنَ الْجِنِّ، ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾، الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ مِنْ طَاعَةِ سَلِيمَانَ، ﴿نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، فِي الْآخِرَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّ بِهِمْ مَلَكًا بِيَدَيْهِ سَوَاطِيرَ مِنْ نَارٍ فَمَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ سَلِيمَانَ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ.

﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ، أَي مَسَاجِدَ وَالْأَبْنِيَةَ الْمُرْتَفِعَةَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَمَثِّلُ﴾ أَي كَانُوا يَعْمَلُونَ لَهُ تَمَثُّيلَ أَي صُورًا مِنْ نَحَاسٍ وَصَفَرٍ وَشَبَّةٍ وَزَجَاجٍ وَرِخَامٍ. وَقِيلَ: كَانُوا يَصُورُونَ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ. وَقِيلَ: كَانُوا يَتَّخِذُونَ صُورَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الْمَسْجِدِ لِيَرَاهَا النَّاسُ فَيَزِدَادُوا عِبَادَةً، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ مَبَاحَةَ فِي شَرِيعَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْسَى كَانَ يَتَّخِذُ صُورًا مِنَ الطَّيْرِ فَيَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ. ﴿وَجَفَّانٍ﴾، أَي قِصَاعٍ وَاحِدَتُهَا جَفْنَةٌ، ﴿كَلْجَوَابٍ﴾، كَالْحِيَاضِ الَّتِي يَجِبِي فِيهَا الْمَاءُ أَي يَجْمَعُ وَاحِدَتُهَا جَابِيَةٌ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، أَي وَقَلْنَا: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا، مَجَازَةً: اعْمَلُوا يَا آلَ دَاوُدَ بِطَاعَةِ اللَّهِ شُكْرًا لَهُ عَلَى نِعْمِهِ، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾، أَي الْعَامِلُ بِطَاعَتِي شُكْرًا لِنِعْمَتِي قِيلَ: الْمُرَادُ مِنْ آلِ دَاوُدَ هُوَ دَاوُدُ نَفْسُهُ. وَقِيلَ: دَاوُدُ وَسَلِيمَانُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ.

﴿١٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ، أَي عَلَى سَلِيمَانَ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ:  
 كَانَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يتجرد في بيت المقدس السنة والستين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئًا على عصاه فمات قائمًا وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلواته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولًا كاملًا حتى أكلت الأرضه عصا سليمان، فخر ميتًا فعملوا بموته فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾، وهي الأرضة التي، ﴿تَأْكُلُ مِيسَاتَهُ﴾، يعني عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾، أَي سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾، أَي عَلِمَتِ الْجِنُّ وَأَيَقَنَتِ، ﴿أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، أَي فِي

عليهم وأندروهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله عزَّ وجلَّ علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق وقيل: العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة ﴿وَيَدُلُّهُمْ بِحَبَّتِهِمْ جَبَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ حَمْطٍ﴾، وقرأ العامة بالتنونين، وقرأ أهل البصرة: (أَكْلِ حَمْطٍ) بالإضافة، الأكل الثمر، والخمط الأراك وثمره يقال له البرير، هذا قول أكثر المفسرين، وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط. وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به، فمن جعل الخمط اسمًا للمأكول فالتنونين في أكل حسن، ومن جعله أصلًا وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنونين سائغ تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنها منه، ﴿وَأَثَلِ وَشَىءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرًا بريًا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

[١٧] ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم، ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إِلَّا الكفور، وقال مجاهد: يجازى أي يعاقب. وقال في العقوبة: يجازى، وفي المثوبة يجزى. قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في نعمه. قال الفراء: المؤمن يُجزى ولا يجازى أي

التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيًا، أراد بذلك أن يُعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم، وذكر الأزهري أن معناه تبينت الجن، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، أي علمت الإنس وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: ﴿تَبَيَّنَتْ﴾ بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنس والجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وتبين لازم ومتعد.

[١٥] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾، قرأ حمزة وحفص ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، ﴿ءَايَةٌ﴾، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: ﴿جَبَّتَانِ﴾، أي هي جبتان بستانان، ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل: عن يمين من أتاهما وشماله، وكان لهما وادٍ قد أحاطت الجبتان بذلك الوادي ﴿كُلُوا﴾، أي وقيل لهم: كلوا، ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، يعني من ثمار الجبتين ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته، ﴿بِلَدَّةٍ طَيِّبَةٍ﴾، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة أي طيبة الهواء، ﴿وَرَبِّ غَفُورٍ﴾، قال مقاتل: وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم ربُّ غفور للذنوب.

[١٦] ﴿فَاعْرَضُوا﴾، قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه

يجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَكَرْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر هي قرى الشام، ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام. وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار ﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾، أي قلنا لهم: سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانون يسيرون فيها ﴿لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا﴾، أي بالليلي والأيام أي وقت شتتم، ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن تستهيه.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾، فاجعل بيننا وبين الشام فلات ومفاوز لتركب فيها الرواحل وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئمو الراحة ﴿وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بالبطر والطغيان. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَجْرَقٍ﴾، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾، لعبرا ودلالات، ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾، عن معاصي الله، ﴿شَكُورٍ﴾، لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبوراً على البلاء شاكراً للنعماء قال مطرف: هو المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ

٤٣٠ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كَأُومٍ مِّن رَّزْقِ رَبِّكُمُ وَأَشْكَرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَجْرَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِّن شَرِكٍ وَمَالُهُمْ مِّنْهُم مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

ظَنَّهُ﴾، قرأ أهل الكوفة: (صَدَّقَ) بالتشديد أي ظن فيهم ظناً حيث قال: (فبعزتك لأغويتهم أجمعين) (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فصدَّق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

[٢١] قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾، أي

إلا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لكفار مكة، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أنهم آلهة، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضّر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، من خير وشر ونفع وضر ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، أي للآلهة، ﴿فِيهَا﴾، في السموات والأرض، ﴿مِن شِرْكِ﴾، من شركة، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، أي وما لله، ﴿مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾، عون.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ الله في الشفاعة، قاله تكديباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الهمزة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وكسر الزاي في ﴿فُزِعَ﴾ أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عزّ وجلّ، وقال بعضهم: إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة. وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركين. قال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا: الحق، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّن السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالرزق من السموات ومن

٤٣١ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّن السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتَهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَّوْمَ لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نُوَدِّعُ إِذ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

الأرض النبات، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، أي إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتدٍ والآخر ضالٌّ، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب. وقال بعضهم: أو بمعنى الواو والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم على الضلال.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾، يعني يوم القيامة،

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

٤٣٢

سُورَةُ سَبْأٍ

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا ائْتِنَا صِدْقَكُمْ  
عَنِ الْمَهْدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ  
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ  
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَدَلِ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ  
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٩﴾  
وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا بِلَيْكُم مَّا نَكُونُ لَكُمْ بِأَعْيُنِنَا قُلْ إِن رَّبِّي  
بِسْطُ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾  
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تَقْرَبُونَ عِنْدَنَا  
رُفْقًا إِلَّا مَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ  
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي  
ءَابِنَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ  
إِن رَّبِّي بِسْطُ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا  
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٣﴾

ترك الإيمان.

[٢٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ  
مَكْرَ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾، أي مكركم بنا في الليل  
والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار  
على توسع في الكلام.

وقيل: مكر الليل والنهار وهو طول السلامة  
وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: (فطال عليهم  
الأمم فقتس قلوبهم). ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ  
وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ﴾، وأظهروا ﴿النَّدَامَةَ﴾،  
وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ  
وَجَعَلْنَا الْأَعْتَدَلِ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في النار  
والأتباع والمتبوعين جميعًا. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا.

(١) أخرجه البخاري في التيمم ٤٣٥/١ ومسلم في المساجد  
رقم (٥٢١) ٣٧٠/١ والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١٣.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾، يقضي، ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ  
الْعَلِيمُ﴾.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ﴾،  
أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء  
في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿كَلَّا﴾،  
لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾،  
الغالب على أمره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه فأنى  
يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَّةً  
لِّلنَّاسِ﴾، يعني للناس أحمرهم وأسودهم، ﴿بَشِيرًا  
وَنَذِيرًا﴾، أي مبشرا ومنذرا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ﴾، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان  
النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس  
عاما»<sup>(١)</sup> وقيل: كافة أي كافأ يكفهم عما هم عليه  
من الكفر، والهاء للمبالغة.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ﴾، يعني القيامة.

[٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً  
وَلَا تَسْتَعِينُونَ﴾، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم  
القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون  
عنه ولا تتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص منه.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا  
الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعني التوراة  
والإنجيل، ﴿وَلَوْ تَرَوُنَّ﴾، يا محمد، ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ  
مَوْفُوقُونَ﴾، محبوسون، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ  
إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلُ﴾، يرد بعضهم إلى بعض القول  
في الجدال، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾، استحقروا  
وهم الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، وهم القادة  
والأشراف، ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، أي أنتم  
منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أجابهم  
المتبوعون في الكفر، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا ائْتِنَا  
صِدْقَكُمْ عَنِ الْمَهْدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ﴾،



يخلفه على المنفق، إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، خير من يعطي ويرزق. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»<sup>(٢)</sup>.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ يعقوب وحفص ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿جَمِيعًا﴾ يعني هؤلاء الكفار، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ إِنَّا كُنَّا بِكُمْ عِبَادُونَ﴾، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: (أَأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)، فتتبرأ منهم الملائكة.

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ﴾، تنزيهاً لك، ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾، أي نحن نتولاك ولا تتولاهم، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آٰلِجِنِّ﴾، يعني الشياطين، فإن قيل لهم: كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿يَعْبُدُونَ آٰلِجِنِّ﴾، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله ﴿يَعْبُدُونَ﴾ أي يطيعون الجن، ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾، يعني مصدقون للشياطين.

[٤٢] ثم يقول الله: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمٰلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا﴾، بالشفاعة، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ آٰيَاتُنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَسُولٌ شَبَّٰهُ الَّذِي سَبَقْنَا بِهٖ نَفْسًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾،

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣/٤٦٤ ومسلم في الزكاة برقم (٩٩٣) ٢/٦٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة ٣/٣٠٤ ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٠) ٢/٧٠٠.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالُ مَرْفُوهَا﴾، رؤساؤها وأغنياؤها، ﴿إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا، ﴿تَحَنُّنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾، ولو لم يكن الله راضيًا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ﴿وَمَا تَحَنُّنُ بِمُعْذِيبِينَ﴾، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، يعني إن الله ييسر الرزق ويقدر ابتلاءً وامتحانًا لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضيق على سخطه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنها كذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾، أي قربي، قال الأخفش: قربي اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا تقريبًا، ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾، يعني من آمن ﴿وَعَمِلَ صٰلِحًا﴾، قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿فَأُولٰٓئِكَ هُم جَزَاءُ الصَّٰعِفِ بِمَا عَمِلُوا﴾، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة إلى سبعمائة ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفِ عٰمُونَ﴾، قرأ حمزة: (في الغرفة) على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: (لنبوأنتهم من الجنة غرفًا).

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾، يعملون، ﴿فِي آٰيَاتِنَا﴾، في إبطال حجتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا، ﴿أُولٰٓئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، يعطي خلفه قال سعيد بن جبیر: ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو

يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفِكُ مُفَرَّىٰ ﴿٤٤﴾، يعنون القرآن، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِّبِينٌ﴾، أي بين.

[٤٤] ﴿وَمَا آئِنْتَهُمْ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾، يقرؤونها، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب.

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم، ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ يعني هؤلاء المشركين، ﴿مِعْشَارًا﴾، أي عشر، ﴿مَا آئِنْتَهُمْ﴾، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِيَّ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي إنكاري وتغيري عليهم، يُحذّر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوْحِدَةٍ﴾ أي بخصلة واحدة، ثم بين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مَتْنِي﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وَفِرْدَيْ﴾، أي واحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، جميعًا أي تجتمعون فتتظنون وتتجاوزون وتتفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: (وَأَنْ تَقُومُوا لِلتَّامِي بِالْقِسْطِ). ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال مقاتل: تم الكلام عند قوله (ثم تفكروا) أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال: ما بصاحبكم من جنة.

[٤٧] ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، جُعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا فتفهموني، ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لم أسألكم شيئًا كقول

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَلِيمُ لَأَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَدَأْتُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آرْجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفِكُ مُفَرَّىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِّبِينٌ ﴿٤٩﴾ وَمَا آئِنْتَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٥٠﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آئِنْتَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِيَّ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوْحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتْنِي وَفِرْدَيْ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٥٢﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٥٤﴾

القاتل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه أتى بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾، رفع بخبر إن أي وهو علام الغيوب.

[٤٩] ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يَدِيئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية بيدي أي شيئًا أو يعيد، كما قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)، وقال قتادة: الباطل هو إبليس، وهو قول مقاتل والكليبي، وقيل: الباطل الأصنام.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾، وذلك أن كفار مكة يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت

دين آبائك، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إثم ضلالتني على نفسي، ﴿وَأِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُرْسِدُ إِلَىٰ رَبِّي﴾، من القرآن والحكمة، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ﴾، قال قتادة: عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿فَلَا فُوتُ﴾، أي فلا يفوتوني كما قال: (ولات حين مناص)، وقيل: إذا فرغوا فلا فوت ولا نجاة، ﴿وَأُخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، قال الكلبي: من تحت أقدامهم، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أبي: خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمرًا تعتبر به.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ﴾، حين عاينوا العذاب، قيل: عند اليأس وقيل: عند البعث. ﴿وَأَنَّى﴾، من أين، ﴿لَهُمُ التَّنَاطُوشُ﴾ التناوش بالمد والهمزة، بواو صافية من غير مد ولا همز، ومعناه التناول أي كيف تناول ما بعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريبًا في الدنيا فضيعوه، ومن همز قيل: معناه هذا أيضًا. وقيل: التناوش بالهمزة من النباش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشًا أي مبطنًا متأخرًا، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى الدنيا فيقال: وأنى لهم الرد إلى الدنيا، ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، أي من الآخرة إلى الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، من قبل أن يعاينوا العذاب وأحوال القيامة، ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، قال مجاهد، يرمون محمدًا بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون

سُورَةُ فَاطِرٍ

٤٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْعِي الْبَطْلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُرْسِدُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ قَالَ فُوتُ وَأُخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُوسًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ بَرِيدٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانظُرُوا كَيْفَ تَقُومُونَ ﴿٣﴾

محمدًا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، أي الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾، يعني بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾، من البعث ونزول العذاب بهم، ﴿مُرِيبٍ﴾، موقع لهم الريبة والتهمة.

### (٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق، ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُوسًا

أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ ﴿٢﴾، ذوي أجنحة ﴿مَثْنَى وَثِلَتَ وَرَبْعَ﴾، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وقال ابن مسعود في قوله عز وجل: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال: حسن الصوت. وعن قتادة قال: هو الملاحه في العينين. وقيل: هو العقل والتمييز. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾، قيل: من مطر وزرق، ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾، لا يستطيع أحد حبسها، ﴿وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وهو العزيز، ﴿فِي مَا أَمْسَكَ﴾ الحكيم، ﴿فِي مَا أَرْسَلَ مِنْ مَطَرٍ وَزَرْقٍ﴾.

[٣] ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ أَدُّوهُمَا وَعَمَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿غَيْرِ﴾ بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن ﴿مِنْ﴾ زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله، ﴿يَبْرِزُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَتُوفَكُونَ﴾.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعزي نبيه ﷺ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٥] ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني وعد القيامة، ﴿فَلَا تَعْرَضْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزُبْكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ﴾، وهو الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي عادوه بطاعة الله ولا تطعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾، أي أشياعه وأولياءه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال:

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا ٢٣٥ ﴿٢﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَضْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزُبْكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثَبْرٌ مَحَابِبًا فَاسْقِنَهَا إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَمُتُّ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

[٨] قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبيرة: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكباير فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكباير، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ﴾ شبه وموه (عليه) وحسن ﴿لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي قبيح عمله، ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾، زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازة: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل باطلاً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَالْحَقُّ حَقًّا وَالْبَاطِلُ بَاطِلًا﴾، وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿فَلَا يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾، فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهب نفسك عليه حسرة،

فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رُدَّ كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وفر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح رَدَّ الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿إِيَّاهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وجاء في الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلا بنية»<sup>(١)</sup> وقال قوم: الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل، وقيل: الرفع من صفة الله عز وجل معناه: العمل الصالح يرفعه الله عز وجل. وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله عز وجل: (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)، فجعل نقض الصالح الشرك والرياء، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، قال الكلبي: أي الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك)، وقال مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾، يبطل ويهلك في الآخرة.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي آدم، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، يعني نسله، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراناً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾، لا يطول عمره، ﴿وَلَا يُقْضَى مِنْ عُمرِهِ﴾، يعني من عمر آخر، كما يقال

أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسن بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زَيْن له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ من القبور.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، وقال الفراء: معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فله العزة جميعاً، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله، معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلاً)، وقال: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)، ﴿إِيَّاهِ﴾، أي إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل: الكلم الطيب ذكر الله. وعن قتادة: إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب. قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، فالهاء في قوله يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين. وقال الحسن وقاتة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء

(١) هكذا رواه البغوي بغير سنده، وتبعه عليه الخازن في تفسيره، وذكر الإمام الطبري في تفسيره ج ٢٢ ص ٨٠ أوله وعزاه لقتادة.

فلان: عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر،  
﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، وقيل: قوله ولا ينقص من عمره  
منصرف إلى الأول ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي  
كتابة الأجل والأعمار على الله هين.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، يعني  
العذب والمالح ثم ذكرهما فقال، ﴿هَذَا عَذْبٌ  
فُرَاتٌ﴾، طيب، ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾، أي جائر في الخلق  
هنيئ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، شديد الملوحة. وقال  
الضحَّاك: هو المر. ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا  
طَرِيًّا﴾، يعني الحيتان من العذب والمالح جميعًا  
﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾، أي من المالح دون العذب  
﴿تَلْبَسُونَهَا﴾، يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ  
إليهما، عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من  
ذلك، ﴿وَفَرَى الْفَلَكُ فِيهِ مَوَاحِرُ﴾، جوارى مقبلة  
ومدبرة بريح واحدة، ﴿لِتَبْعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾،  
بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه.

[١٣] ﴿يُولِجُ آيِلًا فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ  
الَّيْلَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ  
مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿مَا يَمْلِكُونَ  
مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، وهو لفافة النواة، وهي القشرة  
الرقيقة التي تكون على النواة.  
[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾، يعني إن تدعوا الأصنام،  
﴿لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، ما  
أجابوكم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾،  
يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها، يقولون: ما  
كنتم إيانا تعبدون. ﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾، يعني  
نفسه أي لا ينبتك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

[١٥] ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، إلى  
فضل الله والفقير المحتاج، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه  
إليهم.

[١٦، ١٧] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

سُورَةُ فَاطِرٍ

٤٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا  
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ  
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَفَرَى الْفَلَكُ فِيهِ مَوَاحِرُ لَتَبْعُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ آيِلًا فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ  
النَّهَارَ فِي الْآيِلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي  
لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ  
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ  
﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾  
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ  
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٨﴾  
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾،  
أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها، ﴿إِلَى جَمَلِهَا﴾، أي  
حمل ما عليها من الذنوب، ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ  
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنة  
أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن عباس: يلقى الأب  
والأم ابنة فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي،  
فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ  
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، يخافون، ﴿رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروه.  
وقال الأخفش: تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين  
يخشون ربهم بالغيب، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾،  
أصلح وعمل خيرا، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾، لها  
ثوابه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، يعني  
الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى عن الهدى

والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرك.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ﴾، يعني الكفر والإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُّورُ﴾، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ﴾، يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾، حتى يتعظ ويحجب، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾، يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يحيوا.

[٢٣] ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾، ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾، ما من أمة فيما مضى ﴿إِلاَّ خَلَا﴾، سلف، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾، نبي منذر.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ﴾، بالكتب ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبير على طريق التأكيد.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي إنكاري.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴿طُرُقٌ وَخَطَطٌ وَاحِدَتَهَا جَدَةٌ مِثْلُ مَدَّةٍ وَمُدَدٌ﴾، ﴿يَبِضُّ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيَّةٌ سُودٌ﴾، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غريب أي شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب، أي طرائق سود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، ذكر الكناية لأجل ﴿مِنْ﴾، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار، مجازه: ومن الناس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٤٣٧

سُورَةُ فَاطِرٍ

وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيَّةٌ سُودٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾

والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتم الكلام هنا ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني قال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(١)</sup>. وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾، يعني قرأوا القرآن، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في التفسير ٢٨٠/٨ ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٩) ٤/١٨٢٣.

وقال عقبه بن صهبان: سألت عائشة عن قول الله عز وجل: (ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشئمة، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم. وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرابي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: (جنات عدن يدخلونها)، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره، وقيل: الظالم من وُحِدَ الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وُحِدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وُحِدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله. وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارئ له العالم به، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبد الله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ كَبُورًا، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفراء: قوله يرجون جواب لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾، جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿وَيَرْبِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من الكتب، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى، ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، ويجوز أن يكون ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: (ثم كان من الذين آمنوا)، أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد.

وقيل: أورثنا أي أخرجنا، ومنه الميراث لأنه آخر عن الميت، ومعناه أخرجنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأهلنا له الذين اصطفينا من عبادنا، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم وربتهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ اختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية: «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيحسب في المقام حتى يدخله الهيم، ثم يدخل الجنة»<sup>(١)</sup> ثم قرأ هذه الآية: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور).

(١) قال الهيثمي في المجمع ٩٥/٧: رواه الطبراني وأحمد باختصار. وأخرجه الحاكم ٤٢٦/٢ والطبري ١٣٧/٢٢.



منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: (جنات عدن يدخلونها) وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحات، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي أمر الله وإرادته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، يعني إيراثهم الكتاب.

[٣٣] ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، يعني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو (يَدْخُلُونَهَا) بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَبِاسْتِمْهَمٍ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا﴾ أي ويقولون إذا دخلوا الجنة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن النار. وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقلب القلب، وخوف العقاب، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاشٍ أو لمعادٍ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَلْمَنَّا﴾، أنزلنا، ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾، أي الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾، أي لا يصيبنا فيها عياء ولا مشقة، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، عياء من التعب.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوهَا﴾، أي لا يهلكون فيستريحوا

سورة فاطر

٤٣٨

الجزء الثاني والعشرون

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَوْثَرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٧﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَبِاسْتِمْهَمٍ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِي أَلْمَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوهَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٤١﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمَّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ التَّنْذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

كقوله عز وجل: (فوكزه موسى فقضى عليه)، أي قتله. وقيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتوا، كقوله: (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، من عذاب النار، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، كافر، قرأ أبو عمرو (يُجْزَى) بالياء وضمها وفتح الزاي ﴿كُلُّ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي ﴿كُلُّ﴾ نصب.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿فِيهَا﴾ وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، منها من النار، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخاً ﴿أَوْ لَمْ نُعَمَّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ﴾، قيل: هو

تَفْصِيْلًا

٤٣٩

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا  
 يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ  
 كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَلَّخْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ  
 أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّمَا نَعِدُ الظَّالِمُونَ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ  
 إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن  
 جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَضَعْنَا لَهُ النُّبُوَّةَ  
 نِذِيرًا وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا فَتُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ  
 وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ  
 الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا  
 ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

الآخرة غرور وباطل.

[٤١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أي: كيلا تزولا، ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ  
 أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾، أي ما يمسكهما أحد  
 من عبده، أي أحد سواه، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾،  
 فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هنا؟ قيل: لأن  
 السماوات والأرض همت بما همت به من عقوبة  
 الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه  
 وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، يعني كفار  
 مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا:  
 لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم،  
 وأقسموا بالله وقالوا: لو أتى رسول الله لنكوننَّ

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ١١/٢٣٨.

البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة  
 سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن  
 عباس: ستون سنة، يروى ذلك عن علي وهو العمر  
 الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم، عن أبي هريرة  
 عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرئ  
 آخر أجله حتى بلغه ستين سنة»<sup>(١)</sup> ﴿وَجَاءَكُمُ  
 النَّذِيرُ﴾، يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر  
 المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن  
 عيينة ووكيع: هو الشيب. معناه: أولم نعمركم  
 حتى شبتم. ويقال: الشيب نذير الموت. وفي  
 الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها:  
 استعدي فقد قرب الموت. قوله: ﴿فَذُرُّوْا فَمَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي  
 يخلف بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت  
 من قبلها. ورأت فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر به،  
 ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، أي عليه وبال كفره ﴿وَلَا  
 يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا﴾.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ﴾، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني  
 الأصنام، ﴿أَرُونِي مَا ذَلَّخْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
 السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾، قال مقاتل: هل أعطينا  
 كفار مكة كتاباً، ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾، قرأ ابن  
 كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص ﴿بَيِّنَةً﴾ على  
 التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿بَيِّنَتٍ﴾ على الجمع،  
 يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من  
 ضروب البيان، ﴿بَلْ إِنَّمَا نَعِدُكُمْ﴾، أي ما يعدُّ،  
 ﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾، الغرور ما يغرر  
 الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني ما يعد  
 الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في

## سُورَةُ يَس (٣٦)

[١] ﴿يَس﴾، وَنَ، قرأ ياخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش بخلف عنه في: نون والقلم، والباقون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل (يس) حسب اختلافهم في حروف التهجي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قسم، يروى عنه أن معناه: يا إنسان بلغة طيء، يعني محمداً ﷺ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة. وقال أبو العالية: يا رجل. وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أقسم الله بالقرآن بأن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو ردّ على الكفار حيث قالوا: (لست مرسلًا).

[٤] ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، هو خبر بعد خبر، أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم. وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

[٥] ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (تنزيل) بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو تنزيل العزيز الرحيم.

[٦] ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾، قيل: (ما) للنفي أي لم يُنذر آباؤهم لأن قريباً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل (ما) بمعنى الذي أي لتنذر قوماً بالذي أنذر آباؤهم، ﴿فَهُمْ غَفَلُونَ﴾، عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذا كقوله: (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين).

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُمَّةً﴾ قال أهل

أهدى ديناً منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث محمد كذبوه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾، رسول، ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِمْدَىٰ الْأُمَمِ﴾، يعني من اليهود والنصارى، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾، محمد ﷺ، ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَقْوَرًا﴾، أي ما زادهم مجيئه إلا تباعدًا عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، نصب ﴿أَسْتَكْبَارًا﴾ على البدل من النفور، ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، يعني العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته، قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة (وَمَكْرَ السَّيِّئِ) ساكنة الهمزة تخفيفاً وهي قراءة الأعمش، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، أي لا يحل ولا يحيط المكر السيء، ﴿إِلَّا بِأَهْلِيهِ﴾، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. والمعنى: إن وبال مكرهم راجع إليهم، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، ينتظرون، ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾، إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ﴾، يعني ليفوت عنه، ﴿مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾، من الجرائم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرهَا﴾، يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور، ﴿مِن دَابَّوَةٍ﴾، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿وَلَا يَكُن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك، قال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) معناه لا تمسكها عن النفقة. ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾، وهي كناية عن الأيدي وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ المقمح الذي رفع رأسه وغض بصره، يقال: بعير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض بصره. قال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غُلَّتْ إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إياها.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمَنْ حَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سدًّا) بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمها، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ فأعميناهم من التغشية وهي التغطية، ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، سبيل الهدى.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾، يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، حسن وهو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾، عند البعث، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾، من الأعمال من خير وشر، ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾، أي ما سوا من سنة حسنة أو سيئة، قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤٠

سُورَةُ يَسٍ

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَاللَّيْنِ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبْرَأَ اللَّهُ كَيْفَ يَشَاءُ

سُورَةُ يَسٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَ ١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لَتُنذِرَنَّهُمْ بَلَاءًا بَلَاءًا ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢

وقال قوم: قوله: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي: خطاهم إلى المسجد. روي عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: (ونكتب ما قدموا وآثارهم)<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ حفظناه وعددناه وبيّناه، ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾، يعني اذكر لهم شيئاً مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

(١) أخرجه مسلم في الزكاة رقم (١٠١٧) ٧٠٤/٢ والمصنف في شرح السنة ١٥٩/٦.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٩٤/٩ وقال (حديث حسن غريب) وصححه الحاكم ٤٢٨/٢.

سُورَةُ يَسٍ

٤٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١٤] فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾، قال وهب: اسمهما يوحنا وبولس، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾، يعني فقويْنَا ﴿بِئْسَ الْكُفْرُ﴾، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا، بالتخفيف والتثقيب، وقيل: أي فغلبننا من قولهم من عَزَّ بَزًّا. وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى، ﴿فَقَالُوا﴾، جميعًا لأهل أنطاكية، ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا آتَانَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا نَكَذِبُونَ﴾، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمَنَا إِيَّاكَ الْبُكْرَةَ لِمُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِيثَ﴾.

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ﴾، تشاءمنا بكم

وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿لَيْنَ لَمْ نَنْتَهُوا لِرُجْحَانِكُمْ﴾، لنتقلنكم، وقال قتادة: بالحجارة ﴿وَلَيْمَسَّنْكُمْ مَتَا عَدَابُ آيَةٍ﴾.

[١٩] ﴿قَالُوا طَلَبْنَاكُمْ مَعَكُمْ﴾، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم.

وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾، يعني وعظمت بالله، وهذا استفهام محذوف، الجواب: إن ذكرتم ووعظمت بالله تطيبرتم بنا، وقرأ أبو جعفر (أن) بفتح الهمزة المليئة ذكرتم بالتخفيف، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، مشركون مجاوزون الحد.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، وهو حبيب النجار، وقال السدي: كان قَصَّارًا. وقال وهب: كان رجلًا يعمل الحرير وكان سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى

باب من أبواب المدينة، وكان مؤمنًا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفًا لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿قَالَ يَنْفُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون عن هذا أجرًا؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون)، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم؟

[٢٢] فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب (مالي) بإسكان الياء،

عقوبتهم.

[٢٩] فقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾،  
وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة، بالرفع جعل الكون  
بمعنى الوقوع. قال المفسرون: أخذ جبريل  
بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة،  
﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾، ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾، قال عكرمة: يعني  
يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة،  
وفيه قولان: أحدهما يقول الله تعالى: (يا حسرة)  
وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا  
بالرسل، والآخر أنه من قول الهالكين. قال أبو  
العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي  
ندامة على العباد يعني على العباد يعني الرسل  
الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم  
ينفعهم. قال الأزهري: الحسرة لا تدعى ودعاؤها  
تنبيه المخاطبين. وقيل العرب تقول: يا حسرتي ويا  
عجباً على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى  
التنبيه، فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟  
وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ حقيقة المعنى أن هذا  
زمان الحسرة والتعجب، ثم بين سبب الحسرة  
والندامة، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، ألم يخبروا يعني أهل مكة،  
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، والقرن أهل كل  
عصر، سموا بذلك لاقترانهم في الوجود، ﴿أَنَّهُمْ  
إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي لا يعودون إلى الدنيا فلا  
يعتبرون بهم.

[٣٢] ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٍ﴾، قرأ عاصم وحمزة  
(لما) بالتشديد ههنا وفي الزخرف والطارق، وافق  
ابن عامر إلا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في  
الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فمن شدد جعل  
(إن) بمعنى الجحد، و(لما) بمعنى إلا، تقديره:  
وما كل إلا جميع، ومن خفف جعل (إن) للتحقيق

والآخرون بفتحها. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه  
والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت  
عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم  
أليق. وقيل: إنهم - لما قال: اتبعوا المرسلين -  
أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت  
تتبعهم؟ فقال: (ومالي لا أعبد الذي فطرني)، يعني  
وأي شيء لي إذا لم أعبد الخالق، (وإليه ترجعون)  
تردون عند البعث فيجزئكم بأعمالكم.

[٢٣] ﴿أَتَأْتِدُّ مِنْ دُونِهِ ۗ أَلِهَةً﴾، استفهام بمعنى  
الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلهة، ﴿إِنْ يُرِدْنَ  
الرَّحْمَنُ بَصِيرَةً﴾، بسوء ومكروه، ﴿لَا تَعْنِي عَنِّي﴾،  
لا تدفع عني، ﴿شَفَعْتَهُمْ شَيْئًا﴾ أي لا شفاعة لها  
أصلاً فتعني ﴿وَلَا يُنْقِذُونَ﴾، من ذلك المكروه،  
وقيل: لا ينقذون من العذاب لو عذبنى الله إن  
فعلت ذلك.

[٢٤] ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، خطأ ظاهر.

[٢٥] ﴿إِنِّي أَمْسْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾، يعني  
فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة  
رجل واحد فقتلوه.

[٢٦] فذلك قوله: ﴿فَقِيلَ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ﴾، فلما  
أفضى إلى الجنة، ﴿قَالَ بَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَمَّا عَفَرَ لِي رَبي﴾، يعني بغفران ربي لي،  
﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾، تمنى أن يعلم قومه أن الله  
غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين الرسل، فلما قتل  
حبيب غضب الله له وعجل لهم العقوبة، فأمر جبريل  
فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

[٢٨] فذلك قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ  
مِنْ جُودٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، يعني الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا  
مُزِيلِينَ﴾، وما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم  
كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه (وما أنزلنا على  
قومه من بعده) أي على قوم حبيب من بعد قتله من  
جند وما كُنَّا منزلين، نزلهم على الأمم إذا  
أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بين

سورة يس

٤٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿٣٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا لَأَصْحَابِهَا فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ ﴿٣٥﴾ يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا فِيهَا، فِي الْأَرْضِ، مِنْ الْعُيُونِ. ﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، أَي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿٤٢﴾ وَمَا عَمِلَتْهُ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عملت) بغير هاء، وقرأ الآخرون (عملته) بالهاء أي يأكلون من الذي عملته، ﴿٤٣﴾ أَيْدِيهِمْ، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي. وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاک ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿٤٤﴾ أَفَلَا يَشْكُرُونَ، نعمه الله.

﴿٤٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا، أي الأصناف كلها، ﴿٤٦﴾ مِمَّا تَبِئَتْ الْأَرْضُ، من الثمار والحبوب، ﴿٤٧﴾ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ، يعني الذكور والإناث، ﴿٤٨﴾ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

﴿٤٩﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ، تدل على قدرتنا، ﴿٥٠﴾ أَيْلٌ نَسَلَخُ، ننزع ونكشط، ﴿٥١﴾ وَمِنَ النَّهَارِ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب النهار ونجوي بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

﴿٥٢﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا

﴿٥٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا لَأَصْحَابِهَا فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ ﴿٥٥﴾ يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا فِيهَا، فِي الْأَرْضِ، مِنْ الْعُيُونِ. ﴿٦٠﴾

﴿٦١﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، أي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿٦٢﴾ وَمَا عَمِلَتْهُ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عملت) بغير هاء، وقرأ الآخرون (عملته) بالهاء أي يأكلون من الذي عملته، ﴿٦٣﴾ أَيْدِيهِمْ، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي. وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاک ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿٦٤﴾ أَفَلَا يَشْكُرُونَ، نعمه الله.

﴿٦٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا، أي الأصناف كلها، ﴿٦٦﴾ مِمَّا تَبِئَتْ الْأَرْضُ، من الثمار والحبوب، ﴿٦٧﴾ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ، يعني الذكور والإناث، ﴿٦٨﴾ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

﴿٦٩﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ، تدل على قدرتنا، ﴿٧٠﴾ أَيْلٌ نَسَلَخُ، ننزع ونكشط، ﴿٧١﴾ وَمِنَ النَّهَارِ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب النهار ونجوي بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

﴿٧٢﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا

تجاوزه. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، ﴿٧٣﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ذلك تقدير العزيز العليم.

﴿٧٤﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ، أي قدرنا له، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة (القمر) برفع الراء لقوله: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر)، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: (قدرناه) أي قدرنا القمر، ﴿٧٥﴾ مَنَازِلَ، وقد ذكرنا عددها في سورة يونس<sup>(١)</sup> فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله: ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، والعرجون عود العذق

(١) انظر هنا (ص ٣٩٠) من هذا المختصر.

الذي عليه الشماريخ فإذا قدم عتق ويس وتقس  
واصفر، فشبّه القمر في دقته وصفوته في آخر  
المنازل به.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾،  
أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا  
يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله  
تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، أي هما يتعاقبان  
بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل:  
لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا يطلع  
الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء،  
وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت  
القيامة. وقيل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك  
القمر) أي تجتمع معه في فلك واحد (ولا الليل  
سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما  
فاصل، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يجرون.

[٤١] ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، والمراد  
بالذرية الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على  
الآباء كما يقع على الأولاد، ﴿فِي الْفُلْكِ  
الْمَشْحُونِ﴾، أي المملوء، وأراد سفينة نوح،  
وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح، وكانوا في  
أصلابهم.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾، قيل: أراد  
به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها.  
وقيل: أراد بالسفن التي تجري في الأنهار فهي في  
الأنهار كالفلك الكبار في البحار، هذا قول قتادة  
والضحاك وغيرهما، وروي عن ابن عباس: أنه  
قال: (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)، يعني الإبل  
فالإبل في البر كالسفن في البحر.

[٤٣] ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ﴾، أي لا  
مغيث، ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾، ينجون من الغرق.  
قال ابن عباس: ولا أحد يتقدمهم من عذابي.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾، إلى  
انقضاء آجالهم، يعني إلا أن يرحمهم ويمتعمهم إلى

﴿الذَّالِقِينَ﴾

٤٤٣

﴿الَّذِينَ﴾

﴿وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [٤١] ﴿وَخَلَقْنَا  
لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [٤٢] ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ  
وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ [٤٣] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [٤٤] ﴿وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٤٥]  
﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾  
[٤٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّدُنْيَا اللَّهِ أَطَعْمُهُ وَإِن تَسْرَأُوا  
لَا يَنْظُرُونُ إِلَّا أَصْحَابَهُ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا  
مُعْرِضِينَ﴾ [٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾،  
أعطاكم الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا  
أَنْطِعِم﴾، أنرزق، ﴿مِن لَّدُنْيَا اللَّهِ أَطَعْمُهُ﴾، وذلك

حين آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا  
خَلْفَكُمْ﴾، قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني  
الآخرة، فاعملوا لها وما خلفكم يعني من الدنيا  
فاحذروها، ولا تغتروا بها. وقيل: ما بين أيديكم  
وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم  
عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والجواب  
محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا عرضوا عنه،  
دليله ما بعده.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، أي  
دلالة على صدق محمد ﷺ، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا  
مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾،  
أعطاكم الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا  
أَنْطِعِم﴾، أنرزق، ﴿مِن لَّدُنْيَا اللَّهِ أَطَعْمُهُ﴾، وذلك



رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿٥٢﴾، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

[٥٢] ﴿قَالُوا يَتَوَلَّأْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل. وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عابنوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، أقرّوا حين لم ينفعهم الإقرار. وقيل: قالت الملائكة لهم: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون). قال مجاهد: يقول الكفار: (من بعثنا من مرقدنا) فيقول المؤمنون: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون).

[٥٣] ﴿إِنْ كَانَتْ﴾، ما كانت، ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (في شغل) اختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبرار. وقال وكيع بن الجراح: في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعمّا هم فيه لا يهتمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شُغِلُوا بما في الجنة من النعيم عمّا فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضًا. وقيل: في ضيافة الله تعالى. ﴿فَكَهُونٌ﴾، قرأ أبو جعفر (فكهون) حيث كان، واقفه حفص في المطففين؛ وهما لغتان مثل الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من حرمه الله، وهذا الذي يزعمون [باطل] لأن الله أغنى بعض الخلق وأقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلًا وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمدًا وترك ما نحن عليه.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، أي القيامة والبعث، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾، أي ما ينتظرون، ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، قرأ حمزة (بخصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي يغلب بعضهم بعضًا بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد، أي يختصمون، أدغمت التاء في الصاد.

[٥٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾، أي لا يقدر الإيصاء. قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

[٥١] ﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾، وهي الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿إِلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ  
 فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ  
 مَا يَدْعُونَ ﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ  
 أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّءَادَمَ أَنْ لَا  
 تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي  
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا  
 أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ  
 ﴿٦٤﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ  
 عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا  
 الصِّرَاطَ فَأَنْتُمْ بُصُرُوتٌ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ  
 عَلَى مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾  
 وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾  
 وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ  
 ﴿٧٠﴾ لَيْسَ ذِكْرٌ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

[٥٦] ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ﴾، أي حلاتهم، ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ العامة (في ظلال) بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، يعني السرر في الحجال واحدها أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿مُتَكُونَ﴾، ذوو اتكاء.

[٥٧] ﴿هُم فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾، يتمنون ويشتهون.

[٥٨] ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، أي يقول الله لهم قولاً، وقيل: يسلم عليهم في ديارهم. وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

[٥٩] ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين، لا يرى ولا يرى.

[٦٠] ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّءَادَمَ﴾، ألم أمرم يا بني آدم، ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، ظاهر العداوة.

[٦١] ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾، أطيعوني ووحودني، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم (جِبِلًّا) معناها: الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لما دنوا من النار.

[٦٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، بها في الدنيا.

[٦٤] ﴿أَصَلُّوْهَا﴾، ادخلوها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم (ما كنا مشركين)، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾، فتبادروا إلى الطريق، ﴿فَأَنْتُمْ﴾

الآخرون بالياء أي لينذر القرآن، ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾، يعني مؤمنًا حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿وَبِحَقِّ الْقَوْلِ﴾، ويجب حجة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا﴾، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، ﴿أَنعَمْنَا لَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةً﴾، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل هي مسخرة لهم.

[٧٢] وهي قوله: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، سخرناها لهم، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾، أي ما يركبون وهي الإبل، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾، من لحمانها.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، أي من أوصافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿وَمَشَارِبٌ﴾، من ألبانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾، يعني: لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ﴾، قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ﴾، أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرًا ولا تستطيع لهم نصرًا. وقيل: هذا في الآخرة يُوتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني قول كفار مكة في تكذيبك، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، في ضمائرهم من التكذيب، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الأذى.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾، جدل بالباطل، ﴿مُؤْمِنٌ﴾، بين الخصومة، يعني أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع

يُصِرُّونَ﴾، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللتناهم عن الهدى، وتركتناهم عميًا يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم، (فأنى يبصرون) ولم أفعل ذلك بهم؟

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتِبِهِمْ﴾، يعني مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدر على ذهاب ولا رجوع.

[٦٨] ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق. وقيل: ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمدًا شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيبًا لهم: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثل شعر جرى على لسانه منكسرًا، ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، موعظة، ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

[٧٠] ﴿يُنذِرَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (لتنذر) بالتاء وكذلك في الأحقاف، وافق ابن كثير في الأحقاف، أي لتنذر يا محمد، وقرأ

الخصومة، نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال: أترى يحيى الله هذا بعد ما رم؟ فقال النبي ﷺ: «نعم وبيعتك ويدخلك النار» فأنزل الله هذه الآيات (١).

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، بدء أمره ثم، ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، بالية، ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن أخواته، كقوله: (وما كانت أمك بغياً)، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باعية.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾، خلقها، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى: العفار، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عز وجل، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب. ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان.

[٨١] فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ﴾، قرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل، ﴿عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾، أي قل بلى هو قادر على ذلك، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾، يخلق خلقاً بعد خلق، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بجميع ما خلق.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسَبِّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾، أي ملك، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

سَبِّحِينَ

٤٤٥

سَبِّحِينَ

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُوبُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعِمْ وَمَشَارِبٌ أَفْلايشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٧٩﴾ لَآيَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّخْتَصِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨١﴾ أَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٨٢﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٨٣﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٥﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾ فَسَبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

## سُورَةُ الصَّافَاتِ

## سورة الصافات (٢٧)

[١] ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾، قال ابن عباس، رضي الله عنهما والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة، وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد. وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: (والطيور صافات).

[٢] قوله تعالى: ﴿فَالرَّجْرَتِ رَجْرًا﴾، يعني تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهي وتزجر عن القبائح.

[٣] ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾، هم الملائكة يتلون ذكر

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٣٠ والواحدي في أسباب النزول.

[٧] ﴿وَحِفْظًا﴾. أي وحفظناها حفظًا. ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾، متمرد يرمون بها.

[٨] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (يَسْمَعُونَ) بتشديد السين والميم، أي لا يسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿إِلَى الْمَلَاِ الْأَعْلَى﴾، أي إلى الكتيبة من الملائكة، والملا الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملا الأعلى، ﴿وَيَقْدُتُونَ﴾، يرمون، ﴿مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾، من كل آفاق السماء بالشهب.

[٩] ﴿نُحُورًا﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحرًا ودحورًا إذ طرده وأبعده، ﴿وَلَطَمَ عَدَاؤُكُمْ وَإِصْبُكُمْ﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخللون.

[١٠] ﴿إِلَّا مَن حَظَّ الْحَظْفَةَ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾، لحقه، ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾، كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله، أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعًا في السلامة ونيل المراد، كراكب السفينة، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبًا لأنه يثقبهم.

[١١] ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾، يعني من السموات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد خلقًا كما قال: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)، وقال: (أنتم أشد خلقًا أم السماء)، وقيل: (أم من خلقنا) يعني من الأمم الخالية، لأن (من) يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقًا من غيرهم من الأمم، وقد أهلكتناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟! ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿إِنَّا

الله عز وجل. وقيل: هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به، وجواب القسم: [٤] قوله: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، وقيل: فيه إضممار، أي ورب الصافات والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفار مكة قالوا: (أجعل الآلهة إلها واحدًا)؟ فأقسم الله بهؤلاء.

[٥] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾، أي مطالع الشمس، فإن قيل: قد قال في موضع: (رب المشرق والمغرب)، وقال في موضع: (رب المشرقين ورب المغربين) وقال في موضع: (رب المشرق والمغرب)، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: (رب المشرق والمغرب)، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: (رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: (رب المشرق والمغرب)، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل، فهي المشرق والمغرب، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت.

[٦] ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الَّذِينَ بَيْنَهُ الْكُوكَبِ﴾، قرأ عاصم، برواية أبي بكر (بزينة) منونة، (الكواكب) نصب أي بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص (بزينة) منونة (الكواكب) خفضًا على البدل، أي بزينة بالكواكب، أي زينها بالكواكب. وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب)، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤٦

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَأَلْجَرَّتْ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَأَتَلَيْتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾  
 إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَجْدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرُبُّ  
 الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّهِ الْكُوكَبِ ﴿٦﴾ وَحَفَظَا  
 مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ  
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصْبٌ ﴿٩﴾ إِنْ لَمْ يَحْطَفْ  
 الْخَطْمَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ نَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا  
 أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ  
 وَسَخِرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾  
 وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَّابًا وَمِنَّا وَكَانُوا أَبَا عَظْمًا  
 أَذْنًا لِمُبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْأُولُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾  
 فَايَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا  
 يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذُوبٌ ﴿٢١﴾  
 أَخَشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُّوهُمْ رَأْتُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

﴿زَجْرَةٌ﴾، أي صيحة، ﴿وَجِدَةٌ﴾، يعني نفخة  
 البعث، ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾، أحياء.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾، أي يوم  
 الحساب ويوم الجزاء.

[٢١] ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، يوم القضاء، وقيل:  
 يوم الفصل بين المحسن والمسيء، ﴿الَّذِي كُتِبَ  
 بِهِ تَكْذُوبٌ﴾.

[٢٢، ٢٣] ﴿أَخَشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا،  
 اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء،

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾، أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم، قال  
 قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم فأهل

الخمير مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا.  
 وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل

كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن:  
 وأزواجهم المشركات. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِ

خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، يعني جيد حُرٌّ لاصق يعلق  
 باليد، ومعناه: اللازم إبدل الميم باء كأنه يلزم  
 اليد. وقال مجاهد والضحاك: متن.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم  
 التاء، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس،  
 والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من  
 الآدميين كما قال: (يفسخرون منهم سخر الله منهم)  
 وقال عز وجل: (نسوا الله فسيهم) والعجب من  
 الآدميين إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى  
 قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى  
 الاستحسان والرضا، وقرأ الآخرون بفتح التاء على  
 خطاب النبي ﷺ: أي عجبت من تكذيبهم إياك،  
 ﴿وَسَخِرُونَ﴾، يعني وهم يسخرون من تعجبك. قال  
 قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل  
 وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن  
 كل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون  
 القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك  
 النبي ﷺ، فقال الله تعالى: (بل عجبت  
 ويسخرون).

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾، يعني إذا وعظوا  
 بالقرآن لا يتعظون.

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾، قال ابن عباس ومقاتل  
 يعني انشقاق القمر، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾، يسخرون  
 ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض  
 السخرية.

[١٥] ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يعني سحر  
 بين.

[١٦] ﴿أَوَّابًا وَمِنَّا وَكَانُوا أَبَا عَظْمًا وَأَنَا  
 لِمُبْعُوثُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْأُولُونَ﴾، أي وآباؤنا الأولون.  
 [١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ﴾، تبعثون، ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾،

صاغرون، والدخور أشد الصغار.  
 [١٩] ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي قصة البعث أو القيامة،

أي إنما الكفر من قبلكم .  
 [٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، من قوة  
 وقدرة فنقهركم على متابعتنا ، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا  
 طَٰغِينَ﴾ ، ضالين .  
 [٣١] ﴿فَحَقَّ﴾ ، وجب ، ﴿عَلَيْنَا﴾ ، جميعاً ،  
 ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ ، يعني كلمة العذاب ، وهي قوله :  
 (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) . ﴿إِنَّا  
 لَدَٰقِيقُونَ﴾ ، العذاب ، أي أن الضال والمضل جميعاً  
 في النار .  
 [٣٢] ﴿فَأَعْوَجْتُمْ﴾ ، فأضللناكم عن الهدى  
 ودعوناكم إلى ما كنا عليه ، ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰلِينَ﴾ ،  
 ضالين .  
 [٣٣] قال الله : ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْرِقُونَ﴾ ،  
 الرؤساء والأتباع .  
 [٣٤] ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ، قال ابن  
 عباس : الذين جعلوا الله شركاء .  
 [٣٥] ﴿وَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
 يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون  
 منها .  
 [٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَٰتِنَا لِسَاعِرٍ مُّجْنُونٍ﴾ ،  
 يعني النبي ﷺ .  
 [٣٧] قال الله عز وجل ردًا عليهم : ﴿بَلْ جَاءَهُمْ  
 مُحَمَّدٌ ، ﴿بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، أي أنه أتى بما  
 أتى به الرسل قبله .  
 [٣٨، ٣٩] ﴿إِنَّكُمْ لَدَٰقِيقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُحِزُّونَ  
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، في الدنيا من الشرك .  
 [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ﴾ ، الموحدين .  
 [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، يعني بكرة وعشياً  
 كما قال : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) .  
 [٤٢] ﴿فَوَكِّدْ﴾ جمع الفاكهة وهي الثمار كلها  
 رطبها ويايسها ، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا  
 للقتوت ، ﴿وَهُمْ مُّكْرِمُونَ﴾ ، بثواب الله .  
 [٤٣، ٤٤] ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ

اللَّهِ﴾ ، في الدنيا ، يعني الأوثان والطواغيت . وقال  
 مقاتل : يعني إبليس وجنوده ، واحتج بقوله : (أن لا  
 تعبدوا الشيطان) ، ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ، قال  
 ابن عباس : دلّوهم إلى طريق النار . وقال ابن  
 كيسان : قدّموهم . والعرب تسمي السابق هادياً .  
 [٢٤] ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ ، واحبسوهم ، يقال : وقفته  
 وقفاً فوقف وقوقاً . قال المفسرون : لما سيقوا إلى  
 النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند  
 الصراط ، فقبل : وقفوه ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ، قال ابن  
 عباس : عن جميع أقوالهم وأفعالهم .  
 [٢٥] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ، أي لا تتناصرون ،  
 يقال لهم توييخاً : ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً ،  
 يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حيث  
 قال يوم بدر : (نحن جميعٌ منتصر) .  
 [٢٦] فقال الله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَسِيمُونَ﴾ ،  
 قال ابن عباس : خاضعون . وقال الحسن :  
 منقادون ، يقال استسلم للشيء إذ انقاد له وخضع  
 له ، والمعنى : هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة  
 لهم .  
 [٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ، أي الرؤساء  
 والأتباع ﴿بِسَاءَةٍ لَّوْنٍ﴾ ، يتخاصمون .  
 [٢٨] ﴿قَالُوا﴾ ، أي الأتباع للرؤساء ، ﴿إِنَّكُمْ  
 كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ ، أي من قبل الدين فتصلوننا  
 عنه وترونا أن الدين ما تصلوننا به ، قاله الضحاك ،  
 وقال مجاهد : عن الصراط الحق ، واليمين عبارة  
 عن الدين والحق ، وقال بعضهم : كان الرؤساء  
 يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق ، فمعنى  
 قوله : (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الإيمان  
 التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها . وقيل : عن اليمين  
 أي عن القوة والقدرة ، كقوله : (لأخذنا منه  
 باليمين) ، والمفسرون على القول الأول .  
 [٢٩] ﴿قَالُوا﴾ ، يعني الرؤساء للأتباع ، ﴿بَلْ لَوِ  
 تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ، لم تكونوا على الحق فضلكم عنه ،

مُنْقَلِبِينَ ﴿٤٥﴾، لا يرى بعضهم قفا بعض.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾، إناء فيه شراب ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء، ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون.

[٤٦] ﴿بِیَضَاءٍ﴾، قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن، ﴿لَذَّةٍ﴾، أي لذیذة، ﴿لِلشَّرِيبِ﴾.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا عُوقٌ﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. قال الكلبي: إثم. وقال

قتادة: وجع البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال:

اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السكر

وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (ينزفون) بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة،

وقرأ الآخرون بفتح الزاي فهما فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون،

يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينزف شرابهم، يقال

أنزف الرجل فهو منزوف إذا فئت خمره.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ الظَّرْفِ﴾، حابسات الأعين غاضات الجفون، قصرن أعينهن على

أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿عَيْنٍ﴾، أي حسان الأعين، يقال: رجل أعين وامرأة عينا ونساء عين.

[٤٩] ﴿كَأَنَّ بَيْضٌ﴾، جمع البيضة، ﴿مَكُونٌ﴾، مضمون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ. قال الحسن: شبهت ببيض

النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا

أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة (بيضاء) مشربة

سورة الصافات

٤٤٧

سورة الصافات

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٤٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْمِعُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿٥٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٥١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ أَنَا كَمَا عَادُونَ ﴿٥٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلَ الْهَيْبَتَا لَيْسَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٥٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٥٨﴾ وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٦١﴾ فَوَكَهَهُمْ كَمَا مَكَرُمُونَ ﴿٦٢﴾ فِي حَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٦٣﴾ عَلَى سُورٍ مُنْقَلِبِينَ ﴿٦٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٦٥﴾ بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّرِيبِ ﴿٦٦﴾ لَا فِيهَا عُوقٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ عَلَى الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٦٨﴾ كَأَنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ ﴿٦٩﴾ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا قَالِبٌ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٧١﴾

صفرة، والعرب تشبها ببيضة النعامة.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يعني

أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾، يعني من أهل الجنة،

﴿إِنْ كَانَ لِي قَرِينٌ﴾، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من

الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر

مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى: (واضرب لهم مثلاً رجلين).

[٥٢] ﴿يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدِقِينَ﴾، بالبعث.

[٥٣] ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾،

مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.



سُورَةُ الصَّفَاتِ

٤٤٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

يَقُولُ أَهْلُكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ ۖ ذَا مِنَّا وَكَانَ تَرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَهْلًا  
 لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَى فِي سَوَاءِ  
 الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَأَلَّهَ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي  
 لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ ۖ إَلَّا مَوْتَنَا  
 الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ ۖ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾  
 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ۖ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ  
 الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ ۖ إِنَّهَا شَجَرَةٌ  
 تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ  
 ﴿٦٥﴾ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا لَئِيمًا وَإِنَّمَا الْبُطُونُ ﴿٦٦﴾ ۖ ثُمَّ إِنَّمَا لَهُمْ  
 عَلَيْهَا لِسُوبَاتٍ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ۖ ثُمَّ إِنَّمَا رُجِعَتْهُمْ إِلَىٰ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾  
 ۖ إِنَّهُمْ الْفَوَاءُ ۖ آيَةٌ لِّمُضَالِمِينَ ﴿٦٩﴾ ۖ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾  
 وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ  
 مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾  
 ۖ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُطْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ ۖ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمِ  
 الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ۖ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

تناوله على كره ومشقة.

[٦٣] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾، للكافرين، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟.

[٦٤] فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

[٦٥] ﴿ طَلْعُهَا ﴾، ثمرها سمي طلوعاً لطلوعه، ﴿ كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان - وإن كانت الشياطين لا تُرى - لأن قبح صورتها متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيات، والعرب تُسمى الحية القبيحة المنظر

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾، إلى النار. وقيل: يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف منزلة أخي فيقول أهل الجنة: أنت أعرف به منا.

[٥٥] ﴿ فَأَطَّلَعَ ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع هذا المؤمن، ﴿ فَرَأَى فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾، فرأى قرينه في وسط النار، وإنما سُمِّيَ وسط الشيء سواءً لاستواء الجوانب منه.

[٥٦] ﴿ قَالَ ﴾ له، ﴿ تَأَلَّهَ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴾ والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

[٥٧] ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾، رحمته وإنعامه عليّ بالإسلام، ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾، معك في النار. [٥٨، ٥٩] ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ۖ إَلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى ﴾، في الدنيا، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أفما نحن بمبتلين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

[٦٠] فيقولون: ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

[٦١] قال الله تعالى: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: (أولئك لهم رزق معلوم)، إلى (فليعمل العاملون).

[٦٢] ﴿ أَذَلِكَ ﴾. أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴾، التي هي نزل أهل النار، والزقوم: شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يُكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمون على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقّم الطعام إذا

ابن المسيب: كان ولد نوح ثلاث: سام وحام ويافت، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافت أبو الترك والخزر وأجوج ومأجوج وما هنالك.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي أبقينا له ثناء حسناً وذكرًا جميلًا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، أي سلام عليه منّا في العالمين. وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلّى عليه إلى يوم القيامة.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

[٨١، ٨٢] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾، يعني الكفار.

[٨٣، ٨٤] قوله تعالى: ﴿وَإِن مِنْ شَيْعَةٍ﴾، أي من أهل دينه وملته وسته، ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، مخلص من الشرك والشك.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا عَبَدُونَ﴾، استفهام توبيخ.

[٨٦] ﴿أَفَلَا يَأْتِيهِمْ آيَاتُ اللَّهِ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ﴾، يعني أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم.

[٨٨، ٨٩] ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم، زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا

شيطانًا. وقيل: هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البداية تسميها العرب رؤوس الشياطين.

[٦٦] ﴿فَاتَّيَّبَتْ لَهُمْ يَابِسُوا مِنْهَا وَأَكَلُوا مِنْهَا الْبَطُونَ﴾، والماء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِ لَسُوءًا﴾، خلطًا ومزاجًا، ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾، من ماء حار شديد الحرارة، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبًا له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾، بعد شرب الحميم، ﴿لِإِلَى الْحَمِيمِ﴾، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، دلّ عليه قوله تعالى: (يطوفون بينها وبين حميم آن)، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم).

[٦٩، ٧٠] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤٌ وَجُدُوا﴾، ﴿ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ﴾، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ﴾، من الأمم الخالية.

[٧٢، ٧٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ۝ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، الموحدون نجوا من العذاب.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾، دعا ربه على قومه فقال: (إني مغلوب فانتصر) ﴿فَلَنَعَمَ الْمُجِيبُونَ﴾، نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

[٧٦] ﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق.

[٧٧] ﴿وَوَحَّيْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُّ الْبَاقِينَ﴾، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، قال سعيد

تخرج غداً معنا إلى عيدنا، فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم، قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيماً. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحاك: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَنَوَلُّوا عَنْهُ مُدْرِينَ﴾، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

[٩١] كما قال الله تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَاءَ الْهَيْهَمِ﴾، مال إليها ميلة في خفية، ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه ومجيئه، ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء بها. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، يعني الطعام الذي بين أيديكم. [٩٢، ٩٣] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ﴾ فرأى عليهم صريراً باليمين، أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي بالقوة. وقيل: أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾، يعني إلى إبراهيم، ﴿يَرْفُونَ﴾، يسرعون، وذلك أنهم أُخبروا بصنيع إبراهيم بالهتيم فأسرعوا إليه ليأخذوه، وقرأ الأعمش وحمزة (يزفون) بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان. وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابهم على الجذ والإسراع.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾، لهم إبراهيم على وجه الحجاج، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، يعني ما تنحتون بأيديكم.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، بأيديكم الأصنام.

[٩٧] ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجِجْرِ﴾، معظم النار، قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، شراً وهو أن يحرقوه، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾، أي المقهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورد كيدهم.

[٩٩] ﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهاجر دار الكفر وأذهب إلى مرضات ربي، قاله بعد الخروج من النار، كما قال: (إني مهاجر إلى ربي)، ﴿سَيِّئِينَ﴾، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد.

[١٠٠] فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يعني هب لي ولداً صالحاً من الصالحين.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، قيل بغلام في صغره حلیم في كبره، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو

قَوْلُ الْحَسَنِ وَمِقَاتِلِ بْنِ حِيَانَ وَابْنِ زَيْدٍ، قَالُوا: هُوَ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاخْتَلَفُوا فِي سَنَةِ، قِيلَ: كَانَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقِيلَ: كَانَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾، اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ بَعْدَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْكُتَابِ عَلَى أَنَّهُ إِسْحَاقُ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِسْحَاقُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَلَا الْقَوْلَيْنِ يَرَوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ احْتَجَّ مِنَ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أَمَرَ بِذَبْحِهِ مِنْ بَشْرٍ بِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ بُشِّرَ بِوَلَدٍ سِوَى إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ)، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ احْتَجَّ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْبَشَارَةَ بِإِسْحَاقَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ قِصَّةِ الْمَذْبُوحِ فَقَالَ: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَذْبُوحَ غَيْرَهُ، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَاةَ (تَرَى) بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مَاذَا تَشِيرُ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِزِّيمَتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَقَرَأَ الْعَامَّةُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالرَّاءِ إِلَّا أَبَا عَمْرٍو فَإِنَّهُ يُمِيلُ إِلَى الرَّاءِ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ: ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: فَلَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِي خُذِ الْحَبْلَ وَالْمِدْيَةَ نَنْطَلِقُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ نَحْتَضِبُ، فَلَمَّا خَلَا إِبْرَاهِيمَ بِابْنِهِ فِي شَعْبِ ثَبِيرٍ أَخْبَرَهُ بِمَا أَمَرَ، ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[١٠٤، ١٠٥] ﴿وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي أَنْ يَبْرَأَ إِلَهُي ۚ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، تَمَّ الْكَلَامُ هَهُنَا ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وَالْمَعْنَى: إِنَّا كَمَا عَفَوْنَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ ذَبْحِهِ وَلَدَهُ نَجْزِي مَنْ أَحْسَنَ فِي طَاعَتِنَا، قَالَ مِقَاتِلُ: جَزَاهُ اللَّهُ بِإِحْسَانِهِ فِي طَاعَتِهِ الْعَفْوُ عَنْ ذَبْحِ ابْنِهِ.

[١٠٦] ﴿إِن كَذَلِكَ لَمَوَّالٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، الْإِخْتِبَارُ الظَّاهِرُ حَيْثُ اخْتَبَرَهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ. وَقَالَ مِقَاتِلُ: الْبَلَاءُ هَهُنَا النِّعْمَةُ، وَهِيَ أَنَّ فَدَى ابْنِهِ بِالْكَبْشِ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا وَكَانَ قَدْ رَأَى الذَّبْحَ وَلَمْ يَذْبَحْ؟ قِيلَ: جَعَلَهُ مُصَدِّقًا لِأَنَّهُ قَدْ أَتَى بِمَا أَمَكْنَهُ، وَالْمَطْلُوبُ إِسْلَامُهُمَا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ فَعَلَا.

[١٠٧] قَوْلُهُ: ﴿وَنَدَيْتُهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ﴾، فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا هُوَ بِجَبْرِيلَ وَمَعَهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ أَقْرَنُ، فَقَالَ: هَذَا فِدَاءُ لَابْنِكَ فَادْبَحْهُ دُونَهُ، فَكَبَّرَ جَبْرِيلَ

قَوْلُ الْحَسَنِ وَمِقَاتِلِ بْنِ حِيَانَ وَابْنِ زَيْدٍ، قَالُوا: هُوَ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاخْتَلَفُوا فِي سَنَةِ، قِيلَ: كَانَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقِيلَ: كَانَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾، اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ بَعْدَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْكُتَابِ عَلَى أَنَّهُ إِسْحَاقُ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِسْحَاقُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَلَا الْقَوْلَيْنِ يَرَوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ احْتَجَّ مِنَ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أَمَرَ بِذَبْحِهِ مِنْ بَشْرٍ بِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ بُشِّرَ بِوَلَدٍ سِوَى إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ)، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ احْتَجَّ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْبَشَارَةَ بِإِسْحَاقَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ قِصَّةِ الْمَذْبُوحِ فَقَالَ: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَذْبُوحَ غَيْرَهُ، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَاةَ (تَرَى) بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مَاذَا تَشِيرُ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِزِّيمَتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَقَرَأَ الْعَامَّةُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالرَّاءِ إِلَّا أَبَا عَمْرٍو فَإِنَّهُ يُمِيلُ إِلَى الرَّاءِ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ: ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: فَلَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بَنِي خُذِ الْحَبْلَ وَالْمِدْيَةَ نَنْطَلِقُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ نَحْتَضِبُ، فَلَمَّا خَلَا إِبْرَاهِيمَ بِابْنِهِ فِي شَعْبِ ثَبِيرٍ أَخْبَرَهُ بِمَا أَمَرَ، ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿قَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، انْقَادًا وَخُضْعًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ قَتَادَةُ: أَسْلَمَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ وَأَسْلَمَ الْإِبْنُ نَفْسَهُ، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، أَيَّ صَرَعه عَلَى الْأَرْضِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَضْجَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَالْجِبْهَةَ بَيْنَ الْجَبِينِينَ.

المرسلين. وهذا قول عكرمة، وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

[١٢٤، ١٢٥] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَنْذَعُونَ﴾، أتعبدون، ﴿بَعْلًا﴾، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الرب بلغة أهل اليمن. ﴿وَتَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾، فلا تعبدونه.

[١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (الله ربكم ورب) بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف.

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمَحْضُونَ﴾، في النار.

[١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾، من قومه فإنهم نجوا من العذاب.

[١٢٩، ١٣٠] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَيْهِ آلُ يَاسِينَ﴾، قرأ نافع وابن عامر (آل ياسين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة، فمن قرأ (آل يس) مقطوعة قيل: أراد آل محمد ﷺ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل واسماعيلين وميكائيل وميكائين، وقال الفراء: هو جمع أراد إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبدالله بن مسعود: سلام على إدراسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

[١٣١-١٣٥] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ

وَكَبِيرَ الْكَيْشِ وَكَبِيرَ إِبْرَاهِيمَ وَكَبِيرَ ابْنِهِ، فأخذ إبراهيم الكيش فأتى به المنحر من منى فذبحه، قال مجاهد: سماه عظيمًا لأنه متقبل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسنًا.

[١٠٩-١١٢] ﴿سَلَّمَ عَلَيْهِ إِزْرَهِيمَ ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيًا جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بُشِّرَ إبراهيم بنبوة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبى.

[١١٣] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾، أي مؤمن، ﴿وَطَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، أي كافر، ﴿مُؤْمِنٌ﴾، أي ظاهر الكفر.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾، أنعمنا عليهم بالنبوة.

[١١٥] ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾، بني إسرائيل، ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم. وقيل: من الغرق.

[١١٦] ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ﴾، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾، على القبط.

[١١٧] ﴿وَوَالَيْتُهُمَا الْأَكْتَابَ الْمُسْتَيْنِ﴾، أي المستنير وهو التوراة.

[١١٨-١٢٢] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، روي عن عبدالله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن

أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٧﴾، أي الباقين في العذاب.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾، والتدمير الإهلاك.

[١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ﴾، على آثارهم ومنازلهم، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، وقت الصباح.

[١٣٨] ﴿وَاللَّيْلِ﴾، يريد تمرّون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتعتبرون.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُؤْسَسْ لَكُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي من جملة رسل الله.

[١٤٠] ﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، يعني هرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب:

كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم، فقصده البحر فركب السفينة، فاحتسبت السفينة فقال الملاحون: ههنا عبد آبق من سيده، فافترعوا فوقعت القرعة على يونس، فافترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس، فقال يونس: أنا الآبق، وزج نفسه في الماء.

[١٤١] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ﴾، فقارع والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة، ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾، أي المقروعين.

[١٤٢] ﴿فَالْقَمَّةَ الْخُوتَ﴾، ابتلعه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أت بما يلام عليه.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾، من

الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر، وقال ابن عباس: من المصلين. وقال وهب: من العابدين.

وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكر الله تعالى له طاعته القديمة. وقيل: (فلولا أنه كان من المسيحين) في بطن الحوت. قال سعيد بن جبيرة: يعني قوله: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

[١٤٤] ﴿لَلَّيْلِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، لصار

فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٦﴾ لِأَعْبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٣٨﴾ وَرَتَّكُنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ وَإِنْ لَوْ طَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٩﴾ وَاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُؤْسَسْ لَكُمْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةَ الْخُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْلِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّرُوا فَأَنَّهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّمَا أَنفَكْنَاهُمْ لِيَقُولُوا ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ اللَّهُ وَأُمَّهُمْ لِكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

[١٤٥] ﴿بَدَّدْنَاهُ﴾، طرحناه، ﴿بِالْعَرَاءِ﴾، يعني على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾، عليل كالفرخ الممعدط، وقيل: كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة.

[١٤٦] ﴿وَأَبْتَسْنَا عَلَيْهِ﴾، أي له، وقيل: عنده، ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾، يعني القرع على قول جميع المفسرين، وقال الحسن ومقاتل: كل نبت يمتد وينسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين، قال مقاتل بن حيان: فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلّة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي، فإن قيل: قال ههنا: (فبئذناه بالعراء)، وقال في موضع

آخر: (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء)، فهل ما يدل على أنه لم ينبذ، قيل: لولا هناك يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم.

[١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾، قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه، وقوله: (وأرسلناه) أي وقد أرسلناه، وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، قال مقاتل والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال الزجاج: (أو) هنا على أصلها، ومعناه أو يزيدون على تدبركم وظنكم، كالرجل يرى قومًا فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين، والأكثر على أن معناه ويزيدون، واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة، فقال ابن عباس ومقاتل: كانوا عشرين ألفًا، ورواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وقال الحسن: بضعا وثلاثين ألفًا. وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفًا.

[١٤٨] ﴿فَأَمَّا أُولَئِكَ﴾، يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾، أي حين انقضاء آجالهم. وتقدم قبل ذلك في سورة يونس آية (٩٨).

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾، فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَنَاتِ وَالَهُمُ الْبَنُونَ﴾، وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، يقول: جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين.

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾، معناه: أخلقنا الملائكة إناثًا، ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾، حاضرهم خلقنا إياهم، نظيره قوله: (أشهدوا خلقهم).

[١٥١، ١٥٢] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾، من

كذبهم، ﴿لَيَقُولُونَ ۝ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. [١٥٣] ﴿أَصْطَفَى﴾، قرأ أبو جعفر (لكاذبون)، (اصطفى) موصولاً على الخبر عن قول المشركين، وعند الوقف بيتديان: اصطفى بكسر الألف، وقراءة العامة بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل أستكبرت ونحوها، ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾. [١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، لله بالبنات ولكم بالبنين.

[١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أفلا تتعظون. [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾، برهان بين على أن الله ولدًا.

[١٥٧] ﴿فَأَتَوْا بِكَتِّكُمُ﴾، الذي لكم فيه حجة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، في قولكم.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا﴾. قال مجاهد وقاتدة: وأراد بالجنة الملائكة سموًا جنة لا جنتابهم عن الأبصار. وقال ابن عباس: حي من الملائكة يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، قالوا: هم بنات الله. وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله، فقال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن. وقال الحسن: معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ﴾، يعني قاتلي هذا القول، ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾، في النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

[١٥٩، ١٦٠] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم لا يحضرون.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٩٧/٩ وقال: (حديث غريب) والطبري ١٠٤/٢٣.

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾، يقول لأهل مكة، ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، من الأصنام.

[١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، على ما تعبدون، ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾، بمضلين أحدًا.

[١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

[١٦٥] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

[١٦٦] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ السَّيِّئُونَ﴾، أي المصلون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

[١٦٧] ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾، أي وقد كانوا يعني أهل مكة، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، لام التأكيد.

[١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِبَادَنَا ذَكَرُوا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾، أي كتابًا مثل كتاب الأولين.

[١٦٩، ١٧٠] ﴿لَكِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ فكفروا به، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، هذا تهديد لهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِأَعْيُنِ الْمُرْسَلِينَ﴾، وهي قوله: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي).

[١٧٢، ١٧٣] ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وَإِنَّ جُنَدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ﴾، أعرض، ﴿عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم

سورة الصافات

٤٥٢

سورة الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٦٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

فَأَتُوا بَيْنَكُمُ الْكُرْحُ وَالْعَصْفُ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٥٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٠﴾

لِلْإِعْبَادِ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦٢﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٣﴾

إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٤﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ السَّيِّئُونَ ﴿١٦٦﴾

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِبَادَنَا ذَكَرُوا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِأَعْيُنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾

وَأَبْصَرَ ﴿١٧٥﴾ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٦﴾ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٧﴾

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٨﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٩﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٨٠﴾

سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨١﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾

سورة الصافات

سورة الصافات

سورة الصافات

سورة الصافات

بدر. وقال السدي: حتى يأمرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصَرَ﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾، ذلك. فقالوا متى هذا العذاب؟

[١٧٦، ١٧٧] فقال الله عز وجل: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فإذا نزل، يعني العذاب، ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. قال

الفراء: العرب تكفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فبئس صباح الكافرين الذين أُنذروا بالعذاب، ثم كرر ما ذكرنا تأكيدًا لوعيد

العذاب فقال:

[١٧٨، ١٧٩] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وَأَبْصَرَ، العذاب إذا نزل بهم، ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾، ثم نزه

نفسه:



الكسائي: قوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ)، وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أفاصيص وأخبار كثيرة، وقال القتيبي: (بل) لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم ب ص والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد ﷺ، وقال مجاهد: (في عزة): معارزين<sup>(١)</sup>.

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، يعني من الأمم الخالية، ﴿فَنَادُوا﴾، استغاثوا عند نزول العذاب وهول النعمة، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار، والمناص مصدر ناص ينوص، هو الفرار والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر وباص ييوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زيدت فيها التاء، كقولهم: رَبُّ رَبَّتْ وَتَمَّ وَتَمَّتْ، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاه، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائي بالهاء لاه، وذهب إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم يتدى: تحين، وهو اختيار أبي عبيد، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان.

[٤] ﴿وَجِبْرًا﴾، يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا)، ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾، يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم، ﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾.

[٥] ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، أي عجيب، والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكُرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض.

(١) في نسخة أخرى: (متعارزين).

[١٨٠] فقال: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، الغلبة والقوة، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، من اتخاذ الصاحبة والأولاد.

[١٨١] ﴿وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام.

## (٢٨) سُورَةُ ص

[١] ﴿صَّ﴾، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد. وقال الضحاك: معناه صدق الله. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ، ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾، أي ذي البيان، وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكَ لَأَقْرَبَ وَجْهًا وَأَن تَتَّخِذَ الْوَجْهَ الْغَائِبَ فِي حُجَّتِكَ فَإِنَّ حُجَّتَكَ لَتَكُنْ مِنَ الْغَائِبِ)، وهو قسم، واختلفوا في جواب القسم، قيل جوابه قد تقدم، وهو قوله (ص) أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق. وقال الفراء: ص معناه وجب وحق فهي جواب قوله: (والقرآن)، كما تقول: نزل والله، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودل على هذا المحذوف.

[٢] قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال قتادة: موضع القسم قوله: (بل الذين كفروا)، كما قال (والقرآن المجيد ٥ بل عجبا). وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا ﴿فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِهِ﴾ والقرآن ذي الذكر، وقال الأخفش: جوابه قوله تعالى: (إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ)، كقوله: (تالله إن كنا) وقوله: (والسما والطارق - إن كل نفس)، وقيل: جوابه قوله: (إن هذا لرزقنا)، وقال

تِلْكَ آيَاتُ

٤٥٣

الْبُرْجِ النَّازِلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾  
 كَرَاهِلِكَا مَن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَاَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا  
 أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾  
 أَجْعَلُ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِن هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقُ لِمَآءٍ  
 مِّنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِن هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾  
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا أَخْتَلَقُ ﴿٧﴾ أَنزَلَ  
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ  
 ﴿٨﴾ أَم عِنْدَ هَرَجْرَجٍ رَّحْمَةً رَّبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ  
 مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾  
 جُنْدٌ مَّا هُنَّالِكَ مَهْرُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ  
 نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ  
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلَّ الْإِسْكَدِّ الرُّسُلِ  
 فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا  
 مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قُنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

[١١] ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَّالِكَ﴾، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك، و(ما) صلة، ﴿مَهْرُومٌ﴾، مغلوب، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، أي من جملة الأجناد يعني قريشًا، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر، فجاء تأويلها يوم بدر، وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم، (من الأحزاب)، أي: من جملة الأحزاب، أي: هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالكذب، فقهرها وأهلكوا.

[١٢] ثم قال معزيًا لنبيه ﷺ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾، قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت، وقال الفتيبي: تقول العرب هم في

[٦] ﴿وَأَنْطَلِقُ لِمَآءٍ مِّنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، ﴿إِن هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، أي لأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

[٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾، كذب وافتعال.

[٨] ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾، القرآن، ﴿مِن بَيْنِنَا﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾، أي وحيي وما أنزلت، ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

[٩] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ﴾، أعندهم، ﴿حَزَانٍ رَّحْمَةً رَّبِّكَ﴾، يعني نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا، ونظيره (أهم يقسمون رحمة ربك) أي نبوة ربك، ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ.

[١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، أي ليس لهم ذلك، ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾، أي إن ادعوا شيئًا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه،

فقال الفراء وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، وذهب بها إلى إفاقة المريض من علته، والفُوق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فُوق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضًا مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة.

[١٦] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا كَحْمَلٍ لَنَا فَطَنَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقطّ الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما نزلت في الحاقة: (فأما من أوتي كتابه يمينه)، (وأما من أوتي كتابه بشماله)، قالوا استهزاء: عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب. وقال سعيد ابن جبير: يعنون حفظنا ونصيبتنا من الجنة التي تقول. وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبتنا من العذاب. وقال عطاء: قال النضر بن الحارث، هو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وعن مجاهد قال: قطنا حسابنا، ويقال لكتاب الحساب قطّ. وقال أبو عبيدة والكسائي: القطّ الكتاب بالجوائز.

[١٧] قال الله تعالى: ﴿أَصْرِبْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، أي على ما يقوله الكفار من تكذيبك، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة، وقيل: ذو القوة في الملك. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، رجاع إلى الله عزّ وجلّ بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس: مطيع. قال سعيد بن جبير: مسبح بلغة الحبش.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾، كما قال: (وسخرنا مع داود الجبال)، ﴿يُسَبِّحُنَّ﴾ بتسبيحه،

عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد، وقال الضحاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني أنهم كانوا يقرون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي التودد الشيء، وسميت الأجناد أوتادًا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم، وهو رواية عطية عن ابن عباس، وقال الكلبي ومقاتل: (الأوتاد) جمع التودد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيًا بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت. وقال مجاهد ومقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقيًا على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد. وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات<sup>(١)</sup>. وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه.

[١٣] ﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، الذي تحزبوا على الأنبياء، فاعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

[١٤] ﴿إِنْ كُلُّ﴾، ما كل، ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

[١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾، ينتظر، ﴿هَؤُلَاءِ﴾، يعني: كفار مكة، ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وهي نفخة الصور، ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي (فوق) بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: من رجوع، أي: ما يريد ذلك الصوت فيكون له رجوع. وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثوية، أي صرف وردّ، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف، وفرق بعضهم بين الفتح والضم،

(١) سيأتي الكلام على ذلك في سورة الفجر آية (١٠).

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، قال الكلبي: غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. وفسره ابن عباس: بصلاة الضحى.

[١٩] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالطَّيْرِ﴾، أي وسخرنا له الطير، ﴿مَحْشُورَةً﴾، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ﴾، مطيع رجاع إلى طاعته بالتسييح، وقيل: أواب معه أي مسبح.

[٢٠] ﴿وَسَدَدْنَا مَلَكُوتَ﴾، أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ﴿وَأَيَّتَنَّهُ الْحِكْمَةَ﴾، يعني النبوة والإصابة في الأمور، ﴿وَوَصَّلَ لِحَطَابٍ﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكرك، لأن كلام الخصوم يقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: فصل الخطاب للشهود والأيمان. وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد، إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول من قاله داود عليه السلام.

[٢٣] فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، أي على ديني وطريقتي، ﴿لَمْ يَسَعْ وَتَسْعُونَ نَجَّةً﴾، يعني امرأة، ﴿وَلَى نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنجعة عن المرأة، قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نجاج ولا بغى فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً أو اشترى بكرًا دارًا، ولا ضرب هنالك ولا شراء ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾، قال ابن عباس: أعطينها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته ضمها إلي فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى: طلقها لأتزوجها، ﴿وَعَزَّيْنِي﴾، وغلبني، ﴿فِي الْحَطَابِ﴾، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. وقال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني، وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾، أي قال داود، ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ

[٢١] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَوًْا الْخَصْمِ إِذْ سَأَرُوا الْمَحْرَابَ﴾، فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: (وهل أتاك نبأ الخصم)، خبر الخصم، (إذا تسوروا المحراب)، سعدوا وعلوا، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنين موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: (فقد صغت قلوبكما).

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، خاف

تَجْعِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ﴿١٧﴾، أي بسؤاله نعتك ليضمها إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾، الشركاء ﴿يَلْبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يظلم بعضهم بعضًا، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم لا يظلمون أحدًا. ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾، أي قليل هم، و(ما) صلة، يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾، أيقن وعلم، ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، إنما ابتليناه، وقال القائلون بتزيه الأنبياء في هذه القصة: إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله ﴿فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، أي ساجدًا، عبّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألتني عبدالله بن طاهر عن قوله: (وخرّ راكعًا) هل يقال للراكع خرّ؟ قلت: لا، ومعناه فخرّ بعدما كان راكعًا أي [سجدًا]. ﴿وَأَنَابَ﴾، أي رجع وتاب.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾، يعني ذلك الذنب، ﴿وَإِنَّ لَهُ﴾، بعد المغفرة، ﴿عِنْدَنَا﴾، يوم القيامة، ﴿لِرُفْقٍ﴾ لقربة ومكانة، ﴿وَحَسَنٍ مَّوَابٍ﴾، أي حسن مرجع ومنقلب.

[٢٦] قوله عز وجل: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمور العباد بأمرنا، ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، بالعدل، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا

﴿١٧﴾ ﴿تَجْعِكَ إِلَى نَعَاجِهِ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يَلْبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾

نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾، قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

[٢٨] ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة من الخير ما يُعْطُونَ، فنزلت هذه الآية: ﴿أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْمُفْجَرِ﴾، أي المؤمنين كالكفار. وقيل: أراد

سورة ص

٤٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ  
﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدَانِ هُوَ وَأَوْسَى  
﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي  
أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾  
رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا  
سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ  
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾  
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانَ  
كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا  
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا لُزْفًا وَحُسْنَ  
مِتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ءَأَنَّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ  
بِئْسَبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرَاكُنْ بِرَحْمَتِكَ هَذَا غَمْسًا بَارِدًا وَشَرَابًا ﴿٤٢﴾

يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفًا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل. وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحًا وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحًا في شريعته. وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكبي الصدقة. وقال الزهري وابن كيسان: إنه كان يسمح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول.

﴿٣٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه، ﴿وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يومًا فلما رجع.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد

بالمؤمنين أصحاب محمد ﷺ، أي لا نجعل ذلك. ﴿٢٩﴾ ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، أي هذا الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مُبْرَكًا﴾، كثير خيره ونفعه، ﴿لِيَذَّبُوا﴾، أي ليتدبروا، ﴿ءَايَاتِهِ﴾، وليتفكروا فيها، وقرأ أبو جعفر (ليتدبروا) بباء واحدة وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته اتباعه، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾، ليتعظ، ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿٣٠، ٣١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، إذ عرّض عليه بالعشّ الصّافنات الجياد، والصفانات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت على طرف الحافر من يد أو رجل، يقال: صفن الفرس يصفن صفونًا إذا قام على ثلاثة قوائم، وقلب أحد حوافره. وقيل: الصافن في اللغة القائم. والجياد الخيار السراع، واحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق.

﴿٣٢﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ﴾، أي أثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام، فتقول: ختلت الرجل وخترته، أي خدعته، وسميت الخيل خيرًا لأنه معقود بنواصيها الخير، الأجر والمغنم، قال مقاتل: يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿عَنِ ذِكْرِي﴾، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الأبصار.

﴿٣٣﴾ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، أي ردوا الخيل علي فردوها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾، قال أبو عبيدة: طفق يفعل مثل: ما زال يفعل، والمراد بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقادة ومقاتل وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحًا له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرّم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر. وقال محمد بن إسحاق: لم

رَبُّهُ أَيْ مَسَّى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ، بمشقة وضر، قرأ أبو جعفر (بُنُصْب) بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد. قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، ﴿وَعَذَابٌ﴾، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب في سورة الأنبياء عليهم السلام [آية ٨٣].

[٤٢] فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿هَذَا مُغَسَّلٌ﴾، فأمره الله يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه، فقوله: ﴿هَذَا مُغَسَّلٌ بَارِدٌ﴾، يعني الذي اغتسل منه بارد، ﴿وَشَرَابٌ﴾، أراد الذي شرب منه.

[٤٣، ٤٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ وَحَدِّ بِبَيْدِكَ ضِعْثًا﴾، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتَثْ﴾، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضِعْثًا يشتمل على مائة عود صغار ويضربها ضربة واحدة، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾، قرأ ابن كثير (عبدنا) على التوحيد، وقرأ الآخرون (عبادنا) بالجمع، ﴿إِذْ رَأَوْهُمُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾، في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾، اصطفيناهم، ﴿بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾، قرأ أهل المدينة (بخالصة) مضافًا وقرأ الآخرون بالتونين، فمن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها، والذكرى بمعنى الذكر، قال مالك بن دينار: نزعنا

من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هب لي ملكًا لا تسلبني في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علمًا على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكًا ولكنه أراد بقول: (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين، بدليل ما بعده.

[٣٦] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً﴾، لينة ليست بعاصفة، ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾، حيث أراد، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب.

[٣٧] ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾، أي سخرنا له الشياطين، ﴿كُلِّ بِنَاءٍ﴾، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ﴿وَعَوَاصٍ﴾، يستخرجون له اللآلئ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

[٣٨] ﴿وَالْآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، مشدودين في القيود، أي وسخرنا له آخرين يعني مردة الشياطين سُخِرُوا له حتى قرنهم في الأصفاد.

[٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾، أي قلنا له هذا عطوانا، ﴿فَأَمَّنْ أَوْ أَمْسِكَ﴾، المن هو الإحسان إلى من تشيئه ومن لا تشيئه، معناه: أعط من شئت وأمسك عمن شئت، ﴿بِعَاقِبِ حِسَابٍ﴾، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان فإن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تعاطاه.

[٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ﴾.

[٤١] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾  
 وَحَدِّثْكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا  
 نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
 أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى  
 الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكَرَ  
 إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ  
 وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مِّنْ فَتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ  
 ﴿٥٠﴾ مُتَّكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾  
 وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْكَوْبِ الْأَرْبَابِ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ  
 الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَابِتٌ  
 لِلطَّغْيِينِ لَشَرِّ مَنَاقِبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ هَذَا  
 فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَنْ وُجِعَ ﴿٥٧﴾  
 هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَضٍ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِيَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٨﴾  
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْجَا بِيَكُمُ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ الْفَرَارُ ﴿٥٩﴾  
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٠﴾

فليذوقوه، والحميم الماء الحار الذي انتهى حره  
 وغساق، قرأ حمزة والكسائي وحفص (وغساق)  
 حيث كان بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن شدد  
 جعله اسمًا على فعال نحو الخباز والطباخ، ومن  
 خفف جعله اسمًا على فعال نحو العذاب،  
 واختلفوا في معنى الغساق، قال ابن عباس: هو  
 الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرّها.  
 قال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده. وقيل:  
 هو الممتن بلغة الترك. وقال قتادة: هو ما يغسق أي  
 ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار  
 ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم غسقت عينه إذا  
 انصبت، والغسق الانصباب.

[٥٨] ﴿وَأَخِرٌ﴾، قرأ أهل البصرة (وأخر) بضم  
 الألف على جمع أخرى، مثل الكبرى والكبير،  
 واختاره أبو عبيدة لأنه نعت بالجمع، فقال:

من قلوبهم حبّ الدنيا وذكرها، وأخلصناهم بحب  
 الآخرة وذكرها. وقال قتادة: كانوا يدعون إلى  
 الآخرة وإلى الله عزّ وجلّ. وقال السدي: أخلصوا  
 بخوف الآخرة. وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما  
 في الآخرة. قال ابن زيد ومن قرأ بالتثنية: فمعناه  
 بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون ذكرى الدار  
 بدلًا عن الخالصة. وقيل: أخلصناهم: جعلناهم  
 مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة.

[٤٧-٤٩] ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾  
 وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا  
 ذِكْرٌ، أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر، وقيل ذكر  
 أي شرف وذكر جميل تُذكرون به ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ  
 مَنَاقِبٍ﴾.

[٥٠] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مِّنْ فَتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾، أي أبوابها  
 مفتحة لهم.

[٥١، ٥٢] ﴿مُتَّكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ  
 وَشَرَابٍ﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْكَوْبِ الْأَرْبَابِ، مستويات  
 الأسنان، بنات ثلاثة وثلاثين سنة، واحدها تَرْب. و  
 وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا  
 يتغايرن.

[٥٣] ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾، قرأ ابن كثير (يوعدون)  
 بالياء ههنا وفي (ق) أي ما يوعد المتقون، وافق أبو  
 عمرو ههنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما، أي قل  
 للمؤمنين: هذا ما توعدون، ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، أي  
 في يوم الحساب.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾، فناء  
 وانقطاع.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾، أي الأمر هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّغْيِينِ﴾،  
 للكافرين، ﴿لَشَرِّ مَنَاقِبٍ﴾، مرجع.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها ﴿فَيَنْسِفُ  
 اللَّهُ هَذَا﴾.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي هذا العذاب، ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ  
 وَعَسَاقٌ﴾، قال الفراء: أي هذا حميم وغساق



[٦٣] ﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي: (من الأشرار اتخذناهم) وصل، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني:

القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سَخِرِيًّا فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل، ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل (أم) في قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾، قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب، (أم زاعت) أي مالت (عنهم الأبصار)، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سَخِرِيًّا لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فراغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ وقيل: أم هم في النار ولكن احتجوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيراً منا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تريغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لِحَقِّ﴾ ثم بيّن فقال، ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، أي تخاصم أهل النار في النار لحق.

[٦٥] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة، ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾، مخوف، ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْفَهَّارُ﴾. [٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

[٦٧] قوله: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿نَبِيًّا عَظِيمًا﴾، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة لقوله: (عم يتساءلون ٥ عن النبا العظيم).

[٦٨، ٦٩] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٥ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَعْلَى﴾، يعني الملائكة، ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها).

أزواج، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد، ﴿مِن سَكَلَةٍ﴾، مثله أي مثل الحميم والغساق، ﴿أَزْوَاجٌ﴾، أي أصناف آخر من العذاب.

[٥٩] ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَدِمٌ مَّعَكُمْ﴾، قال ابن عباس: هذا هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار: هذا يعني الأتباع فوج: جماعة مقتحم معكم النار، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج، والاقترحام الدخول في الشيء رمياً بنفسه فيه، قال الكلبي: إنهم يضربون بالمقاع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفاً من تلك المقاع، فقالت القادة: ﴿لَا مَرْجَا بِهِمْ﴾، يعني بالأتباع، ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾، أي داخلوها كما صلينا.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾، فقال الأتباع للقادة، ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ﴾، والمرحب والرحب: السعة، تقول العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض. ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتُّوهُ لَنَا﴾، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وستنتموه لنا وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر، ﴿فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾، أي فبئس دار القرار جهنم.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾، أي شرعه وسنه لنا، ﴿فَرَدَّهُ عِدَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ﴾، أي ضعف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيّات وأفاعي.

[٦٢] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني صنديد قريش وهم في النار، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كَمَا نَعُدُّهُمْ﴾، في الدنيا، ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾، يعنون فقراء المؤمنين: عمارة وخباباً وصهيباً وبلاً وسلمان رضى الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

[٧٠] ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت (إنما) في موضع رفع أي ما يوحى إليّ إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحى إليّ إلا أنني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: (إنما) بكسر الألف، لأن الوحي قولٌ.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، يعني آدم عليه السلام.

[٧٢-٧٥] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾، أتممت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ﴾ فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين، قال إبليس ما منعك أن تسجد لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْقَالِينَ﴾، المتكبرين، استفهام توبيخ وإنكار، يقول: استكبرت بنفسك حتى آبيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟.

[٧٦، ٧٧] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قال فأخرج منها، أي من الجنة، وقيل: من السموات. وقال الحسن وأبو العالية: أي من الخلقة التي أنت فيها. قال الحسن بن الفضل: هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة، فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، مطرود.

[٧٨-٨١] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قال فإنك من المنظرين إلى يوم أوفيت المعلوم، وهو النفخة الأولى.

[٨٢-٨٤] ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْزِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا عبادك منهم المخلصين، قال فالحق والحق أقول، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب: (فالحق) برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره: الحق مني، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ الآخرون بنصبهما، واختلفوا في وجههما، قيل: نصب الأول على الإغراء كأنه قال: الزم

﴿وَإِنَّمَا لَنَا لَانرَىٰ رَجُلًا كَمَا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ اتخذتهم سخرياً أم رآعت عنهم الأبصر، إن ذلك لحق نخاصم أهل النار، قل إنما أنا منذر وما من الله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، قل هونوا عظيم، أنتم عنه معرضون، ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يخصمون، إن يوحى إليّ إلا إنما أنا نذير مبين، إذ قال ربك للملائكة إني خلق لشر من طين، فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين، قال إبليس ما منعك أن تسجد لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ، قال أنا خير منه خلقني من نارٍ وخلقته من طين، قال فأخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، قال رب فأنظرنني إلى يوم يُبعثون، قال فإنك من المنظرين إلى يوم أوفيت المعلوم، قال فعزرك لأعزبنهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين.

الحق، والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق. وقيل: الأول قسم أي فبالحق وهو الله عز وجل فانصب بنزع الخافض، وهو حرف الصفة، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: الثاني تكرار القسم، أقسم الله بنفسه.

[٨٥، ٨٦] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قل ما أسألكم عليه، على تبليغ الرسالة، ﴿مَنْ أَجْرٍ﴾، جعل، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكْفِينِ﴾، المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلفه.

[٨٧] قوله: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، موعظة، ﴿لِلْعٰٓلَمِيْنَ﴾، للخلق أجمعين.

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّغُلَّغُلَّ﴾، أنتم يا كفار مكة، ﴿نَبَأٌ﴾، خبر صدقه، ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعني يوم القيامة. وقال

الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات عِلْمُهُ بعد موته. قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

### (٣٩) سُورَةُ الزَّمَرِ

[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾، أي هذا تنزيل الكتاب. وقيل: تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، قال مقاتل: لم ينزله باطلاً لغير شيء، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله. وقيل: الدين الخالص من الشرك هو الله.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، يعني الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، أي قالوا ما نعبدهم، ﴿إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وكذلك

قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم: من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله

زلفى، أي قربي، وهو اسم أقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾، لا يرشد لدينه من كذب فقال: إن الآلهة لتشفع. وكفى باتخاذ الآلهة

دونه كذباً وكفرًا.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى﴾، لاختار، ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، يعني الملائكة، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾، تنزيهاً له عن ذلك

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى﴾، لاختار، ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، يعني الملائكة، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾، تنزيهاً له عن ذلك

سورة الزمر

٤٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنُعَلِّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

### سُورَةُ الزَّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىٰ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

وعما لا يليق بطهارته، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾، قال قتادة: يغشى هذا هذا، كما قال: (يغشى الليل النهار)،

وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)، وقال الحسن والكلبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة

خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللَّفُّ والجمع، ومنه: كَوَّرَ العمامة. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىٰ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني حواء، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني حواء، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

٤٥٩

سُورَةُ الزَّمْرِ

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِجَالًا وَإِنزَالًا لَكُمْ  
 مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ  
 خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ  
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِن تَصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ  
 اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ  
 لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ  
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾  
 وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ  
 نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا  
 لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ  
 النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ  
 الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ  
 لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا أَنْفُورًا لِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ  
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

كشفه، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، يعني الأوثان، ﴿لِيُضِلَّ  
 عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ليزل عن دين الله، ﴿قُلْ﴾، لهذا  
 الكافر، ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، في الدنيا إلى  
 أجلك، ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، قيل: نزلت في  
 عتبة بن ربيعة. وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة  
 ابن المغيرة المخزومي. وقيل: عام في كل كافر.

[٩] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِلٌ﴾، قرأ ابن كثير ونافع  
 وحمزة (أمن) بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون  
 بتشديدها، فمن شدد فله وجهان، أحدهما: أن  
 تكون الميم في (أم) صلة، فيكون معنى الكلام  
 استفهامًا وجوابه محذوفًا، مجازة: أمن هو قانت  
 كمن هو غير قانت؟ كقوله: (أفمن شرح الله صدره  
 للإسلام)، يعني كمن لم يشرح صدره. والوجه  
 الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازة: الذي  
 جعل لله أندادًا خيرٌ أمن هو قانت؟ ومن قرأ

معنى الإنزال ههنا: الإحداث والإنشاء، كقوله  
 تعالى: (أنزلنا عليكم لباسًا يُوارِي)، وقيل: إنه أنزل  
 الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه  
 اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام. وقيل:  
 (وأنزل لكم من الأنعام) جعلها لكم نزلًا وورقًا،  
 ﴿ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا﴾، أصناف، مرّ تفسيرها في سورة  
 الأنعام آية (١٤٣). ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا  
 مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾، نطفة ثم علقه ثم مضغة، كما قال الله  
 تعالى: (وقد خلقكم أطوارًا)، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾،  
 قال ابن عباس: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة  
 المشيمة، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾، أي الذي خلق هذه  
 الأشياء، ﴿رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِن  
 تَصْرَفُونَ﴾، عن طريق الحق بعد هذا البيان.

[٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى  
 لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، قال ابن عباس والسدي: لا يرضى  
 لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى:  
 (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)، فيكون عامًا  
 في اللفظ خاصًا في المعنى، كقوله تعالى: (عينا  
 يشرب بها عباد الله)، يريد بعض العباد، وأجراه  
 قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من  
 عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر  
 أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول  
 السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضيٍّ لله عزّ  
 وجلّ، وإن كان بإرادته، ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾، تؤمنوا  
 بربكم وتطيعوه، ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، فيشيكم عليه، قرأ  
 أبو عمرو (يرضه لكم) ساكنة الهاء، ويختلسها أهل  
 المدينة وعاصم وحمزة، والباقون بالإشباع، ﴿وَلَا  
 تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ  
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾،  
 راجعًا إليه مستغيثًا به، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾،  
 أعطاه نعمة منه، ﴿نَسَى﴾، ترك، ﴿مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ  
 مِن قَبْلٍ﴾، أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى

بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه: أهدا كالذي جعل لله أندادا؟ وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبنى فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت ﴿ءَأَنَاءَ أَتَيْلٌ﴾، إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس، وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان، وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان، والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وأناء الليل: ساعاته، ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، يعني في الصلاة، ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾، يخاف الآخرة، ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، يعني كمن لا يفعل شيئا من ذلك، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قيل: الذين يعلمون عمار، والذين لا يعلمون: أبو حذيفة المخزومي، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، أي آمنوا وأحسنوا العمل، حسنة يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي يبلد فليهرب منها إلى غيرها. ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، الذي صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم

٤٦٠

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ عَبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُونَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهٖ عِبَادَهُ ۖ يَعْبُدُونَ فَلَا تَقْنُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُتَّقِدُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رِبَّهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُّبِينَةٌ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

البلاء، وصبروا وهاجروا. قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين، فإنه يحشى لهم حثيا. قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ عَبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾، من هذه الأمة.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، وعبدت غيره، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهذا حين دُعي إلى دين آبائه.

[١٤، ١٥] ﴿قُلْ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، فأعبدوا ما شئتم من دونه. أمر توبيخ وتهديد، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

ابن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان  
الفارسي. والأحسن: قول لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾، قال ابن  
عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه  
من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: (لأملأن  
جهنم) وقيل: كلمة العذاب قوله: «هؤلاء في النار  
ولا أبالي»<sup>(١)</sup>. ﴿أَفَأَنْتَ تُشْفِقُ مَنْ فِي النَّارِ﴾، أي لا  
تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوْقِهَا  
عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها  
منازل أرفع منها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا  
يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾، أي وعدهم الله تلك الغرف  
والمنازل وعدًا لا يخلفه.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾، أدخل ذلك الماء، ﴿يَنْبِيعُ﴾،  
عيونًا وركابيًا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال الشعبي: كل ماء  
في الأرض فمن السماء نزل، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾،  
بالماء ﴿زَرْعًا مَخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾، أحمر وأصفر وأخضر،  
﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾، يبيس، ﴿فَرْتَهُ﴾، بعد خضرته  
ونضرتة، ﴿مُصْفًى ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾، فتاتًا  
متكسرًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ  
لِلْإِسْلَامِ﴾، وسَّعه لقبول الحق، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ  
رَّبِّهِ﴾، كمن ألقى الله قلبه؟ قوله عز وجل: ﴿قَوْلًا  
لِّلْقَسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾،  
قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من  
قسوة قلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا  
نزع منهم الرحمة.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ  
كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا﴾، يشبه بعضه بعضًا في الحسن،  
ويصدق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٣٩/٥.

(٢) ما بين المعكوفتين من نسخة محمد النمر وزملائه.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾، أزواجهم وخدمهم،  
﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، قال ابن  
عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلًا في  
الجنة وأهلًا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل  
والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار،  
وكان ذلك المنزل والأهل غيره ممن عمل بطاعة  
الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران  
الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران  
المبين.

[١٦] ﴿لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوْقِهِمْ طُلُؤٌ مِّنَ النَّارِ﴾، أطباق  
سرادقات من النار ودخانها، ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ طُلُؤٌ﴾،  
فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سُمي  
الأسفل ظللاً لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز  
وجل: (لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ).  
﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَجَادُّونَ﴾.

[١٧، ١٨] ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ﴾، الأوثان،  
﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾، رجعوا إلى عبادة الله،  
﴿لَهُمُ الْبَشْرَى﴾، في الدنيا بالجنة وفي العقبى  
بالمغفرة، ﴿فَلْيَشْرَعْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ الْقَوْلَ﴾، القرآن  
﴿فَيَسْتَعِينُونَ أَحْسَنَهُ﴾، قال السدي: أحسن ما  
يؤمرون به فيعملونه. وقيل: هو أن الله ذكر في  
القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو  
أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم [والرخص  
فيتبعون الأحسن وهو العزائم]<sup>(١)</sup>. وقيل: يستمعون  
القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن. وقال عطاء عن  
ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان  
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد ابن  
أبي وقاص وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه  
فآمنوا، فنزلت فيهم: (فبشر عباد الذين يستمعون  
القول فيتبعون أحسنه)، وكله حسن. ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ  
هَدَيْتَهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَيْتِكَ هُمْ أَوْلَا الْأَلْبَابِ﴾، وقال ابن زيد:  
نزلت (والذين اجتنبوا الطاغوت) الآياتان في ثلاثة  
نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد

﴿مَثَانِي﴾، يُثْنَى فِيهِ ذَكَرَ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْأَمْرَ وَالنَهْيَ وَالْأَخْبَارَ وَالْأَحْكَامَ، ﴿نَقَشَعْرُ﴾، تَضَطَّرَبَ وَتَشَمَّمَزَ، ﴿مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وَالْإِقْشَعْرَارُ تَغْيِيرُ فِي جِلْدِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ الْجُلُودِ الْقُلُوبُ أَيْ قُلُوبَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أَيْ لَذِكْرِ اللَّهِ، أَيْ إِذَا ذَكَرْتَ آيَاتَ الْعَذَابِ اقْشَعَرَّتْ جُلُودُ الْخَائِفِينَ لِلَّهِ، وَإِذَا ذَكَرْتَ آيَاتَ الرَّحْمَةِ لَانَتْ وَسَكَتَتْ قُلُوبُهُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)، وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى: أَنَّ قُلُوبَهُمْ تَقْشَعِرُ مِنَ الْخَوْفِ وَتَلَيْنُ عِنْدَ الرَّجَاءِ. ﴿ذَلِكَ﴾، يَعْنِي أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، ﴿هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي بَوَّجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾، أَيْ شَدَّتْهُ، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَجْرُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ. وَقَالَ عَطَاءٌ: يَرْمِي بِهِ فِي النَّارِ مَنكُوسًا فَأُولُ شَيْءٍ تَمَسَّهُ النَّارُ وَجْهَهُ. قَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ أَنَّ الْكَافِرَ يُرْمَى بِهِ فِي النَّارِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَفِي عُنُقِهِ صَخْرَةٌ مِثْلُ جَبَلٍ عَظِيمٍ مِنَ الْكَبْرِيتِ فَتَشْتَعِلُ النَّارُ فِي الْحَجَرِ، وَهُوَ مَعْلُوقٌ فِي عُنُقِهِ فَحَرُّهَا وَوَهْجُهَا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَطِيقُ دَفْعَهَا عَنْ وَجْهِهِ، لِلْأَغْلَالِ الَّتِي فِي عُنُقِهِ وَيَدِهِ. وَمَجَازُ الْآيَةِ: أَفَمَنْ يَتَّبِعِي بَوَّجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ كَمَنْ هُوَ آمِنٌ مِنَ الْعَذَابِ؟ ﴿وَقِيلَ﴾، يَعْنِي تَقُولُ الْخِزْنَةُ ﴿لِلظَّالِمِينَ دُوفُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، أَيْ وَبَالِهِ.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، مِنْ قَبْلِ كَفَّارِ مَكَّةَ كَذَبُوا الرِّسْلَ، ﴿فَأَنذَهُمْ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، يَعْنِي وَهُمْ آمِنُونَ غَافِلُونَ مِنَ الْعَذَابِ.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ﴾، الْعَذَابُ وَالْهَوَانُ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

٤٦١

﴿فَمَنْ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفُتَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَتَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٢٢] اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُمْتَدِّهَا مَثَانِي نَقَشَعْرُمَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ [٢٣] أَفَمَنْ يَتَّبِعِي بَوَّجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوفُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ [٢٤] كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنذَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ [٢٥] فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [٢٦] وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [٢٧] قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [٢٨] ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [٢٩] إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [٣٠] ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [٣١]

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يَتَعَطَّوْنَ.

[٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرَ مُخْتَلَفٍ. قَالَ مُجَاهِدٌ، غَيْرَ ذِي لَبْسٍ. قَالَ السُّدِّيُّ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ. وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَحَكِي عَنْ سَفِيَانَ ابْنِ عَيْنَةَ عَنْ سَبْعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، الْكُفْرَ وَالتَّكْذِيبَ.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾، قَالَ الْكِسَائِيُّ نَصَبَ رَجُلًا لِأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِلْمَثَلِ، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾، مُتَنَازِعُونَ مُخْتَلِفُونَ سَيِّئَةَ أَخْلَاقِهِمْ، يُقَالُ رَجُلٌ شَكِسٌ شَرِسٌ إِذَا كَانَ سَيِّءَ الْخَلْقِ مُخَالَفًا لِلنَّاسِ لَا يَرْضَى بِالْإِنصَافِ. ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، قَرَأَ أَهْلُ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةَ (سَالِمًا) بِالْأَلْفِ أَيْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ﴾ (٣٠) **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣١﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٦﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾**

خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون (سلمًا) بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينزع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم لا منازع لك فيه. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿لَيْلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، أي ستموت، ﴿وَأَيُّكُمْ مَيِّتٌ﴾. أي سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميت بالتشديد من لم يموت وسيموت، الميت بالتحفيف من فارقه الروح، ولذلك لم يخفف هنا.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾، فزعم أن له ولدًا وشريكًا، ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾، بالقرآن، ﴿إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾، قال ابن عباس: (والذي جاء بالصدق) يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) الرسول أيضًا بلغه إلى الخلق. وقال السدي: والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن، وصدق به محمد ﷺ تلقاه بالقبول. وقال الكلبي وأبو العالية: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدق به أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدق به هم المؤمنون، لقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقال

عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع، وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين، وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة. وفي قراءة عبدالله بن مسعود: والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به. (أولئك هم المتقون).

[٣٤، ٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، يسترها عليهم بالمغفرة، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟﴾ يعني محمدًا ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: (عباده) بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: (وهمت



كل أمة برسولهم ليأخذوه) فكفاهم الله شر من عاداهم ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، وذلك أنهم خَوْفُوا النبي ﷺ معرة معاداة الأوثان. وقالوا: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو ليصينك منهم جبل أو جنون، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْفِقَارٍ﴾، منيع في ملكه منتقم من أعدائه.

[٣٨] ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾، بشفة وبلاء، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾، بنعمة وبركة، ﴿هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾، قرأ أهل البصرة (كاشفات) و(ممسكات) بالتثنية، (ضره) و(رحمته) بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾، ثقني به واعتمادي عليه، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، يثق به الواثقون.

[٣٩، ٤٠] ﴿قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من يأتيه عذاب يُخْرِبِهِ وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَدَابٌ مُقِيمٌ، أي ينزل عليه عذاب دائم.

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، وبال ضلالته عليه، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، بحفيظ ورفيق لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم.

[٤٢] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾، أي الأرواح، ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها، وقوله: (حين موتها) يريد موت أجسادها. ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾، يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت، ﴿فِي مَنَامِهَا﴾، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز،

سورة الزمر

٤٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، فلا يردّها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي (قضي) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء، (الموت) رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، (الموت) نصب لقوله عز وجل: (الله يتوفى الأنفس). ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾، ويرد الأخرى، وهي التي لم يقض عليها الموت، إلى الجسد، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى

جسده، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،  
للدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما  
يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال  
مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث،  
يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل  
على البعث.

[٤٣] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبًا﴾، يا  
محمد، ﴿أَوَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وإن كانوا يعني  
الآلهة، ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾، من الشفاعة، ﴿وَلَا  
يَعْقِلُونَ﴾، أنكم تعبدونهم، وجواب هذه محذوف  
تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾، قال مجاهد:  
لا يشفع أحد إلا بإذنه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾، نفرت.  
وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن  
التوحيد. وقال قتادة: استكبرت. وأصل  
الاشمئزاز النفور والاستكبار، ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾،  
يعني الأصنام، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾، يفرحون، قال  
مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة  
والنجم فألقى الشيطان في أميته: تلك الغرائق  
العلوية، وفرح به الكفار.

[٤٦] ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ  
الْغَيْبِ وَاللَّهِدِةَ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ﴾.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا  
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾،  
قال مقاتل: ظهر لهم حين بُعثوا ما لم يحتسبوا في  
الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا  
أنها حسنة فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم  
كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي  
مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله.  
﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾، شدة، ﴿دَعَانَا ثُمَّ  
إِذَا حَوَلْتُهُ﴾، أعطيناه، ﴿نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ  
عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي على علم من الله أني له أهل. وقال  
مقاتل: على خير علمه الله عندي، وذكر الكناية  
لأن المراد من النعمة الإنعام، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾،  
يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان  
وبلية. وقيل: بل الكلمة التي قالها فتنة. ﴿وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنه استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿فَدَعَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، قال مقاتل:  
يعني قارون فإنه قال: (إنما أوتيته على علم  
عندي)، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فما أغنى  
عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي جزاؤها  
يعني العذاب، ثم [أوعد] كفار مكة فقال: ﴿وَالَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ  
بِمُعْجِزِينَ﴾، بفاتئين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل.  
[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾،  
أي يوسع الرزق لمن يشاء، ﴿وَيَقْدِرُ﴾، أي يقتر على  
من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٣] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أراد بالإسراف  
ارتكاب الكبائر. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ  
الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾،  
أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، ﴿وَأَسْلِمُوا لِرَبِّكُمْ﴾،  
وأخلصوا له التوحيد، ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَأَنِيعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ  
رَبِّكُمْ﴾، يعني القرآن، والقرآن كله حسن،

ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجنبه وذكر الأدون لثلا يرغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: الأحسن ما أمر الله به في الكتاب، ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[٥٦] ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾، يعني لثلا تقول نفس، قال المبرد: أي بادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿بِحَسْرَتٍ﴾، يا ندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد يا حسرتي على الإضافة، لكن العرب تحول ياء الكناية ألفاً في الاستغاثة، فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، وربما ألقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي، وقيل: معنى قوله يا حسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك، ﴿عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾، قال الحسن: قصرت في طاعة الله. وقال مجاهد: في أمر الله. وقال سعيد ابن جبير: في حق الله. وقيل: ضيقت في ذات الله. وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يردي إلى رضاء الله. والعرب تسمي الجنب جانباً، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضيغ طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

[٥٨، ٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أو تقول حين ترى العذاب، ﴿عِبَانًا، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، رجعة إلى الدنيا، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الموحدين.

[٥٩] يقال لهذا القائل: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَأَيْتِي﴾، يعني القرآن، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾، وقلت إنها ليست من الله، ﴿وَأَسْتَكْبَرْتَ﴾، تكبرت عن الإيمان بها، ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، فرزعوا أن له ولداً وشريكاً، ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ

سُورَةُ الزَّمْرِ

٤٦٤

سُورَةُ الزَّمْرِ

وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهِيمُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مِّثْلًا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ فَذَقُوا لِمَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أُغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٩﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦١﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٦٣﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٦٤﴾

الْبَيْسِ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ﴾، عن الإيمان.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (بمفازاتهم) بالألف على الجمع، أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون (بمفازتهم) على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز، أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾، لا يصيبهم المكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها مقلاد، مثل

مفتاح، مفاتيح. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة. وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[٦٤] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوفِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ أهل الشام (تأمروني) بنونين خفيفتين على الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ، والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله عز وجل لنبيه وتهديد لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشرك. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبَدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لإنعامه عليك.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به، ثم أخبر عن عظمتهم فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَوَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿وَوُفِّحَ فِي الْأُصْحٰرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل، وقد ذكرناهم في سورة النمل، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله

٤٦٥

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايُسِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْئَلُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوفِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاغْبَدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيَّٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَوَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

وحده، ﴿ثُمَّ نُفِّحَ فِيهِ﴾، أي في الصور، ﴿أُخْرَى﴾، أي مرة أخرى، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم.

[٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، أي كتاب الأعمال، ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّ وَالشَّهَدَاءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى: (وجاءت كل نفس

(١) في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٦) ٤/٢١٤٧.

سُورَةُ

٤٦٦

الزُّمَرِ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّاجًا إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيمَا نُفِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٤﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّاجًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٦﴾

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، ثواب المطيعين .

[٧٥] ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾،

أي محققين محيطين بالعرش، المحيطين بحوافه أي بجوانبه، ﴿يَسِيحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: هذا تسييح تلذذ لا تسييح تعبد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول أهل الجنة: شكرًا حين تمَّ وعدُ الله لهم.

### (٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ

[١] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَمَّ﴾، قد سبق الكلام

في حروف التهجي. قال السدي عن ابن عباس: حَمَّ اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال: الر

معها سائق وشهيد)، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، أي بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أي ثواب ما عملت، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، قال عطاء: يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سوقًا عنيفًا، ﴿زُرَّاجًا﴾، أفواجًا بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: زمرًا أي جماعات في تفرقة، واحداها زمرة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة (فتحت) بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخًا وتقريعًا لهم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، من أنفسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وهو قوله:

(لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين).

[٧٣، ٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيمَا نُفِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلموا عليكم طبتم فادخلوها خالدين يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصص بعضهم من بعض حتى إذا هدبوا وطيبوا أدخلوا الجنة.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾، أي أرض الجنة. وهو قوله عزَّ وجلَّ: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون). ﴿نَتَّبِعُوا﴾، نزل، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾، قال الله تعالى

سُورَةُ غَافِرٍ

٤٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَابُؤُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

أَخِيذًا ﴿١﴾ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا ﴿٢﴾، لِيُطْلُوا، ﴿٣﴾ بِهِ الْحَقِّ ﴿٤﴾، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: (إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا)، (ولولا أنزل علينا الملائكة) ونحو ذلك. ﴿٥﴾ فَاخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦﴾.

﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴿٧﴾، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿٨﴾ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٩﴾، من قومك، ﴿١٠﴾ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١١﴾، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

﴿٧﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿٨﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴿٩﴾، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿١٠﴾ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿١١﴾، يصدقون بأنه واحد لا شريك له ﴿١٢﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا ﴿١٣﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿١٤﴾ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً

وَحَمَّ وَنُونَ، حروف الرحمن مقطعة. وقال سعيد ابن جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان. وقال الضحاك والكسائي: معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حَمَّ بضم الحاء وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء، والباقون بفتحها.

﴿٣﴾ ﴿٢﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرٍ الذَّنْبِ ﴿٢﴾، ساتر الذنب و﴿٣﴾ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴿٤﴾، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبًا. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿٥﴾ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿٧﴾ ذِي الطَّوْلِ ﴿٨﴾، ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد: ذي الطول ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم: ذو القدرة وأصل الطول الإناعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿٩﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾.

﴿٤﴾ ﴿٤﴾ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴿٥﴾، في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار، ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٧﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا)، (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) قوله تعالى: ﴿٨﴾ فَلَا يَغْرُوكَ تَقَابُؤُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٩﴾، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عَزَّ وَجَلَّ: (لَا يَغْرُنْكَ تَلَقُّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ).

﴿٥﴾ ﴿٥﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿٦﴾، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من [بعد] قوم نوح، ﴿٧﴾ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴿٨﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمي الأسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

رَبَّنَا وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَوَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

الآخرة. ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: (هل إلى مردٍّ من سبيل).

[١٢] قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾، وفيه متروك استغني عنه للدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعيت الله وحده كفرتم أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكروتم، وقلتم: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً)، ﴿وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ﴾، غيره، ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، تصدقوا ذلك الشرك، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾. الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

وَعَلْمًا﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، دينك. ﴿وَفَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾، آمن، ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال سعيد بن جبیر: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم (١).

[٩] ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ﴾، العقوبات، ﴿وَمَنْ تَوَى السَّيِّئَاتِ﴾، أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات، وقيل: جزاء السيئات، ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ﴾، يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم، وعابنوا العذاب، فيقال لهم: ﴿لَمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾، يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنَا﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم)، وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّكَ  
 اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ  
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ  
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾  
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ  
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي  
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ  
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ  
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ  
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا  
 وَسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانَ وَقَارُونَ  
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ  
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا  
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى  
 الحناجر، فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج  
 من أفواههم فيموتوا ويستريحوا، ﴿كَظِيمِينَ﴾،  
 مكرويين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ  
 والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿مَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾، قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعٍ  
 يُطَاعُ﴾ فيشفع فيهم.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي خيانتها وهي  
 مسارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: نظر  
 الأعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ  
 دُونِهِ﴾، يعني الأوثان، ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾، لأنها  
 لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٢١] ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ رِزْقًا﴾، يعني المطر الذي هو سبب  
 الأرزاق، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾، وما يتعظ بهذه الآيات  
 ﴿إِلَّا مَنْ يُبِيبُ﴾، يرجع إلى الله تعالى في جميع  
 أموره.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة  
 والعبادة. ﴿وَتَوَكَّرَ الْكٰفِرُونَ﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾، رافع درجات الأنبياء  
 والأولياء في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقَى الرُّوحَ﴾، ينزل  
 الوحي، سماه روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا  
 الأبدان بالأرواح، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾، قال ابن عباس: من  
 قضائه. وقيل: من قوله. وقال مقاتل: بأمره. ﴿عَلَى  
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ﴾، أي لينذر النبي بالوحي،  
 ﴿يَوْمَ النَّادِ﴾، وقرأ يعقوب بالناء أي لتنذر أنت يا  
 محمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل  
 الأرض. وقال قتادة: ومقاتل: يلتقي فيه الخلق  
 والخالق. قال ابن زيد: يتلقى العباد. وقال ميمون  
 ابن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم.

وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه  
 المرء مع عمله.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ﴾، خارجون من قبورهم  
 ظاهرون لا يستترهم شيء، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ﴾،  
 من أعمالهم وأحوالهم، ﴿شَيْءٌ﴾، ويقول الله تعالى  
 في ذلك اليوم بعد فناء الخلق، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ  
 الْيَوْمَ﴾، فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول، ﴿لِلَّهِ  
 الْوَالِدِ الْعَبَّارِ﴾، الذي قهر الخلق بالموت.

[١٧] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾،  
 يُجْزَى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿لَا  
 ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[١٨] ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾، يعني يوم القيامة  
 سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت  
 قريب، نظيره قوله عز وجل: (أزفت الآزفة)، أي  
 قربت القيامة. ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، وذلك



عِقْبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً  
وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ ﴿٢٥﴾، فلم ينفعهم ذلك. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ  
يُدْثِرِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، يدفع عنهم  
العذاب.

[٢٢-٢٥] ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل  
بهم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا  
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُمْ قَوْمٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمْنَا  
وَقَرَّبْنَا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ  
مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ  
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، قال قتادة: هذا غير القتل  
الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان،  
فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم،  
فمعناه أعيدها عليهم القتل، ﴿وَأَسْتَحْيُوا  
نِسَاءَهُمْ﴾، ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى  
ومظاهرة، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ﴾، وما مكر  
فرعون وقومه واحتياهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أي  
يذهب كيدهم باطلاً، ويحقق بهم ما يريد الله عز  
وجل.

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لملئه، ﴿ذُرُوبِي أَقْتُلْ  
مُوسَىٰ﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم  
فرعون من يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿وَلْيَدْعُ  
رَبَّهُ﴾، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله  
إلينا فيمنعه منا، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ﴾، أن يغير،  
﴿دِينَكُمْ﴾، الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي  
الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أراد بالفساد تبديل الدين وعبادة  
غيره.

[٢٧، ٢٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾، لما توعد فرعون  
بالقتل، ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا  
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾، واختلفوا في هذا المؤمن  
قال مقاتل والسدي: كان قبطياً ابن عم فرعون وهو  
الذي حكى الله عنه فقال: (وجاء رجل من أقصى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٤٧٠

سُورَةُ غٰفِرٍ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوبِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ  
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾  
وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ  
لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ  
اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا  
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي  
يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ  
لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ  
بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا  
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ  
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾  
وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْيَنَ  
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يَضِلْ لِّلَّهِ فَا لَّهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

المدينة يسهى)، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز  
الآية: وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون،  
وكان اسمه حزيبيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء.  
وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبريل. وقيل: كان  
اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا.  
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، لأن يقول ربي  
الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي بما يدل  
على صدقه، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾، لا  
يضركم ذلك، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾، فكذبتموه وهو  
صادق، ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ﴾، قال أبو  
عبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو  
صادق أصابكم ما وعدكم من العذاب. قال  
الليث: (بعض) ههنا صلة، يريد: يصيبكم الذي  
يعدكم. وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في  
الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم

فذلك قوله تعالى: (والملك على أرجائها)، وقوله: (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا).

[٣٢-٣٤] ﴿يَوْمَ تُولُوجُ مَدْرِينِ﴾، منصرفين عن

موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارين

غير معجزين، ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾،

يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني يوسف بن

يعقوب من قبل، أي من قبل موسى، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾،

يعني قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد

الفهار، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ﴾، قال

ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له،

﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾، مات، ﴿فَلْتَمَنَّ لَنْ يَبْعَكَ اللَّهُ

مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، أي أقمتم على كفركم وظننتم أن

لا يجدد عليكم الحجة، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ

هُوَ مُسْرِفٌ﴾، مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾، شك.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾، قال

الزجاج: هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين

يجادلون في آيات الله أي في إبطالها بالتكذيب،

﴿بِعَيْرِ سُلْطَانٍ﴾، حجة، ﴿أَنْتُمْ﴾، من الله، ﴿كَبُرَ

مَقْتًا﴾، أي كبر ذلك الجدل مقنا، ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ

جَبَّارٍ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر (قلب) بالتنوين،

قرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبدالله بن

مسعود (على قلب كل متكبر جبار).

[٣٧، ٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لوزيره، ﴿يَهْمَكُنُّ

أَبْنَ لِىَ صَرْمًا﴾، والصرح البناء الظاهر الذي لا

يخفى على الناظر وإن بعد وأصله من التصريح وهو

الإظهار، ﴿أَلَعَلِّيَ أَتَّبِعُ الْأَسْبَابَ ۝

أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾، يعني طرفها وأبوابها من سماء إلى

سماء، ﴿فَاطَّلِعْ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾، قراءة العامة برفع

العين نسقًا على قوله: (أبلغ الأسباب)، وقرأ

بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليجب الكل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾، إلى دينه، ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، مشرك، ﴿كَذَابٌ﴾، على الله.

[٢٩] ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي

الْأَرْضِ﴾، غالبين في أرض مصر، ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ

بِأْسِ اللَّهِ﴾، من يمنعا من عذاب الله، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾،

والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله

بالتكذيب وقتل النبي، فإنه لا مانع من عذاب الله إن

حل بكم، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾، من الرأي

والنصيحة، ﴿إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾، لنفسي. وقال الضحاك:

ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

الرَّشَادِ﴾، ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ

يَوْمِ الْأَحْرَابِ ۝

مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ﴾، أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب

حتى أتاهم العذاب، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، أي

لا يهلكهم قبل إيجاب الحجة عليهم.

[٣١] ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾، يوم

القيامة يُدعى كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم

بعضًا، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار،

وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب

الأعراف، ويُنادى بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان

ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا،

وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها

أبدًا، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة

خلودًا فلا موت، ويا أهل النار خلودًا فلا موت،

وقرأ ابن عباس والضحاك: يوم التناد بتشديد الدال

أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض

كما تند الإبل إذا شردت عن أربابها. وقال

الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربًا

فلا يأتون قطرًا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوًا، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧١

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَلِيَّتَاتِ فَأَزَلْتُمْ فِي شَكِّ مَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْلِكُنَّ ابْنِ بَنِي صِرْحَانَ لَعَلَّيْ أَتَّبِعُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٨﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسِي وَاِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٤٠﴾ يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ ﴿٤١﴾ تَمَتَّعُوا بِهَا مَتَّعَ ثُمَّ تَنْقُطُ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَرَارِ ﴿٤٢﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٣﴾ قَالَ مَقَاتِلُ: لَا تَبِعَهُ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَعْطُونَ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ.

لأن الأوثان لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تبتأ من عابديها. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾، مرجعنا إلى الله فيجازي كلًا بما يستحق، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾، المشركين، ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَدِّكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾، إذا عابتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر، ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدرُوا عليه.

[٤٥] وذلك قوله عز وجل: ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا﴾، ما أرادوا به من الشر، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطيًا، ﴿وَحَافًا﴾، نزل، ﴿يَا لِفِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، الغرق في الدنيا والنار في الآخرة.

الأعرج، على جواب لعل بالفاء، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾، يعني موسى، ﴿كَذِبًا﴾، فيما يقولون إن له ربًا غيري، ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (وصدَّ) بضم الصاد نسقًا على قوله: (زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ) قال ابن عباس: صدّه الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي صدَّ فرعونُ الناس عن السبيل. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾، يعني وما كيدُه في إبطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسارة وهلاك. [٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، طريق الهدى.

[٣٩] ﴿يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ﴾، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَرَارِ﴾ التي لا تزول.

[٤٠] ﴿مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قال مقاتل: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير.

[٤١] ﴿وَيَنْقُورُ مَا إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾، يعني مالكم كما تقول العرب: مالي أراك حزينا؟ أي مالك؟ يقول: أخبروني عنكم كيف هذه الحال أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، إلى الشرك الذي يوجب النار، ثم فسر فقال:

[٤٢] ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفْوَ﴾، العزيز في انتقامه ممن كفر، الغفار للذنوب أهل التوحيد.

[٤٣] ﴿لَا جْرَمَ﴾، حقا، ﴿إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، أي إلى الوثن، ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾، قال السدي: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة [دعوة]. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا

سورة غافر

٤٧٢

سورة غافر

﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿٤٦﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفْوَ ﴿٤٧﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآيَاتُ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٨﴾ فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٩﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَآكِرُوهًا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥١﴾ وَقِيلَ مِنَ الْإِدْخَالِ، أَي يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ غَيْرِ الَّذِي كَانُوا يُعَذِّبُونَ بِهِ مِنْذُ أَعْرَقُوا. ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ، أَي أَذْكَرُ يَا مُحَمَّدٌ لِقَوْمِكَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ يَعْنِي أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ ﴿٥٣﴾ فَيَقُولُ الضَّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴿٥٤﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿٥٥﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِمَّنَ النَّارِ ﴿٥٦﴾ وَالتَّبَعُ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا فِي قَوْلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَاحِدَهُ تَابِعٌ، وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: هُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ وَجَمْعُهُ أَتْبَاعٌ. ﴿٥٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِيُنزِلْنَا مِنْ هَاهُنَا نَجِدَ رَحْمَةَ رَبِّنَا ﴿٥٩﴾ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، ﴿٦٠﴾ لِيُخْرِجَنَّا مِنْ هَاهُنَا نَجِدَ رَحْمَةَ رَبِّنَا ﴿٦١﴾ يُخَفِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٦٢﴾. ﴿٥٠﴾ ﴿قَالُوا﴾، يَعْنِي خِزْنَةُ جَهَنَّمَ لَهُمْ، ﴿أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾، أَنْتُمْ إِذَا رَبِّكُمْ، أَي إِنَّا لَا نَدْعُو لَكُمْ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾، أَي يَبْطُلُ وَيَضِلُّ وَلَا يَنْفَعُهُمْ. ﴿٥١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

[٤٦] وذلك قوله: ﴿النَّارُ﴾، هي رفع على البدل من السوء، ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، صباحًا ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال: يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيًا ما دامت الدنيا. ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ من الدخول، أي يقال لهم ادخلوا يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، وقيل من الإدخال، أي يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أعرقوا.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾، أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار ﴿فَيَقُولُ الضَّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، في الدنيا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِمَّنَ النَّارِ﴾، والتبع يكون واحدًا وجمعًا في قول أهل البصرة، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع.

[٤٨، ٤٩] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ و ﴿قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾، حين اشتد عليهم العذاب، ﴿لِيُخْرِجَنَّا مِنْ هَاهُنَا نَجِدَ رَحْمَةَ رَبِّنَا﴾ يُخَفِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٦٢﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾، يعني خزنة جهنم لهم، ﴿أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾، أنتم إذا ربكم، أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾، أي يبطل ويضل ولا ينفعهم.

[٥١] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، يعني يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾، إن اعتدروا عن كفرهم لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينفعهم، ﴿وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾، البعد من الرحمة، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، يعني جهنم.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾، يا محمد على أذاهم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾، في إظهار [دينك] وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، صلِّ شاكراً لربك، ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنَ أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكفى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرُ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿مَا هُمْ بِبَلَّغِيهِ﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مع عظمهما، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم في الصدور، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال، (ولكن أكثر

٤٧٣

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾، يا محمد على أذاهم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾، في إظهار [دينك] وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، صلِّ شاكراً لربك، ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنَ أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكفى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرُ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿مَا هُمْ بِبَلَّغِيهِ﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مع عظمهما، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم في الصدور، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال، (ولكن أكثر

النَّاسِ)، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة (تذكرون) بالناء، وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾، أي القيامة لآتية لا ريب فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي اعبدوني دون غيري أجيبكم وأثبتم وأغفر لكم، فلما عبّر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن

تَبَارَكَ الَّذِي

٤٧٤

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّآرَبٍ فِيهَا وَلَكِن مَّا كَثُرَ النَّاسُ  
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ  
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَاخِرِينَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلنَّاسِ  
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ  
وَلَكِن مَّا كَثُرَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
كَمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٦٤﴾ كَذَلِكَ  
الدَّلَائِلُ، كَذَلِكَ ﴿يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتِيَتُ اللَّهُ  
يَعْمَدُونَ﴾. ﴿٦٥، ٦٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ  
فَرَارًا، فَرَاشًا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، سَقْفًا كَالْقَبَةِ،  
﴿وَصُورَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، قَالَ مَقَاتِلُ: خَلَقَكُمْ  
فَأَحْسَنَ خَلْقَكُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ ابْنُ آدَمَ  
قَائِمًا مَعْتَدَلًا يَأْكُلُ وَيَتَنَاوَلُ بِيَدِهِ، وَغَيْرُ ابْنِ آدَمَ  
يَتَنَاوَلُ بِفِيهِ. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، قِيلَ: هُوَ مِنْ  
غَيْرِ رِزْقِ الدُّوَابِّ ﴿لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،  
قَالَ الْفَرَاءُ: هُوَ خَيْرٌ وَفِيهِ إِضْمَارُ الْأَمْرِ، مَجَازُهُ:  
فَادْعُوهُ وَاحْمَدُوهُ. وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
قَالَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى إِثْرِهَا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾.

عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (١) عن أبي هريرة  
قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدع الله غضب الله  
عليه» (٢)، وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿لَكُمْ  
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَاخِرِينَ﴾ صَاغِرِينَ ذَلِيلِينَ.

[٦٣-٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلنَّاسِ  
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ  
وَلَكِن مَّا كَثُرَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ﴾ دَلِيلُكُمْ اللَّهُ  
رَبُّكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
كَمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ، كَذَلِكَ، كَذَلِكَ ﴿يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتِيَتُ اللَّهُ  
يَعْمَدُونَ﴾.

[٦٥، ٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ  
فَرَارًا، فَرَاشًا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، سَقْفًا كَالْقَبَةِ،  
﴿وَصُورَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، قَالَ مَقَاتِلُ: خَلَقَكُمْ  
فَأَحْسَنَ خَلْقَكُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ ابْنُ آدَمَ  
قَائِمًا مَعْتَدَلًا يَأْكُلُ وَيَتَنَاوَلُ بِيَدِهِ، وَغَيْرُ ابْنِ آدَمَ  
يَتَنَاوَلُ بِفِيهِ. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، قِيلَ: هُوَ مِنْ  
غَيْرِ رِزْقِ الدُّوَابِّ ﴿لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،  
قَالَ الْفَرَاءُ: هُوَ خَيْرٌ وَفِيهِ إِضْمَارُ الْأَمْرِ، مَجَازُهُ:  
فَادْعُوهُ وَاحْمَدُوهُ. وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
قَالَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى إِثْرِهَا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾.

يُؤْفَى مِنْ قَبْلِ، أَي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِيرَ شَيْخًا.  
﴿وَالْيَلَّغُوا﴾، جَمِيعًا، ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾، وَقَتًا مَعْلُومًا  
مَحْدُودًا لَا تَجَاوِزُونَهُ، يَرِيدُ أَجَلَ الْحَيَاةِ إِلَى  
الْمَوْتِ، ﴿وَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أَي لِكَيْ تَعْقِلُوا  
تَوْحِيدَ رَبِّكُمْ وَقَدْرَتَهُ.

[٦٩، ٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا  
فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ  
فِي آيَةِ اللَّهِ، يَعْنِي الْقُرْآنَ يَقُولُونَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الصَّلَاةِ ١٤١/٢ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي  
التَّفْسِيرِ ١٢١/٩ وَقَالَ (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) وَالنَّسَائِيُّ فِي  
التَّفْسِيرِ ٢٥٣/٢ وَابْنُ مَاجَةَ فِي الدَّعَاءِ بِرَقْمِ (٣٨٢٨) ٢/  
١٢٥٨ وَالحَاكِمُ ٤٩٠/١ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ وَالمَصْنُفُ  
فِي شَرْحِ السَّنَةِ ١٨٨/٥. (٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٤٢/٢)،  
وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ (٦٥٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٣٧٣)  
وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٢٧)، وَالحَاكِمُ (٤٩١/١)، وَالمَصْنُفُ فِي  
شَرْحِ السَّنَةِ (رَقْمِ ١٣٨٩).

[٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ عَبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ نَمًا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَذَلِكَ حِينَ دَعَى إِلَى الْكُفْرِ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ  
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخَرِّجُكُمْ طِفْلًا، أَي أَطْفَالًا، ﴿ثُمَّ  
لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٥

سُورَةُ غَافِرٍ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَبُوءُ مِنْ قَبْلِ وَنَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٧٣﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ إِذِ الْأَعْزَلُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٥﴾ فِي الْحَمِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَاتُ مَا كُنتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا قَدِ افْتَدَيْنَاهُمْ فَلَا نَرَاهُمْ فِي شَيْءٍ أَكْبَرٍ قِيلَ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا قِيلَ أَنْكُرُوا وَقِيلَ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا يَنْفَعُ وَيَضُرُّ وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: أَي لَمْ نَكُنْ نَصْنَعُ مِنْ قَبْلِ شَيْئًا أَي ضَاعَتْ عِبَادَتُنَا لَهَا، كَمَا يَقُولُ مِنْ ضَاعَ عَمَلُهُ: مَا كُنْتُ أَعْمَلُ شَيْئًا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي كَمَا أَضَلُّ هَؤُلَاءِ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي نزل بكم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ تبتطرون وتأشرون، ﴿فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تفرحون وتختالون. ﴿٧٦﴾ ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فَيَسَّ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك، ﴿حَقٌّ فَمَا تَرَيْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، ﴿أَوْ نُوَفِّئُكَ﴾ قبل أن يحل ذلك بهم، ﴿فَالْتَبْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، خبرهم في القرآن، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بأمر الله وإرادته، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰبِتُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾، وبعضها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ولكن فيها منافع، ﴿فِي أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَلْبَانِهَا﴾. ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾، تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد وتبلغوا عليها حاجاتكم، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر، نظيره قوله تعالى: (وحملناهم في البر والبحر).  
 ﴿٨١﴾ ﴿وَرِيكُمُ آيَاتِهِ﴾، دلائل قدرته، ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ﴾.  
 ﴿٨٢﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني مصانعهم وقصورهم، ﴿فَمَا آغَى عَنْهُمْ﴾، لم ينفهم، ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم؟

الله، ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾، كيف يصرفون عن دين الحق. قيل: هم المشركون. وعن محمد بن سيرين وجماعة: إنها نزلت في القدرية.

﴿٧٠، ٧١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذ الْأَعْزَلُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ، يجرون.

﴿٧٢﴾ ﴿فِي الْحَمِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، قال مقاتل: توقد بهم النار. وقال مجاهد: يصيرون وقودًا للنار.

﴿٧٣، ٧٤﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَاتُ مَا كُنتُمْ تَشْرِكُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ يعني الأصنام، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، فقدناهم فلا نراهم، ﴿بَل لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾، قيل: أنكروا. وقيل: معناه بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا ينفع ويضر. وقال الحسين بن الفضل: أي لم نكن نصنع من قبل شيئًا أي ضاعت عبادتنا لها، كما يقول من ضاع عمله: ما كنت أعمل شيئًا. قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أضل هؤلاء، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي نزل بكم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ تبتطرون وتأشرون، ﴿فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تفرحون وتختالون.

﴿٧٦، ٧٧﴾ ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فَيَسَّ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك، ﴿حَقٌّ فَمَا تَرَيْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، ﴿أَوْ نُوَفِّئُكَ﴾ قبل أن يحل ذلك بهم، ﴿فَالْتَبْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، خبرهم في القرآن، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بأمر الله وإرادته، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰبِتُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٦

سُورَةُ فَصَّلَتِ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ  
 بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ  
 هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ  
 لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا  
 مَنْفَعٌ وَتَسْبَلُونَ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
 أَعْيُنِكُمْ حُمُولٌ ﴿٨٠﴾ وَرَبِّكُمْ آيَاتِهِ فَآيَاتِ  
 اللَّهِ تُكْفِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ  
 قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آخَرَهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
 ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ  
 مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا  
 رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ  
 مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَتَ  
 اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٨٣، ٨٤] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
 فَرِحُوا﴾، رضوا، ﴿وَمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، قال  
 مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب،  
 سمي ذلك علماً على ما يدعونه وهو في الحقيقة  
 جهل. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، فلما رأوا  
 بأسنا قالوا آمنا بالله وحدّه وكفّرنا بما كنا به  
 مشركين، يعني تبرأنا مما كنا نعدل بالله.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾،  
 عذابنا، ﴿سَنَتَ اللَّهُ﴾، قال نصبها بترج الخافض،  
 أي كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على  
 الإغراء أي احذروا سنة الله، ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي  
 عِبَادِهِ﴾، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله  
 آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب.  
 ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ﴾، بذهاب نعيم الدارين،  
 قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم  
 يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

### (٤١) سُورَةُ فَصَّلَتِ

خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على  
 ما تقول، ﴿فَاعْمَلْ﴾، أنت على دينك، ﴿إِنَّا  
 عَمِلُونَ﴾، على ديننا.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، يعني كواحد منكم  
 ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ  
 أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾، قال الحسن: علمه الله  
 التواضع، ﴿فَلَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾، توجهوا إليه بالطاعة  
 ولا تميلوا عن سبيله، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا﴾، من ذنوبكم،  
 ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، قال ابن  
 عباس: الذين يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة  
 الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك  
 بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بالزكاة  
 ولا يرون إبتاءها واجباً وكان يقول: الزكاة قنطرة  
 الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

[٢، ١] ﴿حَسْرَةً تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال  
 الأخفش: تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل:

[٣] ﴿يَكُفِّرُ كَبِيرَاتِهِمْ﴾، بينت آياته ﴿قُرْآنًا  
 عَرَبِيًّا يُقَرِّئُ يَعْتَمُونَ﴾، اللسان العربي ولو كان بغير  
 لسانهم ما علموه ونصب قرآنًا بوقوع البيان عليه أي  
 فصلناه قرآنًا.

[٤] ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، نعتان للقرآن أي بشيرًا  
 لأولياء الله ونذيرًا لأعدائه، ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ  
 لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي لا يصغون إليه تكبرًا.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني مشركي مكة ﴿قُلُوبُنَا فِي  
 أَكِنَّةٍ﴾، في أغطية، ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾، فلا نفقه  
 ما تقول، ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾، صمم فلا نسمع ما  
 تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بمنزلة  
 من لا يفهم ولا يسمع، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾،



## سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ  
 آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ  
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ  
 وَمَا نَدْعُونَكَ إِلَّا بِأَسْمَاءٍ مِثْلَ آبَائِنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا  
 فَعَّمْتَنَا لِنَمْلِكُنَّ آلِهَةً مَعَهُ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ  
 أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبِ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝٦  
 وَاللَّشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ  
 هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي  
 خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۝٩ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١٠  
 وَجَعَلَ فِيهَا ۝١٠ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي خَلَقَ  
 الْجِبَالَ ثَوَابِتَ، ۝١١ مِّنْ فَوْقِهَا، ۝١٢ مِّنْ فَوْقِهَا، ۝١٣  
 وَنَزَّلَ فِيهَا ۝١٤ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا  
 مِنَ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالشُّمَارِ، ۝١٥ وَقَدَّرَ فِيهَا  
 أَقْوَاتَهَا، ۝١٦ قَالَ الْحَسَنُ وَمَقَاتِلُ: قَسَمَ فِي الْأَرْضِ  
 أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَالْبَهَائِمِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالضُّحَّاكُ:  
 قَدَّرَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ فِي الْآخِرَىٰ لِيَعِيشَ  
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالتَّجَارَةِ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ. قَالَ  
 الْكَلْبِيُّ: قَدَّرَ الْخَبِيزَ لِأَهْلِ قَطْرِ وَالذَّرَّةَ لِأَهْلِ قَطْرِ  
 وَالسَّمَكَ لِأَهْلِ قَطْرِ وَكَذَلِكَ أَقْوَاتَهَا. ۝١٧ فِي رُبْعَةِ  
 أَيَّامٍ، ۝١٨ يَرِيدُ خَلْقَ مَا فِي الْأَرْضِ وَقَدَّرَ الْأَقْوَاتَ فِي  
 يَوْمَيْنِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ فَهَمَا مَعَ الْأَحَدِ  
 وَالْاِثْنَيْنِ أَرْبَعَةٌ أَيَّامَ، رَدَّ الْآخِرَ عَلَى الْأَوَّلِ فِي الذِّكْرِ  
 ۝١٩ سَوَاءٌ لِلنَّسَائِلِينَ ۝٢٠ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ۝٢١ سَوَاءٌ ۝٢٢ رَفَعَ عَلَى  
 الْاِبْتِدَاءِ، أَيُّ هِيَ سَوَاءٌ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِالْجَرِّ عَلَى  
 نَعْتِ قَوْلِهِ: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (سَوَاءٌ)  
 نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ اسْتَوَتْ اسْتَوَاءً، وَمَعْنَاهُ: سَوَاءٌ  
 لِلنَّسَائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: مَنْ سَأَلَ  
 عَنْهُ فَهَكَذَا الْأَمْرُ سَوَاءٌ لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَانَ جَوَابًا  
 لِمَنْ سَأَلَ فِي كَيْفَ خَلَقْتَ الْأَرْضَ وَالْأَقْوَاتَ.

وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم ۝١٠ وهم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝١١.

[٨] [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ]، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منه الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه

[٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۝٩ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا ۝١٠ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي خَلَقَ الْجِبَالَ ثَوَابِتَ، ۝١١ مِّنْ فَوْقِهَا، ۝١٢ مِّنْ فَوْقِهَا﴾، من فوق الأرض، ﴿وَنَزَّلَ فِيهَا ۝١٤ أَيُّكُمْ لَكَ ذِكْرُ الْوَالِدِ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالشُّمَارِ، ۝١٥ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَالْبَهَائِمِ. وقال عكرمة والضحاك: قَدَّرَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ فِي الْآخِرَىٰ لِيَعِيشَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالتَّجَارَةِ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: قَدَّرَ الْخَبِيزَ لِأَهْلِ قَطْرِ وَالذَّرَّةَ لِأَهْلِ قَطْرِ وَالسَّمَكَ لِأَهْلِ قَطْرِ وَكَذَلِكَ أَقْوَاتَهَا. ۝١٧ فِي رُبْعَةِ أَيَّامٍ، ۝١٨ يَرِيدُ خَلْقَ مَا فِي الْأَرْضِ وَقَدَّرَ الْأَقْوَاتَ فِي يَوْمَيْنِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ فَهَمَا مَعَ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ أَرْبَعَةٌ أَيَّامَ، رَدَّ الْآخِرَ عَلَى الْأَوَّلِ فِي الذِّكْرِ ۝١٩ سَوَاءٌ لِلنَّسَائِلِينَ ۝٢٠ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ۝٢١ سَوَاءٌ ۝٢٢ رَفَعَ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ، أَيُّ هِيَ سَوَاءٌ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِالْجَرِّ عَلَى نَعْتِ قَوْلِهِ: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (سَوَاءٌ) نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ اسْتَوَتْ اسْتَوَاءً، وَمَعْنَاهُ: سَوَاءٌ لِلنَّسَائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: مَنْ سَأَلَ عَنْهُ فَهَكَذَا الْأَمْرُ سَوَاءٌ لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَانَ جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَ فِي كَيْفَ خَلَقْتَ الْأَرْضَ وَالْأَقْوَاتَ.

[١١] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي عمد إلى خلق السماء، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وكان ذلك الدخان بخار الماء، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أي آئينا ما أمركما أي افعله، كما يقال: آئت ما هذا الأحسن أي افعله. وقال طابوس عن ابن عباس: آئينا أعطيا، يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. قال ابن عباس: قال الله عز وجل: ﴿أَمَّا أَنْتَ يَا سَمَاءُ فَاطْلَعِي شَمْسَكَ وَقَمْرَكَ وَنَجُومَكَ، وَأَنْتَ يَا أَرْضُ فَشَقِي أَنْهَارَكَ وَأَخْرَجِي ثَمَارَكَ وَنَبَاتَكَ، وَقَالَ لَهُمَا أَفْعَلَا مَا أَمْرُكَمَا طَوْعًا وَإِلَّا أَلْجَأْتَكُمَا إِلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَفْعَلَاهُ كَرْهًا فَأَجَابَتَا بِالطَّوْعِ، ۝١٢ قَالَتَا آئِنًا طَائِعِينَ﴾، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازه: آئينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجزاهما في الجمع مجرى من يعقل.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٤٧٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا  
 وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ  
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ  
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ سَمَاءٍ مَلَكًا  
 فَأِنَّا يَمَّا آرَسَلْتُمْ بِهِ كُفْرُورًا ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي  
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ  
 ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ  
 عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ  
 لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى  
 الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
 ﴿١٧﴾ وَبَيْنَمَا السَّيِّدُونَ نُحِسُوا النَّارَ لَهَا وَالرَّسُولُ أَهْلَكَ الْقَوْمَ  
 أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِمَةٌ  
 عَلَيْهِمْ سَمِعَتْهُمْ نَادِيَهُمْ وَأَصْرَهُمْ وَهُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي أتمهن وفرغ من خلقهن، ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال قتادة والسدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾، وكواكب، ﴿وَحِفْظًا﴾ لها ونصب حفظًا على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظًا من الشياطين الذين يسترقون السمع، ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكر من صنعه، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾، في ملكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾، بخلقه.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿فَإِنِ اعْرَضُوا﴾، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾، خوافتكم، ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، أي هلاكًا مثل هلاكهم، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ﴾، يعني عادًا أو ثمودًا، ﴿الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أراد بقوله: (من بين أيديهم) الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، (ومن خلفهم) يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله (ومن خلفهم) راجعة إلى الرسل، ﴿إِلَّا﴾، بأن لا، ﴿تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ سَمَاءٍ مَلَكًا﴾، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، ﴿فَأِنَّا يَمَّا آرَسَلْتُمْ بِهِ كُفْرُورًا﴾.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وذلك أن هودًا هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا،

وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، عاصفة شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصر وهو البرد، ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (نحسات) بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشؤومات ذات نحوس. وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، ﴿لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، أي عذاب الهون والذل، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾، أشد إهانة ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، دعوانهم، قاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٩

سُورَةُ فَصَلَتٍ

وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي  
 أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾  
 وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ  
 وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ  
 ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ  
 مِنَ الْخُسْرَيْنِ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصَّبِرُوا فَالْتَأُرْثُوا مَوْتَى لَهُمْ وَإِنْ  
 يَسْتَعْجِلُوا فَإِذَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقِيصًا لَهُمْ  
 قِرَاءَةُ فَرِيضَاتِهِمْ بِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ  
 الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِتْنَهُمْ  
 كَانُوا خُسْرَيْنِ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ  
 وَالْغَوْفِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنْدَقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا  
 شَدِيدًا وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ  
 أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ  
 ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِي أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ  
 وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

أخبر عن حالهم فقال:

[٢٤] ﴿فَإِنْ يَصَّبِرُوا فَالْتَأُرْثُوا مَوْتَى لَهُمْ﴾، مسكن لهم، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا﴾، يسترضوا وطلبوا العتبي، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، المرضين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إليّ، واستعبته طلبت منه أن يعتب أي يرضى.

[٢٥] ﴿وَقِيصًا لَهُمْ﴾، أي بعثنا ووكنا، وقال مقاتل: هيأنا. وقال الزجاج: سببنا لهم. ﴿قِرَاءَةُ﴾، نظراء من الشياطين حتى أضلوهم، ﴿فَرِيضَاتِهِمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ﴾، مع أمم، ﴿فَدَقَّ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِتْنَهُمْ كَانُوا خُسْرَيْنِ﴾.

مجاهد، وقال ابن عباس: بيّنّا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله (هديناه السبيل)، ﴿فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهَدْيِ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَعِقَةً الْعَذَابِ﴾، أي هلكت العذاب ﴿الْهُونِ﴾، أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويجزيهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨، ١٩] ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾، قرأ نافع ويعقوب: (نحشر) بالنون، (أعداء) نصب، وقرأ الآخرون بالياء وزفعها وفتح الشين (أعداء) رفع أي يجمع إلى النار، ﴿فَهُمْ يُرْضَوْنَ﴾، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾، جاؤوا النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾، أي بشراتهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلود الفروج. وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

[٢١] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام ههنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وليس هذا من جواب الجلود، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ﴾، أي تستخفون - عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد: تتقون. وقال قتادة: تظنون. ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَكْفُرَ بِكُمْ﴾، أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعلمون، أرداكم. قال ابن عباس: طرحكم في النار، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾، ثم

مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ﴿تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، قال ابن عباس: عند الموت. وقال قتادة ومقاتل: إذ قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح: البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾، من الموت. وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾، على ما خلفتم من أهل وولد، فإننا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء ابن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنني أغفرها لكم، ﴿وَأَنْبِشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾، تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، أي في الدنيا والآخرة. قال السدي: تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ﴾، من الكرامات واللذات، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿مَا تَدْعُونَ﴾، تتمنون.

[٣٢، ٣٣] ﴿تُرْزَقُوا﴾، رزقا، ﴿مِنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً يَمَنَّ دَعَاً إِلَى اللَّهِ﴾، إلى طاعته، ﴿وَعَمَلٍ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال ابن سيرين: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن: هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إني من المسلمين. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين. وقال عكرمة: هو المؤذن أبو إمامة الباهلي وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم: هو الصلاة بين الأذان والإقامة.

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مشركي قريش، ﴿لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾، قال ابن عباس: يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يوصي إلى بعض: إذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير. وقال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول. وقال السدي: صيحوا في وجهه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾، محمداً على قراءته.

[٢٧] ﴿فَلْتَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي﴾، يعني بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿النَّارِ﴾، أي هو النار، ﴿هُمَّ فِيهَا﴾، أي في النار، ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي في النار يقولون، ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾، يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنا المعصية، ﴿تَجَعَّلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا﴾، في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذابا منا.

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه: أدوا الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال

[٣٤] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، قال الفراء: (لا) ههنا صلة، معناه: لا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعمو والإساءة. ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾، يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة، ﴿كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾، كالصديق والقريب. قال مقاتل ابن حيان: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة.

[٣٥] ﴿وَمَا يُقْلَقُهَا﴾، ما يلقي هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على كظم الغيظ واحتمال المكروه، ﴿وَمَا يُقْلَقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، في الخير والثواب، وقال قتادة: الحظ العظيم الجنة، أي ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة.

[٣٦] ﴿وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾، لاستعاضتك وأقوالك، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بأفعالك وأحوالك.

[٣٧] قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، إنما قال ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكور على المؤنث، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾، عن السجود، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني الملائكة ﴿يَسْتَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ لا يملون ولا يفترون، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، دلائل قدرته، ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾، يابسة غبراء لا نبات فيها، ﴿فَإِذَا

٤٨٠

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا اسْتَزَلَّ عَلَيْهِمُ أَلْمَلِكُ كَذِبًا أَتَخَافُونَ أَوْ لَا تَحْزَنُونَ وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿تَحَنُّنًا أَوْ لِيَأُكْرِمُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْعَمِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَلَّمُوا فِيهَا مَا يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَمَا يُقْلَقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَهَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي آمَنَّا لَمَجِي الْمَوْقِعِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغظ. قال قتادة: يكذبون في آياتنا. قال السدي: يعاندون ويشاقون. قال مقاتل: نزلت في أبي جهل. ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾، وهو أبو جهل، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قيل: هو حمزة. وقيل: عثمان. وقيل: عمار بن ياسر. ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، أمر تهديد ووعد، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، عالم فيجازيك به.

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: (إن الذين كفروا)، على تقدير الذين كفروا بالذكر

يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: (أولئك يُنادون من مكان بعيد)، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ﴾، قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كريم على الله: قال قتادة: أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل إليه سبيلاً.

[٤٢] وهو قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الزجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى: الباطل الزيادة والنقصان. وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيطله. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ثم عزى نبيه ﷺ على تكذبيهم.

[٤٣] فقال: ﴿مَا يَقُولُ لَكَ﴾، من الأذى، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك، وكذبوا كما كذبت، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ﴾، لمن تاب وآمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾، لمن أصر على التكذيب.

[٤٤] ﴿وَلَوْ بَعُدْتَ﴾، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس، ﴿قُرْآنًا عَجْمِيًّا﴾، بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فَصَلَتْ آيَاتُهُ﴾، هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿عَجْمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾، يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي. قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، يعني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمداً، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ﴾، يا محمد ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَ وَرَبَّتْ إِنَّ اللَّهَ أَحْيَاهَا لِمَجَى الْمَوْقِفِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فَصَلَتْ آيَاتُهُ عَجْمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَنْ رَبُّكَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

وَشِفَاءٌ﴾، لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، قال قتادة: عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به، ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي [من] مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾، فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، ﴿لَقَضَى بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾، من صدقك، ﴿مُرِيبٍ﴾، موقع لهم الريبة. [٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا

رَبُّكَ يَظُنُّكَ لِلْعَبِيدِ .

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها واحدها: كَيْمٌ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾، إلا بإذنه، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، ينادي الله المشركين، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾، الذين كنتم تزعمون أنها آلهة، ﴿قَالُوا﴾، يعني المشركين، ﴿ءَأَدْتَكُمْ﴾، أعلمناك، ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾، أي من شاهد بأن لك شريكاً لما عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام.

[٤٨] ﴿وَصَلَّ عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾، يعبدون، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾، في الدنيا، ﴿وَطَنُوا﴾، أيقنوا، ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾، مهرب.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾، لا يمل الكافر، ﴿مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾، أي لا يزال يسأل ربه الخير، يعني المال والغنى والصحة، ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾، الشدة والفقر، ﴿فَيَتُوسُّ﴾، من روح الله، ﴿فَتَنُوطٌ﴾، من رحمته.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾، آتيناه خيراً وعافية وغنى، ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ﴾، من بعد شدة وبلاء أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾، أي بعلمي وأنا محبوب بهذا، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورُددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي الجنة أي كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة. ﴿فَلْيَلْتَمَثَّلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لثوقفتهم على مساوئ أعمالهم، ﴿وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

[٥١] ﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾، كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَوَيْومَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِيَ قَالُوا ءَأَدْتَكُمْ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسُّ فَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلْيَلْتَمَثَّلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِنِّي أَنزَلْتُهُمْ فِي مَرِيضَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ ﴿٥٤﴾

فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾، هذا القرآن ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ نَمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم.

[٥٣] ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منازل الأمم الخالية. ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، يعني دين الإسلام. وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من عند الله. وقيل: محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى. وقال عطاء وابن

## سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ  
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ  
 وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسَتَّغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ  
 ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي  
 السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ  
 مِنَ نِسَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَأَظْلَمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾  
 أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ  
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ مِمَّا اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

كثير (يوحى) بفتح الحاء ووجهته قوله: (أوحينا إليك)، ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وعلى هذه القراءة قوله ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تبين للفاعل كأنه قيل: من يوحى؟ فقيل: الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون (يوحى) بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب.

[٥، ٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ، أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: (اتخذ الله ولدًا) نظيره في سورة مريم: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا) (لقد جئتم شيئًا إدا) (تكاد السماوات يتفطرن منه). ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسَتَّغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، من المؤمنين، ﴿أَلَا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

زيد: في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق. ﴿أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنْتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، قال مقاتل: أولم يكف ربك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.

[٥٤] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾، في شك من البعث، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾، أحاط بكل شيء علمًا.

## (٤٢) سُورَةُ الشُّورَى

[٢، ١] ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ﴾، سئل الحسين بن الفضل لِمَ يَقْطَعُ حَمَّ عَسَقٍ وَلَمْ يَقْطَعْ كَهَيْعِصٍ؟ فقال: لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره، ولأنهما عداً آيتين، وأخواتها مثل كهيعص المص المر عُدَّتْ آية واحدة. وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها: حُمَّ أي قُضِيَ ما هو كائن، وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حَ حَلِمِهِ، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها. وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: حَ حرب يعز فيها الذليل ويدل فيها العزيز من قريش، م ملك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سيء يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق.

[٣] فلذلك قال: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾، وقرأ ابن



﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَرْوَاجًا﴾، أصنافًا ذكورًا وإناثًا، ﴿يَذَرُوكُمْ﴾، يخلقكم، ﴿فِيهِ﴾، أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: في بمعنى الباء أي يذروكم به. وقيل: معناه يكثركم بالتزويج. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، مثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: (فإن آمنوا بمثل ما آمتم به)، وقيل: الكاف صلة، مجازة: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مفاتيح الرزق في السموات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات. ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأن مفاتيح الرزق بيده، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾، بين وسن لكم، ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد دينًا واحدًا. ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، من القرآن وشرائع الإسلام، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد: لم يعث الله نبيًا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم.

وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله ﴿أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، ﴿كَبَّرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾، يصطفي لدينه من عباده من يشاء، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، يقبل إلى طاعته.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾، مكة يعني أهلها، ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾، يعني قرى الأرض كلها، ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ فضل من الله، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ عدل من الله عز وجل.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على دين واحد. وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله تعالى: (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)، ﴿وَلَكِن يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، في دين الإسلام، ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾، الكافرون، ﴿مَا لَهُمْ مِّن وَّلِيٍّ﴾، يدفع عنهم العذاب، ﴿وَلَا نُصِيرُهُمْ﴾، يمنعهم من النار.

[٩] ﴿أَرِ اتَّخَذُوا﴾، بل اتخذوا أي الكافرون، ﴿مِن دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وليك يا محمد وولي من أتبعك، ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾، من أمر الدين، ﴿نَحْكُمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾، الذي يحكم بين المختلفين هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

[١١] ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا﴾، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم،

[١٤] ﴿وَمَا نَفَرُوا﴾، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الكتاب: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، أي للبغي، قال عطاء: يعني بغياً بينهم على محمد ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، وهو يوم القيامة، ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكُتُبَ﴾، يعني اليهود والنصارى، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة: معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. ﴿لَفِي سَكِّ مِتُهُ مُرِيبٌ﴾، أي من محمد ﷺ.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ﴾، أي فإلى ذلك كما يقال دعوت [إلى] فلان وفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد، ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾، أي اثبت على الدين الذي أمرت به، ﴿وَلَا تَلْبَعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾، أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ﴾، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، يعني إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله، ﴿لَا حُجَّةَ﴾، لا خصومة، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾، نسختها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾، في المعاد لفصل القضاء، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾، يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم، فنحن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٤

سُورَةُ الشُّورَى

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنْ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا يَذُرْكُمْ فِيهِ لَسَّ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّهٗ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى اَنْ اَقِمْوْا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا نَدَعُوْهُمْ اِلَيْهِ اللّٰهُ يَجْتَبِيْ اِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيْ اِلَيْهِ مَن يَّيْتِبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرُوْا اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ اِلَّا اَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اَوْثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي سَكِّ مِتُهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا اَمَرْتُ وَلَا تَلْبَعْ اَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمَنْتُ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنْ كِتَابٍ وَاَمَرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ اللّٰهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا اَعْمَلُنَا وَلَكُمْ اَعْمَلُكُمْ لَاحِجَةً يَّبْنٰنَا وَيَبْنٰكُمْ اللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

خير منكم، فهذه خصومتهم. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾، أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، ﴿مُجْتَهِّمٌ دَاحِضَةٌ﴾، خصومتهم باطلة، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، في الآخرة.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل، سُمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البخس. ﴿وَمَا يَذُرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب. وقال الكسائي: إتيانها قريب.

قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيباً: متى تكون الساعة؟

[١٨] فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةً: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، ظناً منهم أنها غير آتية، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾، أي خائفون، ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾، أنها آتية لا ريب فيها، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ﴾، يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك، ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حفيٌّ بهم. قال عكرمة: بارٌّ بهم. قال السدي: رقيق. قال مقاتل: لطيف بالبرِّ والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم يدل عليه قوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾، وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر بن محمد الصادق. اللطف في الرزق من وجهين: أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، الحَرْث في اللغة: الكسب، يعني من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿زَرَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾، يريد بعمله الدنيا، ﴿تُوْتِهِ مِنْهَا﴾، قال قتادة: أي نؤته بقدر ما قسم الله له، كما قال: (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد). ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، لأنه لم يعمل للآخرة.

[٢١] قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾، يعني كفار مكة، يقول أنهم آلهة سئوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: (بل الساعة موعدهم) ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾،

﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ مِنْهُمْ﴾، دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

المشركين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾، المشركين يوم القيامة، ﴿مُشْفِقِينَ﴾، وجلين، ﴿مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾، جزاء كسبهم واقع بهم، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي﴾، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿يَبْتَئِرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم أهله، ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ إِجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي. وقال عكرمة: لا أسألکم علی ما أدعوکم إليه أجراً إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذابون. وقال الحسن: هو القربى إلى الله، يقول: إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل

الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم. وقوله: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكنني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَّزَدَ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾، أي من يكتسب طاعةً نزل له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾، للذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾، للقليل حتى يضاعفها.

[٢٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني كفار مكة، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، قال مجاهد: نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتداءً فقال: ﴿وَيَسَّخُ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذف من قوله:

(ويدع الإنسان) و(سندع الزبانية) أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، ﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٢٥] ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، قال سهل بن عبدالله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَسَّخُ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ الْقُدْرَ مَا يَشَاءُ اللَّهُ لِيُعْبَادَهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ؕ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَصْحَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٢﴾

قوم، فقال: قبله يقبل التوبة عن عباده، وبعده ويزيدهم من فضله.

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي ويحيب الذين آمنوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذا دعوهم، وقال عطاء عن ابن عباس: ويشب الذين آمنوا. ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال أبو صالح عنه: يُشَفِّعُهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ، ويزيدهم من فضله قال في إخوان إخوانهم. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾، قال خباب ابن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أننا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمتيناها فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِ﴾، ﴿لَبَغَوْا﴾، لطفخوا وعتوا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: بغيمهم

[٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، التي تجريها، ﴿فَيُظَلِّلْنَ﴾، يعني الجواري، ﴿رَوَاكِدَ﴾، ثوابت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾، على ظهر البحر لا تجري، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِنُ﴾، يهلكهن ويغرقهن، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، أي بما كسبت ركبانهما من الذنوب، ﴿وَيَعْتَفَ عَنْ كَثِيرٍ﴾، من ذنوبهم فلا يعاقب عليها.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: (يعلم) برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة: (ويتوب الله على من يشاء)، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: (ويعلم الصابرين)، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافاً وكرهية لتوالي الجزم. ﴿الَّذِينَ يُجِدُّونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ﴾، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾، من ريش الدنيا، ﴿فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ليس من زاد المعاد، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الثواب، ﴿حَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن.

[٣٧] ﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَبِيرَ الْأَيْمِ﴾ قد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء [آية: ٣١] ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾،

(١) ضعيف: أخرجه هناد في الزهد (رقم ٤٣١)، وعزه في الدر (٩/٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، وأخرج ابن جرير (٢١/٢٥) والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد نحوه عن قتادة مرسلًا، وأخرج نحوه ابن عساكر وابن مردويه عن البراء، وفي الصحيحين عن عائشة بمعناه وقد صححه الألباني في الجامع الصغير بلفظ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب وما يدفع الله عنه أكثر».

طلبهم منزلةً بعد منزلةً ومركبًا بعد مركبٍ وملبسًا بعد ملبس، ﴿وَلَكِن يَنْزِلُ﴾، أرزاقهم، ﴿بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ﴾، كما يشاء نظرًا منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾، المطر، ﴿مِن بَعْدِ مَا قَطَطُوا﴾، يعني من بعد ما يشس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قَطَطُوا، ثم أنزل الله المطر فذكَّروهم الله نعمته، ﴿وَيَبْسُرُ رَحْمَتَهُ﴾، يبسط مطره، كما قال: (وهو الذي يُرسل الرياح بَشْرًا بين يدي رحمته). ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾، لأهل طاعته، ﴿الْحَكِيمُ﴾، عند خلقه.

[٢٩] ﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، يعني يوم القيامة.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل (ما) في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خلدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»<sup>(١)</sup>.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ﴾، بفائتين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، هربًا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿وَمِن آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾، يعني السفن، واحدها جارية وهي السائرة، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَى﴾، أي الجبال، قال مجاهد: القصور واحدها علم، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

سُورَةُ الشُّورَى

٤٨٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٨﴾ إِنَّ شَأْنِ يُسْكِنَ الرِّيحَ  
فَيُظَلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ  
﴿٣٩﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤٠﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ  
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحْصٍ ﴿٤١﴾ فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَخُذُوهُ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرًا إِلَّا تُمُّ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا  
عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ  
الْبُغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَحِزْبًا مِّنْهُمْ سِنَةٌ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا  
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ  
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ  
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ  
﴿٤٩﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ  
لَّمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٥٠﴾

عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٥٠﴾، بعقوبة ومؤاخذه .

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾، يبدأون بالظلم، ﴿وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٤٣] ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾، فلم ينتصر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الصبر والتجاوز، ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، حقها وجزمها . قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها . قال الزجاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب، فالرغبة في الثواب أتم عزماً .

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، فماله من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾، يوم القيامة، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾، يسألون الرجعة في الدنيا .

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾، أي على النار،

قال السدي: يعني الزنا . وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحد . ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون .

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ .

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبُغْيُ﴾، الظلم والعدوان، ﴿هُم يَنْتَصِرُونَ﴾، ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا . قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية . قال إبراهيم: في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستدلوا فإذا قدروا عفوا . قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنتهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

[٤٠] ﴿وَحِزْبًا مِّنْهُمْ سِنَةٌ مِّثْلَهَا﴾، سمي الجزء سينة وإن لم يكن سينة لتشابههما في الصورة . قال مقاتل: يعني القصاص في الجراحات والدماء . قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزأك الله يقول أخزأك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي . وقال هشام بن حجير: الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فاشتمته . ثم ذكر العفو فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، [عمن] ظلمه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، بالعفو بينه وبين ظالمه، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية . ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين يبدأون بالظلم .

[٤١] ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه، ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾، يعني المنتصرين، ﴿مَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَرْتَهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا حَاشِعِينَ مِمَّنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ  
 مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ  
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ  
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَبْصُرُونَهم  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا  
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ  
 مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا  
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا  
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا وَإِنْ نُضِيبَهُمْ سَيِّئَةً  
 يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا  
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا  
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ  
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

أُنثَى.

[٥٠] ﴿أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾، يجمع له  
 بينهما فيولد له الذكور والإناث، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ  
 عَقِيمًا﴾، فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في  
 الأنبياء عليهم السلام (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا) يعني  
 لو طأ لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان، (وَيَهَبُ لِمَنْ  
 يَشَاءُ الذَّكَورَ) يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له  
 أنثى، (أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) يعني محمدا ﷺ  
 ولد له بنون وبنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾  
 يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا  
 على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة  
 الناس، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ  
 اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا  
 تكلم الله وتظن إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى

﴿حَاشِعِينَ﴾، خاضعين متواضعين، ﴿مِمَّنَ الذَّلِيلِ  
 يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، خفي النظر لما عليهم من  
 الذل يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلة في  
 أنفسهم. وقيل: (من) بمعنى الباء أي بطرف خفي  
 ضعيف من الذل. وقيل: إنما قال: (من طرف  
 خفي) لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل:  
 معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا  
 والنظر بالقلب خفي. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ  
 الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾،  
 قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم  
 بأن صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي  
 عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَبْصُرُونَهم مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، طريق إلى  
 الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة  
 في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾، أجبوا داعي الله يعني  
 محمدا ﷺ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾،  
 لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ  
 مَلْجَأٍ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾  
 من منكر يغير ما بكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾، عن الإجابة، ﴿فَمَا  
 أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ﴾، ما عليك، ﴿إِلَّا  
 الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، قال ابن  
 عباس: يعني الغنى والصحة. ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ نُضِيبَهُمْ  
 سَيِّئَةً﴾، فحط، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ  
 كَفُورٌ﴾، أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى  
 ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

[٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، له التصرف  
 فيهما بما يريد، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ  
 إِنثًا﴾، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن  
 المرأة تكبيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ  
 بالإناث، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾، فلا يكون له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا  
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ  
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٢﴾

## سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمَّةٍ لَدَيْنَا  
لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَنْفَضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا  
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي  
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ  
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ  
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

## (٤٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ

[٢، ١] ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قوله جعلناه أي صيرنا هذا الكتاب عربيًّا. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال جعل فلان زيدًا أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانًا) وقوله: (جعلوا القرآن عَضِينَ)، وقال (أجعلتم سقاية الحاج)، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

[٤] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿فِي أُمَّةٍ لَدَيْنَا﴾،

ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عز وجل فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾، يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، إما جبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، أي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، قرأ نافع: (أو يُرْسِلُ) برفع اللام على الابتداء، (فيوحي) ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفًا على محل الوحي لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل رسولًا ﴿إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، قال ابن عباس: نبوة. وقال الحسن: رحمة. وقال السدي ومقاتل: وحيا. وقال الكلبي: كتابًا. وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن دينار: يعني القرآن. ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾، قبل الوحي، ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، يعني شرائع الإيمان ومعامله، قال محمد ابن إسحاق بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله عز وجل: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾، قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿نَهْدِي بِهِ﴾ نرشد به، ﴿مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، أي لتدعو، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني الإسلام.

[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.



بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كاستهزاء قومك بك، يُعزِّي نبيه ﷺ.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، أي أقوى من قومك يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.

[٩] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمُ﴾، أي سألت قومك، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم، إلى ههنا تم الأخبار عنهم ثم ابتداء دالاً على نفسه بصنعه فقال:

[١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، إلى مقاصدكم في أسفاركم.

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكتهم. ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾، أحيينا، ﴿بِهِ بَلَدَةٌ مَيِّتًا كَذَلِكَ﴾، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، ﴿تُخْرِجُونَ﴾، من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي الأصناف كلها. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾، في البر والبحر.

[١٣] ﴿لَتَسْوَأًا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾، ذكر الكناية لأنه ردها إلى (ما)، ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾، بتسخير المراكب في البر والبحر، ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾، ذلل لنا هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، مطيقين، وقيل: ضابطين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، لمنصرفون في المعاد.

[١٥] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾، أي نصيباً وبعضاً وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشيء والقول كما

في اللوح المحفوظ، قال قتادة: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله. قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ)، ﴿لَدَيْنَا﴾، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ). ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتهم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلِّي رفيعٌ شريف محكم من الباطل.

[٥] ﴿أَفَنْضَبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفتترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا تفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفِعَ حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائده ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله. وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين. قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طيًّا فلا تُدْعُونَ ولا توعظون. وقال الكلبي: أفتترككم سُدَى لا نأمركم ولا ننهاكم. وقال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم. ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقولهم: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين.

[٧، ٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾، أي وما كان يأتيهم، ﴿مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَأَوْ

تقول: جعلت زيِّداً أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾، يعني الكافر، ﴿لَكَفُورٌ﴾، جحود لنعم الله، ﴿مُؤْمِنٌ﴾، ظاهر الكفران.

[١٦] ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾، هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات، ﴿وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾، كقوله: (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً).

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾، بما جعل الله شبيهاً وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بُشِّرَ أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى)، ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، من الغيظ والحزن.

[١٨] ﴿أَوْ مَن يُنْسَوُاُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (ينشأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُرَبَّى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي يئب ويكبر، ﴿فِي الْحَلِيَّةِ﴾، في الزينة يعني النساء، ﴿وَهُوَ فِي الْخُصَاةِ عِزٌّ مُّبِينٌ﴾، في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة: في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، (أو من)، في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازة: أو من ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض رداً على قوله: (مما يخلق)، وقوله: (بما ضرب).

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو (عباد الرحمن) بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: (بل عباد مكرمون)، وقرأ الآخرون: (عند الرحمن) بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عز وجل: (إن الذين عند ربك) الآية، ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله،

٤٩٠

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ۚ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ ﴿١٦﴾ لَتَسْتَوِينَ أَعْلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنسٰنِ لَكٰفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٢١﴾ أَوْ مَن يُنْسَوُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخُصَاةِ عِزٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْتَأْذِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مٰلَهُمْ بِذٰلِكَ مِن عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ أَنبِئْتُهُم بِكِتٰبِنَا مِن قَبْلِهِ فهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلٰى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾

ولينوا الهمزة الثانية بعد الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا، وهذا كقوله: (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون)، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿وَيَسْتَأْذِنُونَ﴾، عنها، قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنهم بنات الله؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا»، فقال الله تعالى: (ستكتب شهادتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ)، عنها في الآخرة.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منها بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿مٰلَهُمْ بِذٰلِكَ مِن عِلْمٍ﴾، فيما يقولون ﴿إِن هُمْ إِلَّا

يَخْرُصُونَ ﴿٢١﴾ ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا بعبادتها، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

[٢١] ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾، على دين وملة، قال مجاهد: على إمام. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آباءهم الأولين مهتدين.

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، أغنياؤها ورؤساؤها، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾، بهم.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: (قَالَ) على الخبر، وقرأ الآخرون (قُلْ) على الأمر ﴿أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ﴾، قرأ أبو جعفر: (جئناكم) على الجمع، والآخرون (جئتكم) على الواحد، ﴿بَاهْدَىٰ﴾، بدين أصوب، ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، قال الزجاج: قال لهم: أتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوه، و﴿قَالُوا إِنَّا يَمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَفَرُونَ﴾.

[٢٥] ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾.

[٢٦، ٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا يَعْبُدُونَ﴾، أي بريء، ولا يئتي البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت. ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ إلا الذي فطرني فإنه سيهدين، يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾، يعني هذه الكلمة، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه أي في ذريته. قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرظي: يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حُكْمُ بَاهْدَىٰ وَمِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيهِدِينِ ﴿٢٥﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَهُنَا وَهَهُنَا وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٩﴾ أَهَرُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَآءً وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَتَّىٰ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ لَأُمَّةٍ وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣١﴾

عز وجل (ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب)، وقال ابن زيد: يعني قوله: (أسلمت لرب العالمين)، وقرأ: (هو سماكم المسلمين)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم. وقال السدي: لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَهُنَا وَهَهُنَا وَءَابَاءَهُمْ﴾، يعني المشركين في الدنيا ولم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، يبين لهم الأحكام وهو محمد ﷺ، وكان من حق هذا الإناعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا، وعصوا.

[٣٠، ٣١] وهو قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، يعنون

الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿أَهْرَ يَسْمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، يعني النبوة، قال مقاتل: يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا؟ ثم قال: ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فجعلنا هذا غنيًا وهذا فقيرًا وهذا ملكًا وهذا مملوكًا فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، بالغنى والمال، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، ليستخدم بعضهم بعضًا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتم قوائم أمر العالم. وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضًا بالعبودية والملك. ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾، يعني الجنة، ﴿خَيْرٌ﴾، للمؤمنين، ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، مما يجمع الكفار من الأموال.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي لولا أن يصيروا كلهم كفارًا فيجتمعون على الكفر، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾، مصاعد ودرجًا من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَطَّهَّرُونَ﴾، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

[٣٤] ﴿وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونَا﴾، من فضة، ﴿وَسُرْرًا﴾ أي وجعلنا لهم سررًا من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَنْكَبُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزَخْرَفًا﴾، أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفًا وهو الذهب، نظيره: (أو يكون لك بيت من زخرف)، ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾،

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾، يعني الشياطين، ﴿لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى.

[٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: (جاءنا) على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءانا، على التثنية يعنون الكافر وقريته قد جُعلا في سلسلة واحدة. ﴿قَالَ﴾، الكافر لقريته الشيطان، ﴿بَيَّاتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران،

ولأبي بكر وعمر: العمران. وقيل: أراد بالمشركين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، ﴿فَيْتَسَّ الْقَرْيُنَ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زُوجَ بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

[٣٩] ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمًا﴾، في الآخرة، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾، بأن نमितك قبل أن نعذبهم، ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾، بالقتل بعدك.

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾، في حياتك، ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾، من العذاب، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.

[٤٣] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنِّي﴾، يعني القرآن، ﴿لَذِكْرٌ لَكَ﴾، أي لشرف لك، ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾، من قريش، نظيره: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم)، أي شرفكم، ﴿وَسَوْفَ نُسْأَلُونَ﴾، عن حقه وأداء شكره. قال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٤٩٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَلْيُؤْيُوهُمْ أَبُوأَبَاوَسْرًا عَلَيْهَا يُتَخَوَّنُ ﴿٣٩﴾ وَزُخْرًا وَاِذَا كَانَ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نَقِضْ لَهُ شَيْطٰنُنَا فِهٖو لَهُ فَرِيْنٌ ﴿٤١﴾ وَاِتْمَمْ لِيَصُدُّوْهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ وَيَحْسَبُوْنَ اَنْهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٤٢﴾ حَتّٰى اِذَا جَاءَ نَا قَالِ يٰلَيْتَ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرْيٰنُ ﴿٤٣﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ اِذْ ظَلَمْتُمْ اَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُوْنَ ﴿٤٤﴾ اَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ اَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٤٥﴾ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَاِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُوْنَ ﴿٤٦﴾ اَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَاِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُوْنَ ﴿٤٧﴾ فَاَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي اُوْحِيَ اِلَيْكَ اِنَّكَ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٤٨﴾ وَاِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُوْنَ ﴿٤٩﴾ وَسَلِّ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا اَجْعَلْنَا مِنْ دُوْنِ الرَّحْمٰنِ اِلٰهَةً يُعْبَدُوْنَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيٰتِنَا اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلٰٓئِكِهٖ فَقَالَ اِنِّيْ رَسُوْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٥١﴾ فَاَمَّا جَاءَهُمْ بِآيٰتِنَا اِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُوْنَ ﴿٥٢﴾

نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبنى هاشم. وقيل: ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾، اختلفوا في هؤلاء المسؤولين، قال عطاء عن ابن عباس: لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال يا محمد تقدم فصلّ بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سلّ يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا، الآية، قال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت»، وهذا قول الزهري وسعيد ابن جبير وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين

ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل. وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

[٤٦، ٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾، استهزاء.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾، قريبتها وصاحبها التي كانت قبلها، ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾، بالسنين والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى، وعذاباً لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾، لموسى لما عاينوا العذاب، ﴿يَتَأْتِيهِ السَّحَابُ﴾، يا أيها العالم الكامل الحاذق، إنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفةً ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجاج: خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمننا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾، مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

[٥٠] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ لِّي مِنَ الْبَحْرِ ۚ فَبُذِيَ عَنْهُمْ﴾، من تحت قصوري، وقال قتادة: تجري بين

سورة الزخرف

٤٩٣

سورة الزخرف

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤٨] ﴿وَقَالُوا يَا تَأْتِيهِ السَّحَابُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [٥٠] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ لِّي مِنَ الْبَحْرِ ۚ فَبُذِيَ عَنْهُمْ﴾ [٥١] ﴿أَمَّا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [٥٢] ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْجَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرَيْنِ﴾ [٥٣] ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [٥٤] ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥٥] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [٥٦] ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [٥٧] ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَضْرُوبُهُ لَكَ الْاَجْدَالُ بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [٥٨] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عِبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٥٩] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾ [٦٠]

يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمرى. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، عظمتي وشدة ملكي.

[٥٢] ﴿أَمَّا أَنَا خَيْرٌ﴾، بل أنا خير، (أم) بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله (أم) وفيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتداء فقال أنا خير، ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ﴾، إن كان صادقاً، ﴿آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾، قرأ حفص ويعقوب (أسورة) جمع سوار، وقرأ الآخرون (أسورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سؤدوا رجلاً سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا

مَنَّا مُحَمَّدٌ إِلَّا أَنْ نَعْبُدَهُ وَنَتَّخِذَهُ إِلَهًا كَمَا عَبَدتِ  
النصارى عيسى.

[٥٨] ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهُنَا حَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾، قال قتادة:  
أم هو يعنون محمداً فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا.  
وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى، قالوا:  
يزعم محمد أن كل ما عُبد من دون الله في النار  
فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير  
والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿مَا صَرَّبُوهُ﴾،  
يعني هذا المثل، ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾، خصومة بالباطل  
وقد علموا أن المراد من قوله: (وما تعبدون من  
دون الله حصب جهنم)، هؤلاء الأصنام. ﴿بَلْ هُمْ  
قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

[٥٩] ثم ذكر عيسى فقال: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو  
يعني عيسى عليه السلام، ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾،  
بالنبوة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ آية وعبرة، ﴿لِبَنِي  
إِسْرَائِيلَ﴾، يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما  
يشاء حيث خلقه من غير أب.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾، أي ولو  
نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، ﴿فِي  
الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾، يكونون خلفاء منكم يعمرون  
الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف  
بعضهم بعضاً.

[٦١] ﴿وَأَنبَأَهُ﴾، يعني عيسى عليه السلام ﴿لَعَلَّمُ  
لِلسَّاعَةِ﴾، يعني نزوله من أسرار الساعة يُعلم به  
قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقاتدة: (إنه  
لَعَلَّمُ للسَّاعَةِ) بفتح اللام والعين أي أماره وعلامة،  
وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وإن القرآن لعلم  
للسَّاعَةِ يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها  
وأحوالها، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، فلا تشكن فيها، قال  
ابن عباس: لا تكذبوا بها، ﴿وَأَتَّبِعُونَ﴾، على  
التوحيد، ﴿هَذَا﴾، الذي أنا عليه، ﴿صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾، لا يصرفنكم،

ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدياً  
تجب علينا طاعته. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ  
مُقَرَّبِينَ﴾، متتابعين يتابع بعضهم بعضاً يشهدون له  
بصدقه ويعينونه على أمره.

[٥٤] قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾، أي  
استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالاً.  
وقيل: حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه  
عن رأيه إذا حملة على الجهل وأزاله عن الصواب،  
﴿فَأَطَاعُوهُ﴾، على تكذيب موسى، ﴿إِنَّهُمْ كَاذِبٌ قَوْمًا  
فَاسِقِينَ﴾.

[٥٦، ٥٥] ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾، أغضبونا،  
﴿أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ  
سَلَفًا﴾ هم الماضون المتقدمون من الأمم، يقال:  
سلف يسلف إذا تقدم، والسلف من تقدم من الآباء  
فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون، ﴿وَمَثَلًا  
لِلْآخِرِينَ﴾، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل:  
سلفاً لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن يجيء  
بعدهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾، قال ابن  
عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة  
عبدالله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى  
عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: (إنكم وما  
تعبدون من دون الله حصب جهنم)، وقد ذكرناه في  
سورة الأنبياء عليهم السلام. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ  
يَصُدُّونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي  
(يصدون) بضم الصاد، أي يعرضون، وقرأ  
الآخرون بكسر الصاد، واختلفوا في معناه، قال  
الكسائي: هما لغتان مثل يعرثون ويعرثون، وشد  
عليه يشد ويشد، ونم بالحديث ينم وينم، وقال ابن  
عباس: معناه يصدون. وقال سعيد بن المسيب:  
يصبون. وقال الضحاك: يعجون. وقال قتادة:  
يجزعون. وقال القرظي: يضرجون. لما ضرب  
ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد

﴿الشَّيْطَانُ﴾، عن دين الله، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. [٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾، بالنسبة، ﴿وَلَأَيُّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿فَأَنْتَوُا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾.

[٦٤-٦٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أليمٍ﴾. هل ينظرون، هل يحالون، لا محالة فكانهم ينتظرونها، ﴿أَنَّ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءُ﴾، على المعصية في الدنيا، ﴿يَوْمِئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، إلا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل.

[٦٨، ٦٩] ﴿عَبِيدٌ﴾، أي فيقال لهم يا عبادي، ﴿لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. ﴿لَا يَأْتِيَنَا بِهِمْ جَبَلٌ أَتَيْنَهُمُ اللَّهُ وَالْعَبَلُ جَبَلٌ مَخْرُوبٌ﴾. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، فيأس الناس منها غير المسلمين.

[٧٠] فيقال لهم: ﴿أَنْتُمْ لِحِجَّةِ اللَّهِ وَأَرْسَلْنَا نُحُورَكُمْ﴾، تسرون وتنعمون.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾، جمع صحيفة وهي القصعة الواسعة، ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، ﴿وَفِيهَا﴾، أي في الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢، ٧٣] ﴿وَتِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٧٤-٧٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾. وما

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ٤٩٤ ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٦) ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٦٧) ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُؤَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَنْتَوُا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ (٦٨) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٩) ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أليمٍ﴾ (٧٠) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٧١) ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمِئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٢) ﴿يَعْبَادِ لِأَخَوْفٍ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٧٣) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٤) ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٥) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧٦) ﴿وَتِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٧) ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٨)

تَلَذُّهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ظِلْمٌ لِمِثْلِهِمْ وَنَادُوا يَمْسِكُوا﴾، يدعون خازن النار، ﴿يَمْسِكْ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ لَمَكْرُوبُونَ﴾، مقيمون في العذاب.

[٧٨] ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ﴾، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَاجِقٌ كُرْهُونَ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَمْرًا﴾، أحكموا ﴿أَمْرًا﴾، في المكر برسول الله ﷺ، ﴿وَأَمْ مَبْرُوءُونَ﴾، محكمون أمراً في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادوا شراً كدتهم مثله.

[٨٠، ٨١] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿كَلَىٰ﴾، نسمع ذلك ونعلم، ﴿وَأَرْسَلْنَا أَيْضًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِعَنِ الْحِفْظَةِ﴾، لديهم يَكْتُمُونَ



قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد. قال ابن عباس: (إن كان) أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل (إن) بمعنى الجحد. قال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: العابدين بمعنى الآنفين، يعني أول الجاحدين والمنكرين لما قاتم. ويقال: معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد - إذا أنف أو غضب - عبداً. وقال قوم: قل ما يقال: عبَدَ فهو عابِد، إنما يقال: عبَدَ فهو عبْدٌ. [٨٢] ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون من الكذب.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا﴾، في باطلهم، ﴿وَيَلْعَابًا﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة.

[٨٤] ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾، قال قتادة: يُعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم.

[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي (يرجعون) بالياء، والآخرين بالتاء.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون (من) في محل الرفع، وقيل: (من) في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد الحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ

٤٩٥

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ ﴿٧٦﴾ لا يفتر عنهم وهم فيه مُبْسُوتُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَقَادُوا بِمَلِكِكَ لَيْقُضَ عَلَيْهِ تَارِكٌ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَتْرَمُوا أَمْ أَنَا مَرْمُومٌ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْعَابًا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنْ هَذَا قَوْمٌ لَا يَتُوبُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يَعْلَمُونَ﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم. [٨٧] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، يصرفون عن عبادته.

[٨٨] ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾، يعني قول محمد ﷺ، شكياً إلى ربه يا رب، ﴿إِنْ هَذَا قَوْمٌ لَا يَتُوبُونَ﴾، قرأ عاصم وحمزة (وقيله) بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

[٨٩] ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾. أعرض عنهم، ﴿وَقُلْ سَلِّمْ﴾، معناه المتاركة، كقوله تعالى: (سلام) عليكم لا نتغي الجاهلين، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وقال مقاتل: نسختها آية السيف.

## سُورَةُ الدُّخَانِ (٤٤)

سُورَةُ الدُّخَانِ

٤٩٦

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ  
 مُبْرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝  
 أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
 وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ  
 ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى  
 النَّاسَ ۝ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ  
 إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنْ هُمْ الذَّكْرَى ۝ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝  
 ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا  
 أَنْ كَرِهَ آدَمُ ۝ يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ۝ إِنَّا مُنْقِمُونَ  
 ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ  
 كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدْوَأَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ ۝ إِنِّي لَكَرِهُمُ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝

[٩، ٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ  
 آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾، من هذا  
 القرآن، ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يهزؤون به لاهون عنه .

[١١، ١٠] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝  
 يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، تقديره: هو عذاب  
 إلهي ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده،  
 أي يقولون هذا عذاب أليم .

[١٣، ١٢] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝  
 أَنْ هُمْ الذَّكْرَى﴾، من أين لهم التذکر والاتعاظ؟  
 يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ  
 مُبِينٌ﴾، ظاهر الصدق يعني محمدًا ﷺ .

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، أعرضوا عنه، ﴿وَقَالُوا  
 مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾، أي يعلمه بشر، ﴿مَجْنُونٌ﴾ .

[١٥] قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾، أي  
 عذاب الجوع ﴿قَلِيلًا﴾، أي زمانًا يسيرًا، قال

[٣-١] ﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي  
 لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر  
 أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى  
 السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ  
 نجومًا في عشرين سنة . وقال آخرون هي ليلة  
 النصف من شعبان ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ .

[٤] ﴿فِيهَا﴾، أي في الليلة المباركة،  
 ﴿يُفْرَقُ﴾، أي يفصل، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، محكم،  
 وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة  
 القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر  
 والأرزاق والأجال حتى الحُجَّاج، يقال: يحج  
 فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة:  
 يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل  
 وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة، وقال  
 عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر  
 السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزداد فيهم  
 أحد ولا ينقص منهم أحد .

[٥] ﴿أَمْرًا﴾، أي أنزلنا أمرًا، ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾، قال  
 الفراء: نُصِبَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ  
 فَرَقًا وَأَمْرًا، أي نأمر أمرًا ببيان ذلك . ﴿إِنَّا كُنَّا  
 مُرْسِلِينَ﴾، محمدًا ﷺ ومن قبله من الأنبياء .

[٧، ٦] ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، قال ابن عباس رافة  
 مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من  
 الرسل . وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة  
 للرحمة، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، قرأ أهل الكوفة: (رب) جرًا  
 ردًا على قوله: (من ربك)، ورفع الآخرون ردًا  
 على قوله: (هو السميع العليم)، وقيل: على  
 الابتداء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، أن الله رب السموات  
 والأرض .

مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، إلى كفركم. [١٦] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، وهو يوم بدر، ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، بلونا، ﴿قِبَالَهُمْ﴾، قبل هؤلاء، ﴿فَوَمَّ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على

الله وهو موسى بن عمران. [١٨] ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾، يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على

الوحي. [١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾، أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته، ﴿إِنِّي عَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يبرهان بين علي صدق قلبي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل.

[٢٠] فقال: ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون﴾، أن تقتلوا، وقال ابن عباس: تشتمون وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

[٢١] ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّون﴾، فاتركوني لا معي ولا علي. وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذائي باليد واللسان، فلم يؤمنوا. [٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري.

[٢٣] فقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾، أي ببني

إسرائيل، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾، يتبعكم فرعون وقومه.

[٢٤] ﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ﴾، إذا قطعته أنت وأصحابك، ﴿رَهْوًا﴾، ساكنا على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع أتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه أترك البحر راھياً أي ساكناً، فسمي بالمصدر، أي ذَا رَهْوٍ. وقال كعب: أتركه طريقاً. قال قتادة: طريقاً يابساً. قال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه

ليلتثم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقبل له: أترك البحر رهواً كما هو، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾، أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

[٢٥، ٢٦] فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾، يعني بعد الغرق، ﴿مِنَ جَنَّتِ وَعْيُونِ ۝ وَرُزُوعٍ وَمَقَابِرِ كَرِيمٍ﴾، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَةَ﴾، وامتعة وعيش لين، ﴿كَأَنُورًا فِيهَا فَكَّاهِينَ﴾، ناعمين وفاكهين أشربين بطرين. [٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾، قال الكلبي: كذلك أفعال بمن عصاني، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾، يعني بني إسرائيل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه. ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، لم يُنظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا غيرها.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نَحْيَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

[٣١، ٣٢] ﴿مِنَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ﴾، يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بهم ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾، على عالمي زمانهم.

[٣٣] ﴿وَأَعْيَنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾، قال قتادة: نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، والنعمة التي أنعمها عليهم. قال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ (ويبلوكم بالشر والخير فتنة).

[٣٤، ٣٥] ﴿إِنَّ هَتُولَاءَ﴾، يعني مشركي مكة ﴿يَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾، أي لا موته إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ، بمبعوثين بعد موتنا .

[٣٧، ٣٦] ﴿فَأَنزَلْنَا بِآيَاتِنَا﴾ ، الذين ماتوا ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أنا نبعث أحياء بعد الموت ، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿أَهْمُ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ﴾ ، أي ليسوا خيراً منهم ، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع . قال قتادة: هو تبع الحميري ، وكان سارَ بالجيوش حتى حيرَ الحيرة ، وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن ، سُمي تبعاً لكثرة أتباعه ، وكل واحد منهم يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه ، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير ، فكذبوه ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْتَهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ .

[٣٩، ٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية . ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ، يوم يفصل الرحمن بين العباد ، ﴿بِمَقْتَدَرِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرين .

[٤١] ﴿يَوْمٌ لَا يُعْنِي مَوْتٌ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا﴾ ، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً ، ﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ ، لا يُمنعون من عذاب الله .

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ ، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ ، في انتقامه من أعدائه ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ ، بالمؤمنين .

[٤٤، ٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّزْقِ ۝ طَعَامُ الْأَشْيَرِ﴾ ، أي ذي الإثم ، وهو أبو جهل .

[٤٦، ٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ ، وهو دردي الزيت الأسود ، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ، قرأ ابن كثير وحفص (يغلي) بالياء ، جعلوا الفعل للمهل ، وقرأ الآخرون بالياء لتأنيث الشجرة ، ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ أي بطون الكفار ، ﴿كَغَلِي الْحَمِيرِ﴾ ، كالماء الحار إذا اشتد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩٧

سُورَةُ الدُّخَانِ

وَأَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ إِلَهَ إِلَّا هُوَ اتَّكِرُ سُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ وَإِنِّي عَدْتُ يَرْبِي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٢﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لِي ﴿١٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَنُؤَلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِعْ بَعَادِي لِيلاً إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿١٥﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ ﴿١٦﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِذِ هُمْ كَارِهُونَ ﴿١٧﴾ وَتَرَكُوا مِنْ جَنَّتِ وَعَيْوُنِ ﴿١٨﴾ وَرَزْوَجٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٠﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢١﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٣﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَا نَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلِيٍّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَبْنُهُمْ مِنَ الْأَنْدِ مَا فِيهِ بَلَكَاؤٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُنُؤَلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّا هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَنزَلْنَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ ﴿٣١﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

غليانه .

[٤٧] قوله تعالى: ﴿حُدُوهُ﴾ ، أي يقال للزبانية

خذوه يعني الأثيم ، ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ ، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء ، وقرأ الباقون بضمها ، وهما لغتان ، أي ادفعوه وسوقوه ، يقال: عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب ، ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَجِيرِ﴾ ، وسطه .

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ ، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ، ثم يصب فيه ماءً حميماً قد انتهى حره .

[٤٩] ثم يقال له: ﴿ذُقْ﴾ ، هذا العذاب ، ﴿إِنَّكَ﴾ ، قرأ الكسائي (أنك) بفتح الألف ، أي لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم ، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء ، ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ،

عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول:  
أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فتقول له هذا اللفظ  
خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ.

[٥٠] ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾، تشكّون فيه  
ولا تؤمنون به. ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، قرأ أهل  
المدينة والشام: (في مقام) بضم الميم على  
المصدر، أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم،  
أي في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي من  
الموت ومن الخروج منه.

[٥٢-٥٤] ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۖ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ  
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۖ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ﴾، أي كما  
أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس  
كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم، ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾، أي  
قرناهم بهن ليس من عقد الترويح لأنه لا يقال:  
زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً  
لهن كما يزوج النعل بالنعل، أي جعلناهم اثنين  
اثنين، والهور هن النساء النقيات البيضاء. قال  
مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء  
لونهن. وقال أبو عبيدة: الحور هن شديديات بياض  
الأعين الشديديات سوادها واحدها أحور، والمرأة  
حوراء، والعين جمع العيناء وهي عظمة العينين.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْحَةٍ﴾، اشتوها،  
﴿ءَامِنِينَ﴾، من نفاذها ومن مضرتها. وقال قتادة:  
آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
الْأُولَىٰ﴾، أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في  
الدنيا، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في  
الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون  
يصيرون بلطف إلى أسباب الجنة، يلقون الروح  
والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم  
في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم [بأسبابها]  
ومشاهدتهم إياها. ﴿وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

٤٩٨

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ  
عَنْ مَوْلَىٰ سَيِّئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ  
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾  
طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَعَلَى  
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ  
صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ  
﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ  
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾  
كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ  
فَنَكْحَةٍ أَمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا الْمَوْتُ  
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا  
مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ  
لِعَلَّامِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

[٥٧] ﴿فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ﴾، أي فعل ذلك بهم  
فضلاً منه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾، سهلنا القرآن كناية عن  
غير مذكور، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، على لسانك، ﴿لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظون.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ﴾، فانتظر النصر من ربك.  
وقيل: فانتظر لهم العذاب، ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾،  
منتظرون قهرك بزعمهم.

## (٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

[٤-١] ﴿حَمْدٌ ۖ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ ۖ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ۖ وَفِي  
خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي  
ويعقوب (آيات) (وتصريف الرياح آيات) بكسر

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

٤٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ﴿١﴾ نَزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِلِهِ آيَاتٌ  
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ  
مِنْ رِزْقٍ فَلْيَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ  
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَقْصَىٰ أَمْرٍ ﴿٧﴾ سَمِعَ آيَاتِ  
اللَّهِ تَنْلِيٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ  
﴿٨﴾ وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُورًا أَوْلَيْتِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ  
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا  
وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿١٠﴾ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ هَذَا  
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾  
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ الْفَلَاحُ فِيهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

فيه بأمور. ولتبتغوا من فضله. ولعلكم تشكرون ٥ وسخر لكم ما  
في السموات وما في الأرض، ومعنى تسخيرها أنه  
خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إنا نتنفع  
به، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، فلا تجعلوا لله أندادًا، قال ابن  
عباس: جميعًا منه كل ذلك تفضل منه وإحسان. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ  
اللَّهِ﴾، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته،  
قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه، وذلك أن رجلًا من بني غفار شتمه  
بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به،  
فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه. وقال  
القرظي والسدي: نزل في أناس من أصحاب  
رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية

التاء فيهما ردًا على قوله: (آيات) وهو في موضع  
النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف  
على أن العرب تقول إن لي عليك مالًا وعلى أخيك  
مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾،  
أنه لا إله غيره.

﴿٥﴾ ﴿رِزْقٍ﴾ يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد،  
﴿تَنْلِيٰ عَلَيْهِ﴾ أي يصب عليه، ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي يصر  
على كبره، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي كأن لم يسمعها، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾  
أي بئس العذاب.

﴿٦﴾ ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَقْصَىٰ أَمْرٍ﴾ أي بلغ لكل أقصى  
يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها  
عليك بالحق، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾، بعد كتاب  
الله، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾،  
والكسائي وأبو بكر ويعقوب: (تؤمنون) بالتاء على  
معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون، وقرأ  
الآخرون بالياء.

﴿٧﴾ ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَقْصَىٰ أَمْرٍ﴾، كذاب صاحب إثم  
يعني النضر بن الحارث.

﴿٨، ٩﴾ ﴿سَمِعَ آيَاتِ اللَّهِ تَنْلِيٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾  
﴿كَأَن فِي أذنيه وقرآ﴾ ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾  
﴿وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُورًا أَوْلَيْتِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾  
﴿وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال مقاتل: من القرآن ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وذكر بلفظ  
الجمع ردًا إلى كل في قوله: (لكل أفاك أئيم).

﴿١٠﴾ ﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾، أمامهم، ﴿جَهَنَّمُ﴾، يعني  
أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة  
النار يدخلونها، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾، من  
الأموال، ﴿شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾، ولا  
ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿هَذَا﴾، يعني هذا القرآن، ﴿هُدًى﴾،  
بيان من الضلالة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ  
مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ﴾.

﴿١٢، ١٣﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ الْفَلَاحُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنَوْنَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا، ﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (سواء) بالنصب أي نجعلهم سواء، يعني أحسبوا أن حياة الكافرين ﴿وَمَمَاتِهِمْ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلاً، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بس ما يقضون.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[٢٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله

القتال. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لنجزى﴾ بالنون، قرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر (ليجزى) بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن. قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوماً، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٥، ١٦] ﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ۗ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، الحلالات يعني المن والسلوى، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾، يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من أمره، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾، يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾، سنة وطريقة بعد موسى، ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾، من الدين، ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

[١٩] فقال جل ذكره: ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنَوْنَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن، ﴿بَصَائِرُ﴾، معالم، ﴿لِلنَّاسِ﴾، في الحدود والأحكام يبصرون بها، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ﴾، بل حسب، ﴿الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠١

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

أَفْرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ  
 وَقَلْبِهِ. وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا  
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا  
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا نُنزِلُ  
 عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا مُحْجَجَتُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا آيَاتِنَا إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ  
 الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ  
 ﴿٢٨﴾ وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ  
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنْقِطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ  
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣١﴾ وَأَمَّا  
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا  
 تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ  
 مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَنُ إِلَّا أَنْظَانَا وَمَنْ يُمَسِّقَتَيْنِ ﴿٣٣﴾

ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال الآخرون: معناه اتخذ محبوبه هواه فيعبد ما تهواه نفسه. قال سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر. قال الشعبي: إنما سُمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في عمله أنه ضال قبل أن يخلقه، ﴿وَخَتَمَ﴾، طبع، ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلم يسمع الهدى، ﴿وَقَلْبِهِ﴾، فلم يعقل الهدى، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾، قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين، والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، أي فمن يهديه بعد أن أضله الله، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٤] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء، وقال الزجاج: يعني نموت ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أي وما يقيننا إلا مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار. ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾، أي الذي قالوه، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾، أي لم يقولوه عن علم، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

[٢٥-٢٧] ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا مُحْجَجَتُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا آيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي ليوم القيامة، ﴿ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي ليوم القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يحسر المبطلون، يعني الكافرين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

[٢٨] ﴿وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾، بركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله، قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخرب الناس فيها جثاة على ركبهم

حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾، الذي فيه أعمالها، ويقال لهم، ﴿الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، يعني ديوان الحفظه. ﴿يُنْقِطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي تأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبتها وإثباتها عليكم. وقيل تستنسخ أي تأخذ نسخه، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب، وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون أعمال من بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب. وقال الضحاك: تستنسخ أي يثبت. وقال



السدي: تكتب. وقال الحسن: تحفظ.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، الظفر الظاهر.

[٣١] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقال لهم، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُنُّ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، متكبرين كافرين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة: (والساعة) نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾، أي ما نعلم ذلك إلا حدساً وتوهماً. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَقْبِينَ﴾، أنها كائنة.

[٣٣] ﴿وَبَدَأْتُمْ﴾ في الآخرة، ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾، في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٣٤، ٣٥] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ فِي النَّارِ﴾، ﴿كَأَنِّي سَأَلْتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿وَمَا وَكُتُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ﴾، ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وعزواً ﴿الْحَيوةَ الدُّنْيَا﴾، حتى قلت: لا بعث ولا حساب، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبة.

[٣٦، ٣٧] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وله الكبرياء، العظمة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

## (٤٦) سُورَةُ الْأَحْقَافِ

[٣-١] ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَقُّ﴾، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٥٠٢

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٧﴾  
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَأَنِّي سَأَلْتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَكُتُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَعَزَاً تَكْفُرُوا  
 الْحَيوةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٤٠﴾  
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ وَ لَهُ  
 الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

### سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٍ قَوْمٍ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾

تنتهي إليه السموات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا﴾، خوفوا به في القرآن من البعث الحساب، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿أَوْ أَثَرٍ قَوْمٍ عَلِيمٍ﴾، قال الكلبي: أي بقية من علم يؤثر على الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى

سورة الأحقاف

٥٠٣

سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ، ابْنُنَا بَيْنَتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرْتَبَهُ قُلْ إِنْ أَفَرْتَبَهُ فَلَا تَمَلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَزَّلْنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْبُحُورِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

الآية، وأنزل: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وقالت جماعة: قوله (وما أدري ما يفعل بي وبكم) في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سبخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)، أترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي، وقال بعضهم: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت

شيء يسألونها، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، يعني أبداً ما دامت الدنيا، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، جاحدين بيانه قوله: (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون).

[٧] ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ، ابْنُنَا بَيْنَتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يسمون القرآن سحراً.

[٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرْتَبَهُ﴾، محمد من قبل نفسه، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إِنْ أَفَرْتَبَهُ فَلَا تَمَلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبتني على افترائي، فكيف أفترى على الله من أجلكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾، الله أعلم، ﴿بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ﴾، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فأنزل الله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات)

يدعوننا إليه محمد خيراً ما سببنا إليه فلان وفلان .  
وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا  
للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به  
محمد خيراً ما سببنا إليه رعاء البهم: قال الله  
تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، يعني بالقرآن كما  
اهتدى به أهل الإيمان، ﴿فَسَبِّحُوا هَذَا إِفْكُ  
قَدِيرٍ﴾، كما قالوا أساطير الأولين .

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي ومن قبل القرآن،  
﴿كُتِبَ مُوسَى﴾، يعني التوراة، ﴿إِمَامًا﴾، يقتدى  
به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، من الله لمن آمن به ﴿وَهَذَا كِتَابٌ  
مُصَدِّقٌ﴾، أي القرآن مصدق للكتب التي قبله،  
﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، وقيل: بلسان  
عربي، ﴿لِنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني مشركي  
مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: ﴿لِنُذِرَ﴾  
بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون  
بالياء يعني الكتاب، ﴿وَنُشِرَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾،  
﴿وَنُشِرَ﴾ في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق  
وبشري .

[١٣، ١٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا  
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ  
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، يريد شدة  
الطلق ﴿وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ﴾، فطامه ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾،  
يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة  
الرضاع أربعة وعشرون شهراً، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ  
أَشُدَّهُ﴾، نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما  
بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله:  
﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وقال السدي والضحاك: نزلت  
في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة. وقال  
الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي  
قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر  
ابن عمرو. قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في

الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من  
قبلي، وأتم أيها المصدّقون لا أدري تخرجون معي  
أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون،  
أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أي  
شيء يفعل بكم، كما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر  
الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان، فقال:  
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله)، وقال في أمته: (وما كان الله  
ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم  
يستغفرون)، فأخبر الله ما يصنع به وبأمته ﴿إِنْ أَتَيْتُ  
إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي ما أتبع إلا القرآن، ولا أبتدع  
من عندي شيئاً، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، معناه: أخبروني ماذا  
تقولون، ﴿إِنْ كَانُوا﴾، يعني القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾، أيها المشركون، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾، المثل: صلة يعني عليه، أي  
على أنه من عند الله، ﴿فَأَمَنَ﴾، يعني الشاهد،  
﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾، عن الإيمان به واختلفوا في هذا  
الشاهد قال قتادة والضحاك: هو عبدالله بن سلام،  
شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر  
اليهود فلم يؤمنوا. وقال الآخرون: الشاهد هو  
موسى بن عمران. وقال الشعبي قال مسروق في  
هذه الآية: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام، لأن  
حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبدالله بن سلام  
بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من  
رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد  
موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل  
واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني  
إسرائيل فأمن واستكبرتم فلم تؤمنوا .

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من اليهود،  
﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانُوا﴾، دين محمد ﷺ، ﴿خَيْرًا مَّا  
سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، يعني عبدالله بن سلام وأصحابه،  
وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما

أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونبي النبي ﷺ آمن به ودعا ربه ف ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾، ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾، بالهداية والإيمان، ﴿وَأَنْ أَحْمَلَ صَاحِبًا رَضْنَهُ﴾، قال ابن عباس: وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿وَرَبِّ أَنْتَ رَبِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿رَبِّكَ الَّذِي نَسَّخَ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، والأحسن بمعنى الحسن، فيشبههم عليها، ﴿وَنَجَّوهُمْ مِنَ سَيِّئِهِمْ﴾، فلا نعاقبهم عليها ﴿فِي أَمْسِ الْجَنَّةِ﴾، مع أصحاب الجنة، ﴿وَعَدَّ الْأَصْدِقَ الَّذِي كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، وهو قوله عز وجل: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار).

[١٧] ﴿وَالَّذِي كَانَ لِوَالِدَيْهِ﴾، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، ﴿إِنِّي لَكَمَا﴾، وهي كلمة كراهية، ﴿الْعَدُوِّ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ﴾، من قبيري حياً، ﴿وَقَدْ سَمِعْتُمُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ هَذَا وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فلم يبعث منهم أحد، ﴿وَهُمَا يَسْتَنْخِذَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾، يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له: ﴿يَا رَبَّنَا إِنَّا أَلْفَيْنَا ظُلْمًا﴾، ما هذا الذي تدعواني إليه، ﴿وَالَّذِي كَانُوا يُعْتَدُونَ﴾، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلْتُمُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَجَّوهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِي كَانَ لِوَالِدَيْهِ أَفِي لَكَمَا أَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْخِذَانِ مِنْ رَبِّكَ وَإِنِّي مِنْ أَعْدَائِكَ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَنَّهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْمَنْتُمْ بِهَا فَأَلْوِمُوهُمْ بِحُجُرٍ مِنْ عَذَابِ الْهُونِ يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٢﴾

في عبد الله. وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه، قاله الحسن وقتادة، وقال الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن ابن أبي بكر قبل إسلامه، يطله قوله:

[١٨] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حقت عليهم القول وجب عليهم العذاب، مع أمم، ﴿وَالَّذِي كَانُوا يُعْتَدُونَ﴾

مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٩﴾

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة. قال مقاتل: ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم. وقيل: ولكل يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات، يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها. قال ابن زيد: في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة تذهب علواً. ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (أأذهبتم)، بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ ﴿وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾، يقول: أذهبتم طبيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتكبرون، ﴿فِي الْأَرْضِ بَعِيرٍ لِحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَسْفُونَ﴾، فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادًا﴾، يعني هوداً، ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾، قال ابن عباس: الأحقاف واد بين عُمان ومَهْرة. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: مهرة، وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة: ذكر لنا

وَأَذْكُرْنَا عَادًا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَحِثَّنَا لِمَأْكَفَا عَاءِ الْهِتَانَا فَإِنَّمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلْغَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىكُمْ قَوْمًا مَّجْهُولُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَّنْ بَدَأَ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسْمُكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِ اللَّهِ قَرِيبًا إِنَّ اللَّهَ لَبَلَّ صَلَواتُهُ عَنْهُمْ وَذَكَرَ فِيكُمُومًا كَانُوا يُفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

أن عادًا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشَّحْر. والأحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد: هي ما استطال من الرمل، كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلًا، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ﴾، مضت الرسل، ﴿مِنَ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي من قبل هود، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، إلى قومهم، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَحِثَّنَا لِمَأْكَفَا عَاءِ الْهِتَانَا﴾، أي عن عبادتها، ﴿فَأِنَّمَا تَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أن العذاب نازل بنا.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾، هود، ﴿إِنَّمَا أَلْغَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾،

من الوحي إليكم، ﴿وَلَكَيْتَ أَنْ تَكُورَ قَوْمًا مَجْهُلُونَ﴾ .  
 [٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، يعني ما يُوعَدُونَ به من العذاب، ﴿عَارِضًا﴾، سحابًا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿مُتَسْقِلًا أَوْ دِيْنِيهِمْ﴾، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا﴾، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جرادة.

[٢٥] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مرت به من رجال عاد وأموالها، ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجًا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليالٍ وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾، قرأ عاصم وحزمة ويعقوب (يُرى) بضم الياء (مسكنهم) برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مسكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، (مسكنهم) نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مسكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: (ما) في قوله (فيما) بمنزلة الذي، (إن) بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكنّاهم في الذي ما مكنّاكم فيه. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿بَيْنَ الْفُرَيْيِ﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ الحجج والبيّنات، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي مكة.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾، يعني الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عزّ وجلّ، القربان كل ما يتقرب به إلى الله عزّ وجلّ، وجمعه قربانين، كالرهبان والرهابين، ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب، ﴿وَذَلِكَ إِنْكُهُمْ﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله عزّ وجلّ وتشفع لهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يكذبون أنها آلهة.

[٢٩] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾، اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾، قالوا: صه. قال بعضهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾، فرغ من تلاوته، ﴿وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ﴾، انصرفوا إليهم، ﴿مُنْذِرِينَ﴾، مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

[٣٠] ﴿قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى.

[٣١] ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، يعني محمدًا

﴿وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، (من) صلة أي ذنوبكم، ﴿وَيُجْرِمَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً. قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعاً. واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا تراباً، وهذا مثل البهائم. وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس. وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها.

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، أنصار يمنعونه من الله، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾، لم يعجز عن إبداعهن، ﴿يَقْدِرُ﴾، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: (تبت بالدهن)، وقال الكسائي والفرّاء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول: ما أظنك بقائم ﴿عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾، أي فيقال لهم، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال ابن عباس: ذوو العزم. وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا

٥٠٦

﴿وَأَصْرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا مِمَّا قُضِيَ وَلَوِ اتَّبَعَ آلُ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَقَمْنَا أَنفُسَنَا بِمَا كُتِبَ عَلَيْنَا مِنَّا بِمَا عَدَّوْا مِنَّا مِنَّا مَصِدًّا قَالُوا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا أُجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِمَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿قَالَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْتَكُمُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

سُورَةُ الْحَقِّ

عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز. وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولوا عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: (ولا تكن كصاحب الحوت)، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد

مُحَمَّدٍ ﴿١﴾، قال سفيان الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين كفروا وصدوا) مشركوا مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار. ﴿كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

[٣] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾، الشيطان، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿كَذَلِكَ يَصْرِفُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أمَثَلَهُمْ﴾، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِبْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَبْرٌ رِجَابٍ﴾، نصب على الإغراء، أي: فاضربوا رقابهم يعني: أعناقهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخْتُمُوهُمُ﴾، بالغتم في القتل وقهرتموهم، ﴿فَتَشَدُّوا لَوَائِقَ﴾، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، يعني بعد أن تأسروهم فإمّا أن تمنوا عليهم ممّا بإطلاقهم من غير عوض، وإمّا أن تفادوهم فداءً، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله (فإمّا تتفقههم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم)، ويقوله: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) قالوا: لا يجوز المنّ على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عزّ وجلّ في الأسارى (فإمّا ممّا بعدُ وإمّا فداءً)،

ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)، وفي قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا) الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿لَوْ يَلْبِثُونَ﴾، في الدنيا، ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلًا كأن لم يكن، ثم قال: ﴿بَلَّغْ﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

### (٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، أبطلها فلم يقبلها، وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم.

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَٰنَا﴾



وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمّل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالشرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقاتلكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثنخوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وقال الكلبي:

حتى يسلموا أو يسالموا، وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾، أمركم بالقتال، ﴿لِيُتْلَوْا بِعَصَصِكُمْ﴾، فيصير من قُتِلَ من المؤمنين إلى الثواب ومن قُتِلَ من الكفار إلى العذاب، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص: (قتلوا) بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون ﴿قُتِلُوا﴾ بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

[٥] ﴿سَيِّدِيهِمْ﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿وَيُضْلِحْ بِالْهَمِّ﴾، يُرَضِي خصماءهم ويقبل أعمالهم.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾، أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٥٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَمْدِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْهُمْ سَعَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَشِرُوا وَهُوَ قَشْدٌ وَالْوَتَاقُ فَإِمَّا مَنَابِعِدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُضْلِحْ بِالْهَمِّ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ الْكُفِرِينَ لَمَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

يخطؤونها ولا يستدلون عليها أحداً، كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمته إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين، وروى عطاء عن ابن عباس: (عرفها لهم) أي طيبتها لهم من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

[٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ﴾، أي دينه ورسوله، ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾، على عدوكم، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، عند القتال.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: بُعداً لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم. وقال الضحاك: خيبة لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. قال الفراء: هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردى في النار. ويقال للعاثر: تعسا إذا لم يريدوا

قيامه، وضده لَعَا إذا أرادوا قيامه، ﴿وَأَصَلَّ  
أَعْمَلْتَهُمْ﴾، لأنها كانت في طاعة الشيطان.

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال، ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْطَ أَعْمَلْتَهُمْ﴾، ثم خَوْفُ الكفار فقال:

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلهم،  
﴿وَاللَّكْفِرِينَ أَمْثَلَهُمْ﴾، أي لم يؤمنوا، يتوعد مشركي  
مكة.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا﴾، وليهم وناصرهم، ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى  
لَهُمْ﴾، لا ناصر لهم، ثم ذكر مال الفريقين فقال:

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ﴾، في  
الدنيا، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، ليس لهم همة  
إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في  
غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق  
يتزين، والكافر يتمتع، ﴿وَالنَّارُ مَوْى لَّهُمْ﴾.

[١٣] ﴿وَكٰفٍ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ﴾، أي  
أشد قوة من أهل مكة، ﴿الَّتِي أَخْرَجَكَ﴾، أي  
أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد  
من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾، ولم  
يقل: أهلكتاها، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَّبِّهِ﴾، يقين من  
دينه، محمد والمؤمنون، ﴿كَمَنْ رُبِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ  
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل  
والمشركون.

[١٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾، أي  
صفتها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، آجن متغير  
متنن، قرأ ابن كثير (أسن) بالقصر، والآخرين  
بالمدة، وهما لغتان يقال: آسن الماء يأسن أسناً،  
وآسن يأسن ويأسن، وأجن ياجن وياجن، أسونا  
وأجونا إذا تغير، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ  
مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ﴾، لذيدة، ﴿لِلشَّرِبِينَ﴾، لم تندسها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ  
وَالنَّارُ مَوْى لَهُمْ ﴿١٦﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ  
الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ  
مِنْ رَّبِّهِ كَمَنْ رُبِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٨﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ  
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ  
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى  
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ  
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ  
حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا  
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ  
أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَمَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا  
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْ لَّهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ  
ذَكَرْتَهُمْ ﴿٢٢﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَدُنْكَ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلُكُمْ ﴿٢٣﴾

الأرجل ولم تندسها الأيدي، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى  
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي  
النَّارِ﴾، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد  
في النار، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾، شديد الحر تسعر  
عليه جهنم منذ خلقت، إذا أدني منهم يشوي  
وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿فَقَطَّعَ  
أَمْعَاءَهُمْ﴾، فخرجت من أديبارهم، والأمعاء جميع  
ما في البطن من الحوايا واحدها معي.

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعني من هؤلاء الكفار، ﴿مَنْ  
يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا  
يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً، ﴿حَتَّىٰ إِذَا  
خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾، يعني فإذا خرجوا من عندك،  
﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، من الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَ﴾:  
محمد، ﴿أَنفَا﴾، يعني الآن، وهو من الالتفاف  
ويقال: اتنفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء

الأخرة إلى الجنة أو إلى النار. وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حرصاً منهم على الجهاد، ﴿لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾، تأمرنا بالجهاد، ﴿فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾، قال قتادة: كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾، شزراً بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو، ﴿نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

[٢١] ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، وهذا ابتداء محذوف الخير تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾، أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، ﴿فَلَمَّا سَكَدَ قُلُوبُ اللَّهِ﴾، في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وقيل: جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم

أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوهم عبد الله بن مسعود استهزاءً ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فلم يؤمنوا، ﴿وَأَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الكفر والنفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا﴾، يعني المؤمنين، ﴿زَادَهُمْ﴾، ما قال الرسول، ﴿هُدًى وَآلِنَهُمْ نَقْوَاهُمْ﴾، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبیر: وآتاهم ثواب تقواهم.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾، أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة ﴿فَإِنَّ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى).

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدّد علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها إلا إلى الله. وقيل: فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾، أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَتَابِعَكُمْ وَمَثَوَاتِكُمْ﴾، قال ابن عباس والضحاك: متقلبكم متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم مصيركم في

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٥٠٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقَسَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْعَشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ  
 ﴿٢٢﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْرَانًا لَهُمْ ﴿٢٣﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٥﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا وَعَلَٰئِ آذِنَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٨﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ بَصُرَتُوهُمْ وَأَصْفَحَهُمْ وَآذَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ نُوَخِّرَهُنَّ اللَّهُ أَصْحَابِنَهُمْ ﴿٣١﴾

عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون (وأملى لهم) بفتح الألف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾، يعني المنافقين أو اليهود، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾، وهم المشركون، ﴿سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سراً فأخبر الله تعالى عنهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ بَصُرَتُوهُمْ وَأَصْفَحَهُمْ وَآذَنَهُمْ﴾.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾، أي الضرب، ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس: بما كتموا من

الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾، فلعلكم، ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، قرأ يعقوب: (وتقطعوا) بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب بن شريك والفراء: يقول فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة على ابن أبي طالب (توليتهم) بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول إن وليتكم ولاية جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونوهم.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ عن الحق.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، فلا تفهم مواضع القرآن وأحكامه، و (أم) بمعنى (بل).

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا وَعَلَٰئِ آذِنَهُمْ﴾، رجعوا كفاراً، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾، قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نغته في كتابهم، وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾، زين لهم القبيح، ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وقرأ مجاهد: بإرسال الياء على وجه الخبر من الله عز وجل

التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان، ﴿فَأَحْطَ أَعْمَلُهُمْ﴾.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين في يديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدا ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾، أي لأعلمناكم وعرفناكم، ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾، بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لِحْنٌ يَلْحَنُ لِحْنًا فهو لِحْنٌ إذا فطن للشيء، ومنه قول النبي ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»، والفعل من الخطأ لِحْنٌ يَلْحَنُ لِحْنًا فهو لاجِنٌ، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، ﴿حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾، أي علم الوجود، يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾، أي نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وليبلونكم حتى يعلم﴾، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: (والله يعلم أعمالكم)، وقرأ الآخرون

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾، ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ الْوَدُّ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّسُوا فَيُزَكِّكُمْ أَجْرًا كُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾، ﴿إِنْ سَأَلْتُمُوهُمَا فَيُحْفِكُمْ تَبَحَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَنَكُمْ﴾، ﴿هَٰذَا نَسَبُ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْقَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

بالنون فيهن، لقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكم) وقرأ يعقوب (ونبلوا) ساكنة الواو ردًا على قوله (ولنبلونكم) وقرأ الآخرون بالفتح ردًا على قوله (حتى نعلم).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: رسول الله ﷺ، ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، إنما يضررون أنفسهم، ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾، فلا يرون لها ثوابًا في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، ونظيرها قوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمة. وقال الحسن:

وإلى هذا القول ذهب ابن عيينة، يدل عليه سياق الآية:

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلانًا إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة، ﴿يَسْأَلُوا﴾، بها فلا تعطوها، ﴿وَيُخْرِجُ أَصْعَانَكُمْ﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضعان.

[٣٨] ﴿هَاتِنَا هُنَالَا تَدْعُونَ لِنَبْذِلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كئدة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم.

## (٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ

[١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، أي قضينا لك قضاءً بينًا. وقال الضحاك: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح المبين، واختلفوا في هذا الفتح، عن أنس: أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر، والأكثر على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرًا حتى فتحه الله عز وجل.

[٢] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ في الجاهلية قبل الرسالة، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه

بالمعاصي والكبائر. وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبب الأعمال، وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، هم أصحاب القلبين وحكمها عام.

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح، ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمم لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصرة ﴿وَلَنْ يَزِيدَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾، لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترًا إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها.

[٣٦] ثم حض علي طلب الآخرة فقال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، باطل وغرور، ﴿وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾، الفواحش، ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ﴾، ربكم ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: (ما أريد منهم من رزق)، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: (قل ما أسألكم عليه من أجر)، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألونكم غيضًا من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفسًا، وقروا بها عينًا

## سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ  
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسِّرَ لَكَ يَسْرًا مَسْهُومًا ﴿٢﴾ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٣﴾  
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ  
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ وَيُعَذِّبُ  
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ  
بِاللَّهِ طَرَبَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
شَهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٩﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتَعَزَّزُوا وَنُوقِرُوا وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٠﴾

لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠﴾ .

[٧-٩] ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا  
حَكِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٩﴾ لَتُؤْمِنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَنُوقِرُوا ﴿١٠﴾ ، أي تعينوه وتنصروه ،  
﴿٧﴾ وَتُسَبِّحُوهُ ﴿٨﴾ ، تعظموه وتفخموه هذه الكنایات  
راجعة إلى النبي ﷺ وههنا وقف ، ﴿٩﴾ وَتُسَبِّحُوهُ ﴿١٠﴾ ،  
أي تسبحوا الله يريد تصلوا له ، ﴿١٠﴾ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٠﴾ ،  
بالغداة والعشي .

[١٠] ﴿١٠﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ، يا محمد بالحديبية  
على ألا يفروا ، ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ ، لأنهم باعوا  
أنفسهم من الله بالجنة ، ﴿١٠﴾ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، قال  
ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء لما  
وعدهم من الخير فوق أيديهم . وقال السدي:  
كانوا يأخذونه بيد رسول الله ﷺ ويباعونه ، ويد الله  
فوق أيديهم في المبايعة ، ﴿١٠﴾ فَمَنْ نَكَتْ ، نقض

السورة . وقيل: ما تأخر مما يكون ، وقال سفيان  
الثوري: ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر  
كل شيء لم تعمله ، ويذكر مثل ذلك على طريق  
التأكيد ، وقال عطاء الخراساني: ما تقدم من ذنبك:  
يعني ذنب أبوبك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخر  
ذنوب أمتك بدعوتك . ﴿١٠﴾ وَيُسِّرَ لَكَ يَسْرًا مَسْهُومًا ﴿١٠﴾ ،  
بالنبوة والحكمة ، ﴿١٠﴾ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٠﴾ ، أي  
يبثك عليه ، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام  
النعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو  
الإسلام . وقيل: ويهديك أي يهدي بك .

[٣] ﴿٣﴾ وَيُسِّرَ لَكَ يَسْرًا مَسْهُومًا ﴿٣﴾ غالبًا . وقيل: معزًا .

[٤] ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴿٤﴾ ، الطمأنينة  
والوقار ، ﴿٤﴾ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ ، لثلا تنزع نفوسهم  
لما يرد عليهم ، قال ابن عباس: كل سكينه في  
القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة ،  
﴿٤﴾ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴿٤﴾ ، قال ابن عباس: بعث  
الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه  
زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم  
الجهاد ، حتى أكمل لهم دينهم ، فكلما أمروا بشيء  
فصدقوه ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم . وقال  
الضحاك: يقينًا مع يقينهم . قال الكلبي: هذا في  
أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ،  
﴿٤﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ .

[٥] ﴿٥﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ  
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ عن أنس أن الصحابة قالوا لما  
نزل (ليغفر لك الله) هنيئًا مريئًا فما يفعل بنا فنزل:  
(ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية .

[٦] ﴿٦﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ ﴿٦﴾ ، يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك  
بمكة ، ﴿٦﴾ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ طَرَبَ السَّوْءِ ﴿٦﴾ ، أن لن ينصر  
محمدًا والمؤمنين ، ﴿٦﴾ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴿٦﴾ ،  
بالعذاب والهلاك ، ﴿٦﴾ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ

البيعة، ﴿فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾، ثبت على البيعة، ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو الجنة.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: (سيقول لك المخلفون من الأعراب) يعني الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك، ﴿سَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ﴿فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا﴾، تخلفنا عنك، فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم فقال: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْسَ لَكُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من أمر الاستغفار، فإنهم لا يباليون أستغفر لهم النبي ﷺ أو لا، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾، سواء، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾، قرأ حمزة والكسائي: (ضراً) بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه. ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

[١٢] ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَقْلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿وَرَبَّتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿وَوَظَنْتُمْ ظَنَّ

سُورَةُ الْفَتْحِ

٥١٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ يَا لَيْسَ لَكُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَقْلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبَّتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَوَظَنْتُمْ ظَنَّكُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٣﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَفَازٍ لَتَأْخُذُوا هَذَا زُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ بِرِيذُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيُقَالُونَ بَلْ تَحْسُدُونَ عَلَيْنَا كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

النفوس، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، هلكت لا تصلحون لخير.

[١٣-١٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾، والله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾، يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ﴾، سرتم وذهبتم أيها المؤمنون، ﴿إِلَىٰ مَفَازٍ لَتَأْخُذُوا هَذَا﴾، يعني غنائم خبير، ﴿ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ﴾، إلى خبير نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدمهم الله فتح خبير وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئاً،



قال الله تعالى: ﴿رِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديدية بغنيمة خبير خاصة، وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيه ﷺ ألا يسير منهم أحد، قال ابن زيد: هو قول الله عز وجل: (فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً)، والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾، إلى خبير، ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خبير لمن شهد الحديدية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿فَسَيُؤَلَّوْنَ بَلًا تَحْسُدُونَهَا﴾، أي يمنعم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، منهم وهو من صدق الله والرسول.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ فَوَيْلٌ لَأُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هم أهل فارس. وقال كعب: هم الروم. وقال الحسن: فارس والروم. وقال سعيد بن جبيرة: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. قال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. ﴿نُقْبِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾، يعني الجنة، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، تعرضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، عام الحديدية، ﴿بِعُدْبِكُمْ عَدَابًا أَلِيمًا﴾، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمارة: كيف بنا يا رسول الله؟

[١٧] فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾، يعني في التخلف عن الجهاد، ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

سُورَةُ الْفَتْحِ

٥١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ فَوَيْلٌ لَأُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ نُقْبِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عِدْبَةَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتُكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ نَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَوُا الْأَدْبُرُ لَمْ يَلْبُدُواكُمْ لَأَيُّدُونَ وَإِنَّا وَلَا نُنصِرُكُمْ ﴿٢٢﴾ سَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عِدْبَةَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾، بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا، ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وكانت سمرة، ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من الصدق والوفاء، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾، الطمأنينة والرضا، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، يعني فتح خبير.

[١٩] ﴿وَمَعَانِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، من أموال يهود خبير، وكانت خبير ذات عقار وأموال، فاقسمها رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[٢٠] ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾، يعني خبير، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ

كفار مكة، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أن تطوفوا به عام الحديبية، ﴿وَأَلْهَدَى﴾، أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿مَعَكُوفًا﴾، محبوسًا، يقال: عكفته عكفًا إذا حبسته وعكوفًا لازم، كما يقال: رجع رجعًا ورجوعًا، ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ﴾، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾، لم تعرفوهم، ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾، بالقتال وتوقعوا بهم، ﴿فَتَصِيبِكُمْ مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَعْدَ مَعْرَةٍ﴾، قال ابن زيد: معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب - إذا لم يعلم إيمانه - الكفارة دون الدية، فقال: (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة)، وقيل: هو أن المشركين يعيرونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾، فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل العلم: لعذبنا جواب لكلامين أحدهما: (لولا رجال)، والثاني: (لو تزيلوا)، ثم قال: (ليدخل الله في رحمته من يشاء)، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: (في رحمته)، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

عَنكُمْ﴾، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يُغيروا على عيال المسلمين وذاربيهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿وَلِتَكُونَ﴾، كفهم وسلامتكم، ﴿ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبيهم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، يشترك على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينًا بصلح الحديبية، وفتح خيبر.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولًا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٢] ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾، لانهمزوا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِثْرًا وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾، أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَعِينَةً﴾، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللوات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿حِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، التي دخلت قلوبهم، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله». وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً. وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَكَاوَنُوا أَهْلَهَا﴾، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمًا﴾.

[٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وروي عن مجمع بن [جارية] الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عَلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ شَيْءٍ لَوْ نَزَّلُوا الْعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٥) ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَعِينَةً حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢٦) ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُلَهُ الرُّبِّيًّا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨)

بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، قال فخرنا نرجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: (نعم والذي نفسي بيده)<sup>(١)</sup>، ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جل ذكره: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، أخبر أن الرؤية التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدقٌ وحقٌّ. قوله: (لتدخلن) يعني وقال: لتدخلن. وقال ابن كيسان: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ (١) أخرجه أحمد (٤٢٠/٣)، وأبو داود (٥٢/٢)، والحاكم (١٣١/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووقفه الذهبي.

أن يدخلهم الجنة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾، أن يرضى عنهم، ﴿سِيمَاهُمْ﴾، أي علامتهم، ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، اختلفوا في هذا السيمة، فقال قوم: هو نورٌ وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفى عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا. وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السميت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون لكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. وهو قول مجاهد: والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسميت الحسن الذي يُعرفون به. وقال الضحاك: هو صفة الوجه من السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى. قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿مِثْلُهُمْ﴾، صفتهم ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾، ههنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: ﴿وَمِثْلُهُمْ﴾، صفتهم، ﴿فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أَخْرَجَ سَطَكُمُ﴾ أراد فراخه، يقال أسطأ الزرع فهو مشطى، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطوه. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: ﴿فَأَزْرَهُ﴾، قرأ ابن عامر: (فأزره) بالقصر. والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشدّ أزره، ﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾، ذلك الزرع، ﴿فَأَسْتَوِي﴾، أي تمّ وتلاحق نباته وقام، ﴿عَلَى

أصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدبًا بأداب الله، حيث قال له: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله). وقال أبو عبيدة: (إن) بمعنى إذ مجازه: إذ شاء الله، كقوله: (إن كنتم مؤمنين)، وقال الحسين ابن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «إنا إن شاء الله بكم لاحقون»<sup>(١)</sup>، فالاستثناء راجع إلى اللحق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت. ﴿مُخْلِفينَ رُءُوسَكُمْ﴾، كلها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾، بأخذ بعض شعورها، ﴿لَا تَخَافُوتَ عِلْمَ مَا لَمْ تعلمُوا﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) الآية. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام، ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، وهو صلح الحديبية عند الأكرين، وقيل: فتح خيبر.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

[٢٩] ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، تمّ الكلام ههنا، قال ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدأ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رافة، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: (أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين). ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾،

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز برقم (٩٧٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ  
تَرَاهُمْ رُكُوعًا سَاجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ  
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ  
فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجٌ كَرِجٌ أَخْرَجَ سَطَطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعَاظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سُوْقِهِ بِعِجْبِ الزَّرْعِ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

## سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ  
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ  
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ  
قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْيِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سُوْقِهِ ؕ، أصوله، ﴿يُعِجِبُ الزَّرْعَ﴾، أعجب ذلك  
زراعته، هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب  
محمد ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً، ثم  
يزدادون ويكثرون. قال قتادة: مثل أصحاب رسول  
الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينتون  
نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر.  
وقيل: الزرع محمد والشطاء أصحابه والمؤمنون،  
﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أي إنما كثرتهم وقواهم  
ليكونوا غيظاً للكافرين. قال مالك بن أنس: من  
أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ  
فقد أصابته هذه الآية. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، قال ابن جرير: يعني من الشطاء  
الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام  
بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم على  
معنى الشطاء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه،  
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني الجنة. والله أعلم.

## (٤٩) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وروى مسروق عن عائشة  
أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا  
قبل أن يصوم نبيكم. وقال قتادة: نزلت الآية في  
ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وصنع في كذا  
وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتأوا على  
رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.  
وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا  
تقضوا أمراً دون الله ورسوله. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، في  
تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾،  
لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾، بأفعالكم.

[٢] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ  
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾،  
أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنه  
ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿أَن تَحْبَطَ  
أَعْمَالُكُمْ﴾، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن

[١] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ﴾، قرأ يعقوب: (لا تقدموا) بفتح التاء  
والدال، من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون  
بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم  
بمعنى التقدم، مثل بين وبين، وقيل: هو متعد على  
ظاهره والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا القول  
والفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول  
العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب،  
أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين  
اليدين الأمام والقدام: أي لا تقدموا بين يدي  
أمرهما ونهيهما. واختلفوا في معناه، روى الشعبي  
عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول  
الحسين، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ،  
وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ،

تحبط حسناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ﴾، يخفصون ﴿أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إجلالاً له، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْوَى﴾، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾، قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر فتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجْر، والحُجْر جمع الحُجْرَة فهي جمع الجمع. وقال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عينة ابن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، ففعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، ويصيحون، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وصفهم بالجهل وقلة العقل.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد.

[٦] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَيَّبُوا﴾، الآية نزلت في الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقاً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدته الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

٥١٦

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَيَّبُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَتِهِمْ فَنَصِيحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنُ وَرَزَقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَمِنَ اللَّهُ وَنِعْمَةٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

يغزوهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدمه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر<sup>(١)</sup>، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) يعني الوليد بن عقبة، (بنياً)، بخبر، ﴿فَتَيَّبُوا﴾ أن تصيبوا، كي لا تصيبوا بالقتل والقتال، ﴿قَوْمًا﴾، براء، ﴿بِمِجْهَلَتِهِمْ فَنَصِيحُوا﴾ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ، من إصابتكم بالخطأ.

(١) أخرجه الطبري ١٢٣/٢٦ والإمام أحمد ٤/٢٧٩ وعبدالرزاق في التفسير ٢/٢٣١.

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، التنابر التفاعل من النبز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمي به. قال عكرمة: وهو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك. قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير. وروي عن ابن عباس قال: التنابر بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فُهي أن يعير بما سلف عن عمله، ﴿يَسْأَلُ الْإِسْمَ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، أي بسئ الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ﴾، من ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَحْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ وأراد أن يظنَّ بأهل الخير شرًا، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، قال سفيان الثوري: الظن ظنان أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، يقول: لا يتناول بعضكم بعضًا بظهر الغيب بما يسوء مما هو فيه، قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»<sup>(١)</sup>. ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا، ﴿لَوْ يَطِيعُكُمْ﴾، أي الرسول، ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾، مما تخبرونه به فيحكم بركم، ﴿لَعَنْتُمْ﴾، لأثمتم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ﴾، فجعله أحب الأديان إليكم، ﴿وَرَزَقَهُ﴾، حسنه، ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾، حتى اخترتموه، وتطيعوا رسول الله ﷺ، ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾، قال ابن عباس: يريد الكذب، ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾، جميع معاصي الله، ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، المهتدون.

[٨] ﴿فَضْلًا﴾، أي كان هذا فضلاً، ﴿مَنْ اللَّهُ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٩] قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَافَيْتَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْبَلْتُمَا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿فَإِن بَعَثَ إِحْدَهُمَا﴾، تعدت إحدهما، ﴿عَلَى الْأُخْرَى﴾، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿فَقَبِلُوا إِلَيَّ تَبَعِي حَتَّى تَفْعَلَ﴾، ترجع، ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، في كتابه وحكمه، ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾، رجعت إلى الحق، ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿وَأَقْضُوا﴾، اعدلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، في الدين والولاية، ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ﴾، إذا اختلفا واقتتلا، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

[١١] وقوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ﴾ أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَن يَسْخَرُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي لا يعيب بعضكم بعضًا، ولا يطعن بعضكم على بعض،

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٩) ٤/٢٠٠١

والمصنف في شرح السنة ١٣/١٣٨.

يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَيْتُمْ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ  
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَن  
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَتَّيْمُوا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لِّمَ تُوْمِنُونَ وَلَكِن  
قُولُوا ءَأَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ  
﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ  
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ  
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ يَّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعدرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأنقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكروهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: أمانا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم، (قالت الأعراب أمانا) صدقنا، ﴿قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا

فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، قال مجاهد: لما قيل لهم (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا)، قالوا: لا، قيل: (فكرهتموه) أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبًا. وقال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك، ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَتَّيْمُوا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾، جمع شعب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوبًا لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعب أي جمع وشعب أي فرق. ﴿وَقَبَائِلَ﴾، هي دون الشعوب، واحدها قبيلة وهي كبر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدها عمارة، بفتح العين وهي كشياب من بكر ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدها بطن، وهي كبنو غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ وهم كبنو هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدها فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشرة حي يُوصف به وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو روق: الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقري، والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم. ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، ليعرف بعضكم بعضًا في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألام اللؤم الفجور.

[١٤] قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ﴾، الآية



## (٥٠) سُورَةُ ق

[١] ﴿قَ﴾ قال ابن عباس: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرظي: هو مفتاح اسمه القدير، والقادر والقاهر والقريب والقباض. ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾، الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا في جواب هذه القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه بل عجبوا وقيل: جوابه محذوف، مجازة: والقرآن المجيد لتبعثن. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا.

[٢] ﴿بَلْ يَحْمَرُونَ أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ﴾، مخوف، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، غريب.

[٣] ﴿إِذْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا نُزَابًا﴾، نبعث، ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ﴿ذَلِكَ رَجَعٌ﴾، أي رد إلى الحياة ﴿بِعِيدٍ﴾، وغير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت.

[٤] قال الله عز وجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، ﴿وَعَدْنَا كَنْبَ حَفِظٍ﴾، محفوظ من الشياطين ومن أن يدس ويتغير، وقيل: حفيز أي حافظ لعدتهم وأسمائهم.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ﴾، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة

أَسْلَمْنَا، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص، ﴿وَإِن تَطِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية. قال ابن عباس: تخلصوا الإيمان، ﴿لَا يَلِكُكُمْ﴾، قرأ أبو عمر (بألتكم) بالألف كقوله تعالى: (وما ألتناهم)، والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يألت ألتا ولات يليت ليتًا إذا نقص، ﴿مِنَ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم بين حقيقة الإيمان.

[١٥] فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، لم يشكوا في دينهم، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، في إيمانهم. فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

[١٦] فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾، والتعليم هاهنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه، يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي لا يحتاج إلى إخباركم.

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ إِنَّ أَسْمَاءَ قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمْتُكُمْ﴾، أي بإسلامكم، ﴿بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ إِنَّ هَدْيَكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إنكم مؤمنون.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَ آدَامَتُنَا كَذٰبًا ذٰلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حٰفِظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ﴿٥﴾ اَفَاَنْظُرُ وَاِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنٰهَا وَرَبِّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْاَرْضِ مَدَدْنَهَا وَالْفِیْنِ اِیْنَهَا رَوٰسِیْ وَانْبَسْنَا فِیْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَاذْكُرْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّیْتَبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَاَنْبَتْنَا بِهٖ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِیْدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسْقِنِیْ لَمَّا طَلَعَ نَضِیْدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَاَحْيٰنَا بِهٖ بَلَدَةً مِّیْتًا كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَاَصْحَابُ الرِّیْسِ وَثَمُوْدُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَاِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَاَصْحَابُ الْاَیْكَةِ وَقَوْمٌ تُبٰعِ كُلِّ كَذٰبٍ اُرْسِلَتْ حَقٌّ وَعٰیْدٌ ﴿١٤﴾ اَفَعِیْنَا بِالْخَلْقِ الْاَوَّلِ بَلْ هُمْ فِی لَبِیْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِیْدٍ ﴿١٥﴾

أبو كرب، قال قتادة: ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان<sup>(١)</sup> ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ﴾، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿حَقٌّ وَعِيدٌ﴾، وجب لهم عذابي، ثم أنزل جوابًا لقولهم ذلك رجع بعيد.

[١٥] ﴿أَفَعِیْنَا بِالْخَلْقِ الْاَوَّلِ﴾، يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعبا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عيبي به. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبِیْسٍ﴾، أي في شك، ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِیْدٍ﴾، وهو البعث.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوْسُ بِهٖ نَفْسُهُ﴾، يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿وَمَنْ اَقْرَبُ اِلَيْهِ﴾، أعلم به، ﴿مِنْ حَبْلِ

معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مفترى، فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم، ثم دلهم على قدرته.

[٦] فقال: ﴿اَفَاَنْظُرُوا اِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنٰهَا﴾، بغير عمد، ﴿وَرَبِّهَا﴾، بالكواكب، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج. [٧] ﴿وَالْاَرْضِ مَدَدْنَهَا﴾، بسطناها على وجه الماء، ﴿وَالْفِیْنِ اِیْنَهَا رَوٰسِیْ﴾، جبلاً ثابت، ﴿وَأَنْبَسْنَا فِیْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ﴾، حسن كريم يهيج به، أي يسر.

[٨] ﴿تَبْصِرَةٌ﴾، أي جعلنا ذلك تبصرة، ﴿وَاذْكُرْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّیْتَبٍ﴾، أي ليصروا به ويتذكر به.

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، ﴿فَاَنْبَتْنَا بِهٖ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِیْدِ﴾، يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي وحب النبت الحصيد.

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسْقِنِیْ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقاتادة: طوالاً، يقال: بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت. وقال سعيد بن جبیر: مستويات. ﴿لَهَا طَلَعٌ﴾، ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَضِیْدٌ﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكامه، فإذا خرج من أكامه فليس بنضيد.

[١١] ﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾، أي جعلناها رزقاً للعباد، ﴿وَأَحْيٰنَا بِهٖ﴾، أي بالمطر، ﴿بَلَدَةً مِّیْتًا﴾، أنبتنا فيها الكلاً، ﴿كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾، من القبور.

[١٢-١٤] قوله عز وجل: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَاَصْحَابُ الرِّیْسِ وَثَمُوْدُ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَاِخْوَانُ لُوطٍ وَاَصْحَابُ الْاَیْكَةِ وَقَوْمٌ تُبٰعِ﴾، وهو تبع الحميري، واسمه أسعد

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل. يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

[٢١] ﴿وَمَجَّاتٌ﴾، ذلك اليوم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿وَشَهِيدٌ﴾، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الآخرون: هما جميعاً من الملائكة.

[٢٢] فيقول الله لها، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم في الدنيا، ﴿فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءً﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، ﴿فَبَصُرُكَ أَلْيَوْمَ حَيِّدٌ﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾، الملك الموكل به، ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنَيْكَ﴾، معد محضر، وقيل: (ما) بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

[٢٤] فيقول الله عز وجل لقريته: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾، هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلها وازجرها وخذاها وأطلقها، للواحد، قال الفراء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي. وقال الزجاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقين. ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِدٌ﴾، عاص معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله.

[٢٥] ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، ﴿مُعْتَدٍ﴾، ظالم لا يقرب بتوحيد الله ﴿مُرِيبٌ﴾، شك في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

﴿أَلْوَرِيدِ﴾، لأن أبعاضه وأجزائه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

[١٧] ﴿إِذْ يَلْقَى الْمُتَلَقِينَ﴾، إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿عَمِيدٌ﴾، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً كالرسول يجعل للثنتين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنتين: (فقولا إنا رسول رب العالمين)، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رِيبٌ﴾، حافظ، ﴿عَيْنِدٌ﴾، حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿بِالْحَقِّ﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءته سكرة الموت، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ حَيِّدٌ﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدث عن الشيء أحميداً حَيِّدًا ومحيدًا إذا ملت عنه.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، يعني نفخة البعث،

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ، وهو النار .

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ ، يعني الشيطان الذي قُبِضَ لهذا الكافر، ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ﴾ ، ما أضلته وما أغويته، ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطعته، يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق .

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ ، يعني يقول الله ﴿لَا تَخْصَمُوا لَدَيَّْ وَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي الْكُبْرَى﴾ ، في القرآن وأذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ .

[٢٩] ﴿مَا يَسْتَدِلُّ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ ، لا تبديل لقولي وهو قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)، وقال قوم: معنى قوله: (ما يبديل القول لدي) أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأنني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، لأنه قال: (ما يبديل القول لدي) ولم يقل ما يبديل لي .

﴿وَمَا أَنَا بِمُكْرِمٍ﴾ ، فأعاقبهم بغير جرم .

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَسُفُ الْجَهَنَّمَ﴾ ، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: (قال لا تختصموا لدي)، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿سُفُ الْجَهَنَّمَ﴾ ، وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿سُفُ الْجَهَنَّمَ﴾ ، جهنم، ﴿مَنْ يَرَى﴾ ، قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٢٦﴾ إِذْ يَنْتَقِلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ مُعَيَّدَاتٌ ﴿٢٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَبِيدٌ ﴿٢٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٢٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٣٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٣١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي عُقْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَى عَبِيدٍ ﴿٣٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٣٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٣٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٣٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا تَخْصَمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٣٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٤٠﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٤١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٤٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٤٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٤٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْمًا مَزِيدٌ ﴿٤٥﴾

(هل امتلأت)، قيل دخول جميع أهلها فيها، وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)، فلما سبق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء .

[٣١] ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾ ، قُرِئَتْ وأدْنيت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، الشرك، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها .

[٣٢] ﴿وَمَا يَسْتَدِلُّ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ ، قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على السنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿لِكُلِّ﴾ ، رجاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد ابن المسيب: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها . وقال الضحاك: هو التواب .

يجدون مفراً عن الموت، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى، (الذكرى)، تذكرة وعظة، ﴿لَنْ كَانَ لَمُ قَلْبٍ﴾، قال ابن عباس: أي عقل. قال الفراء: هذا جائز في العربية، تقول: مالك قلب وما قلبك معك، أي ما عقلك معك. وقيل: له قلب حاضر مع الله. ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعِ﴾، استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقى إلي سمعك، يعني استمع، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

[٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، إعياء وتعب.

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صلِّ حمداً لله، ﴿فَقَلَّ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَقَلَّ الْغُرُوبِ﴾، يعني صلاة العصر. وروي عن ابن عباس قال: قبل الغروب الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد: ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلي. ﴿وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ﴾، قرأ أهل الحجاز وحزمة: (وإدبار السجود) بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والأوزاعي: أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال مجاهد: قوله: (أدبار السجود) هو التسييح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَأَسْتَعِجَّ يَوْمَ يَأْتِي السُّدَادِ مِنْ مَكَّانٍ قَرِيبٍ﴾، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة

وقال ابن عباس وعطاء: هو المسيح، من قوله: (يا جبال أوبي معه) وقال قتادة: هو المصلي. ﴿حَوِيطٌ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي: المراقب. قال سهل بن عبد الله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

[٣٣] ﴿مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾، محل (من) جر على نعت الأواب. وقيل رفع على الاستئناف، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾، مخلص مقبل إلى طاعة الله.

[٣٤] ﴿أَدْخُلُوهَا﴾، أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. ﴿بِسَلَامٍ﴾، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾.

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من الثقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ﴾، فلم يجدوا محيصاً من أمر الله. وقيل: هل من محيص: مفراً من الموت؟ فلم يجدوا منه مفراً، وإنذار لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا

سُورَات

٥٢٠

الذاريات

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي  
 الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّخِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ  
 لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا  
 مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
 قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ  
 وَأَدْبَرَ الْكُجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ  
 ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّآ  
 نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَمَّصِيرٌ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّوُ الْأَرْضُ  
 عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ  
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ ﴿٤٥﴾

## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾  
 فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْ لَوَقِعَ ﴿٦﴾

والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني  
 إسرافيل ينادي بالحشر يا أيها العظام البالية  
 والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور  
 المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل  
 القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾، وهي  
 الصيحة الأخيرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾، من القبور.  
 [٤٣، ٤٤] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَمَّصِيرٌ﴾  
 يَوْمَ تَشَقُّوُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾، جمع سريع أي  
 يخرجون سراعًا، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾، جمع علينا  
 ﴿يَسِيرٌ﴾.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة في  
 تكذيبك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾، بمسلط تجبرهم  
 على الإسلام إنما بعثت مذكرًا، ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ  
 يَخَافُ وَعَبِيدٍ﴾، أي ما أوعدت به من عصاني من  
 العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو  
 خوفتنا، فنزلت: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

## (٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

[٧] ثم ابتداء قسمًا آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ  
 الْحُبُوكِ﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات  
 الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج  
 [الثوب] فأجاد: ما أحسن [حُبُوكَه]! قال سعيد بن  
 جبير: ذات الزينة. قال الحسن: حُبُوكٌ بالنجوم.  
 قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل  
 والكلبي والضحاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا  
 ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها  
 لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حبك  
 وحبكة، وجواب القسم قوله في الآية التالية:  
 [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَنَلِيَّ نَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾،  
 في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن سحر  
 وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ ساحر  
 وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي  
 مصدق ومكذب.

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾، يعني الرياح التي [تذروا]  
 التراب ذرُوءًا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت.  
 [٢] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾، يعني السحاب التي تحمل  
 ثقلًا من الماء.  
 [٣] ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾، هي السفن تجري في  
 الماء جريًا سهلًا.  
 [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾، هي الملائكة يقسمون  
 الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه  
 الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.  
 [٥] ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾،  
 من الثواب والعقاب، ﴿لَصَادِقٌ﴾.  
 [٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوْ لَوَقِعَ﴾، الحساب والجزاء، ﴿لَوْ قِعَ﴾،  
 لكائن.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٥٢١

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ أَنْتَ كَلِمَةُ قَوْلٍ مِثْلُ خَلْفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ  
 أَفُكٌ ﴿٩﴾ قُلْنَا الْحَرِصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمَا سَاهُونَ ﴿١١﴾  
 يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا  
 فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ  
 وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءً نَارَهُمْ رِيحُهُمْ فِيهِمْ كَانُوا أَقْبَلُ ذَلِكَ تَحْسِينٍ  
 ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ  
 ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
 لِلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رُفُوفًا  
 وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لِحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ  
 نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنْتَ كَحَدِيثٍ ضَيَّفَ بَرِّهِمُ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾  
 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ سَلِّمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهَ  
 آهْلِهِ فَجَاءَهُ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾  
 فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾  
 فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَفَرٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾  
 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

عباس، يعني: كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئاً إما من أولها أو من أوسطها، ووقف بعضهم على قوله: (قليلًا) أي كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتداءً: (من الليل ما يهجعون)، وجعله جحدًا، أي: لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة.

[١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن

[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفُكٌ﴾، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن. وقيل (عن) بمعنى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف. وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان.

[١٠] ﴿قُلْنَا الْحَرِصُونَ﴾، لعن الكذابون، يقال: تخرص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمْ سَاهُونَ﴾، غفلة وعمى وجهالة، ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهوه: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

[١٢] ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكديماً واستهزاءً. [١٣] قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، أي: يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: (على) بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار:

[١٤] ﴿ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾، في الدنيا تكديماً به.

[١٥، ١٦] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَاءً نَارَهُمْ﴾، أعطاهم، ﴿رِيحُهُمْ﴾، من الخير والكرامة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، قبل دخولهم الجنة، ﴿تَحْسِينٍ﴾، في الدنيا.

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، والهجع النوم بالليل دون النهار، و(ما) صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً، وهذا معنى قول سعيد بن جبیر عن ابن

المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: (إنا لمغرمون O بل نحن محرومون).

[٢٠، ٢١] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾، عبر، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذا ساروا فيها، من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾، آيات إذا كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطباع. ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

[٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾، قال عطاء: من الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

[٢٣] ﴿قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿وَمَثَلُ مَا أَنْكُمْ تَنْطُقُونَ﴾، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الأدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿هَلْ أُنْتَلَىٰ حَدِيثُ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهم الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى كما في سورة هود آية (٦٩)، ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كرامًا عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: (بل عبادٌ مكرمون)، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليفة، وضيف الكرام مكرمون. وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه. وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد: خدمته بنفسه إياهم. وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين.

[٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿سَلِّمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

[٢٦] ﴿وَرَاعٍ﴾، فعدل ومال، ﴿إِنَّكَ أَهْلُهُ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾، مشوي.

[٢٧-٢٩] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، فأوحس منهم خيفة قالوا لا نخف وبشروهم بغلنم عليهم، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوقٍ﴾، أي: صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالًا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تُؤلول كما قال الله تعالى: (قالت يا ويلتي)، ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبًا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئًا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿وَقَالَتْ حَجُورٌ عَقِيمٌ﴾، مجازة: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: كما قلنا لك قال ربك: إنك ستلدين غلامًا، ﴿إِنَّهُ هُوَ



الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ﴿٣١﴾.

[٣١، ٣٢] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿فَمَا حَطَبْتُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ قَوْمٍ لُوطٍ﴾.

[٣٣، ٣٤] ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ۚ مَّسُومَةً﴾، معلمة، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾، أي: في قري قوم لوط، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك قوله: (فأسر بأهلك بقطع من الليل).

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾، أي غير أهل بيت، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿آيَةً﴾، عبرة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكتهم فيخافون مثل عذابهم.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: (وفي الأرض آيات للموقنين)، وفي موسى، ﴿إِذْ أُرْسِلْتُهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ يَسُطِّنُ مِثِينَ﴾، بحجة ظاهرة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿بِرَبِّهِ﴾، أي بجمعه وجنوده الذين [كان] يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره قوله: (أو أوي إلى ركن شديد)، ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ جَحْمُونَ﴾، قال أبو عبيدة: (أو) بمعنى الواو.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، أغرقناهم فيه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي أت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ﴾، أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿إِذْ أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾، وهي التي لا خير فيها

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٥٢٢

الْحَاكِمِ الْعَلِيمِ

﴿قَالَ فَمَا حَطَبْتُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣١] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [٣٢] ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ﴾ [٣٣] ﴿مَّسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [٣٤] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣٥] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [٣٧] ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أُرْسِلْتُهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ يَسُطِّنُ مِثِينَ﴾ [٣٨] ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرَبِّهِ وَوَقَالَ سِحْرٌ أَوْ جَحْمُونَ﴾ [٣٩] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ وَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [٤٠] ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [٤١] ﴿مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ آتٍ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [٤٢] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [٤٣] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [٤٤] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا فِيهَا وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾ [٤٥] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [٤٦] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [٤٧] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْدُوءُ﴾ [٤٨] ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ ذَرِيرٌ مِّنْكُمْ﴾ [٥٠] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرُمَةٌ ذَرِيرٌ مِّنْكُمْ﴾ [٥١]

ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً.

[٤٢] ﴿مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ آتٍ عَلَيْهِ﴾، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم، ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وديس. قال مجاهد: كالتبين اليابس. قال قتادة: كريم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: (الصعقة)، وهي

الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، يرون ذلك عياناً.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾، منتقمين منّا. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: (وقوم) بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: (فأخذناه وجنوده فبنذناهم في اليم)، معناه: أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، أي من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله عز وجل: (وعلى الموسع قدره)، قال الحسن: المطيقون.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾، بسطانها ومهدناها لكم، ﴿فَنِعْمَ الْكَاهِنُونَ﴾، الباسطون نحن. قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي.

[٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

[٥٠، ٥١] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن

عبدالله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِتَّةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِتَّةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ﴾، أي كما كذبت قومك يا محمد وقالوا: ساحر أو مجنون، كذلك ﴿مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة، ﴿مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾.

[٥٣، ٥٤] قال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ بَدَاءَهُ﴾، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالكذب وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك، ﴿فَقَوْلٌ عَنَّهُمْ﴾، فأعرض عنهم، ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾، لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم.

[٥٥] فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فطابت أنفسهم. قال مقاتل: معناه عظ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عظ بالقرآن من آمن من قومك، فإن الذكرى تنفعهم.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: (وما خلقت الجن والإنس - من المؤمنين - إلا ليعبدون)، ثم قال في آية أخرى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد ابن أسلم، قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال علي بن أبي طالب رضي

الله عنه: **إِلَّا لِيَعْبُدُونَ أَيُّ إِلَّا لَأْمُرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُونِي** وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً)، وقال مجاهد: **إِلَّا ليعرفوني**. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله)، وقيل: معناه **إِلَّا لِيخضعوا إليّ ويتذلّلوا**، ومعنى العبادة في اللغة، التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر.

وقيل: **إِلَّا لِيَعْبُدُونَ إِلَّا لِيُوحِدُونَ**، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.

[٥٧] **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ**، أي أن يرزقوا أحدًا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، **وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ**، أي أن يطعموا أحدًا من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه. ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال:

[٥٨] **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ**، يعني لجميع خلقه، **ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ**، وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

[٥٩] **فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**، كفروا من أهل مكة، **ذُنُوبًا**، نصيبًا من العذاب، **مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ**، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، **فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ**، بالعذاب، يعني أنهم أخرّوا إلى يوم القيامة.

[٦٠] يدل عليه قوله عز وجل: **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**، يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

سُورَةُ الطُّورِ ٥٢٣

كذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ ﴿٥٢﴾

أَتَوْا صَوَابَهُ بِإِلْمِهِمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ﴿٢﴾ فِي رِزْقٍ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٤﴾

### (٥٢) سُورَةُ الطُّورِ

[١] **وَالطُّورِ**، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به.

[٢] **وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ** مكتوب.

[٣] **فِي رِزْقٍ مَنشُورٍ**، الرق: ما يكتب فيه، وهو أديم المصحف، والمنشور الميسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة [وموسى يسمع صرير القلم]. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله. دليله قوله عز وجل: (ونُخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا).

[٤] **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**، بكثرة الغاشية والأهل،

[١٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ﴾، يدفعون، ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾، دفعًا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزجًا في أفتيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

[١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، في الدنيا.

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدًا ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوبّخوا به، وقيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَصْلَاهَا﴾، قاسوا شدتها، ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا صَبْرًا سِوَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، الصبر والجزع، ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧، ١٨] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَيَعْبُرُونَ فِيهَا نَعِيمًا﴾، معجبين بذلك ناعمين، ﴿يَمَّا ءَانَهُمْ رَيْثُمْ وَوَقَّتَهُمْ رَيْثُهمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾، ويقال لهم:

[١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، مأمون العاقبة من التخمّة والسقم، ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿مُنْكَرِينَ عَلَى سُرْرِ مَصْصُوفَةٍ﴾، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَرَوَّحْتَهُمْ بِيُوحٍ عَيْنٍ﴾.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعًا لأحد الأبوين ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكريمًا لأبائهم لتقرّ بذلك أعينهم، وقال آخرون: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، أخبر الله عزّ وجلّ أنه

وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضُّرَّاح، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدًا.

[٥] ﴿وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ﴾، يعني السماء، نظيره قوله عزّ وجلّ: (وجعلنا السماء سقًا محفوظًا).

[٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمي. وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته. وقال الحسن وقادة وأبو العالية: هو اليباس الذي قد ذهب ماؤه ونضب.

وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالملح. وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، سعته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان. تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحًا فينبتون في قبورهم. هذا قول مقاتل. أقسم الله بهذه الأشياء.

[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، نازل كائن.

[٨] ﴿مَا لَمْ يَنْدَفِعْ﴾، مانع، ثم بيّن أنه متى يقع فقال:

[٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾، أي تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاءها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب.

[١٠] ﴿وَأَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا﴾، فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثورًا.

[١١، ١٢] ﴿فَوَيْلٌ﴾، فشدّة عذاب، ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين هم في حَوْضٍ يَلْعَبُونَ، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لا هين.

سورة الطور

٥٢٤

سورة الطور

أَفْسِحْرُهُذَٰلِكَ أَمْ أَنشَرْنَا لَنُبْصِرُوكَ ﴿١٥﴾ أَصَلُّوْهَا فَاصْبِرْ وَا  
 أَوْ لَا تَصْبِرْ وَا سَوَاءٌ عَلَيْكَ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾  
 إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِعِمْ ﴿١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رِيحٌ  
 وَوَقْنَهُمْ رِيحُهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا  
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ  
 بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا  
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنَّ عَمَلِهِمْ مِن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ  
 رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَوَلَحَرٍ مَّآسِيْنُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ  
 فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوْفِيهَا وَلَا تَأْسِيْمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلْمَانٌ  
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ  
 ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّه  
 عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ  
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ  
 رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْضَىٰ بِرَبِّهِ رَبِّ  
 الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَىٰ صَوَافِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْرِصِينَ ﴿٣١﴾

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾، في الدنيا،  
 ﴿نَدْعُوهُ﴾، نخلص له العباد، ﴿إِنَّهُ﴾، قرأ أهل  
 المدينة والكسائي (أنه) بفتح الألف، أي لأنه أو  
 بأنه. وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿هُوَ  
 الْبَرُّ﴾، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك:  
 الصادق فيما وعد ﴿الرَّحِيمُ﴾.

[٢٩] ﴿فَذَكَرْنَا﴾، يا محمد بالقرآن أهل مكة،  
 ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾، برحمته وعصمته،  
 ﴿بِكَاهِنٍ﴾، تتدع القرآن وتخبر بما في غد من غير  
 وحى، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾، نزلت في الذين اقتسموا  
 عقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر  
 والجنون والشعر.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني هؤلاء  
 المقتسمين الخراصين. ﴿شَاعِرٌ﴾، أي هو شاعر،  
 ﴿نَرِضُ بِهِ رَبِّ الْمُنُونِ﴾، حوادث الدهر وصروفه

يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحبُّ  
 في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضلهم  
 ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص  
 الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾  
 أي ما نقصناهم يعني الآباء، ﴿مِّنَّ عَمَلِهِمْ مِن شَيْءٍ كُلُّ  
 امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾، قال مقاتل: كل امرئ كافر  
 بما عمل من الشرك مرتين في النار، والمؤمن لا  
 يكون مرتين، لقوله عز وجل: (كل نفس بما كسبت  
 رهينة) (إلا أصحاب اليمين) ثم ذكر ما يزيدهم من  
 الخير والنعمة.

[٢٢] فقال: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾، زيادة على ما  
 كان لهم، ﴿وَلَحَرٍ مَّآسِيْنُونَ﴾، من أنواع اللحمان.  
 [٢٣] ﴿يَنْتَزِعُونَ﴾، يتعاطون ويتناولون، ﴿فِيهَا  
 كَأَسَا لَا لَعُوْفِيهَا﴾، وهو الباطل. وقال مقاتل بن  
 حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا  
 رث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم  
 فيها. وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا  
 ويرفثوا. ﴿وَلَا تَأْسِيْمٌ﴾، أي لا يكون منهم ما  
 يؤثمهم. قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا  
 ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر.  
 وقيل: لا يأثمون في شربها.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، بالخدمة، ﴿زُلْمَانٌ لَهُمْ  
 كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾، في الحسن والبياض والصفاء، ﴿لُؤْلُؤٌ  
 مَّكُونٌ﴾، مخزون مصون لم تمسه الأيدي. قال  
 سعيد بن جبير: مكنون يعني في الصدف.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يسأل  
 بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذاكرون  
 ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا﴾، في الدنيا،  
 ﴿مُشْفِقِينَ﴾، خائفين من العذاب.

[٢٧] ﴿فَمَنْ أَلَّه عَلَيْنَا﴾، بالمغفرة، ﴿وَوَقَدْنَا  
 عَذَابَ السَّمُورِ﴾، قال الكلبي: عذاب النار. وقال  
 الحسن: السَّمُوم اسم من أسماء جهنم.

هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم الله أمر؟  
 [٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ لَا يُقُونُونَ﴾.  
 [٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾، قال عكرمة: يعني النبوة. قال مقاتل: بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ﴾، المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، ويفعلون ما شاؤوا.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شَأْوَةٌ﴾، مرقى ومصعد إلى السماء، ﴿يَسْتَعْتُونَ فِيهِ﴾، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: (ولأصلبتكم في جذوع النخل) أي عليها، أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم متمسكون به كذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعْتَبُهُمْ﴾، إن ادعوا ذلك، ﴿بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾، بحجة بينة.

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون).

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾، جعلاً على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين، ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتَدِرُونَ﴾، أنقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل. وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: (تربص به ريب المنون)، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمداً ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾، قال القتيبي: فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم، قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: «أقضي بينكما بكتاب الله»، أي بحكم الله، وقال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، ويفترق أصحابه وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سُمياً بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾، انتظروا بي الموت، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِيعِينَ﴾، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾، عقولهم، ﴿بِهَذَا﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿أَمْ هُمْ﴾، بل هم، ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ فَقَوْلًا﴾، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالقرآن استكباراً.

[٣٤] ثم ألزمهم الحجة فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾، أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه، ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه.

[٣٥] ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، لأنفسهم ذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثاً وتروكوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾، مكرًا بك ليهلكوك، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾، أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾، يرزقهم وينصرهم، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف.

[٤٤] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾، قطعة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾، هذا جواب لقولهم: (فأسقط علينا كسفاً من السماء)، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿يَقُولُوا﴾، لمعاندهم هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، بعضه على بعض يسقينا.

[٤٥] ﴿فَدَرَّهْمٌ حَتَّى يَلْقَا﴾، يُعَايِنُوا، ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت.

[٤٦] ﴿يَوْمٌ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر. وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال البراء بن عازب: هو عذاب القبر. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن العذاب نازل بهم.

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمننا عليهم، ﴿فَإِنَّكَ بِأَيْمِينِنَا﴾، أي بمرأى منا، قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك

٥٢٥

سُورَةُ الطُّورِ

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ [٣٦] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٧] ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٣٨] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٣٩] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ﴾ [٤٠] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبُونَ﴾ [٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْبٌ لَيْسَ بِسُلْبٍ أَمْ هُمْ سَامِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَسْمِعَهُمْ بِسُلْطَنِ مِثْلِهِ إِنْ لَهُ الْبَلَدُ وَلَكُمْ الْبُيُوتُ﴾ [٤٢] ﴿أَمْ تَسْتَأْجِرُهُمْ أَجْرًا فَمِنْ مَقَرٍّ مُمْقِلُونَ﴾ [٤٣] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ [٤٤] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [٤٥] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٤٦] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [٤٧] ﴿فَدَرَّهْمٌ حَتَّى يَلْقَا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [٤٨] ﴿يَوْمٌ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [٤٩] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٠] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٥١] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [٥٢]

سُورَةُ النُّجُومِ

كان كفارة له. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صلِّ لله حين تقوم من مقامك. وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته.

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، أي صلِّ له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء. ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: هو فريضة صلاة الصبح.

## (٥٣) سُورَةُ النِّجْمِ

الله، وهو بالأفق الأعلى. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ .  
 [٩،٨] قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، اختلفوا في معناه، فقيل: جبريل فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى، وقال آخرون: ثم دنا الربُّ عزّ وجلّ من محمد ﷺ فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه. وقال الضحّاك: دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: (قاب قوسين) أي قدر قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمى به، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين.

[١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾، أي أوحى الله، ﴿إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، محمد ﷺ، قال ابن عباس، معناه أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عزّ وجلّ. قال سعيد بن جبیر: أوحى إليه: (ألم يجذك يتيمًا فأوى) إلى قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك)، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمّتك.

[١١] ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادَ مَا رَأَى﴾، قرأ أبو جعفر: ما كذب بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وقال آخرون: هو الله عزّ وجلّ. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، وهو قول ابن عباس، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه.

[١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، قال ابن عباس - في رواية الوالبي والعمري -: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهويه مغيبه، وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سُمي الكوكب نجمًا لظلمته، وكل طالع نجم يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع. عن ابن عباس: ما تُرمى بها الشياطين عند استراقهم السمع، وقيل: المراد بالنجم القرآن سُمي نجمًا لأنه نزل نجومًا متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيماً، والمفروق: منجمًا، والهوى: النزول من أعلى إلى أسفل.

[٢-٣] وجواب القسم. قوله: ﴿مَا صَلَّى صَاحِبِكُمْ﴾، يعني محمدًا ﷺ ما ضل عن طريق الهدى، ﴿وَمَا عَوَى﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

[٤] ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن، ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، يعني وحى من الله يُوحى إليه.

[٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾، وهو جبريل، والقوى جمع القوة.

[٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل. قال ابن عباس: ذو مرة يعني ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. ﴿فَأَسْتَوَى﴾، يعني جبريل.

[٧] ﴿وَهُوَ﴾، يعني محمدًا ﷺ، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، ﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضًا، أي قام في صورته التي خلقه



سورة النجم

٥٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ  
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾  
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾  
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾  
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ  
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ جَانَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾  
إِذِ يَعْنِي السِّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ  
مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَةَ  
الثَّالِثَةِ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ  
ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ  
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ  
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنَىٰ  
شَفَعْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْحَىٰ ﴿٢٦﴾

أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها .

[٢٠] ﴿وَمَنُوءَةَ﴾ قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد، وقال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مائة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة. وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها، وأما قوله: ﴿الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

[٢١، ٢٢] فقال الله تعالى منكرًا عليهم: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ، قال ابن عباس وقتادة: أي قسمة جائزة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة

[١٢] ﴿أَفْتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (أفتمرونه) بفتح التاء بلا ألف، أي أفتمجدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: (أفتمارونه) بالألف وضم التاء، على معنى أفتمجدلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس .

[١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه نازلًا من السماء نزلة أخرى. وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء .

[١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: (نزلة أخرى) هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فأرى ربه في بعضها، والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق .

[١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: تأوي إليها أرواح الشهداء .

[١٦] ﴿إِذِ يَعْنِي السِّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب، وقال مقاتل: تغشاها الملائكة وقال السدي: من الطيور، وعن الحسن قال: غشيتها نورُ ربِّ العزة فاستتارت .

[١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، أي ما مال بصر النبي ﷺ يمينًا ولا شمالًا وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً .

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، يعني الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده .

[١٩] قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾، هذه أسماء

- عوجاء. وقال الحسن: غير معتدلة.
- [٢٣] ﴿إِنَّ هِيَ﴾، ما هذه الأصنام، ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.
- [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، أيطن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعاة الأصنام.
- [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى لا يملك أحدٌ فيهما شيئاً إلا بإذنه.
- [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿لَا تُعْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾، في الشفاعاة، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضُ﴾، أي من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله: (وكم من ملك)، الكثرة فهو كقوله: (فما منكم من أحد عنه حاجزين).
- [٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُنثَى﴾، أي بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله.
- [٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، قال مقاتل: معناه ما يستيقنون أنهم إناث، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: الحق بمعنى العذاب، أي أظنهم لا ينقذهم من العذاب.
- [٢٩] ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿وَلَوْ يُرَدُّ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.
- [٣٠] ثم صغّر رأيهم فقال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هَدَى﴾، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.
- [٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفْتُوا بِمَا عَمِلُوا﴾، فاللام في قوله: (ليجزى) متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلًّا بما يستحقه، الذين أسأوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾، وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: (ولله ما في السماوات وما في الأرض).
- [٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلتم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الواقعة ثم ينتهي، وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة ولا إقامة عليه. وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب

العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه .  
وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي  
خطر . وقال الحسين بن الفضل: اللمم النظرة من  
غير تعمد فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم  
وهو ذنب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾، قال ابن  
عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام ههنا، ثم  
قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، أي  
خلق أباكم آدم من التراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾، جمع  
جنين، سمي جنينًا لاجتنانه في البطن، ﴿فِي بُطُونٍ  
أُمّهتِكُمْ فَلَا تَرُكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال ابن عباس: لا  
تمدحوها . قال الحسن: علم الله من كل نفس ما  
هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تركوا أنفسكم،  
فلا تبرؤوا عن الآثام ولا تمدحوها بحسن  
أعمالها . ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى﴾، أي برّ وأطاع  
وأخلص العمل لله تعالى .

[٣٣] قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾،  
نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ  
على دينه فغيره بعض المشركين، وقال: أتركت  
دين الأشياخ وضلللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب  
الله فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله  
ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع  
الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيّره بعض ذلك  
المال الذي ضمن ومنعه تاممه، فأنزل الله عزّ  
وجلّ: (أفرايت الذي تولى) أدبر عن الإيمان .

[٣٤] ﴿وَأَعْطَى﴾، صاحبه، ﴿قَلِيلًا وَكَذِبًا﴾،  
بخل بالباقي، ومعنى أكدي: يعني قطع، وأصله  
من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من  
الحفر، تقول العرب: أكدي الحافر وأجبل إذا بلغ  
في الحفر الكدية والجبل .

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرِي﴾، ما غاب عنه  
ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه .

[٣٦] ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنَّا﴾، لم يخبر، ﴿بِمَا فِي صُحُفٍ  
مُوسَى﴾، يعني: أسفار التوراة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢٧

سُورَةُ النُّجُومِ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمُتَلَكِّكَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٣٧﴾  
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي عَنْ  
الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ  
سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٤٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا  
فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا  
بِالْحُسْنَى ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ  
إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمّهتِكُمْ فَلَا تَرُكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ أَتَقَى ﴿٤٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٤٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَكَذِبًا  
﴿٤٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرِي ﴿٤٥﴾ أَمْ لَمْ يُبَيِّنَّا فِي صُحُفٍ  
مُوسَى ﴿٤٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤٧﴾ أَلَا نُنَزِّلُ الْوَحْيَ وَنُنَزِّلُ الْوَحْيَ  
﴿٤٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ  
يُرَى ﴿٥٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٥١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى  
﴿٥٢﴾ وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ﴿٥٣﴾ وَأَنْهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٥٤﴾

[٣٧] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾، وفي صحف إبراهيم عليه  
السلام، ﴿الَّذِي وَفَّى﴾، تمّم وأكمل ما أمر به . قال  
الحسن وسعيد بن جبير وقتادة: عمل بما أمر به  
وبلغ رسالات ربه إلى خلقه . قال مجاهد: وفّى بما  
فُرض عليه . قال الربيع: وفّى رؤياه وقام بذبح  
ابنه . وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة .  
وقال أبو العالية: وفّى سهام الإسلام . والتوفية  
الإتمام . وقال الضحّاك: وفّى ميثاق المناسك .

[٣٨] ثم بيّن ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَا نُزِّلُ  
وَرَزْرَةً وَرَزْرَةً أُخْرَى﴾، أي لا تحمل نفس حامله حمل  
أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها .

[٣٩] ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، أي عمل  
كقولهِ: (إن سعيكم لشتى)، وهذا أيضًا في صحف  
إبراهيم وموسى .

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يُرَى﴾، في ميزانه يوم

أعطى وقع. وقال ابن زيد: أغنى أكثر، وأقنى أقل، وقرأ: (يسبط الرزق لمن يشاء ويقدر)، وقال الأخفش: أقنى أفقر. وقال ابن كيسان: أولد.

[٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾، وهو كوكب خلف الجوزاء وكانت خزاعة تعبدها.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادًا الأخرى.

[٥١] ﴿وَنُوحًا﴾، وهم قوم صالح أهلکهم الله بالصيحة، ﴿فَأَنبَأَهُ﴾، منهم أحدًا.

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّمْ كَانُوا هُمِ الظَّالِمِينَ﴾، لطلوع دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

[٥٣] ﴿وَالْمُؤَلَّفَكَ﴾، يعني: قرى قوم لوط، ﴿أَهْوَى﴾، أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء.

[٥٤] ﴿فَسَنَّهَا﴾، ألبسها الله، ﴿مَا عَشَى﴾، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

[٥٥] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَ﴾، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿نَتَمَارَى﴾، تشك وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

[٥٦] ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمدًا، ﴿مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾، أي رسول من الرسل أرسل إليك كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة: يقول أنذر محمدًا كما أنذر الرسل من قبله.

[٥٧] ﴿أَفَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ﴾، دنت القيامة واقتربت الساعة.

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى: (لا يجليها لوقتها إلا هو)، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرًا كالخيالة والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا

القيامة، مأخوذة من: من أربته الشيء.

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأُولَى﴾، الأكمل والأتم أي يجزي الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلانًا سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم. وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان بقبضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، من كل حيوان.

[٤٦] ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾، أي تصب في الرحم، يقال منى الرجل وأمنى وقيل: تُقَدَّرُ، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى﴾، أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

[٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال، وأقنى أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم. وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم. وقال ابن عباس: أغنى وأقنى: أعطى فأرضى. قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما

يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها رادّ يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشداقدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد.

[٥٩، ٦٠] ﴿أَفَإِنْ هَذَا الْحَدِيثُ﴾، يعني القرآن، ﴿تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ﴾ الاستهزاء، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، لما فيه من الوعد والوعيد.

[٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سِيدُونَ﴾، لاهون غافلون، والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عتاً سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعمري عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك: أشرون بطرون.

[٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، أي وابدوه.

## (٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ

[١] ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةَ﴾، دنت القيامة، ﴿وَأَسْقَى الْقَمَرَ﴾، عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما<sup>(١)</sup>.

[٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعَرَّبٌ﴾، أي ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مرّ الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قرّ واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مرّ الحبل إذا صلب واشتدّ، وأمرته أنا إذا أحكمت فتلّه واستمر الشيء إذا قوي واستحکم.

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عزّ وجلّ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرَّرٌ﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فيسيظهر وما كان منه في الآخرة فيسيعرف. وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل

سُورَةُ الْقَمَرِ

٥٢٨

سُورَةُ الْقَمَرِ

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٥٦﴾ وَأَنَّهُ عَلَّمَهُ الْغَيْثَ وَالْأَنْخَى ﴿٥٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

السَّعْرَى ﴿٥٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٦٠﴾ وَثَمُودَ إِذْ تَبَقَى ﴿٦١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ أَطْلَمَ وَاطْلَمَى ﴿٦٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ

أَهْوَى ﴿٦٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا عَشَى ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكَ تَسْمَأَى ﴿٦٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ﴿٦٦﴾ أَرَأَيْتِ الْآرَافَةَ ﴿٦٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٨﴾ أَفَإِنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ ﴿٦٩﴾ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٧١﴾ فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٧٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتْ السَّاعَةَ وَأَسْقَى الْقَمَرَ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا

وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعَرَّبٌ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

وَكَرَّوْا سِحْرًا مُسْتَعَرَّبًا ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّنْذِرَ

﴿٥﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ ﴿٦﴾

الخير، والشر مستقر بأهل الشر. وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب. وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل: كل ما قدر كائن وواقع لا محالة.

[٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾، يعني أهل مكة، ﴿مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهى وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهته عن السوء، وأصله مزترج، فُلبت التاء دالاً.

[٥] ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾، يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿فَمَا تُغْنِ التَّنْذِرَ﴾، يجوز

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ١٨٧/٧.

ماء السماء و ماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدًا لأن الماء يكون جمعًا وواحدًا، ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدِّدِرٍ﴾، أي قضي عليهم في أم الكتاب. وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماء ان سواء فكانا على قدر.

[١٣] ﴿وَحَمَلْتُهُ﴾، يعني نوحًا، ﴿عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ﴾، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، (ودسر) أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شدتها بالمسامير. وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدرس الماء بجوئجها، أي تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها. وقال الضحاك: الألواح جانبها، والدسر أصلها وطرفها.

[١٤] ﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي بمرأى منا. وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا. ﴿جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾، يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابًا لمن كان كُفر به وجُحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: (من) بمعنى (ما) أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لِمَا صنع بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾، يعني الفعلة التي فعلنا، ﴿آيَةً﴾، يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله بياقردى من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿نَهَلٍ مِّنْ مُّدْرِكٍ﴾، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

أن تكون (ما) نفيًا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهامًا، والمعنى: فأى شيء تغني النذر إذا خالفهم وكذبهم، كقوله: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)، والنذر جمع نذير.

[٦] ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾، أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال. قيل: ههنا وقف تام. وقيل: فتول عنهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرأفيل ينفخ قائمًا على صخرة بيت المقدس، ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ﴾، منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظامًا.

[٧] ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُ﴾ في قراءة عبدالله: (خاشعة أبصارهم)، أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَعْدَابِ﴾، من القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: (كالفرش المبعوث)، وأراد أنهم يخرجون فرعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.

[٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾، مسرعين مقبلين، ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، إلى صوت إسرأفيل، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَيْرٍ﴾، صعب شديد.

[٩] قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾، أي قبل أهل مكة، ﴿قَوْمٌ نُّوحٌ فَكذبوا عِدَانًا﴾، نوحًا، ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾، أي زجروه عن دعوته ومقاتله بالشم والوعيد، وقالوا: (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين)، وقال مجاهد: معنى ازدجر أي استظير جنونًا.

[١٠] ﴿فَدَعَا نُوْحًا﴾، ﴿رَبَّهُ﴾، وقال، ﴿أَنِّي مَعْلُوبٌ﴾، مقهور، ﴿فَأَنْصَرَّ﴾، فانتقم لي منهم.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثِيرٍ﴾، منصب انصبابًا شديدًا لم ينقطع أربعين يومًا.

[١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾، يعني

[١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، أي إنذاري، قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذارًا ونذراً، كقولهم أنفقت إنفاقًا ونفقة، وأيقنت إيقانًا وإيقينًا، أقيم الاسم مقام المصدر.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا﴾، سهلنا، ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، متعظ بمواعظه.

[١٨، ١٩] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا، شديدة الهبوب، ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مُتَمَرِّمٍ﴾، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يبق منهم أحد إلا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

[٢٠] ﴿نَزَعُ النَّاسِ﴾، تعلقهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم. وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، ﴿كَانَهُمْ أَعْمَارُ نَخْلٍ﴾، قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل. ﴿مُنْفَعِرٍ﴾، منقلع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الأعجاز عجز، مثل عضد وأعضاد، وإنما قال: (أعجاز نخل) وهي أصولها التي قطعت فروعها لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فبقى أجسادهم بلا رؤوس.

[٢١-٢٣] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾، بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَشْرًا﴾، آدميًا، ﴿مَنَا وَحِدًا تَبِعَهُ﴾، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، ﴿إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَلٍ﴾، خطأ وذهاب عن الصواب، ﴿وَسُعْرٍ﴾، قال ابن عباس: عذاب. وقال الحسن: شدة عذاب. وقال قتادة: عناء، يقولون: إنا إذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته. قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعيير. وقال الفراء: جنون، يقال

حُشْعًا أَبْصَرَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝ مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ فِمْرِيُّ بْنُ إِذْهَارَ بْنِ قَلْبَةَ بْنِ كِلَابٍ الْغَدَقِيُّ أَن أَعْتَدَ اللَّهُ لِمَنْ كَفَرَ رِيهَ ۝ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۝ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُثَمَرٍ ۝ وَفَجْرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كٰفِرٌ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۝ وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مُتَمَرِّمٍ ۝ نَزَعُ النَّاسِ كَانَهُمْ أَعْمَارُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۝ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۝ وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوا أَبَشْرًا مَنَا وَحِدًا تَبِعَهُ ۝ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ۝ أَهْلَيْ الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝ سَعِيَامُونَ غَدًا ۝ مِنَ الْكَذَّابِ ۝ إِنَّا مُرْسَلُونَ أَنْتَاقَهُ فَنَنْهَاهُمْ فَأَرْفَعُهُمْ وَأَضْطَرُّهُ ۝

ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها. وقال وهب: وسعُر: أي بُعِدَ عن الحق.

[٢٥] ﴿أَهْلَيْ الذِّكْرِ﴾، أنزل الذكر: الوحي، ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾، بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، والأشُر المرح والتعجب.

[٢٦] ﴿سَعِيَامُونَ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة: (ستعلمون)، بالتاء على معنى قال صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿سَعِيَامُونَ غَدًا﴾، حين ينزل بهم العذاب. وقال الكلبي: يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غداً، ﴿مَنْ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ﴾.

[٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسَلُونَ أَنْتَاقَهُ﴾، أي باعشوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوها أن يخرجها منها، وذلك أنهم تعنتوا على صالح، فسألوه أن

يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشاء، فقال الله تعالى: ﴿فِنَّةٌ لَهُمْ﴾، محنة واختباراً لهم، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾، فانتظر ما هم صانعون، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾، على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

[٢٨] ﴿وَبَيَّنْهُمْ أَنْ الْمَاءَ فَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال: «بينهم» لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم، ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾، نصيب من الماء، ﴿مُحَضَّرٌ﴾، يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وأحضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

[٢٩] ﴿فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ﴾، وهو قدار بن سالف، ﴿فَعَطَايُنُ﴾، فتناول الناقة بسيفه ﴿فَعَقَرَهَا﴾، أي فَعَقَرَهَا.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ثم بين عذابهم.

[٣١] فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾، كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيبس هشيمًا. وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

[٣٢-٣٤] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾  
 ٥ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطٍ بِالنُّذْرِ ٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا، رِيحًا ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، يعني يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا آءَالَ لَوْطٍ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، ﴿بِجَحِيْنَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿بِسَحْرِ﴾.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

٥٣٠

سُورَةُ الْقَمَرِ

وَبَيَّنْهُمْ أَنْ الْمَاءَ فَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُحَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ فَعَطَايُنُ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آءَالَ لَوْطٍ لَّيَحْتَبِئُهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نَعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَبْنَاهُمْ بَكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَلْهَا فَاخَذْنَا مِنْهُمُ أَخَذًا عَزِيمًا مَقْنَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارًا كَرِهَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ أَزْوَاجًا لَم يَأْمُرُ بِالنُّذْرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَمِعْنَا أَلْحَمْدُ وَيُؤْتُونَ الذُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٣٥] ﴿نَعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما أنعمنا على آل لوط، ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾، قال مقاتل: مَنْ وَحَدَ اللهُ لَمْ يَعْذِبْهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾، لوط، ﴿بَطْشَتَنَا﴾، أخذنا إياهم بالعقوبة، ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ﴾، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خلّ بينهم وبين الدخول فإننا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عمياً يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: (فطمسنا أعينهم) يعني صيرناها



قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما نزلت: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر<sup>(١)</sup>، أي أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾، قيل: في ضلال بعد عن الحق. قال الضحاك: وسعر أي نار تسعر عليهم. وقيل: في ضلال: ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، وسُعر: نار مسعرة، قال الحسين بن فضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة. وقال قتادة: في عناء وعذاب.

[٤٨] ثم بين عذابهم فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾، يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، ويقال لهم ﴿دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، قوله: (واحدة)، ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمحجء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾، أشباهكم

كسائر الوجه لا يُرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا: ﴿فَدُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَبْنَاهُمْ بَكْرَةً﴾، جاءهم وقت الصبح، ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذابٌ حق. [٣٩-٤١] ﴿فَدُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْيَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾، يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرتهم بها موسى.

[٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّابًا﴾، وهي الآيات التسع، ﴿فَاخَذْنَاهُمْ﴾، بالعذاب، ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾، غالب في انتقامه، ﴿مُقَدِّرٌ﴾، قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

[٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾، أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾، من العذاب، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة، ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يدٌ واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.

[٤٥] قال الله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ﴾، يعني كفار مكة، ﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع.

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ﴾،

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢٥٩/٢ والطبري ١٠٨/٢٧ والإمام

أحمد ١/٣٢٩.

ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾، يعني فعله الأشياخ من خير وشر، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾، في كتاب الحفظ، وقيل: في اللوح المحفوظ.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾، مكتوب، يقال: سطر واستطرت وكتبت وكتبت وكتبت.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾، بساتين، ﴿وَنَهْرٍ﴾، أي أنهار، ووحدته لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة، ومنه النهار. وقرأ الأعرج: (ونهر) بضمين جمع النهار يعني لا ليل لهم.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾، ملك قادر لا يعجزه شيء.

## (٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَنِ

يعني محمدًا ﷺ (علمه البيان) يعني بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال مجاهد: كحسبان الرحي يدوران في مثل قطب الرحا، قال غيره: معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدونها، قاله ابن عباس وقتادة، وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بهما تحسب الأوقات والآجال، وقال الضحاك: يجريان بقدر.

[٦] ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: (يتفيؤ ظلالة عن اليمين والشمال سجداً لله) وقال مجاهد: النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر.

[٢] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، قال الكلبي علم القرآن محمدًا. وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

[٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، يعني آدم عليه السلام.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمئة لغة أفضلها العربية. وقال الآخرون: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان: النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال ابن كيسان: (خلق الإنسان)

[١٣] ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيدي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسنٌ تقريراً.

[١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ .  
[١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾، وهو أبو الجن وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط.  
[١٦، ١٧] ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، مشرق الصيف ومشرق الشتاء. ﴿وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ﴾، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

[١٨] ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .  
[١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ .  
[٢٠] ﴿يَتَّبِعُمَا بَرْزَخٌ﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرغ.

[٢١] ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .  
[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة (يخرج) بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿الْوَالُوُّ وَالْمَرَجَاتُ﴾، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كما

﴿الْمِيزَانُ﴾، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل، المعنى أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى:

[٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾، أي لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن وقاتدة والضحاك: أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير. ألا تطغوا: يعني لثلاث تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

[٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾، ولا تنقصوا ﴿الْمِيزَانَ﴾، ولا تطففوا في الكيل والوزن.  
[١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، للخلق الذين بثهم فيها.

[١١] ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾، الأوعية التي يكون فيها التمر، لأن تمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كم، وكل ما ستر شيئاً فهو كم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، قال الضحاك: ذات الأكمام أي ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها ليفها. وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينفث.

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾، أراد بالحب جميع الحبوب التي يثقت بها. قال مجاهد: هو ورق الزرع. والعصف ورق كل شيء يخرج منه الحب، وقال ابن عباس: هو التبن. وعنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: (كعصف مأكول). ﴿وَالرِّيحَانُ﴾، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق. قال الحسن وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك: العصف هو التبن والريحان ثمرته.

قال عز وجل: (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) وكان الرسل من الإنس دون الجن وقال بعضهم: يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة ما عظم من الدر، والمرجان صغارها.

[٢٣، ٢٤] ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ۝ وَآءِ الْجَوَارِ﴾، السفن الكبار، ﴿الْمُنشآت﴾، وقرأ حمزة وأبو بكر: المنشآت بكسر الشين، أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن، وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت. وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر.

[٢٥] ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾.

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه، ﴿فَانِ﴾، هالك.

[٢٧] ﴿وَبِئْسَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

[٢٨، ٢٩] ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من ملك وإنس وجن. وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السماوات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضًا لهم الرزق والمغفرة. ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا. قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق، ويعزّ قومًا ويذلّ قومًا ويشفي مريضًا ويفك عانيًا

رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ وَآءِ الْجَوَارِ الْمُنشآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبِئْسَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾ سَنَأْتُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْشَعُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَآلَافُ الْمُنْفُذِينَ ﴿٣٣﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يَرْسُلُ عَلَيْكُمْ سَوَاطِدٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْصَرُونَ ﴿٣٥﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾

ويفرج مكروبًا ويحيب داعيًا ويعطي سائلًا ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

[٣٠، ٣١] ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ۝ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾، وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغن لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن. وقال آخرون: معناه سنقصدم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل الذي لا شغل له: قد تفرغت لك. وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فتم ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل. ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾، أي الجن والإنس، سميا ثقيلين

الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، ﴿كَالَّذِينَ﴾، جمع دهن، شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الورد في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاک ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً. وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي. وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم. وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن.

[٣٨، ٣٩] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوَدُّ لَّا يَسْأَلَ عَن ذُنُوبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾، قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم، لأن الله عز وجل علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وعنه أيضاً: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده، وهذا قول مجاهد. وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: (فوربك لنسألنهم أجمعين)، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟ وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وعن ابن عباس أيضاً لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ. وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم. [٤٠، ٤١] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سِيمَهُمْ﴾، وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جل ذكره: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويُلقون في النار.

[٤٢] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٣] ثم يقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا

لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتاً. [٣٢، ٣٣] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَمَعَشَرَّ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَفْذُوبُوا﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿مِنَ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من جوانبهما وأطرافهما، ﴿فَأَنْفُذُوا﴾، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جل ذكره: (أيما تكونوا يدرككم الموت)، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، أي بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني. وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله عز وجل.

[٣٤] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾، وهو اللهب الذي لا دخان فيه، هذا قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ قال سعيد بن جبير والكلبي: النحاس الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة: النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عبدالله بن مسعود النحاس هو المهل. ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾، أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه.

[٣٦، ٣٧] ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا أَنْشَقَّتْ﴾، انفرجت، ﴿السَّمَاءُ﴾، فصارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَّرْدَةً﴾، أي كلون الفرس

الْمُجْرِمُونَ»، المشركون.

[٤٨] فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، أغصان واحدها

ففن، وهو الغصن المستقيم طولاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان، وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما.

[٤٩، ٥٠] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسيل. وقال عطاء: إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.

[٥١، ٥٢] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رِزْقَانِ﴾، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً ويابساً. قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.

[٥٣، ٥٤] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾، جمع فراش، ﴿بَطَانِهَا﴾، جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة. وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض. ﴿مِنْ إِسْتَرْبِقٍ﴾، وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر. ﴿وَحَى الْجَنَّةِ دَانَ﴾، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيتها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً. قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك.

[٥٥، ٥٦] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝ فِيهَا قَصْرَاتٌ أَلْوَانٌ﴾، غاضات الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم، ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ﴾، لم يجامعن ولم يفترعهن،

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾، قد انتهى حره. قال الزجاج: أنى يأتي فهو أن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الحميم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الأنى الذي صار كالمهل، وهو قوله: (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل)، وقال كعب الأحبار: أن وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، وذلك قوله: (يطوفون بينها وبين حميم آن).

[٤٥] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: (كل من عليها فان) إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقول (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.

[٤٦] فقال: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله. وقوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾، قال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم. قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته. قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد. وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.

[٤٧] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾، ثم وصف الجنتين.

سورة الرحمن

٥٣٣

سورة الرحمن

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سِيعَتَهُمْ فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوْصَى وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِي  
 ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ  
 ﴿٤٣﴾ طُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ إِنْ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ  
 ﴿٤٤﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٥﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ  
 ﴿٤٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٧﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهَا عِيسَى  
 بَنُ مَرْيَمَ ﴿٤٩﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٠﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ  
 زَوْجَانِ ﴿٥١﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ  
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٣﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا  
 تَكْذِبَانِ ﴿٥٤﴾ فِيهِنَّ قِصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قِبَلِهِمْ  
 وَلَا جَانٌ ﴿٥٥﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ  
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٨﴾ هَلْ جَزَاءُ  
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٩﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٠﴾ هَلْ جَزَاءُ  
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦١﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٢﴾ وَمِنْ  
 دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴿٦٣﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهَا  
 عِيسَى نَصَاحَتَانِ ﴿٦٥﴾ فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٦﴾

عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٧﴾، فوارتان بالماء لا تنقطعان،  
 والنضخ فوران الماء من العين.

[٦٨، ٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ فِيهَا  
 فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، قال بعضهم: ليس النخل  
 والرمان من الفاكهة، والعامه على أنها من الفاكهة،  
 وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة  
 الفواكه للتخصيص والتفصيل.

[٧٠، ٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ فِيهِنَّ﴾،  
 يعني في الجنات الأربع، ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾، روى  
 الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله  
 ﷺ: أخبرني عن قوله: (خيرات حسان)، قال:  
 «خيرات الأخلاق حسان الوجوه»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام الطبري في تفسيره، بإسناده مرفوعاً إلى النبي  
 ﷺ، ج ٢٧/٩٢.

وأصله من الدم، ومنه قيل للحائض طامث، كأنه  
 قال: لم يدمهن بالجماع، ﴿إِنَّ قِبَلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾،  
 قال مقاتل: لأنهن خلقهن في الجنة. فعلى قوله  
 هؤلاء من حور الجنة. وقال الشعبي: هن من نساء  
 الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن، وهو قول الكلبي:  
 يعني لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه  
 إنس ولا جان.

[٥٨، ٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ كَأَنَّهُنَّ  
 الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في  
 بياض المرجان.

[٦٠، ٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ هَلْ جَزَاءُ  
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾، أي ما جزاء من أحسن في  
 الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة. وقال ابن  
 عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما  
 جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

[٦٢، ٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ وَمِنْ دُونِهِمَا  
 جَنَّاتٍ﴾، أي من دون الجنة الأولى جنتان  
 أخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج.  
 وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو  
 موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان  
 من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع  
 جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة  
 زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين (فيها  
 فاكهة ونخل ورمان). وقال الكسائي: (ومن  
 دونهما) أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول  
 الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة  
 والأخريان من ياقوت.

[٦٤، ٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥  
 مُدَّهَاتِمَاتَانِ﴾، ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة  
 خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى  
 السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد ريباً  
 ادهيماماً فهو مدهام.

[٦٦، ٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ٥ فِيهَا

وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

[٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِنَا﴾، لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كذب، كقوله: (لا تسمع فيها لاغية)، أي لغو، يعني أنها تقع صدقاً وحقاً. والكاذبة اسم كالعافية والنازلة.

[٣] ﴿حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾، تخفض أقواماً إلى النار، وترفع آخرين إلى الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين.

[٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾، حركت وزلزلت زلزلة، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً. قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها. وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتج.

[٥] ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: فتت فتأ فصارت كالدقيق المبسوس وهو كسراً، وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييراً. قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: (فقل ينسفها ربي نسفاً) قال ابن كيسان: جعلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شامخة طويلة.

[٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾، غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.

[٧] ﴿وَكُنُفٌ أَرْوَجًا﴾، أصنافاً، ﴿تَلْتَأَتُ﴾.

[٨] ثم فسرها فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال الضحاك: هم الذين

[٧١، ٧٢] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُرِّ مَقْصُورَتٌ﴾، محبوسات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبعين بهم بدلاً، ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾، جمع خيمة.

[٧٣-٧٦] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَٰهٌ مِّنْهُنَّ وَلَا جَانٌّ ۝ فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفِ حَضْرٍ﴾، قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة خضر مخضبة. ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها ررفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي. وروى العوفي عن ابن عباس: الرفرف فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة: الزرابي. وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرِف. ﴿وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ﴾، هي الزرابي والطنافس الشخان، وهي جمع واحدها عبقرية، وقال قتادة: العبقرى عتاق الزرابي، وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة. وقال القتيبي: كل ثوب موسى عند العرب عبقرى. وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي. قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»<sup>(١)</sup>.

[٧٧، ٧٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۝ بَدْرًا أَمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، قرأ أهل الشام (ذو الجلال) بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم.

## (٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، إذا قامت القيامة.

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٤١/٧، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٩٣) ٤/١٨٦٢.



سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

٥٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي مَآفِكِهِمْ وَنَجَلَ وَمَأَنَّ ۝١٨ ۝ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانَ ۝١٩  
 فِي هُنَّ خَيْرٌ حَسَانٌ ۝٢٠ ۝ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانَ ۝٢١ ۝ حُورٌ  
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝٢٢ ۝ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانَ ۝٢٣  
 لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُنَّ لَأِنَّ قُلُوبَهُنَّ لَاجَانٌ ۝٢٤ ۝ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانَ  
 ۝٢٥ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرُفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِي حَسَانٍ ۝٢٦ ۝ فَيَأْتِي  
 ءَ الْآءِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبَانَ ۝٢٧ ۝ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٨

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ ۝ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝٣  
 ۝٤ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٥ ۝ وَسُتَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝٦  
 فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا ۝٧ ۝ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٨ ۝ فَأَصْحَابُ  
 الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٩ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ  
 الْمَشْأَمَةِ ۝١٠ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١١ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١٢  
 فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝١٣ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۝١٤ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝١٥  
 ۝١٦ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝١٧ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ۝١٨

كل خير.

[١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، من الله.

[١٢، ١٣] ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ٥ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾،

أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ، والثلة: الجماعة غير محصورة العدد.

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، يعني من هذه الأمة،

قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ.

[١٥] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾، منسوجة كما توضحن

حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض. قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

[١٦] ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ﴾، لا ينظر بعضهم

في قفا بعض.

يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه ﷺ، فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

[٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، يعني

أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمي، ومنه يسمى الشام واليمين، لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي. وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم. وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

[١٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال ابن عباس:

السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة. وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام. قال ابن

سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين، دليله قوله: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)،

قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى.

وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى

عنه: إلى الصلوات الخمس. وقال الضحاك: إلى الجهاد. وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى

التوبة وإلى أعمال البر. قال الله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم)، ثم أثنى عليهم فقال: (أولئك

يسارعون في الخيرات وهم لهم سابقون)، قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه. وروي

عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة. وقيل: هم أولهم رواحًا إلى المسجد

وأولهم خروجًا في سبيل الله. وقال القرظي: إلى

- [١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، للخدمة، ﴿وَلَدَانٌ﴾، غلمان، ﴿مُخَلَّدُونَ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون. وقال الفراء: تقول العرب لمن كبر ولمن شمت إنه مخلد. قال ابن كيسان: يعني ولدانا لا يحولون من حالة إلى حالة. قال سعيد بن جبيرة: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط. قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.
- [١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا أذان لها ولا عرى، والأباريق وهي ذوات الخراطيم سميت بأباريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، خمر جارية.
- [١٩] ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾، أي لا يسكرون، هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا ينفذ شرابهم.
- [٢٠] ﴿وَفِكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾، يختارون ما يشتهون، يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.
- [٢١] ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحيفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.
- [٢٢] ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: بكسر الراء والنون، أي وبحور عين، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين. وقرأ الباقون بالرفع أي ويطوف عليهم حور عين. وقال الأخفش: رفع على معنى لهم حور عين، وجاء في تفسيره حور عين بيض ضخام العيون.
- [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.
- [٢٤] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
- [٢٥، ٢٦] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ۝ إِلَّا قِيْلًا﴾، أي قولاً: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾، نصبهما اتباعاً لقوله قِيْلًا أي يسمعون قِيْلًا سلاماً سلاماً. قال عطاء: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره:
- [٢٧، ٢٨] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه. قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً.
- [٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾، أي موز، واحدها طلحة، عن أكثر المفسرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال الفراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: ﴿وَطَلْحٍ مَّضُودٍ﴾، فقال: وما شأن الطلح إنما هو طلح منضود ثم قرأ (طلعها هضيم) قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول، والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليس هو سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقتها إلى أفنانها ثمر كله.
- [٣٠] ﴿وَطَلِّ مَمْدُودٍ﴾، دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.
- [٣١] ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخذود لا ينقطع.
- [٣٢، ٣٣] ﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، قال ابن عباس: لا تقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها. وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن. وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما

يحظر على بساتين الدنيا .

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾، قال علي رضي الله عنه: (وفرش مرفوعة) على الأسرة. وقال جماعة من المفسرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية. وقيل: أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، مرفوعة رفعت بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

[٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾، خلقناهن خلقاً جديداً، قال ابن عباس: يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقاً آخر.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾، عذارى، وقال المسيب ابن شريك: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً. وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا. وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكاراً عذارى وليس هناك وجع.

[٣٧] ﴿عَرَبًا﴾ جمع عرب أي عواشق محبات إلى أزواجهن. وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عرباً حسنات الكلام. ﴿أَرْبَابًا﴾، مستويات في السن على سن واحد.

[٣٨] قوله عز وجل: ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين.

[٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.

[٤٠] ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، من مؤمني هذه الأمة، وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة.

[٤١، ٤٢] قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝ فِي سَمُورٍ﴾، ريح حارة، ﴿وَحَمِيمٍ﴾، ماء حار.

[٤٣] ﴿وَطَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾، دخان شديد السواد،

سورة الواقعة

٥٣٥

سورة الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَبَارِيقَ وَكَاسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْطَ مَمَائِتَ حَيْرَاتٍ ﴿٢٠﴾ وَلَمَّ طَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جِزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَغْوًا وَلَا نَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا فِي سَلَامٍ سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلٍ مَّدْودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْطَ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٢﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٤﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٥﴾ عَرَبًا أَرْبَابًا ﴿٣٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤٠﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَطَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۗ إِنَّا نَلْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ أَوْءَا بَابُؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٩﴾

تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود. وقال ابن كيسان: اليحموم اسم من أسماء النار.

[٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، قال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر. وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم: ولا حسن، نظيره (من كل زوج كريم). وقال مقاتل: طيب.

[٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، يعني في الدنيا، ﴿مُتْرَفِينَ﴾، منعمين.

[٤٦] ﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ﴾، يقيمون ﴿عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ﴾، على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال الشعبي: (الحنث العظيم) اليمين الغموس. ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك.

شئنا. وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببهوت كأنها الخطاطيف. وببهوت: وإد باليمن.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمَهُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾، الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئاً. ﴿فَلَوْلَا نَذْرُونَ﴾، أي قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم.

[٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾، يعني: تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

[٦٤] ﴿أَأَنْتَ تَزْرَعُوهُنَّ﴾، تنبتونه، ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، المنبتون.

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾، قال عطاء: تبناً لا قمع فيه، وقيل: هشيماً لا ينتفع به في مطعم وغذاء، ﴿فَطَلَّتُمْ﴾، وأصله فطللتم، حُذفت إحدى اللامين تخفيفاً. ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل.

وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) [الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تتلامون. وقال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلهف على ما فات وهو من الأضداد، تقول العرب: تفكّته أي: تنعمت، وتفكّته أي: حزنت.

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْرُوثُونَ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (أئنا) بهزتين وقرأ الآخرون على الخير، ومجاز الآية فطلتم تفكّهون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة: لموقع<sup>(١)</sup> بنا. وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام: العذاب. وقال

[٤٧] ﴿وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَيَّدَا مِنَّا وَكُنَّا شُرَكَاءَ وَعَظَمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي ويعقوب (أئدا) مستفهماً، (إننا) بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

[٤٨-٥٥] ﴿أَوَّءَابَاؤُنَا الْأُولُونَ﴾ ٥ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَانَا الْمَضَالُونَ الْمَكِيدُونَ ٥ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ٥ فَالْوَلُونَ مِنْهَا الْبُظُورُ ٥ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ٥ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ (والهيم) الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك. يقال: جمل أهيم، وناقه هيماء، والإبل هيم. وقال الضحاك وابن عيينة: (الهيم) الأرض السهلة ذات الرمل.

[٥٦] ﴿هَذَا زُرْقُمٌ﴾، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم يجازون بأعمالهم، ثم احتج عليهم في البعث:

[٥٧] فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك، ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾، بالبعث.

[٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾، تصبون في الأرحام من النطف.

[٥٩، ٦٠] ﴿أَأَنْتَ تَخْلُقُونَهُ﴾، يعني أنتم تخلقون ما تمنون بشراً، ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ أَلْمُوتَ﴾، قال مقاتل: فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيّاً وشابّاً. وقال الضحاك: تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى (قدرنا): قضينا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ﴾، بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإيدالكهم بأمثالكم فذلك قوله عز وجل:

[٦١] ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾، يعني تأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم، ﴿وَنُلَبِّسُكُمْ﴾، نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من الصور، قال مجاهد: في أي خلق

(١) في نسخة: (لموقع بنا).

الضحاك وابن كيسان: غرنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرمًا علينا، والمغرم: الذي ذهب ماله بغير عوض وهو قوله:

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾، محددون ممنوعون، أي حُرِّمنا ما كنا نطلبه من الربيع في الزرع.

[٦٨-٧٠] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۚ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ ۖ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾، قال ابن عباس: شديد الملوحة، قال الحسن: مرًا. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾، تقدحون وتستخرجون من زللكم.

[٧٢، ٧٣] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾، خلقناها يعني نار الدنيا، ﴿نَذْكُرُكَ﴾، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل. وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن، ﴿وَمَتَاعًا﴾، بلغة ومنفعة، ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾، المسافرين. والمقوي: النازل في الأرض، والقي والقوا هو: القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: (للمقوين) يعني: للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز. قال الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم، وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئًا. قال قطرب:

سورة الواقعة  
٥٣٦  
سورة الواقعة  
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ بِهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا يُلُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُؤْمٍ ﴿٥٢﴾ فَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا أَنْزَلْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَنَعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ ءَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ءَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرِجَافًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(المقوي) من الأضداد يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعًا للأغنياء والفقراء جميعًا لا غنى لأحد عنها.

[٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.  
[٧٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم و(لا) صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: (فلا أقسم) على التحقيق. وقيل: قوله (لا) رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال (أقسم بمواقع النجوم). قرأ حمزة والكسائي. (بموقع) على التوحيد. وقرأ الآخرون (بمواقع) على الجمع. قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على

رسول الله ﷺ متفرقاً نجومًا. وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتشارها يوم القيامة.

[٧٧، ٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٥﴾ يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم، ﴿لَقَرَأَانَ كَرِيمٌ﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله. قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

[٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، مصون عند الله في اللوح المحفوظ من الشياطين.

[٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفارة الكرام البررة. وروى محمد بن الفضل عنه: لا يقرؤه إلا الموحدون. قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن. قال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به. وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات. وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي. وقال الحكم وحمام وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي القرآن منزل من عند رب العالمين، سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة، كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق.

[٨١] ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، يعني القرآن، ﴿أَنْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿تُدْهِئُونَ﴾، قال ابن عباس: مكذبون. وقال مقاتل بن حيان: كافرون، نظيره:

٥٣٧

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

إِنَّهُ لَقَرَأَنُ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِئُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتَ حِينًا نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَتَى أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَرِمِدَيْنِ ﴿٨٦﴾ تَرَجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمِ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّاَلِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلِيهٌ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ حَقٌّ الْبَقِيَّةِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

## سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(وَدُوًّا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدْهِئُونَ)، والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر.

[٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، حظكم ونصيبكم من القرآن، ﴿أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به. وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزدشوة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتهم يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

الله أي رزق الله. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يُؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه. ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾، قال أبو بكر الوراق: الروح النجاة من النار، والريحان دخول دار القرار. [٩١، ٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمُتَوَفَّى، مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلِّمْ لَهُ ۖ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله، أو أنك ترى فيهم من تحب من السلامة. قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم. وقال الفراء وغيره: فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك إنك من أصحاب اليمين، فألقيت إن كان الرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: فسلام لك أي عليك من أصحاب اليمين.

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾، بالبعث، ﴿الضَّالِّينَ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة. [٩٣] ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾، فالذي يعد لهم حميم جهنم.

[٩٤] ﴿وَنَصَلَيْتُهُ حَمِيمٌ﴾، وإدخال نار عظيمة. [٩٥] ﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قصة المحتضرين، ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم.

### (٥٧) سُورَةُ الْحَدِيدِ

[٣-١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ﴾، يعني

[٨٣] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

[٨٤] ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظَرُونَ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه. وقيل: معنى قوله: (تنظرون) أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً.

[٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، الذين حضروه.

[٨٦] ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) وعن قوله (فلولا إن كنتم غير مدينين) بجواب واحد، ومثله قوله عَزَّ وَجَلَّ: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) أجيباً بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عَزَّ وَجَلَّ فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال:

[٨٨] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ﴾، وهم السابقون.

[٨٩] ﴿فَرَوْحٌ﴾، قرأ يعقوب (فروح) بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الرُّوح: الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه: فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبير: فرح. وقال

الضحاك: مغفرة ورحمة. ﴿وَرِيحَانٌ﴾، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُرْسِلُ الْبَلَدَ الْبَلَدَ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَأَيْتٌ بَيِّنَةٌ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِيٰ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاتِكِ اعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يَرْتَضِ اللَّهُ رِضًا حَسَنًا فَيُضِعَّهُ لَهُ وَلَهُ ءَأَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

ونصب القاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد. وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، يومًا، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾، محمد ﷺ، ﴿ءَأَيْتٌ بَيِّنَةٌ لِيُخْرِجَكُمْ﴾، الله بالقرآن، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: أي شيء لكم في ترك

هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجودًا، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم، والظاهر الحليم، والباطن العليم. وقال السدي: هو الأول بيره إذ عرفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذا عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب. وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبًا عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، بالعلم، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٥] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٦، ٧] ﴿يُرْسِلُ الْبَلَدَ الْبَلَدَ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يخاطب كفار مكة، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشًا فكانوا في ذلك المال خلفاء ممن مضوا. ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو (أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) برفع القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء



نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نورًا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضًا نورًا خديعة لهم، وهو قوله عز وجل: (وهو خادعهم)، بينما هم يمشون إذا بعث الله عليهم ريحًا وظلمة فأطفا نور المنافقين، فذلك قوله: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، ﴿فَاتَّسَبَّوْا نَوْرًا﴾، فاطلبوا هناك لأنفسكم نورًا فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بُسُورًا﴾، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، ﴿لَهُ﴾ أي لذلك السور، ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿وَوَظُهُرُهُ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿الْعَذَابُ﴾، وهو النار.

[١٤] ﴿يَنَادُواهُمْ﴾ يعني: ينادون المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا في الظلمة: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، في الدنيا نصلي ونصوم: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أهلكتموها بالفناق والكفر، واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، بالإيمان والتوبة. وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ وقتلتم يوشك أن يموت فنستريح منه،

الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، ﴿وَقَاتِلَ﴾، يقول: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾، أي كلا الفريقين وعدمهم الله الجنة. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها. وقرأ ابن عامر (وكلُّ) بالرفع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[١١، ١٢] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِ اللَّهَ فَرْصًا حَسَنًا فَيُضْعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم، يعني على الصراط، ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، يعني عن أيمانهم. قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم فعبّر البعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره أعلى إيهامه فيطفأ مرة ويقد مرة. وقال الضحاك ومقاتل: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُتَّفِقُونَ لَلَّذِينَ آمَنُوا نَظَرُونَا﴾، قرأ الأعمش وحمزة: (أنظرونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا. وقيل: انتظرونا. وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انتظرني وأنظرني يعني انتظرني. ﴿نَقَّيْسٍ مِنْ نَوْرِكُمْ﴾،

﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾، شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به،  
﴿وَعَرَّضْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ﴾، الأباطيل وما كنتم تمنون من  
نزول الدوائر بالمؤمنين، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، يعني  
الموت، ﴿وَعَرَّضَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، يعني الشيطان، قال  
قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم  
الله في النار.

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ بدل وعوض  
بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، ﴿مَا وَوَكُّمُ النَّارُ هِيَ  
مَوْلَانِكُمْ﴾، صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من  
الذنوب ﴿وَيَسِّرُ الْمَصِيرُ﴾.

[١٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ  
تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال الكلبي ومقاتل:  
نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم  
سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن  
التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: (نحن نقص  
عليك أحسن القصص)، فأخبرهم أن القرآن أحسن  
قصصاً من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء

الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل:  
(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)، فكفوا عن  
سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن  
التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية. فعلى  
هذا تأويل قوله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع  
قلوبهم لذكر الله)، يعني في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين. قال عبدالله بن  
مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه  
الآية: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر  
الله)، إلا أربع سنين. وقال ابن عباس: إن الله  
استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث  
عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: (ألم يأن)، ألم  
يحن للذين آمنوا أن تخشع ترق وتلين وتخضع  
قلوبهم لذكر الله، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، وهو القرآن،  
﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾، وهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣٩

سُورَةُ الْحَدِيدِ

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ  
بُشْرَتِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقِينَ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا أَنْظِرُوا نَافِثِينَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَارْجِعُوا كَمَا قَالْتُمْ سَوَاءٌ  
فَضْرِبُ بَيْتِهِمْ بِسُورِهِ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ  
الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ ينادونهم ألم تكن معكم قالوا بلى ولكننا كنا فننته  
أنفسكم وتريصنم وأرببتنم وعرضتكم الأمانى حتى جاء أمر  
الله وعرضكم بالله الغرور ﴿١٨﴾ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا  
من الذين كفروا ما ووككم النار هي مولنكم وبئس المصير  
﴿١٩﴾ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله  
وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل  
فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فسيقون ﴿٢٠﴾  
اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بيننا لكم الآيات  
لعلكم تعقلون ﴿٢١﴾ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا  
الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴿٢٢﴾

اليهود والنصارى، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾، الزمان  
بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن  
عباس: مألوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله،  
والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا  
في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما  
طال عليهم الدهر. ﴿وَكثيرٌ منهم فسقون﴾، يعني  
الذين تركوا الإيمان بعمى ومحمد عليهما الصلاة  
والسلام.

[١٧، ١٨] وقوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٥  
إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن  
عاصم: بتخفيف الصاد فهما من التصديق أي  
المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما،  
أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في  
الصاد، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، بالصدقة والنفقة

في سبيل الله عزّ وجلّ، ﴿يُضَعَفُ لَهُمْ﴾، ذلك القرض ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ثواب حسن وهو الجنة.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، والصديق الكثير الصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية. قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته. ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين.

وقال الضحاك: هم الذين سميناهم. وقال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية. وقال قوم: تم الكلام عند قوله: (هم الصديقون) ثم ابتداء فقال: والشهداء عند ربهم، والواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿وَنُورُهُمْ﴾، على الصراط ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[٢٠] قوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، أي أن الحياة الدنيا، (ما) صلة أي إن الحياة في هذه الدار، ﴿لَعِبٌ﴾، باطل لا حاصل له، ﴿وَلَهُوٌّ﴾، فرح ثم ينقضي، ﴿وَزِينَةٌ﴾، منظر تزينون به، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾، يفخر به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي مباحاة

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَابِهِ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْتَهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّةٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مَن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

بكثره الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾، أي الزراع، ﴿بِنَابِهِ﴾، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾، ييسس، ﴿فَتَرْتَهُ مُمْصِرًا﴾، بعد خضرته ونضرته، ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، يتحطم ويتكسر بعد يسه ويفنى، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال مقاتل: لأعداء الله، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، لأوليائه وأهل طاعته، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّةٌ الْغُرُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

[٢١] ﴿سَابِقُوا﴾، سارعوا، ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، لو وُصِّلَ بعضها ببعض، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾، فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النسمة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾، تحزنوا، ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، من الدنيا، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله ﴿فَاتَكُمْ﴾ فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون (آتاكم) بمد الألف، أي: أعطاكم. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، متكبر بما أوتي من الدنيا، ﴿فَخُورٍ﴾، يفخر به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُونَ﴾، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾، أي يعرض عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفِيُّ الْعَمِيدُ﴾.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والحجج، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ﴾، يعني العدل. وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال: (والسماء رفعها)، بأن وضع الميزان ﴿لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ليتعاملوا بينهم بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، قال أهل المعاني معنى قوله: (أنزلنا الحديد)، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه. وقال قطرب: هذا من النزول كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلاً

الْحَدِيدُ

٥٤١

سُورَةُ الْحَدِيدِ

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصِيرَةٍ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفَرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ لَيْسَ يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الْقَادِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِنِ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾

حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلاً لهم. ومثله قوله: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج). ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، قوة شديدة يعني السلاح للحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿مَنْ بَصُرْتَهُ﴾، أي دينه، ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾، أي قام بنصرة الدين لم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي في أمره عزيز في ملكه.

[٢٦، ٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَسِئُونَ ۝ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ ءَابَائِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَتَيْنَا  
 عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ۙ عَلَىٰ دِينِهِ ﴿رَأْفَةً﴾، وهي أشد  
 الرقة، ﴿وَرَحْمَةً﴾، كانوا متوادين بعضهم لبعض،  
 كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ:  
 (رحماء بينهم)، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، من قبل  
 أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه  
 بفعل مضمّر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أي جاؤوا  
 بها من قبل أنفسهم، ﴿مَا كُنْنَاهَا﴾، أي ما  
 فرضناها، ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا اتَّبَعَةَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، يعني  
 ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك  
 الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتاع  
 من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في  
 الجبال، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أي لم يرعوا  
 الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين  
 عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم  
 وتركوا الترهيب، وأقام منهم أناس على دين عيسى  
 عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا  
 به، وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّمْهُمْ  
 أَجْرَهُمْ﴾، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة  
 والرحمة، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾، وهم الذين  
 تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة  
 والسلام.

[٢٩] ثم قال: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، قال  
 قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب  
 المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم أهل  
 الكتاب)، قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن  
 يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج  
 من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم  
 أهل الكتاب) أي ليعلم ولا صلة، ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ  
 عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا  
 أنهم لا أجر لهم، ولا نصيب لهم في فضل الله،  
 ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
 الْعَظِيمِ﴾.

## (٥٨) سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾،  
 الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس  
 ابن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم  
 فأرادها فأبت، فقال لها: أنت عليّ كظهر أُمي، ثم  
 ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق  
 أهل الجاهلية، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: يا

[٢٨] فقال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لأهل الكتابين من اليهود  
 والنصارى، يأيتها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا  
 الله في محمد ﷺ ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾، محمد ﷺ،  
 ﴿يُؤْتِكُمْ كَلِمَاتٍ﴾، نصيبين، ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾، يعني  
 يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام  
 والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم:  
 انقطع الكلام عند قوله (رحمة) ثم قال: ورهبانية  
 ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير  
 وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

٥٤٢

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

## سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ  
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي  
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ  
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كَمَنْ تُوَعِّظُونَ  
بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ  
مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِمَنْ تَوَمَّنْ أَيْ آلَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا  
كَمَا كُنْتَ تَلْمِزُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ  
عَنْهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْتَهَبُ مِنْهُمُ  
عَمَلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُوسَهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

رَقَبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴿١﴾ والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً) ولم يقل: (من قبل أن يتماساً) وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام. ﴿ذَلِكَ كَمَنْ تُوَعِّظُونَ بِهِ﴾، تؤمرون به، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾، يعني الرقبة، ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ

رسول الله إن زوجي ظاهر مني، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه، فقال رسول الله ﷺ: «أحرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، فأنزل الله (قد سمع الله) الآيات (١)، ومعنى قوله (قول التي تجادلك) وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، مراجعتكما الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه.

[٢] ثم ذم الظهار فقال: ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات، المعنى ليس هنَّ بأمهاتهم، ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ﴾، أي ما أمهاتهم، ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾، لا يعرف في شرع ﴿وَزُورًا﴾، كذباً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اختلف أهل العلم في العود فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي العالية، وقال: (ثم يعودون لما قالوا) أي إلى ما قالوا، أي أعاده مرة أخرى، فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري. وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا. قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي نقض ما قال، يعني رجع عما قال، قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ٢٧٧/٢ وصححه الحاكم

٤٨١/٢ وانظر تفسير ابن كثير ٣١٩/٤.

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

٥٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ  
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ  
 وَلَا آدْفَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ  
 بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
 نَهَوْا عَنِ التَّجْوِيِّ ثُمَّ يَعُوذُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ  
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءَكَ وَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ  
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبِهِمْ  
 جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا  
 بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَنْفُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا التَّجْوِيُّ  
 مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا  
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَعَّجُوا فَإِذَا تَسَعَّجُوا فَاسْتَحْوُوا فَيَسْجُ  
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اشْرَوْا فَاشْتَرُوا وَارْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٩﴾

يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ  
 بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، وذلك أن النبي  
 ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، ﴿وَإِذَا  
 جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، وذلك أن اليهود  
 كانوا يدخلون على النبي ﷺ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، السام  
 عليك، والسام الموت وهم يوهمونهم أنهم يقولون  
 السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول:  
 «عليكم» فإذا خرجوا قالوا: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا  
 اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما  
 نقول، قال الله عز وجل: ﴿حَسْبِهِمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا  
 فَيَنْسِفُ الْمَصِيرَ﴾.

[٩] فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا  
 بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، أي كفعل المنافقين  
 واليهود، وقال مقاتل أراد بقوله: (آمنوا) المنافقين  
 أي آمنوا بلسانهم. قال عطاء: يريد الذي آمنوا

مُتَّبِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَاسًّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ  
 مَسْكِينًا﴾، يعني المظاهر إذ لم يستطع الصوم  
 لمرض أو كبير أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع  
 يجب عليه إطعام ستين مسكينا، ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله  
 عز وجل، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما وصف من  
 الكفارات في الظهار، ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،  
 قال ابن عباس: لمن جحدته وكذب به.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي يعادون  
 الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كُتِبُوا﴾،  
 أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَقَدْ أُنزِلَتْ﴾، إليك، ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ  
 مُهِينٌ﴾.

[٦، ٧] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْتَهُهُمْ بِمَا  
 عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾، حفظ الله أعمالهم، ﴿وَسُوهُ  
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ  
 أَي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من  
 شيء يناجي به الرجل صاحبيه، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾،  
 بالعلم، وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة  
 يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم  
 نجواهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْفَى مِنْ ذَلِكَ  
 وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوِيِّ﴾، نزلت في  
 اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما  
 بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين  
 ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون  
 فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك  
 عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم ألا  
 يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا  
 إلى مناجاتهم فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين نهوا عن  
 النجوى) أي المناجاة ﴿ثُمَّ يَعُوذُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، أي

[١٢] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ﴾، أمام مناجاتكم، ﴿صَدَقَةٌ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويشبّطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ، ﴿ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿وَاطَّهَّرُ فَإِن لَّرَ مَعِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

[١٣] ﴿ءَسْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا﴾، قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّرَ تَفَعَّلُوا﴾، ما أمرتم به، ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازة فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة. قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار. ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَأَوْءُوا الزَّكَاةَ﴾، الواجبة، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصرهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله: (غضب الله عليهم)، اليهود، ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله ابن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان» فدخل عبدالله بن

بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ﴿وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، أي من تزئيم الشيطان، ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿وَلَيْسَ﴾، التناجي، ﴿بِضَارِهِمْ شَيْئًا﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئًا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه».

[١١] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْحَرُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾، أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم: في المجالس لأن الكل جالس مجلسًا معناه ليتفصح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون (في المجلس) على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ، فافسحوا: أوسعوا، يقول فسح يفسح فسحًا إذا وسع في المجلس، ﴿يَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها، ﴿وَإِذَا قِيلَ اسْتَشْرُوا فَانشُرُوا﴾ أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوسِعُوا لإخوانكم، وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، ﴿دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.



نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي ﷺ: «علام تشمتني أنت وأصحابك؟!» فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات<sup>(١)</sup>، فقال: (ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كذبة.

[١٦، ١٥] ﴿عَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾، الكاذبة، ﴿جَنَّةٌ﴾، يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم، ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[١٨، ١٧] ﴿لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٥ يَوْمَ يَبْعُثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾، كاذبين، ما كانوا مشركين، ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، في الدنيا ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من أيمانهم الكاذبة، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[٢٠، ١٩] ﴿أَسْتَحْذِرُ﴾، غلب واستولى، ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ﴾، الأسفلين أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾، قضى الله قضاء ثابتًا، ﴿لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، نظيره قوله: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٥ إنهم لهم المنصورون)، قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: ممن بُعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد

بَيِّنَاتٍ

٥٤٤

بَيِّنَاتٍ

بَيِّنَاتٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَنْجَحْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مَوَّابِينَ بَدَىٰ بِجَوْنِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَّرَ فَإِنْ لَمْ يُجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ٥ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَوْنِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا تَفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ٥ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَاهُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ٥ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٥ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ٥ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ٥ يَوْمَ يَبْعُثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨﴾ ٥ اسْتَحْذِرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ٥ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ٥ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

بموادة الكفار وأن من كان مؤمنًا لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه. وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، قواهم بنصر منه، قال الحسن: سمى نصره إياهم روحًا لأن أمرهم يحيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحججه، كما قال: (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا)، وقيل: برحمة منه. وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٧٦١، وقال ابن حجر في الكافي: «لم أجده هكذا». ثم ذكر نحوه من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس، وقد أخرجه أحمد والبخاري والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

## (٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ

[٢، ١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يعني بني النضير، ﴿مَنْ دِيرِهِمْ﴾، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما ستان. ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا. قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «أخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر» ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام، وقال الكلبي: إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أُجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أُجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾، من المدينة لعزبتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة، ﴿وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾، أي وطن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿فَأَلْنَهُمْ اللَّهُ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، وهو أنه أمر نبيه ﷺ

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

### سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ﴾، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها. قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبغضاً. قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أديارها

فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾، فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم، ﴿يَتَأُولَى الْأَبْصَارِ﴾، يا ذوي العقول والبصائر.

[٤، ٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾، الخروج من الوطن، ﴿لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ﴾ ذلك، الذي لحقهم، ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾، الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخليهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادًا، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا.

وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، أخبر الله في هذه الآية إن ما قطعتموه وما تركوه فيأذن الله، ﴿أَوْ تَرَكَتُمْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أَصُولِهَا فَيَأْذِنَ اللَّهُ وَلِيْحَزِيَّ الْفَاسِقِينَ﴾، واختلفوا في اللينة فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء، وقال سفيان: هي كرام النخل. وقال مقاتل: هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين: إنكم تكهون الفساد في

سورة الحشر

٥٤٦

سورة الحشر

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكَتُمْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أَصُولِهَا فَيَأْذِنَ اللَّهُ وَلِيْحَزِيَّ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِأَنْتُمْ رُسُلُ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنَافِقُونَ فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

الأرض وأتم تفسدون، دعوا هذا النخل قائمًا هو لمن غلب عليه، فأخبر الله تعالى أن ذلك يآذنه.

[٦] ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، أي: رده على رسوله، يقال: فاء يفيء أي رجع وفاءها الله، ﴿مَنْهُمْ﴾، أي من يهود بني النضير، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾، أوضعتم، ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفًا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حملة على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حرباً. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

وجلّ، ﴿وَيَصْرُورَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، وهم الأنصار تبوؤوا الدار توطنوا الدار، أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بستين. ونظم الآية والذين تبوؤوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوأ، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، حزاة وغيظاً وحسداً، ﴿وَمِمَّا أُوتُوا﴾، أي مما أعطى المهاجرين دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، الشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرق العلماء بين الشح والبخل. قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له، وقال سعيد بن جبير: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني

التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال:

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة.

[٧] قوله عز وجل: ﴿مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عربية، ﴿فَبِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَبِالَّذِي أُنزِلَتْ وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء: أن مال الفيء كان لرسول الله في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾، قرأ العامة بالياء، (دولة) نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر (تكون) بالتاء (دولة) بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحيث لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء، معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعا لنفسه، وهو المربع، ثم يصطفي منها بعد المربع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال ﴿وَمَا ءَأْتَكُمْ﴾، أعطاكم، ﴿الرَّسُولُ﴾، من الفيء والغنيمة، ﴿فَتَّخَذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ﴾، من الغلول وغيره، ﴿فَأَنْهَوْا﴾، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ثم بين من له الحق في الفيء فقال:

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فُضْلًا﴾، رزقا ﴿مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي أخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، غشًا وحسدًا وبعوضًا، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فكل من كان في قلبه غلٌّ على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين. قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجًا من هذه المنازل، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسببتموهم! سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»<sup>(١)</sup>، وقال مالك بن مغول: قال عمر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسُئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسُئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ! أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفاها الله بسفك دمائهم وتفریق شملهم، وإدحاض حجّتهم، أعادنا الله وإياكم من الأهواء المضلة<sup>(٢)</sup>، قال مالك بن أنس: من يبغض أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى)، حتى أتى على هذه الآية.

[١١] قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿لَا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ سَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبُوا ذَأْقُوا بِأَلْ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٧)</sup>

نَافَقُوا﴾، أي أظهروا خلاف ما أضمروا يعني عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفار مثلهم. ﴿لَئِن أُخْرِجْتُمْ﴾، من المدينة، ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿لَكَاذِبُونَ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٥/١٥، ويشهد له ما أخرجه في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم.  
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٦١/٨٥، وذكره ابن تيمية في منهاج السنة ٢٦-٢٣/١ وقال: هذا الأثر قد روي عن عبدالرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم، قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَرَ﴾، أي لو قدر وجود نصرهم. قال الزجاج: معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

[١٦] فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان، ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿أَنَّهَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة ففسد المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإننا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصره الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم.

[١٨] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِعَذَابٍ﴾، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه عملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾، تركوا أمر الله، ﴿فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَحْسَبُ النَّارِ وَأَحْسَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخضع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزاقته،

[١٣] ﴿لَآئِنَّ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ﴾، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، ﴿ذَلِكَ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عظمة الله.

[١٤] ﴿لَا يَفْقَهُونَكُمْ﴾، يعني اليهود، ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَرَأَيْتَ مِنْ وِرَاءِ جُدُرٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدار) على الواحد، وقرأ الآخرون (جدر) بضم الجيم والبدال على الجمع. ﴿بِأَسْهُمَ يَبْتَهُمُ شَدِيدٌ﴾، أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿قَرِيبًا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾، يعني القتل بيد، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد. وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بني

حذرًا من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهده وما علموه، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، ﴿السَّلَامُ﴾، الذي سلم من النقائص، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾، قال ابن عباس: هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، وهو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: (وآمنهم من خوف)، وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب، ﴿الْمُهَيِّمُ﴾، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقت وهرقت، ومعناه المؤمن، وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله. ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾، قال ابن عباس:

الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الكسر والأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويُصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة الممتحن

عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرًا فعله لا يحجزه عنه حاجز. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾، الذي تكبر عن كل سوء. وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبير والكبرياء الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾، المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، ﴿الْبَارِئُ﴾، المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿الْمُصَوِّرُ﴾، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض. هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولاً يكون خلقًا ثم براءً ثم تصويرًا. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

## (٦٠) سُورَةُ الْمَمْتَحَنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ  
 إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ  
 وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ  
 وَابْنِغَالِهِ مَرْضَاتِي يُشْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ  
 وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ  
 يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ  
 بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ  
 كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ  
 إِنَّا بَرَاءٌ وَأَرْؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا  
 قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَعِفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
 رَبَّنَا عَلَّمَكْ تَوْكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْرِقْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

[١] ﴿يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ  
 أَوْلِيَاءَ﴾ قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن  
 أبي بلتعة حين كتب إلى ناس بمكة من المشركين  
 يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله  
 ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا  
 تعجل عليّ إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، وكان  
 من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها  
 أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب  
 فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله  
 ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام،  
 فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم» فقال  
 عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق،  
 فقال: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله اطلع  
 على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت  
 لكم» فانزل الله هذه السورة (١) ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ  
 بِالْمُؤَدَّةِ﴾، قيل: أي المؤدة، والباء زائدة كقوله:  
 (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم)، وقال الزجاج: معناه  
 تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمؤدة التي  
 بينكم وبينهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾، الواو للحال أي  
 وحالهم أنهم كفروا، ﴿بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾، يعني  
 القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾، من مكة، ﴿أَنْ  
 تُؤْمِنُوا﴾، أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك  
 لإيمانكم، ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ﴾، هذا شرط  
 جوابه متقدم وهو قوله: (لا تتخذوا عدوي وعدوكم  
 أولياء تلقون إليهم بالمؤدة وقد كفروا بما جاءكم من  
 الحقّ إن كنتم خرجتم)، ﴿جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَابْنِغَالِهِ  
 مَرْضَاتِي يُشْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ﴾، قال مقاتل بالنصيحة،  
 ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾، من المؤدة للكفار ﴿وَمَا  
 أَعْلَنْتُمْ﴾، أظهرتم بالستكم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ  
 ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أخطأ طريق الهدى.

[٢] ﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ﴾، يظفروا بكم ويرؤكم،  
 ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، بالضرب  
 والقتل، ﴿وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾، بالشتم، ﴿وَوَدُّوا لَوْ  
 تَكْفُرُونَ﴾، كما كفروا. يقول: لا تناصحوهم فإنهم  
 لا يناصحونكم ولا يوادونكم.

[٣] ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾، معناه لا يدعونكم  
 ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم  
 التي بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك  
 مناصحتهم وموالة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم،  
 ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾، الذين عصيتهم الله لأجلهم، ﴿يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾، فيدخل أهل طاعته الجنة  
 وأهل معصيته النار ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد ١٤٣/٦ ومسلم في فضائل  
 الصحابة برقم (٢٤٩٤) ١/٤ ١٤٩١.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٠

سُورَةُ الْمُحْتَمَلِ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
 وَمَن يَتَّبِعِ أَهْلَ الْإِيمَانِ فَانَّهُ لَتَجْزِيهِ اللَّهُ عَمَلَهُ خَيْرَ ثَوَابٍ  
 مِّمَّا تَحْتَسِبُ ۗ وَمِمَّا تَعْتَدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ۖ بَدَّلْنَا  
 وَبَدَّلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا  
 حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۗ يَأْمُرُ حَاطِبًا وَالْمُؤْمِنِينَ  
 بِالْإِقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِينَ مَعَهُ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّبَرُّؤِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿١﴾ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ  
 لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ۖ، يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم  
 وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم  
 عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه: لأستغفرن  
 لك، ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة ﴿١﴾ وما  
 أمرك لك من الله من شيء ۖ، يقول إبراهيم لأبيه: ما  
 أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته  
 وأشركت به، ﴿٢﴾ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ۖ، يقول إبراهيم ومن  
 معه من المؤمنين، ﴿٣﴾ وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ.  
 [٥] ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ، قال  
 الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق  
 فيفتنوا. وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا  
 بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على  
 الحق ما أصابهم ذلك. ﴿٥﴾ وَأَعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ.

[٦] ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ،  
 هذا بدل من قوله لكم، وبيان أن هذه الأسوة لمن  
 يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، ﴿٧﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ۖ،  
 يعرض عن الإيمان ويوال الكفار، ﴿٨﴾ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 الْعَلِيُّ ۖ، عن خلقه، ﴿٩﴾ الْحَكِيمُ ۖ، فوالى أوليائه  
 وأهل طاعته. قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين  
 بعبادة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين  
 وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة وجد  
 المؤمنين بذلك فأنزل الله:

﴿١﴾ أَي مَن كَفَرَ مَكَّةَ، ﴿٢﴾ مُؤَدَّةٌ ۖ، ففعل الله  
 ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء  
 وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم، ﴿٣﴾ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ  
 عَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ، ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم  
 يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:

[٨] ﴿٨﴾ لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا  
 يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ۖ، أي لا ينهاكم الله عن  
 بر الذين لم يقاتلوكم، ﴿٩﴾ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ ۖ، تعدلوا  
 فيهم بالإحسان والبر، ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ۖ،  
 قال ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا  
 النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً،  
 فرخص الله في برهم ثم ذكر الذين نهاهم عن  
 صلحتهم فقال:

[٩] ﴿٩﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ  
 وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ۖ، وهم مشركو

[٧] ﴿٧﴾ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمُ

مكة، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَبُولُكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

[١٠] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقاً لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ولرسوله. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾، أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني أزواجهن الكفار، ﴿مَا أَنفَقُوا﴾، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾، أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، ونهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين ﴿وَسَلُّوا﴾ أيها المؤمنون، ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم، ﴿وَلَيْسَلُوا﴾، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَا أَنفَقُوا﴾، من المهر ممن تزوجها منكم، ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر

المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرأوا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم.

[١١] فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ فَانَكُوهُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحقن بهم مرتدات، ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾، قال المفسرون: معناه غنمتم أي غزوتهم فأصبتن من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾، إلى الكفار منكم، ﴿مِثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾، عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار. وقيل: فعاقبتن المرتدة بالقتل ﴿وَأَتَّفَقُوا اللَّهَ الَّذِي آتَىٰ بِهِ مَثَلَهُ مَثَلَهُ﴾.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَيِّنُكَ﴾، الآية، وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبايعهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان منتقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ: أبايعهن ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُنْكِرَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَسْرِفُونَ وَلَا يَرْبِئُونَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن، قوله: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل

الجاهلية، قوله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتِنِ بَقْرَتُهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾: ليس المراد منه نهيهم عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولودًا وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهم وأرجلهم، لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي في كل أمر وافق طاعة الله. قال بكر بن عبدالله المزني: في كل أمر فيه رشدهن. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال.

وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونشفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم. قوله: ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾، يعني إذا بايعتك فبايعهن، ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: (لا يشركن بالله شيئًا) قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها<sup>(١)</sup>.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم اليهود وذلك أن أناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، ﴿قَدْ يَسْأُرُوا﴾، يعني هؤلاء اليهود، ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَابِ الْقُبُورِ﴾، أي كما يبس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة.

## (٦١) سُورَةُ الصَّفِّ

[٢، ١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا

سُورَةُ الصَّفِّ

٥٥١

سُورَةُ الصَّفِّ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرُكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرُفْنَ وَلَا يَنْزِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتِنِ بَقْرَتُهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأُرُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَحْصَابِ الْقُبُورِ ﴿١٤﴾

## سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا لَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقْتَلُوْنَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيْنَ مَرْمُوسٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰٓقَوْمِ لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٥﴾ وَذُوْنِيْ وَفَدَّ تَعْلَمُوْنَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٦﴾ زَاعُوا أَرْزَاقَ اللَّهِ فُلُوْهُمْ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ ﴿٧﴾

تَفْعَلُوْنَ﴾، قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناها ولبلدنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين، فأنزل الله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون)، وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر، قالت الصحابة: لئن لقينا بعده قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد فغيرهم الله بهذه الآية. وقال قتادة والضحاك: نزلت في شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، فنزلت هذه الآية. قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر

(١) أخرجه البخاري في الأحكام ٢٠٣/١٣ ومسلم في الإمارة برقم (١٨٦٦) ١٤٨٩/٣.

للمؤمنين وهم كاذبون.

[٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾، قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع رفع، فهو كقولك بش رجلاً أخوك، ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله، أي إن الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، أي تعدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم تفوا به.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾، أي يصفون أنفسهم عند القتال صفاً ولا يزولون عن أماكنهم، ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾، قد رص بعضه ببعض أي ألق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل. وقيل: أحكم بالرصاص.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، من بني إسرائيل، ﴿يَقُولُوا لِمَ تُوَدُّونَنِي﴾، وذلك حين رموه بالأدرة، ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، والرسول يعظم ويحترم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾، عدلوا عن الحق، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أمالها عن الحق، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال الزجاج: يعني لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمداً لله من غيره، والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقباً وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

[٨،٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٢

سُورَةُ الصَّفِّ

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيرَ نُجُجِكُمْ عَلَى تَحْرِيرِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحْجِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَعْرِفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ تَطَّيَّفَتْ عَنْهُ طَائِفَةٌ فَأَنَّ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا عِدْوَةٌ مِمَّنْ كَفَرُوا فَاصْبِرُوا لَهَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤﴾

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيرَ نُجُجِكُمْ﴾، قرأ ابن عامر: تنجيككم بالتشديد والآخرين بالتخفيف، ﴿مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، وجعل ذلك بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بين تلك التجارة فقال:

[١١، ١٢] ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحْجِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٥ يَعْرِفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾، ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة



بدينهم، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، واختلف العلماء فيهم فقال قوم: هم العجم وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل: لما يلحقوا بهم أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأوا الصحابة. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾، أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤديوا حقها، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، أي كتباً من العلم واحداً سفر، قال الفراء: هي الكتب

﴿نَصَرَ مِّنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبًا﴾، قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين.

[١٤] فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ﴾، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام، ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، أي من ينصرني مع الله، ﴿قَالَ لِحَوَارِيُونَنَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَرَتَ طَافُةٌ﴾، قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوبِهِمْ فَاصْبِرُوا لَهَا إِنَّهَا خَالِيَةٌ لِّكُفْرِهِمْ﴾، وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه.

## (٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[٢، ١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْمُسَبِّحُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ اللَّهُ لَنْ يُخْفِيَ اللَّهُ شَيْئًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ نسبه نسبه لهم، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

[٣] ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ أي المؤمنين الذين يدينون

الزهرى: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، من المبايعة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: (وإذا حللتهم فاصطادوا)، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: (وابتغوا من فضل الله) هو طلب العلم. ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الآية، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها)<sup>(١)</sup> وأراد باللهو الطبل. وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطلب والتصفيق. وقوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم. وقال علقمة: سئل عبدالله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً (١) أخرجه البخاري في التفسير (٦٤٣/٨)، ومسلم في الجمعة (٥٩٠/٢) رقم (٨٦٣).

العظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿بَسَّسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

[٨،٧] ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ أَبْدَانًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، قل إن الموت الذي تقررون منه فإنه مئليكم ثم رُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٩] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: (وإذا تولى سعى في الأرض)، وقال: (إن سعيكم لشتى)، وكان عمر بن الخطاب يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله) وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود. وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وعن قتادة في هذه الآية: فاسعوا إلى ذكر الله، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها (إلى ذكر الله) أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: (فاسعوا إلى ذكر الله) قال هو موعظة الإمام، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْهُوَ الْأَنْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ فَايْمَاقُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

١١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا فُطِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوتُ فَاحْذَرُهُمْ فَتَلَّهُمْ اللَّهُ أَنْ يَبُوءُوا كُونَ ﴿٤﴾

خُشْبٌ مُسْنَدٌ، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام (مسندة) ممالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملتة، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة إلى حائط، ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا يسمعون صوتًا في العسكر إن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جنبهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرًا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: ﴿هُمُ الْعُدُوتُ﴾، هذا ابتداء وخبره، ﴿فَاحْذَرُهُمْ﴾، ولا تأمنهم، ﴿فَتَلَّهُمْ اللَّهُ﴾، لعنهم الله ﴿أَنْ يَبُوءُوا كُونَ﴾، يصرفون عن الحق.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة

أو قاعدًا؟ قال: أما تقرأ: (وتركوك قائمًا) وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعًا، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه. وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنه موجد الأرزاق فيآيه فاسألوا ومنه فاطلبوا.

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ (٦٣)

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، يعني عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.

[٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾، ستره، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾، أقروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾، إذا خلوا إلى المشركين ﴿فُطِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾، يعني أن لهم أجسامًا ومناظر، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾، فتحسب أنه صدق، قال عبدالله بن عباس: كان عبدالله بن أبي جسيمًا فصيحًا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٥

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارٌ وَهُمْ  
 وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
 أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ  
 لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ  
 خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ  
 ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ  
 مِنْهَا الْأَذَلُّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ  
 الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
 أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ  
 ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي  
 إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ  
 يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾، يُعرضون عما  
 دُعوا إليه، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متكبرون عن استغفار  
 رسول الله ﷺ لهم .

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾، يا محمد،  
 ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قيل لعبدالله بن أبي ابن سلول في  
 مرض موته: اذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك،  
 فلوى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أؤمن فأمنت،  
 وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما  
 بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ! فأنزل الله تعالى:  
 (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا  
 رؤوسهم) الآية .

[٧] ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ  
 عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾، يتفرقوا، ﴿وَاللَّهُ  
 خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يعطي أحدًا شيئًا  
 إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا  
 يَفْقَهُونَ﴾ أن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن  
 فيكون .

[٨] ﴿يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، عن غزوة  
 بني المصطلق، ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَاللَّهُ  
 الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فغزة الله قهره من  
 دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها،  
 وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم .  
 ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموا ما  
 قالوا هذه المقالة .

[٩] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
 لَا تَشْغَلْكُمْ﴾ ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
 قال المفسرون: يعني الصلوات الخمس نظيره قوله  
 (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ  
 ذَلِكَ﴾ أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قال ابن عباس:  
 يريد زكاة الأموال، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ﴾، فيسأل الرجعة، ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا  
 أَخَّرْتَنِي﴾، هلا أخرتني أهلتني، وقيل: (لا) صلة  
 فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني، ﴿إِلَى  
 أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾، فأنصديق وأزكي مالي،  
 ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي من المؤمنين نظيره،  
 قوله تعالى: (ومن صلح من آبائهم)، هذا قول  
 مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين .  
 وقيل: نزلت الآية في المؤمنين . والمراد بالصلاح  
 هنا الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس  
 أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد  
 زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند  
 الموت، وقرأ هذه الآية .

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ  
 خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو بكر (يعملون) بالياء وقرأ  
 الآخرون بالتاء .



## (٦٤) سُورَةُ التَّغَابُنِ

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ  
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ  
 وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾  
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ  
 فَدَافُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَمْرِهِمْ لَهْمٌ وَعَذَابٌ أَلَيْمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ  
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى  
 اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ  
 وَلَنْ يُنَبِّئَهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ  
 يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْحُجْمِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ  
 صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

لحقهم من العذاب في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾، العذاب، ﴿يَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحد فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحد إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى اللَّهُ﴾، عن إيمانهم، ﴿وَاللَّهُ غَفِيٌّ﴾، عن خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.

[٨، ٧] فقال جل ذكره: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَلَنْ يُنَبِّئَهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، ﴿لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَلَنْ يُنَبِّئَهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وهو القرآن، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٢، ١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنًا وكافرًا، وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعالهم، فقال ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ ثم اختلفوا في تأويلها، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة. وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب. وقيل: فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه. وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعلاً له وكسباً، وخلق المؤمن، وإيمانه فعلاً له وكسباً، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من العجز والقدر.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٥، ٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ، يخاطب كفار مكة، ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾، يعني الأمم الخالية، ﴿فَدَافُوا بِأَيْدِيهِمْ﴾، يعني ما

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥٥٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا آيَاتٍ مِنْ أَرْزُقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ إِن تَقْرُبُوا اللَّهَ يُضَيِّقْ لَكُمْ رِزْقَهُ وَيُكَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

بالعفو عنهم والصفح.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال بعضهم: لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض، فقال: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم) لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر «من» في قوله: (إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

[١٦] ﴿فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، أي أطقم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته) ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾، الله ورسوله، ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، أي أنفقوا من أموالكم خيرًا لأنفسكم، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكَ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد، فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بإرادته وقضائه، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾، فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] قوله عز وجل: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا آيَاتٍ مِنْ أَرْزُقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال تعالى: (فاحذروهم) أن تطيعوهم وتدعو الهجرة، ﴿وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقها في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين تبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمرهم الله عز وجل

[١٨، ١٧] ﴿إِنْ قُرْضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

## (٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم، فخطاب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهن، كقوله عز وجل: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي إذا أردت القراءة. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، أي لظهرهن بالذي يقضيه من عدتهن ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، أي عدد أقرانها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقران إذا أراد أن يطلق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى. ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض العدة، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾، قال ابن عباس: الفاحشة المبينة: أن تبدأ على أهل زوجها فيحل إخراجها، وقال جماعة: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها. والفاحشة: النشوز. وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلاقين، وهذا يدل على أن

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٨

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَاهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُنْتُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يُبَيِّنُ مِنَ الْمَجِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالَ أَهْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَاهُنَّ﴾، أي قربن من انقضاء عدتهن، ﴿فَامْسِكُوهُنَّ﴾، أي راجعوهن، ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فبين منكم، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾، أيها الشهود، ﴿ذَلِكَ كُنْتُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة، وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يسمى مالكاً فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا

إليه أيضًا الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلًا وجاء إلى أبيه (١).

[٣] ﴿وَبَرِّزْفَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ما ساق من الغنم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود: هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه. وقال الربيع بن خثيم: (يجعل له مخرجًا) من كل شيء ضاق على الناس. وقال أبو العالية: (يجعل له مخرجًا) من كل شدة. وقال الحسن: (مخرجًا) عما نهاه الله عنه. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، يتق الله فيما: نابه كفاه ما أهمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ﴾ أي منفذه أمره، مُنْضٍ في خلقه قضاءه. ﴿فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلًا ينتهي إليه.

[٤] قوله عز وجل: ﴿وَالَّتِي يَبْسُ مِنْ الْمَجِضِ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾، فلا يرجون أن يحضن، ﴿إِنْ آرَبْتُمْ﴾، أي شككتهم فلم تدرؤا ما عدتهن، ﴿فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾، يعني الصغار اللاتي لم يحضن فعدهن أيضًا ثلاثة أشهر، وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفي عنها زوجها فعدها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾، يعني مطلقات نسائكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، (من) صلة أي أسكنوهن حيث سكنتم، ﴿مِنْ وَجَدِكُمْ﴾، سعتكم وطاقتكم يعني إن كان موسرًا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرًا فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تُضَارَوْنَ﴾، لا

تؤذوهن، ﴿لِيُضْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، مساكنهن فيخرجن، ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، فيخرجن من عدتهن. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوَرُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾، على إرضاعهن، ﴿وَأْتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعًا، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا

(١) أورد الواحدي بغير سند، وأورده السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٣) من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وكذا أخرجه الثعلبي من هذا الوجه كما في الكافي الشافي لابن حجر، وأخرجه الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلًا، ووصله الحاكم عن جابر. وفي سنده عبيدالله بن كثير تركه الأزدي، ورواه الخطيب في تاريخه من طريق جوير (متروك) عن الضحاك.

الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، في العدد، ﴿يُنزِلُ الْأَمْزُ بَيْنَهُنَّ﴾، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهن من عجب تدييره فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هياتها وينقلها من حال إلى حال. وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه وخلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه. ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فلا يخفى عليه شيء.

### (٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني العسل ومارية ﴿تَبْلَغِي مَرَضَاتِ زَوْجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأمر أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته، فقال: [٢] ﴿قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو يمين فإن قال لزوجته: أنت علي حرام أو حرمتك، فإن نوى به طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظهاراً فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريتها: فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق، فعليه كفارة اليمين، فإن قال لطعام حرمة على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جاريتها فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرم طعاماً

الضرار، ﴿وَإِن تَعَاَسَرْتُمُ﴾، في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبى مرضعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾، على قدر غناه، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾، من المال، ﴿لَا يُكْفِفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾، في النفقة، ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾، أعطاهها من المال، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، بعد ضيق وشدة غنى وسعة.

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ مِن قَرِيْبٍ عَنَتٍ﴾، عصت وطغت، ﴿عَنَ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، أي وأمر رسله، ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾، بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَعَذَابُهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾، منكراً فظيماً وهو عذاب النار، لفظهما ماض ومعناها الاستقبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً.

[٩] ﴿فَدَافَقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، جزاء أمرها، وقيل: ثقل عاقبة كفرها، ﴿وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾، خسراناً في الدنيا والآخرة.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلُوا الْآلِئِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ بدلاً من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآناً وأرسل رسولاً وقيل مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول. وقيل: ذكراً أي شرفاً، ثم بين ما هو فقال ﴿يَتَلَوُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا﴾، يعني

## سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ نَحْرُمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فُضِّضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُؤبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ مَكَانَ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ تَبَدَّلَتْ عِيدَاتٍ سَلَّحَتْ نَيْبَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَانْعَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن يتشر ذلك في الناس، ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿قَالَتْ﴾، حفصة، ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾، أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

[٤] ﴿إِنْ نُؤبَا إِلَى اللَّهِ﴾، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته. قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾، أي تتظاهرا

فهو كما لو حلف ألا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا﴾، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: لا تخبري بذلك أحدًا. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة. قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمي من بعدي. وقال ميمون بن مهران: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي. ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾، أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبأت به، ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي (عرف) بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازينك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرًا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فاتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من جملة نسائك في الجنة، فلم يطلقها. وقرأ الآخرون (عرف) بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به. قال الحسن: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه

وتعاونوا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾، أي وليه وناصره. قوله: ﴿وَجَبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين. قوله: ﴿وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: أعوان للنبي ﷺ، وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كقوله (وحسن أولئك رفيقا).

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾، أي واجب من الله إن طلقك رسولك، ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ﴾، خاضعات لله بالطاعة، ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾، مصدقات بتوحيد الله، ﴿فَتِيَّاتٍ﴾، طائعات، وقيل: داعيات، وقيل مصليات، ﴿تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ سَيِّحَاتٍ﴾، صائمات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات. وقيل: يسحن معه حيث ما ساح، ﴿تَبَيَّنَتِ وَأَبْكَارًا﴾، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: (إِنْ طَلَّقَكُنَّ) وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)، وهذا إخبار عن القدرة، لا في الوجود أمة هم خير من أمة محمد ﷺ.

[٦] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسِكُمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته، ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يعني مروهم بالخير وانهموم عن الشر، وعلموهم وأدبهم تقوهم بذلك نارًا، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾، يعني خزنة النار ﴿غَاطَّةٌ﴾، فظاظ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لَا يَصُورُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[٨،٧] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدُرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ يَوْمَ يَقُولُ رَبِّي يَا مُبَشِّرُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ تُوْجَّ وَامْرَأَتٍ لَطُوفٌ كَانَتْ تَحْتِ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٍ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَرَمِمْ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾

تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألا يعود فيه. قال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الأخوان. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي لا يعذبهم الله بدخول النار، ﴿تَوْرَهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَيَأْتِنَهُمْ ﴿٩﴾، على الصراط، ﴿يَقُولُونَ﴾، إذ طفئ نور المنافقين، ﴿رَبِّكَ أَتَيْمٌ لَنَا ثَوْرًا وَأَغْفِرُ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصالحين والصالحات من النساء.

[١٠] فقال جل ذكره: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ، واسمها واعلة، ﴿وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ﴾، واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعة ووالهة، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾، وهما نوح ووط عليهما السلام، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبارة. وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه، إذا نزل به ضيف بالليل أو قادت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف. وقال الكلبي: أسرتا الفراق وأظهرتا الإيمان، ﴿فَلَمْ يُعْنَبَا عَنْهَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لم يدفعا عنهما مع نوبتهما عذاب الله، ﴿وَتَبَيَّلَ أَدْحُلًا أَنْتَارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ﴾، قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً.

[١١] فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، وهي آسية بنت مزاحم، قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس. قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته ﴿وَوَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، قال مقاتل: وعمله يعني الشرك. وقال أبو صالح عن

ابن عباس: وعمله، قال: جماعه. ﴿وَوَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، ﴿مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ كَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ أراد الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام. ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، أي من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات. وقال عطاء: من القانتين أي من المصلين، ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

## (٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ

[٢، ١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة. وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، وجعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب. وقيل: قدمه لأنه أقدم، لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم طرأت عليها الحياة ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾، فيما بين الحياة إلى الموت، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، روي عن ابن عمر مرفوعاً (أحسن عملاً) أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها. وقال الفراء: لم تقع البلوى على أي إلا



## سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ  
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾  
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ  
 تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ  
 يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ  
 الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ  
 السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وبِسْ أَلْمَاصِيرِ  
 ﴿٦﴾ إِذَا الْقُوفُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ  
 مِنَ الْعَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾  
 قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ  
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ  
 السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

[٩] ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا﴾، للرسول،  
 ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ .

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾، من الرسل ما  
 جاؤونا به، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾، منهم، وقال ابن عباس:  
 لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به، ﴿مَا كُنَّا فِي  
 أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، قال الزجاج: لو كنا نسمع سمع من  
 يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من  
 أهل النار.

[١١] ﴿فَاعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا﴾، بعدًا، ﴿لِأَصْحَابِ  
 السَّعِيرِ﴾ .

[١٢، ١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ  
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم  
 بذات الصدور، قال ابن عباس: نزلت في  
 المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره  
 جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض:

وبينهما إضمار، كما تقول: بلوتكم لأنظر أيكم  
 أطوع، ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم  
 وانظر أيهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، في انتقامه ممن  
 عصاه، ﴿الْفُورُ﴾، لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾، طبقًا على  
 طبق بعضها فوق بعض، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ  
 تَفَوتٍ﴾ ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن  
 من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة  
 مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها  
 بعضًا لقلّة استوائها، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾، كرر النظر،  
 معناه: انظر ثم ارجع، ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾، شقوق  
 وصدوع.

[٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قال ابن عباس: مرة  
 بعد مرة، ﴿يَنْقَلِبْ﴾، ينصرف ويرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ  
 حَاسِئًا﴾، صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى، ﴿وَهُوَ  
 حَسِيرٌ﴾، كليل منقطع لم يدرك ما طلب.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾، أراد  
 الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس. وقوله:  
 (بمصباح) الكواكب، واحدها مصباح، وهو  
 السراج سُمي الكوكب مصباحًا لإضاءته، ﴿وَجَعَلْنَاهَا  
 رُجُومًا﴾، مرامي، ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾، إذا استرقوا السمع،  
 ﴿وَأَعَدْنَا لَهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، النار  
 الموقدة.

[٦، ٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وبِسْ  
 أَلْمَاصِيرِ﴾، إِذَا الْقُوفُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا، وهو أول نهيق  
 الحمار وذلك أقيح الأصوات، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾، تغلي  
 بهم كغلي المرجل. وقال مجاهد: تفور بهم كما  
 يفور الماء الكثير بالحب القليل.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾، تنقطع، ﴿مِنَ الْعَيْظِ﴾، من  
 تغيتها عليهم، قال ابن قتبية: تكاد تشق غيظًا على  
 الكفار، ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾، جماعة منهم،  
 ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾،  
 رسول ينذركم.

أَسْرُوا قَوْلَكُمْ كِي لَا يَسْمَعُ إِلَهُ مُحَمَّدٍ .

[١٤] فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ،  
أَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَلْقِهَا ، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ﴾ ، لَطِيفٌ عِلْمُهُ فِي الْقُلُوبِ ، الْخَبِيرُ بِمَا فِيهَا  
مِنَ السَّرِّ وَالْوَسْوَاسَةِ . وَقِيلَ : (مَنْ) يَرْجِعُ إِلَى  
الْمَخْلُوقِ ، أَيْ أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَخْلُوقَهُ .

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ ، سَهْلًا  
لَا يَمْتَنِعُ الْمَشْيَ فِيهَا بِالْحَزُونَةِ ، ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ،  
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ : فِي جِبَالِهَا . وَقَالَ الضَّحَّاكُ :  
فِي آكَامِهَا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : فِي طَرَفِهَا وَفَجَاجِهَا .  
قَالَ الْحَسَنُ : فِي سَبْلِهَا . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : فِي  
أَطْرَافِهَا . وَقَالَ مِقَاتِلٌ : فِي نَوَاحِيهَا . قَالَ الْفَرَّاءُ :  
فِي جَوَانِبِهَا . وَالْأَصْلُ فِي الْكَلِمَةِ الْجَانِبُ ﴿وَكُلُّوا مِنْ  
رِزْقِهِ﴾ ، مِمَّا خَلَقَهُ رِزْقًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، ﴿وَالْيَتِيمَ  
النُّشُورُ﴾ ، أَيْ وَالْيَتِيمَ تَبْعُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ .

[١٦] ثُمَّ خَوْفَ الْكُفَّارِ فَقَالَ : ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي  
السَّمَاءِ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْ عَذَابِ مَنْ فِي السَّمَاءِ  
إِنْ عَصَيْتُمُوهُ ، ﴿أَنْ يَخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ  
تَمُورُ﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ : تَتَحَرَّكُ بِأَهْلِهَا . وَقِيلَ : تَهْوِي  
بِهِمْ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْرُكُ الْأَرْضَ عِنْدَ  
الْخِشْفِ بِهِمْ حَتَّى تَلْقِيَهُمْ إِلَى أَسْفَلٍ تَعْلُو عَلَيْهِمْ  
وَتَمُرُ فَوْقَهُمْ . يُقَالُ : مَارَ يَمُورُ إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ .

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ  
حَاصِبًا﴾ ، رِيحًا ذَاتَ حِجَارَةٍ كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطَ .  
﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ ، فِي الْآخِرَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ ، ﴿كَيْفَ  
نَذِيرٍ﴾ ، أَيْ إِنْذَارِي إِذَا عَايَنْتُمُ الْعَذَابَ .

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، يَعْنِي كُفَّارِ  
الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ، أَيْ  
إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ .

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ ، تَصَفَّى  
أَجْنَحَتِهَا فِي الْهَوَاءِ ، ﴿وَبَقِضْنَ﴾ ، أَجْنَحَتَهُنَّ بَعْدَ  
الْبَسْطِ ، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ ، فِي حَالِ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ  
أَنْ يَسْقُطْنَ ، ﴿وَإِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ .

سُورَةُ الْمَلِكِ

٥٦٣

سُورَةُ الْمَلِكِ

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ وَأَوَجَّهَتْ وَابِيَّةً عَلَيْهِمُ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا  
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ  
﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ  
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا  
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ  
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ مَا  
يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي  
هُوَ جُنْدُكُمْ يُبْصِرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكُفْرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ  
﴿٢٠﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ لَبِئْسَ لَاجِئًا فِي عَتْوٍ  
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمِنْ يَمْنَى مِكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ ءَأَهْدَى أَمِنْ يَمْنَى سَوِيًّا  
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ  
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ  
فِي الْأَرْضِ وَالْيَتِيمَ يُحْشِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

[٢٠] ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُكُمْ﴾ ، اسْتَهْزَأَ  
إِنْكَارًا . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْ مَنَعَهُ لَكُمْ ، ﴿يُبْصِرُكُمْ مِنْ  
دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ ، يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُدْفَعُ عَنْكُمْ مَا أَرَادَ  
بِكُمْ . ﴿إِنْ الْكُفْرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ، أَيْ فِي غُرُورٍ مِنْ  
الشَّيْطَانِ يَغْرَهُمْ بِأَنَّ الْعَذَابَ لَا يَنْزِلُ بِهِمْ .

[٢١] ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ ، أَيْ  
مَنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ الْمَطَرُ إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْكُمْ ، ﴿بِئْسَ  
لَاجِئًا فِي عَتْوٍ﴾ ، تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ ، ﴿وَنُفُورٍ﴾ ،  
تَبَاعَدَ مِنَ الْحَقِّ .

[٢٢] ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ : ﴿أَمِنْ يَمْنَى مِكْبَأً عَلَى  
وَجْهِهِ﴾ ، رَاكِبًا رَأْسَهُ فِي الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ أَعْمَى  
الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ لَا يَبْصُرُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَهُوَ الْكَافِرُ .  
قَالَ قَتَادَةُ : رَاكِبًا عَلَى الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا فَحْشَرَهُ  
اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ﴿ءَأَهْدَى أَمِنْ يَمْنَى سَوِيًّا﴾ ،  
مَعْتَدِلًا يَبْصُرُ الطَّرِيقَ وَهُوَ ، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ،

وهو مؤمن. قال قتادة: يمشي يوم القيامة سويًا. [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾، أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء، قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، ﴿فَن يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

## (٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ

[١] ﴿ت﴾ اختلفوا فيه فقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة ﴿وَالْقَلَمِ﴾، هو الذي كتب الله به الذكر ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ بِنَبِيٍّ﴾، نبوة، ﴿رَبِّكَ يَمَجِّنُونَ﴾، هذا جواب لقولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة. وقيل: بعصمة ريبك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانه اللهم وبحمدك أي والحمد لك. [٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن، وقال قتادة: هو ما كان ياتر به من أمر الله ويتهى عنه من نهي الله، والمعنى إنك لعلی الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمي الله خلقه عظيماً لأنه امثل تأديب الله إياه بقوله: (خذ العفو) [الأعراف: ١٩٨] الآية.

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم.

[٢٤-٢٧] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْآلَاءُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ ۝ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ قَوْلِ أَكْثَرِ الْمَفْسُرِينَ. وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر، ﴿زُلْفَةً﴾، أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكور والمؤنث والواحد والاثنان والجمع، ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد، يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وسيئ يساء إذا قبح، ﴿وَقِيلَ﴾ لها أي قال لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾، تفتعلون من الدعاء أي أن تدعوه وتمنوه أنه يجعله لكم، وقرأ يعقوب: تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون.

[٢٨] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك، ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾، من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمْنَا﴾، فأبقاها إلى منتهى آجالنا، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، فإنه واقع بهم لا محالة. وقيل: معناه أرايتم إن أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمتنا فيغفر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا، لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجير الكافرين فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾، الذي نعبد، ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ﴾، قرأ الكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منا أنحن أم أنتم؟

[٥] قوله عز وجل ﴿فَسَبِّحْهُ وَبِحُرُونِ﴾ ، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب .  
 [٦] ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ، قيل معناه بأيكم المجنون . فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، وقيل: الباء بمعنى (في) مجازه: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أم في فريقهم؟ .  
 وقيل: بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون، وهذا قول مجاهد . وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة .

[٧، ٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥ فلا تُطع المَكذِبِينَ﴾ ، يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونهم إلى دين آبائهم فيها أن يطيعهم .

[٩] ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ، قال الضحاك: لو تكفر فيكفرون . وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك . قال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم . قال زيد بن أسلم: لو تنافق وتراخي فيناقفون .

[١٠] ﴿وَلَا تُطع كُلَّ حَلَّافٍ﴾ ، كثير الحلف بالباطل . قال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة . وقيل: الأسود بن عبد يغوث: وقال عطاء: الأخنس بن شريق . قوله: ﴿مُهْتَدِينَ﴾ ، ضعيف حقير . قيل: هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز . وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه .

[١١] ﴿هَمَّازٍ﴾ ، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطنع والغيبة، وقال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، كقوله (همزة) ﴿مَشَاءَ بَنِيهِ﴾ ، فتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم .

[١٢] ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ ، بخيل بالمال، قال ابن عباس: مناع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكم في دين

سُورَةُ الْقَلَمِ

٥٦٤

سُورَةُ الْقَلَمِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِ اللَّهُ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُحْيِرِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَاسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٠﴾

## سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَبِحُرُونِ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطع الْمَكذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطع كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءَ بَنِيهِ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٥﴾

محمد لا أنفعه بشيء أبداً . ﴿مُعْتَدٍ﴾ ، ظلوم يتعدى الحق، ﴿أَثِيمٍ﴾ ، فاجر .

[١٣] ﴿عَتَلٍ﴾ ، العتل: الغليظ الجافي . وقال الحسن: هو الفاحش الخلق، السيئ الخلق . قال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل . وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ، أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به، ﴿زَنِيمٍ﴾ ، وهو الدعي الملتصق بالقوم، وليس منهم، قال عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا هو دَعِيٌّ في قريش وليس منهم . قال مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة . وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة . وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نعت من لا يعرف حتى قيل: زنيم فعرف، وكانت له زنمة في عتقه

[١٩] ﴿نُظِّفَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾، عذاب، ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، ليلاً ولا يكون الطائف إلا بالليل وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، كالليل المظلم الأسود، الأسود بلغة خزيمة.

[٢١] ﴿فَنَادَا مُصِحِّينَ﴾، نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا.

[٢٢] ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ﴾ يعني الثمار والزروع والأعقاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾، قاطعين للنخل.

[٢٣] ﴿فَانطَلَقُوا﴾، مشوا إليها، ﴿وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾، يتسارون يقول بعضهم لبعض سراً.

[٢٤، ٢٥] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ و﴿عَدُوا عَلَى حَرْبٍ﴾، الحرء في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو

العالية،: على جد وجهه. وقال القرظي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسوسه بينهم، وهذا

على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقتيبي: غدوا

من بيتهم على منع المساكين، وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين. وعن

ابن عباس: على قدرة، ﴿قَدِيرِينَ﴾، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لمخطؤون الطريق أضللنا

مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا.

[٢٧] فقال بعضهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾، حرمانا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أعدلهم أعدلهم وأفضلهم، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْحِرُونَ﴾، هلا تستنون، أنكر عليهم

ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين، وسمي الاستثناء تسييحاً لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر

أحد على شيء إلا بمشيئته. وقيل: هلا تسبحون

يعرف بها. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنتها. قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن)

بالاستفهام وقرأ الآخرون: بلا استفهام على الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: لأن كان ذا

مال وبنين.

[١٥] ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي جعل مجازاة النعم التي حولها من البنين والمال

الكفر بآياتنا. وقيل: معناه لأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبر فمعناه: لا تطع كل

حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ﴾.

[١٦] ثم أوعده فقال: ﴿سَسَمُّهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾، الخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي

نسود وجهه فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه. قال الفراء: خص الخرطوم

بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله. وقال ابن عباس: سنحطمه بالسيف،

وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا

يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

[١٧، ١٨] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾، يعني اخترنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾، ابتلينا،

﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ بستان باليمن ﴿إِذْ أَقْبَمُوا﴾، حلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصِحِّينَ﴾، ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾، لا يقولون إن شاء الله.

الله وتقولوا: سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾، نزهوه عن أن يكون ظالمًا فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾، يلوم بعضهم بعضًا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

[٣١] ﴿قَالُوا بَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

[٣٢] ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قال عبدالله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾، أي كفضلنا بهم نفضل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٤] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾، فقال المشركون: إنا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون. فقال الله تكذيبًا لهم.

[٣٥-٣٧] ﴿أَفَجَعَلْنَا الْمُشْرِكِينَ كَالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِمَنَّا أَلَّا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾، نزل من عند الله، ﴿فِيهِ﴾، في هذا الكتاب، ﴿تَذَرُسُونَ﴾، تقرأون.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿لَمَّا تَخَرَّوْنَ﴾، تختارون وتشتبهون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾، عهود ومواثيق، ﴿عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَخَكُمُونَ﴾ لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله.

[٤٠] ثم قال لنبية ﷺ: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ﴾، فسلموا إليهم في الآخرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦٥

سُورَةُ الْقَلَمِ

سَسِمْتُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا لَنُؤْتِيهِمْ مَا يَشَاءُونَ أَمْرًا لَّيْسَ مِنْهَا مُصِيبِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعِدُوا عَلَيْنَا حُرُوكًا وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَىٰ حُرُوقِ دُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا كَلُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ عَنُحْ حُرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْفَل لَكُمْ لَوْلَا آتَسِحُّونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا بَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلْنَا الْمُشْرِكِينَ كَالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِمَنَّا أَلَّا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾، أم لَكُمْ أَيْمَانٌ ﴿٣٥﴾ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَرَّوْنَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ ﴿٣٨﴾ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَخَكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤١﴾

ما للمسلمين.

[٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قيل: عن أمر فطيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة.

قال سعيد بن جبيرة: يوم يكشف عن ساق: عن شدة الأمر. وقال ابن قتبية: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب: كشفت الحرب عن ساق. قوله عز وجل: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يعني الكفار والمنافقون،

تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود.

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً أَنْصَرُّهُمْ﴾، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين: ﴿رَهْفَهُمْ ذَلَّةٌ﴾، يغشاهم ذل الندامة والحسرة، ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد ابن جبير: كانوا يسمعون حيي على الصلاة حيي على الفلاح فلا يجيبون، ﴿وَهُمْ سَلِمُونَ﴾، أصحاء فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات.

[٤٤] ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، أي فدعني والمكذبين بالقرآن، وخل بيني وبينهم. قال الزجاج: معناه لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أكفيك أمره، ﴿سَنَسْتَلِرُّهُمْ﴾، سنأخذهم بالعذاب، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فعذبوا يوم بدر.

[٤٥-٤٨] ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ نَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۝ اصْبِرْ عَلَىٰ أَذَاهِمَ لِقِضَاءِ رَبِّكَ ۝ وَلَا تَكُنْ ۝ فِي الضُّجُرِ وَالْعَجَلَةِ ۝ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ۝ وَهُوَ يُونُسَ بْنَ مَتَّى ۝ إِذَا نَادَىٰ ۝ رَبَّهُ ۝ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ۝ وَهُوَ مَكْطُومٌ ۝ مَمْلُوءٌ غَمًّا ۝ [٤٩] ﴿وَلَا أَنْ تَذَرَكُهُ ۝ أَدْرَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ ۝ حِينَ رَحِمَهُ وَتَابَ عَلَيْهِ ۝ لَيْدٌ بِالْعَرَاءِ ۝ لَطْرَحَ بِالْفِضَاءِ مِّنْ بَطْنِ الْحُوتِ ۝ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ يَذْمُ وَيَلَامُ بِالذَّنْبِ ۝

[٥٠، ٥١] ﴿فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ ۝ اصْطَفَاهُ ۝ فَجَعَلَهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرَاقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ ۝ وَذَلِكَ أَنْ الْكُفَّارَ أَرَادُوا أَنْ يَصِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَيْنِ فَنظَرُوا إِلَيْهِ قَوْمٌ مِّنْ قَرِيشٍ ۝ وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ حُجْجِهِ ۝ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ يَنْفَذُونَكَ ۝ يُقَالُ: زَلَقَ السَّهْمَ إِذَا أَنْفَذَ ۝ قَالَ السُّدِّيُّ: يَصِيبُونَكَ بَعِيونَهُمْ ۝ قَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: يَعِينُونَكَ ۝ وَقِيلَ: يَزِيلُونَكَ ۝ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَصْرَعُونَكَ ۝ وَقِيلَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
٥٦٦  
خَشِيعَةً أَنْصَرُّهُمْ رَهْفَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَلِرُّهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ نَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْطُومٌ ﴿٤٨﴾ وَلَا أَنْ تَذَرَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَيْدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرَاقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ مَّخْلُجَةٌ حَاقِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصبونك بأعينهم كما يصب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك. وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدثون إليه النظر بالبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾، أي ينسبونه لجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

[٥٢] فقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس: موعظة

عجوزًا لأنها عجز الشتاء. وقيل: سميت بذلك لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سرًّا فتبعتها الريح،

فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب. ﴿حُسُومًا﴾، قال مجاهد وقتادة: متتابعة

ليس فيها فترة، فعلى هذا هو حسم الكي، وهو أن يتابع على موضع الداء باللكوة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل

شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسوًّا دائمة. وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعهم

وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء. قال الزجاج: أي تحسمهم حسوًّا تفنيهم

وتذهبهم. وقال عطية: شوًّا كأنها حسمت الخير عن أهلها. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾، أي في تلك الليالي

والأيام، ﴿صَرَخِي﴾، هلكى جمع صريع، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَحَلٍ خَاوِيَةٍ﴾، ساقطة، وقيل: خالية

الأجواف.

[٨] ﴿هَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد.

[٩] ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي: بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه

من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون: بفتح القاف وسكون الباء. أي ومن قبله من الأمم الكافرة،

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾، يعني أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات. وقيل: يريد الأمم الذين اتفكوا

بخطيئتهم، ﴿بِالْحَاطِئَةِ﴾، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك.

[١٠] ﴿فَنَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، يعني لوطًا وموسى، ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾، نامية، قال ابن عباس رضي

الله تعالى عنهما: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح

عليه السلام، ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾، أي حملنا آباءكم وأنتم

للمؤمنين. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

## (٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾، يعني القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور

وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق

حقوقًا. [٢] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾. هذا استفهام معناه التفتيح لشأنها، كما يقال: زيدٌ ما زيد، على التعظيم

لشأنه. [٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الأهوال.

[٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة سميت قارعة لأنها تفرع قلوب

العباد بالمخافة. وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم ففرع قلوبهم.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي

بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ وقال قتادة: بالصيحة

الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، عنت على خزانها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها

سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾، أرسلها عليهم. وقال مقاتل: سلطها عليهم. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ لَهَا مِيزَانَ﴾، قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام

العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت

لأنها



في أصلابهم، ﴿فِي الْمَآرِبِ﴾، في السفينة التي تجري في الماء.

[١٢] ﴿لِنَجْمَلَهَا﴾، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿لِكُرِّ نَذْرَهُ﴾، عبرة وعظة ﴿وَيَقِيًّا﴾ أي تحفظها، ﴿أُذُنٌ وَعِيَّةٌ﴾، أي حافظة لما جاء من عند الله. قال قتادة: أذن سمعت وعقلت ما سمعت. قال الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد.

[١٣] ﴿فَإِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وهي النفخة الأولى.

[١٤] ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، رفعت أماكنها، ﴿فَدَكَّنَا﴾، كُسرتنا، ﴿دَكَّةٌ﴾ كسرة، ﴿وَاحِدَةٌ﴾، فصارتا هباءً منثورًا.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةً﴾، ضعيفة قال الفراء: وهيها تشققها.

[١٧] ﴿وَالْمَلَكُ﴾، يعني الملائكة، ﴿عَلَى أَرْجَائِيهَا﴾، نواحيها، وأقطارها ما لم ينشق منها، واحداها رجا وتثنيته رجوان. قال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها. ﴿وَجُمِّلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾، أي فوق رؤوسهم يعني الحملية، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾، أي ثمانية أملاك. وروي عن ابن عباس أنه قال: فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، على الله، ﴿لَا تَخْفَى﴾، قرأ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾، أي فعلة خافية. قال الكلبي: لا يخفي على الله منكم شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداول ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فأخذ بيمينه

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِائِكُمْ ﴿١﴾ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿٢﴾ إِنَّا لَمَطَّطْنَا الْمَاءَ حَمَلْنَا كُرِّي فِي الْمَآرِبِ

﴿٣﴾ لِنَجْمَلَهَا لِكُرِّ نَذْرَهُ وَتَعْيِبًا أُذُنٌ وَعِيَّةٌ ﴿٤﴾ فَإِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ

نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٥﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّنَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿٦﴾

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٧﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةً ﴿٨﴾

وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِيهَا وَجُمِّلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿٩﴾

﴿١٠﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١١﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى

كَيْتَبَهُ بِسَيِّئِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِثْلِي بَلْ كَذَّبْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿١٣﴾ فَهُوَ فِي عَسَاةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٥﴾

فُطُوْفُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٦﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْتًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ

الْمُتَالِيَةِ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ لَوْلَا أُنزِلَتْ كَيْتَابِي

﴿١٨﴾ وَلَوْلَا دَرِيءٌ مَحْسُوبٌ ﴿١٩﴾ لَنَبَّأَهُنَّ بِمَا كُنَّ تَفْعَلْنَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ

عَنِ الْمَالِ عَنِي سَاطِنِينَ ﴿٢١﴾ خَذُوهُمُ فَغُلُّوهُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ

صَلُّوهُ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُ

كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٦﴾

وَأَخَذَ بِشِمَالِهِ.

[١٩] وذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَبَهُ

بِسَيِّئِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِثْلِي بَلْ كَذَّبْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

هَاءِ الْوَقْفِ.

[٢٠] ﴿إِنِّي طَلَنْتُكَ﴾ علمت وأيقنت، ﴿أَنْفِ مُلْتَقٍ

حَسَابِيَّةٍ﴾، أي أحاسب في الآخرة.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، يعني حالة من العيش،

﴿رَاضِيَةٌ﴾، مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، رفيعة.

[٢٣] ﴿فُطُوْفُهَا دَانِيَةٌ﴾، ثمارها قريبة لمن يتناولها

ينالها قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا يقطعون كيف شاؤوا.

[٢٤] ويقال لهم: ﴿كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْتًا بِمَا

أَسْلَفْتُمْ﴾، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة،

﴿فِي الْأَيَّامِ الْمُنِيَّةِ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كَنْبَهُ بِإِسْمِ اللَّهِ﴾، قال ابن السائب: تُلَوَّى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوتِيَٰ كَنِيْبَهُ﴾، يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله.

[٢٦، ٢٧] ﴿وَلَوْ أَدْرَىٰ مَا حِسَابِي ۚ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾، يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحي بعدها. والقاضية موت لا حياة بعدها، يتمنى أنه لم يبعث للحساب. قال قتادة: يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

[٢٨] ﴿مَا أَعْنَىٰ عَنِّيٰ مَا لِي ۗ﴾، لم يدفع عني من عذاب الله شيئاً.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سَطَنِيْبَهُ﴾، ضلت عني حجتي، عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي. قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك. يقول الله لخزنة جهنم:

[٣٠] ﴿حُدُّوهُ فَنَلُوهُ﴾، اجمعوا يده إلى عنقه.

[٣١] ﴿ثُمَّ لِحَجِيمٍ سَوُّوهُ﴾، أي أدخلوه الحجيم.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، فأدخلوه فيها. قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك، فيدخل في دبره ويخرج من منخره. وقيل: يدخل في فيه ويخرج من دبره.

[٣٣، ٣٤] ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك.

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ﴾، قريب ينفعه ويشفع له.

[٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ﴾، وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غُسَالَةٌ جروحهم وقروحهم. قال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار.

[٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ﴾، أي الكافرون.

[٣٨، ٣٩] ﴿فَلَا أُفْسِرُ﴾، لا ردُّ لكلام المشركين كأنه قال: ليس كما يقول المشركون أقسم، ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، أي بما ترون وبما لا ترون. قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات. وقال: أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها. وقيل: ما تبصرون من الأجسام وما لا تبصرون من الأرواح. وقيل: ما تبصرون: الإنس وما لا تبصرون: الملائكة والجن. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. وقيل: ما تبصرون: ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً.

[٤٠] ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني القرآن، ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، أي تلاوة رسول كريم يعني محمداً ﷺ.

[٤١، ٤٢] ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۚ وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يؤمنون، ويذكرون) بالياء فيهما، وقرأ الآخرون: بالياء، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلاً كقولك لمن لا يزور: قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً.

[٤٣، ٤٤] ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَلَوْ نَقُولُ﴾، تحرَّص واختلق، ﴿عَلَيْنَا﴾، محمد، ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾، وأتى بشيء من عند نفسه.

[٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، قيل (من) صلة، مجازة: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق، كقوله: (كنتم تأتوننا عن اليمين)، أي من قبل الحق. وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة، وقيل: معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل معناه: لأذللناه، وأهاناه كالسلطان، إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه.

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: أي

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: أي

نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر. وقيل: هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

[٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمدًا لا يتكلف الكذب لأجلكم، مع علمه بأنه لو تكلمه لعاقبناه، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: (حاجزين) بالجمع وهو فعل واحد ردًا على معناه كقوله: (لا نفرق بين أحد من رسله).

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَنذَكُوهَ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله.

[٤٩، ٥٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ ۚ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُمْ لَحِقُّ الْعَقَابِ﴾، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

## (٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (سأل) بغير همز وقرأ الآخرون: بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سأل يسأل مثل خاف يخاف، وقيل: هو من السيل، وسأل وادٍ من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾، قيل: هي بمعنى (عن) كقوله: (فاسأل به خبيراً) أي عنه خبير، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب، ﴿وَأَقْرَبُ﴾، نازل كائن على من ينزل، ولمن ذلك العذاب.

[٢] فقال الله مبيِّنًا مجيبًا لذلك السائل: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزَّلَ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ لَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَالِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحِقُّ الْعَقَابِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْأَهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٨﴾ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمدًا فسأله فأنزل الله: (سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ ١ للكافرين ليس له دافعٌ ٢ من الله ذي المعارج ٣ تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ٤ فاصبر صبرًا جميلًا ٥ إنهم يرونه بعيدًا ٦ ونراه قريبًا ٧ يوم تكون السماء كالأهل ٨ وتكون الجبال كالعهن ٩ ولا يسأل حميمٌ حميمًا ١٠).

[٣] ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، أي بعذاب من الله، ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، قال ابن عباس: أي ذي السموات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد ابن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦٩

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزُمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١٧﴾  
 وَصَجِبْتَهُ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلِيتهِ الَّتِي تَوْبِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ  
 جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا  
 مَنْ أَدْبَرُ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا  
 ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُ رُجُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا  
 الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي  
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ  
 يَوْمَ الْوَالِدِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ  
 رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَیَّ  
 أَرْوَاهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَهُ  
 ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾  
 وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾  
 أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْتَدِعِينَ ﴿٣٦﴾  
 عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ آسِرٍ مِنْهُمْ  
 أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ﴾.

[١٢، ١٣] ﴿وَصَجِبْتَهُ وَأَخِيهِ﴾ و﴿فَصَّلِيتهِ﴾ عشيرته التي فصل منهم. وقال مجاهد: قبيلته. وقال غيره: أقربائه الأقربين. ﴿الَّتِي تَوْبِيهِ﴾، أي تضمه ويأوي إليها.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، يود لو يفتدي بهم جميعًا، (ثم يُنْجِيهِ)، ذلك الفداء من عذاب الله.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾، لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّمَا لَأَطْفَىٰ﴾، وهي اسم من أسماء جهنم. وقيل: هي الدركة الثانية، سميت بذلك لأنها تلتظي أي تلتهب.

[١٦] ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِ﴾ وهي الأطراف: اليدان، والرجلان، والأطراف. وقال مجاهد: لجلود الرأس. وروى إبراهيم بن المهاجر عنه: اللحم

[٤] ﴿مَرْجُ الْمَلَيْكَةِ وَالرُّوحِ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿إِلَيْهِ﴾ أي إلى الله عز وجل، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، من سني الدنيا. قال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضًا: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا. وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل.

[٥] ﴿فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا﴾، يا محمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

[٦، ٧] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾، يعني العذاب، ﴿وَيَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾، لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة.

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾، كعكر الزيت. وقال الحسن: كالفضة إذا أذيت.

[٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، كالصوف المصبوغ. ولا يقال عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش.

[١٠] ﴿وَلَا يَنْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، قرأ البزي عن ابن كثير (لا يسأل) بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له: أين حميمك؟ وقرأ الآخرون: بفتح الياء، أي لا يسأل قريب قريبًا لشغله بشأن نفسه.

[١١] ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾، يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقربته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه. قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده. وقيل: يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه ﴿يَوْمَ الْمَجْزُمِ﴾، يتمنى المشرك،

[٣٥، ٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مَّكْرُومٍ﴾ .

[٣٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي فما بال الذين كفروا، كقوله: (فما لهم عن التذكرة معرضين)، ﴿فَلَيْكَ مُهْطِعِينَ﴾، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستتهزئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾، حلقًا وفرقًا. [٣٨] ﴿أَيُّطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾، قال ابن عباس: معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كُذِّبَ نبي؟

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾، لا يدخلها، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة.

[٤٠، ٤١] ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَيَّ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ .

[٤٢] ﴿فَدَرَّهْمٌ يُحْضَوْنَ﴾، في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُونَ﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾، نسختها آية القتال.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، أي القبور، ﴿سِرَاعًا﴾، إلى إجابة الداعي، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ﴾، قرأ ابن عامر وحفص (نصب) بضم النون والصاد، وقرأ الآخرون: بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نُصِبَ عيني. وقال الكلبي: إلى علم ودراية. ومن قرأ بالضم. قال

دون العظام. قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحمًا ولا جلدًا. وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظام.

[١٧] ﴿تَدْعُوهُ﴾، النار إلى نفسها، ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾، على الإيمان، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي. قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾، أي جمع المال، ﴿فَأَوْعَى﴾، أمسكه في الوعاء ولم يؤدِّ حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقٌ هَلُوعٌ﴾، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهلوع الحريص على ما لا يحل له. وقال سعيد بن جبيرة: شحيحًا. وقال عكرمة: ضجورًا. وقال الضحاك والحسن: بخيلًا. وقال قتادة: جزوعًا. وقال مقاتل: ضيق القلب. والهلع. شدة الحرص، وقلة الصبر. وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده.

[٢٠، ٢١] وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم يُنْفِق.

[٢٢] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الْمَصَلِينَ﴾، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

[٢٣] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض.

[٢٤-٣٣] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الْبَيِّنِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَدَابِ رَبِّهِمْ يُسْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها ولا يغيرونها.

سُورَةُ نُوحٍ

٥٧٠

سُورَةُ نُوحٍ

فَلَا أَسْمِ رَبِّ الْمَسْرِقِ وَالْمَعْزِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤١﴾ عَلَيَّ أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ  
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَأَطْلَعُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي  
يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ سَرَّاعًا مَا كَانُوا إِلَىٰ نَصِيبِ يَوْمِئِذٍ  
﴿٤٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَفُهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

## سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا  
اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ  
إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا  
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ  
فِيءَ إِذَا نِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا  
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ  
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾، أي كررت الدعاء  
معلنًا، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، قال ابن عباس: يريد  
الرجل بعد الرجل، أكلمه سرًا بيني وبينه، أدعوه  
إلى عبادتك وتوحيدك.

[١٠، ١١] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝  
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، وذلك أن قوم نوح  
لما كذبوه زمانًا طويلًا حبس الله عنهم المطر وأعقم  
أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم  
وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا  
ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد،  
يرسل السماء عليكم مدرارًا.

[١٢، ١٣] ﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِنَ﴾، قال عطاء:  
يكثر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ  
أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، قال ابن عباس  
ومجاهد: لا ترون لله عظمة. وقال سعيد بن جبيرة:

مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانهم التي كانوا  
يعبدونها من دون الله. قال الحسن: يسرعون إليها  
أيهم يستلمها أولًا ﴿بُؤْثُونَ﴾، أي يسرعون.  
[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾، ذليلة خاصعة ﴿أَبْصَرُهُمْ تَرْهَفَهُمْ  
ذَلَّةٌ﴾، يغشاهم هوان، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾،  
يعني يوم القيامة.

## (٧١) سُورَةُ نُوحٍ

[١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾،  
بأن أنذر قومك، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،  
المعنى: إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم  
يؤمنوا.

[٢] ﴿قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أنذركم وأبين  
لكم.

[٣، ٤] ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝ يَغْفِرْ  
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، (من) صلة أي يغفر لكم  
ذنوبكم. وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت  
الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم، ﴿وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُسَمًّى﴾، أن يعافيكم إلى منتهى آجالهم فلا  
يعاقبكم، ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ﴾، يقول آمنوا قبل الموت، تسلموا من  
العذاب، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا  
يمكنكم الإيمان.

[٥، ٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ  
دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾، نفارًا وإدبارًا عن الإيمان والحق.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾، إلى الإيمان بك،  
﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَ إِذَا نِهِمْ﴾، لثلا يسمعوا  
دعوتي، ﴿وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ﴾، غطوا بها وجوههم  
لثلا يروني، ﴿وَأَصْرُوا﴾، على كفرهم،  
﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾، عن الإيمان بك، ﴿أَسْتَكْبَارًا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، معلنًا: بالدعاء.  
قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته. وقال الكليبي: لا تخافون الله حق عظمته. والرجاء: بمعنى الخوف، والوقار: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم. قال الحسن: لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يبيحكم على توفيركم إياه خيراً.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، تارات، حال بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كما يقال: أتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم، وفلان متوارٍ في دور بني فلان وهو في دار واحدة.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، مصباحاً مضيئاً.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الأرض، والناس ولده، قوله: (نباتاً) اسم جعل في موضع المصدر أي نباتاً، قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتم نباتاً.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾، منها يوم البعث أحياء، ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، فرشها وبسطها لكم.

[٢٠] ﴿لَتَسْتَلْكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، طرقاً واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾، يعني لم يجيبوا دعوتي، ﴿وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَا لَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾، يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزددهم كثرة المال والولد إلا ضللاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

[٢٢] ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، أي كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكبار، بالتخفيف، وكبار بالشديد، شدد للمبالغة، كلها بمعنى واحد كما يقال: أمر عجيب وعجاب بالشديد أشد في المبالغة،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْتَلْكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَا لَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا الْهَتَكَرَ وَلَا تَنْذِرُنَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتُمْ فِيهَا فَاذْجَلُوا أَنَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلُوعًا عَبْدًا وَلَا يَلِدُوا إِلَّا الْفَاجِرًا كَفَارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

واختلفوا في مكرهم. قال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً. قال الضحاك: افتروا على الله وكذبوا رسله. وقيل: منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرشهم على قتله.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾، لهم ﴿لَا تَنْذِرُنَا الْهَتَكَرَ﴾، أي عبادتها، ﴿وَلَا تَنْذِرُنَا وَدَا﴾، قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها، ﴿وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، هذه أسماء آلهتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك

ابن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين، ﴿وَلَمَن دَخَلَ بَيْتِي﴾، داري ﴿مُؤْمِنًا﴾، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفيتي. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل، ﴿وَلَا نُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾، هلاكًا ودمارًا فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.

## (٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وكانوا تسعة من جن نصيبين. وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف. ﴿فَقَالُوا﴾، لما رجعوا إلى قومهم، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، قال ابن عباس: بليغًا أي قرآنًا ذا عجب يعجب منه لبلاغته.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾، ﴿وَلَنُشْرِكَ رَبَّنَا أَهْلًا﴾. [٣] ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال: جد الرجل أي عظم، ومنه قول أنس: إذا كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: (جد ربنا) أي أمر ربنا. وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿مَا أَخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَكَلًا﴾. قيل: تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبةً وولداً.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، هو إبليس، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، كذبًا وعدوانًا وهو وصفه بالشريك والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، حسبنا، ﴿أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ

وسُمِّيت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل: (رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس)، وقال مقاتل: أضل كبراً وهم كثيرًا من الناس. ﴿وَلَا نُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا صَلَاحًا﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحًا أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن).

[٢٥] ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾، أي من خطيباتهم، (وما) صلة، وقرأ أبو عمرو (خطاياهم) وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أَغْرَقُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَأَضَلُّوا نَارًا﴾، قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فأدخلوا نارًا في الآخرة، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، لم يجدوا أحدًا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، أحدًا يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران، وقال القتيبي: إن أصله من الدار أي نازل دار.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾، قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة، وأخبر الله نوحًا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، واسم أبيه لمك



سُورَةُ الْجِنِّ

٥٧٢

سُورَةُ الْجِنِّ

## سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا  
 عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾  
 وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدْرًا مِّنَّا فَأَحْسَبُهُ وَلاَ وِلْدَانًا لَهُمْ وَأَنَّهُ كَانَتْ  
 يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٣﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ  
 وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٤﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ  
 مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ  
 اللَّهُ أَحَدًا ﴿٦﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَوْبٍ حَرِيسٍ  
 شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٧﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ  
 يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٨﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ  
 يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ  
 وَمَتَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقِينَ قَدَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ  
 اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١١﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَى  
 ءَأْمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِمَخْسًا وَلاَ رَهَقًا ﴿١٢﴾

حالاتهم، وأصلها من القد وهو القطع، قال  
 مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: أهواء  
 مختلفة وقال ابن كيسان: شيعًا وفرقًا لكل فرقة  
 هوى كأهواء الناس. وقال سعيد بن جبير: ألوانًا  
 شتى. وقال أبو عبيدة: أصنافًا.

[١٢] ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾، علمنا وأيقنا، ﴿أَن لَّنْ نُّعْجِزَ  
 اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لن نفوته إن أراد بنا أمرًا، ﴿وَلَنْ  
 نُّعْجِزُهُ هَرَبًا﴾، إن طلبنا.

[١٣] ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَى﴾، القرآن وما أتى  
 به محمد، ﴿ءَأْمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ  
 بِمَخْسًا﴾، نقصانًا من عمله وثوابه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾،  
 ظلمًا. وقيل: مكروها يغشاها.

[١٤] ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وهم الذين آمنوا  
 بمحمد ﷺ، ﴿وَمِنَّا الْكٰفِرُونَ﴾، الجاثرون العادلون  
 عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله ندًا،

وَالْجِنُّ﴾، قرأ يعقوب (تقول) بفتح الواو وتشديدها  
 ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي كنا نظنهم صادقين في قولهم:  
 إن لله صاحبة وولدًا حتى سمعنا القرآن.

[٦] قال الله: ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ  
 بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وذلك أن الرجل من العرب في  
 الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في الوادي قال:  
 أعوذ بسيد سفهاء قومه، فبييت في أمن وجوار منهم  
 حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ﴾، يعني زاد الإنس الجن  
 باستعاذتهم بقادتهم ﴿رَهَقًا﴾، قال ابن عباس:  
 إنمًا. وقال مجاهد: طغيانًا. وقال مقاتل: غيًّا.  
 وقال الحسن: شرًا. وقال إبراهيم: عظمة وذلك  
 أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانًا، يقولون:  
 سدنا الجن والإنس، والرهق في كلام العرب الإثم  
 وغشيان المحارم.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، يقول الله تعالى: إن الجن  
 ظنوا، ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾، يا معشر الكفار من الإنس،  
 ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، بعد موته.

[٨] ﴿وَأَنَا﴾، يقول الجن، ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾، قال  
 الكلبي: السماء الدنيا، ﴿فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَوْبٍ حَرِيسٍ  
 شَدِيدًا﴾، من الملائكة ﴿وَشُهَبًا﴾، من النجوم.

[٩] ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾. من السماء، ﴿مَقْعِدًا  
 لِلسَّمْعِ﴾، أي كنا نستمع، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ  
 شُهَابًا رَّصَدًا﴾، أرصد له ليرمي به، قال ابن قتيبة: إن  
 الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل  
 ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا  
 يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ  
 منعوا من ذلك أصلًا. ثم قالوا:

[١٠] ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ﴾،  
 برمي الشهب، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

[١١] ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمَتَادُونَ ذَلِكَ﴾. دون  
 الصالحين. ﴿كُنَّا طَارِقِينَ قَدَدًا﴾، أي جماعات  
 متفرقين وأصنافًا مختلفة، والقد: القطعة من  
 الشيء، يقال: صار القوم قددًا إذا اختلفت

سُورَةُ الْجِنِّ

٥٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾  
 وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا اشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ الْإِبْلَغُ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَحَدٌ قَرِيبٌ مَّا يُوعَدُونَ أَمَّا يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

يخلصوا الله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ. وقال سعيد بن جبیر: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾.

وروي عن سعيد بن جبیر أيضاً: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجهة واليدان والركبتان والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي تقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره. فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدنا مسجد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدنا مسجد بفتح الجيم.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، يعني النبي ﷺ، ﴿يَدْعُوهُ﴾، يعني يعبهه ويقرأ القرآن وذلك حين كان

يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مسقط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الذين كفروا، ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة.

[١٦] ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريق الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾، كثيراً، قال مقاتل: وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيراً وعيشاً رغداً، وضرب الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم) الآية. وقال: (لو أن أهل القوى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء) الآية.

[١٧] وقوله تعالى: ﴿لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ﴾، أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما حوّلوا. وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيراً ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراباً حتى يفتنوا بها فعذبهم كما قال الله: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) الآية.

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، قال ابن عباس: شاقاً، والمعنى ذا صعيد أي ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن

أبلغ بلاغاً من الله فإنما أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، يعني العذاب يوم القيامة، ﴿فَسِعِلْمُونَ﴾، عند نزول العذاب، ﴿مَنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾، أهم أم المؤمنين.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ﴾، أي ما أدري، ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾، من العذاب وقيل: يوم القيامة، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾.

[٢٦، ٢٧] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾، رفع على نعت أجلاً وغاية تطول مدتها يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله. قوله (ربي)، وقيل: هو عالم الغيب، ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾، لا يطلع، ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إلا من أرزق من رسول، إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب، ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾، ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصداً أي يجعل بين يديه وخلفه من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذروه، وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

[٢٨] ﴿لِيَعْلَمَ﴾، قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس، ﴿أَنَّ﴾ الرسل، ﴿قَدْ أبلغُوا﴾، وقرأ الآخرون: بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا، ﴿رَسَلْتِ رَبَّهُمْ وَاحْطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿وَاحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، قال ابن عباس: أحصى ما خلق

يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿كَأدُوا﴾، يعني الجن، ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير عنه: هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني لما قام عبدالله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبتلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر وينصره على من ناواه، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة (قل) على الأمر، قرأ الآخرون (قال) يعني رسول الله ﷺ: إنما أدعو ربي، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجريك، فقال لهم: إنما أدعو ربي، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أملكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾، لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ﴿وَلَا رَشَدًا﴾، أي لا أسوق لكم أو إليكم رشداً، أي خيراً، يعني أن الله يملكه.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، لن يمنعني منه أحد إن عصيته. ﴿وَلَنْ أجدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا﴾، ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزاً. وقال الكلبي: مدخلاً في الأرض مثل السرب.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه. وقيل: لا أملك لكم ضراً ولا رشداً لكن

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديدًا. قال الحسن: إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل. قال قتادة: ثقيلًا هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين. قال الحسين ابن الفضل: قولًا خفيفًا على اللسان ثقيلًا في الميزان. قال الفراء: ثقيلًا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

[٦] قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾، أي ساعاتها كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو، ومنه نشأت السحابة إذا بدت، وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله ناشئة. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾، قرأ ابن عامر وأبو عمر: وطاء بكسر الواو ممدودًا بمعنى المواطأة والموافقة، يقال وطأت فلانًا مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار. وقرأ الآخرون: بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ

وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل، ونصب (عددًا) على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عدّ عددًا.

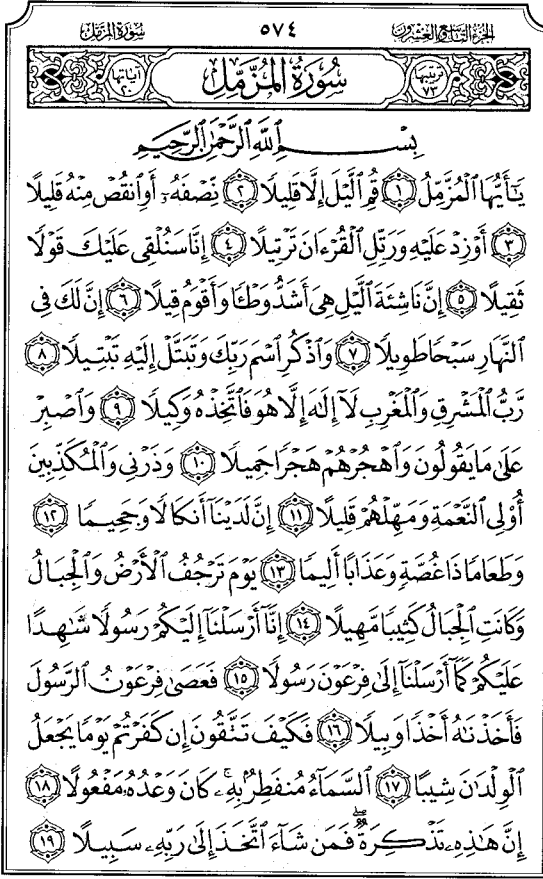
## (٧٣) سُورَةُ الْمَزْمَلِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾، أي الملتف بثوبه، وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي، ومثله المدثر أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل. قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول.

[٢] ﴿وَرُؤِيَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي للصلاة، (إِلَّا قَلِيلًا)، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال:

[٣] ﴿يُصَفِّهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾، إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ﴾، على النصف إلى الثلثين، وخيره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: (فأقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى) الآية، فكان بين أول السورة وآخرها سنة، وقال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿وَرَبَّلَ الْقُرْآنَ رَبِّيًّا﴾، قال ابن عباس: بينه بيانًا. قال الحسن: اقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلًا. قال قتادة: ثبت فيه تثبتًا. وعن ابن عباس أيضًا: اقرأه على هيتك ثلاث آيات أو أربعًا أو خمسًا.



للقراءة. وقال الفراء: أثبت قيامًا أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار خلق لتصرف العبادة، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشد نشاطًا. وقال ابن زيد: أفرغ له قلبًا من النهار لأنه لا تعرض فيه حوائج. وقال الحسن: أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطان. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، وأصوب قراءة وأصح قولاً لهدأة الناس وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولاً بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطًا وأتم إخلاصًا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، أي تصرفًا وتقلبًا وإقبالًا وإدبارًا في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء. وقيل: سبحًا طويلًا أي فراغًا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل، وقرأ يحيى ابن يعمر (سبحًا) بالخاء المعجزة أي استراحة وتخفيفًا للبدن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، قال ابن عباس وغيره: أحلص إليه إخلاصًا. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته. وقال سفيان: توكل عليه توكلًا. وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعًا، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته، والتبتيل: تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه نفسك، ولذلك قال: تبتيلًا. قال ابن زيد التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

[٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص (رب) برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون: بالجر على نعت الرب في قوله: (اذكر اسم ربك)، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، قيمًا بأمرورك ففوضها إليه.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، نسختها آية القتال.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾، نزلت في صنديد قريش المستهزئين. وقال مقاتل ابن حيان: نزلت في المطعميين بيدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا بيدر.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾، عندنا في الآخرة، ﴿أَنْكَالًا﴾، قيودًا عظامًا لا تنفك أبدًا، واحدها نكل. قال الكلبي: أغلالًا من حديد، ﴿وَجَحِيمًا﴾.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، غير سائغة يأخذ بالحق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضرع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، أي تتزلزل وتتحرك، ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا﴾، رملاً سائلاً، قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلًا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه.

عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله عزّ وجلّ يقول: فاقروا ما تيسر منه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجِيٌّ وَآخَرُونَ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿وَأَخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لا يطبقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئاً ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبدالله: (وآخرون يضرّبون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله). ﴿فَاقْرَأُوا مَا بَيَّنَّزَ مِنْهُ﴾، أي ما تيسر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قال ابن عباس: يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، من الذي أخرتم، ولم تقدموه ﴿وَأَسْتَفِرُّوا اللَّهَ﴾، لذنوبكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

### (٧٤) سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

[٢، ١] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُرْ فَأَنْذِرْ﴾، أي أنذر كفار مكة.

[٣] ﴿وَرَبِّكَ فَكَّرِ﴾، أي عظّمه عمّا يقوله عبدة الأوثان.

[٤] ﴿وَيَايَكَ فَطَهَّرِ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكنى عن النفس بالثوب، وهو

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾، شديدًا ثقيلًا، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة، وبأي شيء تحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، شمطاً من هولاه وشدته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك.

[١٨] ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿الْسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، متشقق لنزول الملائكة به أي: بذلك المكان. وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، كائنًا.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، أي آيات القرآن ﴿تَذَكُّرٌ﴾، تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ أُخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، بالإيمان والطاعة.

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾، أقل ﴿مِن ثُلثِي اللَّيْلِ وَصَفْتَهُ وَثَلَّثْتَهُ وَطَافَيْتَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿وَاللَّهُ يُبَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نُحْصِيَهُ﴾، قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: (عَلِمَ أَنْ لَنْ نُحْصِيَهُ)، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة ألا يصيب ما أمر به من القيام، فقال: علم أن لن تحصوه: لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾، فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، ﴿فَاقْرَأُوا مَا بَيَّنَّزَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن حازم: صليت خلف ابن

سورة المدثر

٥٧٥

سورة المدثر

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن كُلِّ نَيْلٍ وَوَصْفَهُ وَإِنَّهُ مَوْطِئَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَآمِنْ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْجُؤٌ وَعَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَآمِنْ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَرْضُوا لِلَّهِ فَضًّا حَسَنًا وَمَا نَفَيْتُمُوهُ إِلَّا تَفْسِيرًا مِّنْ خَيْرٍ مَّجْدُوهِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٠﴾

## سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَابِعُهَا الْمَدَّثَرُ ﴿١﴾ قُرْآنِيذِرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾  
وَالرَّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾  
فَإِذَا نَفَرْنَا فِي السَّمَاءِ ﴿٨﴾ فَذَلِكِ يَوْمَ يَمِيزُ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ  
عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا  
مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ أَيْدِيهِ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ  
أَنْ أُرِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾

لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرًا أو عرضًا من الدنيا.

[٧] ﴿لِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾، قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أوديت فيه. وقال ابن زيد: معناه حملت أمرًا عظيمًا فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

[٨] ﴿فَإِذَا نَفَرْنَا فِي السَّمَاءِ﴾، أي نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل يعني النفخة الثانية.

[٩] ﴿فَذَلِكِ﴾ أي النفخ في الصور، ﴿يَوْمَ يَمِيزُ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿عَسِيرٌ﴾، شديد. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعسر فيه الأمر عليهم، ﴿عَسِيرٌ يَسِيرٌ﴾، غير هين.

قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: (وَيَتَابِعُكَ فَطَهِّرْ)، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحًا إنه لظاهر الثياب، وإذا كان فاجرًا إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر. وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسن. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم. وقال طاوس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها.

[٥] ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)، وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم. وقال أبو العالية والربيع: الرجز بضم الراء الصنم، وبالکسر النجاسة والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

[٦] ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْبِرُ﴾، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: لا تعط شيئًا طمعًا لمجازاة الدنيا، يعني أعط لربك وأرد به الله. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خفيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل منين إذا كان ضعيفًا دليبه قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير)، وقال ابن زيد معناه:

[١١] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَرَىٰ وَمَنْ حَلَفْتُ وَحِيدًا﴾، أي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه.

[١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾، أي كثيرًا. قيل: هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة.

[١٣] ﴿وَوَيْتَنَ شُهودًا﴾ حضورًا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة. وقال مقاتل: كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة.

[١٤] ﴿وَوَهَّدْتُ لَهُ تَهْجِيدًا﴾، أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطًا. وقال الكلبي: يعني المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش.

[١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾، يرجو، ﴿أَنْ أُرِيدَ﴾، أي أن أزيده مالًا، وولداً، وتمهيدًا.

[١٦] ﴿كَلَّا﴾، لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآي في نقصان من ماله وولده حتى هلك. ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا﴾، معانداً.

[١٧] ﴿سَاءَ جَهَنَّمَ صَعُودًا﴾، سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها.

[١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ في محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

[١٩] ﴿فَقِيلَ﴾، لعن، وقال الزهري: عذب، ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، كرهه للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حال صنع.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾، في طلب ما يدفع به القرآن ويرده.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾، كلع وقطب وجهه ونظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء.

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾، تكبر حين دعي إليه.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا﴾، ما هذا الذي يقرأه محمد، ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبْتُوتٌ﴾، يروى ويحكى عن السحرة.

[٢٥] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، يعني يسارًا وجبرًا فهو يأثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة.

[٢٦] قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ﴾، سأدخله ﴿سَفَرًا﴾، وسقرا سم من أسماء جهنم.

[٢٧، ٢٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ﴾ لا تبقى ولا تذر، أي لا تبقى ولا تذر فيها شيئًا إلا أكلته وأهلكته.

وقال مجاهد: لا تمت ولا تحيي يعني لا تبقى من فيها حيًا ولا تذر من فيها ميتًا، كلما احترقوا جدوا. وقال السدي: لا تبقى لهم لحمًا ولا تذر لهم عظمًا. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبقى منهم شيئًا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفتيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم.

[٢٩] ﴿لَوَاحٍ لِّلنَّارِ﴾، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحة السقم والحزن إذ غيره، قال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادًا من الليل. وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانًا.

[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ﴾، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، لا رجالًا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ﴾، أي عددهم في القلة، ﴿إِلَّا قِتْنَةَ لِّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي ضلالة لهم ﴿لِيَسْتَقِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل إنهم تسعة عشر، ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾، يعني من آمن من أهل



سورة المدثر

٥٧٦

الجزء التاسع والعشرون

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٣٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَمَرَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٤٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٤٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٤٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٤٧﴾ لَا نَبِيَّ وَلَا نَذْرَ ﴿٤٨﴾ لَوْ أَحْبَبَ لِلْبَشَرِ ﴿٤٩﴾ عَلَيْنَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٥٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّيْسَتِ يَنْفَعُ الَّذِينَ آوَأُوا إِلَى الْكِتَابِ وَزَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ آوَأُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٥١﴾ قَالَ مَقَاتِلُ: هَذَا جَوَابُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ: أَمَا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانٌ إِلَّا تِسْعَةٌ؟ قَالَ عَطَاءُ: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ يَعْنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لَتَعْدِيبِ أَهْلِ النَّارِ، لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَالْمَعْنَى إِنْ تِسْعَةٌ عَشْرَهُمْ خِزْيَةُ النَّارِ، وَلَهُمْ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ سَقَرٍ فَقَالَ: ﴿وَمَا هِيَ﴾، يَعْنِي النَّارَ، ﴿إِلَّا ذَكَرْتُ لِلشَّرِّ﴾، إِلَّا تَذْكَرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ.

[٣٢] ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾، هَذَا قَسَمٌ يَقُولُ حَقًّا.

[٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ دَبَّرَ اللَّيْلُ وَأَدْبَرَ إِذَا وُلِيَ ذَاهِبًا.

[٣٤] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾، أَضَاءَ وَتَبَيَّنَ.

[٣٥] ﴿إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ﴾، يَعْنِي أَنَّ سَقَرَ لِإِحْدَى الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَوَاحِدِ الْكَبِيرِ كَبِيرِي، قَالَ مَقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ: أَرَادَ بِالْكَبِيرِ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ وَهِيَ سَبْعَةٌ: جَهَنَّمَ وَلِظَى وَالْحَطْمَةُ وَالسَّعِيرُ وَسَقَرُ وَالْحَجِيمُ وَالْهَآوِيَةُ.

[٣٦] ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يَعْنِي النَّارَ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ. قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهُ مَا أَنْذَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَدَهَى مِنْهَا.

[٣٧] ﴿لَمَنْ شَاءَ﴾، بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ لِلشَّرِّ: ﴿مَنْ كَرِهَ أَنْ يَتَّقَمَّ﴾، فِي الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ﴿أَوْ يَتَّخِرَ﴾، عَنْهَا فِي الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنذَارَ قَدْ حَصَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ آمَنَ أَوْ كَفَرَ.

[٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، مَرْتَهَنَةٌ فِي النَّارِ

بِكَسْبِهَا مَأْخُذَةٌ بِعَمَلِهَا.

[٣٩] ﴿إِلَّا أَحْصَى الْيَبِينِ﴾، فَإِنَّهُمْ لَا يَرْتَهِنُونَ

بِذُنُوبِهِمْ فِي النَّارِ وَلَكِنْ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ. قَالَ قَتَادَةُ

عَلِقَ النَّاسُ كُلَّهُمْ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. وَاخْتَلَفُوا

فِيهِمْ رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ أَسْبَابَ أَطْفَالِ

الْمُسْلِمِينَ. وَرَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُمْ

الْمَلَائِكَةُ. وَقَالَ مَقَاتِلُ: هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ

كَانُوا عَلَى يَمِينِ آدَمَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، حِينَ قَالَ اللَّهُ

لَهُمْ: «هُؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي» وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمْ

الَّذِينَ أُعْطُوا كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمْ

الَّذِينَ كَانُوا مِيَامِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ:

هُمُ الْمُسْلِمُونَ الْمُخْلِصُونَ. وَقَالَ الْقَاسِمُ: كُلُّ نَفْسٍ

مَأْخُذَةٌ بِكَسْبِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى

الْفَضْلِ، وَكُلٌّ مِنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْكَسْبِ فَهُوَ رَهِينٌ بِهِ،

وَمَنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْفَضْلِ فَهُوَ غَيْرُ مَأْخُذٍ بِهِ.

الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال عكرمة: هي

ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة

[٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا

مُنشَرَةً﴾، قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا

لرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا

كتاب منشور من الله أنك لرسوله تؤمر فيه باتباعك.

قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن

الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا عند رأسه

ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب

وهي جمع الصحيفة ومنشورة منشورة.

[٥٣] فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، لا يؤتون

الصحف. وقيل: حقًا وكل ما ورد عليك منه فهذا

وجهه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، أي لا يخافون

عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما

اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

[٥٤] ﴿كَلَّا﴾، حقًا، ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن،

﴿نَذِيرَةٌ﴾، موعظة.

[٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، اتعظ به.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾، قرأ نافع ويعقوب:

تذكرون بالتاء والآخرين بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ﴾، قال مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى.

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾، أي أهل أن تتقى

محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

## (٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قرأ القواس عن ابن

كثير (لأقسيم) الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

[٢] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، بالألف، وكذلك

قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم

القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه

أقسم بهما جميعًا و(لا) صلة فيهما أي أقسم بيوم

[٤٠، ٤١] ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾،

المشركين.

[٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، أدخلكم، ﴿فِي سَقَرٍ﴾،

فأجابوا.

[٤٣] ﴿قَالُوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، لله.

[٤٤-٤٧] ﴿وَلِمَ نَكُ نَطْعَمَ الْمَسْكِينِ ۝ وَكَيْفَا

نَحْوُصُ﴾، في الباطل، ﴿مَعَ الْفَاطِصِينَ ۝ وَكَيْفَا نُكَلِّبُ يَوْمَ

الَّذِينَ ۝ حَتَّىٰ أَتْنَا الْبَيْتَ﴾، وهو الموت.

[٤٨] قال عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ

الشَّفِيعِينَ﴾. قال ابن مسعود: تشفع الملائكة

والنيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين،

فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: ﴿قَالُوا لِمَ نَكُ

مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: (يَوْمَ الَّذِينَ)، قال عمران

ابن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء

الذين تسمعون.

[٤٩] ﴿فَمَا هُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، عن مواعظ

القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا

معرضين.

[٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ﴾، جمع حمار، ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾،

قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون

بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة،

ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر

بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب.

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾، قال مجاهد وقاتدة

والضحاك: القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من

لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس. وقال

سعيد بن جبيرة: هم القناص وهي رواية عطية عن

ابن عباس. وقال زيد بن أسلم: من رجال أقوياء

وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة. وعن

أبي المتوكل قال: هي لفظ القوم وأصواتهم.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال

الصيادين. وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول

عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، يقول: لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدمًا في معاصي الله ما عاش راكبًا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول: سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرًا لميله عن الحق.

[٦] ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي متى يكون ذلك تكديبًا به.

[٧] قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل: برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

[٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾، أظلم وذهب نوره وضوؤه. [٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، أي صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل: يجمعان فيطلعان من المغرب.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾، أي الكافر المكذب ﴿وَمِمِّذٍ أَتَى الْقَمَرُ﴾، أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

[١١] قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، لا حصن

القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم كقولك لا والله. وقال الفراء: (لا) ردًا لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتداء فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللُّؤَامَةَ﴾ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. قال قتادة: اللوامة: الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول: لو فعلت ولم أفعل. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت، وإن عملت شرًا قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي ما أردت بأكلامي. وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

[٣] ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر ﴿أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ بعد التفرق والبلى فتحبيه، قيل: ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: (قال من يحيي العظام وهي رميم).

[٤] ﴿بَلَى قَدَرِينَ﴾، أي نقدر يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿عَلَى أَنْ سُوِّىَ بِكَاثِرِهِ﴾، أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار، فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة، كالكتابة والخيطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فتؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به. وقال تعالى: لا جبل يومئذ يمنعهم.

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِدُ السُّعْرُ﴾ أي مستقر الخلق. وقال عبدالله بن مسعود: المصير والمرجع نظيره قوله تعالى: (إلى ربك الرجعى) (وإلى الله المصير) وقال السدي: المنتهى، نظيره: (وإن إلى ربك المنتهى).

[١٣] ﴿يَبْتَؤُا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ، وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال عطية عن ابن عباس: بما قدم من المعصية وآخر من الطاعة. وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وآخر من حق الله فضيعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة.

[١٤] ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، قال عكرمة ومقاتل والكلبي: معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهي سمعه وبصره وجوارحه، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان ههنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة، يعني لجوارحه، فحذف حرف الجر كقوله: (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتاً لاسم مؤنث، أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وقال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس. والهاء في بصيرة للمبالغة، دليل هذا التأويل قوله عز وجل: (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً).

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾، يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال: (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم). وهذا قول

سورة القيامة ٥٧٧

فَأَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّالِقِينَ ﴿١٨﴾ فَأَلْهَمَهُمُ الْتَذَكُّرَ وَمُعْرِضِينَ ﴿١٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٢٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٢١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يُخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٢٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ. ﴿٢٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْيِ وَأَهْلُ الْعُفْرة ﴿٢٦﴾

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ. ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُؤْيَ بِنَانِهِ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. ﴿٥﴾ سَأَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا نَظَرَ الْبَصْرَ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرَ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ قَوْلَ الْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْتَؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ. ﴿١٥﴾ لَا تُحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ. ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحُ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا يَسَاتُهُ. ﴿١٩﴾

مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره، ومعنى الإلقاء: القول كما قال: (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون). وقال الضحاك والسدي: (ولو ألقى معاذيرُهُ) يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، وأهل اليمن يسمون الستر معذاراً وجمعه معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

[١٦] قوله عز وجل ﴿لَا تُحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ﴾ كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه وشفثته فيشدد عليه، وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل هذه الآية (١).

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٦٨٢/٨، ومسلم في الصلاة رقم (٤٤٨) ١/٢٣٠.

على الموت.

[٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، أي قال من حضره

الموت: هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

[٢٨] ﴿وَطَّرَ﴾، أي قن الذين بلغت روحه

الترابي، ﴿أَنَّهُ الْفَرَّاقُ﴾، من الدنيا.

[٢٩] ﴿وَاللَّفَتِ اللَّسَاتُ بِالسَّاقِ﴾، قال قتادة: الشدة

بالشدة. قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. قال سعيد بن جبير: تابعت عليه الشدائد. قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه. قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت، وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفتا عند الموت.

[٣٠] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾، أي مرجع العباد

إلى الله يساقون إليه.

[٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، يعني أبا جهل لم

يصدق بالقرآن ولا صلى الله.

[٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، عن الإيمان.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾، رجع إليهم،

﴿يَتَطَطَّرُ﴾، يتبختر ويختال في مشيه، قيل: أصله

يتمطط أي يتمدد، والمط هو المد.

[٣٥، ٣٤] ﴿أَوَّلُكَ لَكَ فَأَوَّلُكَ ۝ ثُمَّ أَوَّلُكَ لَكَ فَأَوَّلُكَ﴾، هذا

وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، تقال للرجل حيث يصيبه مكروه

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: علينا أن

نجمعه في صدرك، وقرآنه.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ تُرْبَهُ أَنفَهُ﴾، فإذا أنزلناه

فاستمع.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، علينا أن نبينه

لبسانك، وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل.

[٢٠، ٢١] ﴿كَلَّا بَلْ تُحْمَوْنَ الْعَائِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي

يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفار مكة.

[٢٢، ٢٣] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ۝ نَّاصِرَةٌ﴾، يوم القيامة ﴿نَّاصِرَةٌ﴾،

قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة.

وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: بيض يعلوها

النور. وقال السدي: مضية. وقال يمان: مسفرة.

وقال الفراء: مشرقة بالنعيم. يقال: نصر الله وجهه

ينصر نصرًا، ونصره الله، وأنصره، ونصر وجهه،

ينصر، نصره، ونضارة. قال الله تعالى: (تعرف في

وجوههم نصره النعيم)، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال ابن

عباس وأكثر الناس: تنظر إلى ربها عيانًا بلا

حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها

أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق.

[٢٤] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ۝ بَاسِرَةٌ﴾، عابسة كالحة مغبرة

مسودة.

[٢٥] ﴿نَظَرُ أَنْ يُفَعَلَ بِهَا فَافِرَةٌ﴾، تستيقن أن يعمل

بها عزيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة،

والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن

السيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول

النار. وقال الكلبي: هي أن يحتجب عن رؤية

الرب عز وجل.

[٢٦] ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾، يعني النفس كناية عن غير

مذكور، ﴿الترابي﴾، فحشرج بها عند الموت،

والترابي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر

والعائق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف

يستوجبه . وقيل : هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه . وأصلها من الولي وهو القرب ، قال الله تعالى : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) .

[٣٦] ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ، هملاً لا يؤمر ولا ينهى ، قال السدي : معناه المهمل وإبلٌ سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع .

[٣٧] ﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَعُ مِنْ مَمِيٍّ يُعْنَى﴾ تصب في الرحم ، قرأ حفص عن عاصم : (يمنى) بالياء وهي قراءة الحسن ، وقرأ الآخرون : بالتاء لأجل النطفة .

[٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُفَلَقَةً فَسَوًى﴾ ، فجعل فيه الروح وسوى خلقه .

[٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ، وخلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً .

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ ، الذي فعل هذا ، ﴿بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾

## (٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى﴾ ، قد أتى ، ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ ، يعني آدم عليه السلام ، ﴿حِينَ مِنَ الذَّهْرِ﴾ قبل أن ينفخ فيه الروح ، ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ، لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ، يريد : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً ، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح .

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ، يعني ولد آدم ، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ، يعني مني الرجل ومني المرأة . ﴿أَمْشَاجٍ﴾ ، أخلاط واحدها مشج ومشيج ، مثل خدن وخدين ، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع : يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد ، وقال الضحاك : أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء ، وقال يمان : كل لونين اختلطا فهو أمشاج ، وقال

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

٥٧٨

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

كَلَامٌ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَيَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٣﴾  
إِنْ رَجَعْنَا نَظْرَةً ﴿٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾  
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٨﴾ وَطُرُنَتْ أَنَّهُ الْفِرَاقِيُّ ﴿٩﴾ وَالنَّفْسُ  
السَّاقِيَةُ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِيُّ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٢﴾  
﴿١٣﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٤﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿١٥﴾ أَوْلَى لَكَ  
فَأَوْلَى ﴿١٦﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿١٧﴾ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٨﴾  
أَلَمْ يَكْ نُطْفَعُ مِنْ مَمِيٍّ يُعْنَى ﴿١٩﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُفَلَقَةً فَسَوًى ﴿٢٠﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ  
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢١﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْإِنْسَانِ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾  
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا  
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾  
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ  
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

قتادة : هي أطوار الخلق : نطفة ، ثم علقه ثم مضغة ، ثم عظمًا ثم يكسوه لحمًا ثم ينشئه خلقًا آخر . ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ ، نختبره بالأمر والنهي ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ، قال بعض أهل العربية : وفيه تقديم وتأخير ، مجازه : فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه ، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقه .

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ ، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة ، وعرفناه طريق الخير والشر . ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ، إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شقيًا . وقيل : معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر .

[٤] ثم بين ما للفریقین فقال : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ ، يعني في جهنم ، ﴿وَأَغْلَالًا﴾ يعني في أيديهم تغل في أعناقهم ، ﴿وَسَعِيرًا﴾ ، وقودًا شديدًا .

على حب الله، ﴿مَسْكِينًا﴾، فقيرا لا مال له، ﴿وَيَسِيرًا﴾، صغيرا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل المرأة، يقول النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان»<sup>(١)</sup> أي أسراء.

[٩] ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرُجْحِ اللَّهِ لَا تُزِيدُ مَنَكُورًا جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾، والشكور مصدر كالعقود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾، تعبس فيه الوجه من هوله وشدته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل نائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة، ﴿قَمَطِيرًا﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: القمطير الذي يقبض الوجه والجباه بالتعبس. وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطير: الشديد، قال الأخفش: القمطير: أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء، يقال: يوم قمطير وقماطر إذا كان شديدا تريبا.

[١١] ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، الذي يخافون، ﴿وَلَقَنَهُمْ فِضْرَةً﴾، حسنا في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، في قلوبهم.

[١٢] ﴿وَيَزِرُهُمْ يَمًا صَبْرًا﴾، على طاعة الله واجتتاب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، قال

[٥] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، ﴿يَشْرَبُونَ﴾، في الآخرة، ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾، فيه شراب ﴿كَانَ مِرْأَجَهَا كَأْفُورًا﴾، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة: مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني: أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده، لأن الكافور لا يشرب، وهو كقوله (حتى إذا جعله نارا) أي كنار، وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل ومجاهد: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

[٦] ﴿عَيْنًا﴾، نصب تبعًا للكافور وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عينًا. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، قيل: يشربها والباء صلة. وقيل: بها أي منها، ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: أولياء الله، ﴿يَفْجُرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره ههنا إلى حيث يريد.

[٧] ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾، هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك، قال قتادة: أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغيره من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب. وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾، فاشيا ممتدا، يقال: استطار الصبح إذا امتد وانتشر. قال مقاتل: كان شره فاشيا في السموات: فانشقت وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

[٨] ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْبٍ﴾، أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل:

(١) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢١٢/٣، والترمذي في أبواب الرضاع ٣٢٦/٤ وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه في النكاح برقم (١٨٥١) /١ .٥٩٤

عَيْنًا تَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٦﴾ يُوفُونَ بِالْقَدَرِ وَمَخَافُونَ  
يَوْمًا كَانَتْ شُرُهُمْ مُسْتَطِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَهْمٍ وَمَشْكُونًا  
وَيَتِمَّوْنَ أَسِيرًا ﴿١٨﴾ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوْلِمَ اللَّهِ لَا تَزِيدُكُمْ حِزًّا وَلَا شُكْرًا  
﴿١٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿٢٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ  
الْيَوْمِ وَلَقَدْ هَمَّتْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿٢١﴾ وَجَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا  
﴿٢٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَاقِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿٢٣﴾  
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُا وَذُلَّتْ أَفْئُودُهُا نَذِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ  
مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٢٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٢٦﴾  
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٢٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿٢٨﴾  
﴿٢٩﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿٣٠﴾  
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَأَكُمُوهَا ﴿٣١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ  
خُضْرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا  
طَهُورًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٣٣﴾ إِنَّا  
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ  
مَنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٣٥﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٦﴾

الحسن: أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير.

[١٣] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ نصب على الحال، ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعوا، ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي صيفًا ولا شتاءً. قال مقاتل: يعني شمسًا يؤذيهم حرها ولا زمهريًا يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهري: البرد الشديد. [١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُا﴾، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب (دانية) بالعطف على قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ﴾، وقيل: على موضع قوله: (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريًا) ويرون (دانية)، وقيل: على المدح. ﴿وَذُلَّتْ﴾، سُخِرَتْ وَفُرِبَتْ، ﴿فُطُوفُهَا﴾، ثمارها، ﴿نَذِيلًا﴾، يأكلون من ثمارها قيامًا وقعودًا ومضطجعين، ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

[١٥، ١٦] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ، قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها، ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، قدروا الكأس على قدر ربيهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، يشوق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيه جدًا، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفًا، ويمزج لسائر أهل الجنة.

[١٨] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، قال قتادة: سلسة متقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا، قال مجاهد:

حديدة الجبرية. قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان، وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت سلسيلاً لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: (تسمى) أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسيلاً صفة لا اسم.

[١٩] ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظومًا. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمشثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم.

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾، أي إذا رأيت ببصرك



ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿رَأَيْتَ نِعْمًا﴾، لا يوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، وهو أن أديانهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أديانهم. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكًا لا زوال له.

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدِينٌ﴾، قرأ أهل المدينة وحزمة (عاليتهم) ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة، أي فوقهم، وهو نصب على الظرف، ثياب سندس ﴿حُضْرًا وَإِسْتَبْرَقًا وَحُلُوا أَسَاوِرًا مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، قيل: طاهرًا من الأقدار والإقضاء لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولًا نجسًا ولكنه يصير رشحًا في أديانهم، كريح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحًا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الإذفر، وتضمير بطونهم وتعود شهوتهم. وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

[٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَشْكُورًا﴾، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم، وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورًا، قال عطاء: شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، قال ابن عباس: متفرقًا آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة.

[٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطَّعْ مِنْهُمْ﴾، يعني من مشركي مكة، ﴿إِنَّمَا أَوْ كَفُورًا﴾، يعني وكفورًا، والألف صلة.

سورة الإنسان

٥٨٠

سورة الإنسان

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٨﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٩﴾

## سورة المؤمنات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفِ فَاصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ تَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْقُرْقِ قُرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلَقِ قِ مَلَقًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَنْزِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنزِلَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي آيَاتِنَا يَنْذَرُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٥، ٢٦] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، يعني التطوع بعد المكتوبة.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾، يعني كفارة مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾، أي الدار العاجلة وهي الدنيا. ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾، يعني أمامهم، ﴿يَوْمًا نَقِيلًا﴾، شديدًا وهو يوم القيامة. أي يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَنَا وَأَحْكَمْنَا﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي خلقهم، يقال رجل حسن الأسر أي الخلق، وقال الحسن: يعني أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وروي عن مجاهد في تفسير الأسر قال: الفرج يعني موضع مصرفي البول

[٥] ﴿فَالْمَلَكَاتِ ذِكْرًا﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: (يلقي الروح من أمره).

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾، أي للإعذار والإنذار.

[٧] ﴿إِن مَّا تُوعَدُونَ﴾، من أمر الساعة والبعث، ﴿لَوْعًا﴾، لكائن ثم ذكر متى يقع.

[٨] فقال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُوسِتْ﴾، محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾، شقت.

[١٠] فقال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾، قلعت من أماكنها.

[١١] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.

[١٢] ﴿لَأَيَّ يَوْمٍ أُخِلَّتْ﴾، أي أخرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم.

[١٣] ثم بين فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، قال ابن عباس: يوم فصل الرحمن بين الخلائق.

[١٤-١٦] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَٰ أَلَمْ نُهِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.

[١٧] ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدًا ﷺ.

[١٨-٢٠] ﴿كَذَلِكَ نَفَعُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَٰ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، يعني النطفة.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعني الرحم.

[٢٢] ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، وهو وقت الولادة.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي (فقدرنا) بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون: بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿فَنِعْمَ الْفَعْلُورُونَ﴾،

وقيل: معناهما واحد، وقوله: (فنعم القادرون) أي المقدرّون.

[٢٤، ٢٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَٰ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا﴾، وعاء، ومعنى الكفت: الضم والجمع،

يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه. وقال الفراء:

والغائط إذا خرج الأذى انقبضا. ﴿وَإِذَا شَتْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾، أي إذا شتينا أهلكتناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلًا منهم.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، يعني هذه السورة، ﴿تَذِكْرَةٌ﴾، تذكير وعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، وسيلة للطاعة.

[٣٠، ٣١] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي لستم تشاءون إلا بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ۝ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ﴾، أي المشركين. ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

## (٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفًا أي كثيرًا، تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى قول مجاهد وقادة، قال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

[٢] ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

[٣] ﴿وَالنَّازِلَاتِ نَزْرًا﴾، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشرًا بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي أي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده.

يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم  
وتكفتهم أمواتاً في بطنها، أي تحوزهم .

[٢٦، ٢٧] وهو قوله: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا ۖ جِبَالًا ۖ شَمَخَاتٍ ۖ عَالِيَاتٍ، ۖ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتًا ۖ عَذَابًا .

[٢٨] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾ ، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة:

[٢٩] ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ، في الدنيا .

[٣٠] ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ﴾ ، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق . وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث: نور ودخان ولهب، فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين .

[٣١] ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لَا ظِلِّيلٌ ۖ يظل من الحر، ۖ وَلَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ ۖ﴾ ، قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب .

[٣٢] ﴿إِنَّمَا ۖ﴾ ، يعني جهنم، ﴿تَرْمِي بِشَكْرٍ ۖ﴾ ، وهو ما تطاير من النار، واحدها شجرة . ﴿كَالْقَصْرِ ۖ﴾ ، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون . وقال عبد الرحمن بن عباس عن قوله: (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال: هي الخشب العظام المقطعة .

[٣٣] ﴿كَأَنَّهُ ۖ﴾ رد الكناية إلى اللفظ، ﴿جَمَلٌ ۖ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي وحفص (جمالة) على جمع الجمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون (جمالات) بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨١

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا شَمَخَاتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِعْلُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنْ الْأْمَنِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَكَهَهُمْ مَنَابِشُهُونَ ﴿٤٢﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كَلُوا وَتَمَنَعُوا أَظْلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوكَ ﴿٤٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

بعض، حتى يكون كأوساط الرجال، ﴿صَفْرٌ ۖ﴾ ، جمع الأصفر، يعني لون النار، وقيل: الأصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث: إن شرر نار جهنم أسود كالقير، والعرب تسمي سود الإبل صفراً لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الطباء: آدم؛ لأن بياضها يعلوه كدره .

[٣٤، ٣٥] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ﴾ ، أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون .

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِعْلُدُونَ ۖ﴾ ، قال الجنيد: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه . [٣٧، ٣٨] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ﴾ ، بين أهل الجنة والنار، ﴿جَمَعْتُمْ وَالْأُولَىٰ ۖ﴾ ، يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كانوا أنبياءهم .

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

[٤٠، ٤١] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْأَمْتِنِينَ فِي ظُلُمٍ، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿وَعُيُونٍ﴾، الماء.

[٤٢] ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْثَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا بطاعتي.

[٤٤، ٤٥] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فِيلًا﴾، في الدنيا، ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾، مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب.

[٤٧-٤٨] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾، يعني صلوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾، لا يصلون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

[٤٩، ٥٠] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾، أي بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، إذا لم يؤمنوا به.

## (٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ

[١] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون، وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ.

[٢] ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾، قال مجاهد والأكثر: هو القرآن، دليله قوله: (قل هو نبأ عظيم)، وقال قتادة: هو البعث.

[٣، ٤] ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، فمصدق

## سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَزَكَّى أَوْ تَأَدَّى ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتَهُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ فَنَاتُونَ أَقْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ اللَّيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَحْمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُرُّوهُمْ فَلَنْ تَزِيدَهُمُ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

ومكذب، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، كلا نفي يقول: هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

[٥] ﴿تَزَكَّى أَوْ تَأَدَّى﴾، وعيد لهم على إثر وعيد. ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده.

[٦] فقال: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، فراشًا.

[٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، للأرض حتى لا تميد.

[٨] ﴿وَخَلَقْتَهُمْ أَزْوَاجًا﴾، أصنافًا ذكورًا وإناثًا.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾، أي راحة لأبدانكم.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، المعاش: العيش

وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سببًا للمعاش والتصرف في المصالح.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾، يريد سبع

سموات.

فيها أحقاباً) فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود.

[٢٤] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، قال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا شراباً ينفعهم من عطش.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، الغساق: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار.

[٢٦] ﴿جَزَاءً وَجَاءًا﴾، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

[٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي بما جاء به الأنبياء، ﴿كِذَابًا﴾، يعني تكديباً.

[٢٩] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

[٣١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، فوز ونجاة من النار، وقال الضحاك: متزهاً.

[٣٢] ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾، يريد أشجار الجنة وثمارها.

[٣٣] ﴿وَكُوَاعِبَ﴾، جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن، واحدها كاعب، ﴿أَزْجَابًا﴾، مستويات في السن.

[٣٤] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾، قال ابن عباس والحسن: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

[٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾، باطلاً من الكلام، ﴿وَلَا كِذَابًا﴾، تكديباً، لا يكذب بعضهم بعضاً.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾، يعني الشمس، ﴿وَهَاجًا﴾، مضيئاً منيراً.

[١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، يعني الرياح التي تعصر السحاب، وقال أبو العالية: المعصرات هي السحاب، ﴿مَاءً تَمَّازًا﴾، أي صباباً. وقال قتادة: متتابعاً يتلو بعضه بعضاً.

[١٥] ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾، أي بذلك الماء، ﴿حَبًّا﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿وَتِبَّاتًا﴾، ما تنبتة الأرض مما تأكله الأنعام.

[١٦] ﴿وَجَنَّتِ الْأَفْئَاتُ﴾، ملتفة بالشجر.

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، زمراً زمراً من كل مكان للحساب.

[١٩] ﴿وَفُجِحَتِ السَّمَاءُ﴾، أي شقت لنزول الملائكة، ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواباً وطرقاً.

[٢٠] ﴿وَسُتِرَتِ الْجِبَالُ﴾، عن وجه الأرض، ﴿فَكَانَتْ سُرَابًا﴾، أي هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، طريقاً وممرًا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: كانت مرصاداً أي معدة لهم، وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، والمرصاد فيه العدو. وقوله: (إن جهنم كانت مرصاداً)، أي ترصد الكفار.

[٢٢] ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين، ﴿مَتَابًا﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

[٢٣] ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: (لا يبين

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجَ (٣٦) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٧) وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا (٣٨) وَكَأْسًا  
 دِهَانًا (٣٩) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٤٠) جَزَاءً مِمَّنْ أَنْزَلْنَا  
 حِسَابًا (٤١) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ  
 مِنْهُ حِطَابًا (٤٢) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ  
 إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٤٣) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقِّ فَمَنْ  
 شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا (٤٤) إِنَّا أَنْزَلْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ  
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٥)

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا (٣)  
 فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا (٤) فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)  
 تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا  
 خَشِيعَةٌ (٩) يَقُولُونَ إِنْ نَا لَمُرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ (١٠) إِنْ ذَا كُنَّا  
 عِظْمًا فِخْرَةً (١١) قَالُوا لَئِن كُنَّا لَمُرْدُودُونَ (١٢) وَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ  
 وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)

[٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾، هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلاً رقيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق.

[٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلاً رقيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء يرفق به. وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: (وكل في فلك يسبحون)، وقال عطاء: هي السفن.

[٤] ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا﴾، قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

[٥] ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾، قال ابن عباس: هم

[٣٦] ﴿جَزَاءً مِمَّنْ أَنْزَلْنَا حِسَابًا﴾، أي جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً حساباً أي كافياً وافياً، يقال: أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ حِطَابًا﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعة إلا بإذنه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، أي في ذلك اليوم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفاً وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً، وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفاً والملائكة صفاً، وقال الحسن: هم بنو آدم، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، في الدنيا، أي حقاً وقيل: قال: لا إله إلا الله.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقِّ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾، مرجعاً وسبيلاً بطاعته، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، يتمنى ذلك.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ (٧٩)

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، والمراد بالإغراق: المبالغة في المد.

الملائكة وُكِّلُوا بأمر عرفهم الله عزَّ وجلَّ العمل بها.

وجواب هذه الأقسام محذوف على تقديره: لتبعثن ولتحاسبن. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترتجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

[٦] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق.

[٧] ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، وهي النفخة الثانية ردت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تमित كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عزَّ وجلَّ. وقال مجاهد: وأصل الرجفة: الصوت والحركة.

[٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، خائفة قلقة مضطربة.

[٩] ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾، ذليلة كقوله: (خاشعين

من الذل) الآية.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾، يعني المنكرين للبعث إذا قيل

لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿أَوَّعْنَا لَمِرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ؟﴾ أي إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا.

[١١] ﴿أَوَّعْنَا كُنَّا عِظَمًا نَجْرَةً﴾ بالية.

[١٢] ﴿قَالُوا﴾، يعني المنكرين، ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، رجعة خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت.

[١٣] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾، يعني

النفخة الأخيرة، ﴿زَجْرَةٌ﴾، صيحة، ﴿وَوَحْدَةٌ﴾، يسمعونها.

[١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، يعني وجه الأرض أي

صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها.

[١٥] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَى﴾،

يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى.

سورة النازعات

٥٨٤

سورة النازعات

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرِنَهُ

الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ

فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ أَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾

وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لِكُرُوعِهِمْ وَلَا تُعْمِكُهُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَ زِلْزَامَةٌ

الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَتُرْزِقُ الْجَحِيمُ

لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ

هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٢﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٣﴾

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٤﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ

مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٦﴾ كَانَتْ يَوْمَ يَوْمِهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِّعْنَاهَا ﴿٤٧﴾

سورة النازعات

سورة النازعات

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

[١٧] فقال يا موسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ

طَغَى﴾، علا وتكبر وكفر بالله.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾، قرأ أهل

الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي: أي تتركى وتتطهر

من الشرك، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم

وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾، أي أدعوك إلى

عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه.

[٢٠] ﴿فَأَرِنَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾، وهي العصا واليد

البيضاء.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾، بأنهما من الله ﴿وَعَصَى﴾.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾، تولى وأعرض عن الإيمان

﴿يَسْعَى﴾، يعمل بالفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾، فجمع قومه وجنوده،

﴿فَكَادَى﴾، لما اجتمعوا.  
 [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فلا رب فوقى.  
 وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها.  
 [٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَةِ وَالْأُولَى﴾، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار.  
 [٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى، ﴿لَعِبْرَةً﴾، عظة، ﴿لِمَن يَخْشَى﴾، الله عز وجل.  
 [٢٧] ثم خاطب منكري البعث فقال: ﴿أَنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ﴾، يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد، ثم وصف من خلق السماء فقال: ﴿بَنَاهَا﴾.  
 [٢٨] ﴿رَفَعَ سَكَهَا﴾، سقفاها ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾، بلا شقوق ولا فطور.  
 [٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ﴾، أظلم، ﴿لَيْلَهَا﴾، والغطش والغبش الظلمة، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.  
 [٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بعد خلق السماء، ﴿دَحَاهَا﴾، بسطها، والدحو: البسط.  
 [٣١-٣٤] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة، وسميت القيامة طامة لأنها تظم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطيع.  
 [٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾، ما عمل في الدنيا من خير وشر.  
 [٣٦] ﴿وَمُزَّتْ رَحِيمُ لِمَن رَّيَى﴾، قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.  
 [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾، في كفره.  
 [٣٨] ﴿وَوَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة.  
 [٣٩، ٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ وَأَمَّا مَن حَافَ مَقَامَ

رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾، عن المحارم التي تشتهيها.  
 [٤١، ٤٢] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، متى ظهورها وثبوتها.  
 [٤٣] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِنَهَا﴾، لست في شيء من علمها وذكرها، أي لا تعلمها.  
 [٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا﴾، أي منتهى علمها عند الله.  
 [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾، أي إنما ينفع إنذارك من يخافها.  
 [٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾، يعني كفار قريش، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿لَوْ يَلْبِثُونَ﴾، في الدنيا وقيل: في قبورهم، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، معناه آخر يوم أو أوله.

## (٨٠) سُورَةُ عَبَسَ

[١] ﴿عَبَسَ﴾، كبح، ﴿وَتَوَلَّى﴾، أعرض بوجهه.  
 [٢] ﴿أَن جَاءَهُ الْغَمِيُّ﴾، وهو ابن أم مكتوم واسمه عبدالله بن شريح الفهري، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعته كلامه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي ص ٥١٧، وقال ابن حجر في الكافي الشافعي ص ١٨١: «ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرج ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه، وذكره الطبري من رواية سعيد عن قتادة.

[٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾، في كفره.  
 [٣٨] ﴿وَوَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة.  
 [٣٩، ٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ وَأَمَّا مَن حَافَ مَقَامَ



[٣] ﴿وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّهُ يَรَىٰ﴾، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك.

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾، يتعظ، ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَىٰ﴾، الموعظة.

[٥] ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾، قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

[٦] ﴿فَأَن ت لَهُمُ تَصَدَّىٰ﴾، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه.

[٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرَئِي﴾، ألا يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا البلاغ.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾، يمشي يعني ابن أم مكتوم.

[٩] ﴿وَهُوَ يَحْتَسِبُ﴾، الله عز وجل.

[١٠] ﴿فَأَن تَعَنَّهُ لُثَمَىٰ﴾، تتشاغل وتعرض عنه.

[١١] ﴿كَلَّا﴾، زجر أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿إِنهَا﴾، يعني هذه الموعظة ﴿نَذْرَةٌ﴾، موعظة وتذكير للخلق.

[١٢] ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾، من عباد الله ﴿ذَكَرُ﴾، أي اتعظ به.

ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

[١٣] ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء، دليله قوله تعالى: (إن هذا لفي الصحف الأولى ○ صحف إبراهيم وموسى).

[١٤] ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، رفيعة القدر عند الله عز وجل. وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة.

﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

[١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: كتبه، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح.

[١٦] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّهُ يَرَىٰ ﴿٣﴾ أَوْ

يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَن ت لَهُمُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرَئِي ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَحْتَسِبُ ﴿٩﴾ فَأَن ت

عَنهُ لُثَمَىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنهَا نَذْرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلْإِنسَانِ

مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَةً فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنشِرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا

يَقِضُ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٥﴾ فَأَبْتْنَا فِيهَا بَحًّا ﴿٢٦﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًّا ﴿٢٧﴾

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٨﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٢٩﴾ وَفَكَّهَةً وَأَبَا ﴿٣٠﴾ مِّنْ عَلَاكُورٍ

وَلَا تَعْمِكُورٍ ﴿٣١﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعِقَةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٣﴾

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٤﴾ وَصَجِينِهِ وَوَبِيهِ ﴿٣٥﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يَعْنِيهِ ﴿٣٦﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٧﴾ ضَاكِرَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٨﴾ وَوُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ عَلِيمَا عِبْرَةٌ ﴿٣٩﴾ نَرَاهُمْ فِي قَرَارٍ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤١﴾

يَوْمَئِذٍ عَلِيمَا عِبْرَةٌ ﴿٤٢﴾ نَرَاهُمْ فِي قَرَارٍ ﴿٤٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٤﴾

كرام على الله بررة مطيعين جمع بار.

[١٧] قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْإِنسَانِ﴾، أي لعن

الكافر ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾، ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب.

ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

[١٨] فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، لفظه استفهام ومعناه التقرير.

[١٩] ثم فسره فقال: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾، أطوارًا: نطفة ثم علقه إلى آخر خلقه.

[٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي طريق خروجه من بطن أمه، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به، وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه.

[٢١] ﴿ثُمَّ أَمَانَةً فَأَقْبَرَهُ﴾، جعل له قبرًا يوارى فيه.

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنشِرَهُ﴾، جعل له قبرًا يوارى فيه.

[٣٩] ﴿صَاحِكَةٌ﴾ ، بالسرور ، ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ ، فرحة

بما نالت من كرامة الله عزّ وجلّ .

[٤٠] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ، سواد وكآبة مما

يشاهدونه من الغم والهم .

[٤١] ﴿رَهْفَهَا فَذُرَّةٌ﴾ ، تعلوها وتغشاها ظلمة

وكسوف .

[٤٢] ﴿أُولَئِكَ﴾ ، الذين يصنع بهم هذا ، ﴿هُمْ

الْكَفَرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ ، جمع الكافر والفاجر .

### (٨١) سُورَةُ التَّكْوِيرِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أصل التكوير جمع

بعض الشيء إلى بعض ، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها .

[٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ، أي تناثرت من

السماء وتساقت .

[٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ، على وجه الأرض

فصارت هباءً منبثًا .

[٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ، وهي النوق الحوامل

التي أتى على حملها عشرة أشهر ، واحدها عشراء لما جاءهم من أهوال يوم القيامة .

[٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ ، يعني دواب البر ،

﴿حُشِرَتْ﴾ ، جمعت بعد البعث ليقتنص لبعضها من بعض .

[٦، ٧] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ، قال ابن عباس:

أوقدت فصارت نارًا تضطرم . وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب

والمالح ، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا . وقيل: صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار .

وقال الحسن: يست . ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ، يقرن

بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ،

ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ،

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرُهُ﴾ ، أحياه بعد موته .

[٢٣] ﴿كَلَّا﴾ ، رد عليه أي ليس كما يقول ويظن

هذا الكافر ، ﴿لَمَّا يَفِضْ مَا أَمَرُ﴾ ، أي لم يفعل ما

أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر .

[٢٤] فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ، كيف

قدره ربه وودبره له وجعله سببًا لحياته .

[٢٥] ثم بين فقال: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا﴾ ، يعني

المطر .

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ ، بالنبات .

[٢٧] ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ ، يعني الحبوب التي

يتغذى بها .

[٢٨] ﴿وَعَبَابًا وَقُضًا﴾ ، وهو القث الرطب ، سمي

بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع .

[٢٩] ﴿وَرَبِيمًا﴾ ، وهو ما يعصر منه الزيت ،

﴿وَنَخْلًا﴾ ، جمع نخلة .

[٣٠] ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ، غلاظًا ، وقال مجاهد

ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض .

[٣١] ﴿وَفَكِهَةً﴾ ، يريد ألوان الفواكه ، ﴿وَأَنَّا﴾ ،

يعني الكلاء والمرعى الذي لم يزرعه الناس ، مما

يأكله الأنعام والدواب . قال عكرمة: الفاكهة ما

يأكل الناس ، والأب ما يأكله الدواب .

[٣٢] ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ ، منفعة لكم يعني الفاكهة ،

﴿وَلَأَنْعِمَكُمُ﴾ ، يعني العشب .

[٣٣] ثم ذكر القيامة فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ ،

يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصح

الأسماع أي تبلغ في أسماعها حتى تكاد تصمها .

[٣٤-٣٦] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ○ وَأُخِيهِ ○ وَأَبِيهِ ○

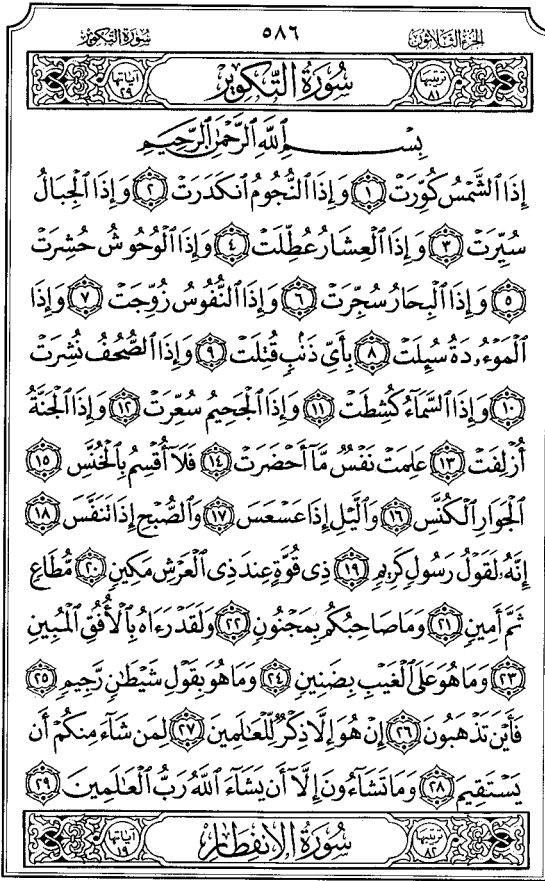
وَصَجِيهِهِ ○ وَبَنِيهِ﴾ ، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله

بنفسه .

[٣٧] ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾ ، يشغله عن

شأن غيره .

[٣٨] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْوِفَةٌ﴾ ، مشرقة مضيئة .



وهذا قول عكرمة. وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالبحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت رُدَّت الأرواح في الأجساد.

[٨] ﴿وَإِذَا الْمَوءُ دَدٌ سِيلَتْ﴾، وهي الجارية المدفونة حية.

[٩] ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُنِلَتْ﴾، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول: قُتلت بغير ذنب.

[١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

[١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قال الفراء: نزع توطيت. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف.

وقال مقاتل: تكشف عنم فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

[١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيْمُ سُعِرَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم (سعرت) بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف أي أوقدت لأعداء الله.

[١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، قُربت لأولياء الله.

[١٤] ﴿عَلِمَتْ﴾ عند ذلك كل ﴿نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: (إذا الشمس كورت) وما بعدها.

[١٥، ١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ ١٦ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ١٧﴾، معناه أقسم بالخنس، قال قتادة:

هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى، وقال ابن زيد: معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخيراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّعَسَ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون: أدبر: تقول العرب:

عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

[١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع.

[١٩] ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيْمٍ﴾، يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِيْنٍ﴾، في المنزل.

[٢١] ﴿مُطَاعٍ تَمَّ أَمِيْنٍ﴾، أي في السموات طيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ، وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، (أمين) على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ  
فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ  
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي  
خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾  
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا  
كِنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ  
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾  
وَمَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ  
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَعِيًّا وَلَا أَمْرٌ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

## سُورَةُ الْمُطَفِّيفِينَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾  
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَبَلُوهُمْ يَقْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ  
مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

أيضًا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمدًا ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول من عند نفسه.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني محمدًا ﷺ، ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كان غائبًا عنه من الأنبياء والقصص، ﴿بِضَيِّبٍ﴾، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانًا.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

[٢٦] ﴿فَأَيُّ نَذْهَبُونَ﴾، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان، قال الزجاج: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

[٢٧] ثم بين فقال: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، أي ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، موعظة للخلق أجمعين.

[٢٨] ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، أي يتبع الحق ويقيم عليه.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرُونَ على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحدًا لا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله ولا شرًا إلا بخذلانه.

## (٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، انشقت.

- [٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾، تساقطت.
- [٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾، فجر بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح فصارت بحرًا واحدًا.
- [٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾، بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياءً.
- [٥] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قيل: ما قدمت من عمل صالح أو سيئ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات.
- [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، خدعك وسوّل لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟
- [٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾، قرأ أهل الكوفة بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنًا وقيحًا وطويلاً وقصيرًا. وقرأ الآخرون:

بالتشديد أي قَوْمَكَ وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أي كالأولهم أو وزنوا لهم أي للناس، وقوله: (بخسرون) أي ينفصون.

[٥، ٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾، يستيقن، ﴿أُولَئِكَ﴾، الذين يفعلون ذلك، ﴿أَنَّهُمْ مُّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، من قبورهم، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لأمره ولجزائه ولحسابه.

[٧] قوله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾، ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتام الكلام

هنا، وقال الحسن: كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾، قال عبدالله بن عمرو: (سجين) هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته، وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس، وقال عكرمة: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فاعل من السجن، كما يقال: فسق وشرب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

[٨] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحِينٌ﴾، قال الزجاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

[٩] ﴿كَيْتَبُ مَرْقُومٍ﴾، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: إن كتاب الفجار أي هو كتاب الفجار مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به.

[١٠-١٣] ﴿وَلِيَّ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءآيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

[١٤] ﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قال مجاهد: في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم، وذكر الفراء قولاً آخر، إما طويلاً أو قصيراً أو حسناً أو غير ذلك.

[٩] ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾، بالجزاء والحساب.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾، على الله، ﴿كِنِينٍ﴾، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

[١٢] ﴿يَعْمَلُونَ مَا فَعَلُوا﴾، من خير أو شر.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه.

[١٤، ١٥] ﴿وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حَبِيرٍ ۝ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم القيامة.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾.

[١٧] ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾، كرر تفضيماً لشأنه.

[١٨، ١٩] فقال: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَيْئًا﴾، قال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا.

## (٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، يعني الذين ينفصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس.

[٢] ثم بين المطففين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، وأراد إذا اكتالوا من

قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه<sup>(١)</sup>، وأصل الرين الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين ريناً وربوناً إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

قال ابن عباس: ران على قلوبهم: طبع عليها. [١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾، قال ابن عباس: كلا يريد: لا يصدقون، ثم استأنف فقال: (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكّيهم. وقال المفسرين: عن رؤيته.

ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾، لذاخلو النار.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾، أي تقول لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه.

ثم بين محل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾، عليين في السماء السابعة تحت العرش، وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون.

[١٩، ٢٠] ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ،

الْمُطَفِّفِينَ

٥٨٨

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَبْكَ مَا سَجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلْمٌ مَّعْتَدٍ أُتِيَ ﴿١٦﴾ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ إِبْنَاءَ قَالِ اسْتَطِيرَ الْأَوْلِيْنَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرَبْكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْفُونَ مِّن رَّحِمِي مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُمُ مِّسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا شَرِبُوا مِنَّا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: (إن كتاب الأبرار لفي عليين)، أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

[٢٢، ٢٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٢٥٣/٩ وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في التفسير ٥٠٥/٢ وفي عمل اليوم والليلة ص ٣١٧، وابن ماجه في الزهد برقم (٤٢٤٤) ١٤١٨/٢، والإمام أحمد في المسند ٢٩٧/٢، والطبري ٩٨/٣٠، وصححه الحاكم ٥١٧/٢، وابن حبان برقم (١٧٧١)، والمصنف في شرح السنة ٨٩/٥.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾، يعني في الآخرة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، إذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْبَابِ﴾، من الدر والياقوت، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، إليهم في النار.

[٣٦] قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ﴾، هل جوزي، ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هاهنا: التقرير. وثوب وأثيب وأثاب بمعنى واحد.

### (٨٤) سُورَةُ الانشِقَاقِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، انشقاقها من علامات القيامة.

[٢] ﴿وَأَذَّتْ لِرَبِّهَا﴾، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع، ﴿وَحَفَّتْ﴾، أي وحق لها أن تطيع ربها.

[٣] ﴿وَإِنَّا الْأَرْضُ مَدَدْتْ﴾، مد الأديم العكاظي، وزيد في سعتها.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ﴾، أخرجت، ﴿مَا فِيهَا﴾، من الموتى والكنوز، ﴿وَوَحَلَّتْ﴾، خلت منها.

[٥] ﴿وَأَذَّتْ لِرَبِّهَا وَحَفَّتْ﴾، واختلفوا في جواب (إذا) قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

[٦] وقيل جوابه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، ومجازه إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله. وقيل: جوابه وأذنت، وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله: (كادح إلى ربك كدحًا)، أي ساع إليه في عملك، والكدح: سعي الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر ﴿فَمَلَقَيْهِ﴾، أي ملاقي جزاء عملك خيرًا كان أو شرًا.

[٧، ٨] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ﴾، ديوان أعماله،

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾، خمر صافية طيبة، ﴿مَخْتُومٍ﴾، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار. وقال مجاهد: (مختوم) أي مطين.

[٢٦] ﴿خِتْمُهُ﴾، أي طينه، ﴿مِسْكٌ﴾، كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام خمر الدنيا طين ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل.

[٢٧] ﴿وَمِنْ أَمْرِهِمْ مِنْ تَنْبِيهِ﴾، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه سنام البعير.

[٢٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، (عينًا) نصب على الحال، (يشرب بها) أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفًا.

[٢٩] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، أشركوا يعني كفار قريش، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من فقراء المؤمنين. ﴿يَضْحَكُونَ﴾، وبهم يستهزؤون.

[٣٠] ﴿وَإِنَّا مَرُؤًا بِهِمْ﴾، يعني مر المؤمنون بالكفار، ﴿بِنِعْمَتِنَا﴾، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاءً.

[٣١] ﴿وَإِنَّا أَنْفَلَبُوا﴾، يعني الكفار، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْفَلَبُوا فَكَيْهِنَ﴾، معجبين بماهم فيه يتفكهون بذكرهم.

[٣٢] ﴿وَإِنَّا رَأَوْهُمْ﴾، رأوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾، يأتون محمدًا ﷺ يرون أنهم على شيء.

[٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾، يعني المشركين، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يعني على المؤمنين، ﴿حَفِظِينَ﴾، أعمالهم أي لم يوكلا بحفظ أعمالهم.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ تُؤبَى الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ تَبَّأُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَّ فِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ أُفِرَّتْ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

[١٩، ٢٠] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي (لتركين) بفتح الباء، يعني لتركين يا محمد. قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء، قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة، قال ابن عباس: (لتركين طبقًا عن طبق) حالًا بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ. وقيل: أراد به السماء تتغير لونًا بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل، فتنتشق بالغمام مرة وتطوى أخرى.

وقرأ الآخرون: بضم الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وشماله وذكر من بعده (فما لهم لا يؤمنون)، وأراد

(١) أخرجه البخاري في العلم ١٩٦/١ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٧٦) ٤/٤ ٢٢٠٤.

﴿بِئَمِينِهِ﴾ ٥ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال النبي ﷺ: «من حُوسِبَ عُدِبَ» قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أوليس يقول الله عز وجل: (فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا)؟ فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش في الحساب يهلك» (١).

[٩] ﴿وَنَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾، يعني في الجنة من الحور العين والآدميات، ﴿مَسْرُورًا﴾، بما أوتي من الخير والكرامة.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا ويلاه يا ثوراه.

[١٢، ١٣] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ ٥ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهوته.

[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أن لن يرجع إلينا ولن يبعث.

[١٥] ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾، أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، خلقه إلى أن بعثه.

[١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَفَقِ﴾، قال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من النهار، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أي جمع وضم يقال: وسقته أسقه وسقًا أي جمعته، واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت، والمعنى: والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشرًا من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى ماواه.

[١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض.



## سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنُوا لَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْوَعْدِ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَآ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجَنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الطَّارِقِ

يحيى: الشاهد محمد ﷺ، والشاهد الله عز وجل، بيانه قوله: (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً). وعن مجاهد قال: الشاهد آدم والشاهد يوم القيامة. وقال عكرمة: الشاهد الإنسان والشاهد يوم القيامة، وعن ابن عباس: الشاهد هو الله عز وجل والشاهد يوم القيامة. وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والشاهد سائر الأمم، وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم).

[٤] ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، أي لعن، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد.

[٥] ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾، بدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في

لتركن حالاً بعد حال وأمرًا بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. (وعن) بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيرًا ومرة غنيًا. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد والأهوال والموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، استفهام إنكار.

[٢١] ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، لا يصلون.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾، بالقرآن والبعث.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتمون.

[٢٤، ٢٥] ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، غير مقطوع ولا منقوص.

## (٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ

[٢، ١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ﴾، هو يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. وروي عن ابن عمر: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة. وروى يوسف بن مهرا عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وقال عبد العزيز بن

إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله: (إن أخذه أليم شديد).

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَمُعِيدٌ﴾، أي يخلقهم أولاً

في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْعَفْوَُّرُ﴾، لذنوب المؤمنين،

﴿الْوَدُودُ﴾، المحب لهم.

[١٥] ﴿وَالْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾، قرأ حمزة والكسائي

(المجيد) بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: (رب العرش الكريم)، ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

[١٦] ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾، لا يعجزه شيء يريد

ولا يمتنع منه شيء طلبه.

[١٧] قوله عز وجل ﴿هَلْ أُنثِقَ الْجُودُ﴾، قد

أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على

الأنبياء، ثم بين من هم؟

[١٨، ١٩] فقال: ﴿وَعَوَّنَ وَتَمُودَ ه بِلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾، من قومك يا محمد، ﴿فِي تَكْذِيبِ﴾، لك

وللقرآن كذاب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان

قبلهم من الكفار.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، عالم بهم لا

يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما

أنزل بمن كان قبلهم.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾، كريم شريف كثير

الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة.

[٢٢] ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، قرأ نافع محفوظ بالرفع

على نعت القرآن محفوظ من التبديل والتغيير

والتحريف، قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر

وإننا له لحافظون)، وقرأ الآخرون بالجر على نعت

اللوح وهو الذي يُعرف باللوح المحفوظ، وهو أم

الكتاب، ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من

الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

[٦] ﴿إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ﴾، أي عند النار جلوس

يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود.

[٧] ﴿وَهُمْ﴾، يعني الملك وأصحابه الذين

خدوا الأخدود، ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿شُهُودٌ﴾، حضور.

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله

عنهما: ما كرهوا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، قال

مقاتل: ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيباً.

قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم

بالله، ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، من أفعالهم، ﴿شَهِيدٌ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾، عذبوا وأحرقوا،

﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يقال: فنتت الشيء إذ

أحرقته، نظيره: (يومهم على النار يفتنون)، ﴿ثُمَّ لَمْ

يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾، بكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

الْحَرِيقِ﴾، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب

الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي

أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود،

قاله الربيع بن أنس والكلبي.

[١١] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، واختلفوا في جواب القسم فقال

بعضهم: جوابه (قتل أصحاب الأخدود)، يعني لقد

قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل

أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. وقال

قتادة: جوابه:

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس:

## سُورَةُ الطَّارِقِ (٨٦)

سُورَةُ الطَّارِقِ

٥٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ  
 نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّآ حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ  
 دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ﴿٨﴾  
 يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَمْ يَنْفَعِ قُوَّةُ وَلَا نَاصِرٌ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الرَّجْعِ ﴿١١﴾  
 وَالْأَرْضُ ذَاتَ الصَّنْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّ لِقَوْلِ فَضْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْرَاقٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ  
 يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَيُّ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمَانَهُمْ رَوْبًا ﴿١٧﴾

## سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾  
 وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ خَئِثًا أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنَعْتَ رَبُّكَ  
 فَلَا تَنسَوْنَ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُخَوِّفُ  
 لِّلْئِسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾  
 وَيُنَجِّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ  
 فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

ولم يصم، ووصلت ولم يصل.

[١٠] ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، أي ما لهذا  
 الإنسان المنكر للبعث من قوة يتمتع بها من عذاب  
 الله ولا ناصر ينصره من الله.

[١١] ثم ذكر قسمًا آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ  
 الرَّجْعِ﴾، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر.  
 وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

[١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّنْعِ﴾، أي تصدع وتنشق  
 عن النبات والأشجار والأنهار.

[١٣] وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾، يعني القرآن،  
 ﴿لِقَوْلِ فَضْلٍ﴾، حق وجد يفصل بين الحق والباطل.

[١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْرَاقٍ﴾، باللعب والباطل.

[١٥] ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿إِنَّهُمْ  
 يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم  
 على خلافه.

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، وهذا قسم، والطارق  
 النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق.  
 [٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾.

[٣] ثم فسره فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، أي المضيء  
 المنير، قال مجاهد: المتوهج.

[٤] ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ﴾، جواب القسم، ﴿لَّمَّا عَلَيَّآ  
 حَافِظٌ﴾، كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ  
 عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير وشر. قال  
 ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة.

[٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، أي فليفتكر من أي  
 شيء خلقه ربه، أي فلينظر نظر المتفكر.

[٦] ثم بين فقال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، مدفوق  
 أي مصبوب في الرحم، وهو المني، فاعل بمعنى  
 مفعول كقوله: (عيشة راضية)، والدفق الصب  
 وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق  
 منهما، وجعله واحدًا لا متراجهما.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني صلب  
 الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي  
 عظام الصدر والنحر.

[٨] ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾، قال مجاهد: على رد  
 النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء  
 في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه  
 على رد الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر، وقال  
 قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد  
 الموت قادر. وهذا أولى الأقاويل.

[٩] لقوله: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾، وذلك يوم القيامة  
 تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال عطاء بن أبي  
 رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة  
 والوضوء والاعتسال من الجنابة، فإنها سراير بين  
 الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صممتُ

[١٦] ﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا﴾ ، وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون .

[١٧] ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ ، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عزّ وجلّ لهم ، ﴿أَمَهُمْ رُؤْيَا﴾ ، قليلاً ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف .

[٨] ﴿وَيُنِيرُكَ لِلنَّارِ﴾ ، قال مقاتل: نهون عليك عمل الجنة، وهو معنى قول ابن عباس: نيسرك لأن تعمل خيراً، واليسرى عمل الخير. وقيل: نوقفك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة .

[١٧] ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ ، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عزّ وجلّ لهم ، ﴿أَمَهُمْ رُؤْيَا﴾ ، قليلاً ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف .

## (٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى

[٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ ، عظ بالقرآن، ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ، الموعدة والتذكير، والمعنى: نفعت أو لم تنفع .

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، يعني قل سبحان ربي الأعلى، وقال قوم: معناه نزه ربك الأعلى عمّا يصفه به الملحدون، وقال آخرون: نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت معظم ولذكرة محترم .

[١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾ ، سيتعظ، ﴿مَنْ يَحْتَسِبْ﴾ ، الله عزّ وجلّ .

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ ، قال الكلبي: خلق كل ذي روح فسوى اليمين والرجلين والعينين . قال الزجاج: خلق الإنسان مستويًا، ومعنى سوى: عدل قامته .

[١١] ﴿وَيَنْجِبُهَا﴾ ، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها، ﴿الْأُنثَى﴾ ، الشقي في علم الله .

[٣] ﴿وَالَّذِي فَدَرَ فَهْدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتها . وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى . وقيل: قدر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش . وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها .

[١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّيُ النَّارَ الْكَبْرَى﴾ ، العظيمة والفظيعة لأنها أعظم وأشدّ حرًا من نار الدنيا .

[٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ، أنبت العشب وما ترعاه النعم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض .

[١٣] ﴿لَمْ يَأْتِ الْبَيْتَ﴾ ، فيستريح، ﴿وَلَا يَحْتَسِبْ﴾ ، حياة تنفعه .

[٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ ، بعد الخضرة، ﴿عُثَاءً﴾ ، هشيماً بالياً، كالغناء الذي تراه فوق السيل . ﴿أُخْرَى﴾ ، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلاً إذا جف ويسد أسود .

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ، تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، وقال الحسن: من كان عمله زاكياً . وقال آخرون: هو صدقة الفطر .

[٧، ٦] ﴿سَنُرِيكَ﴾ ، سنعلمك بقراءة جبريل عليك، ﴿فَلَا تَسْئَلْهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ، أن تنساه وما

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ، قال: خرج إلى العيد فصلى صلاته، وقيل: الصلاة هاهنا الدعاء .

[٣] ﴿وَالَّذِي فَدَرَ فَهْدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتها . وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى . وقيل: قدر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش . وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها .

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ .

[٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ، أنبت العشب وما ترعاه النعم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض .

[١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ، قال عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركننا الآجل .

[٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ ، بعد الخضرة، ﴿عُثَاءً﴾ ، هشيماً بالياً، كالغناء الذي تراه فوق السيل . ﴿أُخْرَى﴾ ، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلاً إذا جف ويسد أسود .

[١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ ، يعني ما ذكر من قوله: (قد أفلح من تزكى)، إلى أربع آيات، ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ، أي الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق

الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى .  
[١٩] ثم بين الصحف فقال: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ  
وَمُوسَى﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في  
صحف إبراهيم وموسى .

## (٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

[١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قد أتاك حديث  
القيامة تغشى كل شيء بالآهوال .  
[٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة،  
﴿خَاشِعَةٌ﴾، ذليلة .  
[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ﴾، قال عطاء عن ابن عباس:  
يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين  
الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل  
الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادًا في  
ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، ومعنى النصب  
الدأب في العمل بالتعب، وقال عكرمة والسدي:  
عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في  
النار، وقال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها  
وأنصبها في النار .

[٤] ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، قال ابن عباس: قد  
حميت فهي تلتظى على أعداء الله .  
[٥] ﴿تَشْتَقِي مِنْ عَيْنٍ آَنِتٍ﴾، متناهية في الحرارة قد  
أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردًا  
عطاشًا . قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على  
جبال الدنيا لذابت، هذا شرايبهم، ثم ذكر طعامهم  
فقال:

[٦، ٧] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾، قال  
مجاهد: هو نبت ذو شوكة لاطى بالأرض، تسميه  
قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع، وهو  
أخبث طعام وأبشعه، قال ابن زيد: أما في الدنيا  
فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو  
في الآخرة شوكة من نار ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ .

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

٥٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَلْ تُوَسْوِسُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَقْبَى ﴿١٧﴾ إِنَّ  
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

### سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾  
عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَشْتَقِي مِنْ عَيْنٍ آَنِتٍ ﴿٥﴾  
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾  
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾  
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْبُوعَةٌ ﴿١٣﴾  
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَرَاتٍ مُثَبَّاتَةٌ ﴿١٦﴾  
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ  
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ  
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ  
بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ  
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

[٨] ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ  
نَاعِمَةٌ﴾، قال مقاتل: في نعمة وكرامة .

[٩] ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدنيا، ﴿رَاضِيَةٌ﴾، في الآخرة  
حين أعطيت الجنة بعملها .

[١٠، ١١] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا  
لَغِيَةً، لغوا وباطلاً .

[١٢-١٤] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْبُوعَةٌ  
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، عندهم .

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾، وسائد ومرافق، ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾،  
بعضها بجانب بعض واحدها نمرقة بضم النون .

[١٦] ﴿وَزَرَرَاتٍ﴾، يعني البسط العريضة  
﴿مُثَبَّاتَةٌ﴾، مبسوطة، وقيل: متفرقة في المجالس .

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، قال  
أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما  
في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكر

لأنه قرن به الليالي العشر.

[٢] ﴿وَيَا لَيْلٍ عَشْرٍ﴾، روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة، وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأول من شهر رمضان. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمن بن رباب: هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء.

[٣] ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ اختلفوا في الشفع والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله تعالى: (وخلقناكم أزواجًا) والوتر: هو الله عز وجل، وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، والوتر هو الله، قال الله تعالى: (قل هو الله أحد)، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروى قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر. وقال قتادة: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر.

[٤] ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ إِذَا يَسَّرَ﴾، أي إذا سار وذهب كما قال: (والليل إذ أدبر)، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾، أي فيما ذكرت، ﴿سَمٌّ﴾، أي مضع ومكثفي في القسم، ﴿لَيْلِي حِجْرٍ﴾، لذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: (إن ربك لبالمرصاد)، واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل.

[٦، ٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قال الفراء: ألم تخبر. وقال الزجاج: ألم تعلم ومعناه التعجب. ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعمارًا وأشد قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب: إرم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة.

لهم الله تعالى صنعه فقال: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) وكانت الإبل أعظم عيش العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع.

[١٨] ﴿وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، عن الأرض حتى لا ينالها شيء يغيرها.

[١٩] ﴿وَأِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، على وجه الأرض مرساة لا تزول.

[٢٠] ﴿وَأِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

[٢١، ٢٢] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان، نسختها آية القتال.

[٢٣] ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾، استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى، ﴿وَكَفَرَ﴾، بعد التذكير.

[٢٤] ﴿فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾، وهو أن يدخله النار. وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

[٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤوب أوبًا وإيابًا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل.

## (٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة الصبح، وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة

وقيل: معناه القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد.

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة، وقال بعضهم: سموا ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقوله: (لم يخلق مثلها في البلاد)، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: (من أشدُّ منا قوة)، وقيل: سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم.

[٩] ﴿وَتَمُودَ﴾، أي وشمود، ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ﴾، قطعوا الحجر، ﴿بِالْوَادِ﴾، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة ص<sup>(١)</sup>.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ﴾، يعني عاداً وشمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا.

[١٢، ١٣] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾، فَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ﴾، قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرَاصِدًا﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممر الناس عليه، والمرصاد والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

## سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَبِالْإِسْحَاقِ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَمْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرَاصِدًا ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَأَتَّكِرُمُنَّ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَاوِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الْثَرَثَ أَكْلًا لَمَّا ﴿١٩﴾ وَتَحْبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبْدَأُ الْإِنْسَانَ وَإِنَّ لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، امتحنه، ﴿رَبُّهُ﴾، بالنعمة، ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾، بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾، بما وسع عليه، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، بما أعطاني.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، بالفقر، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾، وأعطاه قدر ما يكفيه. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾، أذلني بالفقر، وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته.

[١٧] فقال: ﴿كَلَّا﴾، لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء

بطاعته وبهينه بمعصيته، ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، لا تحسنوا إليه. وقيل: لا تعطونه حقه.

[١٨] ﴿وَلَا تَحْضُوا عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، أي لا تأمرون بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة (تحاضون) بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضهم بعضاً عليه.

[١٩] ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ﴾، أي الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، شديداً يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره.

[٢٠] ﴿وَتَحْبُوتُ أَمْالَ حَبَا جَمًّا﴾، أي كثيراً يعني يحبون جمع المال ويولعون به، يقال: جم المال في الحوض إذا كثر واجتمع.

[٢١] ﴿كَلًّا﴾، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمرؤ به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عزّ من قائل: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء.

[٢٢] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًّا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبع صفوف.

[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم يجاء بجهنم، ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾، يتعظ ويتوب الكافر، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة.

[٢٤] ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي

لآخرتي التي لا موت فيها.

[٢٥، ٢٦] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ

وَأَقْبَهُ أَحَدٌ﴾، بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أمية بن خلف، يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، بكسر الذال والثاء، أي لا يعذب أحد من الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

[٢٧] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله.

[٢٨] ﴿أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، إلى الله، ﴿رَاضِيَةً﴾، بالثواب، ﴿مَرْضِيَةً﴾، عنك.

[٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين.

[٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

## (٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، يعني أقسم، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يعني مكة.

[٢] ﴿وَأَنَّ جِلَّ﴾، أي حلال، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابه وغيرهما، فأحل دماء قوم وحرّم دماء قوم، والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دلّ ذلك على عظيم قدرها من حرمتها فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده



فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له .

[٣] ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾، يعني آدم عليه السلام وذريته .

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا. وقال سعيد بن جبير: في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفضامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته .

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى .

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾، يعني أنفقت، ﴿مَا لَأَبْدَأُ﴾، أي كثيراً بعضه على بعض من التلييد في عداوة محمد ﷺ .

[٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قال سعيد بن جبير وقاتادة: أيظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ .

[٨،٩] فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَسَفَتَيْنِ﴾، قال قتادة: نعم الله متظاهرة يقربك بها كيما تشكر .

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال: الثديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد: طريق ارتفاع .

[١١] ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقْبَةَ﴾، يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة، وقيل: فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها . والاقترام: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة هنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى

سُورَةُ الْبَلَدِ

٥٩٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَلَا يُوثِقُ وِقَاظُهُ أَحَدًا ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٤﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٥﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٧﴾

## سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَسَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقْبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُرْبَةُ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَلِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بَيْنَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

## سُورَةُ الشُّعْرِ

والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة . وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقاتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقترحوها بطاعة الله تعالى . وقال ابن زيد: يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال:

[١٢-١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۝ فَكُرْبَةُ ۝ أَوْ إِطْعَمٌ﴾ أراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداء من النار، وقال عكرمة قوله: (فك رقبة)، يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة. ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، مجاعة،

يقال: سغب يسغب سغبًا إذا جاع.

[١٥] ﴿بَيْمًا ذَا مَرَبَةٍ﴾، أي ذا قرابة يريد بيمًا بينك وبينه قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَرَبَةٍ﴾، قد لصق بالتراب من فقره وضره. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. والمتربة مصدر ترب يترب ترابًا ومتربة إذا افتقر.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: (ثم) بمعنى الواو، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، أوصى بعضهم بعضًا، ﴿بِالصَّبْرِ﴾، على فرائض الله وأوامره، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، برحمة الناس.

[١٨-٢٠] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُثَابِتُونَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقتة وأطبقتة.

## (٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوءها، والضحى: حين تطلع الشمس، فيصفوا ضوءها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في طه: (ولا تضحى)، يعني لا يؤذيك الحر.

[٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾، تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجاج: وذلك حين استدار يعني كمل ضوءه فصار تابعًا للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

[٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا﴾، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفًا.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾، يعني يغشى الشمس

حين تغيب فتظلم الآفاق.

[٥] ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾، قال الكلبي: ومن بناها وخلقها، وقال عطاء: يريد والذي بناها. وقال الفراء والزجاج: (ما) بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: (بما غفر لي ربي).

[٦] ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾، بسطها.

[٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾، عدل خلقها وسوى أعضائها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

[٨] ﴿فَأَلَمَهَا جُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عرفها ما تأتي وما تتقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

[٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكأها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي خانت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها. وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، (وقد خاب من دساها) أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودساها أصله: دسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياءً، والمعنى هنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

[١١] قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَانَهَا﴾، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب.

سُورَةُ الشَّمْسِ

٥٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَنُجُومُهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾  
وَاللَّيْلُ إِذَا غَشَّهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾  
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ  
أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ  
بِطَعُونِهَا ﴿١١﴾ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ  
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ  
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾  
إِنْ سَعَيْكُمْ لَسِيقٌ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَالْأُنثَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾  
فَسَنِّيَسِرْهُمِ اللَّيْسَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَجْلُ وَأَسْتَعْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾  
فَسَنِّيَسِرْهُمِ الْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا  
لِلْهَدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُمْ كُنُوزًا أَنْ تَنْظُرُوا

[٤] قوله: ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَسِيقٌ﴾، إن أعمالكم

لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطيها.

[٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَالْأُنثَى﴾، (أعطى) ماله في سبيل

الله، (واتقى) ربه.

[٦] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قال أبو عبد الرحمن

السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي

رواية عطية عن ابن عباس: وقال مجاهد: بالجنة

دليله قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) يعني

الجنة. وقيل: صدق بالحسنى أي بالخلف، أي

أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن

ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد

الله عز وجل الذي وعده أي يفى به.

[٧] ﴿فَسَنِّيَسِرْهُمِ﴾، فسنيته في الدنيا، ﴿لِلْيَسْرَى﴾،

أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز

وجل.

[١٢] ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾، أي قام،  
والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي  
كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحًا لما انبعث أشقاها  
وهو قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيرًا قام  
لعقر الناقة.

[١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، صالح، ﴿نَاقَةٌ  
اللَّهُ﴾، أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج:  
منسوب على معنى ذروا ناقة الله، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾،  
شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا  
تعرضوا للماء يوم شربها.

[١٤، ١٥] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني صالحًا،  
﴿فَعَقَرُوهَا﴾، يعني الناقة. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ  
رَبُّهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم  
فأهلكهم. قال المدرج: الدمدمة الهلاك  
باستئصال. ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرها  
الناقة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، فسوى الدمدمة عليهم جميعًا،  
وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفراء:  
سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني  
سوى بينهم، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، عاقبتها. قال  
الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تبعه في  
إهلاكهم. وهي رواية عن ابن عباس، وقال  
الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر  
في الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذا انبعث أشقاها  
ولا يخاف عقباها.

## (٩٢) سورة الليل

[١] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَى﴾، أي يغشى النهار بظلمة  
فيذهب بضوئه.

[٢] ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾، بان وظهر من بين الظلمة.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، يعني ومن خلق،

وقيل: هي (ما) المصدرية أي خلق الذكر والأنثى.

قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء.

[٢٠] ﴿إِلَّا﴾، لكن ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى في الدار الآخرة.

[٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

### (٩٣) سورة الضحى

[١] قوله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجد، نظيره قوله: (أن يأتيهم بأُسنا ضحى)، أي نهارًا. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصفيف والشتاء.

[٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنًا.

[٣] قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، هذا جواب القسم: أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

[٤، ٥] ﴿وَلِلْآخِرَةِ حَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن، قيل: (ولسوف يعطيك ربك) من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، (فترضى).

ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال جل ذكره:

[٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَّيًّا﴾، ألم يجدك يتيمًا

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلُّ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿وَأَسْتَعَى﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

[٩، ١٠] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ ٥ فَسَيَّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، سنهته للشرب بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعرس عليه أن يأتي خيرًا.

[١١] ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾، الذي بخل به، ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنم.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال الفراء: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل)، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾، فمن طلبهما من غير مالكما فقد أخطأ الطريق.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿بَارَأَ تَلْطَلُّ﴾، أي تلتظى يعني تتوقد وتتوهج.

[١٥، ١٦] ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ٥ الَّذِي كَذَّبَ﴾، الرسول، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان.

[١٧] ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى﴾، يريد بالآشقى الشقي، وبالآتقى التقى.

[١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾، يعطي ماله، ﴿يَتَرَكُ﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا رياء ولا سمعة، يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع، قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فنزل: (وسيجزيها الآتقى) إلى آخر السورة.

[١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، يد يكافئه عليها.

صغيراً فقيراً حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا ماوى، فجعل لك ماوى تأوي إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة.

[٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، يعني ضالاً عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة: قال الحسن والضحاك وابن كيسان: (ووجدك ضالاً) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، وقيل: ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب.

[٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أي فقيراً فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء. وقال: لم يكن غنياً عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى. ثم أوصاه باليتامى والفقراء.

[٩] فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقال الفراء والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

[١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيراً فيما أن تطعمه وإما أن ترده ردّاً لينا، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره. قال قتادة: رد السائل برحمة ولين، وروي عن الحسن في قوله: (أما السائل فلا تنهر)، قال: طالب العلم.

[١١] ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، قال مجاهد: يعني النبوة، وقال الليث عن مجاهد: يعني القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل: أشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعض الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩٦

سُورَةُ الضُّحَى

لَا يَصْلَعْنَهَا إِلَّا الْآفْتَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيَجْزِيهَا  
الْآفْتَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ  
نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

## سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ﴿٣﴾  
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ  
فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا  
فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾  
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

## سُورَةُ الشُّرَحِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي  
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ  
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

## (٩٤) سورة الشرح

[١] ﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة؟

[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وقال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم.

[٣] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت. وقال عبد العزيز ابن يحيى وأبو عبيدة: يعني خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها.

في جميع أحوالك . قال الزجاج : أي اجعل رغبتك إلى الله وحده .

## (٩٥) سورة التين

[١] ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ، قال ابن عباس : هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت . وقيل : خص التين بالقسم لأنها فاكهة مختصة لا عجم فيها ، شبيهة بفواكه الجنة . والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح . وقال عكرمة : هما جبلان . قال قتادة : التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما يبتنان التين والزيتون . وقال الضحاك : هما مسجدان بالشام . قال ابن زيد : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس . وقال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا .

[٢] ﴿وَأَطُورِ سِينِينَ﴾ ، يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله : (وشجرة تخرج من طور سيناء) .

[٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ، أي الأمن ، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام ، هذه أقسام والمقسم عليه قوله :

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ، أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبًا على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينًا بالعقل والتمييز .

[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ، يريد إلى الهرم وأرذل العمر ، فينقص عقله ويضعف بدنه ،

[٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (ورفعنا لك ذكرك) ، قال : قال الله تعالى : «إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتُ مَعِي»<sup>(١)</sup> ، وعن الحسن قال : (ورفعنا لك ذكرك) إذا ذكرتُ ذكرتُ . وقال عطاء عن ابن عباس : يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ، ولو أن عبدًا عبد الله وصدقته في كل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لم ينتفع بشيء ، وكان كافرًا . ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة ، وذلك أنه كان بمكة في شدة .

[٦،٥] فقال : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرًا ورخاءً بأن يظهرهم عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جنتهم به ، إن مع العسر يسرًا كرهه لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء . وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : «أبشروا قد جاءكم اليسر ، لن يغلب عسرٌ يسرين» .

[٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ، أي فاتعب والنصب : التعب ، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي : فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء ، وارغب إليه في المسألة يعطك . وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال : إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة . وقال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل . وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادعُ لدينك وآخرتك . وقال الحسن وزيد بن أسلم : إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك . وقال منصور عن مجاهد : إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل . وقال حيان عن الكلبي : إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب ، أي : استغفر لذنبك وللمؤمنين .

[٨] ﴿وَالِإِنَّ رَبَّكَ فَارْعَبْ﴾ ، قال عطاء : تضرع إليه راهبًا من النار راغبًا في الجنة . وقيل : فارغب إليه

(١) أخرجه الطبري ٣٠/٢٣٥ ، وأبو يعلى في المسند ٢/١٣١ ، وابن حبان برقم (١٧٧٢) ص ٤٣٩ من موارد الظمان وفيه ابن لهيعة وقد اختلط ، وروايات دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

## سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ  
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ  
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥﴾  
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

## سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْرَأَيْتُمْ رِبَّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ  
الَّذِي كَرَّمَهُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَهُ الْقَلَمَ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ  
الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ  
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ  
لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليدع ناديه ﴿١٧﴾  
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

والسافلون هم الضعفاء والزمتى والأطفال، فالشيخ الكبير من هؤلاء جميعاً، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس، وفي مصحف عبدالله (أسفل السافلين). وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض.

[٦] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإنهم لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزال عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر غير عمل ثم قال: إلزاماً للحجة.

[٧] ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾، أيها الإنسان ﴿بَعْدَ﴾، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿بِالْإِيمَانِ﴾، بالحساب والجزاء والمعنى، ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج.

[٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، بأقصى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد.

## سورة العلق (٩٦)

[١] ﴿أَفْرَأَيْتُمْ رِبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، أكثر المفسرين: على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والمعنى: اذكر اسمه، أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديباً، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ قال الكلبي: يعني الخلائق ثم فسره فقال:

[٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم، ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾، جمع علقه.

[٣] ﴿أَفْرَأَيْتُمْ﴾، كرره تأكيداً، ثم استأنف فقال: ﴿رَبِّكَ الْأَكْرَمُ﴾، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يجعل عليهم بالعقوبة.

[٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَهُ الْقَلَمَ﴾، يعني الخط والكتابة.

[٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ههنا محمد ﷺ، بيانه: «وعلمك ما لم تكن تعلم».

[٦] ﴿كَلَّا﴾، حقاً ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

[٧] ﴿أَن﴾، لأن، ﴿رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾، أن رأى نفسه غنياً، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

[١٩] ثم قال: ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿لَا نَطْعُهُ﴾، في ترك الصلاة، ﴿وَأَسْجُدْ﴾، صلّ الله، ﴿وَأَقْرَبْ﴾، من الله.

## (٩٧) سورة القدر

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنه أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجومًا في عشرين سنة.

[٢] ثم عجب نبيه فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، سُميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم) واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة، والجمهور من أهل العلم: على أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي ليتنبهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة

[٨] ﴿إِنَّ إِلَيْكَ رَبِّكَ الرَّجْعُ﴾، أي المرجع في الآخرة.

[٩، ١٠] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾، نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة، ومعنى رأيت ههنا تعجيب للمخاطب، وكرر هذه اللفظة للتأكيد.

[١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يعني العبد المنهي، وهو محمد ﷺ.

[١٢] ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ﴾، يعني بالإخلاص والتوحيد.

[١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾، يعني أبا جهل، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية: رأيت الذي ينهي عبدًا إذا صلى وهو على الهدى، وأمر بالتقوى، والناهي مُكذَّبٌ مُتَوَلٍّ عن الإيمان، فما أعجب من هذا!

[١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾، يعني أبا جهل، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾، ذلك فيجازه به.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾، لا يعلم ذلك، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ﴾، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾، لناخذ بناصيته فلنجرنه من النار، كما قال: (فيؤخذ بالنواصي والأقدام)، يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبه جذبًا شديدًا، والناصية: شعر مقدم الرأس.

[١٦] ثم قال على البدل: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبِي خَاطِئَةٍ﴾، أي صاحبها كاذب خاطئ، قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أنتهرنني؟ فوالله لأملأنّ عليك هذا الوادي إن شئت خيلًا جردًا ورجالًا مردًا.

[١٧] قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ﴾، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

[١٨] ﴿سَنَعُ الزَّيْنَةَ﴾، جمع زبني مأخوذ من الزّين، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سموها بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال



ليجتهدوا في الطاعات حذرًا من قيامها

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

[٤] قوله عز وجل: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿فِيهَا﴾، أي في ليلة القدر، ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: (يحفظونه من أمر الله) أي بأمر الله.

[٥] ﴿سَلَّمَ﴾، قال عطاء: يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته. قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر. قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنًا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شر. قال الضحاك: لا يُقَدَّرُ الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة. وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، ولا أن يحدث فيها أذى، ﴿حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾، أي إلى مطلع الفجر.

## (٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾، وهم عبدة الأوثان، ﴿مُنْفَكِينَ﴾، زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفك أي انفصل، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمداً ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من

## سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا نَفَّرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

[٢] ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يقرأ، ﴿صُحُفًا﴾، كتابًا، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿مُطَهَّرَةً﴾، من الباطل والكذب والزور.

[٣] ﴿فِيهَا﴾، أي في الصحف، ﴿كُتِبَ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿قِيمَةٌ﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

[٤] ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا نَفَّرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل. قال المفسرون: لم يزل أهل

الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بُعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فأمن به بعضهم، وكفر آخرون. ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

[٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾، يعني هؤلاء الكفار، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ﴿حُفَاءَ﴾، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، المكتوبة في أوقاتها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، عند محلها، ﴿وَذَلِكُمْ﴾، الذي أمروا به، ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، أي الملة والشريعة المستقيمة. وقيل: القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به.

[٦] ثم ذكر ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

[٧، ٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ﴾، وتناهى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به: رضا ومُدبرًا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر.

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (٩٩)

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، ﴿زَلْزَالَهَا﴾، تحريكها.

[٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، موتها وكنوزها فتلقيا على ظهرها.

[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۗ ﴿٨﴾

### سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴿٦﴾

لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٧﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا ﴿٨﴾

يَرَهُ ﴿٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١٠﴾

### سُورَةُ الْعَجَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيدِ صُبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِثِ قَدَمًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرِ صُبْحًا ﴿٣﴾

فَأَثَرِنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوْسَطِنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ ﴿٦﴾

لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٨﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ

الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فيقول الإنسان:

ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

[٥] ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي أمرها بالكلام

وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها.

[٦] قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ﴾،

يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض،

﴿أَشْتَاتًا﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة

وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾،

قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى

أنهم يرجعون عن الموقف فرقًا لينزلوا منازلهم من

الجنة والنار.

[٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وزن نملة

صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾.

[٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، قال

ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًا

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه. وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تثبت شيئاً.

[٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

[٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾، أي لحب المال، ﴿لَشَدِيدٍ﴾ أي لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير، أي المال.

[٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعِرَ﴾، أثير وأخرج، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾.

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي مُيِّز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، عالم، قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.

## (١٠١) سُورَةُ الْقَارِعَةِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾، اسم من أسماء القيامة لأنها تترع القلوب بالفرع.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾، تهويل وتعظيم.

[٣، ٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق. وقال الفراء: كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول

في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته.

## (١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح، والضبح صوت أجوافها إذا عدت، وقوله: (ضبحاً) نصب على المصدر، مجازة: والعاديات تضبح ضبحاً. وقال علي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى.

[٢] ﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾ هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحاً يقدحن بحوافرهن، وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك.

[٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسنة ألا تدفع حتى تصبح والإغارة سرعة السير.

[٤] ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ﴾، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، ﴿نَفْعًا﴾، غباراً والنقع الغبار.

[٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أي دخلن به وسط العدو، قال القرظي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

[٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعة: الكفور، وبلسان كندة وحضرموت: العاصي.

كما قال: (كانهم جراد منتشر).

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾،  
كالصوف المندوف.

[٧، ٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت  
حسناته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، مرضية في الجنة.  
قال الزجاج: ذات رضا يرضاها صاحبها.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت سيئاته  
على حسناته.

[٩] ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، مسكنه النار سمي  
المسكن أمًّا لأن الأصل في السكنون إلى الأمهات،  
والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو الهواة لا  
يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية كان  
الرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه.  
وقيل: أراد أم رأسه يعني أنهم يهونون في النار على  
رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو  
صالح.

[١٠] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ يعني الهاوية  
وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرها.

[١١] فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، أي حارة قد انتهى  
حرها.

## سُورَةُ التَّكَاثُرِ (١٠٢)

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، شغلتكم المباهات  
والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما  
ينجيكم من سخطه.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى متم ودفنتم في  
المقابر، ثم ردَّ الله عليهم فقال:

[٣] ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر بالتكاثر، ﴿سَوْفَ  
تَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم، ثم تكرره تأكيدًا فقال:

[٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن  
ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون  
عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

٦٠٠

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وَحِصْلُ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٢﴾

### سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

### سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

وقال الضحاك: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني الكفار،  
(ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني المؤمنين وكان يقرأ  
الأولى بالتاء والثانية بالياء.

[٥] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي علمًا يقينًا

فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: (لهو حق اليقين)،  
وجواب (لو) محذوف أي لو تعلمون علمًا يقينًا  
لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال  
قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله  
باعثه بعد الموت.

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، قرأ ابن عامر  
والكسائي (لثرون) بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ  
الآخرون: بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم من بعد.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾، مشاهدة ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ عن ابن  
مسعود رفعه قال: (ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْفَيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُجُورَةِ ﴿٦﴾ إِنَّا عَلَّمْنَاهُمْ تَوْصِيَةً ﴿٧﴾ فِي عَمْدٍ مُّتَدَدَةٍ ﴿٨﴾ بَحَّارَةٌ مِّنْ سَجِيلٍ ﴿٩﴾ جَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿١٠﴾

في شبابهم وصحتهم .

### (١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت، ومعناها واحد وهو العياب. وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن: بضده، وقال سعيد بن جبير وقتادة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم. وقال ابن زيد: الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثوري: ويهزم بلسانه ويلمز بعينه. ومثله قال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤدي

قال: «الأمن والصحة». وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه. وروي عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ. وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال، قال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

### (١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾، قال ابن عباس: والدهر. قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناس. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم ليسوا في خسران، ﴿وَتَوَّصُوا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد، ﴿وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها

## (١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ

[١] ﴿الَّذِي تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ «أبرهة بن الصياح وأتباعه الذين قصدوا هدم الكعبة».

[٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنْهَا رِجًا وَقَدَّرَ ثَمَرَهَا﴾ «كيدهم يعني مكروهم وسعيهم في تخريب الكعبة». وقوله: في تضليل عمّا أرادوا، ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. وقال مقاتل: في خسارة وقيل: في بطلان.

[٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضًا. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. قال ابن عباس: كانت طيرًا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأف الكلاب. وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع. وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئًا إلا هشمته.

[٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ﴾، قال ابن مسعود: صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

[٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، كزرع وتين أكلته الدواب فرائته فييس وتفرقت أجزاءه، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال ابن عباس: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه. وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس، وأصل الهمز: الكسر والعض على الشيء بالعنف.

[٢] ثم وصفه فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوهُ﴾، أحصاه، وقال مقاتل: استعدده وادخره وجعله عتادًا له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

[٣] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾، في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

[٤] ﴿كَلَّا﴾، رد عليه أن لا يخلده ماله، ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾، ليطرحن، ﴿فِي الْخُطْمَةِ﴾، في جهنم، والخطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

[٥-٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوَقَّدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، أي التي بلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطلاع والبلوغ التطلع بمعنى واحد، يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرظي والكلبي.

[٨] ﴿إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾، مطبقة مغلقة.

[٩] ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار. وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهي في قراءة عبدالله (بعمد) بالباء، قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

## سُورَةُ قُرَيْشٍ (١٠٦)

[١] ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ عد بعضهم سورة الفيل . وهذه السورة واحدة لا فصل بينهما وقالوا: اللام في ﴿لِإِيلَافٍ﴾ تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقي قريش، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف .

والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: (لإيلاف) قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ البيت. وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا ربّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال ابن عيينة: لنعمتي على قريش، وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي .

[٢] قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِمْ﴾، بدل من الإيلاف الأول، ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، ﴿رِحْلَةَ﴾ نصب على المصدر، أي ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف، كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة وأمرهم الله بعبادة

سُورَةُ قُرَيْشٍ

٦٠٢

سُورَةُ قُرَيْشٍ

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ  
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ  
مِن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي  
يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾  
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾  
الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا أَكْفَرُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

## سُورَةُ الْكُوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوثرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾  
إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

ربّ البيت فقال:

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي الكعبة .  
[٤] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم .

## سُورَةُ الْمَاعُونِ (١٠٧)

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾، أي بالجزاء والحساب .  
[٢] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة .  
[٣] ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء .

في الحديث.

[٢] قوله عزّ وجلّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ﴾، قال محمد بن كعب: إن إناسًا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله عزّ وجلّ. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصلّ لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصلّ الصلوات المفروضة بجمع، وانحر البدن بمنى.

[٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، عدوك ومبغضك، ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، هو الأقل الأذل المنقطع دابره.

## (١٠٩) سُورَةُ الْكَافِرُونَ

[٢، ١] ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، في الحال.

[٥-٣] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾، في الاستقبال، الحال، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾، في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وذلك أنهم قالوا: إن شرك أن ندخل في دينك عامًّا فادخل في ديننا عامًّا، فنزلت هذه السورة.

[٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾، الشرك، ﴿وَلِي دِينِ﴾، الإسلام.

[٥، ٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، سئل رسول الله ﷺ عن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)، قال: «إضاعة الوقت»<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا.

[٦] لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾، وقال في وصف المنافقين: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُرَاءُونَ النَّاسَ»، وقال قتادة: ساء عنها لا يبالي صلى أم لم يصل. قيل: لا يرجون لها ثوابًا إن صلوا ولا يخافون عقابًا إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها. وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياءً، وإن فاتته لم يندم. وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

[٧] ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة. وقال عبدالله بن مسعود: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك. وقال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع. وقيل: الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار.

## (١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إن أناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. قال الحسن: هو القرآن. قال عكرمة: النبوة والكتاب. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢١٤/٢ مرفوعًا وموقوفًا، وأبو يعلى في المسند موقوفًا ٣٣٦/١ والطبري ٣١١/٣٠ والمصنف في شرح السنة ٢٤٦/٢.



## (١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يا محمد على من عاداك وهم قريش، والفتح فتح مكة.  
 [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، زمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها البعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فإنك حينئذ لاحقٌ به. قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيث إليه نفسه. قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح. قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً.

## (١١١) سُورَةُ الْمَسَدِ

[١] ﴿تَبَّتْ أَيُّ خَابَتْ وَخَسِرَتْ﴾ ﴿يَدَا أَيُّ لَهَبٍ﴾ أي هو، أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال والثياب والخسار والهلاك. وأبو لهب هو ابن عبدالمطلب عم النبي ﷺ واسمه عبد العزى ﴿وَتَبَّتْ﴾ أبو لهب، وقرأ عبدالله: وقد تبَّت. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 قُلْ يَتَّبِعُونَ الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾  
 وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمُ ﴿٤﴾  
 وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

## سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ  
 يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
 وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا  
 كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ  
 حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

[٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي ما يعني، وقيل: أي شيء يعني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وأن ولده من كسبه»<sup>(١)</sup>.

[٣] ثم وعده بالنار فقال: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي ناراً تلتهب عليه.

[٤] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾، أم جميل بنت حرب بن أمية

(١) حديث صحيح روى من طرق بألفاظ متقاربة أخرجه أبو داود في الإجازات ١٨٢/٥، والترمذي في الأحكام ٤/٥٩٢، وقال: حديث حسن، والنسائي في البيوع ٧/٢٤١، وابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩٠-٧٦٨/٢)، والدارمي في البيوع ٢/٢٤٧، وصححه ابن حبان ص ٢٦٨ من موارد الظمان.

يولد سيموت ومن يرث يورث منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدده. وعن ابن عباس قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد. وعن سعيد بن جبير أيضًا: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد. وقال الربيع: الذي لا تعتره الآفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

[٤، ٣] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَدِّ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، قرأ حمزة وإسماعيل (كفوا) ساكنة الفاء مهموزًا، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزًا، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هو على التقديم والتأخير مجازة: لم يكن له أحد كفواً أي مثلاً. قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل.

### (١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول أكثر المفسرين، وروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: وإد في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، والأول هو المعروف.

[٣، ٢] ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ المراد به القمر إذا خسف واسود: وَقَب أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من

أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، قال زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاء فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يُغري به.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا﴾، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعًا تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها وأصله من المسد وهو الفتل، والمسد ما قتل وأحكم من أي شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلاً محكمًا. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد. قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد، قال قتادة: قلادة من ودع. وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها.

### (١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: تفسيره ما بعده. روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من

سُورَةُ الْاِخْلَاقِ

٦٠٤

سُورَةُ الْاِخْلَاقِ

## سُورَةُ الْاِخْلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ  
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

## سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ  
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي  
الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

## سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ  
النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي  
يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

والناس، فسمى الجن ناسًا كما سماهم رجالًا، فقال: (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن).

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق الظلمة، يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس. قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سمي الليل غاسقًا لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد.

[٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، يعني السواحر اللاتي يفتنن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

[٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

## سُورَةُ النَّاسِ (١١٤)

[١-٤] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④﴾، يعني الشيطان يكون مصدرًا واسمًا، قال الزجاج: يعني الشيطان ذا الوسواس، الخناس الرجاء، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. قال: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس. ويقال: رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يُمْتِيهِ ويحدّثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر رجع فوضع رأسه.

[٥] فذلك: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

[٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، يعني يدخل في الجني كما يدخل في الإنسي، ويوسوس الجني كما يوسوس الإنسي، قاله الكلبي، وقوله: (في صدور الناس) أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة



## الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٦٣	٢٥- سُورَةُ الْفِرْقَانِ	٥	كلمة الناشر
٦٧٦	٢٦- سُورَةُ الشُّعْرَاءِ	٦	كلمة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
٦٩٠	٢٧- سُورَةُ النَّمْلِ	٩	مقدمة المؤلف
٧٠٤	٢٨- سُورَةُ الْقَصَصِ	١٢	ترجمة الإمام البغوي
٧٢٠	٢٩- سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ	١٣	١- سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٧٢٩	٣٠- سُورَةُ الرُّومِ	١٦	٢- سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٧٣٧	٣١- سُورَةُ لُقْمَانَ	١١٢	٣- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ
٧٤١	٣٢- سُورَةُ السَّجْدَةِ	١٦٣	٤- سُورَةُ النُّسَاءِ
٧٤٦	٣٣- سُورَةُ الْأَحْزَابِ	٢١٨	٥- سُورَةُ الْمَائِدَةِ
٧٦٤	٣٤- سُورَةُ سَبَأِ	٢٥٣	٦- سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٧٧٣	٣٥- سُورَةُ فَاطِرِ	٢٩٤	٧- سُورَةُ الْأَعْرَافِ
٧٨١	٣٦- سُورَةُ يَسِّ	٣٤١	٨- سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٧٩٠	٣٧- سُورَةُ الصَّافَاتِ	٣٦٣	٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ
٨٠٣	٣٨- سُورَةُ صِ	٤٠٠	١٠- سُورَةُ يُوسُفَ
٨١٣	٣٩- سُورَةُ الزُّمَرِ	٤١٩	١١- سُورَةُ هُودَ
٨٢٣	٤٠- سُورَةُ غَافِرِ	٤٤١	١٢- سُورَةُ يُوسُفَ
٨٣٤	٤١- سُورَةُ فُضِّلَتِ	٤٦٨	١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ
٨٤٢	٤٢- سُورَةُ الشُّورَى	٤٨٠	١٤- سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
٨٥٠	٤٣- سُورَةُ الزَّخْرَفِ	٤٨٩	١٥- سُورَةُ الْحَجْرِ
٨٦٠	٤٤- سُورَةُ الدَّخَانِ	٤٩٩	١٦- سُورَةُ النَّحْلِ
٨٦٣	٤٥- سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٥١٨	١٧- سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٨٦٧	٤٦- سُورَةُ الْأَحْقَافِ	٥٤٠	١٨- سُورَةُ الْكَهْفِ
٨٧٤	٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدَ	٥٦٢	١٩- سُورَةُ مَرْيَمَ
٨٨٠	٤٨- سُورَةُ الْفَتْحِ	٥٧٧	٢٠- سُورَةُ طهَ
٨٨٧	٤٩- سُورَةُ الْحَجْرَاتِ	٥٩٥	٢١- سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٨٩١	٥٠- سُورَةُ قَ	٦١٢	٢٢- سُورَةُ الْحَجِّ
٨٩٦	٥١- سُورَةُ الذَّارِيَاتِ	٦٢٩	٢٣- سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٩٠١	٥٢- سُورَةُ الطُّورِ	٦٤٢	٢٤- سُورَةُ التَّوْرِ

١٠١١	٨٥- سُورَةُ الْبُرُوجِ	٩٠٦	٥٣- سُورَةُ النُّجُومِ
١٠١٣	٨٦- سُورَةُ الطَّارِقِ	٩١١	٥٤- سُورَةُ الْقَمَرِ
١٠١٤	٨٧- سُورَةُ الْأَعْلَى	٩١٦	٥٥- سُورَةُ الرَّحْمَنِ
١٠١٥	٨٨- سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٩٢٢	٥٦- سُورَةُ الْوَاقِعَةِ
١٠١٦	٨٩- سُورَةُ الْفَجْرِ	٩٢٩	٥٧- سُورَةُ الْحَدِيدِ
١٠١٨	٩٠- سُورَةُ الْبَلَدِ	٩٣٥	٥٨- سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ
١٠٢٠	٩١- سُورَةُ الشَّمْسِ	٩٤٠	٥٩- سُورَةُ الْحَشْرِ
١٠٢١	٩٢- سُورَةُ اللَّيْلِ	٩٤٦	٦٠- سُورَةُ الْمَمْتَحِنَةِ
١٠٢٢	٩٣- سُورَةُ الضُّحَى	٩٤٩	٦١- سُورَةُ الصَّفِّ
١٠٢٣	٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ	٩٥١	٦٢- سُورَةُ الْجُمُعَةِ
١٠٢٤	٩٥- سُورَةُ التِّينِ	٩٥٣	٦٣- سُورَةُ الْمَنَافِقِ
١٠٢٥	٩٦- سُورَةُ الْعَلَقِ	٩٥٥	٦٤- سُورَةُ التَّغَابُنِ
١٠٢٦	٩٧- سُورَةُ الْقَدْرِ	٩٥٧	٦٥- سُورَةُ الطَّلَاقِ
١٠٢٧	٩٨- سُورَةُ الْبَيْتَةِ	٩٥٩	٦٦- سُورَةُ التَّحْرِيمِ
١٠٢٨	٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ	٩٦٢	٦٧- سُورَةُ الْمُلْكِ
١٠٢٩	١٠٠- سُورَةُ الْعَادِيَاتِ	٩٦٥	٦٨- سُورَةُ الْقَلَمِ
١٠٢٩	١٠١- سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٩٧٠	٦٩- سُورَةُ الْحَاقَةِ
١٠٣٠	١٠٢- سُورَةُ التَّكْوِينِ	٩٧٣	٧٠- سُورَةُ الْمَعَارِجِ
١٠٣١	١٠٣- سُورَةُ الْعَصْرِ	٩٧٦	٧١- سُورَةُ نُوحٍ
١٠٣١	١٠٤- سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٩٧٨	٧٢- سُورَةُ الْجِنِّ
١٠٣٢	١٠٥- سُورَةُ الْفِيلِ	٩٨٢	٧٣- سُورَةُ الْمَزْمَلِ
١٠٣٣	١٠٦- سُورَةُ قُرَيْشٍ	٩٨٤	٧٤- سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ
١٠٣٣	١٠٧- سُورَةُ الْمَاعُونِ	٩٨٨	٧٥- سُورَةُ الْقِيَامَةِ
١٠٣٤	١٠٨- سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٩٩٢	٧٦- سُورَةُ الْإِنْسَانِ
١٠٣٤	١٠٩- سُورَةُ الْكَافِرِينَ	٩٩٦	٧٧- سُورَةُ الْمَرْسَلَاتِ
١٠٣٥	١١٠- سُورَةُ النَّصْرِ	٩٩٨	٧٨- سُورَةُ النَّبَاِ
١٠٣٥	١١١- سُورَةُ الْمَسَدِ	١٠٠٠	٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ
١٠٣٦	١١٢- سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	١٠٠٢	٨٠- سُورَةُ عَبَسَ
١٠٣٦	١١٣- سُورَةُ الْفَلَقِ	١٠٠٤	٨١- سُورَةُ التَّكْوِينِ
١٠٣٧	١١٤- سُورَةُ النَّاسِ	١٠٠٦	٨٢- سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ
١٠٣٩	- الْفَهْرَسِ	١٠٠٧	٨٣- سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ
		١٠٠٩	٨٤- سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ